



© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

مشاركون في التصحيح:

خليل سمعان

شربل الخوند جورج سليم

الناشر: إصدار خاص

سن-الفييل - القلعة

ص.ب: ٥٥٥٨٦ بيروت-لبنان

هاتف: ٤٩٣٢٩٦ (٠١)

طبع في لبنان

مَسْعُودُ الْخَوْنَد

القَارَات . المَنَاطِق . الدُول . البِلْدَان . المَدَن

# الموسوعة التاريخية الجغرافية

مَعَالِم . وَثَائِق . مَوْضُوعَات . رُؤَسَاء

الجزء الثاني عشر

العالم الإسلامي - العربية السعودية

## مقدمة

**تفتقر** المكتبة العربية، في ما تفتقر إليه، إلى الموسوعات والمعاجم، وكل أنواع أدوات البحث على اختلافها ووسائل الايضاح على أشكالها.

ففي اللغات الأجنبية، خاصة الأوروبية الغربية منها، موسوعات عامة، وأخرى للشخصيات السياسية أو العلمية أو للأدبيين معاً، وللمواضيع ولل فنون وللآداب والعلوم على أنواعها، وقد تكون لعصر من العصور ولبلد من البلدان أو لكل العصور والبلدان، بما فيها البلدان العربية. فالبلدان العربية، مفردة أو مجتمعة، بالكاد تنتج موسوعة أو قاموساً، وعادة يأتي هذا الانتاج متخلفاً عن متابعة آخر ما يستجد، وبطريقة سريعة ومتسرعة، وكأنما الكسب المادي هو الهدف والوسيلة في آن معاً.

وما يؤسف له أن العمل الموسوعي يقتضي دعم المؤسسات الحكومية أو الجامعية أو الثقافية أو المؤسسات الإقليمية العربية. ولكن، لا شيء من هذا القبيل قد تحقق أو في طريقه للتحقق، بسبب صراعات المصالح داخل الاوطان العربية، وداخل مؤسسات الجامعة العربية.

وتزداد أهمية نشر الموسوعات، مع قيام أجيال جديدة من الشباب، تفتقر، بسبب مناهجها التربوية، أو طرائق التعليم في مدارسها، إلى الثقافة الواسعة والمعمقة في آن معاً. ولعلّ انكسار الشباب على البرامج الترفيهية والرياضية ما ساعد على ضحالة ثقافتها وهشاشتها، ناهيك عما تساهم به الأنظمة السياسية من تكبيل للفكر وللروح العلمية والمنهج النقدي وللرؤيا الموضوعية للأمر.

الاتجاه الموسوعي للكتابة، خاصة عن المعارف التاريخية والجغرافية يرقى إلى بداية تكوين الامبراطوريات الكونية في التاريخ، تلك الامبراطوريات التي فرضت حضارتها على أجزاء كبيرة من العالم، خاصة منذ عهد الاسكندر المقدوني، ثم بصورة جلية في عهد الامبراطورية الرومانية. هذا الاتجاه إلى التأريخ الكوني اتخذ أبعاده الحقيقية مع انتشار الدين المسيحي الذي كانت رسالته، بعكس الديانات الأخرى، رسالة مسكونية.

وقد حذا الدين الاسلامي حذو المسيحية في توجهه الكوني، وسيطر هذا الاتجاه على الاعمال التأريخية والجغرافية في القرون الوسطى. وقد أعطت الحضارة الاسلامية-العربية في القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر موسوعات جغرافية وتاريخية وادارية شملت ما كان معروفاً في ذلك الزمان، وكانت على قدر كبير من الأهمية كمصدر استعلامات.

انتقل الانتاج الموسوعي من الشرق إلى الغرب، بسبب عصور الانحطاط هنا والنهضة الكبرى هناك، ووصل إلى أوجه مع عصر الموسوعات في القرن الثامن عشر.

كان الاتجاه إلى الموسوعات ولید الرغبة بتنشئة مثال إنساني عالمي متكامل الثقافة السياسية والفكرية والأدبية والفنية والعلمية على الطريقة والأممذج الأوروبية الغربي. كان هناك شعور بأن الانسان هو الانسان مهما اختلف في الدين والجغرافيا واللون. ولذلك، كان لا بد من تهيئة الأجواء لولادة هذا الانسان الكوني عبر إعطائه ثقافة إنسانية شاملة مميزة.



## و. الياس القطار

أستاذ التاريخ في الجامعة اللبنانية

ولكن، في الوقت الذي كان فيه الاتجاه الموسوعي يشرق ويتفاعل في أوروبا ويهيء للثورة الفرنسية، كان العلم باكتشافاته وإنجازاته يخترق حجاب الجهول ويُبدع معجزات منذ القرن التاسع عشر. هذا الجوّ المفعم بالاختراعات خلق مناخاً عاماً على كل صعد العلوم والأفكار والآداب يدعو إلى التخصص العمق في حقل من الحقول وميدان من الميادين. وقد انتشر هذا الاتجاه التخصصي وأصبح القاعدة في الانتاج في أي ميدان من الميادين، وتنتج عنه تخصصات على صعيد التاريخ والجغرافيا في مواضيع عديدة وفي زمان ومكان محددين، مما أثمر هذا الانتاج المميز والدقيق والعميق وهذا الكشف عن الحقائق وعن أبسط التفاصيل المتعلقة بحياة الانسان.

هذا الاتجاه التخصصي لا يلغي، إطلاقاً، الحاجة إلى الأعمال الموسوعية. فالتخصص هو الرافد الأساسي للعمل الموسوعي الذي يصبح بدوره الاداة التي تنقل إنتاج الخاصة من العلماء إلى العامة من الناس؛ فهو الوسيلة الفضلى لتعميم المعرفة.

من هذا المنطلق، سعى الاستاذ مسعود الخوند، بعد ما تدرّب على تأليف ونشر المعاجم التاريخية إلى إصدار «الموسوعة التاريخية الجغرافية»، ناقلاً فيها إلى القارىء باللغة العربية آخر ما استجدّ من معلومات عن الوقائع والحدثان والمعالج والموضوعات والاعلام والأماكن والقارات والمناطق والدول والبلدان والمدن... وهو في موسوعته هذه، يسعى إلى جمع عدة منهجيات لصياغة الموسوعات العالمية في منهجية واحدة، هدفها تحقيق أشمل استقصاء متنوع للمعلومات، وترتيبه في أوجه متنوعة، الغاية منها، دفع القارىء بوسائل عدة إلى التقاط المعلومة التي يبحث عنها. فهو يبدأ بالتعريف بالموضوع ببطاقة معلومات موجزة ثم يتوسع في شرح الوقائع التاريخية بطريقة شاملة موجزة ومعقدة. ولا يكتفي بهذا القدر من الشروحات بل يعود لتقليب المعلومات بطريقة جديدة متوقفاً عند المعالج الجغرافية من دول ومناطق ومدن من النواحي العسكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ثم يضع قاموساً للاعلام وللمصطلحات وللعديد من المفردات التي ترمز إلى واقعة أو حدث أو صفة مما كان له صدى تاريخي.

الجزء الثاني عشر من هذه الموسوعة يعالج مسائل ومواضيع نخصنا بصورة مباشرة أو غير مباشرة. فموضوعه العالم الاسلامي بجغرافيته ومسائله الفكرية ودوله ومنظّماته ومسألة الحوار الاسلامي-المسيحي، كما أن من مواضيعه العالم الثالث والعالم العربي والعراق والمملكة العربية السعودية بتاريخ كل من هذه العوالم وهاتين الدولتين، وهواجسها، ومشاكلها ومعالمها وزعمائها.

وهو في هذا الجزء كما في الأجزاء السابقة يبحث معلوماته من صميم الموسوعات العالمية والمجلات الوثائقية والجرائد والمصنفات التي تعنى باستقصاء الحدث بصورة دقيقة وموضوعية.

**لقد** عني مسعود الخوند بتقديم مادة موسوعية دقيقة واضحة معمقة موضوعية في أسلوب واضح وبلوغ، وهو في ذلك يقدم للقارىء باللغة العربية نتاجاً على مستوى الموسوعات العالمية، حتى أنه يضاهيها في ما يقدمه من معلومات عن دول وبلدان مغمورة لا تحيط بها الموسوعات العالمية بعمق وبفهم لواقعها ولمسائلها الخاصة بها.

## فهرست

مقدمة: و.الياس القطار..... ٤

العالم الاسلامي..... ١٧

### المسلمون في العالم

#### نظرة عامة

التعداد ١٧- الأقليات المسلمة في العالم ١٧- الأقليات المسلمة في آسيا ١٧- الأقليات المسلمة في افريقيا ٢٠- الأقليات المسلمة في اوروبا ٢٣- الأقليات المسلمة في أستراليا ٢٤- الأقليات المسلمة في أميركا ٢٥- ميزتان عامتان ٢٥- المدن الاسلامية ٢٦.

### الاسلام إزاء تجربتين أوروبيتين:

#### العلمنة والاندماج (مناقشة)

العلمنة: البانيا وليس تركيا ٢٧- الاندماج ٢٨.

### دولة الاسلام

دولة قريش ٣١- دولة الاسلام الاولى ٣١- النبي محمد رسول الله ٣٢- دولة الاسلام

الثانية، الخلافة الراشدة ٣٥- دولة الاسلام بعد الخلافة الراشدة ٣٥- من دولة الاسلام إلى دول الاسلام ٣٦- دولة الاسلام مع العثمانيين ودول الاسلام بعدهم ٣٦- الجامعة الاسلامية ٣٧.

### منظمة المؤتمر الاسلامي

الأصول القريبة للمنظمة ٣٨- التأسيس والدول الاعضاء ٣٨- الميثاق ٣٩- هيئات المؤتمر الاسلامي ٣٩- محكمة العدل الاسلامية الدولية ٤٠- لجنة القدس ٤٠- أجهزة متفرعة ومؤسسات متخصصة ٤١- مؤتمر قمة المنظمة الثامن، إعلان طهران ١٩٩٧ (٤٣)- المؤتمر الخامس والعشرون لوزراء خارجية المنظمة، بيان الدوحة ١٩٩٨ (٤٤).

تقويم (مناقشة) ٤٥

مسألة المضربة ٤٥- عمل المنظمة ٤٥- قمة طهران ٤٦.

### الحوار الاسلامي-المسيحي

المنطلقات الأولى ٤٧.

الحوار في الوقت الراهن ٤٨

الجمع الفاتيكانى الثانى ٤٨- نحو جعل الحوار مؤسسة مستقلة وراسخة ٤٨- مساحة فراغ حوارى قلصها مؤتمر بيروت ١٩٩٦ (٤٩)- الحوار الاسلامي المسيحي على المستوى الأوروبى ٥٠- إتفاق تاريخى بين الفاتيكان والأزهر ٥٢- التجارب الاسلامي ٥٣- مناقشة: «حوار على إيقاعين» ٥٤.

## العالم الثالث ٥٦.....

الأرقام أصدق التعريفات ٥٦

أرقام ديمغرافية ٥٦- أرقام صحية ٥٧- أرقام التمدرس ٥٧- أرقام البطالة ٥٨- أرقام الفقر

٥٨- أرقام التدهور البيئي ٥٨.

العالم الثالث: جذور ومآل أبحر عبر القمة الأخيرة (١٩٩٨) لحركة عدم الانحياز ٥٩.

قضية ديون العالم الثالث ٦٠

خطوط عريضة ٦٠- نموذج دول «النمور الآسيوية» مع الديون ٦٢- حالة امريكا اللاتينية

(مناقشة) ٦٤.

## تعريفات ومقدمات تاريخية

الاسم: «العرب» و«العالم العربي» ٦٦- العرب ٦٦- الدولة العربية الاسلامية ٦٩- عصر  
الانحطاط (مناقشة) ٦٩- معالم النهوض ٧٣- القوميون العرب ما بعد الحرب العالمية الثانية  
٧٤.

## جامعة الدول العربية

مقدمات التأسيس ٧٥- دور بريطانيا ٧٥- اتجاهات وحدوية وعاديات ثنائية ٧٦- التأسيس  
والميثاق ٧٦- العضوية والاعضاء ٧٧- أجهزة الجامعة الأساسية ٧٧- تعديل ميثاق الجامعة  
والتغيرات الدولية ٧٨- نظرة على أهم أعمال مجلس الجامعة عبر دوراته الأخيرة وفي أجواء  
جمود الجامعة وضياعها ٧٩- المقاطعة العربية لاسرائيل ٨٠- الميثاق العربي لحقوق الانسان  
٨٠- الاتفاقية العربية لمكافحة الارهاب ٨٠- القمم العربية ٨٠- مؤسسة القمة العربية ٨٢.

## تقويم (مناقشات) ٨٣

ابتعاد الجامعة عن التطلعات الرحدوية ٨٣- رغم فشل الجامعة «لم يبق لنا سواها» ٨٤-  
جامعة الدول العربية في عصر العولمة ٨٥.

## قضايا وموضوعات

## في السياسي ٨٨

خريطة التطرف والارهاب (مناقشة) ٨٨- الاتفاقية العربية لمكافحة الارهاب ٩٠- الميثاق  
العربي لحقوق الانسان ٩٠- المقاطعة العربية لاسرائيل ٩١- أول تجمع في نوعه «تحالف عربي  
اسرائيلي من أجل السلام» (إعلان كوينهاغن، ١٩٩٧) ٩٢- «حركة السلام» المصرية ٩٤-  
ندوة بيروت الخاصة بـ«اليهود العرب: الجنود والنهجير» (مناقشة) ٩٥- الحوار العربي  
الأوروبي ٩٧- الموقف العربي من معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية ٩٩.

## موضوعات في العلم والتكنولوجيا ١٠٠

الوضع الحالي للجامعات العربية ١٠٠- التكنولوجيا والبحث العلمي (مقارنة مع اسرائيل)  
١٠٠- العلماء والتكنولوجيون العرب في الخارج ١٠١- العولمة تقدم فرصًا جديدة لتقدم  
العلوم والتكنولوجيا في العالم العربي ١٠٣.

## موضوعات في الاجتماع والاقتصاد والبيئة ١٠٤

عدد السكان ١٠٤- الأمية ١٠٥- الفقر والدخل الفردي والتنمية البشرية ١٠٥- السكان والموارد الزراعية ١٠٧- الماء والتصحر ١٠٧.

استنهاض العالم العربي يبدأه الانسان العربي (مناقشة) ١٠٨

## ١١١ .....العراق

بطاقة تعريف ١١٢

### نبذة تاريخية

قديمًا ١١٤- الحكم الفارسي ثم الهيليني ثم الروماني ١١٥- معركة القادسية ١١٥- الخلافة العباسية ١١٦- الحكم العثماني ١١٩- التغفل البريطاني إبان الحكم العثماني ١١٩- السيطرة البريطانية المباشرة، الاحتلال ثم الانتداب ١٢٠- من الثورة العراقية الكبرى إلى ١٩٨٠ (١٢٠)- حرب الخليج الأولى ١٢٠.

### حرب الخليج الثانية (العراقية-الاميركية

#### أساساً والدولية فرعاً)

أسباب بعيدة ١٢١- أسباب مباشرة ١٢١- غزو الكويت ١٢٣- القوات المتواجدة في ساحة المعركة والمواقف الدولية: إيران ١٢٤- اسرائيل ١٢٤- الفلسطينيين ١٢٤- دول التحالف ١٢٤- العمليات العسكرية ١٢٥- الخسائر ١٢٦- التلوث ١٢٦- قرارات الأمم المتحدة ١٢٦- حرب الخليج الثانية «حرب معلومات نادرة» (مناقشة) ١٢٧.

### ما بعد الحرب: العراق تحت الحصار الدولي ١٢٨

١٩٩١ (١٢٨)- ١٩٩٢ (١٢٨)- ١٩٩٣ (١٢٨)- ١٩٩٤ (١٣٠)- ١٩٩٥ (١٣١)- ١٩٩٦ (١٣١)- ١٩٩٧ (١٣٢)- ١٩٩٨ (١٣٣)- القضايا المركزية في قرارات مجلس الأمن: الحصار، الحدود، العسكرية والتعويضات ١٣٧- العلاقات العراقية الخليجية ١٣٨.

### الأحزاب

في العهد الملكي من ١٩٢١ إلى ١٩٥٨ (١٤٢) ... حزب البعث العربي الاشتراكي ١٤٤- حزب الشيوعي العراقي ١٤٤- الجبهة الوطنية والقومية التقدمية ١٤٨- الأحزاب والحركات الاسلامية ١٤٩- أحزاب المعارضة قبل حرب الخليج الثانية ١٥١- أحزاب المعارضة بعد حرب الخليج الثانية ١٥٢- الأحزاب الكردية ١٥٤.

## أقليات

تمهيد («عناصر وحدة العراق أقوى») ١٥٤ - اليهود ١٥٥ - الصابئة (المنذائون) ١٥٦ -  
اليزيديون ١٥٨ - الآشوريون (والكلدان) ١٥٩ - الزركمان ١٦٢.

## كردستان العراق

نظرة عامة ١٦٣ - نبذة تاريخية ١٦٤ - بعد الحرب العالمية الأولى ١٦٥ - من الأربعينات إلى  
١٩٧٠ (١٦٧) - بيان ١١ آذار ١٩٧٠ و اتفاق الجزائر ١٩٧٥ (١٦٧) - أثناء حرب الخليج  
الأولى ١٦٨ - في أعقاب حرب الخليج الثانية: كرونولوجيا أهم الأحداث ١٦٩ - يهود  
كردستان وعلاقات كردية اسرائيلية ١٧٢.

## معالم تاريخية

الاتحاد العربي الهاشمي ١٧٥ - الآشوريون اليوم ١٧٦ - الثورات العراقية ١٧٦ - ثورة العشرين  
١٧٦ - حلف بغداد ١٧٧ - سكة حديد برلين بغداد ١٧٧ - الصحافة في العراق ١٧٩ -  
الضباط الأحرار (العراق) ١٨٠ - الضباط الشريفيون ١٨١ - تجازر كركوك ١٨٢ - مجازر  
الموصل ١٨٢ - مسألة شط العرب ١٨٢ - مسألة الموصل ١٨٤ - المعاهدات العراقية البريطانية  
١٨٥ - الملكية في العراق ١٨٦ - مؤتمر القاهرة ١٨٧ - ميثاق العمل القومي المشترك ١٨٨ -  
النفط العراقي، البداية والتأميم ١٨٨ - «الهاشميون العائدون» (مناقشة) ١٨٩.

## مدن ومعالم

### تمهيد

علم الآثار (الأركيولوجيا) ١٩٢ - ما يريده الغرب من هذه التسميات: بلاد ما بين النهرين  
والشرق الأوسط والشرق الأدنى ١٩٢.  
آثار العراق: مآل كارثي يستدعي ورشة علمية وحضارية للانقاذ ١٩٤ - أبريل ١٩٧ - إريسنو  
(أبو شرين) ١٩٨ - آشور ١٩٨ - أكد ١٩٨ - الأهوار ١٩٩ - أور (تل المقيس) ٢٠٢ - أوروك  
(ورقة) ٢٠٢ - بابل (وشريعة حمورابي) ٢٠٢ - البصرى ٢٠٤ - بعقوبا ٢٠٦ - بغداد ٢٠٦ -  
تكريت ٢٠٩ - تل الشبيد ٢٠٩ - تل المقيس ٢٠٩ - جمدت نصر ٢٠٩ - حصن الأحيضر ٢١١ -  
الحضر ٢١١ - الحلة ٢١١ - خانات القوافل والقيساريات ٢١٣ - حورسباد ٢١٣ - دور شروكين  
٢١٣ - دور كوريكالزو ٢١٣ - الرصافة ٢١٣ - زارلو ٢١٣ - الزقورات (الأبراج) ٢١٣ - سلما  
٢١٤ - سلمان بك ٢١٥ - سنجار ٢١٥ - سومر ٢١٦ - شادويم ٢١٧ - شط العرب ٢١٧ -  
شفاتا ٢١٧ - طيسفون ٢١٧ - عقرقوف ٢١٧ - عين التمر (وحصن الأحيضر) ٢١٨ - الفار  
٢١٨ - الكاظمية ٢١٩ - كربلاء ٢١٩ - كركوك ٢٢٢ - الكوفة ٢٢٢ - المدائن ٢٢٣ - الموصل  
٢٢٥ - النحف ٢٢٦ - نفر ٢٢٨ - نمرود (كالخ) ٢٢٨ - نيبور (نوفار أو نفر) ٢٢٩ - نينوى  
٢٢٩ - هيت ٢٣١ - واسط ٢٣١ - ورقة ٢٣٢.

### زعماء، رجال دولة وسياسة

أحمد حسن البكر ٢٣٢- باسل رؤوف الكبيسي ٢٣٣- برزان ابراهيم التكريتي ٢٣٤- بكر  
صلفي ٢٣٤- جعفر أبو التمن ٢٣٤- جعفر العسكري ٢٣٥- جميل المدفعي ٢٣٦-  
حكمت سليمان ٢٣٦- حميد مجيد موسى ٢٣٧- رشيد عالي الكيلاني ٢٣٧- زكي نجدي  
٢٣٨- ساطع الحصري ٢٤٠- سعدون حمادي ٢٤٠- صالح جبر ٢٤١- صدام حسين  
٢٤١- صلاح الدين الصباغ ٢٤٣- طارق عزيز ٢٤٤- طالب النقيب ٢٤٤- طه الهاشمي  
٢٤٤- طه ياسين رمضان ٢٤٥- عارف عبد الرزاق ٢٤٦- عبد الإله بن علي ٢٤٦- عبد  
الأمير الأنباري ٢٤٧- عبد الرحمن عارف ٢٤٧- عبد الرحمن النقيب ٢٤٨- عبد السلام  
عارف ٢٤٨- عبد الكريم قاسم ٢٤٩- عبد المحسن السعدون ٢٥٠- عبد الوهاب التراف  
٢٥١- عزت ابراهيم الدوري ٢٥١- عزيزالحاج علي حيدر ٢٥٢- عزيز محمد ٢٥٢- علي  
جودت الأيوبي ٢٥٣- علي صالح السعدي ٢٥٣- غازي بن فيصل، الملك ٢٥٣- فاضل  
الجمالي ٢٥٤- فهمي سعيد ٢٥٥- فيصل الأول، الملك ٢٥٥- فيصل الثاني، الملك ٢٥٧-  
كامل الجنادرجي ٢٥٧- كامل شبيب ٢٥٨- محمد مهدي كيسي ٢٥٨- محمد مهدي  
الجواهري ٢٥٨- عمود سلمان ٢٥٨- معطفى البرزاني ٢٥٨- معروف الرصافي ٢٥٩-  
نوري السعيد ٢٦٠- ياسين الهاشمي ٢٦٠- يوسف بن نعمان السويدي ٢٦١- يوسف  
سلمان (الملقب فهد) ٢٦١.

## ٢٦٢ ..... العربية السعودية، المملكة

بطاقة تعريف ٢٦٢

### لبذة تاريخية

التكون الجيولوجي ٢٧١- التاريخ القديم ٢٧١- الألف الثالث والثاني ق.م. ٢٧٢- الألف  
الأول ق.م. ٢٧٢- من الميلاد إلى ظهور الإسلام ٢٧٤- الإسلام ٢٧٦- حروب الردة  
٢٧٦- غنائم ورفاهية ٢٧٧- علي ينتقل من المدينة إلى الكوفة ٢٧٧- الأمويون يحكمون  
الحجاز وباقي أنحاء شبه الجزيرة ٢٧٨- الخوارج ٢٧٨- القرامطة ٢٧٩- حكم الشريفيين  
لكة ٢٨٠- البرتغاليون والبريطانيون والعثمانيون ٢٨٠.

### السعوديون ٢٨٢

حالة شبه الجزيرة قبل ظهور الحركة الوهابية ٢٨٢- الأمراء السعوديون قبيل الوهابية وعند  
ظهورها ٢٨٢- محمد بن عبد الوهاب والوهابية ٢٨٣- الخلف ما بين الدين والسياسي (ابن  
عبد الوهاب وابن سعود) ٢٨٣- الشريفيون والدعوة الوهابية وآل سعود ٢٨٤- السلطنة  
العثمانية وآل سعود (الحملة المصرية على عسير) ٢٨٧- عبد الرحمن وعبد العزيز في الكويت

٢٨٨- العودة المظفرة والدولة السعودية الثالثة ٢٨٩ مشكلات حدود ومؤتمرات ٢٨٩  
عبد العزيز يُسقط الحجاز ويضمه ٢٩٠ سياسة عبد العزيز داخلياً وخارجياً (١٩٢٦)  
٢٩١ (١٩٣١).

#### المملكة العربية السعودية ٢٩٢

إعلان المملكة العربية السعودية وأول المشكلات مع اليمن ٢٩٢ أسس عامة في سياسة عهد  
العزيز ٢٩٣ اكتشاف البترول ٢٩٤ أسس الموقف السعودي البرولي ٢٩٦ - المملكة إبان  
الحرب العالمية الثانية ٢٩٧ - مراسلات عبد العزيز وروزفلت واجتماعهما ٢٩٨ - السنوات  
الأخيرة من عهد الملك المؤسس عبد العزيز ٣٠٠ - حكم الملك سعود بن عبد العزيز ٣٠١  
الأمير فيصل في الواجبة والمسؤولية ٣٠٢ - حكم الملك فيصل ٣٠٣ - نفوذ متماعظم للملك  
فيصل (الحقبة السعودية) ٣٠٣ - سلاح النفط والقدس في سياسة فيصل ٣٠٤ - حكم الملك  
خالد بن عبد العزيز ٣٠٥ - حكم الملك فهد بن عبد العزيز ٣٠٦.

#### كروولوجيا ١٩٨٧-١٩٩٨

ص ٣٠٧ إلى ص ٣١٥.

#### معالم تاريخية

الإخوان ٣١٥ - الإخوان الجدد ٣١٩ - اكتشاف السورول ٣٢١ - التقرير المحري ٣٢١  
الجيش ٣٢٢ الحاج عبدا لله فيليبي، أشهر مؤرخي المملكة العربية السعودية ٣٢٣ - الملح  
٣٢٥ - الحملة المصرية على عسير ٣٢٨ «حادم الحرمس الشريف» ٣٢٨ - الصحابة في  
المملكة العربية السعودية ٣٢٨ - مبادئ الملك فيصل العسرة ٣٣١ - مشروع عهد لفسلام  
٣٣٢ - مؤتمر الرياض (١٩٢٨) ٣٣٢ - ميزات رئيسية ثلاث: مسفر أكثر تجمع من القائل في  
العالم، وأول وحدة حقيقية بعد صدر الاسلام، وانقراض الدولة بالاسلام ٣٣٢ - الصراع  
الحدودي السعودي اليمني ٣٣٣.

#### مدن ومعالم

أبها ٣٣٧ أبو السعود ٣٣٨ - الإحساء ٣٣٨ - الأحود ٣٣٨ - عمدة الرحاحيل ٣٣٩  
الباحة ٣٣٩ تاروت، قلعة ٣٤٠ - تسوك ٣٤٠ - تيماء ٣٤٠ - نمود ٣٤٢ - الحليل ٣٤٢  
جدة ٣٤٤ - الجرف ٣٤٥ - حرملاء (حرملة) ٣٤٦ - الحمر ٣٤٧ - حير ٣٤٧ - الترعمة  
٣٤٧ - الدمام ٣٤٩ - دومة الجندل ٣٤٩ - الربنة ٢٤٩ - رجال ٣٤٩ - رفصات ٣٤٩  
الرياض ٣٤٩ - سوق عكاظ ٣٥٣ - صالح ونمود ٣٥٣ - الطائف ٣٥٣ - الطوير ٣٥٣  
القطهران ٣٥٦ - عسير ٣٥٦ - الفار ٣٥٦ - القطيف ٣٥٧ - الكمة الشريعة ٣٥٧ - المحصر  
٣٥٧ - مدائن صالح ونمود ٣٦٠ - المدينة المنورة ٣٦٠ - مكة المكرمة ٣٦٢ - المنطقة الشرقية  
٣٦٨ - نجران ٣٧٢ - الوسوم ٣٧٢ - يترب ٣٧٢ - ببع ٣٧٢.



---

 زعماء، رجال دولة وسياسة
 

---

## الأسرة المالكة ٣٧٤

## الملوك

الأمير ولي العهد النائب الأول لرئيس الوزراء  
 الأمير النائب الثاني لرئيس الوزراء وزير الدفاع والطيران  
 الأمير وزير الخارجية

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ٣٧٧- سعود بن عبد العزيز آل سعود ٣٧٩-  
 فيصل بن عبد العزيز آل سعود ٣٨٠- خالد بن عبد العزيز آل سعود ٣٨٢- فهد بن عبد  
 العزيز آل سعود ٣٨٣- عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ٣٨٥- سلطان بن عبد العزيز آل  
 سعود ٣٨٦- سعود الفيصل ٣٨٧.

## وزراء وشخصيات سياسية ٣٨٧

أحمد زكي اليماني ٣٨٧- جميل مراد بارودي ٣٨٧- حسن عبد الله آل شيخ ٣٨٨- سليمان  
 عبد العزيز السليم ٣٨٨- عبد العزيز عبد الله الخويطر ٣٨٨- عبد الله محمد العمران ٣٨٨-  
 علوي درويش كيال ٣٨٨- غازي القصيبي ٣٨٨- كمال أدهم ٣٨٨- محمد ابراهيم  
 مسعود ٣٨٩- محمد أبو الخيل ٣٨٩- محمد عبده اليماني ٣٨٩- هشام الناظر ٣٨٩.

## العالم الاسلامي

### المسلمون في العالم نظرة عامة

يشكلون الاكثريات المتزاوجة بين الاكثرية العديدة المطلقة التي تبدأ من نسبة ٥١٪ من إجمالي السكان، وبين الاكثرية الساحقة التي تصل إلى ٩٩٪ في الدول العربية والاسلامية، فإنهم يتواجدون أيضاً بصورة اقلية كبيرة أو متوسطة أو صغيرة في معظم دول العالم.

عن هذه الاقليات لمحّة موجزة نقدمها استناداً إلى كتاب «الأقليات المسلمة في العالم» (المملكة العربية السعودية، وزارة الاعلام-الاعلام الخارجي، نشر وتوزيع دار أريج للنشر والتوزيع، مصنفراً بكلمة توجيهية من «خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، الثلاثاء ١١/شوال/١٤١٢هـ-جدة)، مع ملاحظة أن الاحصائيات الواردة فيه تعود إلى قبيل انهيار جدار برلين والاتحاد السوفياتي:

**الأقليات المسلمة في آسيا:** يصل عدد المسلمين في آسيا بما يقرب من ٧٥٢ مليون نسمة منهم ٤٧٠ مليوناً يعيشون في الاقطار الاسلامية أي بنسبة ٦٣٪ تقريباً من إجمالي عدد المسلمين في آسيا، بينما يقدر عدد المسلمين الذين يعيشون في أقطار غير إسلامية بأكثر من ٢٨٢ مليوناً أي بنسبة ٣٧٪ من مجموع مسلمي آسيا.

- في الهند، يعيش أكثر من ١٢٠ مليون مسلم، أي نحو ١٥٪ من مجموع السكان. وكان انتشار الاسلام في الهند نتيجة الفتح الاسلامي عن طريق بحر العرب إلى البنغال، وفي السواحل انتشر الاسلام نتيجة التجارة والدعوة، ثم تعمق في الداخل أثناء حكم المسلمين للهند وانتقال الدعوة في مناطقها المختلفة. وفي الهند أعداد من الهيئات والجمعيات الاسلامية، وتعتبر الجامعة الاسلامية في «عليكرة» من أهم الجامعات العصرية بالاضافة إلى الجامعة الاسلامية في دلهي.

- في نيبال، نحو ٦٠٠ ألف مسلم، أي ٤٪ من مجموع السكان، وكان الاسلام انتشر فيها ببطء شديد وبمجهودات السلطان شمس الدين حاكم البنغال، بالاضافة إلى البعثات الاسلامية في عهد الاميراطور المغولي المسلم.

**التعداد:** قدرت أنسكلويديا بريتانكا، في ١٩٨٢، عدد المسلمين في العالم بـ ٥٨٨ مليوناً. وفي ١٩٩٥، أخذت أغلب المصادر والمراجع، من أجنبية أو عربية أو إسلامية، تقدر العدد بنحو مليار نسمة، ووصلت أخيراً (١٩٩٧-١٩٩٨) بتقديره بنحو مليار وربع مليار نسمة، وتشير إلى أنه سيبلغ أكثر من مليارين في العام ٢٠٢٠، أي سيمثل نحو ٢٧٪ من إجمالي سكان العالم الذي سيبلغ نحو ٨٤٦ مليار نسمة.

وتتكلم الدراسات على ان متوسط معدل الولادات في العالم الاسلامي تصل إلى ٢٤ بالالف، وإلى ٣٤ بالالف لدى مسلمي العالم الثالث، وإلى ١٣ بالالف لدى مسلمي البلدان الصناعية.

عن اعتناق الدين الاسلامي، في الوقت الحاضر، أوجز الكتاب السنوي الفرنسي Quid (١٩٩٤) الظاهرة بقوله ان الاسلام لا يزال يتقدم في افريقيا السوداء على حساب المسيحية منذ بدء زوال الاستعمار، وإن اعتناق السود المسيحيين للاسلام ظاهرة متكررة، كما ان الذين يشهرون إسلامهم من أصحاب المعتقدات الإحيائية (أديان أصلية في افريقيا وبعض المناطق الآسيوية كما في عدد من جزر المحيط الهادىء وغيرها) هم أكثر من الذين يتحولون إلى المسيحية:

«l'Islam progresse en Afrique Noire, au détriment du Christianisme depuis la décolonisation. Les conversions des Noirs Chrétiens à l'Islam sont fréquents. Les conversions d'Animistes se font plus vers l'Islam que vers le Christianisme».

الأقليات المسلمة في العالم: إذا كان المسلمون

بمجموع السكان). انتشر الإسلام فيها مع انتشاره في شبه جزيرة الملايو وأندونيسيا. ثمة مشكلة أساسية تتمثل في قلة علماء الدين الإسلامي، وحفظ القرآن قاصر على جهود المجلس الإسلامي بسنغافورة وتدرّس اللغة العربية بجهود بعض المنظمات الإسلامية.

- في الصين، أكثر من ٩٥ مليون مسلم (١٠-١١٪ من مجموع السكان) (راجع «الصين»، ج ١١).

- في تايوان، نحو ٥٦ ألف مسلم، ويرجع دخولهم إلى هذه الجزيرة إلى هجرة حوالي ٢٠ ألف مسلم من الصين فارين من الحكم الشيوعي. والمسلمون في تايوان لهم وضع خاص يميز عن بقية البلاد حيث يشارك ٢٧ عضوًا منهم في المجالس التشريعية، ويتمتعون بوضع اقتصادي أفضل من غيرهم.

- في التبت، نحو ٢٠٠ ألف مسلم (١٠٪ من مجموع السكان).

- في كوريا، جاء دخول الإسلام إليها متأخرًا، وكان على يد فرقة تركية شاركت في القوات الدولية لدعم كوريا الجنوبية في حربها ضد كوريا الشمالية. وكان إمام هذه الفرقة الشيخ عبد الرحمن الذي استطاع ان ينشر الإسلام بين عدد قليل من السكان. وعدد المسلمين في كوريا اليوم نحو ٣٠ ألفًا، تتجمع أغليبتهم في مدينة سيول العاصمة ولهم فيها مسجد، وساهمت المملكة العربية السعودية في إقامة الجامعة الإسلامية الكورية.

- في الفلبين، نحو ٧،٥ مليون مسلم (١٢٪ من مجموع السكان). كانت التجارة هي العامل الرئيسي لدخول الإسلام، ولم يأت القرن العاشر إلا للمسلمين عدة إمارات هناك. قاوموا الاستعمار الإسباني. وفي الحرب العالمية الثانية، قاوموا احتلال اليابان. عُرف المسلمون في الفلبين باسم «المرور»، ويزداد وجودهم في الجزر الجنوبية من البلاد، ويتكلمون لغتين تعرفان بلغة «المرور» وتكتبان بالأحرف العربية. وتعد العربية اللغة الثانية بعد الانكليزية التي لا تزال اللغة الرسمية في البلاد كلها. وكانت المملكة العربية السعودية ومنظمة المؤتمر الإسلامي في مقدمة الجهات التي كان لها دور إيجابي ومهم في إقناع الحكومة الفلبينية بضرورة إيجاد حل سياسي يكفل منح استمرار القتال، وشكلت لجنة تسمى اللجنة الرباعية منبثقة من منظمة المؤتمر الإسلامي ضمت كلاً من المملكة العربية السعودية وليبيا والصومال لمنظمة ما يتعلق باتفاقية طرابلس وتنفيذ بنودها لمنح الحكم الذاتي للمسلمين في «منداو».

- في اليابان، نحو ٧٠ ألف مسلم. وصل الإسلام

- في سرى لانكا، نحو مليون و٨٠ ألف مسلم (١٠٪ من مجموع السكان). ويطلق على معظم المسلمين فيها إسم «الموروز»، وأغلبهم يعمل في فلاحية الارض وزراعتها (راجع «سرى لانكا»، ج ٩).

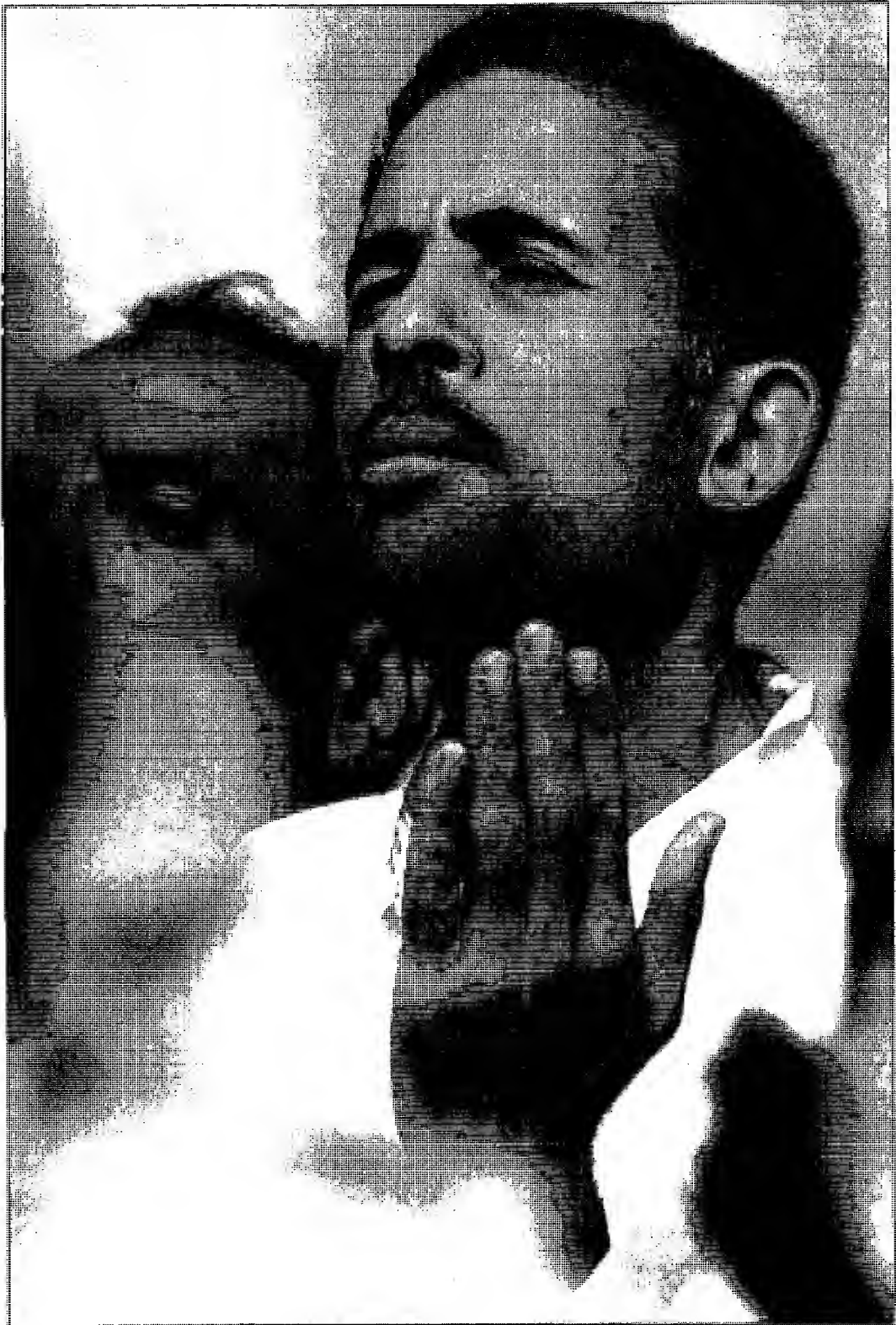
- في بورما، نحو ٧ ملايين مسلم (١٧،٣٪ من مجموع السكان). ودخل الإسلام بورما عن طريق التجار المسلمين وخاصة العرب حيث اقاموا محطات تجارية لهم على طول المناطق الساحلية الواقعة في الطريق إلى الصين. ومن المسلمين في بورما جماعة «الروهنجيون» الذين يتعرضون لتصفية منظمة إسا بالقتل أو التشريد، وقد فرّ أكثر من ٦٠٠ ألف لاجئ إلى بنغلادش (راجع «بورما»، ج ٥).

- في تايلاند، ٧٤٧ مليون مسلم من مجموع ٥٥ مليون نسمة. ويتجمع المسلمون في منطقتين رئيسيتين: فطاني وبانكوك. وعرفت تايلاند الإسلام عن طريق التجار العرب الذين أسسوا دولة مستقلة في فطاني (جنوبي تايلاند على حدود ماليزيا). وأدجت فطاني مع تايلاند في أوائل هذا القرن، وتنشط فيها حركة تحرير إسلامية لإعادة السلطة الإسلامية عليها (راجع «تايلاند»، ج ٦).

- في كمبوديا، أكثر من مليون مسلم (٣،٥٪ من مجموع السكان). قضى الشيوعيون على عدد كبير منهم، كما فرّ قسم منهم إلى مناطق مختلفة في جنوب شرقي آسيا مثل ماليزيا وأندونيسيا، وكادت تخلو من المسلمين. وهاجمت الحكومة الشيوعية المساجد عام ١٩٧٠. وعندما استولى الخمير الحمر على السلطة في ١٩٧٥، بدأوا في سلسلة من المذابح للمسلمين، واعترفت وكالة الأنباء الخمبودية في ايلول ١٩٨٠ بأن معظم أبناء الاقلية الإسلامية في كمبوديا قد تعرّضوا للإبادة في ظل حكم بول بوت.

... في فيتنام، كان يسكنها أكثر من مليوني مسلم (نحو ٣٪ من مجموع السكان)، ولكن ضاعت هذه النسبة مع الزمن، «وذلك بفعل وحشية الشيوعية التي كانت بالمرصاد تقف في وجه الإسلام لتحاول القضاء عليه في كل مكان الأمر الذي جعل عددهم يقل مع الأيام في فيتنام حتى انقطعت أخبارهم نهائيًا بعد حوادث القتال والمعارك الدامية المشهورة في فيتنام (المقصود الحرب الفيتنامية الشهيرة) ولم يتبق من آثار المسلمين إلا مسجداً أحدهما في هانوي عاصمة الشمال والآخر في سايجون عاصمة الجنوب».

- في سنغافورة، نحو ٥٤١ ألف مسلم (٢٠٪ من



وعرف عن السفن التجارية قديماً انها كانت تنقل بين جنوبي جزيرة العرب وسواحل افريقيا الشرقية. وتمثل الأقليات المسلمة في هذا الجزء أكبر الأقليات، حيث يصل عددها إلى أكثر من ١٧ مليون نسمة وتكون نسبتها أكثر من ٥٥٪ من مجموع الأقليات المسلمة في افريقيا، وتوزع في خمس دول: كينيا، أوغندا، موزمبيق، ملاوي ومالاغاش (ماغاشتر).

وفي وسط افريقيا، انتشر الاسلام بعد قيام دولة ماجد بن سعيد في شرقي افريقيا (القرن الثامن عشر) ونقل عاصمته إلى البر الافريقي في دار السلام بعد ان كانت في جزيرة زنجبار، وأنشأ المسلمون مراكز دائمة للدعوة والتجارة في الداخل بعد ما كانت مراكزهم على السواحل فقط. ثم سرعان ما دخل الاستعمار وسط افريقيا. ويصل عدد المسلمين في هذا الجزء من القارة ما يزيد على ٥ ملايين، أي ما يعادل ١٤٪ من مجموع الأقليات المسلمة في افريقيا، وتوزع في أربع دول: بوروندي، رواندا، زانير (الكونغو الشعبية) والكونغو (الديمقراطية).

أما في الجزء الغربي من افريقيا، فكان الاسلام قد انتشر عن طريق الدعوة التي قامت بجهود دولة المرابطين التي قامت في المغرب، ثم بجهود الدول التي قامت في منطقة مالي ثم في دولة عثمان دونغديرو والحاج عمر اللذان عملا على نشر الاسلام في العصر الحديث. والأقليات المسلمة في هذا الجزء تتوزع في أربع دول: غانا، الغابون، غينيا الاستوائية وليبيريا.

وأما في الجنوب، فيقول المسلمون هناك، ويتشرون في ثمان دول: أنغولا، زامبيا، زيمبابوي، سوازيلاند، بوتسوانا، ليسوتو، ناميبيا واتحاد جنوب افريقيا.

- في كينيا، يشكل المسلمون نحو ٣٥٪ من مجموع السكان البالغ نحو ٢٣ مليوناً. وتعد المدن الساحلية ذات صبغة إسلامية، وأشهرها مومباسا مالندي.

- في أوغندا، المسلمون نحو ٤ ملايين و ٤٠٠ ألف (نحو ٤٠٪ من مجموع السكان). تزايد انتشار الاسلام بعد تسلّم أحد المسلمين رئاسة الدولة وهو عيدي أمين. لكن بعد سقوطه، وتسلم جوزف عيسى، أحد زعماء التبشير، الحكم، «عمل على قتل أكثر من نصف مليون مسلم، وشرّد مثل ذلك وسكنت أجهزة الاعلام العالمية ووكالات الأنباء على هذه المذابح والنظائم» (راجع «أوغندا»، ج٤).

- في موزمبيق، تصل نسبة المسلمين بين سكانها البالغ عددهم نحو ١٦ مليون نسمة إلى ٣٠٪. وأشهر

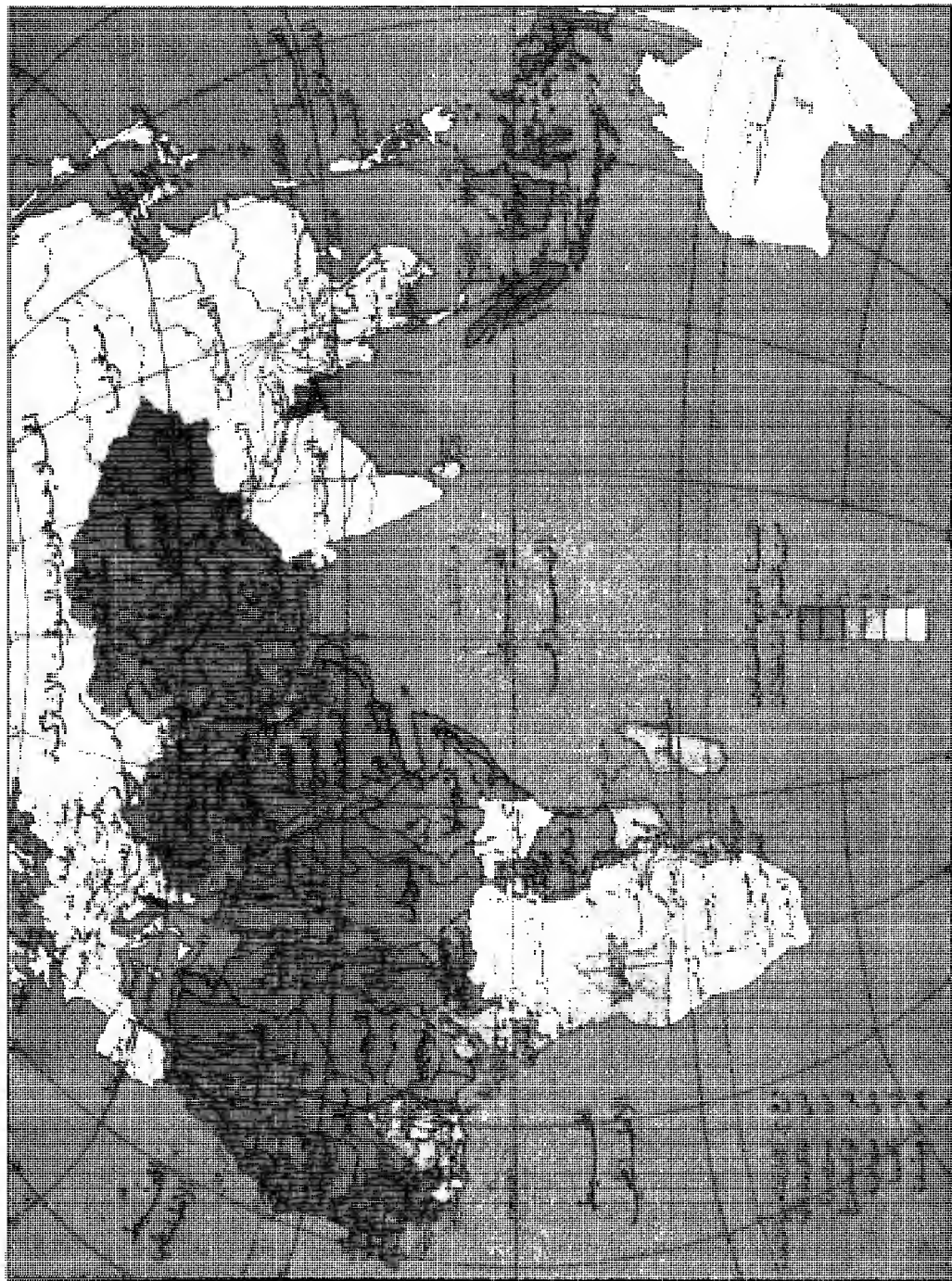
إلى اليابان عن طريق رجل تناري اسمه ابراهيم أرسله السلطان عبد الحميد تنفيذاً لرغبة اميراطور اليابان ليتعرف الشعب الياباني على الاسلام. وعندما وصل ابراهيم التناري إلى اليابان استدعى بعض التتار الذين يُعانون من اضطهاد الروس الشتلين للبلاد وقربهم إليه، وأسلم أول رجل ياباني على يد ابراهيم وإسمه كازاكا. ثم تابعت جهود الدعوة للمسلمين في اليابان وازدهرت الدعوة الاسلامية في أعقاب الحرب العالمية الثانية بعودة الجنود اليابانيين إلى بلادهم، وكان بعضهم قد اعتنق الاسلام من المسلمين في أندونيسيا والملايو والمناطق الأخرى التي احتلتها اليابان.

فر عدد من الصينيين إلى اليابان بعد سيطرة الشيوعيين على الصين (١٩٤٩)، ووصل عدد آخر من الدعوة من الهند وباكستان ومن جماعة التبليغ، وكان لهم أكبر الأثر في ازدهار الاسلام في اليابان. ويتنشر عدد لا بأس به من الجمعيات الاسلامية والمؤسسات في طوكيو، وكيتوتو، ونارتو، وكوتشي. ومن أهم هذه الجمعيات والمؤسسات جمعية المؤتمر الاسلامي في طوكيو، وجمعية مسلمي اليابان والجمعية الخيرية الاسلامية. وبدأ الاهتمام بتعليم اللغة العربية في اليابان، وبخاصة بعد ان أخذت الدول العربية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية مكانة ممتازة في تجارة البترول، ولذلك عملت الشركات اليابانية على فتح فصول لتعليم اللغة العربية لموظفيها.

- في قبرص، نحو ١٢٨ ألف مسلم (١٩٪ من مجموع السكان). وصل الاسلام إلى قبرص عن طريق السواحل الاسلامية، واهتم معاوية بن ابي سفيان بها لتأمين الدول الاسلامية من اعتداءات الروم فأشرك في فتح قبرص عدداً من أصحاب رسول الله، من بينهم أبو ذر الغفاري وأبو السدراء، ولذلك تضم قبرص قبوراً لبعض الصحابة.

- وفي كشمير، نحو ١٢ مليون مسلم (٧٥٪ من مجموع السكان). دخل الاسلام كشمير في وقت متأخر بعد ان فتحها شاه أمير عام ١٣٣٩. وبعد احتلال الانكليز للهند سيطروا على كشمير وطردها حكام كشمير المسلمين، وباعوها إلى إقطاعي كبير هندوسي من منطقة جمامو بمبلغ ٧٥ ألف روبية. يعيش مسلمو كشمير في ظروف بائسة وسببة للغاية نتيجة لاستخدام الهندوس طريقة الإبادة الجماعية لهم.

**الأقليات المسلمة في افريقيا: بدأ انتشار الاسلام في افريقيا في المناطق الشرقية عن طريق التجارة والدعوة وإقامة للمالك والامارات الاسلامية على الاجزاء الساحلية الشرقية من القارة.**



العالم الاسلامي ( الخريطة موضوعة في اواخر الثمانينات).

عقيدتهم لو وجدوا اهتماماً بتثقيفهم».

- في ليبيريا، نسبة المسلمين ٣٠٪ من مجموع السكان، لكنهم لا يزالون، رغم دستور ١٩٨٠ الجديد الذي ينص على إقامة الجمهورية الثانية على أسس غير طائفية، يعيشون غرباء. إذ إن «الذي يسيطر على الحياة هناك من ينتمي لأعمدة ثلاثة لا غيرهم؛ الحقل الماسوني والكنيسة وحزب الاحرار «الهوريج» ومن ثم لم يكن للمسلمين مكان في هذه التنظيمات الثلاثة».

- في غانا، نحو ٢ مليون مسلم (١٣٪ من مجموع السكان)، ويكثر الاسلام في قبائل الأشانتي.

- في غينيا الاستوائية، يعيش نحو ١٠٥ آلاف مسلم (٣٥٪ من مجموع السكان)، ويقيم أكثرهم في إقليم ريوموني، ويتنشر بين أكبر قبائل البلاد وهي قبيلة الغانج.

- في بوروندي، نحو مليون مسلم (٢٥٪ من مجموع السكان). ولم تعرف بوروندي الاسلام إلا في القرن ١٣ الهجري عن طريق العرب العثمانيين الذين جاءوا من شرقي الشارة الافريقية وكانت زنجبار هي صاحبة السلطة في هذه المنطقة (راجع «بوروندي»، ج ٥).

- في رواندا، نحو ٢٤٠ ألف مسلم (٦٪ من مجموع السكان) (راجع «رواندا»، ج ٨).

- في زائير (الكونغو الشعبية)، نحو ٣،٥ مليون مسلم (١٠٪ من مجموع السكان) (راجع «زائير»، ج ٨).  
- في الكونغو (الديمقراطية، الكونغو-برازافيل)، نحو ٩٠ ألفاً من المسلمين (٢٥٪ من مجموع السكان). مع الاستقلال، نشطت الدعوة الاسلامية نسبياً.

- في إثيوبيا، ١٩ مليون مسلم من إجمالي ٥١ مليوناً. وقد تعرض المسلمون في إثيوبيا خلال حكم هيلا سيلاسي ومن بعده مانغستو الماركسي للطرد والتشريد والفقر (راجع «إثيوبيا»، ج ١).

- في تنزانيا، نحو ٩ ملايين مسلم (٣٣٪ من مجموع السكان)، ويشكلون معظم أهالي ممبا وزنجبار ودار السلام والمناطق الساحلية (راجع «تنزانيا»، ج ٧).

- في ساحل العاج، نحو ٢٠٪ من مجموع السكان البالغ نحو ١٢ مليوناً. أنشئت أول مدرسة عربية في ساحل العاج في ١٩٥٦، وأطلق عليه اسم «مدرسة التهذيب الاسلامي» وأسسها أحمد التيجاني أبو بكر الذي تلقى تعليمه الاسلامي في فرنسا، وعاد إلى بلاده لنشر الدعوة الاسلامية بأسلوب علمي جديد. ويصل عدد المساجد إلى ٤٠٠ مسجد وحوالي ١٢٠ مدرسة لتحفيظ القرآن (راجع «ساحل العاج»، ج ٩).



ماجد سعيد، سلطان زنجبار (١٨٦٤)

مدنها الاسلامية «سفالة» التي تحدث عنها ابن بطوطة.  
- في ملاوي، يبلغ عدد المسلمين فيها نحو مليون و ٧٥٠ ألفاً، أي نحو ٣٥٪ من مجموع السكان.  
- في مادغشقر (مالاغاش)، نسبة إلى أكبر قبائل الجزيرة)، وفيها نحو مليون و ٨٢٠ ألف مسلم (أي نحو ٢٦٪ من مجموع السكان)، لكن بسبب اضطهادهم المستمر اضطربت نفوسهم، «وملأت حياتهم الخرافات، وبعادوا عن الدين، وتركوا ديانتهم وعقيدتهم أمام الضغط والقسوة من أعداء الاسلام، وقد يُحسب أولئك المسلمون اليوم ضمن الوثنيين، ومن السهولة ان يعود هؤلاء إلى

قرن، ثم نزحوا إلى الجنوب الشرقي لفرنسا عام ٨٩٨، ووصلوا إلى شمالي إيطاليا وسويسرا، واستمر وجودهم هناك حتى العام ٩٧٦.

وتم فتح مالطيا من الجنوب عام ٨٧٠، ثم فتح المسلمون قوصره وصقلية وسردينيا وكورسيكا وجنوبي إيطاليا.

اعتنق الاسلام مجموعات من قبائل البلغار والكوفان والباشغرد الذين كانوا يقيمون في حوض نهر الفولغا الاعلى وهاجروا إلى الجنوب الشرقي من أوروبا، واستقروا هناك وعرفت المناطق باسمهم مثل «بلغاريا». وكان لكل ذلك تأثير واضح على المسيحيين، فنشأت كنيسة خاصة هي «بوغوميل» التي يظهر فيها الأثر الاسلامي واضحاً (عرف معجم «لو روبر» لأسماء العلم كنيسة البوغوميل Bogomiles بالثالي: «إسم يعود إلى أتباع البوغوميل في بلغاريا. والكلمة تعني «صديق الله»، وهي اسم مؤسس هذه البدعة الدينية ويُعتقد انه أسطوري. اعتبر أتباعه من الهرطقة وقد ظهروا في القرن العاشر في بلغاريا، واستندوا في دعوتهم إلى العقيدة المانوية القائلة بالصراع الثنائي بين النور والظلمة. وتمكنت البوغوميلية من الانتشار في القرن الثاني عشر في البلدان البلقانية وفي الامبراطورية البيزنطية. ويبدو أنها كانت في اساس انتشار بدعة دينية أخرى هي بدعة الكاتار Cathares الذين انتشروا بين القرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر في لومبارديا ووسط إيطاليا ورومانيا وكاتالونيا وبرغونيا وجنوبي فرنسا. وهذه البدعة تستند أساساً إلى العقيدة المانوية وإلى العقيدة المسيحية).

استقر الباشغرد في البحر، وبقي قسم منهم في حوض الفولغا، يعرفون باسم الباشكير وهم من المسلمين أيضاً، وأغلب هذه القبائل ضاع إسلامها.

وعندما فتح المغول أوروبا واستقروا هناك اعتنقوا الاسلام، وعملوا على نشره. ثم نشأت الدولة العثمانية وتوسعت في جنوب شرقي أوروبا، وامتدت فتوحاتها هناك، واستقر بعض الاتراك في هذه المناطق مما كان له أثر في ازدهار الاسلام مرة أخرى.

اتجه المسلمون في العصر الحديث إلى أوروبا طلباً للعلم أو للعمل، واستقر بعضهم هناك، ثم ظهرت جماعات اسلامية جديدة في معظم دول أوروبا. ويصل عدد المسلمين في أوروبا إلى نحو ١٥ مليوناً أي ما نسبته ٣٪ من مجموع سكان أوروبا.

- في اسبانيا، نحو ٤٥٠ ألف مسلم، وكان

- في زامبيا، نحو ١٢٠ ألف مسلم (٢،٤٪ من مجموع السكان) (راجع «زامبيا»، ج٩).

- في زيمبابوي، نحو ٢٠ ألف مسلم (عند السكان نحو ٦ ملايين) (راجع «زيمبابوي»، ج٩).

- في سوازيلاند، نحو ٢٥ ألف مسلم (٥٪ من مجموع السكان) (راجع «سوازيلاند»، ج٩).

- في ليسوتو، نحو ٥٠ ألف مسلم (٥٪ من مجموع السكان).

- في بوتسوانا، نحو ٣٠ ألف مسلم (٤٪ من مجموع السكان) (راجع «بوتسوانا»، ج٥).

- في أنغولا، نحو ٩٠٠ ألف مسلم (١٥٪ من مجموع السكان) (راجع «أنغولا»، ج٣).

- في ناميبيا، نحو ٢٤٠٠ مسلم.

-- في اتحاد جنوب افريقيا، نحو ٤٠٠ ألف مسلم

(٢٪ من مجموع السكان) ينتمون إلى العنود الملونين مع أقليات تنحدر من أصول افريقية (راجع «جنوب افريقيا»، ج٧).

- في جزر آسور، نحو ١٦ ألف مسلم (٥٪).

- في جزر ماديرا، نحو ٣٠ ألف مسلم (١٠٪).

- في جزر كاناري، نحو ٧٠ ألف مسلم (٧٪).

- في جزر الرأس الأخضر، نحو ٢٧ ألف مسلم (١١٪).

- في جزر ساو تومي وبرنسيب، نحو ١٦ ألف مسلم (٢١٪).

- في جزر القديسة هيلانة، ٦٠ مسلم (١٪).

- في جزيرة ريونيون، نحو ١٠٠ ألف مسلم (٢٠٪).

-- في جزيرة موريشيوس، نحو ١٢٠ ألف مسلم (٢٠٪). وفيها ثلاث منظمات اسلامية: الدائرة الاسلامية، اتحاد الطلبة المسلمين والبعثة الاسلامية. ويوجد ١٢٥ مسجداً.

- في جزر الدايرا، لا تزيد نسبة المسلمين فيها على ٢٪.

الأقليات المسلمة في أوروبا: وصل الاسلام إلى أوروبا بعدة طرق وعلى مراحل متعاقبة. فهاجر إليها بعض المسلمين واستقروا بها وساروا إليها من الجنوب الغربي، ومن الجنوب والجنوب الشرقي. وتم فتح المسلمين للاتدلس، ومن الاتدلس كان الأتجاه نحو فرنسا فسيطروا على أكثر من نصفها الجنوبي حيث استوطنوا لمدة نصف



العاصمة كورنباغن وبعض المدن الكبرى الصناعية (راجع «الدانمارك»، ج٨).

- في جنوبي أوروبا، في الجزء الذي فتحه المسلمون على طريق البحر المتوسط وتشمل جزر البحر: في كريت، نحو ٣٣ ألف مسلم. في رودوس، نحو ١٠ آلاف مسلم. في مالطا، نحو ٤٠ ألف مسلم (١١٪ من مجموع السكان).

- في إيطاليا، نحو ٧٠ ألف مسلم (راجع «إيطاليا»، ج٤).

- في سويسرا، نحو ١٢٠ ألف مسلم (راجع «سويسرا»، ج١١).

- في اليونان، نحو ٢٥٠ ألف مسلم (٢٪ من مجموع السكان). وعرفت اليونان الإسلام في عهد الدولة الاموية.

- في بلغاريا، نحو مليوني مسلم (١٦٪ من مجموع السكان)، وهم ثلاث مجموعات: الترك، البلغار والفجر (راجع «بلغاريا»، ج٥).

- في رومانيا، نحو ٢٧٠ ألف مسلم، معظمهم من التتار والأتراك (راجع «رومانيا»، ج٨).

- في صربيا، نحو مليون و٤٥٠ ألف مسلم (١٦٪ من مجموع السكان) (راجع «صربيا»، ج١١).

- في كرواتيا، نحو ١٠ آلاف مسلم.  
- في البوسنة والهرسك، نحو ١٤ مليون مسلم (٢٣،٥٪) (راجع «صربيا»، ج١١، و«البوسنة والهرسك» ج٥).

- في مقدونيا، نحو ٣٨٧ ألف مسلم (٢٢،٧٪).

- في الجبل الأسود (مونتينيغرو)، نحو ٧٥ ألف مسلم (١٢،٥٪) (راجع «صربيا»، ج١١).

- في النرويج، نحو ٩ آلاف مسلم.  
- في السويد، نحو ٢٤ ألف مسلم (راجع «السويد»، ج١١).

- في فنلندا، نحو ٢٥٠٠ مسلم.  
- في النمور، نحو ٧ آلاف مسلم.

- في بولندا، نحو ١٧ ألف مسلم (راجع «بولندا»، ج٦).

- في تشيكوسلوفاكيا (تشيكيا وسلوفاكيا)، عدة آلاف من المسلمين.

- في روسيا، (راجع «روسيا»، ج٨).

الأقليات المسلمة في أستراليا: عرفت أستراليا

لصلور قانون ١٩٦٧، الذي يعطي كل إنسان حرية كاملة في ممارسة العقيدة التي يعتنقها، أن أشاع لديهم الاطمئنان والأمان (راجع «اسبانيا»، ج١).

- في البرتغال، نحو ١٢٠ ألف مسلم (راجع «البرتغال»، ج٥).

- في فرنسا، أكثر من ٣ ملايين مسلم (٤٪ من مجموع السكان)، معظمهم من الجزائر أصلاً ثم من المغرب وتركيا ويوغوسلافيا وبعض الدول العربية. ويكثر في فرنسا طلاب العلم المسلمون ويتوزعون في مختلف مدنها الكبرى.

- في انكلترا، نحو ٣،٥ مليون مسلم (٣٪ من مجموع السكان)، معظمهم من شبه جزيرة الهند قبل تقسيمها وخروج انكلترا منها، وقد أسسوا لهم جمعية، وتعد أقدم جمعية اسلامية في دول الغرب. وهناك مسلمون من قبرص وعدن ومن شمال شرقي افريقيا. يصل عدد المساجد في انكلترا إلى ٦١٥ مسجداً (راجع «بريطانيا»، ج٥).

- في بلجيكا، نحو ٤٠٠ ألف مسلم (٥٪ من مجموع السكان)، معظمهم من العمال المسلمين المهاجرين إلى بلجيكا من الشمال الافريقي، إلى جانب عدد من الطلاب المسلمين. أنشئ في بروكسيل مركز إسلامي ضخم بمساعدة الدول الاسلامية، واعترفت الحكومة البلجيكية مؤخراً بالإسلام باعتباره الدين الذي يعتنقه بعض السكان بعد المسيحيين من حيث العدد (راجع «بلجيكا»، ج٥).

- في النمسا، نحو ٦٠ ألف مسلم، معظمهم من البوسنة-الهرسك الذين هاجروا قبيل الحرب العالمية الاولى، وأسسوا جمعية تعرف باسم «الجمعية الاسلامية الثقافية». وهناك عدد من طلاب العلم المسلمين.

- في ألمانيا، نحو ٢،٥ مليون مسلم (٤٪ من مجموع السكان). عرفت ألمانيا الإسلام أثناء الحرب العالمية الاولى حيث أنشئ في برلين معسكر للمعتقلين للمسلمين، وتم إنشاء أول مسجد في تلك الجهات. وفضل بعض الأسرى البقاء في ألمانيا، كما فر إليها بعض التتار من القرم وشرقي روسيا، ثم وفد إليها أثناء الحرب العالمية الثانية عدد من اللاجئين المسلمين من المناطق التي سيطرت عليها روسيا، ثم أعقبهم آخرون من المناطق التي وصلت إليها الشيوعية في بلغاريا ورومانيا ويوغوسلافيا وبولندا، واستقر معظمهم في ميونيخ. وجاء عدد من العمال الأتراك، وأخذت أعدادهم تتزايد (راجع «ألمانيا»، ج٣).

- في الدانمارك، نحو ٤٥ ألف مسلم يتمركزون في

كبيرة من السود، واصبحت لهم مراكز تجمع في معظم مدن اميركا.

يصل عدد المسلمين في اميركا الشمالية إلى نحو ٦ ملايين و٣٥٠ ألفاً، وفي اميركا اللاتينية إلى نحو مليون و٢٠٠ ألف، وفي اميركا الوسطى إلى نحو مائة ألفين.

- في الولايات المتحدة، نحو ٦ ملايين مسلم، وأماكن تجمعهم الأساسية في نيويورك وشيكاغو وتوليدو وديترويت وفيلادلفيا وواشنطن وأنديان باول وسكرامنتو وسان فرانسيسكو ولوس أنجلوس (راجع «الولايات المتحدة الاميركية») في جزء لاحق من الموسوعة.

- في كندا، نحو ٣٥٠ ألف مسلم، معظمهم من لبنان وسورية، وبدأ الإسلام في كندا باربعة افراد: الزوجان جيمس واجنوس لوف من اسكوتلندا وكانا يقطنان أونتاريو، والزوجان جون وهارتا سيمون.

- في المكسيك، نحو ١٥٠٠ مسلم.

- في اميركا الجنوبية، نحو مليون ومائة ألف مسلم موزعين في البرازيل وخاصة في ساو باولو وريو دي جانيرو وفي الأرجنتين (٨٠٠ ألف) وفي غويانا (١٥٪ من السكان، وبها ١٢٠ مسجداً)؛ وفي فنزويلا (١٠ آلاف في العاصمة كاراكاس)؛ وفي غويانا الفرنسية (حيث المسلمون من اصل جزائري ومغربي)؛ وفي اكوادور وكولومبيا وبيرو وبوليفيا، العدد قليل ويفتقرون إلى مؤسسات دينية.

ميزتان عامتان: بعد هذا المسح العام لتعداد الاقليات المسلمة في العالم، والذي اعتمدنا فيه على تتيب صادر عن وزارة الاعلام السعودي (مرجع مذكور آنفاً)، نرى استجماع بميزات المسلمين والاسلام، سواء في الدول الاسلامية (دول الاكثريات المسلمة التي تأخذ بالشرعية الاسلامية في دستورها وقوانينها، او التي لا تأخذ بها مثل تركيا الحالية) أو لدى الاقليات المسلمة في اماكن وجودهم أو تجمعهم في الدول غير الاسلامية، بميزتين عامتين نستقيهما من كتاب جاد وعميق، مؤلفيه وموضوعاته، صادر عن الأونيسكو، وهو:

Les Différents Aspects de la Culture Islamique, Ed. UNESCO, Paris 1994.

وعمل مؤخراً على تعريبه وإصدار نسخته المترجمة من بيروت (١٩٩٧)، وقد شارك مؤلف هذه الموسوعة بتصحيحه ومراجعة ترجمته:

الميزة الاولى: يقول كاتب الفصل ١٦ «الحياة

الاسلام عن طريق الأفغان الذين استعانت بهم الحكومة الانكليزية لما يملكونه من إبل ليحجروا الصحاري الاوسترالية ويعرفوا عليها ويكشفوا ما بها. ثم توالى الاعداد المسلمة تأتي إلى اوستراليا من ألمانيا وتركيا ويوغوسلافيا وماليزيا وأندونيسيا ولبنان وسورية، كما كان للتجارة دور هام في جذب أعداد من التجار المسلمين إلى اوستراليا.

استقر معظم المسلمين في ولاية نيو ساوث ويلز وبها أكثر من ١٢٠ ألفاً، ويستقر بمدينة سيدني ٩٠ ألفاً، ويعيش في ملبورن حوالي ٧٠ ألفاً، ويؤكد كثير من المصادر أن عدد المسلمين في اوستراليا ما بين ٣٥٠ ألفاً و٤٠٠ ألف. أما أول مسجد فبني في مدينة أدليد منذ نحو ستين عاماً، وانتشرت بعده المساجد والمراكز الاسلامية في معظم المدن الاوسترالية الكبرى.

- في جزر فيجي، نحو ٦٥ ألف مسلم (٨٪ من مجموع السكان)، ٢٥ مسجداً، و١٣ مدرسة ابتدائية تشرف عليها الهيئة الاسلامية في فيجي. والمسلمون في فيجي من اصل هندي وباكستاني.

- في نيوزيلندا، نحو ٥ آلاف مسلم. وانتشر الاسلام فيها من خلال التجار الذين جاءوا من جنوب شرقي آسيا، ومن ألمانيا وتركيا ويوغوسلافيا.

#### الاقليات المسلمة في أميركا: قيل إن ألكسندر

راسل الذي كان يعمل قنصلاً في الفلبين هو أول من نشر الاسلام في أميركا حيث استدعاه السلطان عبد الحميد الثاني وكلف عبد الله الجداوى بمقابلته في مدينة مانايلا، وبعد هذا اللقاء أعلن ألكسندر إسلامه واستقال من عمله، وبدأ في نشر الاسلام في أميركا، وأصدر مجلة أسماها العالم الاسلامي كان لها دور هام في التوعية الاسلامية، وأنشأ مسجداً ومكتبة، وأصبح حديث الناس في نيويورك. وعاد الاسلام مرة أخرى في الانتشار عن طريق المحجرات العديدة من البلاد الاسلامية والباحثة عن العمل والرزق. واكتسب هؤلاء جنسية الدول التي نزلوا بها وبخاصة الولايات المتحدة. ويضاف إلى هؤلاء من دخل من الأميركيين الاسلام.

وتذكر المراجع ان حركة المسلمين السود كان لها فضل كبير في نشر الاسلام والتي بدأت بشخص فارود عماد، وهو الذي تأثر بحركة ألكسندر راسل في نيويورك، واستطاع فارود محمد أن يجذب إليه أعداداً كبيرة من الزوج الذين كانوا يعانون من التفرقة العنصرية وسوء المعاملة. واقتنع بالاسلام أليجا محمد الذي أصبح زعيماً لفئة

البارزة التي ظهرت من خلال نمط الشوارع المتعامدة، المسارح، الحمامات، والملاعب.

الثاني- الامصار: ويشمل هذا الصنف حصراً المدن التي أسسها المسلمون بعد الفتوحات الإسلامية أو نتيجة لها أو بسبب استقرار الدول الإسلامية وتوسعها. فهذه المدن ولدت إسلامية منذ الأصل وتطورت بشكل منسجم كلياً مع الحياة الروحية والسياسية التي بشر بها الدين الإسلامي وتفرضها الشريعة الإسلامية، وكانت لقرون عديدة، من مراكز الحضارة العالمية. وإلى هذا الصنف تنتمي مدن كثيرة جداً من بينها البصرة والكوفة وبغداد والقاهرة والقبرون وغيرها.

ويجمع الباحثون على أن إنشاء هذا الصنف من المدن مرّ عبر جملة خطوات تبدأ باختيار الموقع المخصص للجامع، ويشكل قلب المدينة أو المحور الذي تتجه له جميع مداخل وخارج المدينة. وتلي الجامع الأقسام العمرانية الأخرى كالرفاق الحكومية والأسواق ثم البيوت السكنية. كما يعتبرون مكة المكرمة والمدينة المنورة النماذج الأولى للمدن الإسلامية.

الثالث- «مدن الأضرحة»: وهذا الصنف لم ينل الاهتمام من قبل الباحثين المذكورين في مقدم الكلام عن المدن الإسلامية، وهو لا ينتمي إلى أي من الصنفين الأولين، ولم يكن وجوده (أي «مدن الأضرحة») نتيجة لمتطلبات عسكرية أو اقتصادية أو نتيجة لتمدن سكاني، بل بسبب وجود الأضرحة التي تتمثل في جوامع ومراقد أهل البيت. فيفعل وجود هذه الأضرحة راحت هذه المدن تتمدن تدريجياً، فتتحول من مزارات دينية نائية إلى مدن دينية ضخمة تلعب دوراً حضارياً متزايداً مع مرور العصور الإسلامية، لأهمية هذه المدن الروحية والثقافية والعمرانية.

ويتركز في العراق عدد من هذه المدن: النجف الأشرف وكربلاء والكاظمية وسامراء الحالية. وفي إيران: مشهد وقم. ويظل العامل الديني وحده السبب الأول والرئيسي في نشأة «مدن الأضرحة» وتطورها إلى حواضر كبيرة، والمحرك الفعلي في استمرار ازدهارها (المرجح: رؤوف شمد علي، باحث في العمارة الإسلامية من العراق، «عوامل نشوء المدن الإسلامية»، «الحياة»، العدد ١٢٨٢٦ تاريخ ١٦ نيسان ١٩٩٨، ص ٢١).

اليومية في المدينة الإسلامية»، عماد الطائي، نقلاً عن لويس غارديه: «يكفي أن يكون المرء قد عاش ولو قليلاً في البلاد الإسلامية، وتابع في الماضي والحاضر التظاهرات الجماعية للإسلام كي يلاحظ ملاحظتين: يلاحظ قبل كل شيء الصلة الوثيقة التي تربط المسلمين بعضهم ببعض وتجعل منهم حقيقة أمة تشعر شعوراً قوياً بذاتيتها (...). إن العقلية شبيهة بانعكاس حياة المجموعة في كل فرد من أفرادها. إنها تستلزم إذن الانتساب إلى مجموعة- أي إلى ثقافة وإلى حضارة- تقبلهما المجموعة وتتفخر بهما عادة. فهي نظرة إلى الكون، نظرة تلمح التصرفات اليومية».

الميزة الثانية، من كتاب أكثر من فصل من فصول الكتاب، والمقدمة والخاتمة، عبد الواحد برحديّة، ويقول في الخاتمة: «(...) فالإسلام كله تقريباً يدخل في نطاق ما اصطلاح على تسميته بالعالم الثالث، أي أنه لا يشارك إلا بالوجود الزمني في المناظرات الكبرى التي يضطرب بها عالمنا».

المدن الإسلامية: تطرق الكثير من الباحثين في دراساتهم إلى الجوانب البيئية والعمرانية للمدينة الإسلامية من أمثال لويس ماسينيون، ووليم مارسيه، وإدموند بورتي، والمستشرق الانكليزي ستيرن، وغيرهم... وذلك بتصنيف نشأة المدن الإسلامية إلى صنفين متميزين. ويمكن إضافة صنف ثالث لم يتطرق إليه هؤلاء الدارسون:

الأول- الحواضر القديمة: يشمل هذا الصنف المدن التي كانت موجودة أصلاً قبل ظهور الإسلام ثم فتحها المسلمون ونشروا الإسلام فيها بعد أن استقروا فيها مائتين إليها طابعاً إسلامياً محضاً إلى درجة هدت معه كما لو أنها ولدت من جديد كمدن إسلامية لا يربطها أي رابط حضاري أو روحي بتاريخها السابق على الإسلام على رغم أن بعضها، أو بالأحرى أغلبها، من المدن المعروفة سابقاً كمدن وعواصم لامبراطوريات سابقة على الفتح الإسلامي، وأنها تمتعت بمكانة مرموقة أثناء الفترات السابقة كالبيزنطية والرومانية، كما هو الأمر بالنسبة إلى دمشق وحلب في سورية، والاسكندرية في مصر، واسطنبول في تركيا. ولكن ظلت مبادئ التخطيط العمراني القديم لهذه المدن، ولقرون عديدة، هي الملامح

## الاسلام إزاء تجربتين أوروبيتين: العلمنة والإندماج (مناقشة)

التجربة العلمانية بفارق عشر سنوات على الأقل.  
ألغى مصطفى كمال أتاتورك السلطنة العثمانية  
قانونياً في ١٩٢٣، ثم ألغى الخلافة في ١٩٢٤، وبنى النظام  
الجمهوري على انقاضهما. واتباع ذلك بإلغاء الحروف  
العربية واعتماد الحروف اللاتينية بدلاً منها في الأبجدية  
التركية العام ١٩٢٨. وخلال هذه الفترة وحتى وفاته في  
١٩٣٨ ألغى كل المظاهر الدينية للدولة، وحاض من أجل  
ذلك ثورات وحرراً أبرزها حين منع الطرق الصوفية  
وحظر أنشطتها في ١٩٢٥.

أما ألبانيا فكانت قد أعلنت هذه الخطوة ذاتها في  
مدة أقصر اعتباراً من ١٩١٢. ففي أعقاب حرب البلقان  
الكبرى الأولى والتي أسفرت عن هزيمة السلطنة العثمانية  
وخسارتها للدول والأراضي التابعة لها في البلقان، احتلت  
جيوش الدول المتحاربة معظم أراضي ألبانيا الدولة  
الإسلامية الوحيدة في المنطقة.

غير أن قادة الشعب الألباني أعلنوا استقلال  
دولتهم من مدينة فلورا التي ظلت وحدها خارج نطاق  
الاحتلال، وكان ذلك في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٢. وقد  
دعمت امبراطورية النمسا-المجر إعلان الاستقلال ووضعت  
على الدول الأوروبية الكبرى للاعتراف به وهو ما حصل  
في ٢٩ تموز ١٩١٣ حين أقرت الدول الأوروبية بالدولة  
الجديدة على أن تظل تحت «الرقابة المباشرة والجماعية  
للدول الكبرى». واشترطت عليها أيضاً أن تقطع كل صلة  
لها بالسلطنة العثمانية.

وكان من شأن ذلك قيام أول حكومة ألبانية  
باتباع سياسة مريحة لإلغاء كل ما يجمع الدولة بالعثمانيين  
وبالشرك وبالدین الإسلامي. وفي ٢٢ تشرين الثاني  
١٩١٣، ستّت الحكومة «القانون المؤقت للإدارة المدنية  
للدولة الألبانية» الذي تضمن تنظيم «المؤسسة الدينية» على  
أساس قطع ارتباطها السابق بالمشيخة الإسلامية في  
اسطنبول، وإلغاء الوظائف الدينية للدولة الجديدة واعتبارها  
جزءاً من النشاطات والحقوق والحريات الفردية للمواطنين.  
وفي العام نفسه (١٩١٣) قررت الحكومة استبدال  
الحروف التي تكتب بها اللغة الألبانية وإحلال اللاتينية بدلاً  
من العربية.

ولم تمر هذه القرارات «الثورية» بلا حدود فعل في  
مجتمع ارتبط بالاسلام نحو أربعة قرون، ولعب دوراً رئيسياً  
في الامبراطورية العثمانية، وتشكلت هويته وثقافته من  
الاسلام وما يتصل به من عناصر وخصائص بما في ذلك  
الكتابة بالحروف العربية التي كانت عنوناً للارتباط بالشرق

إذا كان الإلحاد، الذي عرفته أوروبا الشرقية  
والإتحاد السوفياتي عقيدةً ونظام حكم، قد فشل فشلاً  
ذريعاً أمام الاسلام كما أثبتت ذلك أحداث السنوات  
الأخيرة، وكما لا تزال تثبت أحداث البلقان حيث ينظر  
المسلمون إلى «اشتراكيي» يوغوسلافيا الاتحادية الحالية  
(صربيا) مجرد نسخة معدلة تعديلاً طفيفاً عن «القيصرية  
الشيوعيين»، وكما لا تزال تثبت أيضاً في بقاع خارج  
أوروبا كما في إقليم كسينجيانغ (تركستان الشرقية)  
الصيني، فإن تجربتين أخريين، أساسهما ومسرهما أوروبا  
أيضاً تستمران في تشكيل تحديين كبيرين ومهمين للاسلام  
والمسلمين من زاوية المبادئ والمفاهيم والشرائع الإسلامية  
التي لا تزال الدول الإسلامية تأخذ بها وتعمل على هديها؛  
والتحريتان هما: العلمنة والاندماج (المقصود إندماج، أو  
مدى اندماج، الاقليات المسلمة في المجتمعات الأوروبية).

ثمة مقارنتان نقلهما في هذا الباب: واحدة  
للعلمنة، كتبها محمد خليفة («الحياة»، العدد ١٢٧٠٠،  
تاريخ ٧ كانون الأول ١٩٩٧، ص ٢٢) بعنوان «ألبانيا  
وليس تركيا أول دولة إسلامية طبقت العلمانية»، واستند  
فيها على الدكتور محمد نور الدين في كتابه «قبعة  
وعمامة»، وعلى كتاب الدكتور محمد موفياكو (وهو  
مستعرب ألباني) «الثقافة الألبانية في الإنجليزية العربية» -  
سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٣.

والمقارنة الثانية للاندماج (بالفرنسية وقد عربها  
المؤلف) كتبها طارق رمضان، استاذ الفلسفة  
والاسلاميات في معهد جنيف وجامعة فريبورغ (لور موند  
ديلماميك، عدد نيسان ١٩٩٨، ص ١٢) بعنوان «إسلام  
أوروبا تفرح من العزلة».

العلمنة: ألبانيا وليس تركيا: غالباً ما يقع الكتاب  
العرب، ممن فيهم بعض المتخصصين، في خطأ تاريخي يعيد  
مصدر النظام العلماني في العالم الإسلامي. إذ درجوا على  
وسيف تركيا بأنها المهد الأول لهذا النظام الأوروبي  
الحديث، حيث صارت هذه المعلومة الحافظة تتكرر كبديهة  
وحقيقته في كل المناسبات. بينما الصحيح هو أن تركيا هي  
الدولة الثانية، وألبانيا هي الدولة الإسلامية السابغة إلى تطبيق

منتصف ١٩١٥ باحتياح ألبانيا من الشمال وأطبقت قوات الدولتين مستفيدتين من ظروف الحرب العالمية الأولى، على العاصمة الألبانية واعتقلت قادة الثورة واعضاء الحكومة، إلا ان النمسا ما لبثت ان شنت هجوماً مضاداً على ألبانيا وطردت الجيوش الصربية من معظم المناطق الألبانية التي احتلتها، وبسطت سيطرتها ونفذها على البلاد وتحاولت مع أكثرية المطالب الإسلامية التي أعلنتها الثورة الشعبية وذلك بغرض استمالتها وتكسب ولائها إلى جانبها، ولم ترفض منها سوى الكتابة باللغة العربية، لأنها كانت أصلاً أول وأكثر الدول الأوروبية إصراراً على إلغاء الإجماعية الألبانية العربية.

انتهت المعارك على أرض ألبانيا بانتهاء حرب البلقان، ثم الحرب العالمية الأولى. وعندما حلّ السلام كان على ألبانيا حتى تعود إلى الأسرة الدولية القبول بمبادئ النظام الدولي الجديد. وكان في مقدمة تلك المبادئ والشروط بالنسبة إلى ألبانيا بالذات العودة إلى النظام العلماني كما أقر العام ١٩١٢. وقد لبّت الحكومة الألبانية الوطنية هذه الشروط بالكامل منذ الأيام الأولى. وهكذا كانت ألبانيا الدولة الأولى في العالم الإسلامي التي نظمت العلمانية وتلغي كل وظائف الدولة الدينية وتبتر كل صلة لها بالشرق بما في ذلك وعلى رأسه الإجماعية العربية التي كتب بها التراث الألباني بين القرنين السادس عشر والعشرين.

**الاندماج:** كان الوجود الإسلامي في أوروبا (الاندلس) القرون الوسطى أهم عوامل سياغة الفكر العقلاني والعلماني والحديث. ووجود المسلمين اليوم في هذه القارة القديمة لا يرجع إلى أكثر من ستين أو سبعين سنة خلعت، وهي مدة قصيرة لتقياس التفاعل التاريخي والحضاري. إذ عاشت أوروبا قرونًا من النزاعات والمباحكات بين مختلف اقلياتها الطائفية أو القومية (يهود، كاثوليك، بروتستانت، أورثوذكس، بولنديون، إيطاليون أو برتغاليون... بحسب كل بلد أوروبي) حتى يتمنى لها في الأخير أن تكسب حقوقها في الدول التي توجد فيها. فكيف يمكن لقضية الاقليات المسلمة في أوروبا أن تجد لها حلولاً في غضون جيلين أو ثلاثة أجيال؟

إن الموجات الأولى من المهاجرين المسلمين كانت مكونة من عمال شمال أفريقيين وأتراك وهنود وباكستانيين. وكان لفرهم، وانعدام مستواهم التعليمي وإحساسهم بوجودهم الموقت، ان لا يتيح لجيلهم (جيل المهاجرين

بصفة عامة. ولذلك أحدثت إجراءات الحكومة استياء شعبيًا عارمًا بلغ ذروته في الانتفاضة الواسعة التي حدثت في مطلع ١٩١٤ واستمرت شهرًا عدة واستطاعت ان تفرض مطالبها وشروطها على الحكومة والدول الأوروبية في آن واحد، وفي مقدمها تعيين أمير مسلم بدلاً من الامير الألماني الذي عينته الدول الأوروبية، والمحافظة على الأجدية العربية وإعطاء المفتي الأكبر صفة حكومية رسمية وتمكينه من صلاحياته السابقة للمحافظة على الطابع الإسلامي للدولة. وكان قائد هذه الثورة أحد كبار رجال الدين الشيخ موسى الكاظمي مفتي مدينة تيرانا (العاصمة الحالية).

أحدث انتصار الانتفاضة الشعبية قلقًا في الدول الأوروبية خصوصًا البلقانية الجاورة التي أطلقت على الانتفاضة صفة «الثورة الإسلامية» ووصفتها بالتطرف وقالت إنها تبعث من جديد «الخطر الإسلامي على أوروبا»، واعتبرت ذلك بمثابة مبررات كافية لغزو ألبانيا من جديد. فاجتاحتها الجيوش اليونانية في ١٩١٤. ولما لم تفلح في كسر شوكة الانتفاضة التي شكلت حكومة وطنية في العاصمة السابقة دوروس، قامت الجيوش الصربية في

لقناة مسلمة فرسية (١٩٩٨): جيل المهاجرين الثالث.



درسوا وتخرجوا في جامعاتها، أصبحوا هم الذين يمسكون ببلغة الأمور ويحركون النسيج الاجتماعي للمجموعات المسلمة في أوروبا. وعملهم هذا فرض تغييرات عميقة في ذهنيات هذه المجموعات وسلوكياتها، ذلك أنهم يعتبرون أنفسهم «في بيتهم» وعلى أرضهم، ذلك البيت وتلك الأرض اللذان يسعى الجيل الثاني والجيل الثالث إلى تثبيت وجوده واعتبار نفسه في إطارهما، خاصة في المجالين الثقافي والاجتماعي. من هنا، كانت تلك القطيعة الحادة بين الأجيال: الأول من جهة، والثاني والثالث من الجهة المقابلة.

أثارت هذه الظاهرة جدلاً حاداً داخل المجموعات المسلمة في أوروبا، وخاصة لدى العلماء المسلمين، وبالأخص في موضوع الفقه الإسلامي، حيث وجد هؤلاء العلماء أنفسهم مضطربين على الأخص بـ«الفتاوى» وبما يتلاءم مع حقائق الحياة الغربية. وثمة جمعيات إسلامية كثيرة شركت لانتزاع مثل هذه الفتاوى، من أنشطتها: «الشباب المسلم» (YM) و«المنتدى الإسلامي في بريطانيا» (ISB)، و«الشباب المسلمون في فرنسا» (JMF et EMF)، و«اتحاد الشباب المسلم» (UJM)، و«رابطة الطلاب الإسلاميين في فرنسا» (AEIF).

هكذا، شهدت الثمانينات والتسعينات وعياً متزايداً لمسألة «ضرورة تجديد الفكر الإسلامي في أوروبا». ووجد المسلمون الشباب أنفسهم، بكونهم أوروبيين، يطرحون، مباشرة أو بصورة غير مباشرة، عدداً من الأسئلة التي تفرض إجابات صريحة وواضحة، لعلّ أخطرها: هل يجب اعتبار أوروبا «دار حرب» (العبارة التي بدأ يعرفها الفقه الإسلامي منذ القرن التاسع) في مقابلة «دار السلام» (حيث المسلمون هم الأكثرية ويمسكون بالسلطة ويفرضون شريعتهم)؟ وهل يمكن العيش في أوروبا؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب، فكيف تكون علاقة المسلمين بالتشريعات الوطنية الأوروبية؟ وهل يمكن لشباب مسلم أن يكتسب جنسية أوروبية ويكون مواطناً يتمتع بكامل حقوق المواطنة وواجباتها. إنها أسئلة، من جملة فيض من الأسئلة الأخرى المشابهة، لم يجب العلماء المسلمون عليها بعد بصورة منظمة ومفصلة ومنهجية.

ابتداءً من أوائل التسعينات، ازداد عقد الندوات واللقاءات حول الشريعة، وشارك فيها علماء من العالم الإسلامي وعدد من الأئمة والمثقفين المقيمين في أوروبا: اجتمع نحو عشرة من علماء العالم الإسلامي في تموز ١٩٩٢، ثم في تموز ١٩٩٤، في المعهد الأوروبي للعلوم

الأولى، لا لديهم ولا لدى الأوروبيين، تلك المعرفة الأولى والأساسية المتبادلة.

جاءت صدمة الاحداث الدولية الكبرى: الثورة الإيرانية (١٩٧٩)، قضية سلمان رشدي، ما طرحه وممارسه الطالبان، عمليات العنف في الشرق الأوسط، المذابح اليومية في الجزائر... لتعيد لدى الأوروبيين صياغة إدراك حسي سلبي جداً لآراء الإسلام، ولتغذي نوعاً من تشنج زادت منه الأزمة الاجتماعية التي تمتدح أوروبا (زيادة في معدلات البطالة مصحوبة بحركات عنيفة أحياناً في المدن). حتى ان أصواتاً بدأت تتكلم عن «كره الإسلام» Islamophobie، والعبارة جاءت بشكل عنوان في دراسة جادة وضعتها مؤسسة ريميد ترست في بريطانيا في ١٩٩٧ Commission sur les musulmans britanniques, présidée par le prof Gordon Conway, Islamophobia: Fact Not Fiction, Runnymede Trust, Oct. 1997. والأكيد ان من حق مثل هذه الصورة عن المسلمين أن تعيق أي تفويض حقيقي وحاد للديناميات التي تعيشها المجموعات المسلمة في أوروبا.

ومع ذلك، يمكن القول إن الجيلين، الثاني والثالث، قاما بلعب دور مقرر في تطور ذهنيات (وسلوكيات) مختلف المجموعات المسلمة في أوروبا. وذلك لسببين يسلوان متناقضين ظاهرياً: إن الممارسة الطقوسية الدينية اليومية لدى الشباب المسلم أصبحت ضعيفة نسبياً، في حين ان نسبة كبيرة بينهم عبرت حالات الاندماج الأولى ودخلت حالة الهضم الكامل لقيم المجتمعات التي تعيش في وسطها: من ٦٠ إلى ٧٠% يقولون إنهم يصومون في رمضان، لكن ١٢%-١٨% يصلون يومياً: ٧٥%-٨٠% لم يعودوا يتكلمون، أو يتكلمون نادراً وبصورة سيئة، لغتهم الأصلية، To Be a European Muslim, Islamic Foundation, Leicester, avril 1998.

وكان لهذه الظاهرة أن أجبرت أئمة المساجد ومسؤولي الاندية والروابط والجمعيات الإسلامية الذين ينتمون إلى الجيل الأول بأن يعكفوا من أشكال وطرق عملهم ويعيدوا توجيه هياتهم الدينية بما يُرضي، إلى حد بعيد، تطلعات الأجيال الشابة.

لكن هذا الوضع نفسه أدى إلى إنشاء عدد متزايد من الجمعيات الإسلامية التي تضاعف عددها، مرةً أو مرتين، خلال ١٥ سنة. فالشباب، وكذلك الذين تتراوح أعمارهم بين ٣٠ و٤٠ سنة الذين وُلدوا في أوروبا والذين

الاسلامية لا يزال مرتبطاً ببعض الحكومات، لكن الصحيح أيضاً أن عدداً متزايداً من الروابط والجمعيات أخذ في تمويل مراكزه ونشاطاته عبر تبرعات من المجموعات المقيمة. والمؤشر الأخرى على التحول العميق الذي يتم حالياً يتمثل بتلك النتائج الثقافية والفنية للمسلمين الأوروبيين. ففي بريطانيا، كما في اسبانيا وفرنسا، مثقفون وفنانون هم الآن في صدد وضع ثقافة إسلامية أوروبية حقيقية. وإذا كان البعض منهم يكتفي بتقليد أعمال سابقة معروفة (منوعات، مسرح...)، فإن آخرين يعطون الدليل على قدرة حقيقية على إبداع أعمال تسعى إلى احترام القيم الإسلامية وإدخالها، في الوقت نفسه، في إطار احترام العادات والأذواق الوطنية. وهناك أعمال واعدة برسم هوية مسلمة أوروبية مقبولة من الجميع.

لكن حقائق الحياة اليومية لا تزال تعكس، رغم كل هذه الجهود، وضعا صعبا يعيشه المسلمون في أوروبا، أساسه التمييز العنصري والنظرة الدونية والحذر والرفض. ومرة ذلك ليس القوانين الأوروبية ولا الحكومات والأداء الرسمي والإداري على قدر ما هو في الحكم المسبق الذي تنتزعه الأوروبية العادي للمسلمين وللإسلام على أنهما «غير قابلين للاندماج».

فمثل هذه الأحكام المسبقة والتبسيطية عن الإسلام تمنع الجمهور الأوروبي العريض عن إدراك حقيقة الأمور من جهة، وحقائق الخطوات الاندماجية المحققة فعلاً من جهة أخرى. فمبادرات الحوار المتزايدة يوماً بعد يوم، والجهود التي يبذلها المسلمون أنفسهم، ورغبة بعض وسائل الإعلام الصادقة والحريصة على عدم صب الزيت على النار، تفتح الباب، ولو ضيقاً، على مستقبل واعد بالاحترام المتبادل.

وما يشير قوله، أخيراً، إن اندماج المسلمين يجب أن لا يُنظر إليه على أنه اندماج سلبي، أو خالف، أو أنه من هذا النوع من الخيارات التي لا بد منه لأن لا خيار سواه، بل يجب اعتباره مساهمة من المسلمين في بناء أوروبا. فوجود المسلمين هو إغناء حضاري وروحي في قلب المجتمعات دنيوية. وعلى المسلمين، كذلك، أن ينضموا إلى جميع هؤلاء الذين يسائلون مجتمعهم عن المعنى، عن الأخلاق وعن العدالة الاجتماعية.

تعقيب على موضوع «الاندماج»، المتعلق خاصة بالكتاب والمثقفين الأنغلو فونيين، الذي يعكس إلى حد كبير حقيقة ودقة ما ورد أعلاه عن الاندماج كحقيقة أخذت في

الانسانية (شاتو-شينون) بهدف رسم إطار تشريعي إسلامي للوجود المسلم في أوروبا. وفي بريطانيا، ضاعفت المؤسسة الإسلامية من مبادراتها في هذا الاتجاه منذ ١٩٩٠، كما شهدت لندن، في ١٩٩٧، إنشاء المجلس الأوروبي لإعداد الآراء القانونية والأبحاث.

ونتيجة لهذه الجهود واللقاءات صدرت خمسة مبادئ حازت على شبه إجماع سواء بين العلماء أو داخل المجموعات المسلمة الأوروبية (مجموعات صغيرة، مثل «التحرير»، و«الموحدون»، و«المهاجرون» الذين يدعون إلى تطبيقات سلفية للشريعة الإسلامية في أوروبا، هي مجموعات معزولة، حتى ولو احتلت أحياناً حيزاً في وسائل الإعلام):

- المبدأ الأول: المسلم، المقيم أو المواطن، يجب أن يعتبر نفسه مرتبطاً بعقد أدبي واجتماعي في أن مع البلد الذي يسكن فيه ويحترم قوانينه.

- المبدأ الثاني: القوانين الأوروبية (وعلمياً، الأطار العلماني) تسمح للمسلمين بممارسة فرائض دينهم.

- المبدأ الثالث: التسمية القديمة «دار الحرب» - التي لا ترد في القرآن ولا تنتمي، تالياً، إلى التقليد النبوي - معتبرة بحكم اللغوية. والمفاهيم الأخرى التي جرى طرحها ومناقشتها يجب ترجمتها بصورة إيجابية تُقدم وجود المسلمين في أوروبا.

- المبدأ الرابع: على المسلمين اعتبار أنفسهم مواطنين كاملين المواطنين والمساهمة في احترام قيم (التي هي قيمهم) الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبلاد التي يقيمون فيها.

- المبدأ الخامس: لا شيء يحول، في مجال القوانين الأوروبية، في أن يُنظر للمسلم، وبحرية تامة، مثله مثل أي مواطن، الخيارات التي تتيحها له القوانين المرعية الإجراء والتي يرى أنها تستجيب لمتطلبات معتقده الديني.

وهناك مؤشر آخر مهم على رغبة الخروج من العزلة، ويتمثل بازدياد استعمال لغة البلد الأوروبي في المحاضرات وحتى في عضبات الجمعية. وفي بريطانيا ينشط أعضاء الجمعيات الشبابية والطلابية المسلمة ضد الهجمات المسلمة الداعية للمحافظة على خصوصيات المجموعات الإسلامية ويعتبرونها من قبيل الدعوات العنصرية وتشجيع الغيورات.

ويتجه الإسلام الأوروبي لإيجاد طرق ووسائل التمويل الذاتي لمؤسساته الدينية، وتأمين، تالياً، استقلاله السياسي. صحيح أن العدد الأكبر من المساجد والمعاهد

تدرّب عليها إلا كعادة موروثه. لكن، لا يزال المظهر الخارجي الذي يوحى بحسن الاطلاع يخفي وراءه تلك الشخصية التي تنظر باستغراب إلى العالم كأنها جاءت من كوكب آخر وتعبّر عنه شعرياً. وعلى رغم ان العديد من الروائيين المهاجرين الذين يعملون في بريطانيا، وأبرزهم حنان الشيخ، لا يزالون يكتبون بالعربية، فإن أمثال هؤلاء الرافضين الانغلو فونية يشكلون حاليًا الاستثناء وليس القاعدة، كأن استخدام اللغة العربية كأداة تعبير أساسية أصبح إشكاليًا حتى وسط الاجيال الأولى من المهاجرين».

التحقق من جهة، وعن صعوبته ومعاناته من جهة ثانية. ويكتفي التعقيب، هنا، بنقل فقرة وردت في الكلمة الرئيسية التي ألقاها في المؤتمر الاقليمي بـ«المجلس البريطاني»، في القاهرة في ٢٣-٢٦ آذار ١٩٩٨، الروائي الفلسطيني-البريطاني طوني حنايا («الحياة»، العدد ١٢٨١٩، تاريخ ٩ نيسان ١٩٩٨، ص ٢٠):

«يعيش الكتاب المهاجر المندمج مثل جاسوس متقاعد، انتهت مهمته منذ وقت بعيد، وسُرّح المسؤولون عن توجيهه منذ وقت بعيد، ولم تبق أساليب التخفي التي

## دولة الاسلام

**دولة قريش:** المؤسس الاول لقبيلة قريش، قصي ابن كلاب، حوّلها من قبيلة مستضعفة تسكن الجبال والشعاب اطراف مكة إلى القبيلة الحاكمة التي تمسك بزمام السلطة والثروة في العاصمة الدينية المقدسة، فأصبحت أشرف قبائل شبه جزيرة العرب، وقد أطلق على افرادها لقب «أهل الحرم».

أما معالم الدولة، دولة قريش، فتوضّحت مع هاشم بن عبد المطلب الذي حوّل تجارة مكة إلى الرحاب الراسعة، وعقد معاهدات مع ملوك فارس والروم واليمن، ووثق صلته الداخلية بمصاهرة العديد من القبائل الكبيرة، ومنها الخزرج وخزاعة وصعصة وثقيف. أما عبد المطلب فلقب بـ«سادن الكعبة» و«سيد البطحاء»، واستخدم أدوات الدين لتأكيد مكانة قريش لدى جميع العرب.

وبعد عبد المطلب، غابت الشخصية الأسرة على قريش التي خافت أن تفقد إجازات الأسلاف، فعقدت «حلف الفضول» الذي تألف من بني هاشم وبني ميم وبني أسد وبني زهرة. وكان أول الداعين إلى هذا الحلف الزبير بن عبد المطلب، وقد عقد الاجتماع الاول في منزل عبد الله بن جدعان.

وقبيل ظهور الاسلام (وفي أيام ظهوره) كان على

قريش حكومة المأ (مأ قريش) التي تشكّلت من الارستقراطيين منهم، وتمكنت بثروتها وجاهاها ونفوذها من أن تمسك بمقاليد الحكم في المدينة المقدسة. وكان «صناديد قريش»، وهم التجار الكبار والمرابون والنحاسون ومستغلو العبيد والإماء، يعادون الرسول ودعوته للتحديد ونبذ الشرك وعبادة الاصنام، وللعنادة الاجتماعية والمساواة بين البشر جميعهم (عن عباس صفا في مراجعته لكتاب خليل عبد الكريم، «قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية»، سينا للنشر-القاهرة، ومؤسسة الانتشار العربي-بيروت ١٩٩٧، «الحياة»، آذار ١٩٩٨).

**دولة الاسلام الاولى (٦٢٢-٦٣٢):** هي أول دولة للعرب المسلمين في التاريخ، وكانت السلطة العليا فيها لني الله ورسوله محمد بن عبد الله، وفي المدينة (يثرب) مارست هذه الدولة سلطتها ونظمت مجتمعها ووضعت دستورها الاول، وكان ذلك منذ السنة الاولى للهجرة. غير ان عقد تأسيس هذه الدولة يعود تاريخه إلى ما قبل الهجرة بثلاث سنوات. ففي ثلاثة مواسم للحج، متوالية، قبل الهجرة، كان التعاقد على تأسيسها يتم، ويتأكد، ويتزايد العاقدون له والقابلون بتنفيذ بنوده.

ولقد كانت البداية، عندما لقي الرسول، في موسم الحج، في مكة، ستة من سكان يثرب، كلهم من قبيلة الخزرج، فعرض عليهم دينه ودعاهم إلى دعوته فأجابوه، وتعاقدوا معه على الهجرة إلى بلدهم، ودعوة قومهم لدينه،



«المهاجرين الأولين»، وهم عشرة، أحاطت بيوتهم، مع الرسول، بالمسجد الذي كان داراً للحكومة، واختصروا بأبواب تربط بين بيوتهم وبين ساحة المسجد. وكانوا في الصلاة يقفون خلف الرسول، وفي القتال يقاتلون أمامه. وفيهم كان يمثل أهم بطون قبيلة قريش. واشتهر في الاسلام انهم المبشرون بالجنة. وبعد وفاة الرسول ظلت سلطة الخلافة خاصة بهم مقصورة عليهم، وكانوا حريصين على أن يذهبوا الانصار إلى الفرس بينهم عندما قاتلوا لهم؛ فمن الأمراء وانتم الوزراء-أي المستشارون-... ولقد بادر إثنان من هذه الهيئة بعقد الخلافة لثالث منها في سقيفة بني ساعدة-عندما عقد عمر وأبو عبيدة لأبي بكر-وشاورهم أبو بكر عندما أراد العهد إلى عمر... وكثر عمر من بقيتهم الأحياء-وكانوا ستة-بجلس الشورى الذي اختار عثمان بن عفان... فكانت «هيئة المهاجرين الأولين» هي حكومة دولة المسلمين الأولى التي كان الرسول نبيها وحاكمها... وهؤلاء المهاجرون الأولون هم: أبو بكر، وطلحة بن عبيد الله (وهما من تيم)، وعمر بن الخطاب، وسعيد بن زيد (وهما من عدي)، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص (وهما من زهرة)، وعلي بن أبي طالب (وهو من هاشم)، وعثمان بن عفان (وهو من أمية)، والزبير بن العوام (وهو من أسد)، وأبو عبيدة بن الجراح (وهو من فهر).

ومن المدينة (يثرب)، قاعدة الدولة الجديدة، خرجت القوات التي أمنت للدعوة الجديدة ودولتها الاستمرار والانتشار، والوفود والرسائل إلى القبائل والملوك والرؤساء، حتى تم فتح مكة، واعترفت قبائل شبه الجزيرة وحواضرها بالسلطة السياسية الجديدة التي وحدت العرب تحت راية الاسلام. وبين هذه القبائل، في مضاربها وفي حواضرها، بدأت تتكون وتنمو قسومات جهاز الدولة الجديدة. فكان هناك قضاة، وعمال يبيعون الصدقات، إلى ان تأسست قواعد جهاز الدولة وبلغت ذروة تضجها في دولة الخلافة الراشدة، خاصة على عهد خلفتها الثاني عمر بن الخطاب (عن «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ج ٢، ط ١، ص ٧٠٧-٧٠٨).

النبى محمد رسول الله (٥٧١-٦٣٣م): عمده بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، من عدنان، من أبناء إسماعيل بن ابراهيم الخليل: النبى العربى، مؤسس الجامعة الاسلامية، وواضح بناء حضارتها، جامع

وقيادتهم في بناء مجتمع جديد يتوحد فيه الانصار، وتعلو فيه كفتهم على كفة اليهود الذين كانوا يمارسون في يثرب وضع الغزاة الذين حولوا عربها إلى «موالي»-مواطنين من الدرجة الثانية.

والذي يؤكد هذا الطابع السياسي الذي اشتمل عليه عقد تأسيس هذه الدولة-إلى جانب أمور الدين الخالصة-ان الرسول عندما لقي هؤلاء النفر سألهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج... قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم... قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى... فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم الاسلام... وفي موسم الحج التالي، بعد عام، بلغ عدد الانصار الذين جددوا هذا التعاقد وأكادوه إثنى عشر رجلاً، فيهم إثنان من قبيلة الأوس والباقيون من الخزرج... وبعد عام، ارتفع عدد المبايعين المتعاقدين على تأسيس هذه الدولة في بيعة العقبة الثالثة إلى ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين، مثل الأوس فيهم أحد عشر والباقيون من الخزرج، وقادهم في عقد البيعة إثنى عشر نقيباً تسعة منهم من الخزرج وثلاثة من الأوس... أبرموا عقد تأسيس الدولة الاسلامية الأولى، واتفقوا على ان عاصمتها هي المدينة (يثرب) يحكم منها الرسول ويقيم فيها حتى بعد ان يفتح الله عليه مكة التي وُلد ونشأ فيها.

وفي يثرب، بعد الهجرة، بدأت الدولة الجديدة بناء المجتمع الجديد، كما شرعت في اعداد العدة للدفاع عن هذا المجتمع ضد المشركين. وفي التنظيم السياسي لهذا المجتمع كوّنت القبائل المسلمة جماعة مسلمة واحدة، ثم دخلت هذه الجماعة المسلمة في حلف سياسي مع القبائل العربية غير المسلمة ومع القبائل اليهودية، يحمون، بموجبه، جميعاً، يثرب وملحقاتها من غزو مشركي مكة ومن حالفهم من الأعراب. واستمر هذا الحلف السياسي حتى عم الاسلام عرب يثرب وحتى نقضه اليهود أثناء غزوة الاحزاب (والخندق).

ولقد كوّن المهاجرون القرشيون حياً لقريش في المدينة، فكانوا قبيلة قريش في يثرب، وعقد الرسول بينهم مؤاخاة، ثم ضمّتهم والانصار مؤاخاة تالية تشاركوا جميعاً بموجبه في: ١-الثروة وأمور المعاش؛ ٢-والحق، أي الدين والنصرة فيه؛ ٣- والميراث بعد الموت... ثم نسخ الاشتراك في الميراث، وتخصص بنوي الأرحام وبقيت المؤاخاة بين اعضاء المجتمع الجديد في الثروة والحق.

وكانت قيادة القرشيين المهاجرين لتلك الهيئة التي كانت بمثابة حكومة للرسول، وهي التي اشتهرت باسم



الواح تحمل آيات من القرآن الكريم (المكتبة الوطنية، باريس).

قينقاع وهم قبيلة من اليهود كان النبي قد دعاهم وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وحرية دينهم، فنقضوا عهده.

وفي السنة الهجرية الثالثة، كانت غزوة أحد؛ وفي الرابعة غزوة الرقاع وبدر الثانية؛ وفي الخامسة غزوة الخندق وغزوة بني قريظة؛ وفي السادسة غزوة ذي قرد وبني المصطلق وفيها بعث النبي الرسل إلى كسرى وقنبر والنجاشي وغيرهم من عظماء الملوك كالمقوقس بمصر والحارث الغساني بالشام يدعوهم إلى الاسلام؛ وفي السابعة غزوة خيبر؛ وفي الثامنة غزوة مؤتة وحنين، وفيها فتح المسلمون مكة وكانت معقل المشركين من قريش وغيرهم؛ وفي التاسعة غزوة تبوك. وفي السنة الهجرية العاشرة، أُنزلت وفود العرب قاطبة على النبي وهو بالمدينة. وبعث ابن عمه علي بن ابي طالب إلى اليمن فأسلمت همدان كلها، وتتابع أهل اليمن وملوك حمير على الاسلام.

وحجَّ حجة الوداع (سنة ١٠هـ) وكانت خطبته فيها، وهو على ناقته، من أطول خطبه وأكثرها استيعاباً لأمور الدين والدنيا. وفي أواخر صفر (سنة ١١هـ) حَمَّ بالمدينة، وتوفي بها في ١٢ ربيع الاول، ودُفن في مرقده الشريف.

أما معجزته الخالدة التي بنيت عليها الدعوة فالقرآن الكريم.

وأما صفاته: فكان إذا خطب (في نهي أو زجر) احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش؛ وإذا خطب في الحرب اعتمد على قوس، وفي السلم على عصا. وكان طويل الصمت، قليل الضحك، وإذا ضحك وضع يده على فيه، وإذا تكلم تبسّم. يجلس ويأكل على الارض، ويثيب دعرة الملوك على خبز الشعير. وكان إذا مشى لم يلتفت، وإذا التفت التفت جميعاً يتكئاً في مشيه كأنما ينحط من صيب. وإذا اهتم لأمر أكثر من مسّ لحيته. وإذا أراد غزوة ورى بغيرها. فيه دعاة قليلة. وإذا فرح غضّ بصره. في كلامه ترتيب وترسيل. شديد الحياء. ضخّم الرأس واليدين والقدمين. ليس بالطويل ولا القصير. سبط الشعر. لونه أسمر، وخلقه تامة، وعينه سوداوان، وفي خديه حمرة. متواضع في غير مذلة. يمسح رأسه ولحيته بالمسك، ويرسل شعره إلى أنصاف أذنيه، ويلبس قلنسوة بيضاء. وما صافحه أحد فتزك يده حتى يكون ذلك هو الذي يترك يده. وكان يثيب ثوبه، ويخفف نعله، ويخالس المساكين. خطيباً أوتي حوامع الكلم، شجاعاً بطلاً-قال علي بن ابي طالب: كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله، فكان أقربنا إلى العدو-ولكنه لم يقتل يده إلا

شمل العرب، ومجدّد حياتهم السياسية والتشريعية، أبو القاسم.

وُلد بمكة. ونشأ يتيمًا، ربّته أمه آمنة بنت وهب، وماتت وعمره ست سنين، فكفله جده عبد المطلب، ومات جده بعد سنتين، فكفله عمه أبو طالب ونشأ شجاعاً عالي الهمة، صادقاً، فاضل الاخلاق، كامل العقل، لقبه قومه بـ«الأمين». ولما بلغ الخامسة والعشرين زوّجه عمه بخديجة بنت خويلد الأسدية القرشية، وهي تكبره بنحو ١٥ سنة، وكانت غنية أرسلته قبل الزواج بتجارة إلى الشام فأفلق وربح. ولما بلغ الأربعين من عمره بُدئ بالزوايا الصادقة، وحُببت إليه الخلوة، فكان يقضي شهراً من كل عام في حرّاء (على مقربة من مكة) يتحنّث (كما كانت قريش تفعل في الجاهلية؛ والتحنّث التعبد) فلما بلغ الثالثة والأربعين، في رمضان (١٣ق هـ=٦١٠م) أوحى إليه في غار حرّاء بأية: «اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق». وشرع يدعو من حوله سرا، فأمنت به زوجته خديجة وابن عمه علي بن ابي طالب، وصديقه أبو بكر، ومولاه زيد بن حارثة، وجماعة من قومه، فأعلن الدعوة إلى الاسلام بالتوحيد ونبذ الأوثان وخرافاتهما. وهزأت به قريش وأذته، فصبر؛ وحماه عمه أبو طالب حتى مات. وأسلم عمه حمزة وعمر بن الخطاب، فقوي بهما. واشتد أذى قريش لأصحابه، فأذن لمن ليس له عشيرة تحميه بأن يهاجر إلى أرض الحبشة فهاجر ثلاثة ومئانون رجلاً، عدا النساء والاولاد.

ثم أسلم بمكة ستة من الأوس والخزرج من أهل المدينة (يترّب) وعادوا إليها، فلم يلبث ان جاءه منها اثنا عشر رجلاً فأمنوا به، فبعث معهم مصعب بن عمير ليعلمهم شرائع الاسلام والقرآن، فلم يمض غير قليل حتى انتشر الاسلام في المدينة، وفد عليه جمع من أهلها فدعوه وأصحابه إلى الهجرة إليهم وعاهدوه على اللخاع عنه، فأجاب دعوتهم وأمر اصحابه بالخروج من مكة ثم لحقهم. وبلغ قريشاً خبر هجرته، فتبعوه ليقتلوه فنجا.

ودخل المدينة فبنى فيها مسجده وجهر بنشر الدعوة، وكانت قريش تحول بينه وبين ذلك في مكة بالقرعة. وبسنة دخوله المدينة يتأدى التاريخ الهجري، وكان سنة ٦٢٢م.

ولم يدعه مشركو قريش أمناً في دار هجرته، بل كانوا يقصدونه لقتاله فيها، فنزلت آيات «الإذن بالقتال» مبينة سببه ووجه الحاجة إليه. وكانت المعركة الاولى بينه وبين قومه (قريش) في بدر بجوار المدينة. وتلتها غزوة بني

في عهد الرسول، وذلك لانقطاع الوحي، وتمام الدين، وتقرير ان سلطان النبي الديني ليس قابلاً للميراث. ومن هنا كان الحرص على ان لا تبدأ الخلافة في الفرع الهاشمي من قريش حتى لا تكون فيها شبهة الميراث فتتأبد في آل بيت الرسول.

وأخطر ما واجهته هذه الدولة، بعد قيامها، هو رفض القبائل العربية المسلمة، في غير مكة والمدينة والطائف، الخضوع لسلطانها، وكان منع تسليم الصلقات للخليفة باذرة هذا الوهن الذي تعرضت له وحدة الدولة. فدارت تلك الحرب السياسية التي عرفت في التاريخ بـ«حروب الردة»، وانتهت باعادة وحدة عرب شبه الجزيرة. ثم بدأت الدولة مرحلة فتوحاتها المظفرة ضد الدولة الفارسية، فحررت العراق من نفوذها وطاردت جيشها حتى هزمته وأخضعت الفرس لحكم الخلفاء، كما حررت المستعمرات الشامية ومصر وأجزاء من شمالي افريقيا من حكم الروم البيزنطيين، وأدخلتها جميعاً في إطار دولة الخلافة.

وفي عهد عمر بن الخطاب، ثاني خلفائها، اكتملت هذه الدولة سمات الامبراطورية، ووضعت الأسس لنظمتها المالية والادارية والعسكرية. وفي عهد عثمان بن عفان، برزت الصراعات الاجتماعية والقبيلية عندما ظهرت سيطرة بني أمية على عصب الاجهزة المالية والادارية في الدولة، حتى بلغت الحد الذي يمكن معه اعتبار سنوات حكمه الستة الاخيرة هي فترة التأسيس للدولة الأموية التي كرّس انتصارها، في ما بعد، معاوية بن ابي سفيان. وبعد ان انتهت هذه الصراعات بشورة احتلت العاصمة وقتلت الخليفة عثمان، بايع الثوار علياً بن ابي طالب. ولكن الأمويين، وأنصارهم، من أهل الشام خاصة، رفضوا الاعتراف بخلافته، واستمر صراعهم ضده وضد أنصاره، الذين كان أغلبهم من أهل العراق، حتى استشهد علي، وألت مقاليد السلطة إلى معاوية. فانتهت بذلك فترة حكم الخلفاء الراشدين (عن «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ج٢، ط١، ص٧١٢-٧١٣).

دولة الاسلام بعد الخلافة الراشدة: بعد وفاة الرسول كان الأمويون يدعون لجعل السلطة في قريش لا في الأنصار. وعندما ولي الخلافة عثمان بن عفان بن ابي العاص بن أمية، اتخذ الأمويون هذا الظرف سبيلاً لقرض سيطرتهم على مقاليد دولة الخلافة، ما أدى إلى ثورة قتلت

رجلاً واحداً حاول قتله فسبقه بطعنه في لبتة. وأما أسرته فإن زوجته الأولى خديجة استمرت معه وحلها إلى ان توفيت (سنة ٣ق هـ) وقد ولدت له القاسم وعبدالله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. ومات القاسم وعبدالله صغيرين، فلم يبق له ولد ذكر، فتزوج بعدها أربع عشرة امرأة وتوفي وعنده تسع، ولم يولد له غير ابراهيم (من سرية مارية) ومات ابراهيم طفلاً لم يبلغ سنتين. وتوفي جميع أولاده في حياته إلا ابنته فاطمة، وكان قد تزوجها ابن عمه علي بن ابي طالب، فولدت له الحسن والحسين فامحصرت فيهما نسبة كل منتسب إلى رسول الله. وولدت ولداً ثالثاً سمته محسناً، مات صغيراً.

وكان للنبي كتاب يملئ عليهم لأنه لم يتعلم الكتابة؛ وحراس اتخذهم، حتى أوحى إليه «والله يعصمك من الناس» فتركهم؛ ومؤذنون، وسيافون، ورسول، وشعراء وخطباء، وخدم، وخيل وبغال وإبل، وسلاح كثير من سيوف ودروع وقسي ورماح وغيرها. (عن «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠، ج٦، ط١، ص٨٤-٨٦).

#### دولة الاسلام الثانية، الخلافة الراشدة (١١-٤١هـ)

٤١هـ، ٦٣٢-٦٦١): هي امتداد لدولة العرب المسلمين الأولى التي أسسها وقادها النبي رسول الله محمد بن عبد الله. وقد تكونت الدولة الثانية عقب وفاته مباشرة بعد جدل دار بين ممثلي المهاجرين الأولين، وهم الحي المدني من قبيلة قريش الذين سبق قادتهم إلى الاسلام واستوطنوا المدينة بعد هجرتهم من مكة، وبين ممثلي الأنصار، وهم سكان المدينة الاصليون، وبالذات، قبيلتي الأوس والخزرج. ولقد انتهى هذا الجدل، الذي تم في سقيفة بني ساعدة، بأخذ البيعة لأبي بكر الصديق، فأصبح أول خليفة في دولة الخلافة الراشدة التي اتخذت من المدينة عاصمة لها والتي استمر حكمها ٢٩ عاماً.

قامت هذه الدولة على أساس من فلسفة الشورى. فكان خلفاؤها يتم تعيينهم بشورى أهل الرأي في العاصمة الذين كانوا يبايعون واحداً من هيئة المهاجرين الأولين العشرة أو «الصحابة» الذين كانوا بمثابة حكومة الرسول. فاختصت هذه الهيئة بالمنصب واختص رؤساء المدينة بالشورى والاختيار والبيعة أو إبداء الرأي والتصديق على ترشيح الخليفة القائم للخليفة الجديد.

ومنذ البداية حرص خلفاء هذه الدولة على تأكيد طابعها المدني والتمييز بين طبيعتها وطبيعة الدولة والسلطة

فإضافة إلى دولة المركز (بغداد) التي بدأت تنهار فعلياً (ولو بقيت إسمياً) بعد عقود من الازدهار، وإلى دولة الأندلس، ظهرت ١٦ دولة إسلامية من العام ٧٨٨ وحتى انتصار العثمانيين على الماليك ودخولهم القاهرة في ١٥١٧. وهذه الدول:

- الدولة الإدريسية ٧٨٨-٩٧٤ (المغرب).
- دولة الأغالبة ٨٠٠-٩٠٩ (تونس).
- الدولة الطولونية ٨٧٩-٩٠٥ (مصر).
- الدولة الفاطمية ٩٠٩-١١٧١ (تونس)، حيث كانت عاصمتها القيروان، وبعدها المهديّة، وبعدها القاهرة.
- الدولة الحمدانية ٩٢٩-١٠١٥ (الموصل ثم حلب).
- الدولة البويهية ٩٣٢-١٠٥٥ (الساحل الجنوبي من بحر قزوين).
- الدولة الزيدية ٨٩٣-١٢٩٧ (اليمن).
- الدولة الأخشيدية ٩٣٥-٩٦٩ (مصر).
- الدولة الغزنوية ٩٦٢-١١٨٦ عاصمتها غزنة الواقعة على قمة هضبة عالية تشرف على سهول الهند الشمالية وتصل بها بواسطة وادي كابل في أفغانستان.
- الدولة السلجوقية ١٠٣٧-١١٨٦ (تركستان وبخارى).
- دولة المرابطين ١٠٥٦-١١٤٦ (المغرب).
- الدولة الزنكية ١١٢٧-١٢٥٠ (الموصل).
- دولة الموحدين ١١٢٩-١٢٦٩ (المغرب).
- الدولة الأيوبية ١١٧١-١٢٥٠ (مصر).
- دولة الماليك ١٢٥٠-١٥١٧ (مصر).
- دولة السعديين ١٥١٠-١٦٥٩ (المغرب).

دولة الإسلام مع العثمانيين، ودول الإسلام بعلمهم: وفي حين كان المسلمون في الأندلس يتراجعون كانت دولة الإسلام العثمانيين في الشرق تنمو وتتقدم وتضم غالبية الدول الإسلامية وتتوسع غرباً وشرقاً وتصل إلى حدود لم تبلغها أي من الدول الإسلامية قبلها. أما الخلافة المعتبرة رمزاً لوحدة الجماعة أو الأمة الإسلامية التي نشأت في المدينة المنورة وازدهرت في عهد الخلفاء الراشدين، ثم انتقلت إلى دمشق في عهد الأمويين (٦٦١-٧٥٠)، وإلى بغداد في عهد العباسيين (٧٥٠-١٢٥٨)، وإلى القاهرة في عهود الاضطراب والانقسام وتفكك الخلافة العباسية (١٢٥٨-١٥١٧)، فإنها أصبحت في استيوار، بدءاً من دخول السلطان العثماني سليم الأول

عثمان ونصبت علياً بن ابي طالب، فهاضها الأمويون ورفضوا الاعتراف بها ومضوا في طريقهم حتى اجتمع لهم الأمر بقيادة معاوية بن ابي سفيان (٤٠هـ-٦٦١م) عندما خلص لهم الحكم، فتأسست دولتهم واشتدوا دمشق عاصمة لها، وامتدت رقعتها لتشمل شعوباً واقطاراً جديدة. ولكن اعتمادهم على سلاح العصبية القبلية قد امتد ليميز ما بين ذوي الأصل العربي والأخرين من أصلاب غير عربية (الموالي)، فخلق ذلك المناخ ردود فعل تمثلت في الحركات الشعبية. كما استمر اضطهادهم وتعاقد ضد بني هاشم وآل بيت الرسول، مما مكّن كل الخارجين عليهم من التستر برايات آل البيت ذات الظلال المهيبية والتأثير الكبير. فعرضت الدولة لثورات شبه مستمرة من الخوارج والشيعية والمعتزلة وأشرف مكة الذين تزعمهم عبد الله بن الزبير. وبعد أربعة عشر خليفة من الأمويين (كان آخرهم مروان بن محمد، ٧٤٤-٧٥٠) أنهت الثورة الهاشمية عهد الدولة الأموية بنقلها السلطة إلى العباسيين.

من دولة الإسلام إلى دول الإسلام: لكن الذي حصل على صعيد «وحدة الدولة الإسلامية» كان أخطر بكثير من حدوث ثورة أطاحت حكاماً وعهداً وجاءت بأخرين. ذلك ان نهاية الحكم الأموي في دمشق لم يكن ختام حكمهم، فلقد فرّ أحد أمراء البيت الأموي، وهو عبد الرحمن الداخل، حفيد خليفتهم العاشر هشام بن عبد الملك، فبلغ أرض الأندلس في العام ٧٥٥ وأسس هناك الإمارة الأموية ثم الخلافة الأموية التي استمر حكمها حتى العام ١٠٣١. فأصبح هناك، وللمرة الأولى، دولتان إسلاميتان: عباسية وأموية. وأكثر من ذلك، فإن الأمر لم ينته عند هذا التقسيم الثنائي، إذ ما إن مرّ نحو قرن واحد من الزمن على قيام الدولة العباسية حتى بدأ التفكك يسري في أوصالها، وبدأت تقوم دويلات إسلامية تقتسم جسم الامبراطورية العباسية جاعلة من بغداد والخليفة العباسي المقيم بها أسرى سلاطين هذه الدويلات. ولم يكن للخليفة العباسي، في أغلب أوقات مرحلة التفكك هذه، سوى اللقب الذي يضرب على السكة (النقد) والدعاء لاسمه على المنابر يوم الجمعة. ثم قام الماليك في مصر بنقل مركز الخلافة العباسية إلى القاهرة ببيتهم أبا القاسم أحمد المستنصر بن الظاهر خليفة (١٢٦١). وتوالى من بعده خلفاء ليس لهم من الأمر شيء، كان آخرهم المتوكل الثالث بن المستنصر الذي فتح العثمانيون على عهده مصر، فانتهت بهذا الفتح الخلافة العباسية (١٥١٧).

الإسلامي في معركة التجديد واليقظة لاجراء المسلمين من نطاق العصور المظلمة (المسؤولة عنه السلطنة العثمانية باعتراف الاصلاحيين العثمانيين أنفسهم) إلى رحاب العصر الحديث.

لكن الجامعة الإسلامية عرفت تيارات متعددة نمازت مواقفها الفكرية والعملية إزاء مشكلات المسلمين، وذلك يحكم تعدد المواطنين واختلاف المواقف الاجتماعية والفكرية للرواد الاصلاحيين الاسلاميين:

- فالجامعة الإسلامية كانت تعني حركة إصلاحية تجديدية، مثل الروائية: السلفية الدينية، والحفاظة الاجتماعية، والعداء للاتراك العثمانيين،

- بينما كانت تعني لدى السلطان العثماني عبد الحميد انقاذ وحدة الدين القائمة بين العثمانيين وبين العرب والفرس والهنود المسلمين سبيلاً لإحكام القبضة العثمانية على مقدرات أوطان هذه الشعوب، وقمع الحركات القومية الحديثة التي كانت تستيقظ وتطلع إلى الاستقلال القومي والتحرر من السلطان العثماني،

- على حين كانت تعني لدى جمال الدين الأفغاني، وتياره الفكري والثوري، التضامن الإسلامي لصد الغزو الاستعماري الأوروبي عن الشرق، والعمل على تحرير الاجزاء التي سقطت، وخاصة مصر التي احتلها الإنكليز في ١٨٨٢، والسعي لتحرير اقتصاديات المسلمين بإحلال رأس المال الإسلامي محل رأس المال الأوروبي، ومحاولة الاستفادة من إمكانيات الدولة العثمانية في هذا الميدان، يعد تطوير هذه الدولة وتجهيز إدارتها، وإحلال العقلانية محل الخرافة في دوائرها الفكرية عن طريق الإصلاح الديني الذي ينسج بالعقلانية في تفسير النصوص الإسلامية الأولى تفسيراً عصرياً مستنيراً. ولما يسس الأفغاني من إصلاح جهاز الدولة العثمانية - مال إلى القول بأهلية العناصر القومية في الامبراطورية العثمانية، وخاصة العرب، للاستقلال القومي والاضطلاع بمهام التجديد والتحرير.

وبعد زوال الامبراطورية العثمانية، وتقاسم الأوروبيين لممتلكاتها خارج حدود تركيا، ومع بروز الاستقلالات الوطنية، قدمت، في العالم الإسلامي، مقترحات ومشاريع لإعادة منصب الخلافة إلى سابق عهده. ورُشحت أسماء لشغل هذا المنصب. إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل. وعقدت بعد ذلك مؤتمرات إسلامية كثيرة لجمع شمل المسلمين (دون مجاح يذكر). وآخر هذه المؤتمرات، وأهمها، المؤتمر الخالي الذي يحمل إسم «منظمة المؤتمر الإسلامي».

القاهرة في ١٥١٧، واستمرت حتى ١٩٢٤، أي السنة التي أقدم فيها مصطفى كمال أتاتورك على قطع كل علاقة لبلاده بالشرق وبالتراث الإسلامي، وألغى الخلافة (راجع «تركيا»، ج ٦).

وجاء عصر النهضة العربية ليشتمل، من جملة ما يتضمن من اتجاهات وحركات إصلاحية، وعلى مدى عقود سبقت انهيار السلطنة العثمانية، على حركة إسلامية إصلاحية تدعو إلى جامعة إسلامية (أو رابطة إسلامية) تعمل على بناء «امبراطورية إسلامية» تلوب فيها مختلف القوميات الإسلامية وتخضع لها سائر الملل (جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده).

لكن الدول الأوروبية اسرعت في تفكيك الامبراطورية العثمانية مع نهاية الحرب العالمية الأولى، ووضعت المناطق العربية تحت الانتداب (الفرنسي والبريطاني)، الأمر الذي جعل رواد عصر النهضة، بمختلف اتجاهاتهم، ينتقلون من دوائر اهتماماتهم وأهدافهم الكبرى (وحدة سورية، ووحدة عربية، جامعة إسلامية، ليبرالية وراдикаلية، اشتراكية إصلاحية، حداثة ولحاق بركب الحضارة وتخطي التخلف...) إلى دائرة الاهتمام بالخروج من الاستعمار الفرنسي والبريطاني. ومع الاستقلالات، التي جاء بعضها في فترة ما بين الحربين العالميتين، وبعضها الآخر في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، والتي تداخلت فيها حركات التحرر الوطنية والقومية والإسلامية، انكشف المشهد السياسي الدولي العام على قيام دول عربية ودول إسلامية وليس على دولة عربية أو دولة إسلامية.

الجامعة الإسلامية: إن حيوية الرسالة الإسلامية التي حملتها إلى فلاحى جزر الهند الشرقية وإلى أهل مدينة قرطبة الحضريين، ومكنتها من أن تحوز القبول لدى القبائل الأخرى لدى أهل القرى الساسانية دون فرق، وقدرتها على إبقاء المبادئ نفسها حيّة ناطقة طوال أربعة عشر قرناً دون انقطاع، إن هذه الحيوية التي ارتاحت قروناً في ظلال الخلافة العثمانية عادت ساعية لتأمين ديمومة الدولة والخلافة مع اشغاط السلطنة العثمانية المنذر بقرب زوالها. فأثمرت هذه المساعي عن «جامعة إسلامية» Pan-Islamism فكراً سياسياً ودينياً باحثاً عن تنظيم أو منظمة تؤمن ووحدة المسلمين في مختلف أوجه حياتهم.

جاءت الجامعة الإسلامية كتيار سياسي-ديني برز في بلاد الشرق الإسلامي في القرن التاسع عشر. وفي مقدمة دوافعه: الرغبة في استخدام روابط الأخوة والتضامن

## منظمة المؤتمر الإسلامي

**الأصول القريبة للمنظمة:** إذا كانت الأصول البعيدة والجهوية لكل منحى وحدوي إسلامي ولكل منظمة إسلامية تكمن في مؤسسة الخلافة نفسها التي قامت مباشرة عقب وفاة النبي، فإن الأصول القريبة والمباشرة لقيام منظمة المؤتمر الإسلامي الحالية يجملها الدكتور محمد الجذوب (في كتابه «التنظيم الدولي»، الدار الجامعية، بيروت ١٩٩٨، ص ٤٥٧-٤٥٨) بالنقاط التالية:

١- إنشاء جامعة الدول العربية في العام ١٩٤٥. وهي تجتمع بطوري على تفضيل الانتماء القومي واللغوي على التضامن الديني، أو هي تجتمع يرى ان نجاح التجمع القومي يشكل مدامكاً في صرح التجمع الديني.

٢- تقسيم الهند، في العام ١٩٤٧، إلى دولتين (الهند والباكستان) على أساس ديني محض، وقيام باكستان بالبحث عن صيغة لجمع المسلمين في إطار واحد، وطرح فكرة إنشاء مواطنة إسلامية في مؤتمر عُقد في كراتشي، في آذار ١٩٥٢.

٣- إقدام الصهيونيين في العام ١٩٤٨، بالتواطؤ مع بريطانيا والدول الكبرى، على اغتصاب جزء من فلسطين، ثم جميع فلسطين، وإنشاء دولة إسرائيل، وتدنيس الأماكن المقدسة، وطرد الفلسطينيين (ومعظمهم من المسلمين)، على مراحل، من ديارهم والاستيلاء على ممتلكاتهم.

٤- نجاح الثورة المصرية في العام ١٩٥٢، وإيمان قادتها بوجوب التزام والتلاحم بين العربية والإسلام، وسعي الرئيس جمال عبد الناصر، في العام ١٩٥٤، لتأسيس منظمة إسلامية، بالتعاون مع الملك السعودي سعود بن عبد العزيز والرئيس الباكستاني محمد علي جناح. ولكن الخيارات الاستراتيجية المتباعدة للزعماء الثلاثة لم تساعد على نجاح الفكرة. وتجلى ذلك في مواقفهم المتباينة من حلف بناداد، وأزمة السويس، ومبدأ أيزنهاور.

٥- عقد عدة مؤتمرات في الخمسينات والستينات في آسيا وإفريقيا، للدفاع عن فلسطين والقدس والدعوة إلى تكوين كتلة إسلامية تستطيع الوقوف في وجه الاستعمار الجديد ومواجهة المؤامرات التي تحاك ضد الدول الإسلامية حيث الفرقة والانقسام بين شعوبها. وحاول البعض من خلال ظاهرة «المؤتمرات الإسلامية»، إيجاد البديل الموقت للخلافة الإسلامية.

وينتهي الدكتور محمد الجذوب كلامه على اللوائح المباشرة بقوله إن مرحلة المؤتمرات الإسلامية، الرسمية والشعبية، استمرت حتى العام ١٩٦٩ الذي شهد، في ٢١ آب، جريمة إحراق المسجد الأقصى في القدس من قبل العصابات الصهيونية. وقد حثت هذه الجريمة النكراء المدبرة بعض الدول الإسلامية على تكوين لجنة تحضيرية تكون مهمتها الدعوة إلى اجتماع للدول الإسلامية وإنشاء منظمة إسلامية.

**التأسيس والدول الأعضاء:** جاء في «دليل منظمة المؤتمر الإسلامي» الذي قدم له أمينها العام السابق الدكتور حامد الغابند، ما يلي: «... وقد تأسست المنظمة في الرباط بالمملكة المغربية في ٢٥ أيلول ١٩٦٩ بمناسبة المؤتمر الأول لقادة العالم الإسلامي الذي عقد في العاصمة المغربية على أثر الحريق الاجرامي الذي تعرض له المسجد الأقصى المبارك في ٢١ آب ١٩٦٩ على يد عناصر صهيونية في مدينة القدس المحتلة (...). ولقد استطاع قادة العالم الإسلامي المجتمعون في الرباط تأكيد وحدتهم وجمع كلمتهم واستنفار القوة اللازمة لمواجهة هذا الاعتداء الصارخ. ونتيجة لذلك الاجتماع تم إنشاء المنظمة وتضمن ميثاقها عهداً بالسعي بكافة الوسائل السياسية والعسكرية لتحرير القدس الشريف من الاحتلال الصهيوني. وبعد ستة أشهر من هذا الحدث التاريخي، أي خلال شهر آذار ١٩٧٠، انعقد في جدة بالمملكة العربية السعودية المؤتمر الأول لوزراء خارجية الدول الإسلامية الذي تم خلاله إنشاء الأمانة العامة للمنظمة لتقوم بمهمة التنسيق بين الدول الأعضاء وقد عين هذا المؤتمر أميناً عاماً للمنظمة وحدد مقرها مؤقتاً لها في مدينة جدة حتى يتم تحرير مدينة القدس الشريف باعتبارها المقر الدائم».

والواقع ان تلك المنظمة لم تصبح مؤسسة كاملة من الناحية القانونية إلا بعد عقد مؤتمرات آخرين لوزراء خارجية الدول الإسلامية: مؤتمر كراتشي (كانون الأول ١٩٧٠) ومؤتمر جدة، مجدداً (شباط ١٩٧٢). وهذا المؤتمر الأخير شاركت فيه ٣٠ دولة وأقر ميثاق المنظمة. ودخل الميثاق حيز التنفيذ بدءاً من نهاية ١٩٧٣.

أما الدول المؤسسة (الثلاثون) فهي: مملكة أفغانستان، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، دولة الامارات العربية المتحدة، دولة البحرين، جمهورية تشاد، جمهورية مصر العربية، الجمهورية الغينية، الجمهورية الأندونيسية، إيران، المملكة الأردنية الهاشمية، دولة الكويت،

١- تعزيز التضامن الاسلامي بين الدول الاعضاء.  
٢- دعم التعاون بين الدول الاعضاء في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية وفي المجالات الحيوية الأخرى. والتشاور بين الدول الأعضاء في المنظمات الدولية.

٣- العمل على نحو التفرقة العنصرية، والتضامن على الاستعمار في جميع أشكاله.

٤- اتخاذ التدابير اللازمة لدعم السلام والأمن الدوليين القائمين على العدل.

٥- تنسيق العمل من أجل الحفاظ على سلامة الأماكن المقدسة وتحريرها ودعم كفاح الشعب الفلسطيني، ومساعدته على استرجاع حقوقه وتحرير أراضيه.

٦- دعم كفاح جميع الشعوب الاسلامية في سبيل المحافظة على كرامتها واستقلالها وحقوقها الوطنية.

٧- إيجاد المناخ لتعزيز التعاون والتفاهم بين الدول الاعضاء والدول الأخرى.

(ب) المبادئ:

تقرر الدول الاعضاء وتتعهد بأنها في سبيل تحقيق اهداف الميثاق تستوحي المبادئ التالية:

- ١- المساواة التامة بين الدول الاعضاء.
- ٢- احترام حق تقرير المصير وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاعضاء.
- ٣- احترام سيادة واستقلال ووحدة اراضي كل دولة عضو.

٤- حلّ ما قد ينشأ من منازعات فيما بينها بجلول سلمية كالمفاوضة أو الوساطة أو التوفيق أو التحكيم.

٥- امتناع الدول الأعضاء في علاقاتها عن استخدام القوة أو التهديد باستعمالها ضد وحدة وسلامة الاراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة عضو.

هيئات المؤتمر الاسلامي: تنصّ المادة الثالثة:

«يضم المؤتمر الاسلامي: ١- مؤتمر ملوك ورؤساء الدول والحكومات. ٢- مؤتمر وزراء الخارجية. ٣- الامانة العامة والمؤسسات التابعة لها.

وتحدّد المادة الرابعة (المعدّلة في مؤتمر القمة الاسلامي الثالث) مؤتمر الملوك والرؤساء بقولها إنه «الجهاز الأعلى للمنظمة، يجتمع ملوك ورؤساء الدول والحكومات على مستوى القمة بصفة دورية مرة كل ثلاث سنوات، وحينما تقتضي مصلحة الأمة الاسلامية ذلك للنظر في القضايا العليا التي تهم العالم الاسلامي وتنسيق سياسة

الجمهورية اللبنانية، الجمهورية العربية الليبية، ماليزيا، جمهورية مالي، الجمهورية الاسلامية الموريتانية، المملكة المغربية، جمهورية النيجر، سلطنة عمان، الجمهورية الاسلامية الباكستانية، دولة قطر، المملكة العربية السعودية، جمهورية السنغال، جمهورية سيراليون، الجمهورية الصومالية الديمقراطية، جمهورية السودان الديمقراطية، الجمهورية العربية السورية، الجمهورية التونسية، الجمهورية التركية، الجمهورية العربية اليمنية، (ودولة فلسطين).

والأمين العام للمنظمة الدكتور حامد الغابرد خصص، بالإسم (في مقدمة الدليل، مرجع مذکور آنفاً)، المملكة العربية السعودية كطلحة الدول الدافعة إلى إنشاء المنظمة، فيقول: «وانه يظهر منظمة المؤتمر الاسلامي، وقيامها بأداء وظائفها النبيلة في خدمة اهداف التضامن الاسلامي، وقضايا الدول الاسلامية العادلة تكون جهود الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية رحمه الله وحزاه عن المسلمين خيرًا، قد أتت بمارها الطيبة بتوفيق من الله أولاً ثم بفضل موازنة اخوانه ملوك ورؤساء وامراء الدول الاسلامية لدعوته الخيرة للتضامن وتوحيد الجهود».

وأما الدول للمنظمة في السنوات التي تلت مرحلة التأسيس (١٩٦٩-١٩٧٣)، فهي: جمهورية أوغندا، جمهورية الغابون، جمهورية غامبيا، جمهورية غينيا بيساو وجمهورية بنغلادش الشعبية (١٩٧٤)، بوركينافاسو وجمهورية الكاميرون (١٩٧٥)، الجمهورية العراقية، جمهورية جزر القمر الاسلامية وجمهورية المالديف (١٩٧٦)، جمهورية جيبوتي (١٩٧٨)، جمهورية بنين الشعبية (١٩٨٢)، بروني-دار السلام (١٩٨٤)، جمهورية نيجيريا الفدرالية (١٩٨٦)، جمهورية أذربيجان وجمهورية ألبانيا (١٩٩١)، جمهورية تركمانستان، جمهورية طاجيكستان وجمهورية فيرغيزستان (١٩٩٢)، وجمهورية موزمبيق (١٩٩٤)، فأصبح مجموع أعضاء منظمة المؤتمر الاسلامي ٥١ عضواً، ثم أصبح ٥٥ دولة عضواً بعد انضمام أربع دول أخرى في السنوات الأخيرة.

الميثاق: الاهداف والمبادئ: بعد المادة الأولى

(يتضمن الميثاق على ١٤ مادة) التي جاء فيها: «تؤسس الدول الاعضاء منظمة المؤتمر الاسلامي»، نصت المادة الثانية التي اتخذت لها عنوان الاهداف والمبادئ على:

(أ) الاهداف

تمثل أهداف المؤتمر الاسلامي فيما يلي:



أما المادة السابعة فتتص على المالية وعلى «لجنة المالية الدائمة»، والثامنة على عضوية المؤتمر، والتاسعة على عمل الامانة العامة على توثيق علاقات المؤتمر بالمؤسسات الاسلامية ذات الصلة العالمية، والعاشر على إحجازة انسحاب أي دولة من المؤتمر، والحادية عشرة على إحجازة تعديل الميثاق بناء على موافقة وتصديق ثلثي عدد الدول الاعضاء، والثانية عشرة على حل الخلاف بين الدول الاعضاء بالطرق الودية، والثالثة عشرة على ان لغات المؤتمر هي العربية والانكليزية والفرنسية، والرابعة عشرة على مصادقة الدول الاعضاء على هذا الميثاق وعلى انه قد تم تسجيله بهيئة الامم المتحدة طبقاً للمادة ١٠٢ من ميثاق الهيئة بتاريخ أول شباط ١٩٧٤.

محكمة العدل الاسلامية الدولية: اعترت للجهاز الأساسي الرابع إضافة إلى مؤتمر الملوك والرؤساء ومؤتمر وزراء الخارجية والامانة العامة. ولكنها لا تزال قيد الإنشاء رغم الموافقة عليها في مؤتمر القمة الخامسة في الكويت في ١٩٨٧، «ولعل السبب يعود إلى التعارض القائم بين هذا النظام الذي يستند إلى احكام الشريعة الاسلامية وبين عدد من الدساتير الوطنية التي تنص على علمانية الدولة، أو لا تشير إلى الأديان على الاطلاق» (د.محمد المنذوب، مرجع مذکور آنفاً، ص ٤٦٣).

وحاء في «دليل منظمة المؤتمر الاسلامي» (مرجع مذکور، صادر عن الأمانة العامة للمؤتمر، وقدم له الامين العام السابق حامد الغابدي) ان هذه المحكمة «قيد الانشاء»، وأنها «جهاز قضائي رئيسي لمنظمة المؤتمر الاسلامي... تأسست بناء على قرار المؤتمر الثالث للملوك ورؤساء الدول الاسلامية المنعقد بمكة المكرمة والطائف في المملكة العربية السعودية رقم ٣/١١-س (ق.أ)»، وانها تتألف من «هيئة مكونة من سبعة اعضاء ينتخبهم مؤتمر وزراء الخارجية بناء على ترشيح الدول الاعضاء»، وان مقرها سيكون في مدينة الكويت.

لجنة القدس: هي واحدة، وعلى رأس اللجان المتخصصة التي شكلتها، حتى الآن، منظمة المؤتمر الاسلامي، وعددها ١٥ لجنة، وهي: إلى لجنة القدس، اللجنة الدائمة للاعلام والشؤون الثقافية (كومياك)، اللجنة الدائمة للتعاون الاقتصادي والتجاري (كومسيك)، اللجنة الدائمة للتعاون العلمي والتكنولوجي (كومستيك)، لجنة السلام الاسلامية، اللجنة الاسلامية للشؤون الاقتصادية

المنظمة تبعاً لذلك».

وقد عقدت المنظمة، حتى اليوم، ثماني مؤتمرات قمة:

- الاول في الرباط (المغرب) في ٢٢-٢٥ ايلول ١٩٦٩.

- الثاني في لاهور (الباكستان) في ٢٢-٢٤ شباط ١٩٧٤.

- الثالث في الطائف (السعودية) في ٢٥-٢٨ كانون الثاني ١٩٨١.

- الرابع في الدار البيضاء (المغرب) في ١٦-١٩ كانون الثاني ١٩٨٤.

- الخامس في الكويت، في ٢٦-٢٩ كانون الثاني ١٩٨٧.

- السادس في داكار (السنغال) في ٩-١٢ كانون الاول ١٩٩١.

- السابع في الدار البيضاء (المغرب) في ١٣-١٤ كانون الاول ١٩٩٤.

- الثامن في طهران (ايران) في ٩-١١ كانون الاول ١٩٩٧.

وتتناول المادة الخامسة مؤتمر وزراء الخارجية أو الممثلين المعتمدين الذي يجتمع «مرة كل سنة أو عند الاقتضاء... بطلب من أي دولة من دول الاعضاء أو بطلب من الامين العام...».

وتتعلق المادة السادسة بالامانة العامة والامين العام ومهامهما وصلحياتهما. وقد شغل منصب الامين العام، حتى الآن، سبعة أمراء عامين، هم:

-تتكو عبد الرحمن (١٩٧٠-١٩٧٣)، وكان رئيساً للوزراء في ماليزيا.

- حسن التهامي (١٩٧٣-١٩٧٥)، وكان مستشاراً للرئيس المصري.

- أمادو كريم جاتي (١٩٧٦-١٩٧٩)، وكان وزيراً لخارجية السنغال.

- حبيب الشطي (١٩٧٩-١٩٨٥)، وكان وزيراً لخارجية تونس.

- شرف الدين بسير زاده (١٩٨٥-١٩٨٨)، وكان وزيراً لخارجية الباكستان.

- حامد الغابدي (١٩٨٨-١٩٩٦)، وكان رئيساً للوزارة في النيجر.

- عز الدين العراقي (١٩٩٧-)، وكان رئيساً للوزارة في المغرب.



من اجتماعات لجنة القدس.

- المركز الإسلامي للتدريب الفني والمهني والبحوث.
- المركز الإسلامي لتنمية التجارة.
- المؤسسة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا والتنمية (أفستاد).
- مجمع الفقه الإسلامي.
- المكتب التنفيذي لصندوق التضامن الإسلامي ووقفه.
- صندوق القدس ووقفه.
- اللجنة الدولية للمحافظة على التراث الإسلامي.
- الجامعة الإسلامية في النيجر.
- الجامعة الإسلامية في أوغندا.
- الجامعة الإسلامية في بنغلادش.
- الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا.

والثقافية والاجتماعية، اللجنة الدائمة للشؤون المالية، هيئة الرقابة المالية، اللجنة الخاصة بأفغانستان، لجنة أفريقيا الجنوبية وناميبيا (تم حلها)، لجنة التضامن الإسلامي مع شعوب الساحل الأفريقي، اللجنة الوزارية السداسية لمسلمي الفيليبين، اللجنة السداسية حول فلسطين، فريق الاتصال الخاص بالبوسة والمركب، وفريق الاتصال الخاص بجامو وكشمير.

أنشئت لجنة القدس طبقاً للقرار رقم واحد الصادر عن المؤتمر الإسلامي السادس لوزراء الخارجية المنعقد في جدة في تموز ١٩٧٥. وكلف المؤتمر اللجنة العمل على تحقيق الاهداف التالية:

- دراسة تطور الاوضاع في القدس الشريف.
- متابعة تنفيذ قرارات المؤتمر الإسلامي بهذا الشأن.
- متابعة القرارات الصادرة عن مختلف الهيئات الدولية بهذا الشأن.
- الاتصال بمختلف المنظمات الدولية التي قد تساعد في حماية القدس.
- طرح المقترحات امام الدول الاعضاء وكل المنظمات المعنية بشأن الخطوات المزمع اتخاذها لتأمين تنفيذ هذه القرارات ومواجهة المستجدات من الاحداث.
- ويرأس اللجنة الملك حسن الثاني، عاهل المملكة المغربية، وتضم في عضويتها ١٥ دولة عضواً في منظمة المؤتمر يتم انتخابها من قبل المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية. والدول الاعضاء حالياً: المملكة المغربية، جمهورية العراق، المملكة الاردنية الهاشمية، الجمهورية اللبنانية، الجمهورية الاسلامية الموريتانية، جمهورية غينيا، دولة فلسطين، الجمهورية العربية السورية، جمهورية بنغلادش الشعبية، الجمهورية الاسلامية الايرانية، جمهورية أندونيسيا، جمهورية النيجر، جمهورية باكستان الاسلامية، جمهورية السنغال، المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية.
- تجتمع لجنة القدس بدعوة من رئيسها أو من الامين العام للمنظمة.

أجهزة متفرعة ومؤسسات متخصصة: هي ١٧ جهازاً ومؤسسة:

- مركز البحوث الاحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب.
- مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية.



الرئيس الايراني محمد خاتمي وولي العهد السعودي الامير عبد الله بن عبد العزيز في مؤتمر القمة الاسلامي (طهران، ١٩٩٧).

من لقم منظمة المؤتمر الاسلامي.



- تأكيدهم ضرورة التفاعل والتحاور والتفاهم على نحو إيجابي بين الثقافات والأديان، ورفض نظريات أنصار الصدام والتزاح التي تولد عدم الثقة وتقلص أرضية التفاعل السلمي بين الدول. وتضمن الاعلان خمسة بنود رئيسية:

١- يتعلق أولها بالتضامن والأمن في العالم الإسلامي. وقد تضمن تعهدًا رسميًا بتعزيز التضامن والسلام والأمن داخل العالم الإسلامي، ووعدها بإنشاء سوق إسلامية مشتركة، وإدانة لاستمرار إسرائيل في احتلال الأراضي العربية وممارستها إرهاب الدولة، ودعوة إلى إعادة النظر في أي تعاون عسكري مع إسرائيل، وإلى جعل الشرق الأوسط منطقة خالية من جميع الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل، وإلى ضرورة انضمام إسرائيل إلى معاهدة حظر الانتشار النووي، وإلى ضرورة استعادة مدينة القدس وحصول الشعب الفلسطيني على حق تقرير المصير وإقامة دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة. وتضمن البند المذكور، كذلك، تأكيد التضامن مع شعب البوسنة، واستنكار استمرار النزاع والعنف في أفغانستان، ورفض عدوان أرمينيا على أذربيجان، وتأييد حق تقرير المصير لشعب كشمير، وإدانة الإرهاب في جميع صوره ومظاهره مع الاعتراف بحق الشعوب الرازحة تحت السيطرة الأجنبية في تقرير مصيرها، والاعلان بأن الإسلام يحرم قتل الأبرياء، والتصميم على إبرام معاهدة لمكافحة الإرهاب الدولي، ودعوة المجتمع الدولي الامتناع عن توفير الملجأ للإرهابيين، والتعهد بتقديم الدعم الكامل للجماعات والأقليات المسلمة في البلدان غير الإسلامية بالتعاون مع حكوماتها.

٢- وجاء في البند الثاني المتعلق ببعث الحضارة الإسلامية والهوية الإسلامية ان بعث هذه الحضارة يمثل واقعًا عالميًا سلميًّا، وان الحضارة الإسلامية تقوم، بشكل ثابت، عبر التاريخ، على التعايش السلمي والتعاون والتفاهم المتبادل بين الحضارات، وكذلك على التحاور البناء مع الديانات والأفكار الأخرى. ولهذا أعرب المشاركون في المؤتمر عن قلقهم إزاء الاتجاهات التي تصوّر الإسلام على انه يشكل تهديدًا للعالم، ونددوا بمظاهر الغزو الثقافي وتجاهل التقاليد الدينية والثقافية للشعوب الأخرى، وقرروا الاستفادة من المنجزات التكنولوجية في مجال الاعلام والاتصالات لتقديم ثقافة الإسلام الغنية ومبادئه الخالدة إلى البشرية جمعاء.

٣- وفي البند الثالث المتعلق بالتنمية الشاملة والمتوازنة والمستدامة، رأى المشاركون ان هذه التنمية مسألة

- البنك الإسلامي للتنمية.  
- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو).

- وكالة الأنباء الإسلامية الدولية (إينا).  
- منظمة إذاعات الدول الإسلامية (أسبو).  
أما المؤسسات المنتمية لمنظمة المؤتمر الإسلامي فهي سبع منظمات:  
- الغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة.  
- منظمة العواصم والمدن الإسلامية.  
- الاتحاد الرياضي لألعاب التضامن الإسلامي.  
- اللجنة الإسلامية للهلال الدولي.  
- الاتحاد الإسلامي للملكي البواحر.  
- الاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية الدولية.  
- الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية.

مؤتمر قمة المنظمة الثامن، إعلان طهران ١٩٩٧: عقدت المنظمة الدورة الثامنة لمؤتمر القمة الإسلامي في طهران، في ٩-١١ كانون الأول ١٩٩٧. وفي نهاية الدورة صدر «إعلان طهران» الذي أعرب فيه الملك والرؤساء عن:

- تمسكهم الكامل بفكرة التوحيد باعتبارها الأساس الحق للحرية المسوولة للإنسان.  
- اخلاصهم لتعاليم الإسلام التقدمية التي تحقق التوازن الدقيق بين الأبعاد الروحية والمادية للحياة الإنسانية وبين الحرية والاعتناق، على أساس من التسامح والرحمة والحكمة والعدل والمشاركة.

- عزمهم الأكيد على تفهيد مقاصد ومبادئ ميثاق المنظمة، لا سيما ما يتعلق منها بوحدة وتضامن الأمة الإسلامية وحماية القيم والمبادئ الإسلامية.

- عزمهم على تحقيق التطلعات المشروعة للدول والشعوب الإسلامية نحو السلام والأمن، وكذلك التنمية الشاملة والمتوازنة والمستدامة، من خلال المشاركة النشيطة وإقرار الحق الأساسي في تقرير مصير الشعوب التي ترزح تحت نير الاستعمار أو السيطرة الأجنبية أو الاحتلال الأجنبي.

- إدراكهم أهمية الحفاظ على هوية الأمة والتمسك بتقاليدهم وتراثهم التاريخي، باعتباره عاملاً أساسيًا في تماسك نسيج المجتمع وتعزيز الاستقرار الاجتماعي.

ومقالة حيدر ابراهيم علي- كاتب سوداني مقيم في مصر- «الحياة»، العدد ١٢٧٤٨، تاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٩٨، ص ١٩.

المؤتمر الخامس والعشرون لوزراء خارجية المنظمة، بيان الدوحة ١٩٩٨: «إن عملية السلام في حال انهيار بسبب تعنت ثنائيها». بهذه الكلمات لخص حمد بن جاسم بن جابر آل ثاني وزير الخارجية القطري موقف ٥٥ من وزراء خارجية الدول الإسلامية إثر انتهاء مؤتمر الخامس والعشرين في الدوحة عاصمة قطر (آذار ١٩٩٨). ودعا البيان الختامي لهذا المؤتمر راعيي عملية السلام (الولايات المتحدة وروسيا) إلى الضغط على إسرائيل كي تلتزم بالقانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة، والتوقف عن سياسة الاستيطان في القدس وباقي الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وحدث الوزراء، في بيانهم، الدول الإسلامية التي شرعت في اتخاذ خطوات تجاه العلاقات مع إسرائيل في إطار عملية السلام إلى إعادة النظر في هذه العلاقات بما في ذلك إقفال البعثات والمكاتب إلى أن يتم انسحاب إسرائيل الكامل من جميع الأراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما فيها حقه في إقامة دولته المستقلة على أرض وطنه فلسطين وعاصمتها القدس الشريف.

ودعا البيان إلى العمل من أجل وقف كل الإجراءات والممارسات التي تقوم بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي في مدينة القدس الشريف والمهادفة إلى تغيير الوضع الجغرافي والسكني وانتهاك حرمة الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية فيها بهدف تهريد المدينة المقدسة.

وتناول البيان إشارة بالاتفاق الذي عقده الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان مع العراق لإنهاء أزمة التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل في العراق؛ ودعوة العراق إلى التعاون مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر في تنفيذ بنود قرارات مجلس الأمن الخاصة بإطلاق سراح الأسرى والمحتجزين الكويتيين وإعادة الممتلكات الكويتية.

وشجب البيان أعمال القمع التي تمارس ضد السكان العزل من المسلمين في كوسوفو، ودعا إلى وضع حد فوري لانتهاكات حقوق الإنسان هناك والعمل على إلغاء جميع التشريعات التمييزية وخاصة تلك التي أصبحت سارية المفعول منذ عام ١٩٨٩.

حيوية بالنسبة إلى العالم الإسلامي ومستوحاة من مبادئ الإسلام وقيمه النبيلة، وأكدوا تأييدهم لأهداف ومبادئ إعلان القاهرة بشأن حقوق الإنسان في الإسلام، وقرروا اتخاذ التدابير اللازمة لاضفاء الصفة المؤسسية على هذا الاعلان والعمل به. ولم ينسوا تأكيد احزامهم الكامل لكرامة المرأة المسلمة وحقوقها وتعزيز دورها في كل أوجه الحياة الاجتماعية وفقاً لمبادئ الإسلام.

٤- وفي البند الرابع المتعلق بالمشاركة الدولية، رحّب المؤتمر بمشاركة الامن العام للأمم المتحدة (كوفي أنان) في قمة طهران، كتعبير عن العلاقة للمنازة بين المنظمة العالمية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وأكدوا ضرورة ان يكون لمنظمة المؤتمر دور ومثيل في أجهزة الأمم المتحدة، وخاصة في مجلس الأمن، واعتبروا ان المشاركة الفعالة والبناءة والمهادفة للبلدان الإسلامية في ادارة الشؤون الدولية تعدّ عاملاً جوهرياً لصيانة السلام والأمن في العالم، وإقامة النظام العالمي الجديد على أساس المساواة والعدل وتقااسم الرخاء وتعزيز القيم الاخلاقية والسموية.

٥- وفي البند الخامس المتعلق بتدعيم منظمة المؤتمر الإسلامي، أعرب المشاركون عن عزمهم على تقديم الدعم لاصلاح تلك المنظمة وإعادة هيكلتها من أجل رفع مستوى فعاليتها وكفاءتها وتحقيق تكيّفها المستمر مع تطور الظروف الدولية.

وبالإضافة إلى إعلان طهران، فقد أصدر القادة في المؤتمر مدونة سلوك للعلاقات بين الدول الاعضاء في المنظمة، أطلق عليها اسم «بيان رؤية طهران». وفي هذا البيان اعلنوا عزمهم على الالتزام الكامل بتوطيد اواصر القربى والتضامن والتفاهم استناداً إلى تعاليم الإسلام السامية، والتزامهم، كذلك، بعض المبادئ الأساسية، مثل: احترام سيادة الدول، ورفض اللجوء إلى القوة، ورفض التدخل بشؤون الغير، وعدم جواز انتهاك الحدود المعترف بها دولياً، وضرورة تسوية المنازعات سلمياً، ومساندة كفاح الشعوب الخاضعة للاستعمار أو الاحتلال، والتعاون على حماية البيئة ومكافحة الارهاب والإفجار بالمخدرات، وتوسيع وتعميق التبادل التجاري والاقتصادي بين الدول الاعضاء (عن د. محمد الجلوب، مرجع مذكور، ص ٤٦٨- ٤٧١) وراجع نص «إعلان طهران» في الصحف الصادرة في ١٢ كانون الاول ١٩٩٧، كما راجع مختلف المقالات التحليلية المنشورة في ايام عقد هذه القمة وبعيها، منها مقالة سليم نصار- كاتب وصحافي لبناني- «الحياة»، العدد ١٢٧٠٦، تاريخ ١٣ كانون الاول ١٩٩٧، ص ٤٧

أنظمتها العقيدة الماركسية من الانتساب إلى المنظمة. ولم تُقبل الهند حتى الآن في عضوية المنظمة بسبب معارضة باكستان، مع ان في الهند أكثر من ١٠٠ مليون مسلم. وقُبلت دولتا أوغندا والغانون في العام ١٩٧٤، بسبب اعتناق الرئيسين فيهما الإسلام.

وأجاز الميثاق الانسحاب من المنظمة بإشعار خطي. ومع انه لم يتضمن عقوبات ضد الدول الاعضاء التي تخالف احكامه، فقد أقدم المؤتمر على تعليق عضوية بعض الدول في المنظمة، مثل: تعليق عضوية أفغانستان (خلال ١٩٨٠-١٩٩٠) بسبب موافقة حكومتها على الغزو السوفياتي لبلادها. وتعليق عضوية مصر (خلال ١٩٧٩-١٩٨٤) على إثر زيارة رئيسها، أنور السادات، الكيان الصهيوني وتوقيع إتفاقي كامب ديفيد ثم معاهدة السلام مع هذا الكيان.

٢- عمل المنظمة: لقد شهد العالم، خلال ربع قرن من عمر منظمة المؤتمر الإسلامي، أحداثاً وتطورات ضخمة ومتلاحقة، إقليمياً ودولياً، أَلقت بظلالها (وأحياناً ثقلها) على وضع المنظمة ومسيرتها وتطورها. واستطاعت المنظمة، رغم الصعوبات والعراقيل، ان تبلور لنفسها رؤية اسلامية واضحة للعلاقات الدولية، وتظهر على المسرح الدولي كممثلة مرموقة للمجموعة الاسلامية، وكتنصير مهم في تحقيق التفاعل والتقارب بين السياسات الخارجية للدول الاعضاء، وفي التعامل المعتدل مع مختلف القضايا المهمة والملحة. واستطاعت كذلك ان تحتل مكاناً متميزاً في صفوف المنظمات الدولية، وتنتهج سياسة مستقلة عن سياسات تلك المنظمات عبر مواقفها من التطورات العالمية والاقليمية.

وأدى الاصرار على عقد مؤتمرات القمة بانتظام في مرعدها إلى الحفاظ على تماسك المنظمة واستمرارها. وكان من نتائج اللقاءات الدولية بين الملوك والرؤساء تحقيق التواصل بين القادة والإسهام في إيجاد الحلول لكثير من الخلافات. ويمكننا تقويم أداء المنظمة انطلاقاً من الجهود والأنشطة التي قامت بها في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية.

- فعلى الصعيد السياسي، كانت القضية الفلسطينية هي المحاسن الاول للمنظمة. وقد حاولت ان تجعل منها القضية المركزية لكل المسلمين، وليس للعرب فقط. ففي قمة لاهور للعام ١٩٧٤، أعلنت رفضها لكل إتفاق يعترف بالاحتلال الاسرائيلي للقدس. وفي العام

وحت البيان على تعليق العقوبات على ليبيا إلى ان يصدر حكم محكمة العدل الدولية بالفصل في القضية المعروضة عليها (قضية طائرة لوكربي) طبقاً لميثاق الامم المتحدة.

اعتبر هذا المؤتمر (الخامس والعشرون لوزراء خارجية منظمة المؤتمر الاسلامي) الخطوة التحضيرية الأولى للقمة الاسلامية المقرر عقدها في الدوحة عام ٢٠٠٠.

### تقويم (مناقشة)

(يتناول هذا الموضوع الأخير من باب «منظمة المؤتمر الاسلامي» ثلاث نقاط: الاولى، مسألة العضوية في المنظمة؛ الثانية، عمل المنظمة؛ والثالثة، حول قمة طهران. والنقاط الثلاث عن د. محمد الجندوب، في كتابه الأكاديمي «التنظيم الدولي»، الدار الجامعية، ١٩٩٨، ص ٤٦٦، ٤٦٤-٤٦٨، و ٤٧١-٤٧٣).

١- مسألة العضوية: عالج ميثاق المنظمة مسألة العضوية في مادتين، الثامنة والعاشرة، فاعتبر ان المنظمة تتكون من الدول التي شاركت في مؤتمر ملوك ورؤساء الدول والحكومات الاسلامية في الرباط، والدول التي شاركت في مؤتمر وزراء الخارجية في جدة وكراتشي، ووقعت الميثاق. ونصّ على انه يحق لكل دولة اسلامية الانضمام إلى المنظمة إذا تقدمت بطلب يتضمن رغبتها واستعدادها لتبني الميثاق، وإذا وافق مؤتمر المنظمة على الطلب باكثرية ثلثي الاعضاء.

لكن الميثاق لم يحدد «الدولة الاسلامية». إلا انه ينص من نص المادة الثامنة ان شرط العضوية يتنصع لمعيار عقائدي. فالدولة المرشحة للعضوية يجب ان تكون دولة اسلامية، بغض النظر عن موقعها أو ارتباطاتها السياسية أو خياراتها الاقتصادية. ولكن ما هو التعريف الدقيق للدولة الاسلامية؟ هل هي الدولة التي ينص دستورها على ان الاسلام هو دين الدولة؟ أم الدولة التي تقيم فيها أكثرية اسلامية؟ أم الدولة التي تضم نسبة معقولة من المسلمين (لا تقل عن ٢٠٪ من عدد سكانها، مثلاً)؟ أم الدولة التي تطبق الشريعة الاسلامية، أو تعتبرها المصدر الوحيد أو الرئيسي للتشريع فيها؟.

إن الميثاق لا يبيّن عن هذه التساؤلات ولا يضع معياراً واضحاً وحاسماً للعضوية. ولكن الممارسة تؤكد ان المعيار السياسي محض. فقد حُرمت الدول التي اعتنقت

وضع حد للتخلف، وتوفير الرقابة على مصادرها الطبيعية، وتنظيم عملية المبادلات فيما بينها، والحد من نتائج تقلبات الأسعار، والدفاع عن حقوق العالم الثالث داخل النظام الاقتصادي العالمي. ولتحقيق هذه الأغراض عُقدت مؤتمرات وقدمت توصيات وأبرمت اتفاقيات وأنشئت أجهزة.

ومن أهم الأجهزة البنك الإسلامي للتنمية المنشأ في ١٩٧٤، والذي يتميز بخصوع أنظمتة ومعاملاته لأحكام الشريعة الإسلامية. وهو يضم جميع أعضاء المنظمة. والإكتتاب الأكبر فيه يأتي من الدول المنتجة للنفط (تسهم السعودية في ٢٥٪ من رأسماله). ويوجه البنك عناية فائقة إلى الدول الإسلامية الفقيرة، فيمزل البنى التحتية فيها والمشاريع الزراعية والصناعية، ويقدم المساعدات للمصارف والشركات، ويؤمن الاعتمادات لشراء النفط، ويدعم ماليًا المؤسسات الثقافية، ويفتح ضحانها الكوراث.

وعلى الصعيد الاجتماعي والثقافي، سعت المنظمة للحفاظ على قيم الإسلام والذرات الجيد لحضارته، وتعزيز التعاون والتضامن بين الدول الأعضاء، وإعطاء الهوية الإسلامية صورة تلامم مع مستجدات العصر، وتشبيد نهضة العالم الإسلامي على أسس متينة.

ولتحقيق هذا الغرض أنشئ، في ١٩٧٤، صندوق التضامن الإسلامي لتقديم كل أنواع المعونات للمسلمين. ولتلبية طلبات المعونات خصص وقف بمقدار مئة مليون دولار. وبفضل هذه المصادر أنشئت سلسلة من المؤسسات، من ضمنها: مركز بحوث التاريخ والفنون والحضارة الإسلامية، وجمعية الفقه الإسلامي، وجامعتان إسلاميتان في النيجر وأوغندا، ومعاهد ومدارس ومساجد ومستشفيات ومراكز ثقافية وبيوت للطلبة في مختلف انحاء العالم.

وساعدت المصادر المالية المذكورة على تمويل إنتاج أفلام، ونشر مطبوعات وموسوعات، وتنظيم ندوات ومؤتمرات ولقاءات. وكلها موجهة لمعالجة القضايا المتعلقة بمستقبل المجتمعات الإسلامية والحضارة الإسلامية والذرات التاريخي الإسلامي.

٣- قمة طهران: لقد كانت قمة طهران من أجح القمم الإسلامية على الاطلاق، حتى ان البعض رأى فيها قمة فاصلة أو مفصلية توحى برغبة في التأسيس لمرحلة جديدة، بناءً وإيجابية، على صعيد العلاقات بين دول المنظمة. ولعل أسباب نجاحها يعود إلى الأمور التالية:

١٩٧٩، أنشأت صناديق القدس. وعندما أعلنت إسرائيل القدس عاصمة لها وطالبت السفارات الأجنبية بالانتقال إليها، أقنعت المنظمة بعض أعضائها بقطع العلاقات الدبلوماسية أو بجميها مع إسرائيل. وعندما تودي بالدولة الفلسطينية المستقلة في فلسطين، أهدت المنظمة هذه الفكرة. وتدخلت المنظمة في بعض المنازعات الثنائية بقصد حلها، فحققت بعض النجاح، مثل المصالحة بين باكستان وبنغلادش في ١٩٧٤. وقدمت مساعدات جملة إلى دول الساحل الأفريقي التي أصابها الجفاف. وتضامنت مع شعب ناميبيا لنيل استقلاله، ومع شعب جنوب أفريقيا لإلغاء النظام العنصري السائد في بلاده. وأغدقت المعونات على اللاجئين في أريتريا وأوغندا والصومال والتشاد.

ولم تتوان المنظمة في الدفاع عن الاقليات المسلمة في النيبين وبلغاريا والبوسنة، والاهتمام بمصير أكثر من ٣٠ مليون مسلم يعيشون في دول غير إسلامية، وإجراء المشاورات مع الدول المعنية لتأمين احترام حقوقهم وحررياتهم.

وسعت، من جهة أخرى، لتوطيد العلاقات بالأسر الروحية الأخرى، وفي طليعتها الأسرة المسيحية، فأجرت مباحثات مع الفاتيكان، وأوضحت للعالم جوهر الإسلام باعتباره دين التسامح والعدالة والسلام. وفي مؤتمر وزراء الخارجية للعام ١٩٩٢، اقترحت عدة دول إصدار بيان بإدانة العنف أو الارهاب الداخلي للدفاع عن صورة الإسلام الصحيحة التي تعرّضت للنشويه من قبل الحركات المتطرفة.

غير ان المنظمة لم تتمكن، رغم هذه الانجازات، من تحقيق الاجماع والتوافق، والتوصل تاليًا إلى الحلول العادلة، في العديد من النزاعات والقضايا التي عصفت بالعالم الإسلامي. ونذكر منها على سبيل المثال:

احتلال أفغانستان من قبل السوفييات (١٩٧٩-١٩٨٩) واختلاف الدول الثلاث المعنية بالأمر (السعودية وإيران وباكستان) على مستقبل البلد.

عجز المنظمة، وكذلك عجز الاسم المتحدة، خلال ثماني سنوات، عن وضع حد للحروب التي دارت بين العراق وإيران. وعجزها كذلك، عند اندلاع أزمة الخليج في ١٩٩٠ (دخول العراق إلى الكويت)، عن اقناع العراق بسحب قواته قبل انفجار الوضع العسكري في المنطقة.

-- على الصعيد الاقتصادي، تمكن مؤتمر لاهور (١٩٧٤) من إرساء قواعد الاهداف الاقتصادية للمنظمة. وقد تجلّى ذلك في محاولات تعزيز التعاون بين الاعضاء بنية

إلى الولايات المتحدة لاشيائها المطلق والدائم إلى اسرائيل. ومع ذلك، يبقى السؤال المعهود الذي يطرح في مثل هذه الحالات: هل ستجد القرارات الصادرة عن مؤتمر القمة طريقها إلى التنفيذ؟ إننا نعلم ان قرارات القمة الاسلامية غير ملزمة لاعضائها إلا إذا رغب العضو، بإرادته الحرة، في التزامها. فهذه القرارات هي، في الواقع، توصيات أو توجيهات قد يكون لها تأثير معنوي فقط. وهي قد تساعد على إدخال تغييراً في المناخات والأجواء السائدة، ولكنها لن تحدث تغييراً في سياسات الاعضاء، لأن لكل دولة مصالح وارتباطات والتزامات يصعب، في وقت قريب، التخلي عنها أو التنصل منها.

ثم إن التجارب تبنت ان الدول الاستعمارية الكبرى لا تتخلى بسهولة عن منطلقاتها وأطماعها. ولهذا فإن واشنطن لن تقف مكتوفة اليدين امام ما حدث في طهران، بل ستعمل جاهدة على إحباط كل مفاعيل القمة الاسلامية، لكي تبقى ايران تحت الحصار والاحتواء، ولكي تبقى الرابطة الاسلامية وهماً يداعب الخيالات، ولكي تبقى اسرائيل قوة فاعلة في قلب المنطقة العربية والاسلامية تخدم مصالح سيدها وولي أمرها. وليس من المستبعد ان تعمد واشنطن (إن لم تكن قد عمدت فعلاً) إلى الضغط على حلفائها من الدول الاعضاء، واستعمال جميع اساليب التهيب والترغيب، للقضاء على أية محاولة ترمي إلى التقييد بقرارات القمة الاسلامية.

- عقد القمة في ايران، أي في البلد الذي يراجه منذ عقدين حملة أو هجمة اميركية لا حدود لشرستها.  
- مشاركة دول تعتبر تقليدياً من أقرب المقربين للولايات المتحدة، ودول اتسمت علاقاتها بايران، لسنوات خلت، بالثبوت الشديد.

- فتح باب الحوار والتفهم والتفاهم على مصراعيه امام دول باعدت بينها الدساس والمواشرات والتدخلات الاجنبية.

- تغليب منطق الاعتدال والتعقل على التطرف والتزمت والعدا، وتوخي تحقيق الحد الأدنى من التضامن بين الاعضاء للوقوف في وجه الصلف الاسرائيلي.

اعتبار نجاح القمة رداً على المؤتمر الاقتصادي الرابع للشرق الاوسط وشمال افريقيا، الذي عقد في الدوحة (قطر) في اواسط تشرين الثاني ١٩٩٧، وشاركت فيه اسرائيل (بضغط من واشنطن) وقاطعته غالبية الدول العربية.

- نجاح القمة في إخراج ايران من عزلتها، وإزالة الكثير من الحواجز التي أقيمت بينها وبين دول الحوار العربي والاسلامي.

- نجاح القمة في إعادة شيء من «حرارة الايمان والتضامن» إلى العلاقات بين دول تعتنق عقيدة سماوية واحدة، وتواجه اختطاً خارجياً وداخلياً متشابهة.

- نجاح القمة، على الرغم من بعض الاعتراضات والعراقيل، في ان توجهه، بالمواقف التي أخذتها في إعلان طهران وفي بيان رؤية طهران (راجع أعلاه)، رسالة استيلاء

## الحوار الاسلامي-المسيحي

المنطلقات الاولى: بعد ان استتب الأمر لرسول الله، وبدأ إرساء القاعدة الاولى للدولة الاسلامية، استقبل في بيته وفد مسيحيي بجران. أثناء اللقاء حان وقت صلاتهم، فدعاهم الرسول إلى أدائها في بيته، إلا أنهم آثروا أداء الصلاة خارج البيت، فكان لهم ما أرادوا. استؤنف اللقاء بعد الصلاة وانتهى كل على دينه وعلى معتقده، فردّعهم الرسول بمثل ما استقبلهم به من حفاوة وترحيب. صدر بعد ذلك عن النبي عهد للنصارى، وشهد عليه كبار الصحابة، منهم الخلفاء الاربعة أبو بكر وعمر

(مرجعاً هذا الباب الأساسيان: محمد السّمّاك، «مقدمة إلى الحوار الاسلامي-المسيحي»، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٨، ط١؛ والدكتور سعود المولى، «الحوار الاسلامي-المسيحي، ضرورة المغامرة»، قدّم له الشيخ محمد مهدي شمس الدين، دار المنهل اللبناني، بيروت، ١٩٩٦، ط١).



الأساس لتنفيذ مقررات الجمع المسكوني الثاني (السمّك)، عن «من أجل حوار إسلامي-مسيحي، موقف المسيحية من الإسلام كما حدّده الفاتيكان»، لألب جوزف كوك ولويس غارديه، ترجمة د. سليم اليافي وزهير مارديني-دار الجلايد، ١٩٨٣، ص ٣١):

«...» وباختصار، يجب ان نعني، بكل موضوعية، أن المسيحيين لم يحققوا بعد، كمجموعة، الشرط الأول والأهم الذي يؤهلهم لأن يكونوا موجودين وحاضرين في عالم المسلمين كما هو، وعلى حقيقته (...). ولا يمكن استقبال الانسان الآخر إلا إذا كنا نعرفه، وأولى مهام المسيحي هي التعرف على شريكه المسلم، لا كما هو بكل بساطة بل كما يريد ان يكون، وهذه المعرفة يجب ان لا تكون معرفة عالم الاجتماع، وهي معرفة جافة وغير حارة، ولكن يجب ان تكون معرفة الصديق للصديق الذي يعمل على ان يكتشف في صديقه كل ما هو حسن وجيد، وعلى ان ينجبه حباً صادقاً».

الجددير ذكره أن البابا الذي أطلق هذا الجمع الفاتيكاني الثاني، في ١٩٦٤، على أساس حوار «الحبة والصدقة الحارة» مع الإسلام هو البابا بولس السادس. كما يمكن القول ان هذا الجمع بدأ، في ١٩٦٤-١٩٦٥، بوضع نهاية لـ ٨٧ سنة من العداء والتباعد اللذين رسّخا نوعاً من فصل عامودي بين الإسلام والمسيحية، خاصة المسيحية الغربية (إذ إن المسيحية الشرقية، وخاصة منها طائفة الروم الأرثوذكس، كانت تفرص دائماً على تمييز جوانب من معتقداتها الدينية، ومراقفها في مختلف الشؤون الاجتماعية والسياسية عن المسيحية الغربية بتسميتها الكبيرين، الكاثوليكية والبروتستانتية)، هذا الفصل الذي بدأ في ١٠٩٥، أي في اللقاء الديني الموسع في أحد أديرة بلدة كليرمونت الواقعة في جنوبي فرنسا حيث ألقى البابا أوربان الثاني (وكان فرنسيًا) خطاباً اعتبره المؤرخون إعلاناً للحروب الصليبية.

وقد عكس البابا بولس السادس هذه الروح في رسالة وجهها تحيةً أخوية إلى المسلمين أثناء زيارته القلنس وعمان، مروراً ببيروت، في كانون الثاني ١٩٦٤، حيث أكد على «احترام أولئك الذين يعتقدون الأديان التوحيدية، والذين يعبون معنا إلهاً حقيقياً واحداً».

لنحو جعل الحوار مؤسسة مستدامة وراسخة: أما الترجمة العملية الأولى لبيان الجمع الفاتيكاني الثاني فتمثلت في إنشاء الامانة العامة لشؤون الديانات غير المسيحية، والتي

وعثمان وعلي. يقول المعهد النبوي (السمّك) عن «بمجموعة الوثائق السياسية للمعهد النبوي والخلافة الراشدة»، جمعها محمد حميد الله، دار النفائس، بيروت، ط ٦، ١٩٨٧، ص ٥٦١): «وإن احتسى راهب أو سائح في جبل أو واد أو مغارة أو عمران أو سهل أو رمل أو ردة أو بيه، فأنا أكون من ورائهم ذائباً عنهم من كل عدة، لمم بنفسي وأعواني وأهل ملتي وأتباعي كأنهم رعيتي وأهل ذمتي، وأنا أعزل عنهم الأذى...». إلى ان يقول: «ولا ينبر أسقف من أسقفته... ولا سائح من سياحته... ولا يهدم بيت من بيوت كتائبهم... ولا يدخل شيء من مال كتائبهم في بناء مسجد ولا في منازل المسلمين. فمن فعل شيئاً من ذلك فقد نكث عهد الله وخالف رسوله...».

تواصل الحوار الإسلامي-المسيحي بعد ذلك في عهد متعدد، وخاصة في العهدين الأموي والعباسي، ولعل من أبرز معالمه الحوار الشهير، في القرن الثامن، بين الخليفة العباسي المهدي والبطريرك تيموثي الأول، كما تواصل في ظل أوضاع وظروف مختلفة، ولعل أبرزه الحوار الذي جرى أثناء حروب الفرغنة «الحملات الصليبية» في ١٢١٩ في مدينة دمياط بمصر، بين السلطان الأيوبي الملك الكامل والقديس فرنسيس، المتحدر من مدينة أسيزي في إيطاليا. وقد أطلقت منظمة سانت جيديو من هذه المدينة، وفي ذكرى القديس فرنسيس الأسيزي (مؤسس أخوية الفرنسييسكان) حركة جديدة للحوار بين الأديان في ١٩٨٦، برعاية ودعم البابا يوحنا بولس الثاني.

## الحوار في الوقت الراهن

الجمع الفاتيكاني الثاني: يشكل هذا الجمع (٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤-٢٨ تشرين الأول ١٩٦٥) الخطوة الأبرز في مسيرة الحوار الإسلامي-المسيحي. ذلك ان الجمع تحدث، في القسم الثالث من الوثيقة التي صدرت عنه، عن الإسلام بإيجابية وافتتاح مناقضاً بذلك ما ورد في رسالة البابا الأسبق يوس الثاني عشر في ١٩٥٧، والتي وصفت انتشار الإسلام في أفريقيا بأنه «خطر على الكنيسة»، كما وصفت الحضور الإسلامي العالمي بأنه حضور كارثي لا يقل خطراً عن الشيوعية (السمّك)، مرجع مذكور آنفاً، عن Histoire Universelle des missions Catholiques, Vol.3-4 Paris, 1958-1959, p. 176).

وقد جاء في دراسة أعدتها الأب جوزف كوك ولويس غارديه وقدم لها الكاردينال ماريللا المسؤول عن أمانة شؤون غير المسيحيين في الفاتيكان، ووضعت في

مساحة فراغ حوارية قلّصها مؤخر بسبوت ١٩٩٦: لمة أمر مهم بارز وهو ان الحوار يكاد يكون محصوراً مع الكنيسة الكاثوليكية. فالجسور الحوارية لم تمتد بعد بقدر مماثل مع الكنائس الأخرى، وخاصة مع الكنيسة الأرثوذكسية سواء في اسطنبول أو في موسكو، ومع الكنائس الإنجيلية في الولايات المتحدة. يقلل من حجم هذا الفراغ الحوارية الدور الذي يقوم به مجلس كنائس الشرق الأوسط (مقره في ليماسول، قبرص). فالجسور الذي يضم الكنائس الشرقية المتعددة، يحرص على إقامة جسور من الحوار والتفاهم مع المجتمعات الإسلامية في الاقطار العربية ثقافياً واجتماعياً وحتى سياسياً، ولعل من أبرز إنجازاته مؤتمر «مسلمون ومسيحيون معاً من أجل القدس»، الذي عقد في بيروت في ١٤-١٦ حزيران ١٩٩٦ بدعوة من مجلس كنائس الشرق الأوسط بالتعاون مع الفريق العربي للحوار المسيحي-الإسلامي؛ وهو المؤتمر الذي جمع، ربما لأول مرة، المرجعيات الدينية الإسلامية والمسيحية من دول عربية مختلفة تحت سقف واحد، وحول هدف واحد وموقف واحد عكسه البيان المشترك الذي صدر عن المؤتمر. جاء في مستهل البيان: «ملفوعين بعدابيات القدس، إنساناً وأرضاً مباركة، متضامنين مع لبنان الناهض من مخنته، أوفر قوة وأصلب وحدة، تلاحينا في بيروت، مرجعيات وقيادات روحية، إسلامية ومسيحية، من الوطن العربي، لنبلغ العالم، أدناه وأقصاه، شعوبه ودوله، صوتنا الواحد، صوت أبنائنا كل المؤمنين العرب، مسيحيين ومسلمين، نابعاً من تاريخنا الواحد، متوجهاً بنا إلى مستقبلنا الجماع».

ومما جاء في متنه: «مسألة القدس، عندنا، هي أم المسائل، فلسنا حياها فرقا، وليس بيننا من يريدنا على إسمه وحده. نحن مقلدون بالانتماء وبالحب، ولا يطعن لنا إيمان ما دامت القدس في الأسر. والقدس مسألة لا يجوز إرجاء الحديث عنها ولا تأجيله، فهي قبل كل قضية، وفوق كل قضية بيننا وبين الصهاينة الغاصبين لأرض فلسطين (...). إنه لا توجد سلطة في العالم تملك حق تهويد القدس أو تدويلها، أو نزع صفتها العربية الإسلامية-المسيحية عنها (...). وكل قرار من أية جهة، محلية أو دولية، يمس هذه الهوية باطل لا قيمة له، ولا مشروعية تستمد منه أو تُبنى عليه (...). إن السلام ثمرة العدل. لا يقوم سلام ولا يورم على ظلم وقهر. وأخشى ما نخشاه ان يجمع مصالح الدول فتفرض وضعا يحرم الشعب الفلسطيني من إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، ويجول

حدّد البابا مهمتها في رسالة كنسية جامعة وهي «إجراء الحوار مع كل المؤمنين لإرساء علاقات جديدة بين الكنيسة والديانات الأخرى، وعلى ضرورة التقارب بصفة خاصة مع المسلمين». ولقد دلّت هذه الرسالة، لأول مرة، على ان لمة مؤمنين بالله غير مسيحيين، وان لمة أديانا غير المسيحية، كما دلّت على توجه من رأس الكنيسة حتى قاعدتها على ضرورة الحوار والتقارب مع المسلمين. وفي السياق نفسه، وفي خطوة حوارية متقدمة، صدر عن البابا الحالي، (١٩٩٨) يوحنا بولس الثاني، بأن الخلاص ليس وفقاً على المسيحية وحدها، وان الخلاص يمكن ان يتحقق من خلال أديان أخرى مستنداً في ذلك على دراسة أعدتها مجموعة من علماء اللاهوت أمثال رانير، فون بالتزار، دي لوباك، ودانيال.

هذا الموقف الفاتيكاني فتح، منذ ١٩٦٤-١٩٦٥، بوابات الكنائس الأخرى على الإسلام، ولعل أهمها بوابة مجلس الكنائس العالمي (مقره في جنيف) الذي أنشأ في ١٩٧١ دائرة للحوار مع الأديان، وخاصة مع الإسلام. وكان المجلس قد أقيم أول مؤتمره في آذار ١٩٦٩ في كارتيغي Cartigny (قرب جنيف) خصص لموضوع الحوار بين الأديان على المستوى العالمي. وبعد عشر سنوات، في ١٩٧٩، صدرت عن المجلس وثيقة تضمنت المبادئ العامة للحوار مع أهل الأديان الحية حاولت إبراز القضايا الفقهية-اللاهوتية والقضايا العملية للحياة المشتركة بين المؤمنين بالاديان المختلفة. ومن هذه المبادئ (عدها ١٣)، جاء المبدأ السابع ليؤكد على ضرورة وأهمية مأسسة الحوار: «يتحتم متابعة الحوار من خلال قيام مؤسسات مشتركة في المجتمع»، والمبدأ الحادي عشر: «يتحتم التخطيط للحوار وتنفيذه بصورة جماعية عندما يكون ذلك ممكناً»، والمبدأ الثاني عشر: «يتطلب التخطيط للحوار وضع أسس عامة له، محلية وإقليمية».

وتصاهبت اللقاءات والمؤتمرات والندوات الإسلامية-المسيحية، وانعكست إيجاباً على موقف مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك الذي أصدر رسالة راعوية شدّد فيها على أهمية «التوات الحضاري المشترك»، وعلى «ان التوات العربي المسيحي هو الوجه المشرق لهذا الغنى الثقافي في الكنائس المسيحية المختلفة في ظل الحضارة العربية» (السماك: راجع: «البيانات المسيحية-الإسلامية المشتركة» من ١٩٥٤ إلى ١٩٩٢، معهد الدراسات الإسلامية-المسيحية، جامعة القديس يوسف، بيروت، ١٩٩٥).

دون الاتسحاب الكامل من الجنوب اللبناني وهضبة الجولان السورية (...). ندعو الكنائس كافة وهيئات العالم الإسلامي ومنظماته جميعاً، إلى ان يكون تقرير القدس شاغلها الشاغل...» (راجع مجمل البيان، وتختلف كلمات ومدخلات المؤتمر في صحف بيروت الصادرة في ايام المؤتمر وبعيده، ١٥ و١٦ و١٧ حزيران ١٩٩٦).

**الحوار الاسلامي-المسيحي على المستوى الاوروبي:** لقد مرّ هذا الحوار في الغرب بثلاث مراحل (بجمل ما يرد تحت هذا العنوان الفرعي، عن د. المولى، ص ١٤٨-١٥٤):

- المرحلة الاولى هي مرحلة التحدث عن الاسلام ويمثلها الاستشراق عموماً.

- المرحلة الثانية هي مرحلة التحدث إلى المسلمين ويمثلها التبشير عموماً.

- المرحلة الثالثة هي مرحلة التكلم مع المسلمين عن الاسلام وهي المرحلة الراهنة. وهذا الأمر ينطبق خصوصاً على أوروبا حيث ان المراكز الأوروبية اهتمت بالدراسات الاسلامية في سعيها لمواجهة مشكلات التكيف والاندماج الخاصة بالمهاجرين المسلمين. وقد سهّل هذا الأمر انطلاقة الحوار على المستوى الاوروبي عموماً، وأطلق عناوين حوارية أخرى مثل الحوار العربي-الاوروبي، وحوار ضفتي للتوسط وخصوصاً بعد حرب تشرين ١٩٧٣ وأزمة قطع النفط العربي عن الغرب.

ففي فرنسا، أسس مؤتمر أساقفة فرنسا الكاثوليك، منذ ١٩٧٣، الأمانة العامة للعلاقات مع الاسلام SRI، كما أسست الفدرالية الانجيلية في فرنسا لجنة باسم الكنيسة-الاسلام E.I. ويمكن اليوم تعداد أكثر من مجموعة محلية فرنسية تهتم بالحوار الاسلامي-المسيحي، أهمها: جمعية الاسلام والغرب، جمعية الحوار الاسلامي-المسيحي ADIC، مجمع الصداقة الاسلامية-المسيحية GAIC، الأخوية الابراهيمية، مجموعة الدراسات والأبحاث حول الاسلام في ستراسبورغ GERI، مجموعة الدراسات الاسلامية-المسيحية GRIC، وغيرها...

أما في هولندا، فقد ابتدأ الاهتمام بالموضوع منذ منتصف السبعينات ايضاً، وذلك مع تدفق الهجرة الاسلامية وبعد أزمة النفط... إلا ان الكنائس الهولندية لم تستطع تحويل هذا الاهتمام إلى مشروع عمل حتى ايار ١٩٨٦، فتم إنشاء هيئة استشارية رسمية تضم ١١ مندوباً عن الكنائس المسيحية الهولندية و١١ عن الجمعيات والمساجد

الاسلامية.

أما في السويد والنرويج والدانمارك، فإن الاهتمام الرسمي والكنسي بالحوار مع الاسلام لم يبدأ إلا بعد قضية سلمان رشدي (راجع «ايران»، ج ٤) وتصاعد الحملة ضد الاسلام و«الارهاب الاسلامي» منذ منتصف الثمانينات.

وتقدم بريطانيا نموذجاً خاصاً نظراً للوجود الكثيف للأسيريين غير المسلمين (هندوس، سيخ، بوذييين، الخ...). ففي ١٩٧٧، أسس مجلس الكنائس البريطاني لجنة للحوار والعلاقات مع بقية الأديان، وقد نشرت هذه اللجنة، في ١٩٨١، خطوطاً عريضة أو توجهات للحوار والعلاقات مع أتباع الديانات الكبرى. وفي ١٩٨٤، أسست الكنيسة الكاثوليكية في بريطانيا لجنة حوار خاصة بها، كما تمث هيئات وجمعيات محلية كثيرة خصوصاً في المدن الكبرى، وذلك نظراً لتصاعد أزمة الهوية والانتماء والاندماج في المجتمع البريطاني (كما في الغرب عموماً)، وقد انضمت مؤخراً حوالي ٦٠ جمعية وهيئة إلى اللجنة المشتركة للحوار بين الأديان Interfaith Network أبرزها مجلس مساحد المملكة المتحدة وإيرلندا، والمركز الثقافي الاسلامي في لندن، ومجلس المساجد والأئمة، والرابطة العالمية لأهل البيت، ومعهد سليلي أوك للحوار الاسلامي-المسيحي، والمؤسسة الاسلامية في ليمستر...

وفي نفس الاطار الاوروبي القلق من تزايد مشكلات الهجرة العربية الاسلامية دعت أمانة السر الفاتيكانية إلى لقاء اوروبي عُقد في النمسا ١٩٧٦ لبحث وضع المسلمين المهاجرين إلى أوروبا. وفي شباط ١٩٧٨، انعقد في سالزبورغ المؤتمر الاستشاري الاول لمجلس الكنائس الأوروبية CEC ويبحث موضوع المسلمين في أوروبا وموقف الكنيسة. وقد حضر المؤتمر ممثل ١٢٠ كنيسة غير كاثوليكية.

وفي ١٩٧٩، أسس المجلس المذكور هيئة استشارية حول الاسلام في أوروبا. وفي ١٩٨٦، تشكلت هيئة مشتركة بين الفدرالية الأوروبية للمؤتمرات الأسقفية الكاثوليكية CCEE ومجلس الكنائس الاوروبي CEC وذلك على أسس ١٠ أعضاء من الفدرالية و١٤ عضواً من المجلس، مع وجود عضوين مراقبين من المجلس البابوي للحوار بين الأديان ومن وحدة الحوار في مجلس الكنائس العالمي. وحملت هذه الهيئة المشتركة إسم «لجنة الاسلام في أوروبا»، وهي أصدرت في ١٩٩١ تقريرها بعنوان «الحضور الاسلامي في أوروبا والإعداد اللاهوتي للأساقفة والكهنة».

وإلى جانب الاهتمام الرسمي بالحوار الإسلامي - المسيحي، برز في أوروبا اهتمام أهلي وشعبي ناجم عن ضغوطات وتقييدات ظروف العمال المسلمين المهاجرين في تلك البلدان. وقد توزع الاهتمام الأهلي ما بين مؤسسات خاصة ومراكز دينية، وهذه أبرزها:

- مؤسسة جوفاني سيني (البنديقية، إيطاليا)، وأبرز أعمالها مؤتمر الإسلام والحضارة الغربية، في أيلول ١٩٥٥.
- مؤسسة أديناور (بون، ألمانيا)، وأبرز أعمالها مؤتمر بون حول الدين والثقافة والحقوق السياسية، آذار ١٩٨١ ومؤتمر ياوندي (في الكاميرون) حول التنمية والتعاون بين الشعوب، في شباط ١٩٨٣ ومؤتمر مراكش حول التربية والقيم الدينية، في أيار ١٩٨٥، إضافة إلى مشاركتها في دعم مؤتمرات أخرى حول العالم.
- معهد روبرت شومان لأوروبا IRSG، أبرز أعماله مؤتمر حقوق الإنسان والأديان في آذار ١٩٨٤.
- مؤسسة جوفاني أنيلي (تورينو، إيطاليا)، أبرز أعماله مؤتمر «المسلمون الأوروبيون»، أيار ١٩٨٩.
- مركز الجبل العالي Haut Mont (موفو، فرنسا)، ينظم مؤتمراً دورياً خلال شهر آذار من كل عام بدءاً من ١٩٨٢.
- مركز العيون Les Fontaines الثقافي (شانتيلي، فرنسا)، ينظم مؤتمراً دورياً كل سنتين بدءاً من ١٩٨٠، وبالتعاون أحياناً مع جمعية الكتاب الفرنكوفونيين الناشطة في مجال الحوار.
- نادي باليرمو الثقافي المتوسطي (صقلية، إيطاليا)، ينظم مؤتمرات دورية أبرزها: في تشرين الأول ١٩٨٤ (الله، الإنسان، الطبيعة)، في تشرين الأول ١٩٨٥ (الإنسان ومصيره)، في تشرين الثاني ١٩٨٦ (العلم والتقدم والدين)، في تشرين الثاني ١٩٨٧ (العمل والتأمل بالمنظور الإسلامي والمسيحي).
- معهد حوار الحضارات، أسسه المفكر الفرنسي روجيه غارودي في ١٩٨٧ بعقد مؤتمر حول الإيمان الإبراهيمي.
- الجمعية الفرنسية للحوار الإسلامي-المسيحي ADIC، وقد أسسها الأب ميشال لولون ورأسها الدبلوماسي المصري عادل عامر، وبعد وفاته رأسها الدكتور علي السمّان، ونظمت مؤتمرات باريس ١٩٨٥، ١٩٨٧، ١٩٨٩، وستراسبورغ في كانون الأول ١٩٩٠، وروان في ١٩٩٢.
- الحركة الإيطالية «شركة وتحريير»

وأيضاً:

- مؤتمر العالمي للأديان من أجل السلام WCRP، ونظم مؤتمر كيوتو ١٩٧٠ (اليابان)، ولرفان ١٩٧٤ (بلجيكا)، وبرنستون ١٩٧٩ (أمريكا)، ونايروي ١٩٨٤ (كينيا)، وباريس ١٩٨٥، وإيطاليا ١٩٨٧، وميلبورن ١٩٨٩ (أستراليا)، ونيويورك ١٩٩١، وطوكيو ١٩٩٢.
- مركز دراسة الإسلام والعلاقات الإسلامية-المسيحية، كلية سللي أوك، جامعة برمنغهام (بريطانيا). ونشأ هذا المركز بتمويل من عائلة كادبري قرب معامل الشوكولا الشهيرة حيث إن العائلة أوت رايها حمل معه وثائق عربية وسريانية. وبدأ المركز عمله كمركز للدراسة الوثائق والمخطوطات العربية والسريانية، وتحوّل إلى مؤسسة للتدريس تابعة لجامعة برمنغهام. وفي أيار ١٩٧٥، انعقد أول مؤتمر تشاروري، حضره ١٢٠ مندوباً من ١٨ بلداً، للبحث في إنشاء معهد للدراس الإسلامية-المسيحية. وهو ينسق مع الكنائس البريطانية والأوروبية ومع المنظمات الإسلامية أيضاً. ويصدر نشرة إخبارية، ومجلة نصف سنوية (منذ ١٩٩٠) ويعقد مؤتمرات ودورات صيفية.
- وأهم للمؤسسات الدينية الأوروبية المعنية بالحوار: - أمانة السر الفرنسية للعلاقات مع المسلمين SRI، وهي تنظم مؤتمرات دورية منذ ١٩٧٦ بالتعاون مع مركز «العيون» Les Fontaines في شانتيلي ومركز «النبع» La Source في الرباط.
- الجمعية الإسبانية للصدقة الإسلامية-المسيحية، منبثقة عن الكنيسة الإسبانية وبلدية قرطبة حيث تنظم مؤتمرات دورية.
- معهد الآداب والفنون العربية IBLA، في تونس، وهو تابع للدراسات الفرنسية في شمالي أفريقيا (الآباء البيض الأفارقة) وله نشاط ودور كبير بالتعاون مع الجامعة التونسية ومتقنين من المغرب والجزائر، وهو يعمل وسط المغاربة في أوروبا.
- المعهد اليابوي للدراسات العربية والإسلامية

وإلى جانب الاهتمام الرسمي بالحوار الإسلامي - المسيحي، برز في أوروبا اهتمام أهلي وشعبي ناجم عن ضغوطات وتقييدات ظروف العمال المسلمين المهاجرين في تلك البلدان. وقد توزع الاهتمام الأهلي ما بين مؤسسات خاصة ومراكز دينية، وهذه أبرزها:

- مؤسسة جوفاني سيني (البنديقية، إيطاليا)، وأبرز أعمالها مؤتمر الإسلام والحضارة الغربية، في أيلول ١٩٥٥.
- مؤسسة أديناور (بون، ألمانيا)، وأبرز أعمالها مؤتمر بون حول الدين والثقافة والحقوق السياسية، آذار ١٩٨١ ومؤتمر ياوندي (في الكاميرون) حول التنمية والتعاون بين الشعوب، في شباط ١٩٨٣ ومؤتمر مراكش حول التربية والقيم الدينية، في أيار ١٩٨٥، إضافة إلى مشاركتها في دعم مؤتمرات أخرى حول العالم.
- معهد روبرت شومان لأوروبا IRSG، أبرز أعماله مؤتمر حقوق الإنسان والأديان في آذار ١٩٨٤.
- مؤسسة جوفاني أنيلي (تورينو، إيطاليا)، أبرز أعماله مؤتمر «المسلمون الأوروبيون»، أيار ١٩٨٩.
- مركز الجبل العالي Haut Mont (موفو، فرنسا)، ينظم مؤتمراً دورياً خلال شهر آذار من كل عام بدءاً من ١٩٨٢.
- مركز العيون Les Fontaines الثقافي (شانتيلي، فرنسا)، ينظم مؤتمراً دورياً كل سنتين بدءاً من ١٩٨٠، وبالتعاون أحياناً مع جمعية الكتاب الفرنكوفونيين الناشطة في مجال الحوار.
- نادي باليرمو الثقافي المتوسطي (صقلية، إيطاليا)، ينظم مؤتمرات دورية أبرزها: في تشرين الأول ١٩٨٤ (الله، الإنسان، الطبيعة)، في تشرين الأول ١٩٨٥ (الإنسان ومصيره)، في تشرين الثاني ١٩٨٦ (العلم والتقدم والدين)، في تشرين الثاني ١٩٨٧ (العمل والتأمل بالمنظور الإسلامي والمسيحي).
- معهد حوار الحضارات، أسسه المفكر الفرنسي روجيه غارودي في ١٩٨٧ بعقد مؤتمر حول الإيمان الإبراهيمي.
- الجمعية الفرنسية للحوار الإسلامي-المسيحي ADIC، وقد أسسها الأب ميشال لولون ورأسها الدبلوماسي المصري عادل عامر، وبعد وفاته رأسها الدكتور علي السمّان، ونظمت مؤتمرات باريس ١٩٨٥، ١٩٨٧، ١٩٨٩، وستراسبورغ في كانون الأول ١٩٩٠، وروان في ١٩٩٢.
- الحركة الإيطالية «شركة وتحريير»



الكاردينال فرنسيس اريزبي والشيخ فوزي فاضل الزفراف يوقعان الاتفاق بين اللاتيكان والأزهر (٢٨ ايار ١٩٩٨)

مؤتمرات دورية منذ ١٩٨٤. - كلية اللاهوت في جامعة القديس جبرائيل (مودنخ، النمسا)، وتنفظم مؤتمرات أبرزها في ١٩٧٥ و ١٩٧٧ حول الله في الإسلام والمسيحية. - برنامج وستمنستر (بريطانيا) للتلاقي الديني، نظم سلسلة لقاءات، في ١٩٨٥، برعاية الكنيسة البريطانية. - الجمعية الدينية الدولية (روما)، نظمت مؤتمر ٣-٦ ايلول ١٩٨٤ حول حرية الدين والعقيدة. والجددير ذكره ان بعض الحكومات الأوروبية نظمت هي ايضاً مؤتمرات حوار في الفترة الأخيرة أبرزها مؤتمر أوسلو (النرويج) في ١٩٩٠، ومؤتمر فيينا (النمسا) في ١٩٩٣، ومؤتمر استوكهولم (السويد) في ١٩٩٥، وكذلك في الدانمارك في ١٩٩٦.

اتفاق تاريخي بين اللاتيكان والأزهر: في ٢٨ ايار ١٩٩٨، أُلّف الفاتيكان والأزهر، للمرة الأولى في التاريخ، لجنة مختلطة إسلامية-مسيحية لمحاربة التعصب الديني والارهاب. ووقع الاتفاق في الفاتيكان الكاردينال النيجيري فرنسيس أريزبي ورئيس المجلس الأسقفي للحوار بين الأديان والشيخ فوزي فاضل الزفراف رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية في الأزهر، وجاء تنويهاً لمفاوضات استغرقت أربع سنوات.

وتعهد الطرفان بموجب هذا الاتفاق أن «يكافحا معاً التعصب الديني باعتباره تعبيراً لرفض الآخر ومصدراً للحقد والعنف والارهاب... والسهر على أن تلعب الأديان دورها في المجتمعات الانسانية لإرساء الأخوة والتضامن

PISAI وهو أبرز مؤسسات الحوار قاطبة. يصدر نشرة شهرية Encounter منذ ١٩٧٤، ومجلة فصلية، دراسات عربية، منذ ١٩٦١ ومجلة سنوية، Islamo-Christiana منذ ١٩٧٥.

- معهد دراسات الأديان، جامعة أمستردام الحرة (هولندا)، يصدر، منذ ١٩٧٦، نشرة بيولوجرافية توثيقية عن حوار الأديان وقضاياها.

- مركز الدراسات والتوثيق الإسلامي-المسيحي في فرانكفورت (المانيا) ويصدر نشرة دورية منذ ١٩٧٨.

مجلس الكنائس البريطاني، قسم الحوار بين الأديان (لندن)، يصدر مجلة فصلية منذ ١٩٨٦.

- مركز التحقيق الاسباني-العربي (مدريد) يصدر نشرة شهرية منذ ١٩٧٢.

- جماعة سانت إتيديو، وهي أبرز المجموعات

الدينية الأوروبية ومركزها روما. وقد تأسست في ١٩٨٥ باسم جمعية الايمان والبشر، والتقت في أحد أحياء روما

الشعبية في كنيسة سانت إتيديو التي أصبحت مركزها. أطلقت على الحوار منذ «يوم الصلاة من أجل السلام» التي

دعا له البابا بولس السادس واتفقت في مدينة أسيزي (الايطالية، وبلدة القديس فرنسيس الأسيزي) في تشرين

الاول ١٩٨٦، وحضره رجال دين من شتى الأديان في العالم، وأخذت هذه الجماعة يعقد المؤتمرات للحوار الديني؛

روما ١٩٨٧، أسيزي ١٩٨٨، وارسو ١٩٨٩، لوفسان (بلجيكا) ١٩٩٠، مالطا ١٩٩١، بروكسيل ١٩٩٢،

ميلانو ١٩٩٣، أسيزي ١٩٩٤ و ١٩٩٥ و ١٩٩٦.

- معهد تولوز (فرنسا) الكاثوليكي، ينظم

والتعاون والعدل والسلام، وحل المشاكل المتصلة بتحرير البشرية جمعاء».

وعلى رأس مهمات اللجنة المختلطة التي ستجتمع سنويًا في القاهرة وروما مسدورة «البحث عن القيم المشتركة، وتشجيع العدل والسلام واحترام الأديان، وتبادل المواضيع ذات الاهتمام المشترك مثل الدفاع عن كرامة الانسان وحقوقه، وتشجيع المعرفة والاحترام المتبادلين بين الكاثوليك والمسلمين عبر تبادل المعلومات اللازمة».

وبعد توقيع الاتفاق، استقبل البابا وفد الأزهر ومما قاله: «إن اللجنة المشتركة الجديدة للحوار أمامها الكثير من العمل. وأنا على ثقة بأنه إذا أعطى أعضاؤها أفضل ما عندهم بإخلاص وصدق فإننا ستمكّن من تحقيق ما نشده من أهداف».

التجاوب الإسلامي: يبرز، من خلال معالم المسيرة الحوارية (من الجمع الفاتيكاني الثاني ١٩٦٤- ١٩٦٥ إلى اليوم) ان الموقف الإسلامي لم يرتق بعد إلى مستوى المبادرة ذات العمق والرخم الذي عرفته، وتعرفه، المبادرات المسيحية. صحيح ان الموقف الإسلامي انتقل من التحفظ إلى التجاوب، إلا انه يحتاج إلى مزيد من الانفتاح، وإلى المزيد من الإعداد، وإلى المزيد من مراجعة بعض المفاهيم والنظريات حتى ينتقل إلى المرحلة الأهم وهي مرحلة المبادرة. وقد تجسّد التجاوب الإسلامي الحوارية ومبادراته الأولية، إلى الآن، بالخطوات التالية:

١- زيارة الكاردينال فاكينغ، في آذار ١٩٦٥، للقاهرة حيث كان أول مسيحي يلقي محاضرة من على منبر جامع الأزهر.

٢- خلال ثلاث سنوات (من حزيران ١٩٧٢ إلى نيسان ١٩٧٥) عاشت أندونيسيا على وقع مؤتمرات الحوار بين الاسلام والمسيحية والبوذية التي بلغ عددها الخمسة عشر لقاء. ولا نجد اليوم تقويمًا رسميًا لهذه المؤتمرات: كيف ولماذا بدأت؟ وكيف ولماذا توقفت؟ وما هي حصيلتها؟ أسئلة بقيت دون إجابة رغم ان عناوين المؤتمرات ونوعية الحضور أوحى بالأهمية والخطورة. ولعل الفكرة بدأت مع تعيين الدكتور مكّي علي وزيرًا للشؤون الدينية في فترة حرجة كان فيها المسلمون ما زالوا يعاطفون مع الرئيس أحمد سوكارنو ويعارضون خلفه الجنرال سوهارتو نظرًا إلى ارتباط الأول بعبد الناصر والثورة العربية وارتباط الثاني بأمريكا والغرب. كما ان الثورة الإسلامية في شبه-سومطره بقيادة تكرر حسن دي تيرو كانت على أشدها. وفي الوقت نفسه، كان عمل الارشالات التبشيرية قد بدأ يخلق الاضطرابات في البلاد. كل ما نعرفه أن

أول لقاء جرى في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٧١ حين زار الوزير مكّي علي مقر انعقاد اجتماع الاساقفة الكاثوليك لجنوب شرقي آسيا وتجاوز معهم حول «حوار الأديان». تلا ذلك عقد أول مؤتمر في المعهد النولي للشؤون الاسلامية في جاكارتا (٢٧-٢٨ حزيران ١٩٧٢) بعنوان «الدين عامل إنساني». وكرت سبحة اللقاءات بمعدل ٤ أو ٥ في السنة بعد ان شكلت وزارة الشؤون الدينية لجنة خاصة للحوار تولت هي تنظيم للمؤتمرات. وكل شيء توقف بعد آخر مؤتمر انعقد في جاكارتا في نيسان ١٩٧٥، وكان عنوانه «هل نتابع الحوار؟».

٣- في ١٩٧٦، قام الكاردينال بينيولي، أمين سر الأمانة العامة لشؤون الديانات غير المسيحية في الفاتيكان، بزيارة المملكة العربية السعودية حيث قابل خادم الحرمين الشريفين للملك فهد بن عبد العزيز (وكان وقتها رئيسًا للعهد)، وردًا على هذه الزيارة قام وفد سعودي في تشرين الاول من العام نفسه، بزيارة للفاتيكان لمواصلة الحوار الاسلامي-المسيحي الذي بدأه الكاردينال بينيولي. وفي نيسان ١٩٧٨، زار الكاردينال، رسميًا، جامع الأزهر.

٤- في ايلول ١٩٧٤، نظم لقاء إسلامي-مسيحي في تونس حول مشكلات التطور المعاصر.

٥- في شباط ١٩٧٦، صدرت وثيقة طرابلس (ليبيا) إثر ندوة إسلامية-مسيحية بين جمعية الدعوة العالمية والفاتيكان حول الأسس والمبادئ العامة للتفاهم بين الاسلام والمسيحية. وحضر الندوة حوالي ٥٠٠ شخص من ٥٥ بلدًا أبرزهم كان الشيخ صبحي الصالح والمطران جورج خضر والدكتور اسماعيل الفاروقي والأب موريس بورمانس. وإلى هذه الندوة (المؤتمر) وجّه الشيخ محمد مهدي شمس الدين رسالة أصبحت وثيقة تاريخية. وقد أراد العقيد القذافي المؤتمر برلمانًا سياسيًا لعرض أفكاره. ونشب خلاف في آخر يوم حول فقرات من البيان الختامي تناول الموقف من الكيان الصهيوني والقضية الفلسطينية.

٦- في آب ١٩٨٥، استقبل الملك الحسن الثاني، عاهل المغرب (الذي يتمتع بلقب أمير المؤمنين باعتباره من أهل البيت) البابا يوحنا بولس الثاني الذي قام بزيارة رسمية للمغرب (المسيحيون في المغرب أقل من واحد بالمئة) وألقى خطابًا في إحدى ساحات مدينة الدار البيضاء.

٧- في الولايات المتحدة الاميركية، فقد الإسلام، باستشهاد الدكتور اسماعيل الفاروقي وزوجته الدكتورة لمياء حين جرى قتلهاما بوحشية في منزلها بفيلا دلفيا ليل ٢٤ ايار ١٩٨٦، علمًا فكريًا وركنًا عسارًا. وكان الدكتور اسماعيل قد تميز بنظريته حول الحوار الثلاثي

وندوات ومؤتمرات أبرزها المؤتمر العالمي الإسلامي-  
 للمسيحي حول القدس (أيار ١٩٩٦، القاهرة).  
 ١١- الأكاديمية الملكية للحضارة الإسلامية،  
 مؤسسة آل البيت-الأردن، ورئيسها هو الأمير حسن بن  
 طلال، وهي نظمت عدة ملتقيات:  
 - لقاء قصر وندسور بالتنسيق مع الكنيسة  
 الأنغليكانية البريطانية، ١٥-١٨ تشرين الثاني ١٩٨٤  
 وحضره ٣٥ شخصاً منهم الكاردينال كونغ والكاردينال  
 آرينزي وحاضرات يهود من بريطانيا.  
 - لقاء عمان، ٢٨-٣٠ أيلول ١٩٨٥، بحضور  
 الكاردينال آرينزي من روما ومشاركة ٤٠ شخصاً (القيم  
 المشتركة حول الأسرة).  
 - لقاء شاميزي، ١٧-١٩ تشرين الثاني ١٩٨٦  
 بالتنسيق مع الكنيسة الأرثوذكسية: المطران جورج خضر،  
 الدكتور أحمد صلقي الدجاني، المتروبوليت دامسكينوس  
 (السلطة في المسيحية والإسلام).  
 - لقاء قصر وندسور بالتنسيق مع الكنيسة  
 الأنغليكانية، ٢٩-٣١ أيار ١٩٨٧، بمشاركة ٣ يهود  
 بريطانيين (الأخلاقيات وإدارة الأعمال).  
 - لقاء عمان، ٢١ تشرين الثاني ١٩٨٧، بالتنسيق  
 مع الكنيسة الأرثوذكسية (التعايش والقيم المشتركة).  
 - لقاء معان، ١٧-١٨ أيلول ١٩٨٨، مع  
 الأنغليكانية (ممارسة البتوك).  
 - لقاء شاميزي، ١٢-١٥ كانون الأول  
 ١٩٨٨، مع الأرثوذكسية (السلام والعدالة).  
 - لقاء استنبول، ١١-١٣ أيلول ١٩٨٩، مع  
 الأرثوذكسية (التعددية الدينية).  
 - لقاء وندسور، ٨-١٠ كانون الأول ١٩٨٩،  
 مع الأنغليكانية (الأخلاقيات وإدارة الأعمال).  
 - لقاءات مشتركة مع منتدى الفكر العربي  
 (رئيسه أيضاً الأمير حسن) ومركز الأهرام للدراسات  
 السياسية والاستراتيجية.  
 - وفي ١٩٩٤، تأسس في الأردن «المعهد الملكي  
 لدراسات حوار الأديان» Royal Institute for Inter  
 Faith Studies، برعاية الأمير حسن بن طلال وإدارة  
 الدكتور كمال الصليبي.  
 مناقشة: «حوار على إيقاعين»: تحت العنوان  
 الفرعي «ماذا بعد؟»، كتب الدكتور سعود المولى (عضو  
 فريق العمل العربي للحوار الإسلامي-المسيحي، ومؤلف  
 «الحوار الإسلامي-المسيحي، ضرورة المغامرة»، المرجع

Triologue بين الأديان الإبراهيمية، وقد وضع لذلك  
 منهجاً وكتب دراسات، وأسس مجموعة الدراسات  
 الإسلامية في أكاديمية الأديان الأميركية، وكان نائباً أول  
 لرئيس جمع السلام بين الأديان الذي تحول في ١٩٧٤ إلى  
 المؤتمر الإسلامي اليهودي المسيحي MJCC. وهذا المؤتمر-  
 والجمع قبله-تأسس بفضل جهود المونسنيور الكاثوليكي  
 الدكتور جوزف غريمليون (مدير قسم العدالة والسلام في  
 الفاتيكان)، وهو عقد أول مؤتمراته في بيلاجير (١٩٧٥)  
 والثاني في ليشبونة (١٩٧٧) والثالث والأخير في ١٩٧٩.  
 ومن هذا البحر الحواري ولدت مركز التفاهم  
 الإسلامي-المسيحي في جامعة جورجنتاون بواشنطن،  
 ومديره الدكتور جون أسبروتو، تلميذ الدكتور اسماعيل  
 الفاروقي، وحاتة في الشؤون الإسلامية وشؤون الحوار بين  
 الأديان. وهو يرى، كما أساتذته الفاروقي، أن الحوار في  
 أميركا لا يستطيع إلا أن يكون ثلاثياً نظراً إلى حساسية  
 المسألة اليهودية، ونظراً إلى قوة الوجود اليهودي في الثقافة  
 الأميركية وفي الحياة السياسية والاقتصادية والإعلامية  
 للبلاد، ناهيك عن المطلقات الدينية المبدئية في الحوار بين  
 جميع البشر والحضارات والثقافات.  
 ٨- اللجنة الوطنية للحوار الإسلامي-المسيحي في  
 لبنان. وهي انطلقت بمبادرة من الامام الشيخ مهدي شمس  
 الدين رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، حين أسس  
 الهيئة الإسلامية اللبنانية للحوار. وقد التقت هذه المبادرات  
 مع الأعمال التحضيرية للسندوس من أجل لبنان، فكانت  
 ولادة اللجنة الوطنية في ٢ آب ١٩٩٣ وإذاعة برنامج  
 عملها في ٥ كانون الثاني ١٩٩٥.  
 ٩- هيئة الحوار بين الأديان في السودان، وهي  
 ولدت إثر انعقاد مؤتمرين عالميين كبيرين للحوار (١٩٩٢-  
 ١٩٩٤) بدعوة من جمعية التنمية والسلام وجمعية الصداقة  
 الشعبية السودانية وبمشاركة عدد كبير من المفكرين ورجال  
 الدين العاملين في قضايا الحوار والعدالة والسلام والذي ناف  
 عددهم على الـ ٥٠٠ (في المؤتمر الثاني). وقد وضعت الهيئة  
 برنامجاً وميثاقاً وانتخبت هيئة إدارية لها وهي تقوم بنشاط  
 مميز على المستوى المحلي والعربي.  
 ١٠- فريق العمل العربي للحوار الإسلامي-  
 المسيحي، وهو تشكل بمبادرة من الهيئة الإسلامية اللبنانية  
 للحوار (سعود المولى، محمد السمّك) وبالتنسيق مع مجلس  
 كنائس الشرق الأوسط (غريال حبيب، جورج ناصيف،  
 رياض جرجور، طارق مزي) ومع هيئة مصفّرة في القاهرة  
 (محمد سليم العوا، طارق البشري) وعقدت عدة لقاءات

المذكور في مطلع هذا الباب، ص ١٧٧-١٧٩):

منذ مطلع هذا القرن والحوار الإسلامي-المسيحي هو دائماً مبادرة مسيحية، المسلمون فيها ضيوف كرام، يتشارهم أصحاب الدعوة باعتبار توقع تعاونهم وتفاهمهم... وكان الضيوف يشعرون دائماً بأنهم ضيوف ويعرفون بأن المسلمين لم يتناروهم، كما انهم هم أيضاً لم يعينوا أنفسهم أصلاً لهذه المهمة. أضف إلى ذلك أنهم كانوا يتفرون في كل لقاء فلا يحضر نفس الشخص أكثر من لقاء أو اثنين ما يعني انعدام إمكانية الحوار الصادق الحي الموضوعي، فتأخذ المسألة طابع المشاركة المهرجانية. وبما ان هؤلاء المسلمين كانوا في الغالب من غير المختصين في هكذا موضوع، ومن غير المتفرغين له أصلاً، وبما انه لا يوجد مركز اسلامي واحد للدراسة المسيحية والعلاقات الإسلامية-المسيحية فإن هؤلاء المسلمين لم يملكوا إمكانية مراكمة المعارف والخبرات ودراسة وتحليل النشاطات واتخاذ القرارات وصياغة الإشكاليات. وترافق ذلك مع غياب أي معرفة إسلامية معاصرة عن المسيحية وكنائسها وشيخها، وعن اللاهوت وتياراته، وعن البيئات المسيحية المتنوعة، وعن فاعلية وقدرات الكنائس.

وكان الغرب وما يزال هو الذي يطرح الموضوعات ويضع جدول أعمال المؤتمرات وعناوين وأولويات الحوار. ولقد تجدد الحوار في العالم العربي في السنوات الماضية بسبب ما أصاب العلاقات الإسلامية المسيحية من اضطراب وتشويش ومن تصوير لها بصورة العداوة والسلبية. وقد استخدمت القوى الحاكمة والمحكومة، السلطات والمعارضات، ورقة الدين والخلاف الديني لترسيخ موقعها في الشارع.

وإذا كان من كلمة تقال في هذا المجال فهي ان المسلمين الحركيين لم يشعروا بظنورة ترسيخ الفرقة بين أهل الأديان، بل انغمسوا في هذا الأمر بحسابات تكتيكية انتهازية ضيقة الأفق تقوم على أساس تحريك الشارع والسيطرة عليه دون النظر إلى عواقب الأمور على الوحدة الوطنية وعلى الشخصية السياسية والثقافية للمواطن والمجتمع وعلى الدين نفسه... لقد تم استخدام الدين برفاحة وبغيا على مستوى الأنظمة كما على مستوى الجماعات وأنتج هذا الأمر ما نراه اليوم من أوضاع شاذة في عدد من البلدان.

أما الحوار، فقد انطلق من خارج الأنظمة والجماعات الإسلامية على السواء، وهو قام بين المهتمين بتطوير الحياة وإعمار الدنيا ذلك ان حط الانفلاق والتطرف والعنف هو الوجه الآخر لحط الاضمحلال والفساد الذي تروج له الأنظمة. أما حط حفظ الحياة وتطويرها، فهو الحط العامل على وقاية

العلاقات وروابط العيش المشترك وأشكال التضامن الاجتماعي وأقنية التواصل بين الناس.

إذا نظرنا إلى المستقبل القريب في عالمنا العربي والإسلامي فإننا نرى ان هذا العالم يسير باتجاه القبول بالعددية الدينية وباتجاه البحث عن سبل حفظ هذا التنوع وحفظ العيش المشترك وتطوير الصيغة السياسية الملائمة له. إن هذا السير الحتمي باتجاه المستقبل التعددي التعايشي يحنم علينا ان نبدأ منذ الآن في تكب طريق الحوار وخوض غماره. فلقد انتهى عهد الحروب والصراعات بين الأديان، وانتهى عهد المجادلات البيزنطية والالتهامات التكفيرية. وينبغي بداية تصفية العقول والقلوب من الأحكام المسبقة والافكار الخاطئة والسائدة بين ظهرانيها، وذلك من أجل التفكير المبدع في الإشكاليات والأسئلة الحقيقية. وأول ما ينبغي القيام به هو تصفية الحوار من الاتهامات والتغلب على روح التعصب والمجادلة الجاهلة، وتقويم ما تم إنجازه حتى الآن، ونقد الأخطاء ورؤية أسبابها والبحث عن أسباب تعثر الحوار وعدم الوصول حتى الآن إلى نتائج مرضية. وهذا يعني انه علينا ان نرسم توجهاً حوارياً هادفاً يقوم على إيقاعين (مقولة للصديق الدكتور طارق مزي):

١- إيقاع بطيء، قوامه عمل فكري هادئ يدرس المشكلات ويوسّع المساحات المشتركة ويضيّق مجالات البحث ويميّن بدقة مجالات التعاون والتعايش.

٢- إيقاع سريع قوامه التصدي المشترك لما يصيب العلاقات من اضطراب ويأخذ مواقف مشتركة تلجم التعصب والتطرف وتكبح جنوح الغلاة من الطرفين.

إن بناء الحوار والعيش الواحد على قاعدة المعرفة والتضامن هو الضمانة الوحيدة للنجاح؛ معرفة الآخر واحترامه واحترام عقيدته وفكره وإنسانيته وحقوقه، والتضامن في شراكة الحياة والمصير. من هنا الدور المركزي والكبير للمسيحية العربية وبالشراكة مع المسلمين، في إطلاق هذا الحوار على أسس جديدة دون المرور عبر الوسيط الغربي. وهذا يقتضي من المسلمين إعادة وصل ما انقطع في ذاكرتهم وتاريخهم ووعيمهم، وإعادة التأسيس المعرفية للحوار كأصل ومبدأ، كقيمة إنسانية ثابتة، وللتعايش ضمن التنوع والاختلاف كسنة إلهية... إن هذا يعني ضرورة الإنطلاق من الدين وليس من التاريخ السياسي أو القانوني للعلاقات الإسلامية المسيحية ضمن إطار منطق الدولة ونظامها... «إن جعل الدين منطلقاً للحوار لا مرضعاً له» (حسب ما يقول الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين) هو الكفيل بتجاوز العقبات وتحقيق الآمال.



## العالم الثالث

### إحالة

شملت هذه المادة، «العالم الثالث»، ٥٨ صفحة من الجزء الثاني من الموسوعة (ص ٣١-٨٩)، ولكنها وردت تحت إسم «آسيا... العالم الثالث»، وتناولت النقاط التالية:

- التعبير، «العالم الثالث»، ومحاولات تعريبه، وتصنيفه، والخصائص المشتركة لدوله، وما آل إليه نتيجة للظهورات الكبرى في السنوات الأخيرة.

- موضوعات عابرة، وتناولت:

\* حوار الشمال-الجنوب.

\* الأريك (تاريخ، إنجازات، مناقشة).

\* مستقبل «الجنوب» ودور الأمم المتحدة.

\* قوات حفظ السلام الدولية.

\* العالم الثالث بين معاري حقوق الانسان (الشرعة،

مفوض سام لحقوق الانسان، منظمة العفو الدولية، «حزب

فولتيري»-التقارير الأخيرة لمنظمة العفو الدولية-المؤتمر الدولي

الثاني وأجزاء-مناقشة).

\* التنمية البشرية.

\* خريطة الأمية والمعارف.

\* خريطة العلم والعلميين (اليابان واسرائيل في المقدم،

الاشياء والقراء، برامج التعاون العلمي، الاوضاع العربية).

\* من الديمغرافيا في العالم الثالث.

\* مؤتمر أكاديمي عالمي (ثورات سكانية، العلم عاجز،

تجذير الارض، تركيب السكان، حدود العلم وإمكاناته، المعارضة).

\* مدن مهددة بالانهيار السكاني (وضعها، أحزمة

البؤس، المستطيل).

\* قضية اللاجئين (مسؤولية الدول الصناعية، أمراض

العصر، بارقة أمل، لبنانيون وللسطينيون).

\* كثافة سكانية ومعدلات الاستعمال المالي.

\* الأمن الغذائي في العالم الثالث.

\* أوروبا الشرقية تأخذ محل العالم الثالث في المساعدات.

\* الارهاب والعالم الثالث.

\* حروب أهلية وميليشيات (أمن السلطة وأمن

الميليشيات، إفساد نظام الاخلاقيات، نيل مبدأ التسامح بين الجماعات).

وراجع كذلك مادة «العالم» في الجزء ١١، إذ إن مختلف

موضوعاتها متعلقة بـ«العالم الثالث»، والمواد: آسيا والبريقا

واميركا اللاتينية في مواقعها من الموسوعة.

أما ما يمكن إضافته، استكمالاً لمادة «العالم

الثالث» (حتى اليوم، أواسط ١٩٩٨):

### الأرقام أصدق التعريفات

أرقام ديمغرافية: إن أول مظاهر التخلف، الذي

يطبع العالم الثالث، هو المظهر الديمغرافي. فتعداد سكان

العالم الثالث في العام ٢٠٠٠ سيزيد على خمسة مليارات

نسمة، أي على إجمالي تعداد سكان العالم في مطلع

التسعينات. وإذا كان سكان العالم المتخلف يمثل ٦٩٪ من

سكان العالم في العام ١٩٠٠، و٧٧٪ في ١٩٩٠، فإنه

سيمثل ٨٠٪ في العام ٢٠٠٠، و٨٨٪ في العام ٢١٠٠.

ومن أصل كل ٩٥ مليون نسمة من سكان العالم الإضافيين

في كل سنة، فإن ٨٥ مليون نسمة منهم سيولدون في العالم

الثالث.

وأهم ما يميز الزيادة السكانية في العالم الثالث انها

زيادة شابة. فمن لم دون الرابعة عشرة من العمر يمثلون

فيه ٣٥٪ من السكان مقابل أقل من ٢٠٪ في العالم المتقدم.

تمثل خمس سكان المعمورة تتفق ٩٠٪ من الإجمالي العالمي لتفقات الصحة (وتتفق الولايات المتحدة وحدها ٤١٪)، بينما لا تركز البلدان المتخلفة للصحة سوى واحد من ثلاثين مما تركزه لها البلدان المتطورة. وقد لا يتعدى إجمالي الإنفاق السنوي على الصحة، في العديد من بلدان أفريقيا وآسيا ١٠ دولارات مقابل ٢٧٠٠ دولار في الولايات المتحدة (للشخص الواحد).

ومن هنا المعدلات العالمية لوفيات الاطفال في البلدان المتخلفة. ففي ١٩٩٠، مات ١٢٤٤ مليون طفل من هم دون الخامسة في جملة بلدان العالم الثالث، ولو كانت توفرت لهم نفس الفرص الصحية لأطفال البلدان المتقدمة لما كان مات منهم سوى ١٠١ مليون طفل. وهذا يصدق أيضاً على وباء فقدان المناعة. فأكثر من ٨٠٪ من المصابين بمرض الإيدز (قدر عددهم بـ ١٤ مليوناً في ١٩٩٢) يقيمون في بلدان العالم الثالث. ولكن في العام ٢٠٠٠، سيقترب هذا المعدل من ٩٥٪ من اصل الثلاثين مليون إصابة المتوقعة. وتسجل بلدان جنوبي الصحراء الأفريقية أعلى نسب للإصابة: مصاب من أصل كل أربعين، بل واحد من كل ثلاثة في بعض المدن.

**أرقام التمدرس (التردد إلى المدارس (Scolarisation):** وهذا معيار ثالث لقياس التخلف. وهنا، يُلاحظ تقدم عام. فبين ١٩٥٦ و ١٩٧٥ سجلت معدلات التمدرس زيادة سنوية بمقدار ٥٠٧٪، فيما زاد عدد المدارس الابتدائية وعدد المعلمين في فترة العشرين سنة تلك بمعدل ٦٠٪ و ٥٥٪ على التوالي. ولكن ظاهرة الصحود الديمغرافي للشباب، قد جعلت أكثر ميزانيات بلدان العالم الثالث تنوء تحت عبء تأمين العلم للجميع. فثمة ١١٠ ملايين طفل، أي زهاء خمس الفئة العمرية المعنية، لا يتلقون أي تعليم على الإطلاق. كما ان ٣٥٪ من راشدي العالم الثالث هم من الأميين. أضف إلى ذلك ان درجة التمدرس نظرية أكثر منها فعلية. فكثيرون من الاطفال الذين يدخلون المدرسة لا يتابعون تعليمهم إلى الدرجة التي تكفي لحو أميتهم فعلاً. وعلى هذا النحو فإن ما اصطلاح المختصون التربويون على تسميته بـ «أجل الحياة المدرسي» لا يمتد في النيجر إلى أكثر من عامين، وفي بنغلادش إلى خمسة اعوام، وفي المغرب إلى ستة اعوام، مقابل ١٤ أو ١٥ عاماً في فرنسا. ثم ان بلدان العالم الثالث تتفاوت فيما بينها تفاوتاً كبيراً في درجة الأمية: فهي لا تزيد على ١٦٪ في أميركا اللاتينية وآسيا الجنوبية، لترتفع إلى ٢٤ في آسيا

وفي ١٩٨٧ كان تعداد الشبان، ممن هم دون الـ ١٥ سنة، واحداً (أي نحو ١١ مليون شاب) في كل من فرنسا وكولومبيا والجزائر، في حين أن إجمالي عدد سكان فرنسا كان ٤٥ مليون نسمة، وكولومبيا ٢٠ مليوناً، والجزائر ١٤ مليوناً.

وهذا لا يعني ان معدلات الخصوبة لم تسجل أي انخفاض في العالم الثالث. فإن معدل الإنجاب للمرأة الواحدة قد انخفض، في ربع القرن الأخير من ٦،١ إلى ٣،٩، ومن المتوقع ان يوالي انخفاضه إلى ٣،٢ في العام ٢٠٠٠. ولكن التفاوتات في داخل العالم الثالث ما زالت، من زاوية معدلات الخصوبة، كبيرة للغاية. ففي البلدان الضعيفة المدخول أو القليلة السكان في منطقة الميملالايا (مثل التيبال) أو في بلدان جنوبي الصحراء الأفريقية (مثل أنغولا)، فإن معدل الخصوبة لم يسجل انخفاضاً، بل مال على العكس إلى الارتفاع بنسبة ١٢٪ في أنغولا، أو حتى ٢٩٪ في الغابون. وفي العديد من البلدان الإسلامية، التي ترفض «التخطيط العائلي»، بقي معدل الخصوبة أعلى من المعدل العام لسائر بلدان العالم الثالث كما في أفغانستان وإيران. وبالمقابل، فإن بلداناً إسلامية أخرى، ولا سيما البلدان المتوسطة، قد سجلت انخفاضاً يتراوح ما بين ٣٠ و ٥٠٪. ومن هذه البلدان المغرب الذي انخفض مؤشر الخصوبة فيه من ١٠٠ في ١٩٦٠ إلى ٦٣ في ١٩٩١، ومصر ٦٠، وتركيا ٥٦، وتونس ٥٠. ولكن قصب السبق في هذا المجال يعود بلا جدال إلى بلدان آسيا الشرقية والجنوبية التي قد لا يكون من الصدف انها سجلت في الوقت نفسه أعلى المعدلات للنمو الاقتصادي. فمؤشر الخصوبة قد تدنى في الفترة ما بين ١٩٦٠ و ١٩٩١ إلى ٤٠ في الصين و ٣٦ في تايلاند و ٣٢ في سنغافورة و ٣٠ في كوريا و ٢٨ في هونغ كونغ.

**أرقام صحية:** يقدم الإنفاق الصحي مؤشراً ثانياً للمرأة تخلف العالم الثالث. وصحيح ان هناك بالاجمال تقدماً عاماً، ولا سيما ما يتصل بالتحويلات السريعة الناجمة عن تدخلات خارجية مثل حملات التطعيم ضد الامراض السارية. فـ ٨٠٪ من اطفال العالم اليوم مطعمون ضد الامراض السارية الرئيسية، مقابل ٥٪ فقط في ١٩٧٧ و ٢٥٪ في ١٩٨٣. كما ان الجدري الذي كان لا يزال يقتل نحواً من مليون شخص ويعمي نحواً من نصف مليون شخص في ١٩٦٧ (وهو عام إطلاق برنامج منظمة الصحة العالمية لمكافحة الجدري) قد استؤصل عملياً من الوجود منذ ١٩٧٧. ولكن بالمقابل لا تزال البلدان المتطورة التي

الصحراء، اللتين لا تضمن مع ذلك سوى ٤١٪ من إجمالي سكان العالم الثالث. ولكن آسيا نفسها تنقسم إلى بلدان شديدة الفقر مثل بنغلادش والهند والنيبال، وإلى بلدان يمكن لها أن تحرز تقدماً باهراً في تخفيض معدلات الفقر خلال جيل واحد مثل تايوان وماليزيا وأندونيسيا وسري لانكا التي انخفض فيها مؤشر الفقر من ٦٠ إلى ٢٠٪. وبالمقابل فإن عدد الفقراء قد ارتفع في بلدان جنوبية الصحراء الأفريقية من ١٨٥ مليوناً في ١٩٨٥ إلى ٢٤٥ مليوناً في ١٩٩٤، ومن المقدّر ان يبلغ ٢٦٥ مليوناً في العام ٢٠٠٠.

وترتبط بالفقر ظاهرة سوء التغذية ونقص التغذية. وينشأ سوء التغذية من انخفاض عدد الحيريات الغذائية للشخص الواحد في اليوم الواحد إلى ما دون ٢٥٠٠ حريرة، ومن تدني مساهمة البروتينات الحيوانية إلى أقل من ٢٠ غراماً. أما إذا قلّ عدد الحيريات عن ٢٠٠٠ وانخفض مقدار البروتينات الحيوانية إلى ١٠ غرامات، فتنشأ ظاهرة نقص التغذية. وهي تتحول إلى وضعية مجاعة إذا تدنت الحيريات إلى ١٥٠٠ والبروتينات الحيوانية إلى ٥ غرامات للشخص الواحد في اليوم الواحد، وتبعاً لاحتياجات ١٩٩٠ فإن العالم الثالث لا يزال يعد ٧٨٦ مليون جائع أو معان مزمن من سوء التغذية ونقص التغذية، وهو ما يعادل ٢٠٪ من سكانه و١٥٪ من سكان العالم. وفي حين ان عدد الجائعين انخفض من ٧٥١ مليوناً في آسيا عام ١٩٧٠ إلى ٥٢٨ مليوناً عام ١٩٩٠، فقد ارتفع في الفترة نفسها في أفريقيا من ١٠٠ مليون إلى ١٧٠ مليوناً.

**أرقام العدهور البيئي، أو المقياس السادس: أذى الضغط السكاني في المناطق المدارية بوجه خاص، وخلال نصف القرن الأخير، إلى ضياع ١٤٢ مليار هكتار من الأراضي، أي ١١٪ من إجمالي الغطاء النباتي في الكرة الأرضية. وفي بنغلادش وحدها يؤدي الحمت والضغط السكاني إلى ضياع آلاف الكيلومترات المربعة من الأراضي القابلة للزراعة سنوياً.**

وهناك ٢٦ بلداً في العالم الثالث يعاني من فاقة في موارد المياه، مما يجعل ٢٣٠ مليون نسمة يعيشون دون عتبة الألف متر مكعب الضرورية لكل إنسان سنوياً. وهناك مشكلة تلوث المياه. فثمة في العالم الثالث ١٤٧ مليار إنسان لا يتوفر لهم حد أدنى من المياه الصحية. أما مشكلة تلوث البحر، فتتأثر منظمة الصحة العالمية ان أكثر من مليار إنسان من سكان المدن الكبرى في

الشرقية و٤٥ في الشرق الاوسط و ٧٠ في عشرة من بلدان افريقيا وآسيا الأشد فقراً. ولكن مقياس التخلف هذا لا يُقرأ على حقيقته ما لم تأخذ بعين الاعتبار الواقعة الأكثر تمييزاً للتدريس في البلدان المتخلفة: التفاوت التمييزي الهائل في التعليم لصالح الذكور. فنلتنا الأطفال غير المتدربين هم من الإناث، ومستوى تعليم الإناث لا يمثل أكثر من ٥٠ أو ٦٠٪ من مستوى تعليم الذكور في الشرق الاوسط وافريقيا مقابل ٨٢٪ في آسيا الجنوبية الشرقية و٩٤٪ في امريكا اللاتينية.

**أرقام البطالة، أو المقياس الرابع: تضرب البطالة بوجه خاص الإناث قبل الذكور، والشباب أكثر من الراشدين. فطبقاً لدراسة اجراها مكتب العمل الدولي في ٣٦ بلداً في ١٩٩٣، فإن معدل البطالة بين الراشدين كان ٩،٨٪ لكنه تعدي ٣٥٪ بين الشباب. وتسجل قارات العالم الثالث تفاوتاً كبيراً فيما بينها من هذا المنظور. فجنوب شرقي آسيا يعاني من فاقة في اليد العاملة (كان هذا قبل ١٩٩٥-١٩٩٦، أي قبل ان تبدأ الأزمة الاقتصادية تضرب بلدان «النمور الآسيوية»). ونسبة البطالة بين سكان المدن في امريكا اللاتينية تتخطى ٨٪، ولكن ترتفع في الهند والباكستان إلى ١٥٪، وفي بلدان جنوبي الصحراء الافريقية إلى ١٨٪. وفي تونس والمغرب تضرب البطالة كلا الجنسين بمعدل ١٧٪، ولكن هذا المعدل يتضاعف بالنسبة إلى الجزائر التي قدر عدد عاطلين فيها عن العمل في ١٩٩٣ بنحو ١،٧ مليون شخص. ويزيادة سنوية لا تقل عن ٢٠٠ ألف. فمن أصل كل ٢٥٠ ألف قادم جديد إلى سوق العمل سنوياً لا تتوفر وظائف العمل إلا لخمسين ألفاً. وعلى هذا النحو وصلت نسبة البطالة في صفوف الشباب الذين هم في سن ١٥-١٩ سنة إلى ٥٨٪، وفي صفوف الشباب الذين هم في سن ١٩-٢٤ سنة إلى ٤٠٪. ومقابل ٣،٥ مليون امرأة لا عمل هن إلا في البيوت والخدمة العائلية، فإن ١٠٠ ألف امرأة جزائرية فقط يتوفر هن عمل مأجور.**

**أرقام الفقر، أو المقياس الخامس: الفقراء، في تعريف البنك الدولي، هم من يتقاضون أقل من ٣٧٠ دولاراً في السنة، وعتبة الفقر الشديد هي ٢٧٥ دولاراً. عدد الفقراء في العالم الثالث قد زاد من مليار في ١٩٨٥، إلى مليار و ٢٠٠ مليون في ١٩٩٤. ويتركز ٦٣٪ من فقراء العالم الثالث في آسيا الجنوبية وافريقيا جنوبية**

العالم الثالث: جلور ومأل أخير عبر القمة الأخيرة (١٩٩٨) لحركة عدم الإحياز:

«يُشب أن يدرج ظهور البلدان النامية في عداد أهم الظواهر التي شهدتها القرن العشرون من أواسطه إلى أواخره، وهي البلدان التي يطلق عليها أيضًا «العالم الثالث» أو «الجنوب» في بعض الأحيان. ولئن كانت أي تسمية من هذه التسميات تعتبر كافية فإن العالم الثالث هو الاصطلاح المفضل، لأنه يتم على الأقل عن هوية أكثر وعيًا بذاتها، فضلًا عن أنه أكثر التسميات شيوعًا من بين التسميات التي اختارتها أمم وشعوب إفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية والكاريبسي لكي تطلقها على أنفسها...»

«... إن العالم الثالث، مفهوم هذا اللفظ، لم يكن معروفًا في الأربعينات، ولم يكن هناك وجود في الخمسينات سواء لحركة عدم الإحياز أو لمجموعة الـ٧٧...»

«... إن حركة عدم الإحياز، التي نشأت في ١٩٦١، هي التعبير السياسي الرئيسي عن العالم الثالث، ومجموعة الـ٧٧ هي الأكبر حجمًا في وحدة التفاوض الاقتصادي الرئيسية للعالم الثالث. وإذا عرف العالم الثالث بأنه يضم الدول المستقلة ذات الهوية الواعية بذاتها والمنتمية لإحدى هاتين المجموعتين أو لهما معًا، فإنه يشمل عندئذ جميع الدول الأفريقية، ما عدا جنوب إفريقيا، ومعظم الدول الواقعة في «منطقة آسيا-الشرق الأوسط-الحيط الهادي (كما فيها قبرص)، وهي عضو في كلتا المجموعتين، باستثناء الصين، وإسرائيل، واليابان، وتركيا، وأستراليا ونيوزيلندا، وجميع دول أميركا اللاتينية والكاريبسي، ودولاً أوروبية قليلة هي يوغوسلافيا ومالطة ورومانيا...»

«... وإزاء ذلك الوضع التاريخي فليس من المستغرب أنه قبل فترة طويلة من الاعتراف بوجود العالم الثالث، مفهومه المعروف، كان بعض دوائر التجمع الأفريقي قد تنبأت بظهوره في نهاية المطاف بما يمثله من التحدي، كما حدث في مؤتمر التجمع الأفريقي الأول المعقد في لندن عام ١٩٠٠ الذي ورد في «خطابه المرجح إلى أمم العالم» في ما يلي:

«وعلى أية حال، يجب أن يذكر العالم الحديث أنه في هذا العصر الذي تتقارب فيه أطراف العالم بهذا القدر الكبير، فإن ملايين السود في إفريقيا وأميركا وجزر البحار، ناهيك عن الأعداد التي لا تحصى من ذوي البشرة السمراء والبشرة الصفراء في غير ذلك من الأماكن، لا بد وأن يكون لهم- ولو بحكم الأعداد الغفيرة والتواصل المادي- تأثير عظيم على العالم في المستقبل...»

«ومن الشواهد المبكرة في هذا الصدد المؤتمر الذي عقد في بروكسيل في ١٩٢٧ بدعوة من رابطة مناهضة الامبريالية والاستعمار التي كان العديد من الوطنيين الآسيويين والأفارقة (من بينهم جواهر لال نهرو من الهند، وهو شفي منه من فينتام، ولامين سنفور من السنغال) مشتركين فيها. ومن الأمور ذات الدلالة الخاصة أن الرئيس الأندونيسي سوكارنو، في كلمته الافتتاحية في مؤتمر باندونغ لعام ١٩٥٥، ألح إلى مؤتمر بروكسيل هذا المعقد في ١٩٢٧ على أنه سلف من نوع ما...»

«كذلك نجد أيضًا، قبل عقد كامل من مؤتمر باندونغ، أن مؤتمر التجمع الأفريقي الخامس لعام ١٩٤٥، المعقد في مانشستر، انكلترا، لم يشير بظهور حركة العالم الثالث فحسب، وإنما صاغ أيضًا إيديولوجيات صارت في ما بعد مرتكزات للتحدي الذي يمثله العالم الثالث. وقد تجلّى ذلك في ما صدر عنه بعنوان «إعلان إلى شعوب المستعمرات في العالم»، وهو إعلان صاغه كوامي نكروما، الأمين السياسي المشارك للمؤتمر، ويخصّ فيه أهل المستعمرات من العمّال والمزارعين والمفكرين والمهنيين في كل مكان على دحر الامبريالية، ويحث شعوب المستعمرات والشعوب الخاضعة في العالم أجمع على الاتحاد...»

«... وكان تشكيل المجموعة الآسيوية-الأفريقية في الأمم المتحدة في ١٩٥٠، وعقد مؤتمر باندونغ في ١٩٥٥، وإنشاء منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية في ١٩٥٧، هي أهم السلائف والأسس الأندونيزية التي قامت عليها حركة العالم الثالث الأوسع نطاقًا في أوائل الستينات. إلا أن مؤتمر باندونغ هو، من بينها جميعًا، أنسب نقطة لبداية التحليل...» (مقتطفات من الفصل الثامن والعشرين من المجلد الثامن بعنوان «إفريقيا والمناطق النامية»، بقلم لوكسلي إدموندسن، من «تاريخ إفريقيا العام»، اليونيسكو، قيد الطبع معربًا، بيروت، ١٩٩٨).

قمة عدم الإحياز الأخيرة، الثانية عشرة، عقدت في دوربان بجنوب إفريقيا في أيلول ١٩٩٨ (القمة الأولى عقدت في بلغراد ١٩٦١ وكانت بدأت بـ٢٩ عضوًا)، وشارك فيها ٦٠ رئيس دولة ومئة وزير خارجية من دول حركة عدم الإحياز (النتمة ص ٦١)

## قضية ديون العالم الثالث

خطوط عريضة: انها قضية بالغة الأهمية يتوقف عليها العديد من مسارات دول العالم الثالث ومصائرنا ويتشابك فيها السياسي بالاقتصادي والاجتماعي، وعمقها ويُعقد بشأنها العديد من المؤتمرات الدولية والإقليمية والوطنية المحلية، وتوضع الدراسات وتقدم المقترحات للحلول. ولكن القضية لا تزال شائكة وعالقة تורך حياة دول العالم الثالث وتقف على رأس لائحة معوقات تقدمها. يمكننا إنجاز الخطوط العريضة لقضية ديون العالم الثالث (حتى اوائل ١٩٩٨) بالنقاط التالية:

- ١- يبلغ إجمالي هذه الديون ٥٠٦ بلايين دولار.
- ٢- تشكل عجزاً في ٤٠ دولة الأقر في العالم (تقديرات صناعات النقد الدولي).
- ٣- كغيلة، لوحدها، بأن تقاوم من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والمعيشية في هذه الدول، بحيث تؤدي إلى وفاة ٢١ مليون طفل مع نهاية القرن إذا لم تسادر الدول الغنية المقرضة إلى تخفيف أعباء تلك الديون التي تحول دون إنفاق الدول الفقيرة مبالغ ديونها على حاجاتها الإنسانية الأساسية كالصحة والرعاية الاجتماعية.
- ٤- قضية الديون إقتصادية بحتة في ظاهرها، سياسية-اقتصادية-اجتماعية (فساد وقرارات خاطئة وتبعية) في جوهرها (هكذا كانت هذه الديون تاريخياً: ديون مصر، إيران، وغيرهما... وهكذا لا تزال).
- ٥- شروط صندوق النقد الدولي (الشريك الكامل للبنك الدولي) الاقتصادية والمالية الصارمة على الدول المدبونة للحصول على تسهيلات عاجلة. والمعروف ان غالبية الدائنين تتحكم بهاتين المؤسستين الماليتين.
- ٦- مناخ إيجابي، بشأن الدين، بدأ مع لقاء الدول السبع الغنية في إطار الاجتماع السنوي لصندوق النقد والبنك الدوليين في ٢١ ايلول ١٩٩٧. ونقل عن هذا اللقاء انه بصدد تحرير بعض الدول من أعباء الديون، وتخفيفها عن البعض الآخر.
- ٧- مناخ آخر يبعث على التشاؤم، مرده إلى إصرار صندوق النقد الدولي على تسديد الديون كاملة حتى لا يتعرض إلى خسارة، وتمسكه بشروطه في تقديم القروض مثل ترسيخ حرية السوق وإطلاق الدول لحرية انتقال رأس المال وانسياب قروض الاستثمار خارج الدولة وبالعكس (حرية تجارة البضائع وحرية عبور رأس المال). وهذا أمر يربح الكثيرين من السياسيين والاقتصاديين،

العالم الثالث يعيشون في اجراء ملوثة على مدى ٢٠٠ يوم في السنة، مع ان الحد الأعلى «المقبول» هو سبعة ايام في السنة حسب معايير منظمة الصحة العالمية. ومن هذه المدن بكين وكلكتا ونيودلهي وطهران ومكسيكو والقاهرة. والمدن الأخرتان تضربان بعض الارقام القياسية. فمكسيكو، بالملايين الـ ١٨ من سكانها، هي المدينة الأكثر تلوثاً في العالم. فمن يعيش ويتنفس الهواء في مكسيكو كمن يدخن اربعين سيجارة في اليوم حسبما يقدر الخبراء. ونظراً إلى ارتفاع المدينة (على علو ٢٣٠٠م)، فإن كمية الأوكسجين في جوها تقل أصلاً بمقدار ٣٠٪ عن المدن الواقعة عند سطح البحر. ونظراً أيضاً إلى ثلاثة ملايين سيارة فيها، فإن معدلات التلوث بالرصاص فيها ترتفع إلى ستة اضعافها في المدن الأخرى. وقد دلّ تحليل عينات الدم على ان ٧٠٪ من اطفالها في المنطقة الشمالية يتحرون في دمائهم على أكثر من ٤٠ ملغ من الرصاص في كل عشرة ليترات، علماً بأن الحد الأعلى «المقبول» ينبغي ألا يتخطى عتبة ١٠ أو ١٥ ملغ. ولما عامل آخر للتلوث في مكسيكو، وهو تفسخ المواد البرازية وما تنشره من جراثيم عضوية في الجو، فقبل ١٠ سنوات قدر الخبراء ان مليونين من سكان مكسيكو يتغاطون في الهواء الطلق ويفرزون يومياً ٢٥٠ طناً من المواد العضوية الملوثة. ويفترض الآن ان تكون هذه الارقام قد تضاعفت ثلاث مرات. أما القاهرة فتضرب، مع اديس أبابا، رقماً قياسياً عالمياً في نسبة من يعيشون من سكانها في احياء غير صحية: فهو يصل إلى ٨٤٪ مقابل ٥٧ في بومباي و ٤٠ في مكسيكو. ولا تصل الكهرباء إلى ٢٠٪ من سكان القاهرة، ولا الماء الجاري إلى ٣٠٪ من سكانها. أما نقص المساكن فيها فيقدر بـ ٦٠٠ ألف. وأخيراً فإن مدن الهند تضرب مثلاً على تلوث من نوع آخر يمس البيئة البشرية نفسها. فموجب إحصاء جرى في ١٩٧٣، قدر عدد المتسولين في الهند بنحو ٥٠٥ مليون (أي ١٪ من إجمالي السكان آنذاك). منهم ١١٥ ألف طفل، و ٨٠٠ ألف أعمى، و ٣٠٠ ألف أصم وأخرس، و ١٥٠ ألف مصاب بالهذام، و ١٠٠ ألف معتوه. ومظهر آخر من مظاهر تلوث البيئة البشرية تقدمه بعض مدن جنوب شرقي آسيا: ففي بانكوك يقدر عدد البغاي بأكثر من ٢٠٠ ألف (يحمل هذا الموضوع، «الارقام أصدق التعريفات»، عن جورج طرايشي، عن كتاب جورج كازس وجان دومنغو: «العالم الثالث: زمن الانكسارات»-بالفرنسية- «الحياة»، العدد ١٢٠٤٨، تاريخ ١٨ شباط ١٩٩٦، ص ١٤).

(تمة ص ٥٩)

التي أصبح عددها ١١٤ دولة بعد انضمام بيلاروسيا إليها أثناء القمة (وكانت الدولة المضيفة، جنوب افريقيا، انضمت إليها في ١٩٩٥، أي بعد زوال النظام العنصري من البلاد).

لم يعد التمام قمة الدول غير المنحازة (وكذلك كل قمة أو مؤتمر لهذه الدول، أو مجموعة الـ٧٧...) معلماً يحظى بالهبة التي كانت له إبان نظام القطبية الثنائية حيث كان الاتحاد السوفياتي متعاطفاً مع الحركة ومناصرًا لأبرز القوى الفاعلة فيها (الهند، مصر ويوغوسلافيا)، في حين كانت الولايات المتحدة تبدي امتعاضاً شديداً منها، ومضني الآن، بعد زوال الاتحاد السوفياتي، في استئصال بواعث هذه الحركة وجرفها تحت جناحها في تيار العولمة التي تنادي به.

ومصدر عن قمة دوربان إعلان جاء معظمه تكراراً للاتحة طويلة (تضمنتها أيضاً القمم السابقة في جاكارتا وهراري وكولومبيا) من التمنيات والأمال بالقضاء على الفقر وإقرار السلام والأمن والتنمية. وقد أعرب أعضاء الحركة الذين يمثل بعضهم الدول الأكثر فقراً، عن قلقهم من عوالة الاقتصاد «التي ترجمت بتهميش متزايد لغالبية الدول النامية». ودفعهم هذا الوضع إلى المطالبة باصلاح الهيئات المالية الرئيسية وتنظيم جديد للأسواق المالية. وأشاروا، وفقاً لرغبة جنوب افريقيا، إلى ضرورة العمل جماعياً من أجل شراكة مع الدول المتطورة وتحقيق تقدم في الحوار بين الشمال والجنوب، علماً ان بعض دول مجموعة الثماني (الدول الصناعية)، ومن بينها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، دعيت للمرة الأولى إلى حضور أعمال قمة دول عدم الانحياز.

واتفق أعضاء الحركة، في قمة دوربان، على المطالبة بمؤتمر دولي في شأن الارهاب برعاية الأمم المتحدة من أجل «رد منسق من الأسرة الدولية» على هذه المشكلة. وعلى رغم التجارب النووية التي قام بها اثنان من أعضاء الحركة (الهند وباكستان) قبل ايام قليلة من انعقاد قمة دوربان، فقد كررت دول عدم الانحياز الدعوة إلى نزع السلاح الذي يشكل أحد اهتماماتها الأساسية منذ إنشائها.



رئيس جنوب افريقيا

للسون مانديلا (إلى اليسار)

والرئيس الكويبي ليهديل كاستزو

لدى اختتام مؤتمر قمة دوربان (أيلول ١٩٩٨).

اقتراض البنوك بضمانات غير حقيقية والانكشاف الكبير أمام القروض الأجنبية... ومع هذا التدهور في الأوضاع المالية والمصرفية، وانعكاسه على المشروعات، تتجه التوظفات الأجنبية للهروب.

ومع غلبة الثروة المالية (حقوق مالية، سندات، بورصة...)، في دول النمر الآسيوية، على الثروة العينية (مصانع، أدوات...)، تحول الاقتصاد إلى نوع من الاقتصاد الرمزي الذي تحركه رموز أو مؤشرات. فأصبح النشاط الاقتصادي شديد التأثير بأي تغيير في أسعار البورصات أو إحصاءات موازين المدفوعات أو أرقام البطالة ومعدلات ارتفاع الأسعار... وفي مثل هذه الأحوال تصبح اعتبارات الثقة والأحوال النفسية للمتعاملين في هذه الأصول المالية هي العامل الحاسم. وكثيراً ما قيل وصفاً عن نفسية المتعاملين في الأسواق المالية بأنهم يسرون وفقاً لـ«غريزة القطيع». فآفة إشاعة أو تردد أو إقبال من جانب عدد من المستثمرين لا بد وأن يعكس على الأسعار ويؤدي بالتالي إلى سلسلة متتابعة من ردود الأفعال.

«وأخيراً، فقد سبق أن أشرت تجربة هذه النمر الآسيوية جداً وأسعاً تناول مدى فاعلية الإصلاح الاقتصادي في غيبة إصلاح سياسي وتحقيق مزيد من الديمقراطية والمشاركة السياسية. فقد كان الرأي الغالب يرى أن الإصلاح الاقتصادي واستقرار نظام السوق يتطلب، وعلى التوازي، إصلاحاً سياسياً. فقد رأى الفكر التقليدي أن هناك تكاملاً بين اقتصاد السوق والديمقراطية السياسية. فالفكر الليبرالي يرى إلى الحرية السياسية والاقتصادية فرسني رهان لا ينفصلان، ومع ذلك فقد جاءت تجربة هذه البلدان مؤكدة إمكان فصل الإصلاح الاقتصادي والإصلاح السياسي. فقد اعتمدت هذه الدول على نظام السوق والانفتاح على الاقتصاد العالمي في استراتيجية للتصدير، ولكنها خضعت بدرجات متفاوتة لنظم سياسية يصعب إدراجها في إطار الديمقراطيات السياسية. وهكذا قدمت هذه الدول نموذجاً للنجاح الاقتصادي مع استمرار نظم سياسية بعيدة عن الديمقراطية والمشاركة السياسية. وقد كان النجاح الاقتصادي لهذه الدول حجة كافية لدعاة تأجيل الإصلاح السياسي في عديد من الدول النامية مع الدعوة إلى العمل فقط-على الأقل مرحلياً- على جبهة الاقتصاد. وجاءت الأزمة المالية الأخيرة لنمر جنوب شرقي آسيا لتطرح من جديد قضية الإصلاح السياسي وخاصة في ما يتعلق بقضايا الفساد واستغلال النفوذ في هذه الدول. فقد اتضح أن ضعف

خصوصاً في الوقت الذي تزداد فيه الحساسيات بسبب انهيار الثقة وهروب اسواق الاستثمارات مثلما حصل في دول جنوب شرقي آسيا، لذلك يطالبون بتحديث نظام صندوق النقد الدولي.

٨- تحديث نظام هذا البنك يتطلب الحد من تدخله في طريقة إدارة الحكم في دول العالم الثالث، وتخفيف شروطه الاقتصادية والمالية، وأبرز معالم شروط الصنلوق تدخله في السياسات العامة، وفي مجالات الوظائف وسوق العمالة والتجارة والزراعة والفساد.

نموذج دول «النمر الآسيوية» مع الديون: (راجع بشأن هذه الدول، وأعجوبتها الاقتصادية ج٧، ص١٠١-١٠٤).

فوجيء العالم، منذ الشهور الأخيرة من ١٩٩٧، بالازمات المالية المتتالية لدول جنوب شرقي آسيا التي كانت، قبل هذا التاريخ وعلى مدار نحو عقدين من الزمن، مثار إعجاب وانبهار باعتبارها المعجزة الآسيوية.

وفجأة اكتشف العالم أن تساييلاند وكوريا وأندونيسيا وماليزيا على شفا الانهيار المالي. واهتزت البورصة وتدهورت أسعار الصرف لمعظم هذه الدول واضطر صندوق النقد الدولي إلى التدخل السريع بتوفير مليارات الدولارات لكل من تايلاند وكوريا الجنوبية وأندونيسيا، وخرج رئيس وزراء ماليزيا يتهم الغرب والمضاربين بالمؤامرة. ونار جدل كبير حول أسباب هذه الأزمة (الجدير ذكره انه قبل ذلك بعدة أعوام فوجيء صندوق النقد الدولي ايضاً بأزمة مشابهة هي أزمة المكسيك التي اقتربت من حافة الإفلاس وكانت تقاريره عنها تشير إلى اعتبارها أحد النماذج للإصلاح الاقتصادي)، وحول دور صندوق النقد الدولي ومدى هشاشة ورقابة وكفاءة وفاعلية هذا الدور.

الرأي الغالب بين محللي هذه الأزمة التي أصابت، فجأة، النمر الآسيوية، هو القائل بأنها أزمة مالية بأكبر مما هي أزمة اقتصادية عينية، بمعنى أن القطاع المالي، وفي مقدمته القطاع المصرفي، يعاني من ضعف أصيل يتميز بالاسراف في منح الائتمان على أسس سياسية وشخصية (أي على أسس مصلحة سياسية وأسس بخاملة شخصية) بعيداً عن الاعتبارات الاقتصادية الموضوعية. وبذلك، وجدت البنوك نفسها متورطة في قروض وتسهيلات بلا ضمانات حقيقية، مما فرض عليها أعباء مالية ضخمة أثرت في مراكزها المالية وهددها بالإفلاس. أضف إلى ذلك



«جبل الشمع اللدالب»، أو أزمات النمر الآسيوية (خاصة الدوليسيا) بعد سنوات من اعوجبها الاقتصادية (لومولد ديبلوماتيك، عدد ايار ١٩٩٨، ص ٣).

القطاع المالي في كثير من هذه الدول إنما ارتبط إلى حد بعيد بالفساد السياسي وإتراء الطبقات الحاكمة في غيبة المسؤولية والمساءلة. وهكذا يطرح من جديد التساؤل حول مدى إمكان استمرار نجاح اقتصاد السوق في غيبة دولة القانون وتداول السلطة والمساءلة. وهي قضايا لا تزال مطروحة على العديد من دول العالم الثالث، ولا يبدو أنها سوف تجتد إجابات قاطعة في المستقبل القريب» (عن د. حازم البيلاوي، ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة، الأمين التنفيذي للجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- إسكوا-، من محاضرة له ألقيت في «دار الندوة» بيروت، ١٠ آذار ١٩٩٨، ونشرتها مجلة «النابر»، العدد ٨٤، آذار ١٩٩٨، ص ٤٦-٥٢).

التخطيط لها البنك الدولي والادارة الاميركية واليابان، تقوم على إنشاء صناديق لإطفاء الديون وجدولة بعضها وكشف الرديئة منها.

لكن، في حين تبدو جبهة انعكاسات الأزمة على الاوضاع الاجتماعية لا تزال هادئة نسبياً، خاصة بالنسبة إلى كوريا الجنوبية التي توصلت، في ٢٩ كانون الثاني ١٩٩٨، إلى اتفاق مع مجموعة المصارف الدولية لاعادة جدولة ٢٤ بليون دولار من ديونها قصيرة الأجل من أصل ديونها الخارجية البالغة رسمياً ١٥٣ بليون دولار حتى نهاية ١٩٩٧، فإن المعالجات المشابهة التي توصلت إليها أندونيسيا لم تجنّبها الانعكاسات الاجتماعية العنيفة. ففي اواسط ايار ١٩٩٨، بدأت اضطرابات إجتماعية واسعة النطاق في جاكرتا (أعمال شغب، حرق متعمد ونهب وقتل-شعر ٢٠٠ قتيل في يوم واحد) في وقت أصيبت الأسواق المالية وأسواق السلع بحالة شلل فعلي. وكانت الروية أكبر ضحية اقتصادية لهذه الأزمة في أندونيسيا، إذ انخفضت قيمتها بنسبة ٢٥٪ خلال أربعة ايام فقط (١٢-

مضى ربيع ١٩٩٨ ودول النمر الآسيوية تحاول معالجة أزمته المالية خاصة بلجهة آثار الديون المستحقة عليها باعادة هيكله الديون الأجنبية قصيرة الأجل منها، وتحويلها إلى ديون طويلة الأجل وخاصة المملوكة منها للشركات الخاصة. وهناك اقتراحات وخطوات واجتهادات يتعاون في



الانتقال إلى الديمقراطية واقتصاد السوق، وهو ما قد لا يُجد مثيلاً له لا في بلدان آسيا القسوى ولا في بلدان الشرق الاوربي التي كانت تحت ربة الشيوعية. فإذا كان الأداء الاقتصادي الآسيوي يبدو من حيث معدلات نموه الخارقة في بعض الحالات أكثر برهناً إلا أنه يبدو كذلك معرضاً لاهتزازات كبيرة ذات وقع مدمر على اقتصاد العالم برمته، كما دلت على ذلك الأزمة النقدية التي منيت بها بلدان تلك المنطقة خلال الأشهر الماضية.

أما الديمقراطية وحقوق الانسان فهي نائية تماماً عن مشاغل قادة تلك المنطقة ممن يندرعون بما يسمونه «القيم الآسيوية» من أجل تجنب الخوض في أي شأن ديمقراطي، ومن يعتبرون أن الرفاه الذي يحققونه لشعوبهم يجعلهم في حل من أي تنازل في هذا الصدد.

وأما بلدان أوروبا الشرقية، وفي ما عدا بعض الحالات القليلة كجمهورية تشيكيا فهي في الغالب تجد صعوبات كبيرة في تحقيق انتقالها إلى الديمقراطية أو في إنجاز انتقالها إلى اقتصاد السوق أو في الأمرين معاً. وكل ذلك، بالمقارنة مع المنطقتين المذكورتين، يجعل اميركا اللاتينية تبدو بمثابة الحالة النموذجية في صدد النجاح في تحقيق التحولين، السياسي والاقتصادي، معاً وريداً بيد.

لذلك، فإنه لا يمكن لقمة الاميركيين، تلك التي افتتحت اعمالها في نهاية هذا الاسبوع (اواسط نيسان ١٩٩٨) في سانتياغو، عاصمة تشيلي أن تتعد في ظروف أفضل من هذه. فتلك القمة، وهي الثانية من نوعها منذ تلك التي التأت في ١٩٩٤ وحضرها ٣٣ رئيس دولة من شمالي القارة (الولايات المتحدة وكندا) كما من جنوبيها، هي بمثابة الطمس الاحتفالي بتلك النجاحات. فالولايات المتحدة هي التي دفعت دوماً وضغطت بالحاح (على الأقل منذ ان زال الخطر السوفياتي ولم تعد مضطرة إلى دعم دكتاتوريات شنيعة لا مزية لها سوى مواجهة الحركات الثورية) باتجاه الديمقراطية واتجاه السوق. بل يمكن القول ان الولايات المتحدة نجحت ربما لأول مرة، والاستثناء الحالة الكورية الخاصة، في توحيد نصف الكرة الارضية الغربي، ذلك الذي رأت فيه دوماً مجالها الحيوي الذي لا يجب ان ينازعها فيه أحد، تحت قيادتها ووفق فلسفتها السياسية والاقتصادية، أو هي بصدد النجاح في ذلك (...).

قياساً إلى كل ذلك، تبدو قمة سانتياغو بالنسبة إلى الرئيس الاميركي، كلينتون، بمثابة اللقاء العائلي والمريح. ويكفي إشارة إلى ذلك جدول أعمال القمة المذكورة. فهذه الأخيرة انكبت على بحث قضايا الفقر والتجارة

١٥ ايار ١٩٩٨)، فبلغ سعرها ١١٥٠٠-١٢٥٠٠ مقابل الدولار الواحد. وأثيرت المخاوف من أن تمتد الانعكاسات الاجتماعية الحاصلة في اندونيسيا لأزمة مالية واقتصادية تطال «نور آسيا» إلى مناطق أخرى في هذه المنطقة.

وتبدو أندونيسيا «المنشأ الحقيقي لهذا الخلل الاجتماعي. فانهايار العملة الوطنية فيها، ودوامه التضخم المالي، أدباً إلى إفلاس العديداً من الشركات. وبعد ٣٠ سنة من الحكم الحديدي، وفي ظل غياب وارث محتمل للرئيس سوهارتو، فإن الفساد المتأصل يفتك بالدورة الاقتصادية في القطاعين الخاص والعام. ومن سخريات القدر ان الثروة الشخصية لعائلة سوهارتو تقدر بـ ٤٠ مليار دولار، وهو المبلغ نفسه لمجموع الدين الخاص والعام المرتب على أندونيسيا وفق تقديرات الشبكات المصرفية الاجنبية المدعوة إلى المساعدة (...). ومع الاعلان عن موجات التسريع، وعن زيادة أسعار المواد الاستهلاكية انفجر الغضب الشعبي منساقاً للزوات العنصرية ومستهلماً، بعنف بلغ حد النهب البلهاعي، الأقلية الصينية التي تمسك بمعظم الاعمال التجارية في الارخبيل، مما يعود بالذاكرة، وللأسف، إلى الاحداث المأسوية التي وقعت في ١٩٦٥» (جون إيفنز، الأمين العام للهيئة النقابية الاستشارية في منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، باريس، «لوموند ديبلوماتيك»، عدد ايار ١٩٩٨، ص ٣).

حالة اميركا اللاتينية (مناقشة): يبدو ان اميركا

اللاتينية بصدد الدخول في طور من الرفاه. كل المؤشرات، سياسية أم اقتصادية ترحي بذلك. فالمنطقة خرجت من حروبها الأهلية ومن ثوراتها الزمنية وبدأت تنعم بسلام لم تشهد مثيلاً له منذ فجر الستينات. كما ان الديمقراطية ترسخت فيها، أو هي بصدد الترسخ، بحيث لم يبق بلد من بلدانها، ما عدا كوبا فيسدل كاسترو، إلا ونظم انتخابات أجمع المراقبون على القول بأنها كانت ديمقراطية. وتحسنت أوضاع حقوق الانسان في تلك البلدان على نحو ربما لم يسبق أن عرفته في تاريخها الحديث.

أما اقتصاد اميركا اللاتينية، فهو، وان استرعى انتباه أقل من نظيره الآسيوي الأقصى، إلا انه واحد من أكثر اقتصادات العالم ديناميكية ونهوضاً، حيث حقق خلال الثماني سنوات الماضية نمواً ثابتاً ومستديماً، بلغت نسبته ٥% سنوياً، وذلك بعد ان نجحت بلدان القارة في استكمال انتقالها إلى اقتصاد السوق وفي تنفيذ الخصخصة. هكذا تبدو اميركا اللاتينية صاحبة أجمع تجارب

١٤٪ من دخلها القومي الختام. بل ان الخطف أصبح في بعض البلدان صناعة بحيث ما بات يكتفي باستهداف الأثرياء. ففي بيرو أصبح يجري اختطاف أي كان، على أن يثنى سبيله مقابل مئات قليلة من الدولارات. وبما ان الدولة عاجزة على فرض الأمن، أو بما أن الفساد ينخر أجهزتها الأمنية، تكاثرت الميليشيات ومجموعات الدفاع الخاصة.

وإذا كان من الصحيح ان العنف على السدوم ملمحاً ثقافياً ثابتاً في مجتمعات اميركا اللاتينية، إلا ان ذلك العنف كان يجد سبيل التعبير عنه عبر قنوات الانتظام الايديولوجي أو ما شابهها من وسائل الضبط الجماعي. أما الآن فإنه يبدو عملاً فردياً أكثر فأكثر وازعه الربح وحده. وكأما ذلك الموروث هو الذي استوعب اقتصاد السوق على ذلك النحو الاجرامي، وليس العكس، أي أنه كما لو أن اقتصاد السوق لا يأتي إلى المجتمعات التي ينغرس فيها بما لم يكن موجوداً فيها، بل هو يتلاءم معها استبداداً في آسيا وعنفاً تحول إلى الاحرام المصرف في اميركا اللاتينية... وهكذا.

قد تكون هذه نظرة إلى الأمور لا تخلو من سوداوية، ولكنها مع ذلك تطرح سؤالاً ربما كان جديراً بأن يطرح. ففيما عدا الحالة اليابانية الخاصة، هذه هي المرة الأولى في التاريخ حيث تنتشر الرأسمالية خارج حدودها التاريخية ممثلة في العالم الغربي. ويقتضى من المهم ان نراقب بدقة كيف يمكن لذلك ان يجري وكيف تتعامل المجتمعات الأهلية مع هذا المستجد؟ (هن صالح بشير، «الحياة»، تيارات، العدد ١٢٨٢٩، تاريخ ١٩ نيسان ١٩٩٨).

والغريبة والمخدرات. وهذه كلها ملفات، على أهميتها، قطاعية أقرب إلى الصبغة التقنية، وهي على أية حال ليس بينها ما يتعلق بمسألة سياسية عريضة أو بخلاف حول نقطة استراتيجية كبيرة لا يمكنها ان تقسم على صعيد الخبراء.

غير ان هذه التحولات التي طرأت على القارة الاميركية الجنوبية وذلك الارتياح الذي تبديه واشنطن حيالها قد لا تكون مشرقة بالدرجة التي قد توحى بها ارقام نسب النمو والانتخابات الديمقراطية. ذلك ان التحولات لم تنعكس على الجميع رفاهاً بل إنها خلقت تفاوتات اجتماعية فادحة قد تصبح عامل اضطراب وزعزعة بالنسبة إلى الديمقراطيات الوليدة في تلك المنطقة. ففي بلدان مثل تشيلي أو المكسيك أو البرازيل أو غواتيمالا، يسيطر ٢٠٪ من السكان على ٦٠٪ من الدخل الوطني، هذا إلى جانب مظاهر الفساد والرشوة التي تستفحل في تلك البلدان، كما حدث قبل ايام مع رئيس فنزويلا السابق كارلوس أندريس بيريز الذي القى القبض عليه بتهمة الإثراء غير المشروع.

ثم ان المشكلة الأبرز التي تعاني منها مجتمعات اميركا اللاتينية، وهي ليست بعيدة عن مسألة التفاوت الاجتماعي، إنما تتمثل في انتشار الجريمة والعنف بشكل يبدو انه يفوق أي مكان آخر في العالم. ففي المدن الكبرى لتلك القارة، أصبحت أعمال الخطف والسطو والاعتداء وإنتاج وتهريب المخدرات... ممارسة يومية بالغة الشيع. وقد ذهب بعض الخبراء إلى القول بأن الجريمة باتت «الحاجز الرئيسي في وجه التطور الاقتصادي للمنطقة»، وانها تكلف بلدانها ١٦٨ بليون دولار سنوياً أي ما يوازي

# العالم العربي

## (الوطن العربي)

### تعريفات ومقدمات تاريخية

الاسم: «العرب» و«العالم العربي»: ظهر اسم «العرب» مكتوباً في المصادر الأشرورية خلال القرن التاسع ق.م. عندما أطلقوه على بعض ممالك شمالي الجزيرة. ولم يستعمل هذا الاسم في المصادر التاريخية للدلالة على كل سكان شبه الجزيرة العربية إلا منذ العصر الروماني. ويرجح كثيرون أن ثمة علاقة بين اسم «عرب» واسم «أسد»، حيث أن الأسد كان يعتبر رمزاً طوطمياً لقبائل شمالي شبه الجزيرة، وقد أعطوه أسماء عديدة في لغاتهم وردت في الكثير من أشعار الجاهليين الذين تغنوا بملك الحيوانات. ومن الأسماء القديمة للأسد: «عر» الذي منه تأتي كلمتا «عرب» و«ذعر»، وتكون «عرب» دلالة على انتماء هذه الأقوام إلى الأسد. وبعض المؤرخين القدماء يرجحون أن اسم «عرب» قد جاء من نشأة اسماعيل بن ابراهيم وبنيه، وسكنهم - وهم العرب العدنانيون - بمنطقة «عربة» في تهامة في شبه الجزيرة.

ولمة آراء كثيرة، لمؤرخين وعلماء آثار، عن بدايات الكتابة العربية وأصلها وعلاقتها بالفينيقية وكتابات شبه جزيرة سيناء. لكن الأكيد، والجمع عليه، ان ظهور الأجدية العربية الحديثة كان في نهاية القرن الثالث الميلادي، وان هذا الظهور ليس دليلاً على ان اللغة العربية نفسها بدأت في ذلك التاريخ، فقد كان العرب يتحدثون بهذه اللغة منذ مئات السنين قبل ذلك، وان ظهور العربية الفصحى (الجامعة للأقوام العربية) لا بد وان يرتبط بظهور الأجدية العربية الجديدة.

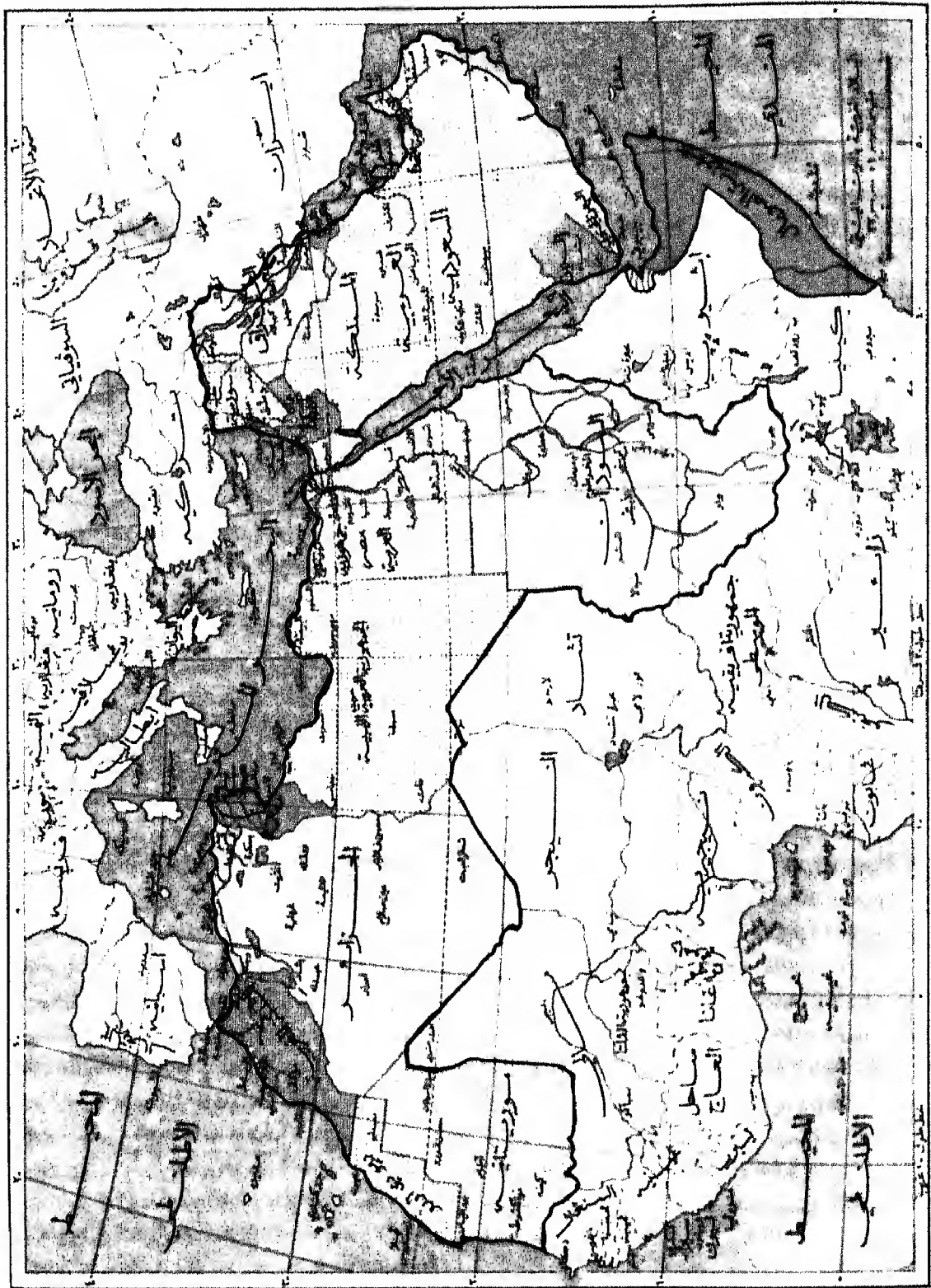
أما تسمية «العالم العربي» فمصطلح عربي شاع استخدامه في أعقاب الحرب العالمية الثانية للدلالة على الرقعة الجغرافية والمجموعة اللغوية التي تسكنها. وتضم هذه

الرقعة الحزام الاقليمي الممتد من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي (أكثر المراجع الأجنبية تسميه «الخليج الفارسي»، وبعضها يفضل استعمال مصطلح تسوي، فيقول «الخليج العربي-الفارسي») عبر قارتي آسيا وأفريقيا، أي ما يُعرف بالمغرب العربي والشرق العربي، وهي الرقعة التي تقطنها «شعوب الأمة العربية» التي تتكلم اللغة العربية.

القوميون العرب اعتبروا، منذ بدايات حركاتهم ومنظماتهم واحزابهم بعيد الحرب العالمية الثانية، ان غرض الغربيين من إطلاق كلمة «العالم» هو للدلالة على تعدده وتناثره بدلاً من وحدة أرضه وشعبه أو شعوبه، فاستعملوا مصطلح «الوطن العربي» الذي يتضمن مفهوم الوحدة القومية والذي يشكل مصدر خطر على المصالح الامبريالية. انتعش مصطلح «الوطن العربي»، وتقلص مصطلح «العالم العربي»، مع تنامي الحركات والاحزاب القومية العربية، وخاصة في الخمسينات والستينات. ثم جاءت أحداث الربع القرن الأخير، في المنطقة والعالم، لتقلص المصطلحين معاً لمصلحة أسماء إقليمية أضيق (مجلس التعاون العربي، الاتحاد المغاربي...)، كما جاء النظام العالمي الجديد (والعملة) بلغة سياسية واقتصادية أحلت، إلى حد كبير، مصطلح «الشرق الاوسط» محل المصطلحين، «العالم العربي»، و«الوطن العربي».

العرب: أمة من الناس، سامية الأصل، كانت نشأتها الأولى في شبه الجزيرة العربية. ويتفق الباحثون على ان من العرب أقواماً قد بادوا وانقرضوا، قديماً، وقبل عصور التدوين، ويسمونهم «العرب البائدة» ويذكرون منهم: عرب عاد، وعرب لمود (ورد ذكرهما في القرآن الكريم)، وطسم، وجديس.

والجيل العربي الذي يلي «العرب البائدة» هم القحطانيون، عرب الجنوب، بنو يعرب بن قحطان، —



العالم العربي

«الجاهلية» على عصر ما قبل الاسلام، هبات قاومت ذلك النفوذ، من مثل تلك التي قادها سيف بن ذي يزن (٥١٦-٥٧٤م) وتلك التي واجهت زحف الحبشة على وسط شبه الجزيرة (مكة) عام الفيل سنة ٥٧١م.

وإذا كانت البداوة قد غلبت على عرب الجاهلية، فإن مناطق الاستقرار (الحواضر) قد عرفت التمهض والحضارة، بل إن العرب لا يسمون البدو «عرباً» وإنما يسمونهم «أعراباً»، و«العربي» هو من «تمهض»، أي أخذ بأسباب الحضارة، وأولها التوطن والاستقرار.

ومنذ زمن قديم، كانت شبه الجزيرة العربية طريق التجارة الدولية، ومن هنا كان دور العربي في التجارة قديماً، الأمر الذي ربطه بالحضارة في وقت مبكر. ف«تدمر» و«البزء» و«بصرى» و«مكة» و«حلب» و«صحارى» مدن تجارية عربية ازدهرت بالتجارة والحضارة في الجاهلية. بل لقد أقاموا مراكز التجارة على الساحل الشرقي لافريقيا، عندما هاجروا إليه في «لاصور»، و«عجسة» و«زنجبار» و«موزمبيق»... وكانت لهم في البحر سفن ورحلات وغيرات...

وكذلك كانت للعرب «دول» قبل الدولة الواحدة التي أقامها الاسلام: ففي سبأ بالجنوب اشتهرت الدولة التي شاع الحديث عن ملكتها بلقيس (حوالي ٩٦٠ق.م)، ودولة النبط التي شملت جنوبي فلسطين وسورية الجنوبية الشرقية وشرقي الاردن وشمال الجزيرة، وكانت عاصمتها، البزء، على قدر من التحضر والرفاهية جعل من اوصافها في المصادر القديمة: إنها مدينة «حمراء، وردية اللون، وقديمة، يبلغ عمرها نصف عمر التاريخ» ودولة تدمر قد شملت سورية وجزءاً من آسيا الصغرى وشمال شبه الجزيرة، ولقد اشتهرت بحضارتها التجارية، حتى لقد كان من ممثليها ممثل «رئيس القافلة» و«رئيس السوق»، وكان بها «نقابة» لصاغة الذهب والفضة... وكانت ملكية الحكم، يعاون الملك «مجلس الشعب»، ومن أشهر ملوكها زنبيا (الزباء) التي قاومت الرومان حتى أسرت زمن الامبراطور أورليانوس (٢٧٢م) ودولة المناذرة في حوض ما بين النهرين؛ ودولة الغساسنة التي شملت المساحة الممتدة من قرب البزء إلى الرصافة شمالي تدمر، والبلقاء، والصفاء، وحران، وكانت بصرى عاصمتها التجارية والدينية.

وقبل النبي محمد، وغير اسماعيل، كان للعرب وفيهم أنبياء ورد ذكرهم في القرآن الكريم، منهم شعيب في أرض مَدْيَن، وصالح الذي أرسل إلى ثمود بناحية الحجر،

ويسمونه بـ«العرب العاربة» أي الخَلَص عرقاً ونسباً. ولقد سَمُوا بذلك تمييزاً لهم عن «العرب المستعربة»، وهم العدنانيون، بنو اسماعيل بن ابراهيم الذي أقام في بيعة عربية وتزوج من عربية، فتعرب هو وبنوه، وكان منهم جيل العرب العدنانيين، أي عرب وسط شبه الجزيرة. ومنذ ذلك التاريخ وضح المحتوى الحضاري للعروبة؛ فاللغة والعادات والتقاليد والقيم العربية، والولاء لهذه المكونات الحضارية هي المعيار، وليس العرق والجنس والنسب. وهذا المعيار أحياه وأكده رسول الله محمد عندما خطب في الناس فقال: «أيها الناس، ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي».

ومنذ ما قبل الاسلام، بل والميلاد بقرون طويلة، عرف جنوب شبه الجزيرة العربية للعرب القحطانيين دولاً وحضارة، تعرفنا على تاريخ بعضها ولا تزال أكثر أخبارها طي الكتمان. فالقحطانيون قد انقسموا إلى حضير، وهم طي الكتمان. فالتقحطانيون قد انقسموا إلى حضير، وهم حمير، وإلى بدو، وهم كهلان. ومن مواطنهم حدثت هجرات متعاقبة إلى الشمال والشرق والغرب، دفعت بها عوامل اقتصادية، مثل تصدع سد مأرب في اليمن (القرن الثالث الميلادي)، وبعض هذه الهجرات قد وصل مصر القديمة، وألمرت آثاراً في لغتها المهرغليبية أثبتها دارسون متخصصون. وأشهر هذه الهجرات تلك التي قام بها آل جفنة (الغساسنة) بعد تصدع سد مأرب، فاستوطنوا بلاد حوران وشرقي الاردن وفينيقيا وفلسطين، واعتنقوا المسيحية بعد ان دخلت بلادهم في مناطق نفوذ الروم البيزنطيين، واستمروا كذلك حتى دخلوا الاسلام (أو دخل معظمهم الاسلام) وأسهموا في بناء الدولة العربية الاسلامية الموحدة.

ومن هجرات عرب اليمن الشهيرة كذلك هجرة اللخمين (المناذرة)، وهم إخوة قبيلة جذام وقبيلة عاملة، رحلوا إلى حيث استوطنوا في الشمال، وأقاموا دولتهم في الحيرة، واعتنقوا المسيحية، وأخضعهم الفرس لنفوذهم، حتى جاء الاسلام فأصبح ديانتهم، وبه أسهموا في بناء الدولة العربية الاسلامية الجديدة.

ومن هجرات عرب الجنوب كذلك هجرة الأوس والخزرج إلى يثرب واستقرارهم بها.

وكما امتد نفوذ الروم على الغساسنة، ونفوذ الفرس على المناذرة، امتد نفوذ الأحباش على اليمن، وكذلك نفوذ فارس. وشهدت هذه البلاد، في جاهليتها (البعض، وفي مقدمتهم، وكما هو معروف، الكاتب والأديب المصري طه حسين، يرفضون هذه التسمية

و«شبه الجزيرة العربية»، و«الشرق الأوسط» في الجزء الحادي عشر؛ وراجع كذلك مختلف الدول العربية والإسلامية، كلاً في موقعها في الموسوعة تبعاً للترتيب الأبجدي لأسمائها).

**عصر الانحطاط (مناقشة):** من المؤرخين والدارسين من يُغلب، في أسباب الانحطاط بعد قرون عديدة من ازدهار جعل الحضارة العربية والإسلامية في مقدمة حضارات العالم، العوامل الموضوعية: بدء الهزائم والزجاج في الأندلس، حروب الصليبيين وسيطرتهم على الساحل الغربي (المتوسطي) لآسيا، غزوات المغول، انتقال الأهمية التجارية من البحر المتوسط إلى الأطلسي مع الاكتشافات البحرية...

ومن المؤرخين والدارسين من يُغلب العوامل الذاتية بمختلف جوانبها:

- الانقسامات السياسية-الدينية-الاثنية التي، منذ بدايتها، كانت حادة جداً وتركت آثاراً مدمرة. فالرواية تقول أن آخر خلفاء الأمويين وقع على رسالة وجهها إبراهيم، شقيق «السفاح» الذي كان وِعياً للعباسيين، لرعيمة الثورة، أبو مسلم الخراساني، «يأمره أن لا يدع خراسان عربياً إلا قتله... يأمره بقتل كل من يتكلم بالعربية خراسان» (الطبري، السادس، ٣٧)؛ «فمن يكن سائلاً عن دين قومهم فإن دينهم ان تقتل العربا» (البلخي، السادس، ٩٤)؛ «وهو الذي خص أعمالاً حوالية وأهل العرب حتى أمرهم دنرا» (السيوطي، ٢٠٩)؛ «تصري على رحالك ثم قولي على الاسلام والعرب السلام» (ابن عبد ربه، «العقد الفريد»، الثالث، ١٩٦)....

- طبائع البداوة والقبائلية المتوارثة لدى العرب المسلمين التي أولاهها البعض (خاصة من الغريبيين والمستشرقين) أهمية في أسباب الانحطاط الذاتية. أما الذروة التي بلغت الدولة العربية والمسلمة، حضارة وعلماً، فهي، برأيهم، نتاج إبداعات مسلمين غير عرب. وكتب التراث والتاريخ حافلة باستشهادات بلجأون إليها، على رأسها معالجة ابن خلدون لـ«انتقال الدولة من البداوة إلى الحضارة» في مقدمته الشهيرة، وأوصاف وأقوال ليس أقلها تلك العبارة المتناقلة على لسان الخليفة الأموي سليمان بن عبد الله: «عجبت لهُؤلاء الاعاجم (الفرس والروم) ملكوا ألف سنة فلم يحتاجوا إلينا ساعة وملكتنا مائة سنة لم نستغن عنهم ساعة» (رواه البنداري).

- العامل الديني المتمثل في الشريعة التي «غلفت

وهود الذي أرسل إلى عاد بالاحقاف من رمال اليمن. فهم، مع محمد وإسماعيل، خمسة أنبياء من العرب ذكرهم القرآن. وغير هؤلاء، كان للعرب حكماء ومثبسون لم يذكرهم القرآن «ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك، منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك» (غافر: ٤٠) «ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك» (النساء: ١٦٤). ومصادر الأدب والتاريخ تذكر من هؤلاء: خالد بن سنان العبيسي في نجد، وزيد بن عمرو بن نفيل في مكة، وقس بن ساعدة الإيادي في نجران، وأكثم بن صيفي من حمير.

أما ديوان العرب ووعاء فكرهم، في الجاهلية، فكان الشعر، أنشدوه بلغتهم الأدبية الواحدة، وبه تهيأت هذه اللغة لينزل بها القرآن، معجزة دينهم الحنيف. ولم يكن تحضر العرب، في الجاهلية، وفقاً على الرجل دون المرأة، وإن تفاوت نصيب كل منهما منه إلى حد كبير. فاشترك المرأة المسلمة في الغزوات ببنى عن دور لها في الجاهلية. وقبادة سجاح بنت الحارث (٦٧٥م) لردة بني حمير وحربهم على دولة الخلافة الراشدة، في عهد أبي بكر الصديق، شاهد على مكان المرأة في تلك البيعة. ومكان عائشة، أم المؤمنين، في العلم والسياسة، بل والحرب، هو الآخر دليل على نصيب المرأة العربية من التحضر في ذلك التاريخ.

لكن الإسلام كان هو الثورة الكبرى والشاملة في حياة الجماعة العربية. فبعد الشتات الديني، الذي حسده تعدد الآلهة، والذي كان تعبيراً عن ممزق الهوية القومية، جاء التوحيد الديني الإسلامي، في أرقى صورته وأنقاه، ليبيّن ويدعم وحدة هوية هذه الجماعة في الاعتقاد. وبدلاً من «الدويلات» التي وقف نفوذها وسلطانها عند الحواضر، والتي صارعها وصرعها نفوذ الفرس والروم والأحباش، جاءت الدولة العربية الإسلامية الواحدة والموحدة، فضمت الحضار والبيد، وبها اكتشف العرب قدراتهم، فوحدوها، فكانت الفتوحات التي أزالوا بها نفوذ الفرس والروم عن العراق والشام، ثم تبعوا ذلك النفوذ حتى حرروا منه الشرق بأسره، وذلك عندما فتحوا في مائتين عامًا أكثر مما فتحه الرومان في مائتين قرون (عن «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج ٤، ط ١، ١٩٩٠، ص ٧٠-٧٢).

**الدولة العربية الإسلامية:** راجع «العالم

الإسلامي»، و«العربية السعودية، المملكة» في هذا الجزء؛

كوبرنيكوس لمركزية الشمس، فإن الحضارة الإسلامية لم يكن يتقصها لتحقيق ذلك إلا «الرؤية الأخيرة»، فلماذا عجزت عنها، في حين تمكنت الحضارة الغربية من إيجاب العلم الحديث؟ (...). فالحضارة الإسلامية-على سبيل المثال- سبقت أوروبا في علوم الرياضيات والفلك والطب الصيدلة وغيرها حتى القرن الثالث عشر، وهو أمر يعترف به حتى خصوم الحضارة الإسلامية، غير أن هذا السبق سرعان ما توقف لتمكن أوروبا من اللحاق ثم القفز إلى دنيا العلم الحديث، محققة هذه الهوة الواسعة بينها وبين كل الحضارات الأخرى».

ونقتطف من الكتاب، في نسخته العربية، عاونه الرئيسية:

١- نقطة بدء مهمة هي أن العلوم التي نسميها علومًا طبيعية كان يسميها المسلمون علوم الأوال، أي علومًا أجنبية وذلك مقابل العلوم الإسلامية المتعلقة بدراسة القرآن والحديث والفقه والكلام والشعر واللغة العربية. أما الحساب، فأهميته ارتبطت لديهم بالحاجة لمواقيت الشعائر، والمهندسة لا ابتكار حساب المثلاث لتحديد الاتجاه إلى مكة حيث القبلة للمصلين... أضف إلى ذلك جملة عوامل تبدأ من العوامل العرقية (والطائفية)، إلى سيطرة السنية الدينية، إلى الطغيان السياسي... فضلاً عن إخلاق فلاسفة الطبيعة العرب في أن يطوروا ويستخدموا المنهج التجريبي (ج ١، ٧٦-٧٧).

٢- توحى الصياغة العامة للأثر السلبي للقوى الدينية على التقدم العلمي ما ظهر في القرنين ١٢ و ١٣ من تصوف كحركة اجتماعية، وقد الرخ هذا تعصبًا دينيًا وبخاصة تجاه العلوم الطبيعية وإحلال العلوم السرية بدلاً من دراسة العلوم اليونانية العقلية (ج ١، ٧٧-٧٨).

٣- إن ثمة مقارنة مفصلة وبالغة الأهمية في تأشيرها لبدء المحطات هذا، ولفرة هناك: إن نماذج الأجرام (في علم الكوكب) لابن الشاطر وكذلك تلك لدى كوبرنيكوس متماثلة تمامًا مع اختلافات ضئيلة في بعض مقاييسها، ولكن الانتقال الميتافيزيقي قد أحدث بلا شك الشقاق فكريًا مع النظرة الإسلامية التقليدية إلى الكون كما كان يفهمه العلماء؛ أما التحول الكوبرنيكي فإنه قد خلق ثلاث حركات إلى الأرض جاهلاً الشمس في المركز قلعة فكرية أحدثت قدرًا كبيرًا من الصدام مع الدوائر الدينية والكهوية في الغرب (ج ١، ٨٢).

٤- إن مسيرة العلم، التي كانت دينية بادية الأمر، قد أصبحت من أجل العلم ذاته في أوروبا منذ القرنين ١٢ و ١٣، حين كان اللاهوت يشغل مركز القمة ثم تحول إلى دراسة للفلسفة والنطق والعمل لذاته. أما في الحضارة العربية الإسلامية، فكانت

تبيان الإنسان المسلم... وكبحت انطلاقة البحث العقلي والعقلانية... في حين بدأت أوروبا، في القرنين ١٢ و ١٣، تعتبر العقل الأداة التي ميزت الإنسان ومكنت من البحث العقلي في كسب الميادين، فأوجدت بذلك العلم الحديث، علمًا أن كل مقومات وأسس هذا العلم كانت متوافرة في الحضارة العربية الإسلامية، وبفارق كبير عن سراها من الحضارات، الأوروبية وغيرها...» (توبي أ. هاف، تسابع ما يلي).

حول هذه النقطة الأخيرة (العلم، البحث العلمي وحرية، وأثر الشريعة في التركيب السوسولوجي...) من نقاط الأسباب الذاتية لجمود الحضارة العربية الإسلامية، ثم خلفها عن أوروبا، صدر، في ١٩٩٣، كتاب: *The Rise of Early Modern Science: Islam, China, and the West*, by Toby E. Huff, Cambridge University Press, 1993.

ترجمه وعلّق عليه د. أحمد محمود صبحي، وأسدرته «سلسلة عالم المعرفة» الكويتية، بجزئين، نيسان ١٩٩٧، بعنوان «فجر العلم الحديث: الإسلام-الصين-الغرب».

والمؤلف، توبي أ. هاف عضو هيئة التدريس، بجامعة ماساشوستس، دارلموث بالولايات المتحدة. مهمته بتخيم تخصصه بسوسولوجية العلم، أو العوامل الاجتماعية المؤدية إلى تقدم أو تدهور العلم في حضارة ما، ويركز على بيان أثر الأنظمة القانونية أو الشرعية في العلم. تلقى شاضرات عن العلم العربي في جامعة هارفارد من الدكتور عبد الحميد صيرة، مما أتاح له معرفة جيدة بالحضارة الإسلامية والعلوم عند العرب.

أما المترجم فهو استاذ الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، ودرس في عدة جامعات عربية.

عرّف الناشر (سلسلة عالم المعرفة) الكتاب بقوله: «هذه دراسة تجيب عن سؤال طال انتظار الإجابة عنه: لماذا نشأ العلم الحديث في الغرب دون حضارتي الإسلام والصين، بالرغم من أنهما كانتا في العصر الوسيط أكثر تقدمًا من الناحية العلمية! لتفسير ذلك تناول المؤلف (توبي أ. هاف) اختلاف الأنظمة الدينية والفلسفية والتشريعية في الحضارات الثلاث، مركزًا على التصور القانوني للاختلاف الذي انفرد به الغرب، مما أتاح متاخًا شاملاً وحرية في البحث، وهما تصوران يتكاملان مع العلم الحديث. ولئن كان يؤرخ عادة للحظة ميلاد العلم الحديث باكتشاف

### الفكر الاخلاقي.

وفي المقابل، صحيح أن المسيحية (والغرب) لم تكن مبرأة من الخوف من ابتكار يوصف بالهرطقة، لكن ما إن شرع الاوروبيون، في القرن ١٢، في استخدام لضحايا تتعلق بالعالم الطبيعي حتى قامت قوة جديدة ومساحة أكثر استقلالاً من حرية الفكر. وأصبح العقل، في نظرهم، هو الأداة التي ميزت الانسان ومكنت من البحث العقلي في كل الميادين. وباعتبار ان الانسان كان عقلي يمكنه ان يستخدم قواه العقلية في الفعل الخلقى. وقدم الاوروبيون، في العصر الوسيط، صورة عن الانسان ملعمة بالعقل والعقلانية (ج٢، ١٦٢-١٦٥).

٧- مع ثلاثة تطورات كبرى (في القرنين ١٢ و١٣) ولدت أوروبا الحديثة ثم المعاصرة: في القانون، والتشغيل الجماعي (نزوح النقابات...)، والمعاهد والجامعات المستقلة بشؤونها إلى حد كبير.

فالعرب، مقارنة مع الشرق العربي الاسلامي، مارس في العصور الوسطى ثورة قانونية وفكرية واجتماعية عميقة غيرت طبيعة العلاقات الاجتماعية، ولقد أوجدت الثورة القانونية مجموعة أشكال جديدة من علاقات اجتماعية ومجالات جديدة من الاستقلال الفكري والسياسي. ومن منظور نشأة العلم الحديث فإن أهم الأحداث هي تلك التي سمحت بتشكيل مؤسسات مستقلة من التعليم العالي.

وحيثما طورت الجامعات مقرراتها في القرنين ١٢ و١٣، فإنها تحركت مستجيبة نحو قراءات ومحاضرات هي في أساسها علمي، وأكثر الاشارات دلالة على الاتجاه العلمي الأهمية الكبرى التي أعطيت للملغات ارسطو التي كانت في صميم المقررات. فالتنظيم الفكري في الجامعات تشعب إلى اربع كليات (الآداب والقانون واللاهوت والطب). وفي تقليد كل هذه الاصلاحات كان اوروبيو العصر الوسيط قد أوجدوا استقلالاً ومؤسسات للتعليم العالي تدير شؤونها بنفسها.

وقد شكل ارسطو في وضعه الجديد تحدياً هائلاً للاهوت المسيحي، فماده ان الانسان كائن عاقل حاصل على العقل والضمير، واله بهذه القدرات فهو قادر على الفهم ولك رموز اسرار الطبيعة بعون أو دون عون من الأجل.

بالسؤال عن تركيب العالم، وبمفاهيم الامتحانات العامة في الجامعة، وبمسائل الكلية، وبمحاضرات العامة حيث مشروعية النقاش وعلوية المحاضرات، وبوضع الطباعة في خدمة النشر العلمي (على خلاف ما كان في الدولة العربية الاسلامية أو في الصين)، خرج الاوروبيون من نطاق التقليد الذي استمر في الشرق العربي الاسلامي، وكذلك نطاق التقليد البيروقراطي المروض من الدولة في الصين.

الحكمة الخالدة «حسى أن يجيبها الله من علم لا يطلع»، ثم غذا النفع محصوراً في الناحية الدينية، وهو ما جعل بعض العلوم المدنية كالمنطق والرياضيات والطب أن تدرّس في المعاهد الدينية، وما سمح للملك أو المرصد أن يلحق بالمسجد. فكما يرى الدكتور صبرة ليس هذا تفسيراً لعمياً هاماً وإنما وجهة نظر خاصة قرنت البحث العلمي بمجال ضيق لا يسمح بالتقدم (ج١، ١١٤-١١٥).

٥- من أولى المؤلفات: الطبيعة الشخصية للعلاقات الاجتماعية في العالم الشرقي في العصر الوسيط، ويتضح ذلك في سيطرة نظام الأسرة الكبيرة التي حالت دون قيام نقابات واتحادات قائمة على عدم التحزب أو علاقات القرابة بين المهنيين. وكذلك الأمر في التدريب الفكري والتقال المعرفة القائم على السلطة الشخصية فيما يعرف بنظام الإجازة: سلطة فردية-للاستاذ-في تدريس وثيقة خاصة أو كتاب، لا تضمن تجييد الآراء السلمية من أجل نظريات علمية، لأن الآراء آنذاك كانت صادرة من لقياء ومنجبة بتأييد سلطة دينية. كما لم تكن هناك آلية تسمح باختيار الأحسن ورخص الأسوأ، وقد أدى هذا إلى نشأة أربع مدارس في التشريع حيث يجد المرء عدة آراء شرعية في القضية الواحدة ليختار منه ما يناسبه. وفي مجال العلم فإن إنجازاً مهماً كإنجاز ابن الشاطر قد لقي أذناً صمّاً لأنه لم يكن ضمن مقررات النظام التعليمي ولم يكن لابن الشاطر تلميذ يكمل رسالته العلمية في الملك، فضلاً عن ان إنجازاً أصيلاً لمدرسة مراغة (أكبر مدن أذربيجان فيها نشأ نصير الدين الطوسي وأنشأ مرصداً من أشهر المراصد وأدقها) يبدو كما لو كان عملاً شخصياً ونتيجة لنظام القرابة. أما الطوسي الذي درّب التلاميذ في مرصد مراغة فقد كان سعيد الحظ حين صادف تلميذاً موهوباً له هو قطب الدين الشيرازي (ج٢، ١١٦، ١١٧، ١١٨).

٦- يمكن القول، بالمعنى الواسع، إن مصادر العقل والعقلانية في أي حضارة إنما تنتمس في الدين والفلسفة والقانون. لتخيل الصورة المتجانسية تجري من خلالها أنماط التوجه؛ إما ان تطلق قدراته العقلية وإما ان تكبحها. فلي الحضارة العربية الاسلامية رفض منظرو الكلام والتشريع فكرة وجود عامل عقلاي بين لدى الناس جميعاً، مؤثرين على ذلك أن على المسلم ان يتبع طريق السنة أو التقليد، وألا يحاول الكشف عن أسرار الطبيعة الخارجية أو معرفة أسرار النص المنزل، وقد تبنى كل من المتكلمين والفقهاء فكرة ان حكمة الله وإجماع العلماء أمضى من العقل، وهزلوا من الموافقة على اعتبار العقل الانساني مصدراً للتشريع أو الاخلاق، وهذه النقطة صلبة بفكرة منطق القصد التي لم تتطور في القانون الاسلامي، واقترب فكر اسلامي أمكنه من تطوير منظور عقلاي في مؤلفات العقلايين إنما يوجد لدى المعتزلة، ولكن ليس لديهم الوازع الانساني القادر على الابتكار سواء في الدين أو في





الفرغاني الذي وصلت علوم الفلك  
الإسلامية على يده إلى ذروتها والذي  
عرفته أوروبا منذ القرن الثاني عشر.  
في الصورة الفرغاني  
(باللاتينية Alfraganus)  
والراهب هرميتا (Heremita)  
، وهو من أسرة مشهورة  
في إيطاليا، وغلبت من ماله تكاليف  
ترجمة كتاب «جوامع علم النجوم»  
للفرغاني، أول كتاب ترجم  
من العربية إلى اللاتينية، وهو الكتاب  
الذي أصبح في ما بعد أساساً مهماً  
للمعبد من الاكتشافات التي ظهرت  
في مؤلفات العلماء المتأخرين  
في علم الفلك (مكتبة بودايان  
في جامعة أوكسفورد).

واختيار طالب له، ودراسة موضوع معين، والاختيار الشخصي  
للاستاذ. ولتفهم طبيعة رفض الطريقتين الفلسفي والعلمي علينا أن  
نقرأ حجج الفزاري القاطمة ضد الفلاسفة اليونانيين أو الإسلاميين  
المشايخ لأرسطو. ومن الواضح أن الفلسفة الطبيعية كانت معروفة  
على نطاق واسع في العالم الإسلامي، فضلاً عن أن المركز الكبير  
لمرصد مراغة قد زال من المسرح في العقد الأول من القرن ١٤، بل  
لقد زال منهاه دون الرجوع عامي ١٣٠٤-١٣٠٥م بعد حياة  
قصيرة لم تدم أكثر من ٤٥ إلى ٥٥ عامًا، والذي كان يشكل محاولة  
لتطبيع البحث في الثقافة الإسلامية، ولم يكن له نظير في دلالة  
الفكرية، ومن ثم كان التطبيع قصير العمر كالمُرصد، ولم تنشأ  
للأسف مؤسسات تعليمية في العالم الإسلامي بصدده المعرفة الطبيعية  
حتى القرن العشرين (ج٢، ١٨٦-١٩٣).

وسرعان ما أجبر البحث غير المنحاز الدارسين على  
الدخول سريعاً في صراع مع أصحاب المصالح من رجال الدين  
التقليديين الأوروبيين. وكان لفلاسفة الجامعات يوكندون حلقهم في  
الاستمرار في أمثالهم على أسس أخرى ليس ألقها البحث عن  
الحقيقة لذاتها، وأن مشروعية مثل هذا البحث إنما يوجد ليس في  
أرسطو وشراحه لتحسب، بل في الألقهبل نفسه، وهكذا تعدلت  
المصادر والفلسفية والدينية في أوروبا من أجل وضع أساس لدراسة  
العالم الطبيعي وتحدي الكتب المقدسة كسلطة وحيدة لوضع تصور  
عن العالم.

لم يكن هناك نظير لذلك في مدارس العالم الإسلامي لأنه لم  
تكن هناك كليات، ما دام نمط التعليم والشهادة قائماً على استاذ

لجنة سياسية واقتصادية وعلمية-تكنولوجية عناوينها الكبرى: العملة، النظام العالمي الجديد، الشرق أوسطية (في تقسيم للعمل السياسي والاقتصادي العالمي)، التجارة الحرة والسوق الحرة، حقوق الانسان، الثورة العلمية-التكنولوجية الهائلة (خاصة في مجال الاتصالات) التي جعلت من العالم «قرية عالمية».

قالتهوض العربي-الاسلامي الذي بدأ منذ نحو قرنين في السياسي والديني أساساً، وفي الاقتصاد والاجتماع والعلم والتكنولوجيا فرعاً، يبدو ان استمراره (التهوض)، في إطار المرحلة الراهنة التي تعونها اللغة الاميركية-العالمية الجديدة، رهناً بقلب هذه المعادلة، فيحلل الاقتصاد والاجتماع والعلم والتكنولوجيا في الموقع الأساس، ويكون السياسي والديني (بالتشريعات والشرائع ويختلف المؤسسات والادوات...) إطاراً مسؤولاً عن استنهاض العملية السوسولوجية برمتها.

وفي عودة إلى التاريخ فإننا نستجلي، وبإيجاز شديد، أهم معالم الصعود النهضوي العربي وفق الخطبات الرئيسية التالية:

١- الحملة الفرنسية على مصر: يجمع المؤرخون على أنها الحملة الاستعمارية الأولى على المنطقة في العصر الحديث، كما أنهم يجمعون على أنها، بالتدر الذي شكلت فيه صدمة دينية وسياسية وقومية لشعوب المنطقة التي كانت تغط في سبات عميق وتعاني من جهل واختطاط شديد (على أرض تعج بأثار تحكي عن تجد ضائع)، فإنها تركت، بالمقابل، أثراً علمياً وفكرياً دفع بالمؤرخين إلى اعتبارها بداية إرساء قواعد النهضة العربية الحديثة. إذ اصطبغت معها هذه الحملة بعثة علمية مؤلفة من ١٤٢ عضواً يتوزعون على الشكل التالي: ١١ مهندساً، ٤ فلكيين، ١٢ ميكانيكياً، ٧ كيميائيين، ٤ علماء بالمعادن، ٣ علماء بالنبات، ٣ متخصصين بعلم الحيوان، ٨ جراحين، ٣ مصورين، ٥ رسامين، ١٩ مهندساً للجسور والطرق، ١٦ مهندساً جغرافياً، ٣ مهندسين بحريين، مهندس علم الميكانيك المائي، مهندس رياضيات، موسيقيان، ٧ طلاب في مدرسة البوليتكنيك، ٦ مترجمين، ٥ عمال مطابع و٧ مستشرقين. وقد أنشأ نابوليون بوناپرت ما سمي بـ«الجمبع العلمي»، وتنص لائحته (مؤلفة من ٢٦ مادة) في مادتها الأولى على أن الجمبع أنشئ تحقيقاً للأغراض التالية: النهوض بالعلوم في مصر ونشرها، بحث ودراسة ونشر المعلومات الطبيعية والصناعية والتاريخية عن مصر، إبداء الرأي في مختلف المسائل التي تطلب فيها الحكومة المشورة.

معالم النهوض: في هذه السنة، ١٩٩٨، تم على الدول والشعوب العربية والاسلامية الذكرى الثمينة الثانية لحملة نابوليون بوناپرت على مصر. وتحاول دولنا المعنيين الثقافيون والعربيون والاعلاميين، وكذلك أوساط المثقفين (خاصة في مصر) لتحويل المناسبة إلى نقاش مفتوح على التاريخ، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، نقاش يتناول مختلف جوانب حياة العرب والمسلمين، نقاش عساه يتمتع بنعمتي العلمية والجرأة من جانب المشاركين المثقفين، ومن جانب المسؤولين في الأنظمة على حد سواء. فحين نتطلع إلى عالم المستقبل وعمّا إذا كان سيتمتع بهضة عربية وإسلامية سليمة فإننا لا نراها من دون مشاركة كاملة للمواطنين في مجالات العقل والعلم والسياسة والأدب والفن ورفع الحوار أمام حرية الفكر والتعبير وإعطاء الأولوية للاستثمارات العلمية التي سيكون من نتائجها المباشرة والسريعة إنتاج أليات وقف نزف الأدمغة والطاقات البشرية.

استغرق هبوط الحضارة العربية-الاسلامية من القمة إلى القعر أكثر من ٢٠٠ سنة (من القرن الثاني عشر-الثالث عشر إلى أواخر القرن الخامس عشر)، وها هو العدد نفسه من السنوات تقريباً ينقضي على بدء معاودة الصعود من الهاوية على إيقاع مدافع بوناپرت المصحوبة بالمطابع والعلماء، وقد استمر هذان القرنان يعرفان الصعود، وإن متباطئاً ومتلعثمًا، في ما عُرف بـ«عصر النهضة»، وعلى إيقاع مدافع الأوربيين كذلك وأفكار علمائهم ومبشرهم. وخشية من ان يفتلت العرب، في صعودهم، من الايقاعات المحسوبة والضوابط المرسومة، فيعيدون إنتاج حضارتهم التي درسها الأوربيون جيداً، كان المشروع الأوربي-الصهيوني (إقامة اسرائيل) الذي سرعان ما تلقف فائدته الجانب الغربي الأخر (الولايات المتحدة الاميركية).

ففي المائة سنة الأولى كانت محاولات النهوض العربي-الاسلامي تتم على إيقاعات مدفعية اوربية مصحوبة بمطابع وإرساليات ومدارس وأفكار قومية ومبادئ الحرية والديمقراطية. وفي الفترة الممتدة بين نهاية الحرب العالمية الأولى ونهاية الحرب العالمية الثانية وقيام اسرائيل، جرى تطعيم المدفع الأوربي والمبادئ الأوربية بمبدأ أميركي رفع لواءه الرئيس ولسن ويقضي بـ«حق الشعوب في تقرير مصيرها»، ومعه حسرت سبحة الاستقلالات. وبعد نحو أربعين سنة من قيام اسرائيل، بدأ يدوي، في المنطقة، ولأول مرة، المدفع الاميركي على وقع

ففي هذا القرن برز الملك عبد العزيز الاول بن سعود، ملك نجد، ورفيقه النجدي المصلح محمد بن عبد الوهاب، ثم في اوائل القرن التاسع عشر، ظهر العاهل سعود الكبير، ابن عبد العزيز الاول. وفي اوائل القرن العشرين، قامت الجزيرة العربية بدور فعال ضد السيطرة التركية العثمانية على الشرق العربي، ممثلة، من جهة نجد، بالملك عبد العزيز الثالث بن سعود، أمير نجد، ثم ملك المملكة العربية السعودية، ومن جهة الحجاز، بالشريف حسين بن علي، شريف مكة، ثم ملك الحجاز. فهؤلاء الأمراء والملوك العرب قاوموا، في عهدهم، بقوة السلاح، سيطرة الاتراك العثمانيين على الشرق العربي، وساهموا في ان يحجروا من يرههم بلدان الشرق العربي.

القوميون العرب ما بعد الحرب العالمية الثانية: جميعهم تقريباً يدخلون، أو يُعتبرون، ضمن الأطر التنظيمية أو شبه التنظيمية الثلاثة الكبرى: حزب البعث العربي الاشتراكي، حركة القوميون العرب والحركة الناصرية (نسبة إلى الرئيس المصري جمال عبد الناصر). وجميعهم يُعتبرون نتاجاً لعصر النهضة العربية الذي توجته فترة ما بين الحربين العالميتين بأفكارها وحركاتها وثوراتها، والذي تأثر إلى أقصى حدود التأثير بالأفكار والحركات السياسية والقومية الأوروبية، سواء لجهة الليبرالي منها أو الاشتراكي. فاستمر هذا التنافس: «الليبرالي» و«الاشتراكي» أو «الماركسي»، حياً في صفوفهم وأكثر الموضوعات المطروحة في مناقشاتهم وأكبر العوامل الفكرية التي أدت إلى إضعافهم وبعثرة صفوفهم.

شكلت فترة بداية الأربعينات-واسط الستينات فترة الازدهار للقوميين العرب لجهتي الحيدوية والمدّ الشعبي والسلطة. وبعدها، بدأت فترة الأفول مع اعلان «حركة القوميون العرب» إلغاء نفسها بالانتقال إلى مواقع الماركسية في اواخر ١٩٦٨، ثم بعد سنتين، ازدادت الناصرية ضعفاً وتشرذماً مع وفاة الرئيس جمال عبد الناصر. أما حزب البعث العربي الاشتراكي فقد وجد نفسه، في جناحيه، السوري والعراقي، ونتيجة لهجمة دولية على المنطقة قلّما وجدت مثيلاً لها في التاريخ، حبيس لغة الدولة والنظام الغالبة، بما لا يُقاس، على اللغة القومية العربية.

إن المحصلة الأخيرة للمناقشات الدائرة حول مآل القوميون العرب (والقومية العربية)، بمختلف تنظيماتهم وأبجاعتهم، منذ بدء أفول نجمهم في هذا الربع الأخير من

وأنشأ المجمع مكتبة في قصر حسن كاشف (أحد قادة المالكي) واتفق لها نابوليون بنفسه أهم المؤلفات الصادرة في أوروبا، وأشرف بنفسه أيضاً على تزويد الحملة بالمطابع مزوّدة بأحرف لاتينية وعربية وسريانية، والأرجح انه اصطحب معه أيضاً مطبعة تركية وأخرى يونانية. وأسدرت الحملة ثلاث مجلات: «أنباء مصر» Le Courrier de l'Égypte، «العشرية المصرية» La Décade Egyptienne، و«الإبـذار» l'Avortissement.

٢- الحملة المصرية على سورية (محمد علي): منذ توليه مصر (١٨٠٥) بدأ محمد علي يستعين بالاوروبيين، وخاصة الفرنسيين، في بناء دولة جديدة على أسس من تنظيم حديث. واقتضاه ذلك فتح المدارس الحديثة وإقامة المصانع وإرسال البعثات إلى أوروبا، وأصلح نظام الري وأعاد تقسيم الأراضي. فكانت كل هذه الإصلاحات هي الأساس في إقامة مصر الحديثة.

بموازاة ذلك كان ابنه ابراهيم باشا ينفذ سياسة ابنه محمد علي إبان حملته على سورية وحكمه للشرق العربي، وقد تميز بشعوره العربي ودعوته القومية. فشكّل مع أبيه أول محاولة جادة لتوحيد مصر والشرق وشبه الجزيرة العربية في دولة تلمح لأن تكون دولة عصرية. وكان لذلك أثره الكبير على رواد الحركة القومية العربية.

٣- على هذين الأساسين الكبيرين، أو الحديثين المفصلين الطباغين (الحملة الفرنسية والحملة المصرية) نشأت المدارس الأجنبية المختصة بالرساليات وغيرها من المدارس الوطنية، وكلها عصرية مبنية على المباحج الحديثة؛ وانتشرت الطباعة في المنطقة؛ واهتم أبناء البلاد بالصحافة والتأليف؛ وتأسست الجمعيات الخيرية والأدبية والعلمية والأندية؛ ونهضت الجمعيات والأحزاب السياسية؛ وانبثقت المكتبات العمومية والخصوصية؛ وبدأ المستشرقون يشتغلون بالأدب العربية وعلومها؛ ونهض فن التمثيل المسرحي؛ وبدأت هجرة الشيبية إلى الديار الغربية. وتفاصيل كل هذه النقاط النهضة الحديثة تظهر أمراً جلياً وجمعاً عليه من المؤرخين والدارسين، العرب والأجانب والمستشرقين، ويختص بالدور الريادي، في هذه النهضة الحديثة، لجيل لبنان في عهد المتصرفية.

٤- هناك معلم تاريخي مهم على صعيد النهوض السياسي-الديني الذي يكسب يكون خارجاً عن المؤثرات الغربية (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية) ويتعلق بأحداث شبه الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر وما تلاه.

جماعي وسياسي واجتماعي، فكان لمة تعلق بأفلاك قومية من دون جسم وطني وجماعي، وكان السعي إلى أقصر الطرق نحو السلطة هو السعي الطاغوي على ما عده من أفعال قومية عميقة وحقيقية (راجع الدول العربية، كلاً في موقعها في الموسوعة).

القرن وعلى وقع أحداث إقليمية ودولية هائلة (الثورة الإسلامية في إيران، انهيار الاتحاد السوفياتي، النظام العالمي الجديد والعولمة...) مفادها، نقدًا تقويميًا، انه كان هناك قوميون عرب وليس حركة قومية عربية، وانه كان هناك مسار يتمثل كسيرة للرواد والقادة بأكثر مما هو مسار

العربي، خاصة وان وزير خارجيتها أنتوني إيدن وغيره من المسؤولين البريطانيين كانوا يدعون منذ بداية الأربعينات إلى إقامة تنظيم عربي واحد يجمع شمل الدول العربية كبديل عن الوحدة العربية التي كانت مطلبًا قوميًا عربيًا منذ مطلع القرن وانهيار الامبراطورية العثمانية وقيام الثورة العربية الكبرى.

بصد هذا الدور لبريطانيا، يقول الدكتور محمد المنجوب («التنظيم الدولي»، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٩٨، ص ٣١٨-٣١٩):

في العام ١٩٤١، كانت بريطانيا في مأزق لا تحسد عليه: أصدقاؤها الفرنسيون استسلموا، وأصحابها الاميركيون لم يقرروا بعد خوض الحرب، والسوفيات كانوا مرتبطين بمعاهدة عدم اعتداء مع ألمانيا، وجيوش المحور كانت تزحف باتجاه مصر، والجهود الحربية البريطانية كان على وشك الانهيار. كانت بريطانيا بحاجة ماسة إلى استقرار في المنطقة العربية وإلى تعاون وثيق بين الحكومات والشعوب العربية، فهذاها دهاؤها إلى تقديم اقتراح يضمن لها تنفيذ استراتيجيتها ويلاقي هوى في نفوس العرب. ففي ٢٩ ايار ١٩٤١، وفي نفس اليوم تقريبًا الذي كانت فيه ثورة رشيد عالي الكيلاني على الحكم البريطاني في العراق تلفظ آخر أنفاسها، وقف أنتوني إيدن، وزير خارجية بريطانيا، في مجلس العموم وأدى بتصريح مقعم بالمغالطات قال فيه:

«لبريطانيا تقاليد طويلة من الصداقة مع العرب. وهي صداقة قد أثبتتها الأعمال وليست الأقوال وحدها.

## جامعة الدول العربية

مقدمات التأسيس: جاء إنشاء الجامعة العربية تنويجًا لمسار عربي نهضوي مشترك بدأ تنظيميًا، أي بعد بدايات نهوض فكري خاصة، في اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وتميز بأحداث ومشاريع وجمعيات واحزاب ومؤتمرات شعبية، موضوعها الأساسي التعاون العربي المشترك ضد الحكم التركي العثماني، أهمها المؤتمر العربي السوري (١٩١٣) والجمعيات العربية السورية قبل الحرب العالمية الأولى التي شكل قادتتها في ما بعد حزب الاستقلال العربي (١٩١٨)، والثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين (١٩١٦)، والمؤتمر الاسلامي في القاهرة الذي ناقش الفدرالية العربية (١٩٢٢-١٩٢٣)، والمؤتمر الاسلامي الشامل في القدس (١٩٣١)، والمؤتمر القومي العربي في سورية (١٩٣٧)، واقترح الدولة العربية الواحدة بزعامة عبد العزيز آل سعود (١٩٤١)، وثورة رشيد عالي الكيلاني (١٩٤١)، وكتاب نوري سعيد الازرق حول الوحدة العربية (١٩٤٣).

دور بريطانيا: يندر القول، بادىء ذي بدء، انه، ونتيجة لهذا الدور إلى حد كبير، ولدت الجامعة وهي مثقلة بالقيود والعقد والحساسيات ووسط حملات تشكيك واتهامات وشائعات وشبهات تقوم حول العرّاب الحقيقي للجامعة، وهو بريطانيا التي كانت تستعمر نصف العالم

شرق الاردن بتأييد من نوروي السعيد، ويدعو إلى وحدة تتكون من سورية ولبنان وشرق الاردن وفلسطين العربية، أو إلى تكوين دولة واحدة سميت «سورية الكبرى».

- الاتجاه الثاني تبناه قادة العراق وبعض ساسة سورية المناصرين للنظام الملكي والبيت الهاشمي، ودعوا إلى تكوين «دولة موحدة» تضم مجموعة دول سورية الكبرى أو بعض دولها والعراق باستثناء لبنان، وعرف هذا الاتجاه باسم «اللال الخصب» باعتبار ان مثل هذه الدولة الموحدة سيكون من الناحية الجغرافية على شكل هلال، وهو من الناحية الاقتصادية يشمل أرضاً زراعية خصبة.

- الاتجاه الثالث يدعو أصحابه إلى نوع أعم وأشمل من الوحدة تضم البلاد التي يشملها الهلال الخصيب (سورية ولبنان وشرق الاردن وفلسطين والعراق) ومصر والسعودية واليمن، وانقسموا على شكل هذه الوحدة ودرجة الرابطة التي تجمع دولها إلى فريقين: فريق ينادي باتجاه فدرالي أو كونفدرالي بين هذه الدول أو نوع من الاتحاد يسمح بقيام سلطة عليا تفرض ارادتها على الدول الاعضاء، وفريق آخر ينادي بشكل يتميز بأنه وحدوي يجمع بين رحابه الدول العربية ويدعم التعاون بينها في سائر المجالات، ويحافظ في الوقت نفسه لكل منها على سيادتها واستقلالها (عن طلعت حامد، رئيس وحدة الاتصالات الصحافية والناطق الاعلامي للجامعة العربية، «الوسط»، العدد ١٦٤، تاريخ ٢٠ آذار ١٩٩٥، ص ٢٣-٢٤).

التأسيس والميثاق: في أعقاب المناقشات الثنائية-التمهيدية، دعت مصر القادة العرب إلى مؤتمر في الاسكندرية بدأت أعماله في ٢٥ ايلول ١٩٤٤، وشاركت فيه الدول العربية المستقلة آنذاك وهي مصر وسورية والاردن والعراق ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن، وانتهت أعماله في ٧ تشرين الاول من العام نفسه بتوقيع بروتوكول الاسكندرية الذي جاء بمثابة إطار لفهم مبدئي بين الدول الموقعة عليه، ونص على عقد مؤتمر عربي عام لوضع ميثاق للجامعة يراعي احترام سيادة الدول العربية المستقلة، وينص على فتح باب الانضمام إلى الجامعة أمام الدول الأخرى فور استقلالها، ولم يأخذ بفكرة ان تكون الجامعة بمثابة «سلطة عليا» فوق الدول الاعضاء. ذلك انه اختار الاقتراح الثالث، أي «جامعة تضم الدول العربية المستقلة»، وكان الاقتراحان الأخرى المعروضان في الاجتماع: «وحدة عربية وحكومة مركزية» و«اتحاد فدرالي».

ولنا بين العرب عدد لا يحصى ممن يرجون لنا الخير، كما ان لهم هنا أصدقاء كثيرين... إن العالم العربي قد خطا خطوات واسعة بعد الحرب العالمية الأولى في طريق الاستقرار السياسي والتقارب القومي. وكثير من مفكرين العرب يريدون السير بخطوات أخرى في سبيل الاتحاد. وإن العرب ليتطلعون إلى نيل تأييدنا في مساعيهم نحو هذا الهدف، ولا ينبغي أن ندع هذا النداء دون جواب. ويبدو لي ان توثيق العلاقات الاقتصادية والثقافية، وكذلك السياسية، فيما بينهم هو مطلب طبيعي لهم فيه كل الحق. وحكومة صاحب الجلالة، من ناحيتها، سوف تدعم كل مشروع أو خطة يتفقون عليها للوصول إلى هذا الهدف».

غير ان تصريح إيدن لم تبعه جهود جديدة من جانب القادة العرب. ولعلّ للظروف الدولية التي كانت سائدة آنذاك أثرًا في ذلك. إن هؤلاء القادة لم يتحركوا إلا بعد انتصار الحلفاء في معركة العلمين، ونيل بعض الدول العربية استقلالها، ورجحان كفة الدول الحليفة في الحرب. فما بين العام ١٩٤٢ والعام ١٩٤٤، جرت عدة اجتماعات وعقدت عدة مؤتمرات أكدت للحكومات العربية رغبة الشعوب العربية في توثيق التعاون فيما بينها بشكل يُسر عن قيام اتحاد عربي، أو على الأقل تقارب أقوى وتسيق أشد للشؤون العربية.

#### اتجاهات وحدوية ومبادرات ثنائية: بدأت فكرة

الجامعة العربية في تموز ١٩٤٣، بمشاورات ثنائية بين مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية ونوروي السعيد باشا رئيس وزراء العراق أثناء زيارة الأخير لمصر تلبية لدعوة رئيس وزرائها لاستطلاع رأيه في سبل قيام الوحدة العربية. وكان نوروي السعيد زار لبنان وسورية وفلسطين وشرق الاردن وبحث مع المسؤولين فيها في «شؤون الوحدة العربية».

وبدأت مصر باستطلاع بقية الحكومات العربية رأياها، فدعت في منتصف آب ١٩٤٣ حكومات سورية ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن وشرق الاردن والعراق إلى إيفاد مندوبين لتبادل الآراء في موضوع الوحدة، واتسع نطاق المشاورات التمهيدية الثنائية ليشمل كل الدول العربية المستقلة آنذاك.

وتناولت المناقشات الثنائية التي عقدت باسم «مباحثات الوحدة العربية» اتجاهات مختلفة ومتمايزة حول سبل تحقيق هذه الوحدة تلخصت في ثلاثة رئيسية:

- الاتجاه الاول تبناه الامير عبد الله بن الحسين في

على ما يلي: «تتألف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة الموقعة على هذا الميثاق. ولكل دولة عربية مستقلة الحق في ان تنضم إلى الجامعة، فإذا رغبت في الانضمام قُدمت طلباً بذلك يودع لدى الامانة العامة الدائمة ويعرض على المجلس في أول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب».

وَنارت بعض الخلافات حول الاجراءات الشكلية للعضوية (مدى صلاحية المجلس في قبول طلب الانضمام أو رفضه، أو البت النهائي بمسألة القبول)، إلى ان جرى الاتفاق على حل توافقي يعترف بحق كل دولة عربية مستقلة في الانضمام إلى الجامعة، ولكنه يعترف كذلك، وفي الوقت ذاته، بحق المجلس في قبول طلب الدولة أو رفضه، على ان تنحصر صلاحياته في التحقق من توافر شروط فقط في الدولة المرشحة للعضوية: استقلالها وعروبته.

وإضافة إلى الدول السبع المؤسسة، انضمت (ووقعت على الميثاق) تبعاً لليبيا (٢٨ شباط ١٩٥٣)، السودان (٩ كانون الثاني ١٩٥٦)، تونس والمغرب (أول تشرين الاول ١٩٥٨)، الكويت (٢٠ تموز ١٩٦١)، الجزائر واليمن الجنوبي (١٢ كانون الاول ١٩٦٧)، قطر والبحرين (١١ ايلول ١٩٧١)، سلطنة عُمان (٢٩ ايلول ١٩٧١)، الامارات (٦ كانون الاول ١٩٧١)، موريتانيا والصومال (١٤ شباط ١٩٧٤)، جيبوتي (٤ ايلول ١٩٧٧)، وجزر القمر (١٩٩٣). وكانت منظمة التحرير الفلسطينية احتلت مقعداً كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، بموجب قرار قمة الرباط ١٩٧٤، بدءاً من ١٩ ايلول ١٩٧٦، وتمول إلى مقعد «دولة فلسطين» بعد إعلان الدولة في تشرين الثاني ١٩٨٨.

أجهزة الجامعة الأساسية: تتكون الجامعة من أجهزة أساسية ثلاثة: المجلس، اللجان الخاصة، والأمانة العامة.

١- مجلس الجامعة: هو الهيئة العليا والأداة الفعالة التي تشرف على الجامعة وتسيّرهما. ويتألف من ممثلي الدول الاعضاء. ولكل دولة عضو صوت واحد مهما يكن عدد ممثليها. ويجتمع المجلس في دورات عادية مرتين في السنة (في آذار وايلول)، وبإمكانه عقد دورات غير عادية كلما دعت الحاجة إلى ذلك وبناء على طلب دولتين من أعضائه. ويتأوب ممثلو الدول الاعضاء رئاسته في كل دورة عادية. ويكون انعقاد المجلس صحيحاً إذا حضره ممثلو أغلبية الدول الاعضاء. والقاهرة هي المقر الدائم للجامعة (مخرجت منها

وفي آذار ١٩٤٥، عقد في القاهرة مؤتمر ضم ممثلين عن الدول المؤسسة السبع (المذكورة أعلاه). وبعد إدخال بعض التعديلات على بروتوكول الاسكندرية، وفي غمرة من الابتهاج، أعلن المؤتمر (٢٢ آذار) تأسيس جامعة الدول العربية ووقعوا ميثاقها الذي يفتح في ديباجة وعشرين مادة وثلاثة ملاحق خاصة:

الأول متعلق بفلسطين، ويعلن فيه مجلس الجامعة توليه أمر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في أعماله حتى يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلاً. وظلّ الحال كذلك حتى تقدمت مصر، في ايلول ١٩٧٦، باقتراح إلى المجلس لقبول منظمة التحرير الفلسطينية عضواً في الجامعة تتمتع بكل حقوق الاعضاء الآخرين بعدما كان لها فقط حق الاشتراك في المناقشات التي تتعلق بقضية فلسطين.

الملحق الثاني متعلق بالتعاون مع البلاد العربية غير المشاركة في مجلس الجامعة. وأخذ نطاق هذا الملحق يتقلص باستقلال الدول العربية وانضمامها تبعاً إلى الجامعة.

الملحق الثالث يتناول تعيين أول أمين عام للجامعة، عبد الرحمن عزام لمدة سنتين. وظل العمل بهذا الملحق حتى عدلت المدة من سنتين إلى خمس في عهد الأمين العام الثاني محمد عبد الحافظ حسونة.

وأضيف على البروتوكول قرار خاص بلبنان يقضي باحترام سيادة لبنان واستقلاله.

أما الديباجة فتشير إلى ان زعماء الدول العربية المؤسسة (سورية، شرق الاردن، العراق، السعودية، لبنان، مصر واليمن) وافقوا على هذا الميثاق باعتباره تهيئة للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة بين الدول العربية، وحرصاً على هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها، وتوجيهها لجهودها إلى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة وإصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانها وآمالها واستجابة للرأي العام في كل الأقطار العربية.

وأما مواد الميثاق العشرون فتناولت ضرورة تحقيق: صيانة استقلال الدول العربية، المحافظة على الأمن العربي بمنع الحروب بين الدول العربية، تحقيق التعاون بينها وتوثيقه في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمالية، وشؤون المواصلات، وشؤون الجنسية والجوازات وتنفيذ الاحكام وتسليم المجرمين...

العضوية والاعضاء: نصت المادة الاولى من الميثاق

استقالته في ١٤ ايلول ١٩٥٢.

- عبد الخالق حسونة: من ١٤ ايلول ١٩٥٢ حتى أول حزيران ١٩٧٢، كان وزيراً للخارجية المصرية، جدد له أميناً عاماً ٣ مرات، ثم لمدة ستة شهور جددت لسته أخرى ثم لسنة إلى أن وافق مجلس الجامعة (في أول حزيران ١٩٧٢) على طلبه التنحي.

- محمود رياض: وافق مجلس الجامعة بالاجماع، في أول حزيران ١٩٧٢، على تعيينه أميناً عاماً لخمس سنوات، وكان مستشاراً للرئيس المصري ووزيراً للخارجية. جدد له خمس سنوات، واستقال في ٣١ آذار ١٩٧٩.

- الشاذلي القليبي: وافق مجلس الجامعة على مستوى وزراء الخارجية، في ٢٦ آذار ١٩٧٩، على تعيينه أميناً عاماً، وأعيد انتخابه لخمس سنوات في ٩ آذار ١٩٨٤، ثم أعيد انتخابه لفترة ماثلة في آذار ١٩٨٨ حتى استقال في ٣ ايلول ١٩٩٠.

- عصمت عبد الجيد: اختير بالاجماع، بعد قرار عودة الجامعة إلى مقرها في القاهرة، في جلسة مجلس الجامعة في ١٥ ايار ١٩٩١، وانتهت ولايته الأولى في ١٩٩٦، وجدد له لولاية ثانية.

تعديل ميثاق الجامعة والمتغيرات الدولية: تأثر ميثاق الجامعة، وعملها، بما اعتمد في عصبه الأمم التي كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة في الحرب العالمية الثانية، كما تأثرا (الميثاق والعمل) بما اتبع في هيئة الأمم المتحدة. والدليل على أثر ميثاق هاتين المنظمتين الدوليتين يأتي مما أعرب عنه زعماء الدول العربية في بروتوكول الاسكندرية عن الأمل بأن «توفّق البلاد العربية في المستقبل إلى خطوات أخرى» لتدعيم ميثاق جامعة الدول العربية و«تصويب» عملها إذا برزت هناك حاجة إلى ذلك. وبالفعل، نصّ ميثاق الجامعة على انه «يجوز بموافقة ثلثي دول الجامعة تعديل هذا الميثاق خصوصاً لجعل الروابط بينها أمن وأوثق وإنشاء محكمة عدل عربية، ولتنظيم صلات الجامعة بالهيئات الدولية التي قد تنشأ في المستقبل لكفالة الأمن والسلام».

حول مسار التعديلات على الميثاق، في ضوء الحاجة إليها، كتب محمد عبد الروهاب الساكت، مدير الادارة العربية في الجامعة العربية («الوسط»، العدد ١٦٤، تاريخ ٢٠ آذار ١٩٩٥، ص ٢٥-٢٦):

«تطبيقاً لنص الميثاق (إجازة التعديل في ضوء الضرورة) عرضت الدول العربية، منذ السنوات الأولى لإنشاء الجامعة، اقتراحات لتعديل الميثاق، أخذت في الاعتبار

إلى تونس إثر زيارة الرئيس المصري، السادات، اسرائيل، ثم عادت إليها بعميد بدء المفاوضات العربية-الاسرائيلية). وللمجلس ان يجتمع في أي مكان آخر يميّنه.

ويشترط الميثاق، كقاعدة عامة، صدور قرارات المجلس بالاجماع لكي تكون ملزمة لجميع الاعضاء. أما القرارات التي يتخذها المجلس بالأكثرية فلا تكون ملزمة إلا للدول التي تقبلها. وفي الحالات تنفذ قرارات المجلس في كل دولة وفقاً لنظمتها الأساسية. وهناك حالات لا يمكن للمجلس فيها إلا ان يصدر قراره بالاجماع، مثل: اتخاذ التدابير للدفع اعتداء وقع على دولة عضو، واعتبار أية دولة عضو لا تقوم بواجبات الميثاق منفصلة عن الجامعة.

وفي حالات أخرى يكفي ان تصدر القرارات بالأغلبية كي تلزم بقية الدول الاعضاء، مثل: تعديل الميثاق الذي يمكن ان يتم بموافقة ثلثي الاعضاء، وللدولة التي لا تقبل التعديل ان تنسحب عند تنفيذه. واتخاذ قرارات نافذة في شؤون الموظفين وإقرار الموازنة ووضع الانظمة الداخلية للمجلس واللجان والأمانة...

٢- اللجان الخاصة: ينص الميثاق على أن تولف لكل من الشؤون التي تدخل في نشاط الجامعة لجنة خاصة تمثل فيها دول الجامعة. وتتولى هذه اللجان وضع قواعد التعاون ومداه وصياغتها في شكل مشروعات اتفاقات تعرض على المجلس للنظر فيها تمهيداً لعرضها على الدول الاعضاء. ويجوز ان يشترك في اللجان أفراد يمثلون بلاداً عربية لم تنضم بعد إلى الجامعة.

٣- الأمانة العامة: هي الهيئة الادارية الدائمة للجامعة. يتكون من أمين عام بدرجة سفير، وأمناء مساعدين بدرجة وزراء مفوضين، ومن عدد كاف من الموظفين. والمجلس هو الذي يعين الأمين العام بأغلبية الثلثين. ويقوم الأمين العام بتعيين الأمناء المساعدين والموظفين الرئيسيين بموافقة المجلس. وتسهر الأمانة العامة على تحضير أعمال المجلس واللجان وتنفيذ ما يصدر من قرارات وتوصيات. ويتولى الأمين العام دعوة المجلس إلى الانعقاد، وبعد مشروع موازنة الجامعة ويعرضه على المجلس لإقراره قبل بدء السنة المالية. وتودع الدول الاعضاء الأمانة العامة نسخاً من جميع المعاهدات والاتفاقات التي عقدها أو تعهدها مع أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها (عن د. محمد الجنزوب، مرجع مذكور آنفاً، ص ٣٢٩-٣٣١). وتعاقب، حتى الآن، خمسة على منصب الأمين العام للجامعة العربية، وهم:

- عبد الرحمن عزام: من ٢٠ ايار ١٩٤٥ حتى

المنظمات العربية المتخصصة وعلى أداء عملها. يدعم هذا الاتجاه ما تردّد عن مشاريع للتعاون في منطقة الشرق الاوسط وصادر تصريحات عن بعض كبار المسؤولين في الدول العربية تطالب بتطوير أداء الجامعة كتي تواكب المتغيرات العربية والاقليمية والدولية، مع إعلان بمسك الدول العربية ببقاء الجامعة واستمرارها باعتبارها مظلة حيوية للعمل المشترك».

نظرة على أهم أعمال مجلس الجامعة عبر دوراته الأخيرة وفي أجواء جهود الجامعة وضياعتها: في دورته المنعقدة خلال شهر ايلول ١٩٩٤، قرّر مجلس الجامعة إنشاء محكمة عدل عربية لفض الخلافات والنزاعات القانونية التي قد تنشأ بين الدول العربية. ولهذا القرار أساس يعود إلى المادة الخامسة من ميثاق الجامعة التي تنص على انه «لا يجوز اللجوء إلى القوة لفض المنازعات بين دولتين أو أكثر من دول الجامعة...»، وإلى المادة ١٩ التي تنص على إنشاء محكمة عربية لحل الخلافات أسوة بمحكمة العدل الدولية. إلا ان المحكمة لم تبصر النور بعد رغم ان الميثاق الخاص بها جاهز ومعرض الآن على جميع الدول العربية (السؤال المتعلق بـ«لماذا لم تبصر النور بعد» فتح الباب واسعاً أمام سيل من تعليقات وتحليلات استنتجت أن «الخلاف وتعميقه هما المطلوبان» وليس «الوفاق» ولا «إيجاد آلية لحل الخلافات»... راجع، في ما يلي،: «تقويم، مناقشات»).

وفي افتتاح الدورة ١٠٣ لمجلس الجامعة (آذار ١٩٩٥) التي تزامنت مع مراسم الاحتفال بمرور ٥٠ عاماً على إنشاء الجامعة، ألقى الرئيس المصري حسني مبارك بوصفه رئيس الدولة المضيئة في حضور وزراء الخارجية العرب وفي غياب الملوك والرؤساء كلاء ركزت على مسيرة العمل العربي المشترك ومستقبله وسبل دعم الجامعة وتطويرها. واعتبر الأمين العام للجامعة عصمت عبد المجيد ان محاولات تهميش الجامعة هي محاولات لتهميش دور الدول العربية ذاتها، وشدّد على انه «لا يمكن التفريط» بكيان هذه الجامعة، ودعا إلى تعديل ميثاقها، رافضاً ان «يتطور العالم من حولنا ونقف نحن خلفك سر». أما مجلس الجامعة (وزراء الخارجية-الدورة ١٠٣) فقد طغت على أعماله قضية معاهدة الانتشار النووي، والدعوة إلى مصالحة عربية. وقد اتخذ المجلس قراراً يربط الموافقة العربية على تمديد العمل بمعاهدة الانتشار النووي بانضمام إسرائيل إليها

تطور وظائف الجامعة وتجارب العمل في المنظمات الدولية. فأنشئ العديد من المنظمات العربية المتخصصة التي تغطي كل مجالات العمل العربي المشترك. وتمّ تشجيع المئات من المنظمات العربية غير الحكومية لتغطي شبكة واسعة من العلاقات العربية-العربية. وبدأ التعاون بين الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية في تشرين الثاني ١٩٥٠ حين طلبت الجمعية العامة للأمم المتحدة من الأمين العام لهذه المنظمة الدولية ان يدع الأمين العام للجامعة العربية إلى حضور دورات الجمعية العامة بصفة مراقب، وأسفر تبادل الرسائل بين الأمانة العامة للجامعة والأمانة العامة للأمم المتحدة في كانون الاول ١٩٦٠ عن اتفاق على المبادئ التوجيهية للتعاون في ميادين تبادل الرأي والمعلومات والوثائق والتمثيل والاتصال المتبادل. وتؤكد هذا التعاون بموجب قرار الجمعية العامة في تشرين الثاني ١٩٨١ الذي دعا الجامعة إلى الاشتراك في دورات الجمعية العامة واعمالها وهيئاتها الفرعية بصفة مراقب، وتكرست منذ العام ١٩٩٠ ستة مجالات للتعاون بين المنظمات، هي: السلم والأمن الدوليان، الأغذية والزراعة، القوى العاملة والتجارة، الصناعة والبيئة، الشؤون الاجتماعية، التربية والعلوم والثقافة والاعلام والاتصالات.

وتجاوبت الجامعة مع خطة السلام التي أعلنها الأمين العام للأمم المتحدة عملاً بالبيان الذي أصدره اجتماع القمة لمجلس الأمن في ٣١ كانون الثاني ١٩٩٢ وأعلن فيه «ان العمل الأقليمي من قبيل اللامركزية والتفويض للسلطة والتعاون مع جهود الأمم المتحدة، يستطيع المساهمة في زيادة تعميق الاحساس بالمشاركة، وتوافق الآراء وإضفاء الطابع الديمقراطي في الشؤون الدولية».

إن تطوير عمل الجامعة العربية أصبح ضرورة ملحة بعد مرور ٥٠ سنة على إنشائها، وذلك مجازة للحياة في سيرها الدائب وتجديدها المتصل، وبعدها استكملت الجامعة المشاريع المقترحة لذلك، التي تتعلق بتعديل بعض مواد الميثاق أو إنشاء أجهزة جديدة كمحكمة العدل العربية أو هيكلية الأمانة العامة للجامعة، وهو أمر بادرت إليه الجامعة في الفترات الحاسمة من تاريخها، وأولها بعد حرب فلسطين عام ١٩٤٨. إذ وقعت معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة التي أنشأت مجلس الدفاع المشترك والمجلس الاقتصادي العربي، وبعد حرب تشرين الاول ١٩٧٣ طور عمل المجلس الاقتصادي ليصبح مجلساً اقتصادياً واجتماعياً يشرف على إنشاء



لوكربي وتقديم الدعم لاعمار لبنان، وحضّر ايران على التجاوب مع المواقف الايجابية للامارات لحل الخلافات في شأن الجزر الثلاث بالطرق السلمية وفق المواثيق الدولية وقبول اللجوء إلى محكمة العدل الدولية لحل النزاع.

المقاطعة العربية لاسرائيل: راجع باب «قضايا وموضوعات».

الميثاق العربي لحقوق الانسان: راجع باب «قضايا وموضوعات».

الاتفاقية العربية لمكافحة الارهاب: راجع باب «قضايا وموضوعات».

القمة العربية: أول اجتماع لقمة عربية، استضافته مصر في ٢٨ و ٢٩ ايار ١٩٤٦ في أنشاص بالقرب من القاهرة بمشاركة الدول السبع التي وقعت على بروتوكول الاسكندرية، وهي مصر وسورية والعراق والاردن واليمن ولبنان والسعودية. وجاء في بيانه الختامي ان القضية الفلسطينية هي قضية العرب جميعاً، ولم يحضّر امامان على هذا الاجتماع حتى جاءت نكبة فلسطين.

ثاني اجتماع لقمة عربية، عقدت في بيروت في ١٣ و ١٤ تشرين الثاني ١٩٥٦، وكان أهم موضوعاته مناصرة مصر ضد العدوان الثلاثي وتأييد نضال الشعب الجزائري.

ثالث اجتماع لقمة عربية، اعتبر هذا الاجتماع بمثابة «القمة العربية الأولى» أو «مؤتمر القمة العربية الأولى» لأهميتها من حيث عدد الدول المشاركة، والظروف المحيطة بها، وطبيعة المواضيع في جدول أعمالها. عقدت في القاهرة في ١٣-١٧ كانون الثاني ١٩٦٤، وناقشت إنشاء قيادة عربية موحدة لمواجهة اسرائيل ومحاولة تحويل مجرى نهر الاردن وجعل اجتماعات القمة بمثابة «مؤسسة» (راجع العنوان الفرعي التالي).

القمة العربية الثانية، عقدت في الاسكندرية في ٥-١١ ايلول ١٩٦٤ تنفيذاً لقرار القمة السابقة، وبثت وضع خطة عمل عربي لتحرير فلسطين واعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني.

القمة العربية الثالثة، عقدت في الدار البيضاء في ١٣-١٧ ايلول ١٩٦٥، وبثت في التضامن العربي ومساندة الفلسطينيين.

القمة الرابعة (الخرطوم)، ٢٩ آب-أول ايلول

أو تعهدتها بمثل هذه الخطوة. واجمع الوزراء العرب على الانضمام إلى الموقف المصري من معاهدة الانتشار النووي (تم إبرام هذه المعاهدة في ١٩٦٨). وأما الدعوة إلى مصالحة عربية، فقد رأى الوزراء «ان الظروف معيقة لها وقد تتأخر بعض الوقت».

وفي دورته ١٠٧ (نيسان ١٩٩٧)، على مستوى وزراء الخارجية، دعا مجلس الجامعة، في رد على الحكومة الاسرائيلية المتشددة برئاسة بنيامين نتانياهو، إلى وقف «التطبيع» مع اسرائيل، وإلى استمرار التزام المقاطعة الاقتصادية من الدرجة الأولى للدولة العربية وتعليق المشاركة العربية في المفاوضات المتعددة الأطراف من اجل «إرغام» اسرائيل على العودة إلى التزام صيغة مؤتمر مدريد الذي انطلقت منه عملية السلام، خصوصاً ان هذه العملية وصلت الآن إلى الطريق المسدود في ضوء القرار الاسرائيلي بناء مستوطنة جديدة على جبل ابو غنيم (هار حوسا بالعربية) في القدس الشرقية، مما أدى إلى توقف المفاوضات على المسار الفلسطيني بعدما كانت توقفت على المسارين اللبناني والسوري منذ شباط ١٩٩٦. وقد انتقدت واشنطن هذا القرار للجامعة، وذهب نتانياهو إلى حد انه سخر منه. أما أمين عام الجامعة، عصمت عبد الجيد، فقد وصفه بـ«التاريخي» إثر تساؤلات حول مدى فاعلية هذا القرار خصوصاً انه لم يتضمن آلية للتنفيذ ولم يحدد الدول الملزمة وقف «التطبيع».

وفي دورته ١٠٨ (ايلول ١٩٩٧)، عجز مجلس الجامعة العربية عن إقرار خمسة مشاريع مهمة بسبب تحفظات سجلتها دول الجامعة الاعضاء على كل منها. وكانت ثلاثة من هذه المشاريع أحالتها القمة العربية الأخيرة (القاهرة، حزيران ١٩٩٦).

وتتضمن المشاريع: ميثاق الشرف العربي للأمن والتعاون (اقترحه مصر) وإنشاء آلية لفض المنازعات بالطرق السلمية (تونس)، والاتحاد العربي (ليبيا)، والاتفاقية الإقليمية لنزع السلاح النووي (مصر)، والنظام الأساسي لمحكمة العدل العربية.

لم يقر المجلس أيًا من المشاريع الخمسة، واكتفى بيانه الختامي لأعمال دورته الرقم ١٠٨ بإدانة الممارسات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة وإغلاق المدن الفلسطينية ومواصلة مصادرة الاراضي. وشدد على استمرار عملية السلام المستندة إلى قرارات الشرعية الدولية، ومبدأ الارض مقابل السلام، واستئناف المفاوضات على كل المسارات... ودعا إلى التجاوب مع ليبيا في أزمة

القمة التاسعة (الرياض، ٢٥ و ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٦) ناقشت قضية غزو اسرائيل لجنوبي لبنان والاضاع في لبنان وإنشاء قوات ردع عربية. وسميت هذه القمة بـ«المؤتمر السداسي» الذي انعقد بمبادرة من السعودية والكويت، وحضره الرؤساء أنور السادات (مصر) وحافظ الأسد (سورية) والياس سركيس (لبنان) وياسر عرفات (منظمة التحرير الفلسطينية) والشيخ صباح صبح (الكويت) والملك المضيف خالد بن عبد العزيز آل سعود، وخصص للبحث في الأزمة اللبنانية. أما تسمية القمة التاسعة فقد أعطيت لقمة القاهرة (بعد اسبوع من المؤتمر السداسي) بهدف وضع حد نهائي للحرب في لبنان وإعادة اعمارها.

القمة العاشرة (بغداد، تشرين الثاني ١٩٧٨) بحثت في تأثيرات زيارة الرئيس السادات لاسرائيل، وأقرت عدم الموافقة على توقيع مصر لمعاهدة السلام مع اسرائيل وتعليق عضوية مصر في الجامعة العربية. وأنشئت في أعقابها «جبهة الصمود والتصدي».

القمة الحادية عشرة (تونس، تشرين الثاني

١٩٦٧)، جاءت في أعقاب هزيمة ١٩٦٧، وبحثت في أسبابها وكيفية إزالة أسبابها، وعرفت بـ«مؤتمر اللاءات الثلاث» (لا صلح، لا تفاوض، لا اعتراف).

القمة الخامسة (الرباط، ٢٠-٢٣ كانون الأول ١٩٦٩)، عقدت في أعقاب حريق المسجد الأقصى، وبحثت في أوضاع دول المواجهة مع اسرائيل وكيفية مسانبتها.

القمة السادسة (القاهرة، ٢٦-٢٨ ايلول ١٩٧٠)، لمناقشة الاوضاع بين الفلسطينيين والاردن في أعقاب ما عُرف بمذابح ايلول الاسود.

القمة السابعة (الجوائز، ٢٦-٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٣)، في أعقاب حرب تشرين الأول، وصدر عنها قرار عقد القمة دورياً (ولم ينفذ القرار)، وبحثت كيفية دعم الجبهة العربية عسكرياً ومادياً.

القمة الثامنة (الرباط، تشرين الثاني ١٩٧٤)، بحثت في تعديل ميثاق الجامعة العربية ودعم العلاقات الاقتصادية العربية، وصدر عنها قرار اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

آخر قمة عربية جرت في اطار الجامعة العربية.



ومن قبلها لقاء الرئيس مبارك والعاقل الاردني الملك حسين (...). أما القمة الموسعة فستصطدم بموضوع العراق، وقرارات القمة الماضية لا تزال سارية وصالحة ولا مجال للقمة في الوقت الراهن» («الحياة»، العدد ١٢٨٢٧، تاريخ ١٧ نيسان ١٩٩٨، ص ٥). وكذلك ربط أمين عام مجلس التعاون الخليجي، جميل المحجلان، عقد قمة عربية موسعة «بإزالة المشاعر التي أفرزها الغزو العراقي للكويت» (في تصريح له في ٢ ايار ١٩٩٨). وفي ٥ تموز ١٩٩٨، عقد لقاء في القاهرة، ضم الرئيسين مبارك وعرفات والملك حسين، وُصف بأنه «بداية طيبة لتحرك عربي شامل، ومهيئ لعقد قمة أوسع لحاجة الأمة إليها».

#### مؤسسة القمة العربية: إن فكرة المؤتمرات العربية

الدورية ولدت في مطلع الستينات، وبمبادرة من الرئيس المصري جمال عبد الناصر، وذلك إزاء تفجر الصراع على نهر الاردن وبحيرة طبريا بين اسرائيل والبلدان العربية واتخاذها بعداً دولياً خطيراً من خلال التدخل السياسي-التقني الاميركي فيما عُرف آنذاك باسم «مشروع تحويل مياه نهر الاردن». وبدا من الضروري قيام العرب بالتحرك الجماعي السريع لمواجهة هذا التحدي. مشروع مضاد يتطلب قراراً سياسياً على أعلى مستوى، في حين انه لم يكن هذا كله في قدرة مجلس الجامعة.

وبالفعل، انعقدت أول قمة نظامية في مصر (١٩٦٤). وتكرر بعد ذلك عقد مثل هذه المؤتمرات بدعوة من عدد من الملوك والرؤساء العرب عند اندلاع أزمات حادة في أكثر من بلد عربي. وانعقد، منذ ١٩٦٤، حتى المؤتمر الأخير (في القاهرة، ١٩٩٦) ١٢ مؤتمر قمة عادي، و٧ مؤتمرات قمة غير عادي.

وأخذت تجربة مؤتمرات القمة (العادية وغير العادية) تتبلور باعتبارها جهازاً لا غنى عنه يفرضه واقع الحال العربي. وإذا كان لم يجر تقنيته في نظام الجامعة، إلا انه اكتسب قوة العرف، وذلك منذ صدر في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٣، عن مؤتمر قمة الجزائر، القرار رقم ٥٨ ونص للمرة الأولى على ان «تعقد اجتماعات دورية لمؤتمر القمة العربي في نيسان من كل عام. كما تعقد دورات استثنائية إذا اقتضت الضرورة ذلك بموافقة أغلبية الدول الاعضاء، وبناء على طلب دولة أو أكثر من الدول الاعضاء أو الأمين العام».

وجرى تأكيد هذا القرار (الذي وضع أساساً لمؤسسة القمة) بقرارات أخرى اتخذها كل من مؤتمر قمة

(١٩٧٩) عقدت تنفيذاً لقرارات القمة السابقة في بغداد، وبعد نقل مقر الجامعة من القاهرة إلى تونس، وأقرت تطبيق احكام المقاطعة العربية على مصر.

القمة الثانية عشرة (عمان، ٢٥-٢٧ تشرين الثاني ١٩٨٠) ناقشت استراتيجية العمل الاقتصادي العربي المشترك.

القمة الثالثة عشرة (فاس، تشرين الثاني ١٩٨١) بحثت في وضع استراتيجية شاملة لمنع اسرائيل من العدوان على جنوبي لبنان، وتبنت مشروع الامير فهد (ولي العهد آنذاك) للسلام.

القمة الرابعة عشرة (الدار البيضاء، آب ١٩٨٥) بحثت في وضع الحرب بين العراق وايران وتنقية الأجواء العربية.

القمة الخامسة عشرة (عمان، تشرين الثاني ١٩٨٧) وأطلق عليها اسم «قمة الوفاق والاتفاق»، وتبنت عودة مصر إلى الجامعة العربية.

القمة السادسة عشرة (الجزائر، ايلول ١٩٨٨) تناولت كيفية دعم الائتلاف الفلسطينية في قطاعي غزة والضفة الغربية.

القمة السابعة عشرة (الدار البيضاء، ٢٣-٢٦ ايار ١٩٨٩) وأقرت عودة مصر إلى الجامعة وعودة مقر الجامعة إلى القاهرة.

القمة الثامنة عشرة (بغداد، ٢٨-٣٠ ايار ١٩٩٠).

القمة التاسعة عشرة (القاهرة، ٩-١٠ آب ١٩٩٠) دانت «الغزو العراقي للكويت».

القمة العشرون (القاهرة، ٢١-٢٣ حزيران ١٩٩٦)، بعد انقطاع عن القمة لمدة ست سنوات أظهرت عمق أزمة النظام العربي وعمق أزمات العلاقات العربية-العربية. عقدت إثر توقف مفاوضات السلام بين الفلسطينيين واسرائيل وبين سوريا واسرائيل (شباط ١٩٩٦) و«إعطاء فرصة لتانياهاو»، رئيس وزراء اسرائيل.

واستمرت الازمة بعد هذه القمة، ولم تعقد بعد (وحتى الآن في اوائل صيف ١٩٩٨) قمة أخرى. وعمق هذه الازمة المستمرة عكسه رد أمين عام الجامعة العربية الدكتور عصمت عبد الجيد على سؤال بخصوص عقد قمة عربية بعد قمة القاهرة في ١٩٩٦، إذ قال: «عقد القمة من صلاحيات القادة العرب، وهناك لقاءات ثنائية مستمرة بينهم ومنها لقاء الرئيسين حسني مبارك وحافظ الأسد،

التهديد بها، وهو المبدأ الذي يتجسد في أسلوب تسوية الخلافات والمنازعات بالطرق السلمية، لم يطبق: لم تلجأ الجامعة يوماً إلى إصدار حكم واحد يدين أي طرف في أي نزاع واتسم عملها دائماً بالتردد والتلكؤ، واتخذت، في معظم الأحيان، موقف اللامبالاة من بعض المنازعات العربية وفضلت غالبية الدول العربية اللجوء إلى دولة أو منظمة أجنبية لحل خلافاتها، وقد تراقف عجز الجامعة عن تسوية المنازعات بين أعضائها مع عجزها عن رد العدوان الأجنبي عنهم. وقد تعرضت أكثر من دولة عربية لاعتداءات فلم تحرك الجامعة أو دولها ساكنًا. والأغرب من ذلك أن دولاً عربية شاركت، دون الرجوع إلى مجلس الجامعة، في حروب ومعارك شنت على دول عربية أخرى، فلم يصدر عن الجامعة استنكار أو احتجاج.

فالجامعة ابتعدت، منذ تأسيسها، عن الطموح العربي الرحدي. وعناصر هذا الطموح لا يمكن أن تتوافر إلا في قدرة أعضائها على تحقيق التضامن والتلاحم وفي ما تملكه الأنظمة السياسية الحاكمة من نضج أو وعي أو حس قومي رفيع. لقد تعرضت الجامعة، منذ تأسيسها، لسلسلة طويلة من العجز، ولم تعد، بوضعها الراهن، صالحة أو مؤهلة لتحقيق اللمعة العربية إلى الوحدة أو الاتحاد. لقد حكمت الجامعة، أو حكمتها الأنظمة العربية السياسية، بنوع من «ثنائيات» كانت في أساس تعطيل دورها الوحيد أو حتى التضامني:

النوع الأول: ثنائية المقاصد والرسائل، حيث يُلاحظ أن جميع الأنظمة العربية تنغني بالوحدة، وتفاخر بها في تشريعاتها وتظهر بالعمل من أجلها. ولكن صيغ الوحدة والرسائل الكفيلة بلوغها هي موضوع عرقلة دائمة. فتجد الشعوب صعوبة في التمييز بين اللثالية (الوحدة كفكرة وكمطلب) والواقع التقسيمي، أو بين منطق القول القادر على التحليق في أجواء المطلق ومنطق الفعل المرتبط بنسبية الواقع.

النوع الثاني: ثنائية الأمة والدولة، أو ثنائية القومية والقطرية.

النوع الثالث: ثنائية الثورة والثورة. فالثورة العربية، بمعناها الشامل، هي التي تحركت وحركت وحزرت. وجميع الاقطار العربية التي استقلت مدينة لروح هذه الثورة بالخلاص من نير الاستعمار. صحيح أن الثورات كانت محلية، إلا أن هدفها كان واحداً، هو العودة إلى أحضان الأمة. وعندما تفجّر النفط في الأرض العربية وامتلك العرب ثروة خيالية خيّل إلينا أن اقتران الثورة

فاس (أيلول ١٩٨٢) بالقرار رقم ١٦١، ومؤتمر القمة غير العادي الذي انعقد في بغداد (أيار ١٩٩٠) بالقرار رقم ١٩٢.

من هنا، أجه مشروع تعديل ميثاق جامعة الدول العربية إلى تحويل «العرف» بالنسبة إلى القمة إلى «حكم قانوني»، وذلك في الدورة ٩٦ لمجلس الجامعة (نيسان ١٩٩٢). لكن قراراً صدر عن الدورة نفسها يقضي بتأجيل النظر في المشروع، ولا يزال موحلاً.

### تقويم (مناقشات)

إبعاد الجامعة عن التطلعات الوحدوية: تبين ذلك من خلال الكيفية التي اتبعت لتطبيق مبادئ الجامعة الواردة في ميثاقها ومدى التزامها بها. فالانخفاق كان السمة البارزة لجامعة الدول العربية.

فلمدى استعراض مبادئ الميثاق نجد أن عدم التنفيذ، أو عدم الالتزام، كان السمة الملائمة لتصرفات الجامعة. وهذا يتجلى في الأمور التالية:

أ- إن المساواة التامة بين الأعضاء لم تتحقق بسبب التفاوت في حجم القدرة والثروة والمستوى الاجتماعي وقيام المحاور المتناحرة والاستعاضة عن مجلس الجامعة بمؤتمرات القمة العربية.

ب- إن مفهوم السيادة أصبح، لدى الدول الأعضاء، هدفاً استراتيجياً ثابتاً يقف بالمرصاد لكل محاولة توحيدية.

ج- إن صيانة استقلال الدول الأعضاء بقيت أمنية بعيدة المنال، وأثبتت عجزاً كاملاً من الجامعة العربية: فلسطين، العدوان الثلاثي على مصر، احتلال جنوب لبنان في ١٩٧٨ ونصف لبنان في ١٩٨٢ والاعتداءات الاسرائيلية اليومية عليه، تدمير المفاعل النووي العراقي، العقوبات المفروضة على العراق وليبيا والسودان...

د- إن مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء، أو مبدأ احترام نظام الحكم القائم فيها، لم يحفظ بأي احترام. وسجلت العلاقات العربية حافل بالتدخلات المتبادلة، العلنية والسرية.

هـ- إن مبدأ التعاون وتنسيق الخطط في كل المجالات بين الدول الأعضاء لم يبدأ العمل به حتى الآن. ففي الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمالية وقعت اتفاقيات ولم تُنفذ.

و- إن مبدأ حظر اللجوء إلى استعمال القوة أو

بالثروة سيحتزع الأعاجيب ويرتفع بالأمة إلى أعلى عليين. ولكن الرجاء سرعان ما خاب، ولم تساند الثروة الثورة، بل طمست معالمها.

الخلاصة ان الجامعة العربية، كمنظمة إقليمية، تحتاج إلى تطوير كبير يتناول المفاهيم والميكنية والأجهزة والميثاق وأساليب العمل. صحيح انها ما زالت، عند البعض، مخط الآمال المتبقية لأمة تبحث عن أمال، وانها استطاعت، رغم الاعاصير التي هبت عليها من الداخل والخارج، ان تحافظ على وجودها، وان فكرة الانسحاب منها أو المطالبة بإلغائها لم تطرح من جانب أي عضو فيها، إلا ان إصرارها على اتباع النهج الذي التزمته حتى الآن سيؤدي إلى إعلان فشلها التام. ولعل قيام بعض التجمعات الإقليمية العربية، على هامش الجامعة، دليل واضح على ضعف الثقة بها (عن الدكتور عماد الجندوب، «التنظيم الدولي»، الدار الجامعية، ١٩٨٨، ص ٣٣٥-٣٤٣).

ورغم فشل الجامعة «لم يبق لنا مواها»: لا بد ان نعرف بأن الجامعة العربية مؤسسة غير فاعلة في نظر معظم الناس خصوصاً الجماهير قبل الحكام. إذ ارتبط اسمها في ذهن المواطن العربي بالنكسات والهن التي تعرضت لها الأمة العربية خلال خمسة عقود وما رافق ذلك من إحباط ويأس. ومن سوء الطالع ان نكبة فلسطين حلت عام ١٩٤٨ والجامعة العربية لا تزال طفلاً يمس في عامه الثالث. ومع ذلك فقد دينت الجامعة العربية وحملت أوزار تلك الكارثة. وفي هزيمة ١٩٦٧ دينت الجامعة العربية مرة أخرى بسبب غيابها عن المسرح السياسي، الذي ظهرت عليه فقط بعد الهزيمة وفي قمة الخراب. وفي ١٩٧٨، نجحت الجامعة العربية في قمة بغداد في بلورة موقف عربي موحد تجاه تفرد الرئيس السادات بزيارة اسرائيل واتفاقيتي كامب دافيد. ومع ذلك دينت الجامعة العربية لأنها عجزت عن توفير دليل لكاسب دافيد ما أدى إلى انعقاد مؤتمرات الصمود والتصدي خارج نطاق الجامعة العربية. وفي ١٩٩٠، تعرضت الجامعة العربية لأقصى الاحكام والالتهامات لأنها عجزت عن تمثيل العرب في قمة القاهرة وتوفير حل عربي لمشكلة احتلال العراق للكويت ما نتج عنه مجيء القوات الاجنبية. وفي ١٩٩٣، لم تسلم الجامعة العربية من المسؤولية عندما وقع الطرف الفلسطيني اتفاقية إعلان المبادئ مع اسرائيل. فقد اعتبرت الجماهير العربية ان تلك الاتفاقية بشروطها الجائرة والظالمة هي وليدة حالة العجز العربي التي تمثلها الجامعة العربية والتنظيم العربي. وخلال

تلك الادانات لم يتم تحديد أو تعريف ما هو المقصود بالجامعة العربية: المبنى أم النظام الداخلي أو شخص الأمين العام أو الدول الاعضاء.

وبسبب تلك الفترات والنكسات تحولت الجامعة العربية، في ذهن المواطن، إلى ضريح يضم رفات العروبة والوحدة العربية والقومية العربية. ولهذا السبب يكاد الحديث اليوم عن العروبة يصبح من نسج الخيال وضرباً من ضروب الأساطير، وذلك تحت وطأة الاستسلام والاهواء والتفسيخ والضياح والتفوق العربي والهولة نحو اسرائيل. وبلغ الأمر بالمستشرق اليهودي الشهير برنارد لويس ان كتب شيئاً في مجلة «فرين أفريز» الفصلية البارزة نعى فيه وإلى الأبد القومية العربية وذرف الدموع على العروبة التي انتهت في رأيه بعد ان حرقتها وقضت عليها ذبول احتلال الكويت ومضاعفاته. ومن المؤسف ان بعض الكتاب والمثقفين العرب اعتبروا هذا النمط من الكتابة حادثة في التفكير وواقعية في التحليل وكان عربوتنا، وهي واقع ومصير لا فكناك منه، عبارة عن ثياب نلبسها ونخلعها حسب موضة العصر وتطورات الأمور.

وهنا يطرح السؤال التالي: هل ظهر بحلال عمر الجامعة العربية دليل لها كأداة تقريب وتوحيد وماذا كانت النتيجة؟

الجواب هو ان العالم العربي عايش أمناً من الادوات التوحيدية عبر خمسين عاماً. فقد شهدنا مرحلة «الزعيم» كأداة توحيدية ممثلاً بجمال عبد الناصر. ومرّ العالم العربي قبل عبد الناصر وبعده بمرحلة «الحزب» كأداة توحيدية ممثلاً بحزب البعث العربي الاشتراكي. كذلك شهدنا مرحلة «العائلة» كأداة توحيدية ممثلة بالهاشميين في كل من الاردن والعراق. وعاصر العالم العربي أيضاً مرحلة «النظام» كأداة توحيدية ممثلاً بالجماهيرية الليبية التي سعت على مدى عقدين من دون كلل أو ملل لتحقيق الوحدة الاعلانية مع أكثر من قطر عربي. والنتيجة الاجمالية ان جميع المحاولات الوحدوية من جانب الزعيم والحزب والعائلة والنظام باءت بالفشل لأن بعضها ولد ميتاً بينما رفض الجسم السياسي العربي استيعاب البعض الآخر فمات في مهده. وبالإضافة إلى ذلك، برزت في السنوات الأخيرة فكرة المجالس الإقليمية التي تستهدف التعاون والتنسيق مع مجلس التعاون العربي الذي انهار بعد احتلال الكويت والاتحاد المغاربي الذي لم يثبت وجوده ومجلس التعاون لدول الخليج الذي لا يزال صامداً رغم الخلافات الحدودية التي تعصف به.

أداة مبادرة وفاعلة. وعلى سبيل المثال لا بد من خلق جهاز له صلاحيات مجلس الأمن ولا مناصر من تقوية سلطات الأمين العام وصلاحياته لتصبح شبيهة بسلطات الأمين العام للأمم المتحدة. وإذا كان ظهور منظمة التجارة الدولية كعلامة بارزة في النظام الدولي الجديد قد دفع الأمم المتحدة إلى إعادة النظر في بعض أجهزتها المتخصصة أفلا تدفعنا دعوة شيمون بيريز إلى تحويل الجامعة العربية إلى منظمة شرق أوسطية تضم إسرائيل إلى إعادة النظر في هذه المنظمة الإقليمية العربية تركيباً وتحديداً وتحديداً؟

إن العالم العربي، وهو يقف على مشارف القرن الواحد والعشرين ويواجه تحديات اسرائيلية وأمنية واقتصادية وسياسية واجتماعية لا حدود لها، بحاجة إلى:

- قيادة مستترة تكون الجامعة العربية اليتها.
- ومصالحة حقيقية تكون الجامعة العربية أدواتها.
- وتنمية اقتصادية تكون الجامعة العربية بوتقتها.
- ونهضة شاملة تكون الجامعة العربية وعاءها.

وعن هذه النهضة فيكفي ان نقرر هنا الحقيقة المرعبة وهي ان ثلث العالم العربي يعيش تحت حزام الفقر على رغم ثرواته الهائلة، وان نصف العرب يعيشون حالة بطالة ظاهرة أو مستترة مما يخلق من حولنا مظاهر التملل والارهاب والتطرف. والنهضة الشاملة تعني التصدي لهذا الواقع المرير من خلال إعادة نظر جذرية في جمل أوضاعنا الاجتماعية والسياسية والثقافية والانتاجية والعلمية والتربوية من خلال خطط وبرامج تأخذ بالحديث من المدينة من دون التفريط بالتقديم من تراثنا وقيمنا، وتوفر الفرص للعمل والانتاج والابداع لأبناء المجتمع على أساس متكافئ (عن باسل أمين عقل، مفكر فلسطيني عضو المجلس الوطني المركزي، «الحياة»، ٢٢ آذار ١٩٩٥).

جامعة الدول العربية في عصر العولمة: هناك أسباب عدة تدعو إلى التركيز على فاعلية دور جامعة الدول العربية في الحقبة المقبلة. ولعل أهمها على الإطلاق أن كل المؤسسات الإقليمية لا بد لها أن تعيد صوغ أهدافها وتحديد مسألتها، أخذاً في الاعتبار التغيرات الكبرى التي حدثت في العالم في العقد الأخير. وليس هناك من شك في أن أبرز هذه التغيرات هي العولمة بتجلياتها السياسية والاقتصادية والثقافية والاتصالية.

ومن هنا يمكن القول إن المركز العربي للدراسات الاستراتيجية كان موفقاً حين اختار موضوع «مستقبل الوطن العربي ودور جامعة الدول العربية» ليكون موضوع

والحصيلة النهائية لهذا المشوار من عمر الجامعة العربية هي ان العالم العربي قد عاد اليرم بعد تجارب خمسين عاماً إلى المربع الرقم واحد الذي كان فيه يوم قامت الجامعة العربية. وهذه حقيقة تبعث على الألم والأسى. فالمنطقة العربية اليوم يسودها منطق الكيانات السياسية المتكففة على نفسها داخلياً لعدم ثققتها بمن حولها. والعمل العربي المشترك اليوم عبارة عن نشاط شكلي وتجميلي (كوزميتيك) لرفع العتب ولا لون له ولا طعم ولا رائحة ناهيك عن فاعليته. وأزمة احتلال الكويت ما زالت تلقي بظلالها المقيتة على جمل العلاقات العربية تبدأً وحقلاً وانسلاخاً. وقوق ذلك كله فقد قامت اسرائيل خلال هذه السنين كإسفين دقّ قسراً وعنوة في قلب الوطن العربي ثم راحت تجت نفسها شرعية واعترافاً وامتداداً داخل الدول العربية تحت دعوى التكامل الاقتصادي والتعاون الشرق أوسطي مع الاستمرار في التوسع الاستيطاني وقضم الارض تطبيقاً لسياسة الأمر الواقع.

واضح من السياق انه في ظل الاوضاع الراهنة لم يبق لنا سوى الجامعة العربية كمظلة عربية ومنظمة للحد الأدنى من العمل العربي المشترك. وصحيح أن كل إناء بما فيه ينضح وان الجامعة العربية مرآة تعكس ما هو قائم ومباح في الدول الاعضاء. ولكن هذا لا يعني بأي حال من الاحوال ان تبقى الجامعة العربية على حالها.

فالجامعة العربية لا تبدأ من الصفر. إذ إن أدراجها مليئة بالاتفاقات والمشاريع الحيوية والأساسية منها ما خرج إلى النور ومنها ما ينتظر التنفيذ. وعلى سبيل المثال هناك اتفاقية الجامعة العربية الثقافية لعام ١٩٤٧، وميثاق الدفاع المشترك لعام ١٩٥٠، واتفاقية التجارة والجزائز لعام ١٩٥٣، وبنود مشروع معاهدة لإنشاء مصرف التنمية العربي لعام ١٩٥٧، واتفاقية الاتحاد البريدي العربي لعام ١٩٥٨، وتشكيل المجلس الاقتصادي العربي لعام ١٩٦٠، وتشكيل قوة دفاع خاصة بالجامعة العربية لعام ١٩٦١ (لحماية الكويت من تهديدات عبد الكريم قاسم)، واتفاقية الوحدة الاقتصادية في حزيران ١٩٦٢. هذه الاتفاقات والمشاريع، وهناك الكثير غيرها، تشكل عماد العمل العربي المشترك الذي نقترح إحياءه من خلال بحث دور الجامعة العربية وتنشيطه. ومعنى آخر فإن آليات العمل العربي المشترك موجودة إذا توافرت النية للعمل بها والاستمرار بمقرراتها.

فلا بد من إعادة النظر في ميثاق الجامعة العربية ونظامها الداخلي وأجهزتها المتخصصة بحيث تتحول إلى

وشيوع ظاهرة التكتلات الاقتصادية وبروز التعاون الدولي في مجال معالجة بعض المشكلات البيئية والاقتصادية.

تحديات العولمة: وفي تقديرنا أن أهم سمة من سمات النظام العالمي الجديد هي العولمة بتحليلاتها السياسية والاقتصادية والثقافية والاتصالية. ونريد أن نركز في مجال تفعيل دور جامعة الدول العربية-على أبعاد العولمة السياسية لأنها في تقديرنا هي التي تحمل شواغل شديدة على الأمن القومي العربي، بل ولسنا مغالين في ذلك-على الوجود العربي ذاته، وعلى وحدة أراضي الدول العربية.

و نحن في حديثنا عن العولمة السياسية نقصد شعارات الديمقراطية والتعددية واحترام حقوق الإنسان والتي أصبحت اليوم المعايير التي تقاس على أساسها شرعية النظم السياسية. غير أن أهم ما في اعتبار هذه الشعارات معايير عالمية هي أن الولايات المتحدة الامريكية-باعتبارها المهيمنة في الوقت الراهن على النظام الدولي-تريد أن تفرض جزاءات سياسية واقتصادية على الدول التي ترى هي، ومن منظورها الخاص، أنها خالفت معايير الديمقراطية وحقوق الإنسان، ولعل الحالة النموذجية لذلك هي خلافاتها السياسية العميقة مع الصين على أساس أنها تخالف معايير حقوق الإنسان وعصروها بعد حوادث قمع ثورة الطلبة المشهورة (١٩٨٩).

هنا تبرز الولايات المتحدة وكأنها شرطي العالم المنوط به حفظ النظام على المستوى الكوني، بل وأبعد من ذلك كما لو كانت هي القاضية الأعظم الذي يصدر أحكامه على المخالفين للمعايير الدولية من دون تفويض من أحد.

وإذا كانت قضية حقوق الإنسان بكل جوانبها المعقدة، وأبرزها مشكلة ازدواجية المعايير التي تطبقها الولايات المتحدة وعصروها تجاهلها المتعمد للمخالفات الاجرامية لحقوق الإنسان التي ترتكبها اسرائيل ضد الشعب الفلسطيني والشعب اللبناني، هي من التحليلات البارزة للعولمة السياسية، إلا أن أخطرها على وجه الاطلاق في تقديرنا هي الممارسات المتسرفة لما يطلق عليه حق التدخل، والذي بناءً عليه استطاعت الولايات المتحدة ويا للأسف أن تهيمن على مجلس الأمن الدولي، وأن تستصدر قرارات باسم الشرعية الدولية، وبناءً عليها تم حصار الشعب العراقي والشعب الليبي.

حصار الشعب العربي: إذا أرادت جامعة الدول

المؤتمر الذي يعقد في أبو ظبي عاصمة دولة الامارات العربية المتحدة خلال الفترة من ٢ إلى ٤ تشرين الثاني ١٩٩٧. وموضوع تفعيل دور جامعة الدول العربية مطروح على الساحة الفكرية العربية منذ سنوات، وإن كان ازداد الاهتمام به بعد كارثة حرب الخليج، فقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن جامعة الدول العربية عجزت عن التصدي بفاعلية للنزاع العراقي-الكويتي، وحله بطريقة سلمية، مما فتح الباب بعد ذلك للتدخلات الأجنبية، بكل تداعياتها السياسية والاقتصادية المعروفة.

نظرة إلى المستقبل: ومن الأهمية بمكان في مجال تفعيل دور جامعة الدول العربية أن نحمل نظرة الجامعة إلى المستقبل من خلال كلمة الدكتور عصمت عبد المجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية والتي ألقيت بالنيابة عنه في الجلسة الانتقائية للحلقة النقاشية التي عقدت في القاهرة عن «تفعيل دور جامعة الدول العربية» وذلك يومي ١١-١٢ تشرين الأول ١٩٩٧.

وفي نظر الدكتور عصمت عبد المجيد ان الاهداف التي لا خلاف عليها للاستراتيجية العربية العليا هي: «- صون الأمن القومي بمعناه الشامل وبكامل أشكاله وجوانبه، ورعاية المصالح العليا والمشاركة للأمة العربية.

- الحفاظ على الهوية الحضارية والقومية المميزة للأمة العربية.

- تحقيق أعلى معدلات ممكنة للتنمية البشرية والاقتصادية والاجتماعية.

- ضمان التكامل الداخلي بين عناصر القوة الاستراتيجية (العناصر الاقتصادية والسياسية والمعنوية والاجتماعية).

- ضمان القدرة على تحقيق الاهداف المرحلية». وعلى رغم تعدد المشاريع التي بادرت الأمانة العامة للجامعة إلى صرغها وطرحها للنقاش تحقيقاً لهذه الاهداف، إلا أنه يبقى السؤال قائماً حول فاعلية كثير من هذه الخطط والمشروعات السياسية والاقتصادية، والعقبات التي تحول دون نجاحها في تحقيق أهدافها.

ولعله مما يحمد للأمين العام أنه-وهو يصوب نظراته إلى المستقبل-التفت بدقة إلى تحديات النظام العالمي الجديد الذي يتشكل في الوقت الراهن، وإن لم تتحدد معالمه بعد، وهو يرى أن له سمات أربع ظاهرة، هي العولمة، واعتبار القوة الاقتصادية المؤشر الرئيسي لمعيار قوة الدول،

الأقباط، وأخطر من ذلك مشروع القانون الذي يعده الكونغرس لمعاقبة الدول التي تخرق مبدأ حرية العقيدة. ولر تأملنا التجليات البالغة الخطورة للعولمة في الوقت الراهن، وهيمنة الولايات المتحدة على إدارتها، في إطار التخاذل القبيح للدول الكبرى، وخصوصاً أصحاب العضوية الدائمة في مجلس الأمن، لأدر كنا أن هناك شبكة متكاملة تهدف إلى حصار الشعب العربي من خلال مجموعة مزبلة من القواعد والإجراءات والسياسات أبرزها إعداد قائمة للدول أو المنظمات التي تشجع الإرهاب وإدراج بعض الدول العربية فيها وبينها سورية. وثانيها استخدام ورقة حقوق الإنسان لتهديد أي دولة عربية بزعم مخالفتها هذه الحقوق، كنوع من أنواع الابتزاز السياسي. وثالثها التهديد بعقاب أي دولة عربية لا تفتح الباب من دون أي قيود أمام حملات التبشير الدينية للقضاء على خصوصية الكنائس العربية، وذلك باسم حرية العقيدة. ورابعها وأخطرها فرض الحصار على بعض الدول العربية، لتحقيق الأهداف الاستراتيجية الأميركية، وأهمها منع أي دولة عربية، أو الدول العربية مجتمعة من امتلاك الأسلحة المتطورة التي يمكن أن تجعلها في موقف النذ بإزاء إسرائيل وما تمثله من تهديد جسيم للأمن القومي العربي. وهناك في هذا الصدد تصريحات أميركية رسمية عن أن سياسة الولايات المتحدة هي أن تجعل إسرائيل على الدوام أقوى عسكرياً من كل الدول العربية مجتمعة.

وهكذا يمكن القول إنه على رغم وجود كثير من السلبات في أداء جامعة الدول العربية، وفي الوقت نفسه، هناك وفرة في المقترحات والمشاريع المقدمة من أطراف شتى لتفعيل دورها، فإنه إن لم تصد الجامعة للخطة المتكاملة التي تهدف إلى حصار الشعب العربي فإنها في الواقع ستفقد مرور وجودها.

بعبارة مختصرة المواجهة الفاعلة للحصار هي مدخل الجامعة الصحيح لتكون معيرة عن الشعب العربي من المحيط إلى الخليج (عن السيد يسين، باحث مصري، نشرت في «النهار» البيروتية و«الاهرام» القاهرية في اليوم نفسه، ٧ تشرين الثاني ١٩٩٧).

العربية أن تفعل دورها في المستقبل فليس أمامها سوى إعادة النظر في نطاقها وهيكلها ومؤسساتها وطريقة عملها، وعلاقتها بالاجتمع المدني العربي، حتى تكون مؤهلة لمواجهة الخطة الاستعمارية الجديدة التي تهدف إلى حصار الشعب العربي ومنعه من تحقيق التنمية الشاملة التي تجعله جديراً بدخول حلبة المنافسة العالمية ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين.

ونبادر بالقول إن الأخطاء السياسية لكل من القيادة العراقية وخصوصاً في قرارها المعيب والخطأ لغزور الكويت، والقيادة الليبية في ما يتعلق بسلوكها الدولي غير المنضبط، لا تعطي لا الأمم المتحدة ولا مجلس الأمن الحق في إصدار قرارات الشعب العراقي أو الشعب الليبي.

إن القرارات التي صدرت باسم الشرعية الدولية المزعومة والتي أشرفت على إصدارها الولايات المتحدة بناءً على الضغوط الشديدة التي مارسها على الدول أعضاء مجلس الأمن، والتي ترتب عليها حصار الشعب العراقي ومنع الغذاء والدواء عنه، تعد جريمة متكاملة الأركان من جرائم الإبادة الإنسانية التي أمتها المعاهدات الدولية.

والحقيقة أن جامعة الدول العربية، لأسباب شتى، لم تقم بدور بارز في مقاومة هذا الحصار الظالم، ولم تضع من الخطط السياسية والاقتصادية ما يكفل تحطيمه، لفتح الطريق أمام الشعب العراقي لكي يعيش بكرامة كما تعيش بقية الشعوب. ونعرف يقيناً أنه لتحقيق هذا الهدف لا بد من تئير جامعة الدول العربية لتصبح المعبر الحقيقي ليس عن الحكومات العربية فقط ولكن عن الشعب العربي نفسه تأكيداً لحقه في الوجود وللعيش بكرامة في إطار أسرة الأمم المعاصرة. وإذا كانت إسرائيل تحاصر الشعب الفلسطيني، والولايات المتحدة تحاصر الشعب العراقي والشعب الليبي، ليس هذا مؤشراً بالغ الخطورة على خطة أميركية متكاملة تهدف إلى تحطيم الوجود العربي ذاته؟.

وحتى لا نهم بالمبالغة في التأكيد على الخطة الأميركية وأهدافها يكفي أن نشير إلى الحملة الأميركية الأخيرة على بعض الأمور المصرية في ما يتعلق بوضع



## قضايا وموضوعات

### في السياسي

خريطة التطرف والارهاب (مناقشة): بعد زوال الخطر الشيوعي (المترافق مع دخول منظمة التحرير الفلسطينية مفاوضات السلام مع اسرائيل)، اعتبرت الحركات الاسلامية الناشطة مصدر تهديد استراتيجي ضد الغرب من جهة وضد الأنظمة العربية (والاسلامية) المناهضة أو غير المتحالفة من جهة أخرى.

على أن أي تحليل جدي لهذا «التهديد الاسلامي» المزعوم لا بد وأن يظهر عدم مصداقيته وبعده عن الواقع. فعلى رغم حركة «إعادة الأسلمة» التي شهدتها العالم الاسلامي بعد انحسار الايديولوجية القومية والعلمانية وحلول الاسلام كبديل وحيد في مواجهة الازمات الاقتصادية والاجتماعية الراهنة في بعض الدول العربية والاسلامية، لا تبدو الحركات الراديكالية الاسلامية الحالية قادرة على تغيير المعطيات الجيوسياسية على المدى المنظور. فالأنظمة العربية والاسلامية (باستثناء ايران بدءاً من ثورتها الاسلامية في ١٩٧٩) لم تنضج لتحولات بشكل عام. على ان هذا الأمر، إضافة إلى عجز الحركات الاصولية عن توحيد استراتيجيتها في الوقت الراهن، لا يعينان انعدام الظروف الملائمة لعمل هذه الحركات، سيما وان استمرار الازمات الاقتصادية والاجتماعية في الدول العربية والاسلامية توفر أرضية مواتية للمعارضة المنظمة (بمختلف منطلقاتها: دينية أو سياسية، أو قومية...) التي تبرز تقدماً ملموساً على الرغم من إجراءات القمع التي تتعرض لها.

النقاط التالية توضح الافكار العامة لهذه المقدمة:

١- عجز الحركات الاسلامية الاصولية عن طرح

بديل سياسي:

استراتيجياً، عجزت هذه الحركات عن تجاوز الأطر الوطنية، وفشلت في التخلص من النزاعات القومية أو العرقية أو القبلية أو الطبقية. وهي، في الأساس، لم تطرح نفسها كبديل عن الأنظمة السياسية الراهنة:

فحركة «حماس» لم تطرح نفسها كبديل لمنظمة التحرير الفلسطينية على قاعدة أطروحات اسلامية، بل على أساس تجذير المطالب الوطنية الفلسطينية الدائرة حالياً مع الاسرائيليين.

والجبهة الاسلامية للانقاذ (في الجزائر) لم تتهم جبهة التحرير الوطنية بالابتعاد عن الاسلام بقدر اتهامها لها بخيانة مبادئ حزب جبهة التحرير الجزائرية وبالتحول إلى «حزب فرنسا».

والاحزاب الاسلامية العربية اختلفت ردود فعلها إزاء حرب الخليج باختلاف مواقع دولها الجيوسياسية. فالأخوان المسلمون في الاردن دعموا العراق، بينما دانه الأخوان في الكويت. وفي السودان عبر الاسلام عن تيبس ركائز النظام المركزي تجاه ثورات الجنوب المسيحية وضد المصريين. وفي تركيا، لم تتعد مطالب حزب الرفاه الاسلامي دائرة النظام السياسي الدستوري القائم.

٢- عجز ايران عن تصدير الثورة الاسلامية:

سرعان ما أظهرت الحرب مع العراق عجز دهرية الثورة الايرانية (في سنواتها الاولى) إلى «تصدير الثورة». فالعالم السني وقف برمته إلى جانب العراق، فيما ظل الدعم الشيعي (في العالمين العربي والاسلامي) لايران جزئياً ومترقفاً. وفيما عدا الخطابات العقائدية العالمية الشاملة، لم تتعد الزعامة الايرانية بعض المجموعات الخارجة الموسومة بـ«المتطرفة» في إطار سياسة تتوخى إرساء سلطتها الاقليمية أكثر مما تبتغي تصدير الثورة الاسلامية. وهذا ما بدأ على سبيل المثال، عقب غنفي طهران عن الأخوان المسلمين السوريين في ١٩٨٢ باسم الالتقاء الاستراتيجي بين ايران وسورية، وما دلت عليه اللامبالاة التي أظهرها نظام الثورة الاسلامية الايراني إثر سحق صدام حسين لانتفاضات الشيعة في النجف وكرهلاء عام ١٩٩١ وتبرير موقفه السني باسم رفض تقسيم العراق. أضف إلى ذلك ان الثورة الاسلامية تبدو أحياناً، ورغم أوجه الاختلاف، نسعة معدلة للرؤية الاستراتيجية القومية التي ميزت عهد الشاه بين ١٩٥٣ و١٩٧٩. فلقد عمد النظام الايراني إلى تأسيس جيش تقليدي قروي والسيطرة على الخليج الفارسي واستيعاب بعض الأنظمة العربية بواسطة دعم الاقليات الشيعية فيها.

٣- حركات اسلامية مناهضة للتطرف، وأخرى

مستوعبة من الأنظمة:

على رأس هذه الحركات تقف منظمة المؤتمر الاسلامي التي تمثل الأنظمة (٥٢ دولة إلى جانب منظمة التحرير الفلسطينية) والتي أصدرت خلال اجتماعها في الدار البيضاء (١٩٩٥) شرعة خاصة تدعو إلى الاعتدال، وتدين «الداعين إلى شق الأمة الاسلامية وتشجيع الارهاب». وبعد أشهر، دعا السيد حسن الزاهي، في رد على المنظمة،



منذ سنوات والمجازر التي يرتكبها الارهابيون في الجزائر يومية او شبه يومية، وذهبت بارواح الآلاف من السكان المدنيين الابرياء. الصورة لامرأة جزائرية في حَمّ شديد خارج مستشفى زمبوري في بطالحة في ضواحي الجزائر بعد المجزرة التي قضت على اولادها الثمانية. وهذه الصورة التقطها المصور الجزائري هوسين من «وكالة الصحافة الفرنسية»، ومنحتها لجنة التحكيم الدولية لجوائز مسابقة التصوير العالمية الجائزة الاساسية لـ«صورة العام ١٩٩٧».

- في الجزائر: لم تخرج الجزائر بعد من دوامة العنف التي اندلعت بعد تعليق نتائج الدورة الأولى للانتخابات النيابية التي فازت خلالها الجبهة الاسلامية للانقاذ بـ١٨٨ مقعداً من أصل ٤٣٠، في ٢٦ كانون الأول ١٩٩١. ووصل «العنف الجزائري» إلى مستوى من الإحرام يثير الرعب.

- من أفغانستان إلى الفيليبين: بعد انسحاب الاتحاد السوفياتي من أفغانستان، واصل «الأفغان العرب» «دعوتهم المقدسة» في مقاتلة «قوى الشر» في العالم: في البرسنة والمرسك، في طاجيكستان، في كشمير، في الفيليبين. كما طالت عملياتهم عواصم غربية وعريضة (عرفت الرياض إحدى أعنف العمليات الارهابية عند انفجار سيارة مفخخة أمام مقر البعثة الاميركية؛ كما تم تفجير فندق أطلس في مراكش، واكتشفت الأجهزة الأمنية المغربية شبكات تهريب أسلحة عبر الحدود لصالح المجموعات الاسلامية في الجزائر).

٥- مسؤولية الغرب: يتحمل الغرب مسؤولية كبيرة في تشجيع هذه التيارات من خلال تمويلها وتدريبها وعض النظر عن تجاوزاتها (وفتح ابواب عواصمه لزعمائها). الأمين العام للأمم المتحدة بطرس بطرس غالي قال (في تصريح له في ٢٦ ايلول ١٩٩٤): «إن الأمم المتحدة لا تملك الرغبة ولا القدرة لفرض السلام في أفغانستان». لقد حصل الجهاديون (ضد الهيمنة السوفياتية) على دعم غير محدود من واشنطن وباريس ولندن وطهران وحتى تل أبيب. ولما لم تتوقف نشاطاتهم بعد الانسحاب السوفياتي، وتمولوا إلى حرب أهلية، تمول الغرب منهم ومن الحرب الأهلية إلى عدم الاكترات بسبب فقدان أفغانستان، على ما يقول المحللون، لأهميتها الاستراتيجية،

خلال المؤتمر الاسلامي (الخرطوم، آذار ١٩٩٦) إلى «توحيد الجهود الاسلامية ضد النظام العالمي الجديد».

ومما أنظمت أعطت الاسلاميين حرية التحرك في إطار اللعبة السياسية، كالاردن الذي يضم اسلاميين في برلمانه إلى جانب العلمانيين، وتركيا التي شهدت (وربما تشهد) صعود حزب الرفاه الاسلامي الذي نجح في الانتخابات البلدية ثم البرلمانية (١٩٩٥) وتكليف زعيمه نجم الدين أربكان تشكيل حكومة ائتلافية في كانون الثاني ١٩٩٦، وفشله في ذلك.

كما مكنت بعض الأنظمة من السيطرة على جماعاتها المتطرفة، أو استيعابها، كما حصل في تونس حيث تمكن النظام من السيطرة على حزب النهضة الاسلامية، والمغرب حيث استطاع الملك الحسن الثاني، رغم بعض الصعوبات، من استيعاب الاسلاميين المتشددين ومجابهة ادعاءاتهم الاصولية بفرض شرعية قيادته الدينية.

٤- خريطة التطرف الاصولي:

- في مصر: بدت «الجماعة الاسلامية» و«تنظيم الجهاد» أهم الحركات المتطرفة. ويرتفع عدد التنظيمات الاصولية الاسلامية وفق تقديرات الشرطة المصرية إلى حوالي ٢٠ تنظيمًا منتشرًا على الأخص في الاوساط الجامعية، وتأخذ على حركة الأخوان المسلمين ميولها لعقد تسويات مع النظام. إلا ان هذه التنظيمات، رغم نموها السريع وممكنها من تسديد ضربات موجعة للنظام، أخفقت في القضاء على النظام أو أقله في هز أركانه، إضافة إلى انها تعاني من الخلافات الداخلية العقائدية والصراع على السلطة والنزاعات التكتيكية. ويبدو هذا الخلاف واضحاً بين اسلاميي «الداخل» والاسلاميين «الأفغان» الذين يتلون التيار الأكثر عنفاً.

الحدود، وتعهد الدول الموقعة على عدم تنظيم أو تمويل أو ارتكاب الاعمال الارهابية أو الاشتراك فيها بأي صورة من الصور وان تعمل على الحؤول دون اتخاذ اراضيها مسرحاً لتخطيط أو تنظيم أو تنفيذ الجرائم الارهابية أو الشروع أو الاشتراك فيها بأي شكل من الاشكال، بما في ذلك منع تسلل العناصر الارهابية إليها أو إقامتها على اراضيها فرادى أو جماعات أو استقبالها أو ايواها أو تدريبها أو تسليحها أو تمويلها أو تقديم أي تسهيلات إليها، وكذلك القبض على مرتكبي الجرائم الارهابية ومحاكمتهم وفقاً للقانون الوطني أو تسليمهم وفقاً لاطار الاتفاق أو الاتفاقات الثنائية بين الدولتين الطالبة والمطلوب إليها التسليم، وايضاً تبادل المعلومات حول أنشطة الجماعات الارهابية وجرائمها وقيادتها وعناصرها، والمساعدة في القبض على المتهمين.

#### الميثاق العربي لحقوق الانسان: بعد زهاء نصف

قرن على نشأة جامعة الدول العربية، وبعد ١٥ عاماً من الحوارات الداخلية والنقاشات الممتدة، أقر مجلس الجامعة، في دورته ١٠٢ (أيلول ١٩٩٤) هذا الميثاق الذي بقي مجرد مشروع مطروح على جدول أعمال الجامعة منذ مطلع الثمانينات. واللائت أن هذا الاقرار جرى بما يشبه الكتمان وبدون أن يصاحبه أي احتفال، وكأن الجامعة (والأصح، كأن الدول العربية) سبقت إليه سراً، أو كأنها تعبر عن عدم جدية مضجرة إزاء تطبيق ميثاق يخص حقوق الانسان، ثمة مؤثرات أربعة دفعت باتجاه اقرار هذا الميثاق:

الاول، يتمثل بلجنة حقوق الانسان في الأمم المتحدة التي حضرت الجامعة العربية على الانشغال بحقوق الانسان العربي بعد ان ثبت غياب هذا المجال عند صياغة ميثاق الجامعة، وبناء على ذلك أنشأت الجامعة لجنة لحقوق الانسان، في ١٩٦٨، عملت في كنف الاشراف الحكومي. الثاني، جهود المثقفين العرب التي أثمرت استجابة من الأمانة العامة، فكلفت لجنة خبراء لوضع مشروع هذا الميثاق، وتم لها ذلك في تشرين الثاني ١٩٨٢. ومن هذه الجهود المستمرة والملفتة والداعية لتشجيع «العرب والمسلمين على الإقبال على ثقافة حقوق الانسان» الرسالة التي وجهها المفكر السوري جورج جبيور (حاضر في جامعة حلب ومستشار الحكومة السورية) إلى المفوضة السامية لحقوق الانسان الرئيسة الايرلندية ماري روبنسن (أيلول ١٩٩٧) دعا فيها إلى اعتبار «حلف الفضول أول أو من اوائل التنظيمات المدنية للدفاع عن حقوق الانسان: «كل أملي أن الحفارة بذكرى ١٤٠٠ سنة لحلف الفضول

بالإضافة إلى تمكن الدول الكبيرة المحيطة بها من الحؤول دون انتشار وباء الارهاب ومنع تأثيره على التوازن الاقليمي. على ان ما لم يحسب الغرب حسابه هو إمكان تصدير هذه الحرب إلى بقاع الارض عبر الجهاديين الأفغان الذين تحولوا إلى «إرهابيين» في عدد من الدول، غربية كانت أم اسلامية أم عربية (والأصح القول إن البعض يرى ان الغرب لم يحسب هذا الحساب، في حين ان البعض الآخر يرى أن الغرب حسب هذا الحساب ولكنه سمح به وربما شجعه ودعمه) (عن مارسيل عقل، «النيابة»، العدد ١٢٠٨٢، تاريخ ٢٤ آذار ١٩٩٦، ص١٣).

(استكمالاً للموضوع، راجع ج٢، ص٨١-٨٢، و١٩١-١٩٢، و٢٨٥-٢٩٢ و٥٥، ص٤٤-٥٠، و٧، ص١١٤، و٢٢٧-٢٣١، و٣٦٠، و١٠، ص١٢٥، و٤١٣٢ و١١، ص١٦٤-١٦٧، و٣٣٩-٣٤٢).

#### الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب: وقع وزراء

الداخلية والعدل العرب (٢٥ وزيراً) في مقر الجامعة العربية، في ٢٢ نيسان ١٩٩٨، «الاتفاقية العربية لمكافحة الارهاب»، وتعاهلوا على «سرعة المصادقة عليها للبدء في مرحلة تعاون عربي جديد في مواجهة الارهاب»، فقد نعمت الاتفاقية على دخولها حيز التنفيذ بعد ٣٠ يوماً من إيداع سبع دول وثائق التصديق عليها لدى الجامعة العربية. واصدرت الامانة العامة لمجلس وزراء الداخلية العرب بياناً، في مناسبة الاجتماع المشترك (وزراء داخلية وعدل) للاتفاقية، أكدت فيه ان المجلس «تجاوز مرحلة التردد والشجب إلى التحرك العملي ومكافحة الارهاب». كما جاء في البيان ان «اسرائيل تشكل أحد المصادر الرئيسية للارهاب في المنطقة العربية، فهي قامت على الارهاب وتعيش عليه، وفي وقت تدعي فيه الديمقراطية والمساواة تستخدم دعوة مكافحة الارهاب لتحقيق أهداف توسعية في العالم العربي وتشويه سمعة المواطن العربي وانها تمتع المسلمين بالتطرف والارهاب وتضليل الرأي العام العالمي وتحويل أنظاره عن الغارات الجارية التي تشنها بين الحين والآخر على جنوبي لبنان وتخلف عشرات القتلى من الاطفال والنساء والشيوخ والرجال».

أما الاتفاقية فتتضمن ٤٣ بنداً تتعلق بالاجراءات القضائية وطرق تسليم المتهمين والمحكوم عليهم في قضايا، وأساليب التنسيق بين أجهزة الأمن في الدول العربية وتبادل المعلومات واتخاذ الاجراءات لمنع عمليات التسلل عبر

شكاوى من الأشخاص الطبيعيين أو الاعتباريين، وأحال تشكيلها إلى الدول العربية. كما ان الميثاق لم ينشئ «محكمة عربية لحقوق الانسان» على غرار النموذجين الاوروبي والاميركي بهدف السهر على التطبيق.

**المقاطعة العربية لاسرائيل:** بعد إنشاء جامعة الدول العربية قرر مجلس الجامعة في دورته الثانية في جلسته المنعقدة في ٢ كانون الاول ١٩٤٥ مقاطعة المنتجات والمصنوعات اليهودية في فلسطين وإصدار توصية بهذه المقاطعة. وتم تشكيل لجنة دائمة للمقاطعة بدأت نشاطها في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٦، ثم ارتوي تكويرين مكتب دائم للمقاطعة في فلسطين يكون بمثابة مرشد عن الصناعات والمنتجات اليهودية في فلسطين. وفي حزيران ١٩٤٦ أنشأ مجلس الجامعة العربية لجان مقاطعة في كل من فلسطين والدول العربية، وذلك لتابعة وتنفيذ سياسة المقاطعة.

وبعد حرب ١٩٤٨ اتخذ مجلس الجامعة العربية في ايار ١٩٥١ قراراً شاملاً بإنشاء مكاتب للمقاطعة في كل دولة عربية تحت إشراف مكتب رئيسي للمقاطعة يكون مقره في دمشق. وتشمل كل دولة عربية تعيين موظفي مكتبها، ويرتبط المكتب بالجهة الرسمية التي تعينه (وزارة الاقتصاد، أو وزارة المالية أو وزارة الدفاع).

وتقوم المقاطعة بعملها مستندة على جهاز مركزي تابع لجامعة الدول العربية هو المكتب الرئيسي للمقاطعة اسرائيل. وينسق المكتب الرئيسي العمل بين المكاتب الاقليمية كافة. ويرأس المكتب الرئيسي مفوض عام يعينه الأمين العام للجامعة.

بعد حرب الخليج الثانية، ومؤتمر مدريد، ومبادرات أوسلو، وما استتبعها من مفاوضات السلام العربية الاسرائيلية، وفي إطار مظلة الشرق أوسطية وما انعقد تحتها من مؤتمرات اقتصادية (راجع «الشرق الاوسط»، ج ١)، أخذ عمل المقاطعة يتلاشى، وإن بدرجات متفاوتة وفقاً لكل دولة عربية وموقفها السياسي العام. وآخر ضربة سددها اسرائيل للمقاطعة العربية جاءت في إطار أعم من «الشرق الاوسط» أو «الشرق أوسطية»، وهو إطار الأمم المتحدة، وذلك في سياق جهودها الهادفة إلى تطبيع علاقاتها مع الأمم المتحدة. ففي حزيران ١٩٩٨ وقع في جنيف روبنز ريكوبرو الأمين العام لمؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (أونكتاد) مذكرة تفاهم مع حكومة اسرائيل لإقامة برنامج مشترك للدعم الفني للدول النامية المستفيدة حالياً من المساعدات الفنية لـ «أونكتاد» بما

ستعطي العرب والمسلمين دفعة حماسة قوية لمزيد من الاقبال على ثقافة حقوق الانسان». و«حلف الفضول» تأسس في نهاية القرن السادس الميلادي واستمر في هيئة اخلاقية وتنظيمية مدة تزيد عن ٦٥ سنة. وكتب جورج جبور أكثر من دراسة عنه، مظهراً أنه ولد قبل الاسلام، ورغم ذلك فإنه «حظي بمباركة النبي العربي الذي أبطل أحلاف الجاهلية عدا». وفيه أن الحاضرين يتماهدون على أن «لا يدعوا في بطن مكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم إلا وكانوا معه ضد ظالمه»، وقد سجل التاريخ «دفاع الحلف مرات عدة عن مظلومين».

الثالث، مشروع «ميثاق حقوق الانسان والشعب في الوطن العربي» الذي اصدره «مؤتمر أساتذة القانون العرب» في منتصف الثمانينات. وقد تضمن المشروع تفاصيل الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كما تضمن مشروع إنشاء محكمة عربية لحقوق الانسان، مهتمداً في كل ذلك بالميثاقين الاوروبي والاميركي لحقوق الانسان.

المؤثر الرابع، المناخ العالمي الذي تتصاعد فيه، وتزايد وتكثف وتضغط، لغة حقوق الانسان، وبخاصة من جانب الخطاب السياسي الغربي، إضافة إلى تشكيل الكثير من المنظمات والجمعيات واللجان المعنية بحقوق الانسان في كل بقاع الارض، فضلاً عن تشكيل الكثير من اللجان والمنظمات العربية غير الحكومية لحقوق الانسان. وكل ذلك كان من حقه ان يثير اللفظ والشك، بل الاتهام، في وجه الأنظمة العربية وسياستها إزاء حقوق الانسان، مما أدى إلى اقتناع دول النظام العربي بأن القضية ما عادت تحتل التأجيل أو المراوغة.

يهندي الميثاق العربي لحقوق الانسان (الذي أقر في ١٩٩٤ في ظروف أشبه بالكتمان الشديد)، في كثير من نقاطه، بمواثيق حقوق الانسان الصادرة، عن منظمات دولية وإقليمية. لكنه ينطوي، في مضمونه، على نقائص توقف كل مفاعيله. إذ إنه اشار إلى حق الحكومات في التحلل من كل الحقوق المنصوص عليها في «حالات الطوارئ»، وأكد على «حق المشروع الوطني» في تقييد هذه الحقوق لضرورة «حماية النظام العام أو الأمن أو الاقتصاد والصحة العامة أو الاخلاق العامة وحريات الآخرين». كما ان الميثاق لم ينص على ان الحق في الحياة من الحقوق التي يجب عدم المساس بها حتى في حالات الطوارئ. وأنشأ الميثاق «لجنة خبراء» لتلقي تقارير دورية عن التنفيذ، لكنه لم يتطرق إلى حق هذه اللجنة في تلقي

فيها الدول العربية والاسلامية.

ولم يعلن عن أي موقف عربي أو إسلامي بهذا الشأن (حتى الآن، وأواخر آب ١٩٩٨). وهذه ليست المرة الأولى التي تحاول إحدى هيئات الأمم المتحدة إبرام مثل هذا الاتفاق «الفني» بعد جهود حثيثة من إسرائيل لاختراق جدار مقاطعةها. إذ قبل عشر سنوات اضطر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي سحب مذكرة بمائة تحت ضغوط عربية، قادها رئيس الدائرة الاقتصادية لمنظمة التحرير وقتذاك، أحمد قريع (أبو علاء) الذي يشغل حالياً رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني.

أول تجمع في نوعه: «تحالف عربي-إسرائيلي من أجل السلام» (إعلان كوبنهاغن، ١٩٩٧): أحد أبرز الذين نشطوا وقادوا خطوات هذا التجمع الكاتب المصري لطفي الخولي الذي كتب في «الحياة» (العدد ١٢٤١٦، تاريخ ٢٥ شباط ١٩٩٧، ص ١٧) مقالاً مطولاً بعنوان «كوبنهاغن: الفكرة... الإعلان... الحركة».

يقول الخولي إن إعلان كوبنهاغن «يعني أنه بعد ما يقرب من نصف قرن من المواجهة العسكرية والسياسية الفادحة الثمن لأطراف الصراع الإسرائيلي، إقليمياً ودولياً، وتشر الوصول إلى تسوية سياسية شاملة وعادلة، بادرت مجموعات من المثقفين ينتمون إلى مصر وفلسطين والاردن وإسرائيل، في رحاب زملاء أوروبيين، إلى الاقلام، انطلاقاً من مسؤولياتهم الشخصية، على فعل ثقافي سياسي شعبي، يكسر الدائرة المفرغة الراهنة».

وأشار الخولي إلى أن التجمع والإعلان جاءا توثيقاً لسلسلة من الحوارات، وأن فكرتهما «نبتت» على مستويين: مستوى الفكرة «الحام» الذي «يعود إلى الثمانينات، بعد اتفاقات كامب دافيد وإبرام معاهدة السلام المصرية-الإسرائيلية، وتكوين ما سمي بحركة «السلام الآن» بإسرائيل... ولم يتحارب معها من مصر والعالم العربي وقتذاك إلا صوت واحد هو صوت استاذنا نجيب محفوظ وكان وحيداً في البرية، أو يمثل أقلية ضعيلة للغاية. وكانت الغالبية الساحقة، وأنا منهم، تقف في الخندق المضاد تماماً. غير أنه مع عاصفة المتغيرات الدولية والاتلعية التي سقطت معها الاتحاد السوفياتي، وتفجير حرب الخليج الثانية، وانعتاد مؤتمر مدريد في ١٩٩١، والوصول إلى اتفاقية أوسلو في ١٩٩٣، شرع قطاع من المثقفين المصريين والحرب، وأنا منهم، يتجه نحو تفكير جديد في رؤية الصراع ومساراته الواقعية والمستقبلية. وفي هذا الاطار

نشطت مؤسسات ومراكز دراسات أوروبية وأميركية تدعو إلى اجتماعات غير معلنة لحوارات بين مثقفين عرب ومصريين في الأساس، وبين مثقفين إسرائيليين، تستكشف إمكانات دور مشترك للدفع ودعم تسوية الصراع سياسياً وسلمياً...».

أما المستوى الثاني من الفكرة، يتابع الخولي، «فقد بدأ مع مبادرة المثقفين الأوروبيين، الدانماركيين بصفة خاصة أبرزهم هربرت برندينك... وقامت وزارة الخارجية الدانماركية برعاية ودعم مبادرة برندينك والمثقفين الأوروبيين مادياً وسياسياً».

ثم روى الخولي كيف انطلقت المبادرة منذ أوائل ١٩٩٥ بزيارات متكررة إلى القاهرة قام بها برندينك والتقى عدداً من المثقفين. وكان يصطحبه أحياناً الدبلوماسي الدانماركي تورين بريل، أو الكاتب الإسرائيلي أموس ألون أحد مؤسسي وقادة حركة السلام الآن، أو دافيد كيمحي رئيس مجلس العلاقات الدولية، وهي مؤسسة دراسات غير حكومية، وكان من قبل السكرتير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية بعد أن ترك منصباً قيادياً في الموساد (المخابرات الإسرائيلية). وجرى أول اجتماع حوارى، على مسؤولية المثقفين المصريين الشخصية، بمقر متحف لوزيانا قرب العاصمة كوبنهاغن في ٢٩ أيلول-٢ تشرين الأول ١٩٩٥، وكانت وزارة الخارجية الدانماركية قد وجهت الدعوة لهذا الاجتماع إلى كل من محمد سيد أحمد وأحمد فخر ومنى مكرم عبيد ولطفي الخولي للقاء وحوار كل من أموس ألون ودافيد كيمحي وأفيشاي مارحليت أستاذ الفلسفة وأشر ساسر أستاذ التاريخ ومدير معهد دايان. وظهر في الاجتماع، على رغم اتفاق المحاورين على نهج التسوية السلمية بديلاً عن الحرب، أن هناك فجوة واسعة حول المفاهيم والرؤى والوسائل والاهداف بين الفريقين.

الدورة الثانية في الحوار (شباط ١٩٩٦) شارك فيها من الجانب المصري كلاً من الدكتور محمد السيد سعيد نائب رئيس مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، والدكتور جمال عبد الجواد الباحث بالمركز والدكتورة سميحة فوزي استاذة الاقتصاد في جامعة القاهرة ولطفي الخولي. ومن الجانب الإسرائيلي الكاتبة شولاميت هاريفي، ويونانسان ليرنر الباحثة والخبيرة في الشؤون السياسية والاستراتيجية، ودافيد كيمحي، والدكتور دان ميردور رجل القانون ووزير العدل السابق وعضو ليكود والذي أصبح أخيراً وزيراً للمال في حكومة نتانياهو. وتقرر

انعقاد الدورة الثالثة من الحوار في الأسبوع الثاني من حزيران ١٩٩٦.

لكن هذه الدورة لم تعقد في موعدها، والسبب (الرواية لا تزال بقلم لطفي الخولي) «ان شهر ايار (الحقيقة هو شهر نيسان) شهد على نحو مفاجيء عدواناً عسكرياً اسرائيلياً شاملاً ووحشياً ضد الشعب اللبناني...». وقد «حدث، خلال اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك في نفس الفترة، ان التقى وزير الخارجية الدانماركي بالاستاذ عمرو موسى وزير الخارجية المصري، وحدثه بشأن مبادرة لوزيانا واهتمام اوروبا بها، وما حدث لها من انتكاسة نتيجة موقف المثقفين المصريين، ورجاه ان يتدخل لدى المثقفين المصريين للعدول عن موقفهم ومتابعة جلسات الحوار. وكانت هذه أول مرة يطلع فيها الاستاذ عمرو موسى على مبادرة لوزيانا التي رحب بها (...) ولكنه في نفس الوقت، اعتذر عن عدم إمكان تدخله بوصفه وزيراً للخارجية في شأن مواقف المثقفين المصريين من المشاركة أو عدم المشاركة في الدورة الثالثة من مبادرة لوزيانا...».

كانت هذه أهم النقاط الواردة في رواية لطفي الخولي حول «إعلان كوبنهاغن» والتجمع الذي أطلق عليه اسم «تحالف عربي-اسرائيلي من أجل السلام». وقد توقفت، في الترتيب الزمني لأحداثها، عند الموعد الموعود للدورة الثالثة من جلسات الحوار (أي حزيران ١٩٩٦). أما ما حصل بعد ذلك وحتى توقيع الاعلان في آخر كانون الثاني ١٩٩٧ فتوضحه النقاط البارزة التالية (عن متابعة يومية للصحف):

- مع دخول المفاوضات الفلسطينية-الاسرائيلية مرحلة «اتفاق الخليل» برعاية امريكية، استأنف بونديك اتصالاته، وتم الاتفاق على استئناف الاجتماع في القاهرة يوم ٢٠ كانون الاول ١٩٩٦ في مقر السفارة الدانماركية.

- حضر الاجتماع بونديك وثلاثة من ممثلي الخارجية الدانماركية، وأربعة من الشخصيات المصرية، هم: لطفي الخولي وأحمد فخر والدكتور عبد المنعم سعيد والمحامي علي الشلقاني، وأربعة من الشخصيات الفلسطينية، هم: الدكتور سري نسييه رئيس جامعة القدس ورياض المالكي أحد قيادات الجبهة الشعبية في الداخل وكان استقال من قيادة الجبهة وأعلن تأييده لعملية التسوية، وحنا سنيورة أحد قيادات الانتفاضة ورئيس تحرير جريدة «الفرج»، ومروان البرغوثي أحد قيادات الانتفاضة الذي أمضى في السجون الاسرائيلية ٧ سنوات وأفرج عنه قبل

سنة فقط وأصبح عضواً منتخباً في المجلس التشريعي الفلسطيني (كان بونديك قد اتصل بهذه الشخصيات الفلسطينية إبان تحضيره لاجتماع الدورة الثالثة)، وأربعة من الشخصيات الاسرائيلية، هم: دافيد كيمحي وشلومي بن عامي ويهودا لينكري وناحوم نوفال.

- بين الاجتماعين، الثاني والثالث، أي في صيف وخريف ١٩٩٦، شغل السؤال عما يمكن عمله من جانب قوى وشخصيات سياسية غير حكومية ومثقفين مصريين وعرب بعد السياسات التي جاء بها نتانياهو والتي هددت عملية التسوية بالانهيار. وجررت لقاءات كان أهمها في ايلول ١٩٩٦ في القاهرة بين أكاديميين وصحافيين مصريين ومثقفين فلسطينيين حيث طرحت أفكار مشتركة حول ضرورة وجود قوة تأثير عربية-اسرائيلية غير حكومية للضغط من اجل مواصلة عملية السلام. واتفق المشاركون على إعداد مشروع ورقة يتم على أساسها مناقشة الشخصيات والقوى غير الحكومية المؤيدة للتسوية على أساس صيغة مدريد واتفاق أوسلو. وجررت بالفعل كتابة مشروع الورقة بعنوان «تحالف من أجل السلام». وطرحتها الجانب المصري في اجتماع ٢٠ كانون الاول ١٩٩٦.

- شدد الاعلان على ضرورة «أن تمسك الشعوب بزمام عملية السلام بنفسها، وان تضامن (الموقعون على الاعلان) مع بعضنا، ومع كل الشعوب المحبة للسلام في المنطقة وخارجها، وأن نضع جهودنا لاقامة الآليات المناسبة لتدشين تحالف من اجل السلام يعمل بلا كلل للاسراع بعملية السلام حتى تصل إلى نتائجها النهائية»، وأعطى أهمية خاصة للمسار الفلسطيني، ودعا إلى «الاسراع بالتطبيق الكامل والأمين للاتفاقات وإلى إنجاز حل عادل ومتكافئ لقضايا الوضع النهائي في موعد ١٦ يتجاوز ٥ ايار ١٩٩٩ حتى يسمح هذا الحل للشعب الفلسطيني بممارسة الحق في تقرير المصير طبقاً للقانون الدولي». واعتبر الاعلان ان أسس التسوية على المسارين السوري واللبناني هي قرارات مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ و ٤٢٥ التي وصفتها بأنها «القرارات المستندة إلى قاعدة الأرض مقابل السلام».

- انفجرت في وجه الاعلان، وموقعيه، عاصفة من المعارضة منّت الغالبية الساحقة من المثقفين والصحافيين المصريين والعرب، ووصلت إلى حد «ثقوبهم»، وأول المستهدفين كان لطفي الخولي الذي ردّ على الانتقادات بقوله (في حديث له من القاهرة لـ«النهار»، أول آذار ١٩٩٧): «إذا كان المنتقدون يقولون إن ما نقوم به تطبيع،

أعلاه). وسارعت الحركة الجديدة إلى إعلان تأييدها لقيام دولة فلسطينية، وانسحاب الجيش الإسرائيلي من الجولان، ووجهت انتقادات حادة إلى حكومة بنيامين نتانياهو. اعتبر الإسرائيليون (في ردود فعلهم وتعليقاتهم التي ظهرت في الصحف الإسرائيلية، منها «جسر الزليم بوست»، ٢٣ نيسان ١٩٩٨) أن الإعلان المصري عن قيام هذه الحركة مؤشر إيجابي قد يؤدي إلى حدوث تحول فعلي في نظرة المثقفين المصريين والشعب المصري الذي رفض حتى الآن التطبيع مع إسرائيل، وأن الأمر الذي يدعو إلى الثقة كون الحركة الجديدة في القاهرة ليست مجرد تطور مفاجئ، وعضوي لإعادة تكبير جماعي، إذ تدل هوية مؤسسي الحركة، وبينهم سفراء وصحافيون وقضاة ينتمون إلى المؤسسة الرسمية الحاكمة، على أن هذه المجموعة قد تكونت بموافقة الطبقة الحاكمة في القاهرة، إن لم يكن بطلب منها (عن رندة حيدر، باحثة في الشؤون الإسرائيلية، «النهار»، ٢٩ نيسان ١٩٩٨).

وبعد نحو شهرين من قيام حركة «السلام الآن» المصرية، عقد ممثلوها ويمثلوها «السلام الآن» الإسرائيلية مؤتمراً صحافياً في القاهرة (٨ حزيران ١٩٩٨) في أعقاب بيان مشترك اعتبر أن «عملية السلام باتت متوقفة منذ تولي رئيس الوزراء الإسرائيلي نتانياهو الحكومة بسبب سياسته غير السلمية». وشهدت عن الجانب المصري لطفي الخولي، وعن الجانب الإسرائيلي الجنرال موردخاي بار أون الذي أعلن عن موافقة حركة السلام الآن الإسرائيلية على قيام دولة فلسطينية وفقاً لحدود ما قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ تكون عاصمتها القدس العربية، وتحقيق

ماذا يمكن أن يسموا ٢٩ حواراً بين شخصيات عربية وإسرائيلية تمت جميعها في السر منذ عام ١٩٨٩، وحضرها إسلاميون من أمثال الكاتب المصري فهمي هويدي والزعيم الإسلامي السرداني حسن الزاوي، ويساريون مثل الكاتب المصري عماد سيد أحمد والسوري من حزب البعث عزيز شكري (...). والتحالف هو لمصلحة كل القوى العربية، لأنه للمرة الأولى ينشأ واقع ثقافي جديد يضغط على الحكومة الإسرائيلية التي تراوغ ويمتنع عن تطبيق مبدأ الأرض في مقابل السلام (...). وهذه المرة الأولى يشكل فيها تحالف شبيه للتحالف الذي أدى إلى وقف الحرب الجزائرية في الخمسينات، والتحالف الذي أوقف الحرب في فيتنام. وكلاهما قام به مثقفون من جانبي الصراع». وعلى أنقاض هذا «التحالف»، أعلن عن قيام حركة أخرى مشابهة باسم «حركة السلام» المصرية (راجع التالي).

«حركة السلام» المصرية: أعلن، رسمياً، وبترخيص رسمي، في القاهرة، في نيسان ١٩٩٨ وقبل أيام من الذكرى الخمسين لإنشاء إسرائيل، عن قيام هذه الحركة وهي الأولى في نوعها في العالم العربي. تضم في صفوفها عدداً من السفراء السابقين مثل أمينها العام صلاح بسيوني الذي شغل منصب سفير مصر في الولايات المتحدة (١٩٩٧)، إلى جانب ٣٠ شخصية مصرية عامة من صحافيين وعلماء وقضاة. وهذه الحركة هي حصيلة اللقاءات التي سبق أن عقدت العام الفالت (١٩٩٧) في كوبنهاغن (راجع

الرئيس المصري حسني مبارك مستقبلاً موردخاي بار أون (الي يمين الصورة) ممثلاً حركة «السلام الآن» الإسرائيلية، ولطفي الخولي ممثلاً حركة «السلام الآن» المصرية (حزيران ١٩٩٨).





إلياس خوري.

الموجهة إلى المثقفين العرب اليهود من غير إسقاط المخار التي كانوا سيتحدثون فيها. وقد جرى تفضيل هذا الحل أمام تأكيدات من كثيرين بالحضور، خصوصاً من جانب الشاعر عمرد درويش الذي أراد أن تكون بيروت خطته الأولى بعد شفائه من عملية جراحية أجراها قبل أيام. كما تمّ الإبقاء على أهم أغراض ومخاور البرنامج، وفي طليعتها عرض نتاجات ثقافية فلسطينية شاملة، أو عربية معنية بالثقافة الفلسطينية (مسرح، ملصق، سينما، شعر، أدب، موسيقى...)، ويكفي استعراض الأسماء المشاركة مباشرة أو بواسطة أعمال لها أو منها للتأكد من ذلك: حبيب صادق، شفيق الحوت، عبد الرحمن منيف، توفيق صالح، غسان كنفاني، مارسيل خليفة، ألان غريش، كميل منصور، السيد يسن، فؤاد مغربي، أنيس صايغ، جورج فرح، برهان غليون، محمود أمين العالم، أحمد خليفة، إبراهيم أبو لغد، بول سالم، محمد علي الخالدي، سعد الله ونوس، جواد الأسدي، جان جنييه، حيدر عبد الشافي، مارك أليس، سمير قصير، إقبال أحمد، إريك رولو، غسان تويني، إدوارد سعيد، ربيع مروة، فنياء العزاوي، حليلة بكار، أدونيس، سعدي يوسف، عمود درويش، وغيرهم. كما تمّ التأكيد على أهم أغراض الندوة، وهو الاهتمام بوضع عنصر نقدي في هذه المراجعة الشاملة يتناول موضوعين: الأول، المسؤولية العربية في مسد الكيان

السلام مع سورية ولبنان على خلفية القرارات الدولية، واستناداً إلى مفهوم الانسحاب الكامل مقابل السلام الكامل.

ندوة بيروت الخاصة بـ«اليهود العرب: الجذور والتهجير» (مناقشة): هي ندوة من ندوات أو برنامج حواري نظمه مثقفون لبنانيون، في طليعتهم إلياس خوري، فواز طرابلسي، وعبد سويد، بالتعاون مع جريدة «النهار» ومع «دار الآداب»، تمتد من ٨ نيسان حتى مطلع تموز ١٩٩٨ واختاروا له شعار «خمسون سنة نكبة ومقاومة» (شكلت بيروت العاصمة العربية الوحيدة التي دعت إلى إحياء ذكرى النكبة بندارسها وأخذ العبر منها). ولقد دُعي إلى هذه الندوة، أي الندوة الخاصة بـ«اليهود العرب: الجذور والتهجير»، كتاب ومفكرون يهود ولدوا وعاشوا في البلاد العربية ومحتفظون بجنسية هذه البلاد: سليم نصيب (لبنان)، جاك حسّون (مصر)، إبراهيم صرفاتي وادمون عمران المليح (المغرب). وهؤلاء المفكرون الذين تقرّر ان يشاركوا في الندوة لا يمثلون «الأخر» وتاريخهم يؤكد ذلك. وحضورهم إلى العاصمة اللبنانية كان تحديداً لبيان هذه الحقيقة، وكشف المساومات التي جرت على حسابهم عشية النكبة، وخلال السنوات التي تلتها حين لم تزدد حكومات عربية في «يعهم» إلى الكيان الصهيوني، حسب تعبير الكاتب اليهودي العراقي سمير نقاش.

وسرعان ما هبت في وجه الندوة المقررة معارضة شديدة تميزت بنبرة التهديد والرعيذ والارهاب وتخوين منظمي الندوة (علمًا أنهم من أصحاب المواقف الحاسمة في الدفاع عن القضايا الوطنية والقومية). وكان المبادر في هذه الحملة الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي كتب رئيس مجلس العمدة فيه -جنّاح الطوّاري-، انطوان غريب، مقالة بعنوان «إلياس خوري، نأسف لمنحك جنسيتنا». ثم انضمت إلى هذا الحزب «حركة فتح-المجلس الثوري» (أبو نضال) الذي ذكر أحد مسؤوليه «كيف كانت برهات اتصالات عرفات مع اليهود تحت غطاء اللقاءات مع يهود يساريين وتقدميين، وكانت النتيجة أنها جرّت إلى أوصلو» (علمًا ان المفكرين اليهود المدعويين إلى الندوة هم يهود عرب معادون لإسرائيل والصهيونية، ولم يتمكن أصحاب حملة معارضة الندوة وتهديد منظميها من الاتيان برهان واحد-بعبارة واحدة مثلاً كتبها هؤلاء المفكرون أو أدلوا بها- يُثبت أي ارتباط لهم بإسرائيل أو الصهيونية، سوى أنهم يهود دينًا). وكانت النتيجة انه تمّ سحب الدعوة



ذهن وفكر الجليل الحلي والليل الصاعد. عندما نسرح حقنا قد نتصارع حضارياً. وبالتأكيد حضارتنا أقوى». سياسياً، قال غريب: «نحن ضد الندوة في التوقيت وفي الشكل وفي الاهداف المتبسة. انا اليوم في مواجهه مع اسرائيل، وتهديتاً حول قرار مجلس الأمن ٤٢٥ (٠٠٠) فلماذا نبحث اليوم عن لقاء توافقي معتبرين ان اليهودي هو يهودي آخر ولم يعد عدواً؟ (٠٠٠) لم نسمح لأحد بتجاوز التضامن والحوار العام في البلد وما غشاه والدولة لخلق حاله ثابتة ومثبتة ضد المخالفة الخطيرة لتأليب الرأي العام العالمي علينا لغرض الشروط الاسرائيلية».

ومن حيث الشكل، رأى غريب أن «هؤلاء (أي المدعوين) بُلغوا من وزارة الداخلية بعدم منحهم تأشيرة دخول إلى لبنان نتيجة بحث هذا الموضوع في مجلس الوزراء بناء على طلب وزيرنا، أسعد حردان (٠٠٠) كان يصرص التصدي لهذا المشروع (الندوة) الذي مرّ نسلاً وعرضاً به فجأة. لم يقترح علينا أحد، حتى المشاركة، علمًا ان لديها مئات وعشرات المثقفين. لكن بعضهم يعتقد بأن الساحة الثقافية حكراً له (٠٠٠) مجموعة من اليهود عرفناهم من أعمالها، ولم يوضح أو يفسر أحد شيئاً عنها...».

أما ردود منظمي الندوة وباقي المثقفين الفهين انضموا إلى جانبها فقد تمحورت حول الأفتكار الأساسية التي عبر عنها الياس خوري في «الوسط» (المرجع المذكور سابقاً) والشاعر أدونيس «الحياة»، العدد ١٢٨٥، ١٤ ايار ١٩٩٨، ص ١٩.

قال الياس خوري: «الندوة أثار لغطاً ونشرت مقالات ضدنا محجّلت وأنا أقرأها، واعتقدت اني لا أعيش في العام ١٩٩٨، ولا حتى في القرون الوسطى (٠٠٠) بحبل بساطة أحيينا طرح السؤال عن وجهة نظر متقمين يهود عرب معادين للوجود الاسرائيلي وللصهيونية وما والوا عرباً يحتفظون حتى اليوم بجنسيات بلادهم، كني جلدتونا عمّا حصل ولماذا ترك هؤلاء بلادهم؟ وبالطبع الجواب على ما حصل هو السؤال الكبير الذي لم نطرحه الثقافة العربية على ذاتها ولا مرة، ولم نسرّ أيضاً، لأن ما حصل يتسه الفضيحة. فإذا أخذنا المسال العراقية بين لنا ان قسائل سقطت على احيائهم (وتبست في ما بعد انها من أعمال الموساد وهذا ما تظهره التقارير الاسرائيلية)، ثم أخذ قرار من قبل حكومة نوري السعيد بنزع الجنسية عن ١٥٠ ألف يهودي عراقي، ووجد هؤلاء أنفسهم نجساً من دون جنسية عراقية واقتبأوا إلى المطار لوجهة واحدة هي مطار اللد في فلسطين، وعملياً ما حصل هو مؤامرة. يقول بس

الصهيوني بعناصر يهودية عبر التهجير والنشائي، ضرورة امتلاك وعي يكون أقرب ما يكون إلى الحقيقة التاريخية ويؤكد البعد الانساني للقضية الفلسطينية.

وعلى رغم البيان الذي أصدره منظم الندوة وأعلنوا فيه سحب دعوتهم الموجهة إلى المثقفين العرب اليهود (الذين «كانوا قادمين ليقدّموا روايات معززة بالأدلة على ان يهوداً عرباً جرى تهجيرهم إلى اسرائيل، ولم ينتقلوا إليها عن طيب خاطر») وحرصهم على إقناع محاور الندوة، فإن القائمين بالحملة واصلوها في اتجاه تصعيدي بهدف إلغاء الندوة بكامل محاورها، واتخذ مجلس الوزراء اللبناني قراراً بعدم منح تأشيرات للمدعوين. فهبت عاصفة ثقافية في وجه الذين «أرهبوا» منظمي الندوة والمشاركين فيها، وكساد المثقفون يجمعون على اعتبار الحاملين على الندوة أصحاب «إيديولوجية عنصرية تبرر عنصرية الصهيونية».

علام ارتكز الحزب السوري القومي في حملته على الندوة؟

ما جاء في حوار «الوسط» (العدد ٣٢٦، تاريخ ٢٧ نيسان ١٩٩٨، ص ١٣ و ١٤) مع أنطوان غريب اعتبر بمثابة الدوافع الرئيسية للحملة على الندوة، ولكنّها في الوقت نفسه اعتبرت من كثيرين انها «الدوافع الظاهرة»، إذ كثيراً ما جرى التلميح إلى الدوافع الحقيقية بعبارات ملتبسة وموضوعة بين مزدوجين مثل «عدم جواز أي تعاط في لبنان في الشأن الفلسطيني خارج الأطر المتخصصة لذلك»، وغيرها، مما يشير إلى ان أصحابها اردوا الإيذاء، من خلالها، بأن الحزب السوري القومي كان مجرد أداة منفذة لارادة سياسية.

عقائدياً وثقافياً، اعتبر غريب «ان موقفنا مبني (٠٠٠) فإذا قرأنا التوراة والتلمود وكتاب حكماء صهيون وغيرها، نرى ان اليهود يؤمنون بأن الله اختارهم ووعدهم بأرض مما يشكل حكماً موقفاً عدائياً لنا من موقفنا القومي لما في إيمانهم من استيلاء على أرضنا وطرودنا منها (٠٠٠) إن الدعوة مغامرة غير محسوبة وخطورة كبيرة بمجرد دخول اليهود واستعمال منابرنا الثقافية والاطلالة من خلالها، ولا ندري ما الذي سيطرحه وإن كانوا ضد اسرائيل، فنحن نعرف الحبت (٠٠٠) في تغليفه البراق لطروحاته. نحن تربينا على ثقافة معينة، والصراع هو صراع أجيال لا ينتهي بهكذا سهولة، ورواسبه ستبقى ونراها في كل دولة عقدت صلحاً أو ستعقد صلحاً (٠٠٠) إن التطبيع العكري هو أخطر أنواع التطبيع، لأنه غسل دماغ لترسيخ قناعات جديدة في

المسلم وتبيده مجرد كونه مسلماً، وهذا «الموقف» الذي يبني اليهودي مجرد كونه يهودياً؟ ولماذا إذن تفاجأ وتحتج، عندما يُرفض العربي أو يُبذ، في الدوائر العنصرية الغربية، مجرد كونه عربياً؟».

(مراجع هذه المادة الفرعية: حواران أجرتهما «الوسط»، العدد ٣٢٦، تاريخ ٢٧ نيسان ١٩٩٨ مع أنطوان غريب والياس خوري؛ ومقالة أدونيس في «الحياة»، العدد ١٢٨٥٤، تاريخ ١٤ ايار ١٩٩٨؛ متابعة للمؤلف لبحريات أمور الندوة بما فيها حضوره ندوة كلية الآداب، الفرع الاول-الجامعة اللبنانية، تحت عنوان «فلسطين في موضوعات النهوض العربي» التي اشترك فيها محمد سريد، أحد منظمي ندوة بيروت، إلى جانب السيد محمد حسن الأمين والدكتور أحمد بر ملحوم).

الحوار العربي-الاوروبي: في ٦ تشرين الثاني ١٩٧٣، بادرت الدول الاوروبية التسع الاعضاء في السوق الاوروبية المشتركة (أصبح عددها ١٥ دولة بدءاً من ١٩٩٥ في ما أصبح يعرف بـ«المجموعة الاوروبية» أو «الاتحاد الاوروبي»، راجع «اوروبا»، ج ٣) إلى إصدار إعلان حول رغبتها في قيام حوار عربي-اوروبي. فبعد أن عدّد هذا الاعلان النقاط الرئيسية الواجب توافرها في أي حل لأزمة الشرق الاوسط، وأبرزها ضرورة «الاعتراف بالحقوق المشروعة للفلسطينيين في أية عملية إقامة سلام عادل ودائم»، و«عدم جواز ضم الاراضي بالقوة»، اشار في فقرته الخامسة إلى ان حكومات دول المجموعة الاوروبية التسع تذكر بمختلف العلاقات التي تربط، عبر تاريخ طويل ببلدان الضفة الجنوبية من البحر المتوسط ببلدان الضفة الشرقية، وتؤكد ان المجموعة الاوروبية مصممة على التفاوض مع هذه البلدان (أي البلدان العربية) من أجل التوصل إلى اتفاقيات مشتركة معها في إطار شامل ومتوازن.

وقد ردّ مؤتمر القمة العربية السادس في الجزائر (تشرين الثاني ١٩٧٣) على هذه البادرة ببيان خاص موجه إلى اوروبا سجل فيه المؤتمرون اهتمامهم بالبرادر الاولي التي أظهرتها دول اوروبا الغربية نحو تفهم أفضل للقضية العربية. وقد شدّد بيان القمة على ان اوروبا متصلة بالبلدان العربية، عبر البحر الابيض المتوسط، بروابط حضارية ومصالح حيوية لا يمكن لها ان تتطور وتتمو إلا في إطار تعاون قائم على الثقة والمنفعة المتبادلة.

غوريون في مذكراته ان دولة اسرائيل حين نشوتها كان فيها ٦٠٠ ألف يهودي، أما التأسيس الثاني لدولة اسرائيل فتم عبر تهجير اليهود العرب إلى اسرائيل. لذا أحببنا طرح السؤال الكبير بواسطة هؤلاء المفكرين. ولماذا أكثر من نصف سكان اسرائيل هم حالياً يهود عرب؟ لماذا غدّى العالم العربي الآلة العسكرية الاسرائيلية بهذا الكم الهائل الذي يفرض ان تستوعبه مجتمعاتنا القائمة على تعدد الأديان منذ أيام الرسول، ولم تكن فيها أقليات دينية عملنا على تصفيتنا كما فعلت أوروبا عند نشوء الدولة القومية. إن الفكرة الكامنة وراء هذه الندوة وكل ندوات البرنامج، هي ان الفكرة الصهيونية فكرة عنصرية دينية، وإذا تقبلت مجتمعاتنا العربية تقليد النموذج الاسرائيلي ساعبتد ندمر مجتمعاتنا، وعملية تقديم نموذج مضاد جوهرياً للنموذج الاسرائيلي، وهي الطريقة الوحيدة للوقوف في وجه الاحتلال الاسرائيلي العنصري والمجهز والمتطور عسكرياً ويملك أكثر من مئة قبلة نورية! هكذا كانت فكرتنا عن الندوة، لكن فرحت بالفكر التي طرحنا وما حملته من عنصرية. ولعل الندوة التي ستعقد كشفت خلاً كبيراً في الثقافة العربية، إذ يفرض بنا ان نعي أخطار بقايا الفكر الفاشي المتغلغل في رؤوسنا والذي لن يؤدي بنا إلا إلى الهاوية».

أما أدونيس فكتب («الحياة»، العدد ١٢٨٥٤، ١٤ ايار ١٩٩٨، ص ١٩) يقول: «إن أصحاب هذا «الضغط» (أي الذين حملوا علي ندوة بيروت وتوصلوا إلى منعها) لا يتوقفون، ولو قليلاً، للتأمل، والتساؤل، ولا يأنهون للمفارقة التي يُرغمهم فيها موقفهم هذا. فهم يرسمون خط الصراع مع اسرائيل في مستوى ديني، لا في مستوى قومي. بل إنهم، في ذلك، يحجبون المستوى الفكري الوطني-القومي للصراع، بحيث توضع القضية برمها في إطار صراع الأديان، وتصبح استمراراً للصراع الديني-المسيحي-اليهودي الذي عرفته اوروبا، ونحملنا نحن نتاجه، ودفعنا منه. بل إن «منطقهم» يقودهم إلى تسريح الصهيونية نفسها، وإلى إعطائها الشرعية والمصادقية. فلئن كنا لا نعترف لكل يهودي بانتمائه إلى الجنسية التي يحملها، والبلد الذي ينتمي إليه بالولادة، ونصر على ان نمأهيه باسرائيل، أفلا يقودنا ذلك إلى النظر لكل يهودي بوصفه اسرائيلياً؟ وإلى النظر إلى اسرائيل بوصفها وطناً لكل يهودي؟ أفلا ندعم بذلك الصهيونية التي نقاومها... وهي التي تقوم على هذه الافكار التي تشكل نواتها النظرية (...). أخيراً، ما الفرق بين موقف الميليشيات الصربية التي تبذ

الأوروبي يركز فيها على الاقتصادي، وخاصة البترولي، ذلك ان هدف الأوروبيين كان الحد من حركة ارتفاع سعر البترول وضمان الحصول عليه. وفي ظل حال الكساد التي شهدتها الدول الأوروبية خلال سنوات ١٩٧٥-١٩٧٧ (عقب ارتفاع اسعار البترول في ١٩٧٤) وما ترتب عليها من ثبات الطلب على البترول خلال السنوات المذكورة، ولجوء هذه الدول إلى التنسيق فيما بينها في إطار وكالة الطاقة الدولية، كل هذه العوامل دفعت الدول الأوروبية إلى رفض الاستجابة لمطالب دول العالم الثالث، وخاصة الدول البترولية. هذا إضافة إلى ان مضمون الحوار العربي الأوروبي لم يهتم جميع الاطراف العربية بالقدر نفسه. فالدول العربية البترولية كانت أكثر من سواها حماساً لهذا الحوار، ما يفسر اللقاءات المتعددة، منذ توقف الحوار العربي الأوروبي، بين هيئات اوروبية ومجلس التعاون الخليجي، آخرها اجتماع الاتحاد الأوروبي وهذا المجلس في لندن في ٢٩ نيسان ١٩٩٨. وقد مثل الاتحاد الأوروبي، في الاجتماع، وزير الخارجية البريطاني روبن كوك الذي تتولى بلاده الرئاسة النورية للاتحاد. وهدف الاجتماع إلى تعزيز العلاقات بين التجمعيين الاقليميين، إلى البحث في عدد من القضايا ذات الاهتمام المشترك مثل ايران والعراق وعملية السلام في الشرق الاوسط.

والجدير ذكره ان استمرار شلل الحوار العربي الأوروبي (وتوقفه دون الاعلان عن ذلك) أدت إليه جملة المتغيرات الدولية الكبرى بدءاً من اواسط الثمانينات. فحلّت في الحوار تجمعات إقليمية محل تجمع «العالم العربي» وعلى حسابه، مثل «الخليجي»، أو «المغاربي»، أو «المتوسطي» أو «الشرق أوسطي» (راجع هذه المراد في مواضعها من الموسوعة)، خصوصاً وان الاتحاد الأوروبي لم يضع إطاراً آخر للعلاقة مع الدول العربية منذ توقيع اتفاقية التعاون المشترك مع دول مجلس التعاون الخليجي في ١٩٨٨، إذ باتت العلاقات الأوروبية مع الدول العربية تنضوي تحت ما يعرف باسم «سياسة الاتحاد الأوروبي في البحر المتوسط»، التي أعيد بلورتها في المؤتمر الأوروبي-المتوسطي الذي انعقد في مدينة برشلونة الاسبانية في تشرين الثاني ١٩٩٥، إضافة إلى اتفاقات الشراكة التي تعقدتها مع كل دولة عربية على حدة على رغم ان الهدف المعلن منها هو إقامة منطقة إزدهار اقتصادي مشتركة على ضفتي المتوسط.

لكن كل هذا لا يعني ان الحوار العربي الأوروبي قد توقف أو انقطع تماماً. فاستمراره في مدينة طليطلة

بعد هذا التبادل العلني في المواقف والنوايا، بدأت الاجتماعات المشتركة لتجسيد الحوار العربي الأوروبي في أطر وقتوات مؤسساتية. ففي أثناء انعقاد مؤتمر القمة الأوروبية في كوبنهاغن (١٠-١٤ كانون الأول ١٩٧٣)، اجتمع وفد عربي من اربعة وزراء عرب كان مؤتمر قمة الجزائر قد أوفدهم بغرض بدء الحوار، برئيس المجموعة الأوروبية. وقد تمّ في هذا الاجتماع الاتفاق على تنمية التعاون المالي والتكنولوجي والاقتصادي والثقافي البعيد المدى بين أوروبا والعالم العربي. وفي ١٤ شباط ١٩٧٤، صادق مجلس المجموعة الأوروبية على مبدأ الحوار العربي الأوروبي. وقد تمّ أول اجتماع رسمي على المستوى الوزاري في باريس في تموز ١٩٧٤ بين وزير خارجية الكويت والأمين العام لجامعة الدول العربية من جهة، ورئيس لجنة المجموعة الأوروبية ورئيس السوق الأوروبية المشتركة من جهة ثانية. وتمّ في ذلك الاجتماع وضع الأسس التنظيمية والاجرائية للحوار. وقد تبع ذلك عدة اجتماعات، إلا انها كانت تعطلد جميعها برفض الأوروبيين دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة في الحوار، فتوقف الحوار مؤقتاً. ثم اتفق في اجتماع لاحق عقد في دبلن على ان يشترك في الحوار وفدان فقط، أحدهما عربي والآخر أوروبي، دون تحديد لجنسية الاعضاء ولا لصفتهم التمثيلية. وقد قبلت الجامعة العربية ذلك في ٢٦ نيسان ١٩٧٥، وطلبت من الأمين العام للجامعة العربية ومن الدول العربية ومن منظمة التحرير الفلسطينية تعيين خريائها في الوفد العربي الموحد. وقد عقد أول اجتماع عربي-أوروبي للحوار على مستوى الخبراء في القاهرة (١٠-١٤ حزيران ١٩٧٥)، ثم تبعه اجتماع روما (٢٢-٢٥ تموز ١٩٧٥)، ثم اجتماع أبوظبي (٢٢-٢٧ تشرين الثاني ١٩٧٥). بعد ذلك، بدأت الاجتماعات على المستوى السياسي، فعقد أول اجتماع لـ«اللجنة العامة للحوار العربي الأوروبي» في لوكسمبورغ في ١٨-٢٠ ايار ١٩٧٦، ثم تبعه اجتماع آخر في دمشق في ٩-١١ كانون الأول ١٩٧٨. إلا ان كل هذه الاجتماعات لم تؤد إلى حوار مستمر، لا بل إن الحوار بدأ شبه متوقف رغم الاجتماعات الروتينية التي استمرت تعقد بين حين وآخر، منها اجتماع روما، شباط ١٩٨٠ (عمن «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج٢، ط١، ١٩٨١، ص٥٩١-٥٩٢).

إن السبب الأساسي الكامن في شلل هذا الحوار هو أن انطلاقته، وكذلك موضوعات مساره، كان الجانب

نزع شامل للسلاح النووي وان تضع حداً لكل التجارب النووية (البند السادس).

- ونصت المعاهدة، التي حددت فترة سريانها بـ ٢٥ عاماً، على انه بحلول العام ١٩٩٥ سيترتب على الدول الاعضاء ان تقرر ما إذا كانت ستعدد العمل بها إلى أجل غير محدد أو إلى فترة محددة. ويمكن ان يتخذ القرار بالاجماع أو بغالبية الاصوات.

ومع انقضاء المهلة، نظمت الأمم المتحدة مؤتمراً حول المعاهدة بين ١٧ نيسان و١٢ ايار ١٩٩٥، ولم يكن هناك أي تأييد في المؤتمر لإلغاء المعاهدة، ومدد العمل بها. قيبيل المؤتمر، وأثناءه، قادت مصر موقفاً عربياً (وعالمانياً إلى حد ما) إزاء رفض تجديد المعاهدة، وعقد اجتماع قمة ثلاثي ضم مصر وسورية والسعودية، ثم تلته خطوة أخرى في اجتماع وزراء خارجية دول «إعلان دمشق»، وموافقتهم على الاقتراح المصري الذي يربط بين التوقيع العربي على المعاهدة وتوقيع اسرائيل، وتلت ذلك موافقة علنية من السودان والعراق وليبيا ولبنان واليمن والاردن.

أما الجامعة العربية فقد أكد أمينها العام الدكتور عصمت عبد المجيد ان الجامعة تؤيد الموقف المصري، وان هذه المسألة مسألة عربية. لذلك تقرّر تشكيل لجنة فرعية لاحداد تقرير بلعل منطقة الشرق الاوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل بتأييد عربي، وتأكيد رفض جامعة الدول العربية استثناء اسرائيل من التوقيع على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية لأن الترسنة النووية الاسرائيلية تهدد استقلال العرب وأمنهم، ومطالبتها (الجامعة العربية) بضرورة إخضاع اسرائيل للتفتيش حرصاً على السلام في المنطقة.

ازدادت، خلال نحو أربعة شهور وفي أجواء مؤتمر الأمم المتحدة والتوقيع على تجديد المعاهدة، الضغوط الاميركية على مصر والدول العربية التي تعرضت لحملة عنيفة من الاعلام الاميركي أثيرت في خضمها ثلاث أوراق: ورقة استمرار العلاقات المصرية-الليبية واعتبار الأمر محرقاً من مصر لقرارات مجلس الأمن؛ والثانية ورقة عدم جدوى استمرار المعونة الاميركية لمصر طالما أن هذه الأخيرة على موقفها من مسألة المعاهدة النووية؛ والورقة الثالثة متعلقة بإثارة الدوائر الرسمية الاميركية لقضية حقوق الانسان من خلال إلقاء الضوء على ما يحدث في مصر من تجاوزات حسب تقرير الخارجية الاميركية السنوي. وبدأ التراجع في الموقف يُتلمس من خلال الدورة

(توليد) الاسيانية، وبالشكل الذي يستمر به، دلّ على انه انتقل من النطاق الرسمي إلى النطاق شبه الرسمي والخاص. ذلك ان المدينة تشهد سنوياً ومنذ ١٩٩٢ دورات للحوار العربي الاوروبي تنظمها جامعة «كاستيا لا مانتشا» بالاشتراك مع مدرسة المترجمين في طليطلة. وهذه الدورات تعتبر، حالياً، الاطار الوحيد الذي يقوم بمهمة قناة التفاهم بين ثقافتين مختلفتين، بل وفي كثير من الاحيان متناقضتين، فأهمية هذا اللقاء الحواري المستمر في شكل ثقافي باعتباره القناة الوحيدة التي تتعامل مع العرب ككل، أي كبلدان منضوية تحت لواء ومسمى واحد هو جامعة الدول العربية. ودورة طليطلة الخامسة عقدت في ٢٣ و٢٤ تشرين الاول ١٩٩٧، وظهرت فيها هوة واسعة بين ما يهدف إليه العرب وما تبحث عنه أوروبا في هذا الحوار، حين ركز الجانب الاوروبي، الذي يمثله اسبانيا، على أهمية التعاون الاقتصادي والسياسي والأمني بين أوروبا والدول العربية، مشدداً على أهمية التنسيق الأمني مع الدول العربية المطلة على البحر المتوسط باعتبارها المنفذ الخطر الذي يهدد الدول الاوروبية بعد انتشار المهجرة غير الشرعية عبر منافذ معروفة في شمال افريقيا (الشواطئ المغربية المطلة على مضيق جبل طارق). وكان الجانب العربي يبحث في تعاون أبعاد من «التنسيق الأمني المغلف بشعارات التعاون الاقتصادي والسياسي الذي تحاول أوروبا فرضه دائماً على الجانب العربي». وكان محور حديث ممثل الجامعة العربية محمد العربي الداودي التركيز على أهمية القضية الفلسطينية التي تعتبر القضية المحورية للعالم العربي.

**الموقف العربي من «معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية»:** دخلت هذه المعاهدة حيّز التنفيذ في ٥ آذار ١٩٧٠ لمدة ٢٥ سنة، وبلغ عدد الدول التي وقعت وصادقت عليها ١٧٨ دولة. وبين الدول التي لم تنضم إليها اسرائيل والمند وباكستان.

تلتزم المعاهدة كل الدول الاعضاء، باستثناء القوى النووية الخمس، الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي (روسيا حالياً) وبريطانيا وفرنسا والصين، ان تمتنع عن حيازة الاسلحة النووية (البندان الاول والثاني)، وان تقبل إجراءات الرقابة على كل المنشآت النووية من قبل وكالة الطاقة النووية (البند الثالث)، وتضمن للدول التي لا تملك أسلحة نووية إمكان استخدام التكنولوجيا النووية لأغراض سلمية (البندان الاول والخامس)، في حين تلتزم الدول المالكة للأسلحة النووية ان تتفاوض بـ«حسن نية» لتحقيق

والتكنولوجيا في الكليات تضاعف مرتين خلال هذه الفترة، إلا ان هذا النمو الذي جرى في أقسام ثلاثة هي العلوم الأساسية والهندسة والزراعة أتجه نحو التماثل وليس التنوع.

- بلغ مجموع الطلاب الجامعيين (في السنة الدراسية ١٩٩١-١٩٩٢) نحو ٢,٥ مليون طالب، وبلغت نسبة طلاب المعاهد والكليات التقنية بينهم ١٦٪. الزيادة في عدد الطلاب بين ١٩٨٠ و ١٩٩٣ بلغت نسبة ٧٪ في حين ازداد الانفاق على التعليم العالي بمعدل ٥٪ سنويًا. ولا تزال المعاهد التقنية تجتذب عددًا قليلًا من الطلاب لا تزيد نسبتهم عن ١٥٪ من مجموع الطلاب العام. ولا تزال نسبة طلاب الدراسات العليا للماجستير والدكتوراه أقل من ٦٪. ومع أن تحسينات عدة طرأت على الهيئات التدريسية في الجامعات العربية فإن البحث العلمي فيها تقلص من ٧٪ عام ١٩٨٥ إلى ٥٪ عام ١٩٩٢ (من المفيد جدًا ان نشير هنا، كم أن النسبتين الأخيرتين اللتين وردتا في تقرير المكتب الاقليمي لليونسكو والمتعلقتين بتقلص البحث العلمي- والتأليف- من ٧٪ في ١٩٨٥ إلى ٥٪ في ١٩٩٢، سلبينان وخطيرتان. «إذ نكتشف، بالأرقام، كم ان تقصيرنا كبير في مجال البحث والتأليف- الدراسات وإصدار الكتب- فإنتاج العناوين الجديدة الذي بلغ العام ١٩٩٦ في بريطانيا ٩٥٠١٥ كتابًا، وفي فرنسا ٤٥٣١١ كتابًا، وفي اسبانيا ٤٤٢١٦ كتابًا، وفي هولندا ٣٤٠٦٧ كتابًا، وفي بلجيكا ١٣٩١٣ كتابًا، لم يبلغ في مجمل البلدان العربية سوى ٨١٧١ كتابًا. أي أن مجموع العناوين الجديدة التي انتجها العالم العربي بأسره هي اقل بكثير مما أنتجه أصغر بلد اوروبي لوحده»، عن فردريك معنوق، «الحياة»، العدد ١٢٧١٥، تاريخ ٢٢ كانون الاول ١٩٩٧، ص ٩).

**التكنولوجيا والبحث العلمي (مقارنة مع إسرائيل):** شهد عقدا الثمانينات والتسعينات طفرة هائلة في انتشار أجهزة الكمبيوتر وتطبيقاتها الميسرة في البلاد العربية. وهذا الانتشار بدأ بشكل مطرد منذ مطلع الستينات، وتزايد مع زيادة الفرائض النفطية. وفي بداية التسعينات شكلت الدول العربية سوقًا كبيرة لتجهيزات الكمبيوتر وبرامجه، وتزايد الطلب على الكمبيوتر الشخصي. وقلّدت سوق الكمبيوتر العربية بنحو ٨٤٠ مليون دولار سنويًا.

التكنولوجيا العربية، عمومًا، ما زالت في فترة حضانية. فباستثناء بعض الصناعات الخفيفة والنفطية والكيماوية المحدودة، تستورد الدول العربية كل ما تحتاجه

١٠٣ مجلس الجامعة العربية (٢٣ آذار ١٩٩٥) بقرار يعكس «التمسك بثوابت ومبادئ محددة في ما يتعلق بمد سريان المعاهدة الدولية لحظر انتشار السلاح النووي من دون تحديد موقف بشأن قبول الدول العربية التوقيع أو عدم التوقيع على التجديد للمعاهدة في حال استمر الرفض الاسرائيلي للاتضمام إلى هذه المعاهدة». فكانت النتيجة أن وقعت غالبية الدول التي كانت وقعت على المعاهدة في الأساس، بما فيها الدول العربية، واستثيت اسرائيل من التوقيع، علمًا ان هذه الأخيرة تمتلك سلاحًا نوويًا أكدته مراكز البحث الدولية المتخصصة ونشرت عنه في دورياتها سواء في لندن أو في السويد، وأصبحت هذه المعلومات على درجة عالية من اليقين. وتؤكد هذه المصادر ان حجم ما لدى اسرائيل من قنابل نووية يتراوح ما بين ١٠٠-٢٠٠ قنبلة، إلى وجود قدرات التصنيع و مواد الخام المتوفرة لمزيد من الصنع، إلى إنتاجها أسلحة كيماوية وبيولوجية وأسلحة استراتيجية أخرى تستطيع بها ان تصل إلى معظم العواصم العربية.

## موضوعات في العلم والتكنولوجيا

الوضع الحالي للجامعات العربية: عن تقرير يحمل عنوان **The Higher Education System in The Arab States** صادر عن المكتب الاقليمي العربي للأونيسكو (١٩٩٦)، ومقره في القاهرة:

- عدد الجامعات العربية تضاعف ١٥ مرة في أقل من نصف قرن، فأصبح ١٣٢ جامعة تضم ٩٥٧ كلية في علوم الطبيعة والهندسة والعلوم الانسانية والاجتماعية. وثالث عدد الجامعات نشأ خلال السبعينيات سنة الماضية (١٩٨١-١٩٩٦)، ونصف الكليات خلال العقد الماضي. فيما ارتفع عدد المعاهد التقنية العالية إلى ٣٥٩ معهدًا. وأهم المشكلات التي تعاني منها هذه الجامعات: الاكتظاظ بالطلاب، شحة المراجع، فقر المكتبات، تداعي المعدات المخترية وانعدام التفاعل مع الجامعات والمراكز العلمية العالمية. فبما هذه الجامعات العربية كمراكز تعليمية فعالة، في عصر الثورة التكنولوجية التي انتجت تقنيات الكمبيوتر والانترنت، يتوقف على تجهيزها بهذه التقنيات.

- شهد نظام تعليم العلوم والهندسة خلال ١٩٨٠-١٩٩٣ تطورات إيجابية عدة، لكنه كشف عن جوانب ضعف خطيرة. ومع أن عدد أقسام العلوم

القوة تضم خريجي الجامعات المتخصصة كما ان عدد العلماء والمهندسين بين كل ١٠ آلاف من افراد تلك القوة يبلغ ضعف عددهم في كل من الولايات المتحدة واليابان. وزادت هجرة أكثر من ١,٥ مليون من اليهود «السوفيات» إلى اسرائيل (بين ١٩٩٠ و ١٩٩٥) من مكانتها التكنولوجية. ففي بداية هذا العقد (أي في ١٩٩٠) كان حوالي ٥٠ ألف أكاديمي يعملون في مجال البحوث والتطوير. ومعجى اليهود السوفيات زاد العدد أكثر من ١٠ آلاف، لأن عدد العلماء بين كل ١٠٠ ألف مهاجر كان يزيد على ١٥٠٠ (٠٠٠) ومجحت اسرائيل، أكثر من غيرها من البلدان (بما فيها الولايات المتحدة) في الانتقال الصعب من التكنولوجيا الدفاعية إلى المنتجات المدنية...» («الوسط»، العدد ١٧٠، تاريخ أول ايار ١٩٩٥، ص١٢).

#### العلماء والتكنولوجيون العرب في الخارج: منذ

عقود عدة والعالم العربي يعاني من استمرار هجرة الأدمغة وتفاقمها، بحيث باتت تبدو كهجرة جماعية للنخبة، وقسرية بالنسبة إلى الغالبية العظمى منها نتيجة للاوضاع السياسية أو الضغوط الاجتماعية والاقتصادية الخانقة، وأكثر من ٩٥٪ من العلماء والناخبين والباحثين والمتخصصين العرب يقصرون للعمل والاقامة في الولايات المتحدة وأوروبا. وفيما يُلاحظ حرص اسرائيل واهتمامها البالغ على استقطاب العلماء والخبراء والناخبين اليهود المنتشرين في العالم، يلاحظ، في المقابل، عدم الاكتراث العربي بتزايد هجرة الأدمغة العربية واستقرارها في الخارج هرباً من البطالة والفقر وضيق الأفق العلمي والثقافي، لا بل من سوء المعاملة إلى حدّ الاهانة التي باتت يستشعرها العالم والخبير والباحث والمثقف في تفاصيل حياته اليومية وهو في مجتمعه. منذ أكثر من عقدين والدراسات الجادة للدعومة باحصاءات دقيقة عن وضعية الادمغة العربية المهاجرة غابئة. أما الدراسات والاحصاءات التي لا يزال يُعتمدُ بها ويتكرر نشرها في أغلب الأحيان فتعود إلى الفترة ١٩٦٢-١٩٧٦، وأشهرها تلك التي وضعها الخبير الدكتور أنطوان زحلان («السكان والتنمية في الشرق الأوسط»، بغداد، قسم التنمية الاجتماعية والسكان، اللجنة الاقتصادية لغرب آسيا-الأمم المتحدة، ١٩٨٤)، ومنها الاحصائية المثبتة في سياق هذا الكلام التي تبين أن ٢٣٠٩٥ كفاية عربية موزعة على أخصائيين وفنيين ومهندسين وعلماء طبيعة وأطباء هاجروا إلى الولايات المتحدة في الفترة ١٩٦٢-١٩٧٦.

من تكنولوجيا متقدمة، وحاجتها إليها تزداد يومياً، في حين أن إنفاقها على البحث العلمي لا يزيد على واحد في الألف من دخلها القومي.

التكنولوجيا والبحث العلمي في اسرائيل تبدو معاكسة تماماً للصورة العربية، والفجوة بين الصورتين تزداد اتساعاً، خاصة مع مسار مفاوضات السلام والتطبيع. إذ سيوفّر هذا المسار لاسرائيل البلايين من الدولارات التي كانت تنفقها على البرامج العسكرية لانفاقها على تطوير صناعاتها التكنولوجية وتحويلها إلى منتجات استهلاكية.

«إن مصادر القوة والثروة هذه الأيام عالمية أكثر منها قومية، وفكرية أكثر منها مادية، إذ إن حجم الأراضي وعدد الناس وثروة اللواد الخام لم تعد تقرر مصير الأمة، لأن مدى التعليم واستخدام التكنولوجيا والمعلومات الحديثة هي العوامل التي تحدث الفارق (٠٠٠) إن العلوم لا تعرف حدوداً جغرافية والتكنولوجيا لا تحمل رايات وطنية (٠٠٠) إذ حلت موهبة الابداع والبناء محل استراتيجيات الدمار وأصبحت أجهزة الكمبيوتر لا البنادق هي التي تحدث الفارق...» (من خطاب شيمون بيريز، وزير خارجية اسرائيل، أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، دورة خريف ١٩٩٥).

ونظراً إلى ان الاسواق الاقليمية كانت مغلقة في وجه اسرائيل، اضطرت إلى التنافس مع التكنولوجيا الغربية. ولو انها لم تستطع التصدير إلى الغرب لما أمكنها أن تطور أي صناعة. وكان عليها أيضاً ان تصل إلى مستوى تكنولوجي متقدم كي تستطيع منافسة التكنولوجيا الغربية في الاسواق العالمية. كانت هذه القوة الدافعة الأساسية وراء صناعات التكنولوجيا الاسرائيلية المتقدمة. ولكن اسرائيل لم تستطع تعبئة الاموال الضخمة ورؤوس الاموال اللازمة لقوتها العاملة التي كانت على مستوى جيد من التعليم إلا بعد حرب حزيران ١٩٦٧، حين بدأت المساعدات العسكرية والاقتصادية الاميركية تتدفق عليها بكميات ضخمة.

تفقت اسرائيل «على البحوث والتطوير ٣٪ من جمل إنتاجها (الدول العربية واحد بالألف) وهي نسبة أكبر مما تنفق أي دولة في العالم بما في ذلك الولايات المتحدة واليابان. وبأني إنفاقها على التعليم في المرتبة الثالثة بعد الدفاع وتسديد الديون (٠٠٠) وساعدت في تطوير صناعة التكنولوجيا الاسرائيلية المتقدمة-من ٤٠٠ مليون دولار في ١٩٧٥ إلى أكثر من ٤ مليارات دولار في ١٩٩٥- القوة العاملة فيها. إذ إن نسبة ١٥٪ من هذه



مدير نايفة (الى اليمين) والطلوان زحلان واسامة الخولي.

العلماء العرب في حقل الفيزياء النووية والليزر في الولايات المتحدة، أجاب «الوسط» (العدد ١٨٨، تاريخ ٤ ايلول ١٩٩٥، ص ٣٥-٣٧) بالتالي:

«فكرة الشبكة نشأت العام ١٩٨٩ في لقاء مصغر عقدته في مدينة القاهرة مجموعة من العلماء العرب، وأبرزهم الدكتور علي عطية عبد الله، والدكتور ابراهيم بدران، وتحدثنا عن كيفية الاستفادة من خبرات والكفاءات العربية، فخرجنا بفكرة القيام بنشاط تُنجد من خلاله تلك الكفاءات.

وبدأنا نفكر في الدولة العربية التي يمكن ان نبدأ بها هذا النشاط ورأينا ان الاردن قد يكون بلدًا وسطيًا من ناحية جغرافية، وفيه مناخ علمي جيد إلى حد ما، وكانت الدولة قد بدأت سياسة وطنية تجاه العلم والعلماء، ولقينا ترحابًا مشجعًا خلال زيارة قمنا بها إلى عمان. وقابلنا هناك الدكتور هاني الملكي، والدكتور عبد الله طوقان اللذين أهديا اهتمامًا بالموضوع. فتبلورت الفكرة على ان نقوم بمؤتمر عام ندعو إليه بعض العلماء العرب الموجودين في الخارج للباحث والنشاور. وهكذا عقد المؤتمر الأول للعلماء العرب خلال ١٧-١٩ آب ١٩٩٠. وكان المؤتمر غير متخصص في حقل ما، إذ حضره علماء في الهندسة

أما الدراسة الأحدث حول إنتشار الأدمغة العربية في الخارج فهي الدراسة التي وضعتها «شبكة العلماء والتكنولوجيين العرب في الخارج» ASTA، واكتفت باحصاء هؤلاء في معظم جامعات أميركا وكندا خلال ١٩٩٥، وتوصلت إلى النتيجة التالية:

- في الهندسة والعلوم التطبيقية: إجمالي الجامعات المحصية في أميركا وكندا ١١٨ جامعة، إجمالي عدد الأساتذة العرب ٤١٤.

- في العلوم الحياتية والزراعية: ١٥٠ جامعة، ١٧٩ استاذًا عربيًا.

- في الصحة: ٢٥ جامعة، ٥٢ استاذًا عربيًا.

- في العلوم والرياضيات: ٢٠٠ جامعة، ١٢٥ استاذًا عربيًا.

- في الاقتصاد وادارة الاعمال والمحاسبة والتسويق والمصارف والدعاية والاعلام والتجارة العالمية...: ١٥٣ جامعة، ١٠٦ استاذًا عربيًا.

وما هي «شبكة العلماء والتكنولوجيين العرب في الخارج» التي باشرت اعمالها رسميًا منذ ١٩٩٣؟  
رئيسها الدكتور منير نايفه (مولود ١٩٤٥ في قرية شويكة، قضاء طولكرم في فلسطين) الذي يُعدّ من المع

جانب من المشاركين في الندوة «العرب والعولمة»،

بيروت (١٩٩٧)، وبدا الى أقصى اليسار

النائب اللبناني عصام لعمان.



- لم يحقق العالم العربي خلال الـ ١٥ سنة الماضية أي نمو اقتصادي حقيقي على رغم ان حجم التوظيفات العربية زاد عن ترليون دولار (الترليون يعادل ألف بليون أو الف مليار). ويعود سبب عدم الحصول على مردود لهذا المبلغ الجسيم إلى افتقار جميع البلدان العربية إلى منظومة وطنية للعلوم والتكنولوجيا. وعدم وجود هذه المنظومة يعطل الاستفادة من القدرات العلمية والمهنية.

لكن مِمَّ تتكون هذه المنظومة وما دورها؟.

- تتكون المنظومة العلمية التكنولوجية من شبكات وعمليات متنوعة تدعم وتدمج أعمال البحث والتطوير، وتشىء المؤسسات الاستشارية الوطنية للمهندسة والتصميم، وتطور المنظومة العلمية التكنولوجية خدمات المعلومات والمقاييس والمواصفات، وتضع الأطر القانونية اللازمة لدعم النشاط العلمي، وتقيم المنظومة العلائق التي تدمج شبكات الجمعيات المهنية والعلماء الافراد بالبيئة الاجتماعية والاقتصادية، وتحمي الملكية الذهنية للمخترعين، وتدافع في الوقت نفسه عن مصالح المستهلكين الذين قد يقعون ضحايا السلوك الاحتكاري والانتهاكات التكنولوجية. ويستحيل الاستفادة من العلوم والتكنولوجيا من دون بناء منظومة فعالة بهذا الصدد، ومكونات العلم والتكنولوجيا لا تحقق النتائج المطلوبة لو تركت منعزلة إحداهما عن الأخرى. فالمنظومة هي التي تدمج نظام التعليم وعالم العمل والاقتصاد وتوفر فرص التدريب والتعلم أثناء العمل لوقف تدهور مهارات القوة العاملة البشرية.

- إن حجم المهارات الهندسية والعلمية في العالم العربي يزيد على ٢٠ بليون دولار. هذه المهارات التي أنشأتها الثورة التعليمية العربية في الثلاثين عاماً الماضية يمكن أن تحسّن الأداء الاقتصادي العربي وترفع الانتاج الوطني وتقلل التبعية التكنولوجية وتزيد العمالة وتساعد على إنشاء سوق دولية للخدمات التكنولوجية العربية. ويملك الدول العربية، على رغم نزوح الأدمغة، ما يكفي من الجامعات والقدرات المهنية لتحقيق هذه الأهداف. فالقوة العاملة العربية تتكون من ٨٤ مليون شخص، بينهم ١٠ ملايين خريج جامعي. وتبلغ نسبة خريجي الفروع العلمية والتطبيقية نحو ٣٥%، ويزيد عدد حاملي شهادات الدكتوراه في العلوم التطبيقية عن ٥٠ ألفاً. وقد تجاوز العالم العربي منذ فترة النقص الحرج في إعداد المهنيين. وحدثت قفزة في عدد الجامعات العربية من ١٠ جامعات فقط عام ١٩٥٠ إلى ١٧٥ جامعة عام ١٩٩٥. وفي ١٩٩٦ بلغ عدد المنحدرين بالجامعات العربية ٣ ملايين و ٢٠٠ ألف

والعلوم والطب، ومعظم التخصصات العلمية والتكنولوجية الأخرى. وانبثقت خلال هذا المؤتمر فكرة إنشاء شبكة للعلماء والتكنولوجيين العرب سجلت في الولايات المتحدة. واقترح ان يكون لها فرع أو مركز في الدول العربية. وبالفعل، وقع الاختيار على عمان إثر الاقتراح، وتقرر ان يستضيفها (أي الشبكة) المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا، على ان تكون هناك نقاط اتصال في الدول العربية الأخرى لتسهيل أعمال الشبكة.

أما عن كيفية الاتصال بالشبكة، فهناك مجلس أمناء مكون من ٩ أعضاء لهم تخصصات مختلفة ويوجدون في مواقع مختلفة في اميركا وكندا. ويمكن الاتصال بأي شخص منهم حسب جهة الاختصاص المطلوبة. أما المركز الدائم للمجلس فهو بالقرب من جامعة إلينوي (في الولايات المتحدة) حيث يعمل الدكتور ابراهيم الحاج وشخصي».

العولمة تقدم فرصاً جديدة لتقديم العلوم والتكنولوجيا في العالم العربي: في كانون الأول ١٩٩٧، عقدت في بيروت «ندوة العرب والعولمة» (نظمها مركز دراسات الوحدة العربية) نوقشت فيها أبحاث ساهم فيها نحو ٨٠ من أبرز الخبراء العرب في السياسة والاقتصاد والثقافة، ووضعت أبسط تعريف للعولمة معتبرة إياها «سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع والأموال والأفكار بين مختلف الدول على نطاق الكرة الأرضية». من الأوراق المقدمة كانت ورقة العالم المصري الدكتور أسامة أمين الخولي الذي يعد من أبرز الخبراء العرب في سياسات العلوم والتكنولوجيا. وقد استهل الخولي ورقته بقوله: «الأمر الذي يقلقني وأحد نفسي حائراً في شأنه، وقد طعن بي السن وعشت عقوداً من الحديث والاستماع والقراءة وعقد المقارنات ولم يتجح جيلي في حفز الرأي العام وأصحاب القرار لاتخاذ أي من الاجراءات التي ظللنا- وانطوان زحلان على رأسنا- ننادي بأهميتها وجدواها في الخروج من مأزق التخلف الثقافي».

أما بحث انطوان زحلان (باحث فلسطيني وخبير قضايا العلم والتكنولوجيا في العالم العربي؛ ساهم في تأسيس مراكز للعلوم والتكنولوجيا في بلدان عربية عدة، ومعروف عالمياً بكتبه عن أوضاع العلوم والتكنولوجيا في العالم العربي، وعمل استاذاً للفيزياء في الجامعة الاميركية في بيروت فترة عشرين سنة) فقد تضمن النقاط الرئيسية التالية:



المتوسط إلى ٢,٥٪ مقارنة مع معدل متوسط قدره ١,٨٪ للدول النامية و٤,٤٪ للدول الصناعية. وتشير الاحصائيات إلى ان عدد سكان العالم العربي كان في العام ١٩٠٠ نحو ٣٦ مليون نسمة، وأصبح في ١٩٥٠ نحو ٧٥ مليوناً، ونحو ١٦٤ مليوناً في ١٩٨٠، وتخطى الـ ٢٣٧ مليوناً في ١٩٩٢.

توقع تقرير «وضع السكان العالمي ١٩٩٤» الذي يصدر عن صندوق الأمم المتحدة للسكان ان يبلغ عدد سكان العالم، في العام ٢٠٢٥، نحو ٨ بلايين و٥٠٠ مليون، وعدد سكان المنطقة العربية نحو نصف بليون، أي ان واحداً تقريباً من كل ١٧ شخصاً في العالم سيكون عربياً. وسيحتل المصريون الذين سيبلغ عددهم ٩٣ مليوناً المرتبة الأولى في العالم العربي (سيكون واحد من كل خمسة عرب مصرياً)، يليهم السودانيون (٦٠ مليوناً)، ثم الجزائريون (٥١ مليوناً)، ثم المغربيون (٤٧ مليوناً)، والعراقيون (٤٦ مليوناً)، فالسعوديون (٤٠ مليوناً)، فالسوريون (٣٥ مليوناً)، فالليبيون (٣٤ مليوناً)، فالتونسيون (١٢ مليوناً)، فالاردنيون (١٠ ملايين)، فالصوماليون (٩ ملايين)، فيما سيتساوى تقريباً عدد سكان كل من ليبيا وموريتانيا (٥ ملايين)، وكل من لبنان وعمان (٤ ملايين)، والامارات والكويت (أقل من ٣ ملايين)، والبحرين وجيبوتي (مليون واحد)، ويأتي سكان قطر في آخر القائمة (نحو ٧٠٠ ألف).

وذكر التقرير (الذي عرض على المؤتمر الدولي للسكان في القاهرة، راجع «العالم»، ج ١١)، أن نساء اليمن تحتل المرتبة الأولى في معدلات الانجاب التي تبلغ ٧,٢ طفل للمرأة الواحدة (وهو معدل عالمي احتلت به اليمنيات المرتبة الثالثة في العالم بعد نساء مالايو ٧,٦، وأوغندا ٧,٣). ومعدلات المرأة الواحدة في الصومال ٧ أطفال، وفي عمان ٦,٧، وفي جيبوتي ٦,٦، وموريتانيا ٦,٥، فيما تتساوى في الانجاب نساء السعودية وليبيا ٦,٤، وبعدهن تأتي السوريات ٦,٤، والسودانيات ٦، كما تتعادل نساء العراق والاردن ٥,٧، ونساء الامارات ٤,٥، ونساء المغرب وقطر ٤,٤، ومصر ٤,١، والكويت ٣,٧، وتونس ٣,٤، بينما تعتبر نساء لبنان اقل العربيات انجاباً (٣,١) للمرأة الواحدة).

وأشار التقرير إلى ان الكويت احتلت المرتبة الأولى بين البلدان العربية في قلة معدلات الرفيات وبلغ ٢ بالألف، وتأتي بعدها كل من البحرين وقطر والامارات (٤ بالألف)، ثم الاردن وعمان والسعودية (٥ بالألف)، ثم

طالب. وارتفع الانفاق على التعليم العالي في العالم العربي من ٤ بلايين دولار في ١٩٩١ إلى نحو ٧ بلايين دولار في ١٩٩٦ (يلاحظ أن هذه الارقام الواردة في بحث د. أنطون زحلان تزيد عن الارقام التي أعطاها المكتب الاقليمي العربي للأونيسكو في القاهرة حول عدد الجامعات والطلاب الجامعيين).

- إن العولمة المقبلة على العالم العربي تقدم فرصاً جديدة لبناء منظومة العلوم والتكنولوجيا الخاصة بالمنطقة. وتكمن أكبر هذه الفرص في النشاطات التكنولوجية العربية في قطاعات الهندسة والإنشاءات والنفط والغاز والزراعة. في قطاع الإنشاءات العربية وحده يمكن استزجاج ثلاثة أرباع المبلغ الذي يذهب خارج المنطقة ويزيد عن ١٣٠ بليون دولار سنوياً. وتستطيع القدرات التكنولوجية العربية في هذا القطاع استحداث ٧ ملايين فرصة عمل جديدة سنوياً وتوسيع وإغناء القطاع المالي العربي، وتقويل الكفاءات العلمية إلى نشاطات اقتصادية منتجة ومبدعة تتقل بالبلدان العربية من مجتمعات زراعية وريعية إلى مجتمعات صناعية عاملة. هذه الفرص لا تأتي من الخارج بل من نشاطات تكنولوجية داخلية في قطاعات الهندسة والإنشاءات والزراعة. والعالم العربي أكبر مصدر للنفط والفسفات، ومنتج أساسي للاسمنت والأنسجة. وتقدم هذه الصناعات كما وسعاً من الخدمات التقنية والمنتجات الخاصة بإدامة الصناعات. لكن السياسات العربية تتجه نحو استخدام خيرات من الخارج. ففي قطاع النفط والغاز وحده يبلغ حجم العمالة التي يفسرها العالم العربي نحو مليوني مهندس وتقني تستقدمهم البلدان العربية من الخارج. في حين تستطيع البلدان العربية المنتجة للنفط ان تنشئ سوقاً عربية محلية تتسع لعدد كبير من الخدمات التقنية والمنتجات المطلوبة في هذه الصناعات. وتستطيع البلدان العربية اجتذاب شركات الخدمات الهندسية الاجنبية للانتقال إلى البلدان العربية أو إقامة مشاريع مشتركة معها.

## موضوعات في الاجتماع والاقتصاد والبيئة

عدد السكان: أظهر تقرير «جلس الوحدة الاقتصادية العربية» (وضع في أواخر ١٩٩٦) ان عدد السكان في العالم العربي وصل، عام ١٩٩٥، إلى ٢٥٢ مليون نسمة، وتوقع ان يصل إلى ٢٩٠ مليوناً في العام ٢٠٠٠. واعتبر التقرير ان معدل النمو السكاني العربي من بين أعلى المعدلات في العالم، إذ تصل نسبته السنوية في

الجنوبية بدأت نجاحها التسموي بموارد بشرية أعظم من المنطقة العربية.

إحصائيات متقاربة قدمها المؤتمر القومي (القاهرة، نيسان ١٩٩٨) الذي أكد، في تقريره السنوي عن «حالة الأمة العربية في العام ١٩٩٧»، أن معدلات الأمية في الدول العربية في تزايد، وأن عدد الأميين في سن الخامسة عشرة فأكثر كان ٥٥،٨ مليون شخص في العام ١٩٨٠، وأنه ارتفع إلى ٦٥،٥ مليون شخص في العام ١٩٩٥. وجاء في التقرير أن الأمية بلغت حدها الأقصى في موريتانيا بواقع ٦٢،٣٪ من إجمالي السكان، ووصلت حدها الأدنى في لبنان بواقع ٧،٦٪، والسودان ٩،٥٣٪، أما في مصر فهي ٤٨،٦٪، والعراق ٤٢٪، والجزائر ٣٨،٤٪. وأضاف التقرير أن تمشي الأمية في الدول العربية لا يعود إلى تدني الاتفاق على التعليم كسبة من الناتج القومي، لكنه يرتبط في جوهره بمجملة الظروف والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

#### الفقر والدخل الفردي والتنمية البشرية:

وبحسب الدراسات المقدمة إلى مؤتمر النمو في العالم العربي (المشار إليه أعلاه) تظهر حاجة ماسة لإحصائيات علمية عن الفقر وتحليل وضع الفقراء في العالم العربي كي لا تبقى السياسات التنموية بمنأى عن الفهم الحقيقي لمشكلة الفقر في المنطقة. إذ إن تفاوت الإحصائيات عن الفقر يكاد يشبه التفاوت في الدخل في العالم العربي حيث يبلغ متوسط الدخل السنوي للفرد في اليمن ٢٨٠ دولاراً فيما يبلغ في دولة الإمارات العربية والكويت أكثر من ٢٠ ألف دولار. ومع تسجيل عقد التسعينات للعالم العربي جموداً اقتصادياً وانخفاضاً في دخل الفرد بحوالي ٤،٥٪ سنوياً (وهذه نسبة فاقت نسبة الانخفاض في مختلف مناطق العالم، بما في ذلك بلدان جنوبي الصحراء الأفريقية) أوصى تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بإجراءات لمكافحة الفقر، بينها الأخذ بالسياسات التي يكون محورها الإنسان، والعمل على إتاحة الفرص المتساوية للرجال والنساء، كهدف تهيئة بيئية سياسية مؤاتية تتيح للفقراء والمجموعات المحلية التعبير عن أنفسهم بدلاً من كبحهم. فتكلفة إجراءات مكافحة الفقر ضئيلة قياساً إلى كلفة غمر الفقر في بيئة منازعات سياسية.

وفي وثائق القمة العالمية للتنمية الاجتماعية (٦ آذار ١٩٩٥، كوبنهاغن)، انطلقاً من معيار أن التقدم الاجتماعي للسكان لا يقتصر على معدل الدخل الفردي بل يأخذ بالاعتبار مؤشرات أخرى منها معدل وفيات

تونس وسورية (٦ بالألف)، ثم الجزائر والعراق ولبنان (٧ بالألف).

كما لاحظ التقرير أن الكويتيين أطول عمراً، إذ بلغ معدل توقعات العمر للكويتيين في سنوات ١٩٩٠-١٩٩٥ نحو ٧٥ سنة. وجاء بعدهم سكان البحرين والإمارات (٧١ سنة)، ثم القطريون والعمانيون (٧٠ سنة)، وتساوى اللبنازيون والسعوديون (٦٩ سنة)، وبعدهم يأتي التونسيون (٦٨ سنة)، ثم السوريون (٦٧)، وتساوى الجزائريون والعراقيون والاردنيون (٦٦).

وحقق البحرينيون أفضل النتائج في قلة عدد وفيات الاطفال الرضع (١٢ بالألف بين ١٩٩٠ و١٩٩٥). وجاء بعدهم الكويتيون (١٤)، والإسراطيون (٢٢)، والقطريون (٢٦)، والعمانيون (٣٠)، والسعوديون (٣١)، واللبنانيون (٣٤)، والاردنيون (٣٦). وأدى الحظوظ الاقتصادي على العراق إلى زيادة كبيرة في معدل وفيات الاطفال الرضع (٥٨ بالألف). ويبلغ المعدل في اليمن ١٠٦ بالألف، وفي موريتانيا ١٢٢ بالألف.

وأظهر التقرير، أخيراً، أن الكويتيين أكثر العرب ثراءً، إذ يشكل سكان المدن نسبة ٩٣٪ من سكان البلاد، ما يمكن معه اعتبار الكويت من الدول-المدن الرئيسية في العالم، وتحتل المرتبة الرابعة بعد سنغافورة التي يعيش جميع سكانها في المدينة (١٠٠٪)، ثم بلجيكا (٩٦٪ يعيشون في المدن)، وهونغ كونغ (٩٤٪).

#### الأمية: في دراسة لمنظمة العمل العربية، نشرت في

حزيران ١٩٩٧، وأشرف عليها أمينها العام الدكتور بكر رسول، أن هناك حالة من القلق في الأوساط التعليمية العربية بسبب انتشار الأمية في العالم العربي. فهناك نصف سكان الأمة العربية من الأميين، و٦٠٪ من النساء العربيات فوق سن الـ ١٥ سنة أميات، ما يستحيل معه الوصول إلى مستويات تنمية بشرية واقتصادية أفضل في ظل تلك الأمية واستمرارها. وفي الدراسة أيضاً أن ٥٣٪ فقط في العالم العربي قادرين على القراءة.

وبحسب دراسة أخرى قدمت إلى مؤتمر النمو في العالم العربي الذي عقد في أيار ١٩٩٧ في صنعاء فإن نسبة الإلمام بالقراءة والكتابة ارتفعت من ٣٠٪ عام ١٩٦٠ إلى ٥٥٪ في ١٩٩٤، وأن ٦٠ مليوناً من العرب البالغين أميون. ومقارنة مع كوريا الجنوبية، تبين أنه في ١٩٦٠ كانت نسبة الأميين في كوريا الجنوبية ٣٠٪، فيما كان نصف البالغين من العرب أميين. وهذا يعني أن كوريا

توقعات عمر السكان والمستوى التعليمي لهم، والنفقات على التعليم والصحة... والقوة الشرائية الأساسية. فعلى هذا الأساس، تكون بلدان عدة مثل اليونان وكوستاريكا وباربادوس قد تقدمت مراتب كثيرة على بلدان عربية وتفوقها كثيرًا في حجم الدخل الفردي، مثل البحرين وقطر والامارات والكويت والسعودية.

على النطاق العربي، تعتبر البحرين أكثر البلدان العربية تقدمًا في التنمية البشرية، وتأتي بعدها الامارات ثم قطر والكويت. ومعظم البلدان العربية يحتل المرتبة المتوسطة في سلم التنمية البشرية، وفق التسلسل التالي: ليبيا والسعودية والجزائر والاردن وتونس وعمان وسورية ولبنان ومصر والعراق والمغرب، وترد البلدان العربية الباقية في المرتبة المنخفضة وفق التسلسل التالي: اليمن والسردان وموريتانيا وجيبوتي والصومال.

وحققت البلدان العربية، خلال سنوات ١٩٨٠-١٩٩٠ أعلى معدل للنمو الزراعي في العالم الثالث وبلغ نحو ٥٪ سنويًا. مقابل ذلك، لا يزال نحو ٧٣ مليون عربي يعيشون دون مستوى الفقر وأكثر من ١٠ ملايين لا يحصلون على قوت كاف، ونصف السكان في المناطق الريفية محرومين من الماء النقي، وتلثهم فقط يحصل على خدمات صحية أساسية. ورغم ما حققته البلدان العربية على صعيد تعليم الإناث، فإن النساء العربيات لا يشككن حاليًا (١٩٩٦) سوى ٢٥٪ من قوة العمل بالمقارنة مع ٣٩٪ في بلدان العالم الثالث.

أخيرًا، يسير الدخل الفردي والتنمية البشرية في اتجاهين متعاكسين أحيانًا، فيتصاعد أحدهما وينخفض الآخر. والمثال النموذجي على ذلك المملكة العربية السعودية التي انخفض دخلها الفردي، لكن تنميتها البشرية واصلت الارتفاع. وثمة مثل آخر يأتي من المقارنة بين المغرب والأكوادور. فمعدل الدخل الفردي فيهما متساو تقريبًا ويبلغ نحو ألف دولار سنويًا؛ إلا ان الأكوادور تأتي في المرتبة ٦٤ في سلم التنمية البشرية فيما تتأخر المغرب عنها نحو ٦٠ مرتبة وتأتي في المرتبة ١٣٣. ويظهر عمق الفجوة بينهما واضحًا جدًا في تعليم الراشدين، حيث تبلغ نسبة المتعلمين في الأكوادور ٨٩٪ وفي المغرب ٤٢٪. لذلك كثيرًا ما يذكر التقرير السنوي للتنمية البشرية الصادر عن الأمم المتحدة بأن «حياة الناس لا تقاس بالدخل الفردي فقط، وان الثروة وحدها لا تحقق حياة أفضل، والفقر لا يعني نقص الدخل فقط». وعلى خلاف وجهة

الاطفال وطول عمر السكان ونسبة المتعلمين ومعدل الالتحاق بالمدارس، أن ثلث سكان العالم العربي فقراء وأن نسبة الفقراء العرب ستظل ثابتة حتى العام ٢٠٠٠.

وأشارت وثائق القمة إلى ان البلدان العربية حققت قفزات اجتماعية كبيرة خلال ثلاثين عامًا الأخيرة، وان هذه الظاهرة هي جزء من ظاهرة شملت العالم النامي (الثالث) برمتها (ارتفاع معدل توقعات العمر، ارتفاع نسبة الانفاق على التعليم، تضاعف معدل الدخل الحقيقي...). لكن، رغم ذلك، لا تزال أكثر الدول العربية تقدمًا، وهي الكويت، تأتي في المرتبة ٢٦ بين دول العالم بعد جميع أقطار أوروبا الغربية وبعد تشيكيا واسرائيل وكوبا والامارات العربية (المرتبة ٤١) بعد بلغاريا وتشيلي وأوروغوي... وحتى بعد سري لانكا والاردن (المرتبة ٥٠) بعد جمهوريات سوفياتية سابقة؛ وسلطنة عُمان (المرتبة ٥٢) بعد جورجيا وتونس (المرتبة ٥٩) بعد رومانيا وتايلند وأرمينيا والمملكة العربية السعودية (المرتبة ٦١)، وبعدها مباشرة سورية ولبنان...

أما تقرير الأمم المتحدة عن «التنمية البشرية، ١٩٩٦» (وهو تقرير بدأ يصدر سنويًا منذ ١٩٩٠) فقد بين تراجعًا في الدخل الفردي في جميع البلدان العربية باستثناء عُمان وتونس. وذكر ان الدخل الفردي في بعض البلدان مثل العراق والكويت والسودان لا يزال على مستواه الذي كان عليه في أعوام ما قبل الستينات، فيما بقي دخل الفرد في ليبيا والسعودية على مستواه في الستينات، وما يزال في الجزائر والبحرين والامارات على مستواه في السبعينات، وفي مصر والاردن والمغرب وسورية على مستواه في الثمانينات. البلدان العربيان الوحيدان اللذان حققا للفرد في التسعينات أعلى مستوى دخل من أي وقت سابق هما عُمان وتونس.

ويخصي التقرير ٨٩ بلدًا تدهور اقتصادها مقارنة بما كان عليه قبل ١٠ سنوات، معتبرًا ان هذا الأمر يؤدي إلى انشطار العالم إلى فئتين من الناحية الاقتصادية سواء بين البلدان أو داخل البلدان: الأغنياء جدًا يزدادون غنى، والفقراء يزدادون فقرًا. ويكشف التقرير ان أموال ٣٥٨ بليونيرًا في العالم تفوق حاليًا مجموع الدخل السنوية لنصف سكان الكرة الأرضية. وإذا استمر الاتجاه الحالي فإن «الفوارق الاقتصادية بين الدول الصناعية والنامية ستنتقل من حالة اللامساواة إلى حالة اللانسانية».

لكن الدخل الفردي ليس كل شيء في دليل التنمية البشرية الذي يحدد تسلسل الدول على اساس

في حين شهدت العقود الثلاثة الأخيرة جهوداً مركزة على تنمية المدن الرئيسية والسعي لتحديثها من خلال تركيز ثقل الخدمات فيها، ويؤدي ذلك إلى إهمال الريف وانخفاض المعدل العمري لسكانه، وارتفاع معدل وفيات الرضع والاطفال ومعدل الامية لدى الكبار قياساً إلى سكان المناطق الحضرية. إلا أن بعض البلدان العربية، كالمغرب وتونس والمملكة العربية السعودية، حقق نجاحاً ملموساً في التنمية الريفية، انعكس نسيباً في انخفاض معدلات الهجرة فيها وتحسين مدخلات الانتاج الزراعي بشكل نسبي.

#### الماء والتصحر: تبلغ كميات المياه السطحية

المستثمرة في العالم العربي نحو ١٤٠ بليون متر مكعب. أما استثمار المياه الجوفية فقد بلغ نحو ٢٣ بليون متر مكعب. ومن أهم المخاطر التي تواجه هذه المنطقة ان منابع مواردها المائية تقع خارج حدودها، وهذه الحالة تجعل مشكلة المياه من المشاكل الضاغطة لنزاعات إقليمية مخوفة بالمخاطر. فتطوّر حاجات شعوب المنطقة قد يجعل أهمية المياه توازي أهمية النفط، بل ربما أكثر منها أهمية في تحديد مصير أمنها الغذائي القومي.

وتشير مختلف الدراسات المختصة (خاصة منها الصادرة عن منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، «فاو») ان نصيب الفرد العربي، في العام ٢٠٠٠، أقل من جميع سكان العالم. وباستثناء العراق ولبنان وموريتانيا ستقل حصة الفرد في جميع البلدان العربية الأخرى عن الحد الأدنى البالغ ألف متر مكعب سنوياً. وفي حين لم يكن يعاني من شحة المياه في العالم العربي سنة ١٩٥٥ سوى البحرين والكويت والأردن وجيبوتي، فإن شحنتها تهدد الآن الجزائر والسعودية والإمارات وقطر واليمن والصومال، وستواجه المشكلة نفسها، بعد سنوات قليلة، مصر وليبيا وعمان وسورية.

ويتعرض الأمن الغذائي القومي أيضاً لمخاطر أخرى نتيجة لزيادة ظاهرة التصحر، بسبب زحف الصحراء (راجع «العالم»، ج ١١) عبر الأحزمة الخضراء والأراضي الخصبة وتحويلها إلى أرض قاحلة جديدها. إن الأضرار الناتجة عن التصحر خطيرة لأنها تحدث تغييراً شاملاً في المنطقة ويثقلها، لنقص الغطاء النباتي، ما يضطر السكان المحليون إلى النزوح عن الأرض المتضررة إلى مراكز وأماكن أخرى كلاجئين جياح يمولون على محيرات الآخرين.

يميل «المكتب الإقليمي لبرنامج الأمم المتحدة

النظر الاقتصادية التقليدية، يعتبر تقرير الأمم المتحدة للتنمية الاقتصادية وسيلة وتنمية الانسان هو الهدف. فالانسان وليس إجمالي الانتاج القومي هو المهم، والهدف من التمر هو إثراء حياة الناس.

#### السكان والموارد الزراعية: يبلغ إجمالي المساحة

التي يعيش سكان العالم العربي في كنفها نحو ١٤ مليون كلم م. غير ان غالبية المساحة صحراوية. ويتركز القسم الساحق من السكان في المناطق المخاضية للانهيار، وعلى السواحل، وفي المناطق الكثيفة الامطار والتي تتوفر لها إمدادات كافية من المياه.

وتباين الدول العربية في مواردها الطبيعية تبايناً كبيراً. فالدول النفطية منها تحتفظ بنحو ٦٦٪ من الاحتياطي النفطي العالمي و٢٣٪ من احتياطي الغاز الطبيعي. في حين تقسم البلدان غير المنتجة للنفط والتي تعتمد على المصادر الزراعية بشحة مصادرها وصعوباتها الاقتصادية. وينعكس هذا الأمر تبايناً في مستويات دخل السكان في العالم العربي.

وتمثل مساحة الاراضي الزراعية وتلك المزروعة بمحاصيل دائمة ٤٪ فقط من مجموع المساحة وتغطي المراعي الدائمة ٢٢،٨٪، في حين لا تشمل الغابات والاراضي المشجرة سوى ٦،٦٪. والمشكلة الأكبر، هنا، هي في تدهور الاراضي الزراعية والمراعي واجتثاث الغابات، ما يؤدي إلى التصحر. ويقدر في المتوسط ان نحو ٤٠٪ من الاراضي المرورية و٧٥٪ من الاراضي البعلية و٨٠٪ من المراعي في المنطقة العربية تعاني من أخطار التصحر.

يشغل سكان الريف نصف سكان العالم العربي تقريباً. ومن المتوقع ان تهبط نسبتهم حتى نهاية القرن الحالي إلى حوالي ٤٤٪ من مجموع السكان. وتعتبر البلدان العربية ذات الدخل المتوسط والبلدان المنخفضة الدخل ريفية أساساً. وتعد نسبة سكان الريف منخفضة إجمالاً في البلدان العربية المنتجة للنفط ومرتفعة في البلدان التي يمكن اعتبارها زراعية، حيث يشكل سكان الريف نحو ٧٦٪ من سكان كل من مصر وسورية والجزائر وموريتانيا والمغرب على التوالي. وغالبية السكان الريفيين ذات دخول متدنية وتعيش في ظروف يئمة سيئة هي حصيلة السياسات غير الملائمة في ميدان التنمية الريفية.

لقد أهملت غالبية البلدان العربية العلاقة القائمة بين الزراعة والتنمية الريفية والنمو الاقتصادي والسكاني،



ان نحو ٣٥٧ ألف كلم م. ستضيق شحنت تأثير التصحر في غضون سنوات قليلة (أي أربع أو خمس سنوات تفصل بين دراسة الفاو ونهاية القرن الحالي).

### استنهاض العالم العربي يبدؤه الانسان العربي (مناقشة)

(عن هادي مفيد أبو مراد (توفي ١٩٩٣) في كتابه «المسائل الشرقية الجديدة» الصادر بالفرنسية عن «دفاتر الشرق». وهاذي مفيد أبو مراد كان خبيراً لدى الاتحاد الاوروبي، ورئيس دائرة الشرق الاوسط في مصلحة الدروس الاقتصادية لدى الشركة العامة المصرفية في باريس، ثم التحق بالشركة العامة اللبنانية الاوروبية المصرفية في لبنان حيث كان رئيس «جمعية الاقتصاديين من أجل لبنان». والجزء المختار، هنا، مقتطع من الصفحات ٢١٦-٢٣١ من كتابه المذكور الذي صدر في أواخر ١٩٩٣).

لقد استفد العالم العربي، خلال العقود الثلاثة المنصرمة، ثلاثة مسارب:

١- مسرب القطيعة مع المنظومة الرأسمالية، أو اقتصاد السوق، ومع مرقع التبعية بازاء الاقتصاد القائم في العالم، وذلك باعتماد التنمية المركزية المنطوية على الذات.

للبيئة» (بونيب) إلى تحديد أسباب التصحر والتدهور البيئي المنتشر في العالم العربي بالجفاف الزمة بالرياح والماء، وبالرعي الجائر والتوسع الزراعي في الاراضي الهامشية وتدمير الغابات، إضافة إلى تملح الارض وانخفاض مستوى المياه الجوفية. ويعتقد ان تدمير الغابات لعب دوراً أساسياً في انتشار التصحر في السودان وتونس، في حين أدى إلى ذلك استنزاف المياه الجوفية في سلطنة عمان والامارات والسعودية.

يعد التصحر المشكلة البيئية الاولى في العالم العربي حيث تقدر المساحة المتصحرة بنحو ٩٠٧ مليون كلم م. أو ما يعادل ٦٨٪ من المساحة الكلية للعالم العربي، إضافة إلى نحو ٢٠٨ مليون كلم م. معرضة للتصحّر. وينتشر التصحر في كل البلدان العربية، لكنه يأخذ مدى واسعاً ومدسراً في تونس والسودان والمغرب وموريتانيا.

وأكثر ما يخيف في موضوع التصحر انه حصل، في مساحات واسعة، وانه يحصل في سرعة زمنية قياسية. وتشير تقارير الاسم المتحدة إلى ان المناطق على أطراف الصحراء الافريقية الكبرى (مصر، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا والبلاد المجاورة) قد تحول جزء كبير منها من اراض منتجة إلى اراض جدهاء خلال خمسين سنة فقط. وأظهرت دراسات منظمة الأغذية والزراعة الدولية (فاو)

أن تخطط الأمة العربية لنفسها حلاً ثالثاً (لا استيراد كل التجهيز المتقدم ولا اليد العاملة المهيأة، ولا امتصاص اليد العاملة المحلية ذات الكفاءة المتواضعة من خلال صناعات تتطلب بدأ عاملة كثيرة)، حلاً يركز على الجمع بين «إعادة صنع البنى ومضاعفة إنتاجية العمل الاقتصادي، مع أخذ الفوارق في الواقع القائم وفي الغايات بعين الاعتبار».

لذا كانت الأولوية المطلقة في المستقبل المنظور، تتلخص باستنقاذ رأس المال البشري العربي. وتشتد هذه الحاجة ضغطاً عندما نتذكر محدودية الاحتياطي النقدي، لا على المستوى العربي فقط بل على الصعيد العام كله، بعدما تفتحت شهية الدول، النامية والصناعية على السواء، إلى التمويل.

ومن بعد إتمام الرأسمال البشري، تظهر أولويات ثانوية كالتالي:

· تشييط الادخار الشعبي، وبخاصة منه الرهفي، نوسلاً لحفض المديونية على المستوى الوطني، وإتاحة المجال أمام العليقات جميعاً أن تسهم في التنمية العامة.

· تشجيع قيام المؤسسات الانتاجية الصغيرة والمتوسطة، في مجالي الاعمال والصناعة، في القطاع الخاص، على أن يقتصر تدخل الدولة فيها على اسداء النصح والمعلومات (المتعلقة بحال الاسواق وجمالات التصدير) وعلى خفض الرسوم الحكومية والبلدية، وتأمين القروض الميسرة في مرحلة الاقتلاع. فمثل هذه المنشآت المنتجة موهلة للانتشار فوق التراب الوطني كله، لأي قطر، وفي هذا للانتشار والاستنهاض الشعبي أسلوب عملي لحفض الفروقات الاقتصادية والاجتماعية.

· ترشيد استخدام المياه، بوصفها مادة نادرة الوجود في دنيا العرب، والمنطلق الأساسي للإجماع الزراعي، كما لوقية الرضع الصحي في المدن. فليكن شعار المرحلة القادمة «الماء لكل الناس» (وجعلنا من الماء كل شيء حي).

· تدعيم الاهداد التكنولوجي والمهني، في الزراعة كما في الصناعة والخدمات، وبخاصة في ادارة الاعمال.

· توجيه الاستهلاك الغذائي نحو السلع ذات المخنرى العالي من البروتين، المنتجة تحلياً وذات الكلفة المنخفضة من مثل الاسماك في موريتانيا، والذرة البيضاء في الصومال، والبقليات في مصر (الفول، الحمص...). فمثل هذا التوجيه ينفذ الحاجة إلى الاستيراد الغذائي ويسهم في تسمين الرضع التغذوي.

وعلى نحو مواز للسعي المنشود إلى حل المسائل

٢- مسرب تسريع خطى التنمية وتدارك التخلف من خلال توظيفات مالية كثيفة (شراء مصانع جاهزة وإقامة مشروعات طموحة).

٣- وأخيراً مسرب الانفتاح والليبرالية الاقتصادية، والسعي إلى أوسع اندماج ممكن في الاقتصاد العالمي.

وفي الواقع، تدرج هذه المسارب تحت لواء ثلاث فلسفات:

· فلسفة التبعية (نظرية المركز في مقابل الاطراف، التي نادى بها سمير أمين وغونار فرانك وعمانويل برايش ومن جرى بحرامهم).

· فلسفة وسم التخلف بأنه تأخر اللحاق بالركب (روستوف والنظرية المرحلية).

· ثم الفلسفة المبينة على خطى التدخل الحكومي في مجريات الاقتصاد، هذا التدخل المهيمن للمبادرة وللترازنات العنوية الناجمة (المذهب المرتكز إلى السياسة التقابلية لمدرسة شيكاغو).

بيد ان هذه الفلسفات مصابة كلها بعيب مشترك هو اغفال الانسان بوصفه قطب الرضى في التنمية الاقتصادية.

وأنا نؤكد هنا، في أعقاب تحليلنا هذا للمحاولات والتجارب العربية العائرة، وللمؤشرات الاقتصادية والاجتماعية المتصلة بواقع الانسان العربي ومعاناته المشددة، ونعلن أن علة العليل، والفترة الرئيسية التي أحبطت كل مساعي الاستنهاض في الوطن العربي، تكمن في إهمال الانسان العربي. أي في إغفال تربيته، وإعداده تنقياً، وتشجيع روحه المبدعة والخلاقة، وفي التغافل عن أخذ الواقع التاريخي والاجتماعي للمنطقة العربية بالحسبان البشري، لدى إقامة الخطط الثقافية والتعليمية للمستقبل المرتقى. ولا شك أن تجاهل المسنور الثقافي والمعيشية للسكان يكمن في خلفية الفشل الذي أصاب مشروعات الانتاح، والعجز عن استنارة روح الخلق والاعتماد على الذات، والمبادرة، وهو ما اخترف بسياسة الاستنهاض الانتاجي نحو سياسة الاقتصاد الدوراني أو التسليم بالاحباط.

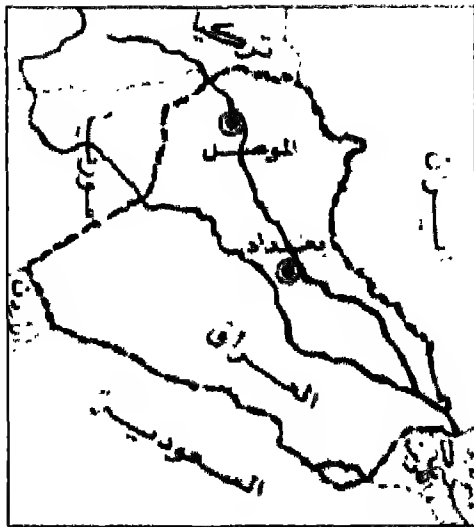
هذا الاحباط العميق الذي أصاب شعبنا العربي دفع الأمة في اتجاه حلين هرويين، فيما الحاجة باقية إلى حل تاريخي يعيد إلى هذه الأمة «خير أمة أخرجت للناس» سويتها ودورها العظيم، من خلال تنمية الانسان تنمية حقة، واستنهاضاً سليماً وشجاعاً (...).

فالمطلوب، على أبواب القرن الحادي والعشرين،

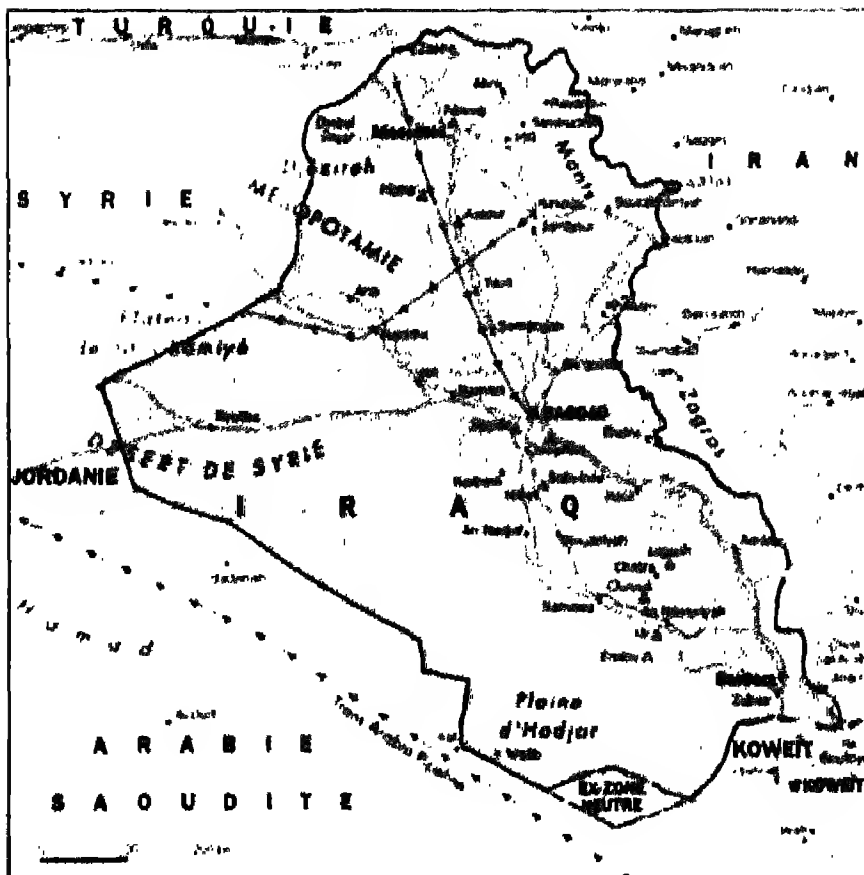
السياسية والنزاعات (فلسطين ولبنان والسودان وكردستان  
تفصيلاً) يقتضي مباشرة استراتيجيتين:

- إقامة حوار حقيقي بين منتجي النفط  
ومستهلكيه، نشداناً لتأمين الاستقرار في الأسعار النفطية،  
وتشجيع التوظيف الانتاجي، وضمان دخول ثابتة للاقطار  
المصدرة للنفط.  
- التفاوض بشأن برنامج واسع لخفض الديون،

على غرار ما وقعته مصر من اتفاقات في ٢٥/٥/١٩٩١،  
ولتحويل الديون المتبقية إلى أقساط مرهنة، وبخاصة منها  
الديون العربية على أقطار عربية أخرى. وبهذا لا تقلل  
الديون الخارجية حافزاً للرفض والثورات الشعبية، لأن  
التكامل العربي يعطيها منحى إيجابياً. وهذا ما ييسر التحول  
شعبي المفصّل التي بوشر بها تجديد تامة (في المغرب  
والاردن وتونس...)، أو التي يخططون لها (من مصر حتى  
الجزائر وسورية وليبيا...).



# العراق





## بطاقة تعريف

الاسم: «أرض الرافدين» هي الأرض الواقعة بين نهري دجلة والفرات. كان أهلها الاصليون يطلقون عليها إسم «كلام» في السومرية، و«ماتو» في الأكديّة بمعنى «الأرض». وأطلق عليها المصريون القدماء إسم «نهرينا»، بينما سمّاها الاغريق «ميزوبوتوميا» واصبحت تعرف باسم «العراق» منذ العصر الاسلامي (راجع «ما يريده الغرب من هذه التسميات: «بلاد ما بين النهرين» و«الشرق الاوسط» و«الشرق الأدنى» في باب «مدن ومعالم»).

الموقع: العراق أكبر دول المشرق العربي الواقع غربي آسيا. يحده من الشمال تركيا وطول حدوده معها ٣٠٥ كلم، ومن الشرق ايران (١٥١٥ كلم)، ومن الجنوب الخليج (طول الشاطئ ٦٠٤ كلم)، والكويت (٢٥٤ كلم) والسعودية (٨٩٥ كلم)، ومن الغرب سورية (٦٠٣ كلم)، والاردن (١٤٧ كلم)، وبذلك يبلغ طول حدود العراق ٣٧٧٩ كلم.

المساحة: ٤٣٨٤٤٦ كلم م. العاصمة: بغداد (نحو ٤،٥ مليون نسمة)، أهم المدن: البصرة، الموصل، كركوك، وغيرها (راجع باب «مدن ومعالم»).

اللغات: العربية (الرسمية)، ولفات الأقليات (راجع باب «أقليات»).

الحكم: بعد دستور ١٩٦٨ المؤقت، صدر عن مجلس قيادة الثورة في ١٩٧٠ دستور جديد (وكذلك في ١٩٩٠ من دون أن يحمل تعديلات جوهرية على دستور ١٩٧٠) حدد فيه هوية النظام السياسي، وجاء في مادته الأولى: «العراق جمهورية ديمقراطية شعبية ذات سيادة، هدفها

الاساسي تحقيق الدولة العربية الواحدة وإقامة النظام الاشتراكي». وجاء في الدستور أيضًا ان الشعب العراقي يتكون من قوميتين رئيسيتين هما العربية والكردية، وأقر بحقوق الشعب الكردي والحقوق المشروعة للأقليات كافة ضمن وحدة الدولة العراقية. وبذلك فقد صدر قانون الحكم الذاتي في ١٩٧٤ في المنطقة الشمالية ضمن إطار الوحدة القانونية والسياسية والاقتصادية للجمهورية العراقية. ونص هذا القانون أيضًا على إقامة مجلس تشريعي منتخب في منطقة الحكم الذاتي، ونصت المادة ١٨ على إنشاء مجلس تنفيذي يدير الحكم الذاتي في المنطقة. أما على نطاق كامل الجمهورية، فقد انتخب عن طريق الاقتراع المباشر في ٢٠ حزيران ١٩٨٠ المجلس الوطني (البرلمان)، وهو أول سلطة تشريعية تقام في البلاد منذ ١٩٥٨. ويتألف هذا المجلس من ٣٠٠ عضو من بينهم ٥٠ عضوًا يمثلون منطقة الحكم الذاتي ويجري انتخاب أعضائه كل أربع سنوات. أما السلطة التنفيذية فيبد مجلس قيادة الثورة (٩ أعضاء)، وتخضع الحكومة لتوجيهاته، ورئيسه (صدام حسين) هو رئيس الجمهورية والدولة.

السكان: بلغ عددهم، بموجب إحصاء ١٩٩٠ نحو ١٨،٧٨ مليون نسمة. وتشير التقديرات إلى ان عددهم حاليًا (١٩٩٨) نحو ٢٣ مليون نسمة. يشكل العرب منهم نحو ٧٠٪، والأكراد ١٥٪ والأقليات الأخرى ١٥٪. المسلمون ٩٥٪ من إجمالي السكان ويتوزعون على نحو ٤٠٪ من السنة ونحو ٦٠٪ من الشيعة.

الاقتصاد: «ثلاثة عوامل قوة مترابطة: عدد

الاسم: «أرض الرافدين» هي الأرض الواقعة بين نهري دجلة والفرات. كان أهلها الاصليون يطلقون عليها إسم «كلام» في السومرية، و«ماتو» في الأكديّة بمعنى «الأرض». وأطلق عليها المصريون القدماء إسم «نهرينا»، بينما سمّاها الاغريق «ميزوبوتوميا» واصبحت تعرف باسم «العراق» منذ العصر الاسلامي (راجع «ما يريده الغرب من هذه التسميات: «بلاد ما بين النهرين» و«الشرق الاوسط» و«الشرق الأدنى» في باب «مدن ومعالم»).

الموقع: العراق أكبر دول المشرق العربي الواقع غربي آسيا. يحده من الشمال تركيا وطول حدوده معها ٣٠٥ كلم، ومن الشرق ايران (١٥١٥ كلم)، ومن الجنوب الخليج (طول الشاطئ ٦٠٤ كلم)، والكويت (٢٥٤ كلم) والسعودية (٨٩٥ كلم)، ومن الغرب سورية (٦٠٣ كلم)، والاردن (١٤٧ كلم)، وبذلك يبلغ طول حدود العراق ٣٧٧٩ كلم.

المساحة: ٤٣٨٤٤٦ كلم م. العاصمة: بغداد (نحو ٤،٥ مليون نسمة)، أهم المدن: البصرة، الموصل، كركوك، وغيرها (راجع باب «مدن ومعالم»).

اللغات: العربية (الرسمية)، ولفات الأقليات (راجع باب «أقليات»).

الحكم: بعد دستور ١٩٦٨ المؤقت، صدر عن مجلس قيادة الثورة في ١٩٧٠ دستور جديد (وكذلك في ١٩٩٠ من دون أن يحمل تعديلات جوهرية على دستور ١٩٧٠) حدد فيه هوية النظام السياسي، وجاء في مادته الأولى: «العراق جمهورية ديمقراطية شعبية ذات سيادة، هدفها

ومنحت هذه التعاونيات سلفاً مالية ومساعدات لتطوير الأساليب الزراعية.

أولت ثورة ١٩٥٨ عناية خاصة بالصناعة، وخصصت للصناعة في الخطة الاقتصادية التي وضعتها لسنة ١٩٦١، حوالي ١٦٠ مليون دينار من مجموع ٥٥٦،٣ مليون دينار مخصصة لمختلف القطاعات الاقتصادية، وأصدرت قانون التنمية الصناعية، وأعفت المشاريع الصناعية الناشئة من الرسوم الجمركية، ووقعت اتفاقية التعاون الاقتصادي والفني مع الاتحاد السوفياتي (تضمنت من جملة ما تضمنته إنشاء ١٣ مشروعاً صناعياً و١٢ مشروعاً زراعياً). إلا أن تنفيذ الخطة كان بطيئاً ولم تعد الصناعة لتحل المرتبة الأولى في الاهتمام إلا مع نظام ١٩٦٨ الذي قرّر «بناء قاعدة صناعية وطنية حديثة واسعة ومتنوعة»، وذلك بإقامة الصناعات البتروكيمياوية والتعدينية والصناعات التي تعتمد على المواد الزراعية والصناعات التي تمد النفط والمعادن وقطاع الزراعة بما تحتاجه من لوازم ومعدات. وأنشأت الدولة عدة مؤسسات عامة للإشراف على مختلف الفروع الصناعية، مثل المؤسسة العامة للصناعات الهندسية التي أحييت وأبجرت مشروع معمل المعدات والآلات الزراعية المعتبر نواة الصناعة الثقيلة في العراق، وقد تطور في ما بعد ليصبح مجتمعاً متكاملًا للصناعات الثقيلة ألحق به معهد للتدريب المهني، يعتبر أحدث معهد من نوعه في الشرق الأوسط. وكثرت سبحة المعامل والمصانع الحديثة التي طاولت مختلف مجالات الصناعة والطاقة (النفط خاصة) حتى أصبح العراق من الدول النادرة في العالم الثالث التي ولجت ميدان التصنيع بقوة، وأخذت الأوساط الدولية تصف خطة التنمية العراقية بأنها أضخم خطة تنمية في بلدان العالم الثالث، خاصة بعد أن دخل العراق، في ١٩٧٨، ميداناً

السكان (أكبر دول الشرق العربي)، كمية الانتاج النفطي (ثاني منتج عربي والخامس على المستوى العالمي)، وسلطة قوية (سلطة صدام حسين زعيم حزب البعث الحاكم) جعلت من العراق قبل حرب الخليج ١٩٩٠-١٩٩١ إحدى أقوى دول الشرق الأوسط» (القاموس الجيوبوليتيكي للدول، بالفرنسية، إيف لاكوست، فلاماريون، باريس، ١٩٩٤، ص ٣٠٢)

تنوزع اليد العاملة: ٤٠٪ في الزراعة (التي تساهم بـ ١٥٪ من الدخل العام)، في الصناعة ٢٢٪ (١٥٪ من الدخل)، في التجارة والخدمات ٣٤٪ (٤٥٪)، في المناجم ٤٪ (٢٥٪).

تنوزع أراضي العراق إلى نحو ١٦٧ ألف كلم م. صحاري، ٧٥ ألف كلم م. أراضي صالحة للزراعة، و١٧ ألف كلم م. غابات، و٩ آلاف كلم م. مراعي. أهم المزروعات القمح والشعير والبطيخ والتمر (العراق أغنى دول العالم بشجر النخيل) والرز والذرة والقطن والتبغ.

العراق بين أغنى الدول العالمية بالنفط إنتاجاً واحتياطاً. يبلغ احتياطها من الغاز ٢٦٩٠ مليار متر مكعب. والعراق غني بالكبريت ومواد منجمية أخرى.

السياحة قطاع مهم في العراق، وأهم الأماكن السياحية: الأماكن المقدسة الشيعية، المساجد التاريخية ومدن حضاراتها القديمة. بلغ عدد السياح في العام ١٩٨٢ أكثر من مليوني سائح.

بلغ مجموع الأراضي الموزعة والموجرة (موجب قوانين الإصلاح الزراعي) في ١٩٧٣ ما يزيد على ١٥ مليون دويم من أصل ٢٥،٧ مليون دويم صالحة للزراعة كان لا يزرع منها حتى هذه السنة سوى ٦،٥ ملايين دويم. وأنشئت مزارع الدولة ومزارع جماعية ومشتركة،

المترف ومانح المساعدات إلى المحتاج بل الجائع وطالب الغذاء: كان متوسط سعر الدينار العراقي الواحد بين ١٩٨٠ واولل ١٩٩٠ يساوي ٣,٢ دولار اميركي؛ بينما أصبح متوسط سعر الدولار الاميركي الواحد ٢٢٠٠ دينار عراقي خلال الاعوام ١٩٩١-١٩٩٦.

في كانون الثاني ١٩٩٦، سُمح للعراق بتصدير كميات من نفطه في إطار معادلة «النفط مقابل الغذاء». وأثرت في وجه العراق، وفي الوقت نفسه، مسألة تسديده تعويضات متضرري حرب الخليج الثانية (من عرب وغيرهم) التي قيل إنها تصل إلى نحو ٢٠٠ مليار دولار، وإن العراق يحتاج إلى ٢٠ سنة لتسديدها.

جديدًا من ميادين الطاقة كان محرمًا على الدول النامية وحتى على بعض الدول المتقدمة صناعيًا، ألا وهو ميدان الطاقة النووية باستخدامها للأغراض السلمية، الأمر الذي أثار حفيظة اسرائيل فاقدمت في ٧ حزيران ١٩٨١ على قصف المفاعل النووي العراقي «تموز». واللافت في الجهود التنموية العراقية، الصناعية خاصة، أن الحرب العراقية-الايرائية (حرب الخليج الاولى) لم تخفف منها في سنواتها الاولى، ولم تبدأ هذه الجهود تتعرقل فعلاً إلا بعد ١٩٨٢ حين منعت سورية مرور النفط العراقي عبر اراضيها. أما الضربة الكبرى للصناعة العراقية ولجمل الاقتصاد العراقي فجاءت في حرب الخليج الثانية وما ترتب عليها من نتائج خاصة لجهة الحصار الدولي على العراق، وحوّلت المواطن العراقي من

## نبذة تاريخية

التكنولوجيا الأولى التي أدت إلى ظهور الزراعة، ودلت الآثار على حصول أول عمليات تدجين الحيوانات وانتقال الانسان من الكهوف إلى بناء أول القرى والمستوطنات الزراعية قبل نحو ٧ آلاف سنة. ثم قبل نحو ٥ آلاف سنة تبدأ الحضارات المتعاقبة مع السومريين أولاً الذين أسسوا أول المدن-الدول ووضعوا الكتابة وعلوم الرياضيات والفلك والقوانين. وأعقب ذلك قيام الحضارتين البابلية والآشورية قبل نحو ٤ آلاف سنة واللتين أنشأتا أول الامبراطوريات العالمية واشتهرتا بالمعمار الذي لا يزال يثير الدهشة، وبوضع أول التشريعات القانونية، وإنشاء أول السدود وشبكات الري، وازدهار الفنون والصناعات، والاعتناء بالدين والأدب، وازدهار الطب والرياضيات. فكان

قديمًا: يتفق المؤرخون أن التاريخ القديم لحضارة بلاد ما بين النهرين يبدأ مع بدايات نشو الحضارة الانسانية في عصور ما قبل الكتابة وينتهي في العام ٥٣٩ ق.م. عندما سقطت بابل، عاصمة الامبراطورية البابلية الحديثة بيد الملك الفارسي قورش الثاني. فدخلت بلاد الرافدين بالتالي، ومن ثم بلدان الشرق الادنى القديم كلها، مرحلة جديدة من تاريخها هي مرحلة الاحتلال الفارسي. قبل ٥٣٩ ق.م. ارتسم الخط الحضاري في بلاد ما بين النهرين عبر المحطات الحضارية الكبرى التالية: قبل نحو ١٠ آلاف سنة حدثت الثورة

(داريوس الكبير) التي كانت تشمل سورية ومصر لكي يكون لهم منفذ على البحر الأسود في الشمال وعلى البحر الأبيض المتوسط في الجنوب. واعتمد الساسانيون في حكمهم على بلاد ما بين النهرين على قبيلة تنوخ العربية، فاختاروا منها أسرة بني لخم (اللخميون)، بينما اختار البيزنطيون الغساسنة لحكم سورية (عرب لخميون تحت وصاية الساسانيين في العراق، عرب غساسنة تحت وصاية البيزنطيين في سورية).

استمر اللخميون يحكمون العراق حتى وفاة الملك اللخمي النعمان الثالث، فأعاد الساسانيون سيطرتهم المباشرة على العراق إلى أن قضت عليهم الدولة العربية الإسلامية في معركة القادسية.

**معركة القادسية ٦٣٧:** تحركات عسكرية عربية إسلامية باتجاه العراق سبقت معركة القادسية الفاصلة بنحو أربع سنوات.

في ٦٣٣، حقق خالد بن الوليد أول محاولة اجتياز القوات العربية الإسلامية حدود جزيرة العرب، وتوصل إلى عاصمة الحيرة عاصمة اللخميين الذين دفعوا له الجزية، وواصل هو زحفه لمساعدة أبي عبيدة في فتح الشام. وفي ٦٣٤، وقعت معركة بين العرب المسلمين بقيادة أبي عبيدة الثقفي وبين الساسانيين سميت «غزوة الجسر» قتل فيها أبو عبيدة وتراجعت قواته. وفي ٦٣٥، وقعت «غزوة البويب» قرب الكوفة انتصر فيها العرب المسلمون. كل ذلك أشد إلى أن معركة فاصلة لا بد آتية، فزاد الفريقان من استعداداتهما.

عين الخليفة عمر بن الخطاب القائد سعد ابن أبي وقاص قائداً عاماً للجيش العربي الإسلامي التي كانت قد تمكنت من مناطق في العراق بين ٦٣٣ و٦٣٦، وعين الفرس الساسانيون أشهر قادتهم العسكريين، رستم، قائداً لجيوشهم في العراق. والتقى الجيشان، في حزيران ٦٣٧، على

الكلدانيون-البابليون أول من جزّوا الواحد الصحيح إلى ٦٠ جزءاً، وقسموا اليوم إلى ٢٤ ساعة، والساعة إلى ٦٠ دقيقة، والدقيقة إلى ٦٠ ثانية. فكانت بابل في عهد نبوخذنصر (٦٠٥-٥٦٢ ق.م.)، أي قبل نحو ربع قرن من سقوطها في أيدي الفرس الأخمينيين أعظم مدينة في العالم، واستمرت محتفظة بهذه الأهمية حتى العام ٦٤ ق.م.

(للقوف على أبرز معالم حضارة أرض الرافدين، راجع باب «مدن ومعالم»).

**الحكم الفارسي ثم الهيليني ثم الروماني (٥٣٩ ق.م.-٦٣٧ ب.م.):** احتل الملك الفارسي قورش الأخميني في ٥٣٩ ق.م. مدينة بابل وجعلها عاصمة ملكه بعد أن قضى على الامبراطورية البابلية الثانية التي تميز ملوكها، بعد نبوخذنصر، بالضعف. ودام حكم الفرس إلى ٣٣١ ق.م. أي إلى الغزو الهيليني الذي قاده الاسكندر المقدوني، واتخذ بدوره بابل عاصمة له ومات فيها. وفي ٣٢١ ق.م. حكمتها السلالة السلوقية المقدونية التي حافظت بابل في عهدها على أهميتها، ولم تبدأ بفقد هذه الأهمية كمركز حضاري واقتصادي مهم إلا في حوالي العام ٦٤ ق.م. عندما حلّ الرومان محل السلوقيين وتحول طريق التجارة عنها.

فألخظ التاريخي لانطفاء بابل بدأ تدريجياً مع الاحتلال الأخميني (٥٣٩ ق.م.)، وتم مع الاحتلال الروماني (٦٤ ق.م.)، وكان آخر نص بالخط المسماري عثر عليه يعود إلى ٧٥ ب.م. وتحولت الانظار من بابل إلى ستيسيفون (المدائن) التي أصبحت عاصمة اليونانيين ثم الساسانيين الفرس الذين حلوا محل اليونانيين في القرن الثالث وفرضوا سيطرتهم على بلاد وادي ما بين النهرين بينما فرضت بيزنطية هيمنتها على بلاد الشام. وأخذت الدولتان الساسانية والبيزنطية تتنافسان. فالفرس كانوا يريدون إعادة مجد امبراطورية سلفهم داريا

عاصمة إدارية. ثم انتقلت العاصمة في ٧٥٢ إلى الأنبار. ودشن هذا الخليفة عهده بـ«غزوة تالاس» في أوزبكستان الحالية، وانتصر على الصينيين في ٧٥١، وأدخل الإسلام إلى تلك الأقطار. وعندما تولى أمحوه أبو جعفر المنصور الخلافة في ٧٥٤ بنى من حجارة ستيسيفون (المدائن) مدينة جديدة على الضفة الغربية لنهر دجلة سماها «مدينة السلام»، جعلها ابتداء من ٧٦٢ عاصمة الخلافة العباسية، وهي مدينة بغداد الحالية، (راجع «مدن ومعالم»).

ساعد محمد العباسيين من عائلات ذات تقاليد تجارية وزراعية وحرفية في ازدهار الاقتصاد وجعل بغداد أكبر الأسواق العالمية. فاقاموا مشاريع الري لزيادة المساحات الزراعية، وبلغت شاصيل الحبوب المختلفة والرز والتمور مردوداً كبيراً لم تشهده البلاد من قبل. كما تطورت صناعة المعادن، إلا ان صناعة النسيج ظلت تحتل المكانة الاولى، خاصة عندما أدخلت زراعة القطن، الأمر الذي جعل العراق أهم مركز لصناعة النسيج في كامل الامبراطورية الاسلامية. كما أدخل العباسيون صناعة الورق. وتطورت حركة التجارة مع اوربا والشرق الاقصى... حتى ان التجارة العربية امتدت إلى الصين من جهة، وإلى البلطيق وافريقيا من جهة أخرى. واصبحت بغداد مركزاً مصرفياً له فروع متعددة في أرجاء الامبراطورية. إذ عرفت منذ ذلك التاريخ الصكوك المصرفية والسفاتيح (جمع سُفْتَجَة: كلمة فارسية معناها ان تدفع مالا لانسان مقابل كتاب منه يتيح لك استرداد ذلك المال من عميل له في بلد آخر) ورسائل الاعتماد.

واصبحت بغداد، بالاضافة إلى مركزها السياسي والاقتصادي العالمي، مركزاً مهماً وعالمياً في ميدان الفنون الجميلة والثقافة والعلوم والفكر، خاصة في عهد المأمون بن الرشيد (٨١٣-٨٣٣) الذي كان ذا ثقافة واسعة ومحِباً للعلم. فتطور الجدل الفلسفي وعلم الكلام، ونشأت المذاهب

الضفة الغربية لنهر الفرات في موقع يدعى القادسية. وفي اليوم الرابع من المعركة انضمت إلى المسلمين جيوش من سورية. اندحر الساسانيون وقتل قائدهم رستم، وتقدم المسلمون نحو المدائن (ستيسيفون) على نهر دجلة التي كان الساسانيون قد اتخذوها عاصمة شتوية لهم، ثم واصلت زحفها في عربستان (خوزستان) واحتلت عاصمته الأهواز (٦٣٩)، واستمرت في تقدمها متوغلة في بلاد فارس التي دانت للمسلمين في أعقاب معركة النهوند (وراء جبال زاغروس) ٦٤٢. لذلك سميت «غزوة نهوند» بـ«فتح الفتوح».

بعد مقتل الخليفة عمر تولى الخلافة عثمان، ولكنه قتل هو ايضاً في ٦٥٦. وبعده بايع الأنصار علي بن ابي طالب صهر الرسول وابن عمه على الخلافة، ولكن معاوية بن ابي سفيان رفض مبايعته، وكذلك قسم من القرشيين في مكة، لذلك نقل علي مركز الخلافة من المدينة إلى الكوفة في العراق للاحتماء بأهلها من المؤامرات التي قد تحاك ضده في الحجاز أو في سورية. فتحوّلت الأنظار إلى العراق (الكوفة خاصة) الذي أصبح مركز الخلافة إلى ان استشهد الامام علي في مسجد الكوفة بطعنة خنجر وجهها له عبد الرحمن ابن ملجم الخارجي في ٦٦١. وبذلك انتهى عهد الخلفاء الراشدين وانتقل الحكم إلى معاوية مؤسس الدولة العربية الأموية. وفي ٦٨٠، حاول الحسين ابن الامام علي استرجاع الحكم بعد موت معاوية، إلا انه استشهد ومن معه من شيعته في واحات كربلاء، وانفرد الأمويون بالحكم إلى قيام الثورة العباسية في ٧٥٠.

**الخلافة العباسية (٧٥٠-١٢٥٨):** بعد انتصار الثورة العباسية في ٧٥٠ انتقل مركز الخلافة من سورية إلى العراق. فكان في بداية الأمر في الهاشمية الواقعة على الضفة الشرقية لنهر الفرات التي احتارها أبو العباس عاصمة له، وظلت الكوفة

استطاع أحد فروعها الاستيلاء على البحرين وتأسيس دولة شيعية أصبحت قاعدة انطلاق لاحتلال اليمن في ٩٠١، ولاقت نجاحاً عظيماً في تونس حيث أسس عبيد الله الفاطمي الدولة العبيدية أو الفاطمية في ٩٠٨ التي استقلت عن الخلافة العباسية ووسعت نفوذها إلى كامل شمالي أفريقيا وصقلية ومصر وسورية والجزء الغربي من الجزيرة العربية. وبذلك تفككت الوحدة السياسية للخلافة العباسية.

تفككت في الأطراف، وأصبحت السلطة بيد القادة العسكريين والاداريين الأتراك داخل العراق نفسه. فالخليفة لم يعد له سوى الإشراف النظري أو الإسمي على «امبراطوريته».

حتى ٩٠٨، كان أمر النفوذ التركي لا يزال حاضراً لنوع من الجدل، أو أنه لم يكن واضحاً تماماً للعامة من الناس. أما في هذا التاريخ فقد تأكد الأمر بصورة واضحة، وذلك عندما نصب القائد التركي مؤنس الخليفة المقتدر الذي لم يتجاوز من العمر ١٣ سنة (سن الرشد آنذاك)، ومُنح لقب «أمير الأمراء» الذي كان في البداية يعني القائد العام للجيش، ولكن أمام ضعف الخليفة، استخدم مؤنس ذلك اللقب للتسلط على الإدارة إضافة إلى الجيش وأصبح هو الملك الفعلي. فاقتل الأمن وانتشرت الفوضى والجماعة في بغداد.

والأدهى من كل ذلك أن الخليفة المستكفي (٩٤٤-٩٤٦) لما أراد التفتل من قبضة القادة العسكريين الأتراك لم يرَ أمامه إلا أسرة البويهيين الدبلوماسية، فاستعان بها لتحل محل الأتراك، واستمرت توجه سياسة الدولة إلى ١٠٥٥، أي حتى عودة عنصر تركي آخر ممثلاً بالسلاجقة التركمان الذين نجحوا بهجومهم على إيران، ثم على سواد العراق، حيث اضطر الخليفة القائم بأمر الله (١٠٣١-١٠٧٥) بعد إعلان القائد السلجوقي طغرل بك ولاءه له إلى الاعتماد على السلاجقة الذين دخلوا بغداد في موكب مهيب في

الفقهية الأربعة، وتبنى المأمون مذهب المعتزلة، وأنشأ بيت الحكمة، وهو مركز لترجمة الكتب العلمية والفلسفية الأجنبية سواء من اللغة الفارسية أو السنسكريتية أو اليونانية.

إلا أن فترة قمة هذا الازدهار لم تخلُ من اضطرابات سياسية خطيرة: ثورة البرامكة، ثورة الزيديين في الكوفة والبصرة، ثورة الخوارج... ومواصلة الحروب ضد الدولة البيزنطية.

وأما بدايات النهاية، أو بدايات التراجع التدريجي فجاءت بعد نحو قرن واحد من تأسيس الخلافة العباسية، أي مع الخليفة المعتصم الذي وإن لم يكن أول من استخدم الأتراك في جيشه وإدارته إلا أنه بالغ في الاعتماد عليهم حتى أن نفوذهم أصبح واضحاً في عهد ابنه الواثق (٨٤٢-٨٤٦) الذي وصل إلى حد تعيين أحدهم خلفاً له على العرش مدة غيابه عن العاصمة.

خلف المتوكل (٨٤٦-٨٦١) أخاه الواثق بزئيج من القادة الأتراك. فأدرك خطر هؤلاء وعمل على محاصرة نفوذهم، وذهب إلى حد نقل العاصمة من سامراء إلى دمشق (٨٥٨) ليكون محاطاً بالعرب وقريباً من ساحة المعارك ضد البيزنطيين. إلا أن عدم ارتياح أهل الشام للعباسيين جعله يرجع ثانية إلى سامراء ويوكل لأبنائه حكم المناطق الشرقية والغربية والشمالية لتعزيز سلطة الأسرة العباسية تجاه الأتراك، واستمر في محاولاته للقضاء على القادة العسكريين إلا أنهم كانوا أسرع منه، فقتلوه مستخدمين في ذلك ابنه المنتصر في ٨٦١. ومن بين أربعة خلفاء توالوا على الحكم بعد المتوكل ثلاثة منهم قتلوا على يد الأتراك، على رأسهم المنتصر نفسه.

وإضافة إلى وضعهم هذا البالغ الضعف والدقة، واجه العباسيون ثورة الزنج التي اندلعت في سواد العراق في ٨٦٩ واستمرت إلى ٨٨٣ فاحتلوا واسط واحتلوا يهددون البصرة وبغداد. وبعدها اندلعت ثورة القرامطة، وهي ثورة إسماعيلية

الشهر التالي (شباط)، استسلم الخليفة إلى هولاء الذي أسرع إلى تجريد السكان من السلاح، ثم عمل فيهم تقتيلاً فكانت مذبحاً لم يشهد تاريخ العراق مثيلاً لها، وحرقت بغداد ومكباتها، وحطم معالمها الحضارية، كما قتل المستعصم بعد خمسة أيام من استسلامه.

هكذا، انهارت الخلافة العباسية بعدما غرقت في بحر من الدماء. وانهارت المشاريع الاقتصادية المختلفة التي كانت قائمة آنذاك، خاصة في ميدان الري. ودخل العراق مرحلة انحطاط تراجعت فيها العلاقات التجارية التي كانت قائمة مع أوروبا والشرق الأقصى.

وعلى الصعيد السياسي، أصبحت البلاد عرضة لتغيرات سريعة، إذ كانت الحكومات المغولية، ثم التركمانية، تتوالى بشكل مذهل، كما قسمت البلاد إلى منطقتين إداريتين هما المنطقة الجنوبية وكانت تابعة لبغداد، والمنطقة الشمالية التابعة للموصل. وعلى رأس المنطقتين حاکمان مغوليان ومساعدان من التركمان أو من أهل البلاد المواليين. ودامت الحالة على هذا النحو إلى أن سيطرت سلالة تيمور المغولية على البلاد بين ١٣٩٣ و١٤٠١، ووجه قائدها تيمورلنك ضربة قاسية جديدة إلى العراق، ونهب بغداد التي كان قبل ذلك قد اتخذها عاصمته له، ثم انسحب تاركاً مقاليد الحكم لعصابات تركمانية أمعن في تخريب البلاد بسبب تناسخ حكام بغداد والموصل على السيطرة، إلى أن تسلمت سلالة تركمانية أخرى تمت بصلة قرابة مع الصفويين الحكم في ١٥٠٨ التي حل محلها العثمانيون في ١٥٣٤. وغني عن القول إن العراق كان أثناء كل تلك الفترة في منتهى الضعف مما جعله يفقد ذلك المركز الحضاري الذي كان له العالم قروناً طويلة. ومما زاد في ضعفه وضياعه لشأنه السابق اكتشاف رأس الرجاء الصالح في ١٤٩٨ الذي فتح طرقاً جديدة للتجارة الدولية نحو الهند على حساب الخليج.

١٠٥٥ ومنح طغرل بك لقب «ملك أمراء المشرق والمغرب» ولقب «سلطان». وتمكن السلاجقة من إعادة توسيع الخلافة (مبقيين على الاسم: «الخلافة العباسية») التي أصبحت في عهدهم تشمل، بالإضافة إلى العراق، قسماً من بلاد فارس وبلاد الأناضول وكذلك سورية وفلسطين. وإضفاء صفة الشرعية على سلطتهم الفعلية تركوا للخليفة العباسي السلطة الظاهرية، واستمر العراق وعاصمته بغداد عاصمة الخلافة العباسية بكاملها تحت سيطرة السلالات التركية المتتالية حتى هجوم المغول في ١٢٥٨.

وقد توافقت هذه التطورات الداخلية مع الحروب الصليبية التي شنتها أوروبا على مدى قرنين من الزمن (١٠٩٦-١٢٩١). وأمام هذا الخطر زاد اعتماد الخلافة العربية على الجند المسلمين غير العرب سواء من خلال الدولة الزنكية أو الأيوبية أو المماليك. ولقد أحدثت هذه الدول العسكرية أعظم الانتصارات على جبهتي الخطر الصليبي القادم من الغرب والخطر التركي القادم من الشرق، لكن ثمن ذلك الصمود العسكري ثم الانتصار العسكري كان باهظاً جداً، إذ إن هذه الدول العسكرية، لمحافظة الفكرية ولعجمتها الغالبة، أحدثت السكون والموت على الجبهة الفكرية، فتحول في ظلها ذلك التوقف والجمود الذي كان بدأ يدب في أوصال الخلافة العباسية بعد نحو قرن من ولادتها إلى تدهور. وما إن جاء العثمانيون وورثوا المماليك حتى تحول هذا التدهور، على أيديهم وفي ظل حكمهم، إلى انحطاط شديد.

جاءت الضربة البليغة من المغول. فالقائد المغولي هولاءكو اجتاز الأموداريا واحتل خراسان، ثم اتصل بالخليفة العباسي مبدئياً رغبته في تعويض السلاجقة الأتراك كقوة حامية له، وأمام رفض المستعصم (١٢٤٢-١٢٥٨) توجه المغول نحو بغداد التي حاصروها في كانون الثاني ١٢٥٨، وفي

إنشاء خط برلين-بغداد، راجع باب المعالم التاريخية).

في أيام ثورة تركيا الفتاة وحزب الاتحاد والترقي (من ١٩٠٨)، كان الوالي العثماني على العراق ناظم باشا الذي كان معارضاً للاتحاديين ويطبق في ولايته سياسة محافظة ويقمع أي محاولة تحريرية، من ذلك اضطهاده للشاعر العراقي الكبير جميل صدقي الزهاوي الذي كان ينادي بتحرير المرأة وبإدخال الكثير من الإصلاحات. وفي ١٩١١، أقالت الحكومة الاتحادية ذلك الوالي (ناظم باشا) وعينت مكانه والياً جديداً هو جمال باشا (الملقب بـ«السفاح») الذي أشرف على انتخاب مندوبي العراق إلى مجلس «المبعوثان» العثماني بعد أن حل المجلس السابق. وكان المندوبون العراقيون في المجلس الذكور، وعلى رأسهم الزهاوي، ما انفكوا يطالبون الحكومة المركزية العثمانية بإجراء الإصلاحات، إلى أن توقفت أعمال المجلس بسبب إعلان الحرب العالمية الأولى في ١٩١٤.

#### التغلغل البريطاني إبان الحكم العثماني:

الشركة البريطانية الشهيرة «شركة الهند الشرقية» أسست في ١٦٤٣ أول معمل لها في البصرة وأقامت فيها أحد فروعها. وفي الثلث الأخير من القرن الثامن عشر كانت هذه المدينة قد أصبحت سوقاً تجارية بريطانية نشيطة. وفي ١٧٩٨، أي في السنة نفسها التي وجهت فيها فرنسا حملة بقيادة نابليون بونابرت على مصر، عينت بريطانيا مندوباً دائماً لها في البصرة. وزاد اهتمام بريطانيا بالعراق بعد تدشين قناة السويس في ١٨٦٩، وخاصة بعد أن أصبحت بريطانيا، في ١٨٧٥، أكبر مساهم في شركة القناة إذ بدأت تفكر في إقامة خط حديدي يربط حيفا على البحر الأبيض المتوسط بالبصرة على الخليج لمنافسة ألمانيا التي حصلت على امتياز خط برلين-بغداد (راجع المعالم

وهكذا لم يعد العراق همزة وصل بين أوروبا والشرق الأقصى، وتراجع أسلوب إنتاجه من أسلوب الانتاج التجاري إلى أسلوب الانتاج القطاعي الذي يعتمد أساساً على الزراعة.

#### الحكم العثماني (١٥٣٤-١٩١٨):

تمكن الأتراك العثمانيون من طرد المماليك التركمان ومن احتلال بغداد في ١٥٣٤. لكن انتفاضات التركمان استمرت واستمر معها نفوذهم بحيث كان العراق خاضعاً نظرياً للحكومة العثمانية المركزية، أما عملياً فكان الولاة الأتراك (وجلهم من التركمان)، في أحيان كثيرة، إما يعلنون انفصالهم وإما يتحالفون مع الفرس. ولم يقض على حكم المماليك التركمان في العراق إلا في ١٨٣١ عندما انتصر عليهم السلطان العثماني محمود الثاني الذي كان شديد التأثير بالتقاليد الغربية وأراد إدخال بعض الإصلاحات، لكن التيار المحافظ في السلطنة اعترض سبيله وتمكن من قتله.

السلطان عبد الحميد (١٨٣٩-١٨٦١) نقل تركيا إلى مرحلة «التنظيمات» التي جعلت كل الرعايا العثمانيين سواسية أمام القانون. ولكن بقي قسم من تلك التنظيمات أو الإصلاحات طي النسيان نظراً إلى قوة التيار المحافظ، إلى أن جاء السلطان عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦) وخطا خطوات حاسمة في ميدان الإصلاح. وأثناء هذه الفترة عمل مدحت باشا، الوالي العثماني على العراق، من ١٨٦٩ إلى ١٨٧٢، على تطبيق قانون الولايات والقانون العقاري وغيرها من القوانين التي اقتبستها الامبراطورية العثمانية عن الغرب.

وكانت الحكومة العثمانية قد أولت اهتمامها بميدان المواصلات. فأدخلت العمل بالنقل النهري الحديث في دجلة والفرات ورواندهما، وأنشأت خطاً تليفونياً بين بغداد واسطنبول في ١٨٦١، كما باشرت في إنشاء خط حديدي، وأنجزت خط بغداد-سامراء (بعد ذلك عملت على



العراق خاضعاً مباشرة للاستعمار البريطاني الذي اتبع سياسة التزهيّب والتزغيب لإحكام قبضته على البلاد.

بدأت نقمة الوطنيين والقوميين العراقيين (موازية نقمة الوطنيين والقوميين في باقي الاقطار العربية) ضد الانكليز مع نشر الثورة البولشفية لاتفاقية سايكس-بيكو، ومع الاعلان عن وعد بلفور، إضافة إلى الممارسات الداخلية خاصة في مجال الضرائب. وانفجرت هذه النقمة ثورة عارمة معروفة باسم «الثورة العراقية الكبرى» أو «ثورة العشرين» (١٩٢٠).

#### من الثورة العراقية الكبرى إلى ١٩٨٠:

راجع، حول مختلف موضوعات هذه الفترة وأحداثها، الأبواب التالية: «الاحزاب»، «معالم تاريخية»، «زعماء، رجال دولة وسياسة»، «أقليات»، «كردستان العراق».

#### حرب الخليج الاولى (العراقية-

الايروانية): راجع حول النزاع الحدودي «شط العرب» في باب «معالم تاريخية»؛ و«حرب العراق-ايران» في مادة «ايران»، ج٤، ص١٤٩-١٥١.

التاريخية). وفي ١٩١١، كانت بريطانيا وراء إنشاء شركة النفط التركية. فقامت بارسال البعثات للقيام بالدراسات التفصيلية ورفع التقارير. ومن الذين ارسلتهم إلى العراق ضابط الاستخبارات البريطانية الشهير لورانس، ورجلاً آخر هو غرتروديل الذي لعبت تقاريره دوراً مهماً في توجيه السياسة البريطانية الاستعمارية. وقبل تغلغل بريطانيا في كامل أنحاء العراق كانت قد بسطت هيمنتها على الخليج بعد ان طردت البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين، ودافعها إلى ذلك حماية طرق المواصلات إلى مستعمراتها في الهند، والتطلع إلى الوصول إلى العراق وسورية وموانئ البحر الأبيض المتوسط.

#### السيطرة البريطانية المباشرة، الاحتلال ثم

الانتداب؛ بدأت مرحلة التنفيذ الفعلي للسيطرة على العراق بعد اعلان الحرب العالمية الاولى بأيام قليلة، إذ استولت بريطانيا على البصرة في ١٩١٤، نقضت بذلك على محطة الالمان في إيصال حط الحديد برلين-بغداد إلى الخليج. ومن البصرة أخذت القوات البريطانية تتجه شمالاً وتمتلك المدن العراقية الواحدة تلو الأخرى، إلى ان احتلت بغداد في ١٩١٧، والموصل في ١٩١٨، وبذلك أصبح

النفطية؛ ٥- رغبة الدول الغربية في الاحتفاظ بالتوازن القائم في المنطقة (العراق، سورية، إيران) والذي بات صدام حسين عامل تهديد له؛ ٦- الخوف من قوة العراق المتنامية التي قد تجعله مالكا للسلاح النووي؛ ٧- ضغوطات «الربوبي اليهودي» في العالم، إذ ان العراق هو البلد الذي يشكل أكبر خطر على اسرائيل.

١٩٩٠: ٢٤ شباط، صدام حسين في قمة مجلس التعاون الخليجي، في عمان، يحذر من خطر السيطرة الكاملة للولايات المتحدة على الخليج بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، ويدعو العرب إلى رص الصفوف.

١٧ تموز، صدام حسين يتهم بعض بلدان الخليج بالوقوف وراء خفض أسعار البترول لمصلحة الدوائر الاميرالية والصهيونية، ويعلن ان «الحروب يمكن ان تنشأ لأسباب اقتصادية». وفي اليوم التالي، أجرى ملك السعودية وملك الاردن وأمير الكويت ورئيس اليمن مشاورات حول الاوضاع المستجدة. العراق يصعد ويطلب الكويت بـ ٢،٤ مليار دولار كتعويض عن النفط «المسروق» منذ ١٩٨٠ من أبار روم الله (على الحدود)، والمجلس الوطني الكويتي، رفض هذه الاتهامات، والحكومة الكويتية ترسل مبعوثين إلى البلدان العربية وإلى أمين عام الجامعة العربية لشرح موقف الكويت واقتراح تشكيل «لجنة عربية» لحل مشكلة الحدود بين الكويت والعراق، وتبعث كذلك برسالة إلى أمين عام الامم المتحدة لاعلامه بالوضع. والعراق يتهم الكويت برفض الحل العربي وتسهيل التدخل الاجنبي من خلال اتصالها بالامم المتحدة.

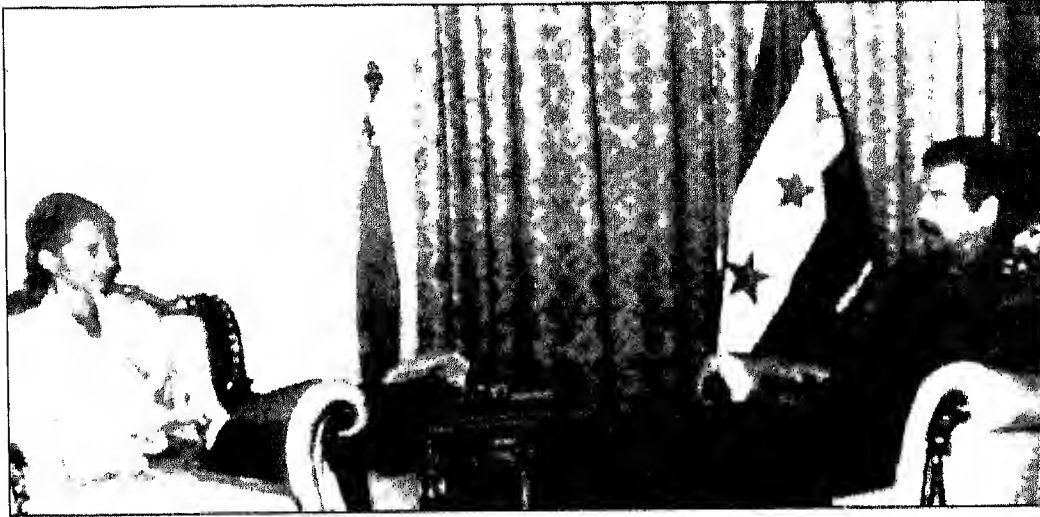
٢١-٢٨ تموز، وساطتان مصرية وسعودية لحل النزاع، والرئيس المصري حسني مبارك يستقبل وزير خارجية العراق طارق عزيز في الاسكندرية، ويقوم بجولة مساع حيدة إلى بغداد والكويت وحيدة، وصادم حسين يؤكد بأن لا نية لديه بمهاجمة الكويت. لكن العراق يرفض اقتراحاً كويتياً حول تشكيل لجنة عربية لحل النزاع بحجة ان المشكلة ثنائية، ويحشد ٣٠ ألف جندي على الحدود. وصادم حسين يستدعي سفيرة الولايات المتحدة، أبريل غلاسبي، التي تعلمه بأن لا نية لدى الولايات المتحدة بالتدخل في النزاع ولا باعلان حرب اقتصادية ضد العراق. واجتماع لدول الأوبك في جنيف حيث تخضع الكويت والعربية السعودية لضغوطات العراق وتقبل بزيادة سعر النفط ٣ دولارات، فيصبح سعر البرميل ٢١ دولاراً (كان العراق يطلب بأن يصبح ٢٥ دولاراً). والاستخبارات

## حرب الخليج الثانية (العراقية- الاميركية أساساً والدولية فرعاً)

(المرجع: الكتاب السنوي الفرنسي «كيد» للعام ١٩٩٤، ص ١٠٣٦-١٠٣٨، مع الإشارة إلى ان المادة وردت بصورة ثبت كرونولوجي).

أسباب معقدة: رفض العراق الاعتراف باستقلال الكويت معتبراً ان هذه الأخيرة كانت جزءاً من ولاية البصرة إبان الحكم العثماني. وعندما حصل العراق على استقلاله (١٩٣٢) بدأ يطالب بالكويت كجزء لا يتجزأ من ترابه الوطني في حين ان الكويت كانت لا تزال عمية بريطانية. وفي ١٩٦١، أعلن عن استقلال الكويت، فسارع العراق إلى إرسال قواته إلى الحدود معها (راجع «عبد الكريم قاسم» في باب زعماء). والمعروف ان ليس للعراق سوى واجهة بحرية على الخليج لا يزيد طولها عن ١٩ كلم، وان جزر وره وبيهان الواقعة عند منفذ الخليج كانت قد منحت للكويت. وفي ١٩٣٨، رفض البريطانيون طلباً عراقياً يقضي ببناء مرفأ في خليج الكويت يجري ربطه بالمناطق الداخلية من العراق بواسطة خط سكة حديد. وكذلك طالب العراق الكويت بحق استثمار حقل نفطي في روم الله الحدودية.

أسباب مباشرة: ١- مطامح الرئيس العراقي صدام حسين؛ ٢- دين العراق الخارجي البالغ بين ٣٠ و ٤٠ مليار دولار، ورفض أمير الكويت جابر الصباح إلغاء ما كان يتوجب على العراق من ديون عليها للكويت (١٥ مليار دولار) إبان حرب العراق-إيران، واعتبار صدام حسين انه كان يدافع في هذه الحرب عن المصالح العربية في وجه التوسع الإيراني، وطالب باعتماد إضافي قدره ١٠ مليارات دولار؛ ٣- اتهام العراق السياسة النفطية للكويت ودولة الامارات بأنها مسؤولة عن هبوط أسعار النفط وحرمان العراق من قسم مهم من عائداته النفطية والتسبب في انهياره الاقتصادي في اوائل ١٩٩٠ (الدين المدني والعسكري أصبح يفوق ميزانية الدولة، بطالة مستزائدة خاصة بعد تسريح ٢٠٠ ألف جندي، وانخفاض مفاجيء في منسوب مياه الغرات وتقليص في الاراضي المزروعة بعد تنفيذ سدّ أتاتورك في تركيا، جنوب شرقي الأناضول)؛ ٤- رغبة الولايات المتحدة في الاحتفاظ بأشرفها على الثروات



الرئيس مهدي حسن مستقبلاً سفيرة الولايات المتحدة أبريل فلابسي (تموز ١٩٩٠).

دخان القصف يتصاعد من أحد أحياء بغداد خلال حرب الخليج الثانية.



حلول يوم ٢٤ من الشهر، وتغلق الحدود امام الأجناب. ومؤتمر في القاهرة: ١٤ عاجلاً ورئيس دولة من الجامعة العربية إضافة إلى عرفات وخمسة وفود حكومية وصادم حسين نفسه ومنذوب عن الحكومة الكويتية في المنفى (الطائف، السعودية)، وتغيب تونس.

١٠-١٢ آب، ٢١ عضواً رفضوا ضم الكويت ووافقوا على الحظر على العراق وعلى إرسال جيوش إلى السعودية، وثلاثة أعضاء (العراق، ليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية) صوتوا ضد هذه القرارات، وتغيبت الجزائر واليمن، ولم يشترك الأردن في التصويت. وصادم حسين يدعو إلى «الجهاد المقدس» لإنقاذ مكة والأماكن المقدسة من الاحتلال الأجنبي، ويعلن أن حل الأزمة مرتبط بالانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة، والانسحاب السوري من لبنان.

١٥ آب، العراق يقبل توقيع معاهدة سلام مع ايران وفقاً لشروط هذه الاخيرة وتقسيم شط العرب الذي كان قد تسبب في حرب بين البلدين دامت ثماني سنوات.

١٨ آب، العراق يعلن عن رغبته في حجز «رعايا الدول العدوانية» الموجودين في الكويت والعراق، واعتبارهم «ضيوف السلام». وجرى تجميع بعضهم في مواقع استراتيجية ليشكلوا «دروعاً بشرية».

٢١ آب، مؤتمر صحافي للرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران: «إننا نعيش في دائرة منطلق الحرب». وفرنسا ترسل مفتشين و ٢٠ مظلي إلى ابو ظبي، ودعوة لانعقاد البرلمان الفرنسي في ٢٧ الشهر (آب) في دورة استثنائية.

٢٢ آب، الرئيس الاميركي، جورج بوش، يستدعي ٤٠ ألفاً من جنود الاحتياط.

٢٥ آب، مجلس الأمن الدولي يجيز استعمال القوة لفرض احترام احكام الحظر على العراق.

٢٨ آب، العراق يعلن ان الكويت أصبحت المقاطعة العراقية التاسعة عشرة.

٣١ آب، الأمين العام للأمم المتحدة، بيريز دو كويلار، يبدأ مساعيه الحميدة.

أول ايلول، أعلن في العراق ان نحو ٧٠٠ امرأة وولد من البريطانيين والفرنسيين والاميركيين واليابانيين يمكنهم مغادرة العراق، وان ٣ آلاف أجنبي يمكنهم المغادرة حتى ٢٢ من الشهر (ايلول) في ما عدا الرجال الذين جرى إرسال ٥٠٠ منهم إلى الأمكنة الاستراتيجية.

٢٣ ايلول، فرنسوا ميتران يقترح في الامم المتحدة خطة سلام وحل شامل لنزاعات المشرق الاوسط.

الاميركية تنقل إلى البيت الابيض صوراً عن الاقمار الصناعية تكشف عن تمرکز جيش عراقي على الحدود.

٢٨-٣١ تموز، عرفات والحسين ملك الأردن ينضمان إلى المساعي الحميدة. الأمير جابر الصباح يرفض، أثناء استقباله عرفات، الدخول في موضوع الـ ١٠ مليارات دولار التي يطالب بها العراق كتعويض عن حقول روم الله. ومخادئات ثنائية بين العراق والكويت في جدة.

أول آب، قطع المحادثات، والوفد العراقي يغادر جدة معلناً ان الكويت لم تقدم أية اقتراحات جديدة.

**غزو الكويت: ٢ آب، الساعة الثانية، الجيوش العراقية تغزو الكويت، عشرات القتلى (منهم الشيخ فهد، شقيق الامير جابر)، ولا امكانية للمقاومة بعد أقل من ساعتين. في الساعة السادسة، طلبت الولايات المتحدة والكويت عقد اجتماع عاجل وطارئ لمجلس الأمن الدولي الذي أصدر بالاجماع القرار ٦٦٠ المتضمن «الانسحاب الفوري وغير المشروط» للعراق. تجميد الحسابات المالية للعراقيين والكويتيين في الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا. وفي موسكو، اعلان مشترك لوزيري خارجية الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي يدعو إلى تعليق كل شحنات السلاح إلى العراق. وجماعة الدول العربية تدين الاعتداء العراقي وتطلب الانسحاب الفوري وغير المشروط للجيش العراقي من الكويت (صوت ضد هذا القرار: منظمة التحرير الفلسطينية، الاردن، السودان واليمن). وبغداد تعلن تشكيل «حكومة كويتية مؤقتة».**

٥ آب، وصول إلى الكويت الدفعة الأولى من عناصر الجيش الشعبي العراقي.

٦ آب، مجلس الأمن الدولي يقرر الحظر الشامل على العراق، وإقفال انابيب النفط العراقية التي تصل إلى تركيا (يومورتاليك) والعربية السعودية (بيبع)، وحكومة الكويت المؤقتة تعلن قيام «جمهورية الكويت الحرة»، ونزوح مئات الآلاف من العمال العرب وغيرهم من الكويت والعراق.

٨ آب، بدء عملية «درع الصحراء» وجيوش ومعدات تصل إلى ظهران على متن حاملات طائرات اميركية، وبريطانيا تلتحق بالقوات المتعددة الجنسية في الخليج.

٩ آب، فرنسا ترسل حاملة طائرات «كليمينسو» من دون ان تشترك بالقوة الدولية. وبغداد تقرر ان على السفارات الاجنبية في الكويت ان تنتقل إلى بغداد قبل

٢٥ في مجلس الشيوخ).

**القوات المتواجدة في مساحة المعركة والمواقف الدولية:** إيران: بقيت على الحياد، وكانت قد تسلمت، في ١٥ آب ١٩٩٠، قبول صدام حسين باتفاق الجزائر الحدودي (١٩٧٥)، وكان صدام حسين قد أعلن إلغاءه بعد انتصاره في حرب العراق-إيران، لكنها رفضت تسليم العراق الطائرات العراقية التي لجأت إليها (١١٥ طائرة بحسب المصادر العراقية، ١٣٧ بحسب المصادر الأميركية)، واستقبلت، في نهاية الحرب، مئات الآلاف من الشيعة الهاربين من العراق.

**اسرائيل:** رفضت أي ربط بين الأزمة الناشئة وبين القضية الفلسطينية، وتمت عدم توريطها في النزاع، ولكنها ضاعفت من استعداداتها في مواجهة الخطر العراقي، كما عملت بالنصائح الأميركية في أن تبقى بعيدة عن الواجهة وأملت في الحصول على مزيد من الضمانات في مرحلة ما بعد الحرب.

**الفلسطينيون:** كان توزعهم، في تموز ١٩٩٠، وفق الخريطة التالية: مليون و٦٨٠ ألفاً في الأردن، ٨٠٠ ألف في الأراضي المحتلة، ٤٠٠ ألف في الكويت، ١٨٠ ألفاً في العربية السعودية، ٧٠ ألفاً في الإمارات، و٥٠ ألفاً في العراق. ووقفت منظمة التحرير الفلسطينية، بمبادرة من عرفات وتحت ضغط الجماهير الفلسطينية إلى جانب العراق على الرغم من أن دعمها المالي يأتي بالدرجة الأولى من دول الخليج (٧٠٪ من ميزانيات المدارس والمستشفيات الفلسطينية). وكانت الأزمة قد كلفت الفلسطينيين، نتيجة هذا الموقف وحتى ١٥ كانون الثاني ١٩٩١، نحو ١٠ مليارات دولار، إضافة إلى أن البلدان العربية أوقفت ضخ حصصها لدعم الانقضاة في الأراضي المحتلة.

**دول التحالف:** ضم هذا التحالف ٢٨ بلدًا: العربية السعودية (٦٧٥٠٠ جندي مجهزين بعناد حربي من مختلف الاسلحة المتطورة، إضافة إلى ٤ آلاف جندي كويتي و١٠ آلاف من مختلف دول مجلس التعاون الخليجي المتمركزين في السعودية)، الأرجنتين (٣٠٠ جندي)، أستراليا (٦٠٠)، البحرين، بنغلادش (٢٠٠٠)، بلجيكا (٤٠٠)، كندا (١٨٣٠)، كوريا الجنوبية (١٥٠)، الدنمارك، مصر (٣٥٦٠٠)، أفنى شيخ الأزهر بواجب

آخر ايلول، نحو نصف سكان الكويت يفرون إلى الخارج.

١٧ تشرين الاول، أكثر من ٢٠٠ ألف جندي اميركي في الخليج.

٢٩ تشرين الاول، العراق يعلن تحرير ٣٢٧ فرنسيًا كانوا لا يزالون محتجزين في العراق والكويت.

٨ تشرين الثاني، ٢٠٠ ألف جندي اميركي في حالة استعداد عسكري تام.

١٨ تشرين الثاني، العراق يعلن تحرير كل الرهائن بين ٢٥ كانون الاول ١٩٩٠ و٢٥ كانون الثاني ١٩٩١.

٢٩ تشرين الثاني، مجلس الأمن الدولي يميز لجميع الدول المتحالفة مع الكويت استعمال القوة ضد العراق إذا لم ينسحب من الكويت قبل ١٥ كانون الثاني ١٩٩١.

٦ كانون الاول، العراق يحرر الدفعة الأخيرة من المحتجزين.

١٦ كانون الاول، بوش يعيد تأكيد استعمال القوة في حال عدم انسحاب العراق في الموعد المحدد (١٥ كانون الثاني ١٩٩١).

٢٤ كانون الاول، صدام حسين يكرّر قوله في ان اسرائيل ستكون الهدف الاول للضربات العراقية.

١٩٩١: ٢ كانون الثاني، صدام حسين يستقبل في بغداد ميشال فوزيل رئيس لجنة العلاقات الخارجية في البرلمان الفرنسي.

٥ كانون الثاني، العراق يرفض دعوة المجموعة الأوروبية زيارة لوكسمبورغ.

٩ كانون الثاني، فشل اللقاء بين جيمس بايكر (وزير خارجية الولايات المتحدة) وطارق عزيز (وزير خارجية العراق) في جنيف. والكونغرس الاميركي يميز للرئيس بوش استعمال القوة (٥٢ صوتاً ضد ٤٧ في مجلس الشيوخ، ٢٥٠ صوتاً ضد ١٨٣ في مجلس النواب).

١٤ كانون الثاني، في مجلس الأمن الدولي، الولايات المتحدة ترفض خطة السلام الفرنسية التي تدعو إلى عقد مؤتمر دولي حول القضية الفلسطينية ومختلف مشكلات وقضايا الشرق الاوسط.

١٥ كانون الثاني، الساعة صفر (بحسب التوقيت الاميركي) انتهاء مهلة الانذار المحددة لانسحاب العراق من الكويت.

١٦ كانون الثاني، البرلمان الفرنسي، في دورة استثنائية، يوافق على موقف الرئيس ميتران من الازمة (٥٧٤ صوتاً ضد ٤٣ في مجلس النواب، و٢٩٠ صوتاً ضد

١٩ كانون الثاني، الولايات المتحدة تسلّم اسرائيل مربضي منغية باتريوت المضادة للصواريخ إضافة إلى مربضين آخرين كانت قد تسلمتهما اسرائيل قبل بدء المعركة.

٢١ كانون الثاني، الولايات المتحدة تستلهم ٢٠ ألف احتياطي إضافي.

٢٢ كانون الثاني، إطلاق صواريخ سكود على العربية السعودية وعلى اسرائيل. واسرائيل تهتد بالرد.

٢٣ كانون الثاني، أول اشتباك بري بين العراقيين والاميركيين.

٣١ كانون الثاني، بعد ١٥ يوماً من المعارك (ومحسب ما أعلنه الجنرال الاميركي شوارزكوبف، القائد العام لعملية «عاصفة الصحراء»): ٣٠ ألف طلعة للطيران الحربي الحليف، منها ٥٣٥ طلعة استهدفت ٣١ هدفاً عراقياً نووياً وكيميائياً أو بيولوجياً، و ٥٠٪ من الأهداف جرى تدميرها أو إلحاق الضرر بها، كما جرى تدمير ١١ مخزناً و ٣ معامل للمنتوجات الكيميائية، و ٢٥٪ من طاقة الانتاج الكهربائي، و ٢٣ جسراً من أصل ٣٣، و ٢٥ مخزناً للذخائر، و ٤٥ مدرج طيران حربي، و ٢٥ طائرة عراقية (٨٩ طائرة لحقت إلى ايران). وفي البحر، أطلقت حاملات الطائرات ٣٥٠٠ طلعة جوية و ٢١٦ صاروخ تومهورك، وأغرقت ٤٦ سفينة حربية عراقية.

أول شباط، فرنسا تجيز للطائرات البريطانية عبور أحوالها، واسبانيا تجيز للولايات المتحدة استعمال القواعد الاميركية على اراضيها للاغارة على العراق.

٦ شباط، غارات جوية على بغداد، وطائرات عراقية تلجأ إلى ايران، و ١٧ ألفاً من المارينز يتجهون إلى الخليج.

٧ شباط، العراقيون يشعلون النار بعدة آبار نفطية في الكويت.

٢٤-٢٨ شباط: هجوم بري اميركي، وتوغل في الاراضي الكويتية إلى ٨٠ كلم في اليوم الاول (٢٤ شباط)، وهجوم اميركي-بريطاني على جبهة الجنوب. المارينز عند ابواب العاصمة الكويت (٢٥ شباط)، ثم تصبح على بعد ٢٨٠ كلم من بغداد. والعراقيون يعلنون انسحاب قواتهم «إلى المواقع المحتلة قبل أول آب ١٩٩٠». وفي الساعة الرابعة من فجر ٢٧ شباط، قوات كويتية تدخل مدينة الكويت (العاصمة). وفي الساعة الثالثة من ٢٨ شباط، بوش يعلن إيقاف العمليات الهجومية لدول الحلف. والعراق يعلن عن أمر صدر للقوات المسلحة بوقف إطلاق النار.

دخول المسلمين المعركة ضد العراق وبأن الاستعداد بالقوات الأجنبية لا يخالف الشريعة، وقيام مظاهرات ضخمة في مصر مؤيدة للعراق نظماً للاخوان المسلمون والتجمع الوطني التقدمي الوحدوي، الامارات العربية المتحدة (٤٠ ألفاً)، الولايات المتحدة (٥١٥ ألفاً)، فرنسا (١٩ ألفاً)، بريطانيا (٣٦ ألفاً)، اليونان (٢٠٠)، هنغاريا (٣٧ رجلاً، فريق طبي)، ايطاليا (١٣٠٠)، المغرب (١٢٠٠ إضافة إلى ٥ آلاف في أبو ظبي)، النيجر (٥٠٠)، نيوزيلندا (فريق طبي من ٤٠ رجلاً)، عُمان (٢٥ ألفاً)، باكستان (١٠ آلاف)، هولندا (٤٠٠)، بولندا (١٣٠)، قطر، رومانيا (٣٦٠)، السنغال (٥٠٠)، سيراليون (٢٠٠)، السويد (٥٢٥)، سورية (٢٠ ألفاً و ٨٠٠)، لكنها هدّت بحرك ساحة المعركة إذا تدخلت اسرائيل عسكرياً، واصبحت، لدى هزيمة العراق، القوة العسكرية الأساسية في المنطقة وحصلت على وعد باطلاق يدها في لبنان؛ وتشيكوسلوفاكيا (٢٠٠). وغالبية هذه القوات، خاصة منها الاميركية والبريطانية والفرنسية، كانت مزودة بمختلف الاسلحة الأكثر تطوراً، البرية والجوية والبحرية.

بالمقابل، كان عديد القوات المسلحة العراقية ٧٠٠ ألف رجل (جيش نظامي، جيش احتياطي وميليشيا ٥٤٥ ألفاً، الحرس الجمهوري ١٤٠ ألفاً) مزودين بـ ٥٦٠٠٠ عربة ومدربة، و ١٩٠٠٠ مربض منغية، وصواريخ سكود ارض-ارض وصواريخ «الحسين»، وصواريخ ارض-جو سام سوفياتية الصنع، وصواريخ كروتال الفرنسية وهوك الاميركية، وصواريخ فروغ-٧ أرض-أرض متحركة بمحمولات كيميائية، و ٧٠٠ طائرة جوية، بما فيها ٢٠٠ طائرة هليكوبتر، إضافة إلى ترسانة من السلاح الكيميائي. أطلق العراق، في ايام المعركة، ٨٦ صاروخ سكود (٤٧ باتجاه السعودية، ٣٩ على اسرائيل).

العمليات العسكرية: في ١٦ كانون الثاني (١٩٩١)، من الساعة التاسعة مساء حتى نصف الليل، ١٠ طائرات هليكوبتر اميركية تدمر موقعي رادار قرب بغداد. وبعد ساعات قليلة، صبيحة ١٧ كانون الثاني، تبدأ عملية «عاصفة الصحراء»، والرئيس الاميركي جورج بوش يأمر بقصف المواقع الاستراتيجية العراقية، والقوات الجوية الحليفة تبدأ أيضاً غاراتها.

١٨ كانون الثاني، البرلمان التركي يجيز (٢٥٠) صوتاً ضد (١٤٨) للاميركيين استعمال القواعد الجوية التركية. وإطلاق أول صاروخ سكود عراقي على اسرائيل.

القرار ٦٦١ (٦ آب ١٩٩٠): ١٣ صوتاً، غياب كوبا واليمن: عقوبات اقتصادية على العراق (حظر مالي، تجاري وعسكري)، باستثناء الشحنات الطبية وبعض المنتجات الغذائية.

القرار ٦٦٢ (٩ آب ١٩٩٠): إجماع الاصوات: إعلان العراق ضم الكويت لاغ ولا مفاعيل له.

القرار ٦٦٤ (١٨ آب ١٩٩٠): بالاجماع: يفرض الإفراج عن الرهائن.

القرار ٦٦٥ (٢٥ آب ١٩٩٠): ١٣ صوتاً، غياب كوبا واليمن: يميز اللجوء إلى القوات البحرية لفرض الحظر.

القرار ٦٦٦ (١٤ ايلول ١٩٩٠): ١٣ صوتاً، وصوتا كوبا واليمن ضد: المساعدة الغذائية المرسله إلى العراق أو الكويت يجب ان تشرف على إرسالها وتوزيعها الأمم المتحدة أو أي منظمة دولية أخرى.

القرار ٦٦٧ (١٦ ايلول ١٩٩٠): بالاجماع: يدين انتهاك حرمة السفارات ويطالب بتحرير الأجناب الذين حُطِّفوا من المقرات الدبلوماسية.

القرار ٦٦٩ (٢٤ ايلول ١٩٩٠): بالاجماع: يطلب من «لجنة العقوبات» فحص طلبات المساعدة التي تتقدم بها البلدان التي تعاني من صعوبات اقتصادية وفقاً لاحتياجاتها قواعد الحظر على العراق.

القرار ٦٧٠ (٢٥ ايلول ١٩٩٠): ١٤ صوتاً، كوبا ضد: توسيع نطاق الحظر ليشمل التجارة البحرية.

القرار ٦٧٤ (٢٩ تشرين الاول ١٩٩٠): ١٣ صوتاً، غياب كوبا واليمن: يذكر العراق بمسؤوليته، وفقاً للقانون الدولي، عن كل الاضرار الملحقه بالكويت وبأبي دولة أخرى نتيجة لاحتلاله غير المشروع للكويت.

القرار ٦٧٧ (٢٨ تشرين الثاني ١٩٩٠): بالاجماع: يدين تناولات العراق تعديل الوضع الديمغرافي في الكويت، ويوصي الأمم المتحدة بالاحتفاظ بنسخة عن سجل الاحوال الشخصية لهذا البلد.

القرار ٦٧٨ (٢٩ تشرين الثاني ١٩٩٠): ١٢ صوتاً، كوبا واليمن ضد، وغياب الصين: يفرض على العراق الامتثال للقرار ٦٦٠ ويبيح للدول المتعاونة مع الكويت استعمال كل الوسائل الضرورية لاجبار العراق على احترامه إذا لم يتسحب من الكويت في مهلة أقصاها ١٥ كانون الثاني ١٩٩١.

القرار ٦٨٦ (٢ آذار ١٩٩١): ١١ صوتاً، كوبا ضد، وغياب الصين والهند واليمن: بعد قبول العراق (في

الحصائل: لدى الحلفاء: البشرية، ٣٠ قتيلاً، منهم ٤ خلال الهجوم البري، و٢٤٣ جريحاً، و٢٨ قتيلاً و٩٧ جريحاً في معسكر طهران الذي كان هدفاً لصاروخ عراقي؛ و٦ قتلى و٦ جرحى بريطانيين؛ و٢٧ جريحاً فرنسيين. و١٣ قتيلاً و٤٣ جريحاً من الجيوش العربية؛ و١٨ قتيلاً من السعودية، بينهم ١٣ خلال الهجوم البري، و٢٠ جريحاً؛ و٨ جرحى من السنغاليين. من المفقودين ٤٣ امريكياً، و١٠ سعوديين، و٨ بريطانيين، وايطالي واحد، وكويتي واحد، والأسرى ٩ جنود اميركيين، وبريطانيين، وايطالي واحد، وكويتي واحد. الخسائر المادية: ٤٢ طائرة منها ٣١ طائرة اميركية، و٧ بريطانية، وطائرتان سعوديتان وطائرة ايطالية وطائرة كويتية، إضافة إلى ١٥ طائرة هليكوبتر اميركية.

لدى العراق: بحسب المصادر العراقية ٢٠ ألف قتيل و٦٠ ألف جريح. بحسب مصادر الحلفاء أكثر من ١٠٠ ألف قتيل. الأسرى ١٧٥ ألفاً. الخسائر المادية: ١٣٩ طائرة (أكثر من ١١٥ لجأت إلى إيران)، ٨ طائرات هليكوبتر، ٧٤ سفينة حربية، ٢٠٨٥ عربة ومدربة (٤٠٠ خلال الهجوم البري)، ٨٥٦ ناقلة جنود، ٢١٤٠ مدفعاً.

التلوث: يقع سرداء في مياه الخليج بسبب فتح العراقيين انابيب النفط في ميناء الأحمدية، فتسربت وانتشرت في المياه كمية من النفط الخام قدرت بـ ١٠٠ ألف طن. وبقعة أخرى انتشرت من ميناء البكر وقلدت مساحتها بـ ٥٠٠ كلم، لتعرد وتتجزأ عند الشواطئ السعودية والكويتية والايروانية. واتخذت إجراءات للحد من أضرارها خاصة وان الخليج مقفل وقليل العمق (٢٥-٣٠ م).

٧٣٢ بئراً نفطياً في الكويت (من اصل ١٠٨٠ بئراً) أحرقت خلال الحرب، فغطى الدخان الأسود ربع مساحة الكويت، وشوهت آثار الدخان الأسود على تلوج جبال هيمالايا. واستمرت عمليات إطفاء حرائق هذه الآبار حتى ٦ تشرين الثاني ١٩٩١.

قرارات الأمم المتحدة في ١٩٩٠-١٩٩١: ١٦ قراراً متعلقاً بالعراق خلال ١٤ شهراً، من ٢ آب ١٩٩٠ إلى ٢ تشرين الاول ١٩٩١:

القرار ٦٦٠ (٢ آب ١٩٩٠): ١٤ صوتاً، اليمن لم تصوت: يدين غزو الكويت ويفرض انسحاباً فورياً للعراق.



خريطة الحظر الجوي التي فرضت على العراق في اعقاب حرب الخليج الثانية.

القرار ٧٠٦ (١٥ آب ١٩٩١): ١٣ صوتاً، صوت واحد ضد، وغياب صوت؛ يسمح للعراق ببيع كمية من النفط بقيمة ١,٦ مليار دولار خلال مدة ٦ أشهر ليتسنى له شراء غذاء وأدوية ودفع ٣٠٪ من هذه المبالغ كتعويضات حرب.

القرار ٧٧٨ (٢ تشرين الاول ١٩٩١): حجز جزئي لأموال العراقيين في الخارج. (هنا تنتهي كرونولوجيا «حرب الخليج الثانية» المترجمة عن الكتاب السنوي الفرنسي «كيد»، المرجع المذكور في مطلع الموضوع).

حرب الخليج الثانية «حرب معلومات خادعة» (مناقشة): بعد انقضاء نحو ست سنوات على هذه الحرب عقد في أبو ظبي في ٥-٧ كانون الثاني ١٩٩٧ مؤتمر «ثورة المعلومات والاتصالات وتأثيرها في المجتمع والدولة في العالم العربي»، نظمه «مركز الامارات للدراسات والبحوث والاستراتيجية اشترك فيه اختصاصيون في الاقتصاد والاجتماع والسياسة من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وبلدان الخليج العربية، وعرض عمليات وتقنيات ميدانية للبرامج التلفزيونية في دول الخليج العربية وتأثير المعلومات على طلابها وعلى المجتمع والدولة في

٢٧ شباط الامتثال للقرار ٦٦٠ ولباقي القرارات الدولية دون شروط، يحدّد هذا القرار الجديد شروط نهاية العمليات الحربية. فتصبح جميع القرارات الدولية مطبقة، ويكون على العراق العودة عن كل قراراته المترتبة على ضم الكويت، واحترام مسؤوليته حيال الاضرار الملحقه بالكويت وبكل دولة أخرى، وإطلاق سراح جميع رعايا الكويت أو أي دولة أخرى متعاونة معها، وإعادة جميع ممتلكات الكويتيين، وإطلاق جميع سجناء الحرب فوراً، ووضع نهاية لكل عمل عدائي، وتقديم كل المعلومات الكفيلة بتحديد أماكن الأنفخاخ وكل آلة أو سلاح كيميائي في الكويت أو في المناطق العراقية أو المياه الإقليمية وحيثما كان مسرح عمليات قوات التحالف.

القرار ٦٨٧ (٣ نيسان ١٩٩١): يفرض على بغداد تدمير كل سلاح لديها غير خاضع للاتفاقيات الدولية، وكذلك جميع الصواريخ متوسطة وطويلة المدى التي تمتلكها.

القرار ٦٨٨ (٥ نيسان ١٩٩١): ١٠ أصوات، كوبا واليمن وزيمبابوي ضد، وغياب الصين والهند؛ يدين قمع السلطات العراقية الأهالي العراقيين، ويلح في السماح للمنظمات الانسانية الوصول إلى الأهالي الذين يحتاجون إلى المساعدة.



٢٤ تشرين الاول، العراق يرفض القرارات  
الدوليين ٧٠٦ و٧١٢.  
تشرين الثاني، إقالة حسين كامل حسن، صهر  
صدام حسين ووزير الدفاع منذ ٦ نيسان ١٩٩١، وتعيين  
علي حسن ماجد (الملقب بـ«جزار كردستان») مكانه،  
وكذلك تعيين واطيان ابراهيم الحسن (أخ شقيق لصدام  
حسين) وزيراً للدخالية.

١٩٩٢: ١٥ ايار، انتخابات نيابية في كردستان  
(١٠٥ اعضاء، لولاية ثلاث سنوات: ١٠٠ مقعد للأكراد  
موزعة على الحزبين الأساسيين: مسعود برزاني وحلال  
الدين الطالباني، و٤ مقاعد للحركة الديمقراطية الأشمورية،  
ومقعد واحد لشعب كردستان المسيحي).  
٦ تموز، زوجة الرئيس الفرنسي ميتران في زيارة  
كردستان، وتعرضت أثناءها لمحاولة اغتيال.  
٢٥ تموز، إعدام ٤٢ تاجراً عراقياً بتهمة الإثراء  
غير المشروع.

٢٦ تموز، العراق يقبل بخبراء دوليين، لكن من  
دول محايدة.  
٢٦ آب، فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة تقيم  
منطقة حظر جوي جنوبي خط العرض ٣٢ لحماية السكان  
الشيعية. والرئيس الاميركي، بوش، يعطي العراق ٢٤ ساعة  
لوقف الضربات الجوية ضد الشيعة.

٢٧ آب، بدء سريان مفعول قطاع حظر الطيران  
وإرسال دوريات جوية اميركية وبريطانية.  
تشرين الاول، اقتتال كردي-كردي وسقوط نحو  
ألف قتيل، ومعارك بين الشيعة في الجنوب (٢٦٦ قتيل).  
٧ كانون الاول، إطلاق مشروع ضخم: النهر  
الصناعي (نهر صدام حسين) بين دجلة والفرات  
(٥٦٥ كلم) للملاحة والري (١٢٥٠٠ هكتار) وتجفيف  
المستنقعات في الجنوب (الأهوار، حيث المتمردون، راجع  
«الأهوار» في باب مدن ومعالم).  
٢٧ كانون الاول، إسقاط ١٢ طائرة عراقية في  
منطقة الحظر الجوي الدولي.

١٩٩٣: ٤ كانون الثاني، العراق يحرك صواريخ  
أرض-جو إلى قطاع الحظر الجوي. وفي ٦، اميركا والحلفاء  
يعطون بغداد ٤٨ ساعة لإزالة الصواريخ أو مواجهة اعمال  
عسكرية. وفي ٨، بغداد ترفض إنذار الحلفاء. وفي ١٠،  
٢٠٠ عراقي مسلح يجتازون الحدود الكويتية ويوزلون ٤

الاردن، وبلدان المغرب العربي، وايران، واستطلاعات  
الرأي العام في فلسطين، ودور الاعلام في حرب الخليج  
الثانية.

من الاستنتاجات الخطيرة للمؤتمر:  
- ان حروب المعلومات تجري الآن بشكل مستمر  
حول العالم العربي، وانها ستلعب دوراً متزايداً في نشوء  
وتطور الانظمة السياسية العربية.  
- وان تكنولوجيا الاتصالات خدمت ملايين  
المشاهدين في حرب الخليج، وان الاطار التصوري السائد  
اليوم في النظام العام العالمي هو نتاج الصورة المفكرة التي  
صنعتها حرب الخليج والتدفق الحرس للمعلومات التي  
تستهدف أول ما تستهدف الرأي العام برمته. فحرب  
الخليج قدمت مثلاً عملياً لحرب المعلومات. هذه الحرب  
سجلت «انتصار الصورة الاعلامية على الحقيقة والمنطق»  
وفق الدراسة التي قدمها في المؤتمر الدكتور حامد مولانا  
(استاذ العلاقات الدولية في جامعة واشنطن) وعرض فيها  
كيف خدمت تكنولوجيا الاتصالات ملايين المشاهدين في  
أثناء العالم الذين انبهروا بالصور الاعلامية لها ونيل  
طم انهم يتابعون الحرب خطوة بخطوة في حين ان كل ما  
قدمته لهم كان صورة مصطبعة للواقع (راجع «الخليج  
العربي»، ج٨).

## ما بعد الحرب: العراق تحت الحصار الدولي

١٩٩١: أول آذار، انتفاضة في البصرة والتنجف  
وكرهلاء تلبية لنداء المجلس الأعلى للثورة الاسلامية (راجع  
باب الاحزاب)؛ وانتفاضة كردية في كردستان العراق.  
٢٣ آذار، تعيين سعدون حمادي رئيساً للوزراء  
(بقي في منصبه هذا حتى ١٣ ايلول ١٩٩١).  
١٨ حزيران، إعدام ١٨ ضابطاً اتهموا بالتآمر.  
وفي هذا الشهر، أعلن مسعود برزاني عن اتفاق حول  
الاستقلال الذاتي لكردستان العراق (لم يتم تصديق  
الاتفاق).

٦ تموز، تدمير آخر الأسلحة الباليستية. واتفاق  
حول تدخل الامم المتحدة في ما يتعلق باللاجئين لمهلة ٦  
أشهر (تنتهي في ٣١ كانون الاول ١٩٩١).  
١٧ ايلول، سماح محدود بتعدد الاحزاب.  
٣ تشرين الاول، الاعلان عن محاولة انقلابية  
وإعدام ٧٦ ضابطاً. تعيين محمد حمزه زيدي رئيساً  
للوزراء.



امراة عراقية تحمل طفلها الرضيع. ان حوالي « ١.٤ مليون طفل عراقي تولوا بسبب انعكاسات الملوّيات على العراق»، منذ ان بدأ الحصار الدولي على العراق في ١٩٩١ وحتى صيف ١٩٩٨.

الدول المتحضرة» هو «من خلال العمليات الديمقراطية واحترام حقوق الانسان والمساواة في معاملة شعبه والتقيّد بالقواعد الرئيسية في السلوك الدولي». الحكومة العراقية واللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة المكلفة إزالة أسلحة الدمار الشامل العراقية توقعان وثيقة تجيز للجنة الخاصة والوكالة الدولية للطاقة الذرية تقديم تقرير إلى مجلس الأمن يعكس رأيهما في ان العراق نفذ كل التزاماته بموجب الفقرة ٦٨٧ من القرار ٦٨٧ الذي يتضمن شروط وقف النار في الخليج.

١٩٩٤: في ايار، مجلس الأمن يجنّد، العقوبات على العراق للمرة الثانية منذ فرض الحظر. بيان مجلس قيادة الثورة الذي قرر «إعفاء رئيس مجلس الوزراء (أحمد حسين السامرائي) ونائبه والوزراء من مناصبهم»، وبمسبب «ظروف الحصار وما يتطلبه الوضع من اهتمام استثنائي بالشؤون الاقتصادية ومعيشة المواطنين» قرّر «ان يتولى الرئيس صدام حسين مباشرة رئاسة مجلس الوزراء»، لمعالجة انعكاسات الحظر الاقتصادي وانهيار قيمة الدينار وتدني المستوى المعيشي للعراقيين إلى حد دفع الأمم المتحدة إلى التحذير من نجاعة في العراق.

آخر آب، وقع وفد تركي في بغداد بروتوكولاً للتعاون التجاري والاقتصادي والصناعي يقضي بتشكيل غرفة تجارة عراقية-تركية، وكان الرئيس التركي سليمان دميريل، قبل ايام قليلة، دعا في مؤتمر صحافي مع الملك حسين عقده في عمان إلى رفع الحظر الدولي على العراق في أقرب وقت ممكن.

تشرين الاول، أذيع في بغداد بيان بعد اجتماع مشترك لمجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب البعث رأسه صدام حسين هتّد بـ«موقف جديد (...) يخرج شعب العراق من الخنّة»، وهاجم بشدة رالف أكبوس (رئيس اللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة المكلفة نزع أسلحة الدمار الشامل العراقية) و«أصحاب الغرض السيء» الذين «يسعون إلى إطالة الحصار» الدولي المفروض على العراق.

أتبعت بغداد هذا البيان بحشد عسكري على الحدود مع الكويت وبتهديدها إسقاط الحظر عن طريق التذكير بقدرتها على زعزعة الاستقرار. وعادت إلى المنطقة أجواء توتر شديد، وحدثت احتمالات المواجهة. اصطدمت المحاولة العراقية بخزم خليجي ودولي، وسارعت الولايات المتحدة وبريطانيا إلى إرسال قوة ردع برية وبحرية وجوية.



رالف أكبوس.

صواريخ «سيلكويرم» خلّفتها قواتهم في حرب الخليج. وفي ١٢، العراقيون يتنازون الحدود الكويتية مرتين أخريين ليزيلوا معدات ومواد تركوها وراءهم، وبغداد تحسّر ببطاريات مضادة للطائرات في قطاعي حظر الطيران الشمالي والجنوبي.

في ١٣ كانون الثاني، غارات جوية للحلفاء استهدفت مواقع صواريخ في تليل والسماعة والنجف، ومواقع صواريخ سام في منطقتي البصرة وتليل.

٢٦-٢٧ حزيران، البحرية الاميركية تقصف مقر الاستخبارات العراقية في شارع المنصور في بغداد (٦ قتلى)، والرئيس الاميركي، بيل كلينتون، يعتبر ان السلطات الاميركية توصلت إلى «أدلة دامغة» تثبت تورط الحكومة العراقية في تدبير محاولة اغتيال الرئيس الاميركي جورج بوش أثناء زيارته للكويت في نيسان. وأيدت الكويت هذه الضربة، وكذلك موسكو، وتقهمت باريس دوافعها، وشدّدت لندن على ضرورة استئصال إرهاب الدولة العراقية.

١٦ تشرين الثاني، بعثة الأمم المتحدة المكلفة مراقبة الحدود الكويتية-العراقية تعلن عن أن مئات العراقيين عبروا الحدود ورفعوا العلم العراقي داخل اراضي الكويت. وتصعيد اعلامي وأجواء توتر.

٣٠ تشرين الثاني، الرئيس الاميركي، كلينتون، يصرح بأن الطريق الوحيد لعودة العراق إلى «مجموعة

وسياسياً، أدت هذه الاكتشافات إلى تلاشي أصوات دولية نافذة، كروسيا وفرنسا، كانت تسعى إلى تخفيف العقوبات عن العراق. وقام الوضع مصادرة السلطات الأردنية مواد ومعدات كيميائية تستخدم في إنتاج صواريخ محظور على بغداد امتلاكها كانت في طريقها إلى العراق، وحدثت تدهور خطير في العلاقات بين عمان وبغداد، خصوصاً بعدما أعلن الملك حسين مبادرة هدفها توحيد المعارضة العراقية عبر مؤتمر لها تستضيفه عمان للبحث في مستقبل العراق عبر إشارات عدة منها التفكير بحل فدرالي على أساس «مصالح وطنية» بين السنة والشيعية والأكراد، وهم العناصر الرئيسية التي تشكل المجتمع العراقي.

١٥ تشرين الأول، أول استفتاء في نوعه نظم في العراق يقضي بتمديد ولاية رئيس الجمهورية (صدام حسين) سبع سنوات، وكانت نتيجته ٩٩,٩٦٪ من الأصوات المؤيدة لتمديد ولايته.

٢١ تشرين الأول، رئيس دولة الامارات العربية المتحدة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان يطلق دعوته إلى «التسامح ورفع الحصار والمعاناة عن الشعب العراقي»، فيما أعلنت اليمن عن «تأييدها المطلق» لدعوة الشيخ زايد. أواخر كانون الأول، صدام حسين يتخذ قرارين، الأول يقضي بزيادة رسوم الاعفاء من اداء الخدمة العسكرية، والثاني باعتقاد سياسة اقتصادية أكثر تشدداً خلال العام الجديد (١٩٩٦) في مسعى إلى وقف تدهور الدينار العراقي (أصبح الدولار الأميركي يساوي ٢٥٠٠ دينار).

١٩٩٦: في شباط، وقعت بحزرة وسط بغداد راح ضحيتها صهرا الرئيس العراقي صدام حسين، حسين كامل حسن الجيد وشقيقه صدام (وآخرين من اقربائهما)، اللذين كانا فراراً إلى الأردن. وصدر عن بغداد رسمياً أن افراداً من عائلتهما قتلهم «غسلاً لعار خيانتهم»، كما أوضحت وزارة الداخلية ان اثنين من المهاجمين، ثائر عبد القادر سليمان الجيد وأحمد عبد الغفور سليمان الجيد «استشهدا أثناء الهجوم»؛ في حين تناقلت مصادر، إعلامية ودبلوماسية، ان عدي ابن الرئيس صدام حسين هو الذي رتب عملية استنراج صهره من عمان وقاد عملية قتلها مع افراد من عائلتهما في بغداد.

في ايار، وقع العراق والامم المتحدة نص مذكرة التفاهم («النفط في مقابل الغذاء») في شأن تنفيذ القرار

في ذروة الازمة أعلن العراق سحب قواته من منطقة الحدود مع الكويت، وتركزت الجهود الاميركية على ضمان «عدم تمكن صدام من تكرار مناوآته». ومع تراجع فكرة إقامة منطقة حظر بري في جنوبي العراق تابعت الولايات المتحدة نشر قواتها. عارضت فرنسا منطقة الحظر وأرسلت روسيا وزير خارجيتها، أندريه كوزيريف، إلى العراق والكويت والمنطقة وحرص قبل بدء جولته على تأكيد وجود بعض التباين بين موقفي موسكو وواشنطن.

١٠ تشرين الثاني، الرئيس صدام حسين يوقع على بيان لمجلس قيادة الثورة (أعلى هيئة سياسية) في العراق يعترف بسيادة الكويت واستقلالها، وبترسيم حدودها الذي أجزته الأمم المتحدة وضمنه مجلس الأمن. بموجب القرار ٨٣٣. بذلك تطوي بغداد ملف ما سمته «الحفاظة التاسعة عشرة». وجاء هذا القرار لمرة لمبادرة أطلقها وزير الخارجية الروسي كوزيريف الذي حضر جلسة المجلس الوطني العراقي التي خصصت لهذا الاعتراف.

١٩٩٥: كانون الثاني-تشرين الأول، بارقة أمل داعبت العراقيين بأن المجتمع الدولي قد يوافق على تخفيف العقوبات المفروضة على العراق إذا واصل تعاونه مع مجلس الأمن في إزالة ما يملكه من أسلحة الدمار الشامل ويقبل تنفيذ القرار ٩٨٦ الخاص ببيع النفط في مقابل الغذاء. وكان العام ١٩٩٥ بدأ بزيارة نائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز باريس (٦ كانون الثاني) التي أعلنت عن فتح قسم لرعاية المصالح في العراق، لكن مع تأكيدها ان هذه المبادرة ليست سياسية بل إنها إجراء تقني. وفي ١٤ نيسان، تبنى مجلس الأمن بالاجماع قراراً يسمح للعراق ببيع ما قيمته بليون دولار من النفط كل ٩٠ يوماً لتغطية الحاجات الانسانية لمواطنيه، وكانت رعت تقديم مشروع القرار كل من الاربعين ورواندا وعمان وبريطانيا وايرلندا الشمالية والولايات المتحدة.

إلا ان هذا الأمل تلاشى نهائياً إثر لجوء الفريق الأول حسين كامل، صهر الرئيس العراقي صدام حسين، إلى الأردن (في آب)، ذلك ان حسين كامل كان المسؤول الأول عن البرامج السرية لأسلحة الدمار الشامل، وأدى لجوؤه إلى الأردن إلى اضطرار بغداد ان تكشف لرئيس اللجنة الدولية الخاصة بنزع السلاح، رالف أكويوس، وثائق خطيرة عن هذه البرامج أظهرت ان العراقيين كانوا على وشك انتاج قبلة ذرية وعن امتلاكهم كميات هائلة ل مواد بيولوجية محرمة «كافية لإبادة جميع سكان العالم» حسب قول أكويوس.

أسفرت عن استعادة مدينة أربيل من قوات الاتحاد الوطني الكردستاني (بزعامة جلال طالباني)، وتسليمها إلى قوات خصمه الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة مسعود برزاني (راجع باب «كردستان العراق»).

في ١٠ كانون الاول، ضغط صدام حسين على زر التشغيل في محطة الضخ الأولى في كركوك معلناً عودة ضخ النفط العراقي إلى الاسواق العالمية بعد انقطاع استمر ست سنوات.

في منتصف كانون الاول، تعرض عدي، نجل الرئيس العراقي، لمحاولة اغتيال باطلاق النار على سيارته في حي المنصور غربي بغداد. فأصيب عدي بجروح بليغة، ولم يُعلن عن هوية المهاجمين أو دوافعهم.

١٩٩٧: كان هذا العام عام التصعيد بين العراق من جهة، والولايات المتحدة وجلس الأمن الدولي من جهة

٩٨٦. لكن بغداد استمرت تماطل في التوصل إلى اتفاق مع المنظمة الدولية في شأن آلية توزيع المواد الغذائية، خصوصاً في المناطق الكردية غير الخاضعة لسلطة الحكومة المركزية، وغيرها من التفاصيل الأخرى. لكن الحال الكردية ظلت السبب الرئيسي للماطلة التي استمرت حتى نجحت بغداد في قلب الاوضاع في كردستان العراق بطريقة أدت عملياً إلى إفراغ الشق المتعلق بالاكراذ في القرار ٩٨٦ من محتواه. ولم توافق بغداد على «خطة التوزيع» للمواد الغذائية والطبية إلا بعدما أحدثت تغييراً جوهرياً في ميزان القوى الكردية لمصلحتها.

في ٣١ آب، بعد تحركات وحشود عسكرية عراقية في ظل الاقتتال الكردي والمعارك الضارية في الشمال (كردستان العراق)، اقتحمت قوات الحرس الجمهوري العراقية المنطقة الكردية التي ظلت قوات السلطات العراقية خارجها طوال خمس سنوات، وهذه العملية العسكرية



وزير الخارجية الروسي كوزيريف  
وطارق عزيز في البرلمان العراقي  
(١٠ تشرين الثاني ١٩٩٤).

وزير الخارجية الروسي  
بريماكوف وطارق عزيز  
خلال مؤتمر صحافي  
في موسكو  
(٥ آذار ١٩٩٧)



قوات برزاني في قتال ضار وصل إلى تخوم الحدود مع إيران. واضطرت قوات أوجلان إلى إخلاء مناطق برزاني. وفي الشهر نفسه (أيار)، وفي إطار الوضع العام في الشرق الأوسط وجمود عملية السلام، اتجهت سرورية نحو تطبيع حدود لعلاقتها مع العراق. فزارها وفد من اتحاد غرف التجارة العراقية للمرة الأولى منذ إغلاق الحدود بين البلدين في الثمانينات. وتبع ذلك تبادل زيارات لوفود تجارية أخرى.

في تشرين الأول، أعلنت بغداد طرد المفتشين الأميركيين العاملين مع الفرق الدولية المكلفة نزع أسلحة الدمار الشامل في العراق (أونسكوم)، وحرصت في الوقت نفسه على التعامل مع «أونسكوم» طالما أنها لن تضم أميركيين. وكشفت الأزمة الجديدة عزمًا روسيًا على تفعيل دور موسكو والوقوف بحزم، مع فرنسا، إلى جانب بغداد ومنع الولايات المتحدة من اتخاذ أي إجراء عسكري ضد العراق، وهو إجراء أعلنت دول المنطقة أيضًا معارضته.

في تشرين الثاني، نجح رئيس الدبلوماسية الروسية، يفغيني بريماكوف، في احتواء الموقف الأميركي، ما أجبر واشنطن على التشنيد على المخاطر الدبلوماسية مع التلويح باستخدام القوة. وموسكو أصرت على ضرورة أن ترى بغداد نورًا في نهاية نفق الخطر الدولي كي تستجيب للتعاون مع أونسكوم. ووافق العراق على عودة المفتشين الأميركيين مقابل اتفاق مع موسكو التي تعهدت بالعمل لرفع الخطر. ورغم هذه التطورات امتدت الأزمة إلى آخر ١٩٩٧، وبدأ ان رفض بغداد دخول فرق التفتيش «المواقع الحساسة» وقصور الرئاسة قد يفجر الوضع مجددًا.

وفي الشهر نفسه، نفذت تركيا عملية أخرى في شمالي العراق (كردستان العراق) لضمان عدم عودة مقاتلي أوجلان قبل حلول موسم الشتاء، وأجبرت قوات طالباني على العودة إلى خطوط وقف النار، واتخذت الولايات المتحدة موقفًا كان من الواضح أنه لم يعارض التدخل التركي، إذ لم تنشط لوقف نار جديد إلا بعدما انسحبت قوات طالباني إلى مواقعها السابقة.

وأيضًا في تشرين الثاني، بلغت الاتصالات السياسية بين سورية والعراق ذروتها حين استقبلت دمشق نائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز الذي أصبح المسؤول الأرفع مستوى الذي يزور دمشق بعد قطيعة استمرت منذ ١٩٨٠.

١٩٩٨: في ١٢ كانون الثاني، قررت بغداد منع

أخرى، وبرز الدور الروسي (وزير الخارجية الروسي، بريماكوف، المعروف بصدافته الشخصية لصلام حسين)، وبدرجة أقل الدور الفرنسي في حماية العراق من أي ضربة عسكرية ربما فكرت واشنطن في تنفيذها ردًا على طرد بغداد المفتشين الأميركيين من البعثة الدولية العاملة في العراق والتحدي المتزايد الذي أظهرته بغداد تجاه واشنطن. كما يميز هذا العام بنوع من الاختراقات الدبلوماسية على صعيد علاقات بغداد بالعواصم العربية خاصة دمشق.

في كانون الثاني، وصل إلى بغداد المدير العام للموائىء والجمارك في دبي، سلطان أحمد بن سليم، في أول زيارة لمسؤول إماراتي إلى العراق منذ حرب الخليج (وجعل نهاية السنة كانت دولة الإمارات أكثر الدول العربية اندفاعًا للدعوة إلى طي صفحة الماضي وتطبيع العلاقات العربية مع العراق).

في آذار، وصلت إلى العراق، عبر تركيا، أول شحنة من المواد الغذائية في إطار تطبيق قرار مجلس الأمن ٩٨٦: النقط مقابل الغذاء. وعاودت إسبانيا فتح سفارتها في بغداد بعدما بقيت موصدة طوال سبعة أعوام. وزار العديد من رجال الأعمال الإسبان بغداد منذ ١٩٩٦ لدرس إمكانات الاستثمار في السوق العراقية، وتوقيع صفقات في إطار اتفاق «النقط للغذاء».

في نيسان، بدأت بغداد أول حلقة من سلسلة تحدياتها للخطر الدولي. إذ هبطت في السعودية طائرة ركاب عراقية تحمل حجاجًا حلقت عبر الأجواء الأردنية متجهة للخطر الجوي. وعلى رغم الجهود الأميركية في مجلس الأمن لاصدار قرار يدين العراق، فشل أعضاء المجلس في التوصل إلى اتفاق بسبب المعارضة الروسية والفرنسية والصينية، ما شجع بغداد على انتهاك الخطر الجوي مجددًا بعد أيام ونقلت بطائرات هليكوبتر من منطقة الحدود حجاجًا عائدين من السعودية. ومرة أخرى فشلت واشنطن في حمل مجلس الأمن على اتخاذ أي إجراء ضد العراق.

في أيار، وفيما كانت الأوضاع تزداد توترًا منذ قبل أسابيع، نفذت القوات التركية أكبر عملية لها في كردستان العراق (شمالي العراق) منذ ١٩٩٥، وهذه المرة بتنسيق واضح مع الحزب الديمقراطي الكردستاني (مسعود برزاني). وجاءت هذه العملية بعدما انتهكت قوات الاتحاد الوطني الكردستاني (جلال طالباني) وقف النار وتقدمت في عمليات مشتركة مع مقاتلي حزب العمال الكردستاني (عبد الله أوجلان) في اتجاه مواقع استراتيجية يسيطر عليها برزاني. القوات التركية توغلت مسافة طويلة ودعمت



طارق عزيز و كوفي أنان  
يوافقان إتفاق شباط ١٩٩٨.

من تلك التي استخدمتها عندما شنت هجماتها في ١٩٩٣ و ١٩٩٦، لكنها بقيت تقبل كثيراً عما استخدمته في ١٩٩٠-١٩٩١. وبرزت روسيا في مقدمة الدول المعارضة لهذه العملية حتى انها لوّحت بالعودة إلى الحرب الباردة، ودعت كوفي أنان إلى زيارة عاجلة لبغداد.

في ٢٠ شباط، وصل أنان إلى بغداد في محاولة لتجنب العراق ضربة عسكرية اميركية يصعب التكهن بما يمكن ان ترتبه داخل العراق وانعكاسات ذلك على المنطقة والعلاقات الدولية. فكانت مهمته واحدة من أكثر المهمات خطورة وتعقيداً، ذلك ان الرئيس العراقي ذهب بعيداً في لعبة التصعيد ويصعب عليه الرجوع من دون الحصول على شيء ما لانقاذ ماء الوجه، وذهب الرئيس الاميركي بعيداً في التلويح بالقوة العسكرية ويصعب عليه القبول بخروج الرئيس صدام من الأزمة في صورة من يجمع في تسجيل نقاط. ففي هذا الهامش الضيق كان أنان يتحرك لضمان تنفيذ قرارات الامم المتحدة. وسارع مجلس الأمن إلى تبني قرار برفع قيمة النفط المسموح لبغداد ببيعه إلى ٥,٢ بليون دولار لفترة ١٨٠ يوماً، وذلك قبل ساعات من موعد اجتماع أنان مع الرئيس صدام حسين.

وفي اليوم الثالث من الزيارة توصل أنان إلى توقيع اتفاق (مذكرة تفاهم) مع القيادة العراقية لقي ترحيباً عراقياً وعربياً ودولياً. ويتيح الاتفاق لـ«فريق خاص» تفتيش المواقع الرئاسية من دون التقييد بأي مهلة زمنية، ويسجل آخر بنوده اهتمام العراق برفع العقوبات وإنهاء الحصار، ويراعي اعتبارات السيادة وخصوصية المواقع الرئاسية، وينص على تشكيل فريق خاص لتفتيش هذه المواقع يشكله الأمين العام ويضم دبلوماسيين وخبراء من اللجنة الخاصة

عمليات التفتيش التي يقوم بها فريق للمفتشين لأنه بقيادة اميركي، واعتبرت الولايات المتحدة هذا الإجراء خرقاً للقرارات الدولية. وقبل أربعة ايام فقط، كانت صحيفة واشنطن تلتمز نقلت عن تقرير لوكالة الاستخبارات المركزية الاميركية (سي.آي.إي) يحمل عبارة «سري» ان سورية والعراق يسعيان إلى تشكيل تحالف ضد الولايات المتحدة في الشرق الاوسط، وهذا المسعى كان بدأ منذ تشرين الثاني ١٩٩٧. وفي غضون ذلك كانت تجري مناورات بحرية تركية-اسرائيلية-اميركية تنفيذاً لخطة مشتركة وصفت بأنها «إنسانية تتعلق بتدريبات على انقاذ سفن صيد» (انتهت هذه المناورات في ٩ كانون الثاني).

في شباط، جدّد الرئيس الاميركي بيل كلينتون تحذيره الرئيس صدام حسين بأنه سيواجه القوة العسكرية ما لم يسمح للمفتشين الدوليين العمل بحرية وفي كل المواقع. وبدأت الولايات المتحدة استعداداتها العسكرية في حشد عسكري لا مثيل له منذ حرب الخليج الثانية (١٩٩٠-١٩٩١)، واقترنتها بمحلات دبلوماسية لكسب التأييد العالمي، فجالت وزيرة الخارجية الاميركية أولبرايت على عدد من الدول بينها دول عربية. وردّت بغداد بمحلمة دبلوماسية مضادة، أهم عناوينها زيارة وزير الخارجية العراقي محمد سعيد الصحاف دمشق ولقاؤه الرئيس حافظ الأسد، واعتبرت هذه الزيارة أكثر أهمية من زيارة طارق عزيز للعاصمة السورية قبل أشهر قليلة (تشرين الثاني ١٩٩٧). وفيما كان كوفي أنان، الأمين العام للامم المتحدة، يقوم بمفاوضات اللحظة الأخيرة لتجنب حرب جديدة، كانت الولايات المتحدة تستكمل انتشارها العسكري في الخليج، فأصبحت قواتها هناك أقوى بكثير



الرئيس صدام حسين (الى اليمين) مستقبلاً كوفي انا (شباط ١٩٩٨).

بتلر (الى اليسار) يطلع كوفي انا على نتائج محادثات في بغداد (آب ١٩٩٨).





وأكد الصحاف للسفراء والمندوبين العرب في الأمم المتحدة ان العراق ملتزم مذكرة التفاهم التي وقعها مع كوفي أنان. لكن رئيس لجنة «أونسكوم»، ريتشارد بتلر، أشار في تقريره نصف السنوي الذي طرح امام مجلس الأمن (٢٧ نيسان) ان العراق لم يحقق خلال الشهر السنته الماضية أي تقدم عملي في عملية نزع سلاحه. ووصف السعدي، كبير مسؤولي الفريق العراقي المفاوض للجنة الخاصة التقرير بأنه «الأسوأ على الاطلاق ومتطرف ومشبه ويخدم الاغراض السياسية للادارة الامريكية وبريطانيا منذ بدء مهمات اللجنة بعد حرب الخليج».

في ايار، زار نائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز باريس واجتمع بالرئيس الفرنسي جاك شيراك والأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان، كما زار الفاتيكان والتقى البابا وطلب منه دعم جهود العراق لرفع الحظر (بعد ايام)، أعلن الكاردينال روجيه أتشيغاري ان البابا يرغب في زيارة العراق). وفي الشهر نفسه، قام وزير الخارجية العراقي محمد سعيد الصحاف بجولة إلى دول عربية وأفريقية. وجاء هذا النشاط الدبلوماسي العراقي إثر مخاوف من فشل اجتماعات لندن (٤ ايار) بين وزيرة الخارجية الامريكية سادلين أولبرايت وكل من ياسر عرفات وبنيامين نتانياهو، ما يفسر ادراك بغداد لارتباط الموضوعين: قضيتها المباشرة وقضية الشرق الاوسط.

في الاسبوع الاول من حزيران، أعلنت بغداد انها استكملت الترتيبات النهائية لجعل خط أنساب النفط العراقي-السوري جاهزاً لنقل النفط العراقي. وفي ٢٤ حزيران، انعقد مجلس الأمن للاستماع إلى رئيس اللجنة المكلفة إزالة اسلحة الدمار الشامل العراقية (أونسكوم) ريتشارد بتلر الذي عليه ان يثبت ان بغداد زودت، قبل حرب الخليج، رؤوس صواريخ غاز الاعصاب «في إكس» القاتل، الأمر الذي نفته بغداد بتحدداً. وقرّر المجلس الابقاء على العقوبات المفروضة على العراق لمدة ستين يوماً جديدة. ووافق بتلر، في ظل تساؤلات داخل مجلس الأمن، على إجراء اختبارات إضافية على عينات صواريخ عراقية مدمرة في مختبرات فرنسية وسويسرية بعدما أكدت مختبرات امريكية انها حوت غاز الأعصاب «في إكس».

وفي ٣٠ حزيران، أعلنت وزارة الدفاع الامريكية أن إحدى طائراتها أطلقت صاروخاً على موقع رادار عراقي قرب البصرة «رصد طائرات بريطانية كانت تحلق فوق جنوبي العراق»، وان الولايات المتحدة ستواصل



السفير ريتشارد بتلر لدى وصوله الى بغداد في ٢ آب ١٩٩٨.

المكلفة إزالة الاسلحة المخطورة (أونسكوم). ونص الاتفاق (مذكرة التفاهم) على سبع نقاط ووقعها كوفي أنان ونائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز.

في ليل ٢-٣ آذار، وافق مجلس الأمن الدولي على مشروع القرار البريطاني-الياباني المتعلق بتنفيذ اتفاق بغداد (مذكرة التفاهم)، وأصدر القرار ١١٥٤ الذي اشاد «بالمبادرة التي قام بها الأمين العام للحصول على تعهدات من حكومة العراق في شأن الوفاء بالتزاماتها بموجب القرارات ذات الصلة، وفي هذا الصدد يقر مذكرة التفاهم الموقعة بين نائب رئيس وزراء العراق والأمين العام في ٢٣ شباط ١٩٩٨ ويتطلع إلى تنفيذها الكامل من دون إبطاء». وفي ٥ آذار، عين أنان ممثلاً خاصاً له في بغداد هو براكاش شاه (هندي). وفي ٢٣ آذار أنهى فريق تفتيش دولي ودبلوماسيون أول عملية في إطار تفتيش القصور الرئاسية العراقية، وتزامنت هذه العملية مع مغادرة ريتشارد بتلر، رئيس اللجنة الخاصة المكلفة نزع أسلحة الدمار الشامل العراقية بغداد وتأكيد ارتياحه إلى «التعاون العراقي».

في نيسان، وللمرة الاولى منذ حرب الخليج الثانية اجتمع وزير عراقي (هو وزير الخارجية محمد سعيد الصحاف) بالمجموعة العربية لدى الأمم المتحدة لاحاطة السفراء العرب بالمواقف والطروحات العراقية، وللمرة الاولى أيضاً يحضر مندوب الكويت اجتماعاً للمجموعة العربية طلب العراق عقده، وكان خالياً من أي «تشنج».

الحظر يستهدف الشعب العراقي نفسه عبر فرض التجويع عليه، ليس على صعيد الغذاء وإنما على صعيد الصحة والدواء حتى يأتي جيلان عراقيان وربما أكثر أنهكهما المرض، فلا تعود لهما قدرة على العمل والانتاج. وما ينطبق على الصحة ينطبق على العلم والثقافة. وإلا ما معنى حظر الورق والبعثات العلمية وملاحقة علماء العراق ووضعهم على لوائح سوداء ممنوعهم من الاطلاع على كل جديد في ميادينهم؟ ويرى العراقيون الذين لم يقطعوا حبس قوميتهم على رغم الألم الذي يتحدثون به، أن الهدف الآخر بعد التجويع بجميع صورته وأشكاله، هو فصل العراق عن محيطه، ودفعه إلى العزلة والانعزال بحيث يتحول إلى مساحة جغرافية محدودة من دون دور يمنحه حجمًا يستحقه من خلال التفاعل والممارسة («الوسط»، العدد ٣٤١، تاريخ ١٠ آب ١٩٩٨، ص ١٥).

القضايا المركزية في قرارات مجلس الأمن:  
الحصار، الحدود، العسكرية والتعويضات:

- قضية الحصار، القرار ٦٦٦:

جاء في الفقرة الثالثة: يقرر مجلس الأمن أن يمنع جميع الدول ما يلي:

أ: استيراد أي من السلع والمنتجات التي يكون مصدرها العراق أو الكويت وتكون مصدرتها منهما إلى أقاليمها.

ب: أي أنشطة يقوم بها رعاياها يكون من شأنها تعزيز التصدير أو الشحن أو السفن التي ترفع علمها.

ج: أي عمليات توريد أو بيع بما في ذلك الأسلحة.

- قضية الحدود، القرار ٦٨٧:

الفقرة ألف:

٣: يطلب مجلس الأمن إلى الأمين العام ان يساعد في اتخاذ الترتيبات اللازمة مع العراق والكويت لتخطيط الحدود بينهما، مستعيناً بالمواد المناسبة، بما في ذلك الخريطة الواردة في وثيقة مجلس الأمن رقم ٢٢٤١٢.

الفقرة باء:

٥: يطلب إلى الأمين العام ان يقدم إلى مجلس الأمن للموافقة، خطة للانتشار الفوري لوحدة مراقبة تابعة للامم المتحدة لمراقبة محور عبد الله ومنطقة منزوعة السلاح تمتد مسافة عشرة كيلومترات داخل العراق وخمسة كيلومترات داخل الكويت من الحدود المشار إليها في محضر

عمليات فرض الحظر الجوي، وانها «ستتخذ عملاً حاسماً» ردًا على أي «عمل عدائي عراقي». واعتبرت بغداد أن المحجور الاميركي ربما كان خطوة نحو «عدوان جديد شامل على العراق».

في أواسط تموز، أعلن وزير النفط، العراقي والسوري، إعادة فتح أنبوب النفط المشترك (مغلق بينهما منذ ١٩٨٢). فيكون البلدان بذلك قد حققا ابرز خطوة منذ انطلاق التطبيع بينهما في أيار ١٩٩٧. ومع طهران، استمرت بغداد تحسّن علاقاتها معها، وتُرج هذا التحسن بعبور قافلة إيرانية من زوار العتبات المقدسة الشيعية في العراق نقطة للتذرية الحدودية للمرة الأولى (١٥ آب ١٩٩٨) منذ ١٨ سنة، واستقبلها العراقيون بحفاوة.

في ٢١ تموز، وقبل عشرة أيام من زيارة ريتشارد بتلر رئيس اللجنة الخاصة المكلفة نزع أسلحة الدمار الشامل (أونسكوم)، شدد بيان صدر بعد اجتماع مشترك رأسه صدام حسين مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب البعث الحاكم على أن «ما أُنجزه العراق خلال أكثر من سبع سنوات من متطلبات قرار مجلس الأمن الرقم ٦٨٧ يستدعي المباشرة فوراً برفع الحصار».

في ٣ آب، شن نائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز، بعد محادثات بينه وبين بتلر، هجومًا عنيفًا على المفتشين الدوليين، ووصف بتلر بأنه «يخدم السياسة الاميركية».

في ٥ آب، أوصى المجلس الوطني (البرلمان العراقي) القيادة العراقية بوقف فوري للتعاون مع لجنة المفتشين الدوليين. وفي اليوم التالي اجتاح بغداد تظاهرات شعبية هددت بطرد خبراء اللجنة الخاصة، في حين كان يتلر يطلع أمين عام الأمم المتحدة كوفي أنان على رفض طارق عزيز «تسليمه وثيقة تتعلق بنزع الأسلحة الكيماوية العراقية، كانت اللجنة الخاصة أكدت العثور عليها في مقر قيادة القوات الجوية العراقية». فبدأ أنان يوجه اتهامه للعراق بـ «انتهاك قرارات مجلس الأمن»، وعدم الالتزام بالاتفاق الذي وقعه مع طارق عزيز في ٢٣ شباط ١٩٩٨. وفي غضون ذلك أعلن وزير الصحة العراقي أن حوالي ١٤٤ مليون طفل عراقي توفوا بسبب انعكاسات العقوبات التي فرضتها الأمم المتحدة على العراق. أما الكونغرس الاميركي فقد سارع إلى تبني قرار يعتبر أن العراق لا يزال ينتهك قرار مجلس الأمن ٦٨٧، في حين واصلت الادارة الاميركية تهديدها للعراق.

وأما العراقيون «فيسود بينهم اعتقاد شبه عام بأن

٤ تشرين الاول ١٩٦٣ بين العراق والكويت (المحضر أو البروتوكول المشار إليه من العام ١٩٦٣ لم يكن مصدقاً عليه من قبل الحكومة العراقية).

القرار ٧٧٣:

الفقرة الثالثة: يرحب مجلس الأمن بقرار اللجنة (مراقبة الحدود) ان تنظر في اجزاء الشرقي من الحدود الذي يشمل الحدود البحرية، ويحث اللجنة على ان تخطط هذا الجزء من الحدود في أقرب وقت ممكن.

الفقرة ٥: يرحب مجلس الأمن باعتراف الأمين العام ان يجري إعادة تخطيط المنطقة المنزوعة السلاح لكي تتوافق مع الحدود الدولية التي خططتها اللجنة مع ما يترتب على ذلك من إزالة مراكز الشرطة العراقية.

- القضايا العسكرية:

القرار ٦٨٧:

المادة جيم:

٨: يقرر مجلس الأمن ان يقبل العراق، دون أي شرط، القيام، تحت إشراف دولي، بتدمير ما يلي أو إزالته أو جعله عديم الضرر:  
ألف: جميع الأسلحة الكيميائية والبيولوجية وجميع ما يتصل بهما من مرافق البحث والتطوير والدعم والتصنيع.

باء: جميع الصواريخ البالستية التي يزيد مداها عن ١٥٠ كلم والقطع الرئيسية المتصلة بها، ومرافق اصلاحتها وإنتاجها.

٩: ألف: يقدم العراق بياناً بمواقع وكميات وأنواع جميع المواد المحددة في الفقرة ٨ ويرافق على إجراء تفتيش عاجل في المواقع على النحو المحدد أدناه: تشكيل لجنة تقوم باعمال التفتيش في المواقع على قدرات العراق البيولوجية والكيميائية

١٢: يقرر مجلس الأمن ان يوافق العراق دون أي شرط على عدم حيازة أو إنتاج أسلحة نووية أو مواد يمكن استعمالها للأسلحة النووية أو أي مرافق بحث أو تطوير تتصل بما ذكر أعلاه. وان يمتنع جميع ما لديه من مواد يمكن استخدامها في الاسلحة النووية للرقابة الحصرية للوكالة الدولية للطاقة الذرية، والقيام بتفتيش عاجل للمواقع.

- قضايا التعويضات:

القرار ٦٨٧:

المادة هاء:

١٦: يؤكد مجلس الأمن ان العراق مسؤول بمقتضى القانون الدولي عن أي خسارة مباشرة أو ضرر مباشر، بما في ذلك الضرر اللاحق بالبيئة واستنفاد الموارد الطبيعية، أو ضرر وقع على الحكومات الاجنبية أو رعاياها أو شركاتها، نتيجة لغزو العراق للكويت.

١٨: يقرر مجلس الأمن إنشاء صندوق لدفع التعويضات المتعلقة بالمطالبات التي تدخل في نطاق الفقرة ١٦، وإنشاء لجنة لإدارة الصندوق.

القرار ٧٠٥:

٢: يقرر مجلس الأمن وفقاً للاقتراح الذي قدمه الأمين العام، ألا تتجاوز التعويضات التي يتعين على العراق دفعها (الناشئة عن القرار ٦٨٧) ٣٠٪ من القيمة السنوية لصادرات النفط ومنتجاته من العراق.

القرار ٨٩٩:

إن مجلس الأمن وقد نظّر في رسالة الأمين العام المتعلقة بمسألة المواطنين العراقيين وما لهم من ممتلكات أصبحت على الأراضي الكويتية في أعقاب تخطيط الحدود الدولية الجديدة بين العراق والكويت يرحب بالترتيبات المبينة في هذه الرسالة.

العلاقات العراقية-الخليجية: يتمتع العراق بثالث أكبر مساحة بين الدول الخليجية اللباني، بعد المملكة العربية السعودية وايران. ومع ذلك لا تتجاوز سواحله المطلّة على الخليج العشرة أميال، أي ما نسبته ٠,٤٪ من إجمالي سواحل الخليج، في حين تمتلك البحرين التي تعد الأصغر مساحة في الخليج ساحلاً يصل طوله إلى ٦٨ ميلاً، وفي المقابل تمتلك ايران ساحلاً خليجياً طوله ٦٣٥ ميلاً، أي ما نسبته ٣٥,٢٪ من طول سواحل الخليج، وتمتلك المملكة العربية السعودية ساحلاً خليجياً طوله ٢٩٦ ميلاً، أي ما نسبته ١٦,٥٪ من سواحل الخليج.

على هذه الخلفية كان النزاع الحدودي الأهم بين العراق وايران (شط العرب)، وبينه وبين الكويت ليتسنى له المزيد من الاطلالة على الخليج. وفي تموز ١٩٨١، تقبلت العراق بطلب رسمي إلى الكويت لتأجير جزءاً من جزيرة بويان لمدة ٩٩ عاماً، وقال الرئيس العراقي يومها إن الهدف من ذلك «إقامة قاعدة بحرية للدفاع عن أمن العراق والكويت»، ولكن الكويت رفضت هذا الطلب.

العراقية التي جرى التوقيع عليها في ٢٧ كانون الاول ١٩٨١.

مع دخول العراق في حرب طويلة مع ايران، وجدت دول الخليج العربية نفسها في وضع شديد التعقيد، وبدأت تعاني من نزف مالي بسبب دعمها للعراق الذي استمر مع استمرار الحرب.

أما العلاقات العراقية-الخليجية بدءاً من انتهاء حرب الخليج الثانية فيمكن رصدها عبر النقاط التالية:  
مع عُمان، ذكرت صحيفة «الجمهورية» العراقية، في ٢١ ايار ١٩٩١، ان سلطنة عُمان قد أصدرت فتح سفارتها في بغداد لتكون بذلك أول دولة خليجية تقدم على هذه الخطوة بعد الحرب. كذلك كانت عُمان الدولة الخليجية الوحيدة التي استقبلت، بعد هذه الحرب، وفوداً رسمية عراقية، كان أبرزها زيارة وزير الخارجية العراقي محمد سعيد الصحاف (في آذار ١٩٩٥) الذي زار ايضاً الدوحة (قطر).

مع قطر، بدأت العلاقات تسجل تطوراً لافتاً في نهاية تشرين الاول ١٩٩٢، حينما أعلن في الدوحة وبغداد عن تسلّم الرئيس العراقي رسالة من القيادة القطرية. وفي آذار ١٩٩٣، كشف وزير الخارجية القطري محمد بن جاسم بن جبر آل ثاني عن وساطة قطرية بين العراق والكويت لاطلاق مسراح المختجرين الكويتيين في العراق. وفي تموز ١٩٩٣، وافقت قطر على إرسال فريق رياضي لكرة القدم إلى بغداد لخوض مباراة ودية مع إحدى الفرق الرياضية العراقية. فرفضت بذلك قطر الحظر الرياضي المفروض على العراق. وفي اواخر نيسان ١٩٩٤، افتتح في الدوحة اسبوع ثقافي عراقي شمل معرضاً للكتاب وآخر للفنون التشكيلية.

مع دولة الامارات العربية المتحدة، فقد أطلقت هذه الدولة، منذ ١٩٩٥، عدة دعوات رسمية لرفع الحصار عن العراق. ففي كانون الثاني ١٩٩٥، دعا الشيخ عماد بن راشد آل مكتوم، وزير الدفاع الاماراتي، في أول تصريح في نوعه لوزير خليجي، الكويت لمد «جسور المحبة» مع الشعب العراقي «لأن قدر العراق ان يكون دولة عربية مسلمة حارة للكويت وكذلك الكويت»، وقال «إن الامارات شاركت في الدفاع عن الشعب الكويتي عندما كان يعاني ولا يجوز ان تتواصل معاناة الشعب العراقي الآن»، معتبراً «ان العراق قام بمعظم ما طلب منه المجتمع الدولي». وفي تشرين الاول ١٩٩٥، دعا الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رئيس دولة الامارات، إلى رفع الحصار

وفي ١٠ تشرين الثاني ١٩٩٤، اعترف العراق رسمياً بسيادة الكويت وحدودها كما رسمتها اللجنة الدولية الخاصة المنبثقة عن الأمم المتحدة بموجب قرار مجلس الأمن ٦٨٧.

وقد اعتمدت هذه اللجنة، في ترسيمها للحدود العراقية-الكويتية، بروتوكول ١٩٦٣ (بعد سقوط حكم قاسم، واتجاه حكم عارف للمصالحة مع الخليجيين) الذي كان اعتمده، بدوره، على تعريف ١٩٣٢ للحدود بين العراق والكويت، والمبني هو الآخر على اتفاق ١٩٢٣ المستند إلى اتفاقية الخط الأزرق لعام ١٩١٣ بين بريطانيا والدولة العثمانية والتي لم يصادق عليها بسبب نشوب الحرب العالمية الاولى.

رفض العراق، في ١٩٤٠، التفسير البريطاني للحدود المقدم في العام ١٩٣٢. وبقي رافضاً ومتصاعداً في اللهجة حتى وصل الأمر إلى تحريك قواته على الحدود في ١٩٦١ بقصد ضم الكويت إليه. لكن بعد نحو عامين، قبل صراحة بحدود بروتوكول ١٩٦٣ بينه وبين الكويت.

لكن، بعد سقوط نظام عبد الرحمن عارف إثر حركة ١٧ تموز ١٩٦٨ توترت العلاقات العراقية-الخليجية:

مع السعودية، شعر العراق بأن الرياض قد ورثت القاهرة في مقولة الامساك بزمام المبادرة العربية، في حين كانت بغداد تصير جاهدة للاضطلاع بهذا الدور.

مع البحرين، سعت بغداد للاستفادة من خصوصية المناخ الثقافي والاجتماعي للساحة البحرينية، فمدت الجسور مع بعض فئات المجتمع البحريني، وفي ١٩٧٦ اتهمت المنامة بصورة ضمنية بغداد بالوقوف خلف أحداث «ماسة بالأمن الوطني»، واخذت وزارة التربية قراراً بمنع إيفاد الطلبة البحرينيين للدراسة في الجامعات العراقية.

مع عُمان، دعمت بغداد الحركة المسلحة في إقليم ظفار، وقادت حملة للتنديد بالتدخل البريطاني والایراني في عُمان.

إثر سقوط شاه ايران، صعّد العراق من تهويله بـ«الخطر» الإيراني على الدول العربية الخليجية، وانتهج سياسة تقارب مع السعودية والدول العربية الخليجية، مستفيداً من مبدأ الفصل الاميركي بين أمن الخليج وقضية النزاع العربي-الاسرائيلي. وأمضى عزت الدوري، وزير الداخلية العراقي، سبعة ايام في المملكة العربية السعودية (شباط ١٩٧٩) ووقع مع الرياض اتفاقية تعاون أمني. وقد مهدت هذه الاتفاقية إلى معاهدة ترسيم الحدود السعودية-



متظاهرون عراقيون يطالبون برفع العقوبات ويؤكدون دعمهم سياسة الرئيس العراقي.

دروز سوربون يتظاهرون في مجدل شمس (١٠ شباط ١٩٩٨) حاملين  
صور الرئيسين حافظ الاسد وصدام حسين احتجاجا على خطط حرب العراق.



عائق النظام العراقي الذي استمر في مماطلته وتسويفه إزاء تنفيذ القرارات الرقم ٧٠٦ و ٧١٢ و ٩٨٦ المتعلقة بمعالجة الاحتياجات الانسانية للشعب العراقي». وفي شباط ١٩٩٧، أكد وزير الدفاع السعودي الامير سلطان بن عبد العزيز في حديث أدلى به في واشنطن بعد اجتماع ضمّه والرئيس الاميركي بيل كلينتون ان على العراق تنفيذ قرارات مجلس الأمن «حتى يرى الشعب العراقي المضطهد نعمة الأمن والاستقرار والاستقلالية ويعيش حياة كريمة بين أخوته الشعوب العربية».

وأما مع الكويت، فقد استمرت هذه الدولة متشددة، وقد بدأ ذلك واضحاً في كافة تفاصيل خطابها الرسمي والشعبي. وحين أصدرت بغداد قراراً احترفت فيه بالكويت وحدودها أكتفى مجلس الوزراء الكويتي بإصدار بيان اعتبر فيه ان الاجراء العراقي «خطوة في الاتجاه الصحيح»، لكن المطلوب اتخاذ خطوات اخرى لتنفيذ كل قرارات مجلس الأمن المتعلقة بحرب الخليج «لثبوت العراق نواياه السلمية»، وناشدت القيادة الكويتية «الدول الاعضاء في مجلس الأمن الاستمرار في مواقفها الحازمة في إلزام العراق بالإفراج عن أسرى الكويت». وحين دعا الشيخ زايد لرفع الحصار عن العراق، بنت إذاعة الكويت تعليقا جاء فيه «ان ما أحدثه الغزو العراقي للكويت لا يمكن ان يُنسى. فالجرح الناجم عن تلك الطعنة الغادرة لا يزال ينفذ...». وفي آذار ١٩٩٧، قال رئيس مجلس الأمة الكويتي أحمد السعدون خلال افتتاحه اجتماع الأسماء العامين لمجلس «الشورى الوطني والامة» في دول مجلس التعاون الخليجي، ان نظام الرئيس العراقي صدام حسين «لا يزال سائراً في إصراره على عدم الامتثال التام لتنفيذ كل قرارات مجلس الأمن ذات الصلة بهذا العدوان مما يستدعي استمرار ممارسة الضغط عليه بكل السبل حتى يعادل عن صلفه وينفيء إلى صوت الحق». لكن هذا الموقف المتشدد للكويت بدأ يعرف بعض الليونة منذ نيسان ١٩٩٨ عندما حضر مندوب الكويت للمرة الاولى اجتماعاً للمجموعة العربية لدى الامم المتحدة طلب العراق عقده، وكان خالياً من أي تشنج، وجاء بعد توقيع العراق مع كوفي أنان «مذكرة التفاهم». (للمزيد، راجع «الخليج العربي»، ج ٨، ص ١٠٦-١٢٩).

عن الشعب العراقي، وقال لدى استقباله عدداً من السفراء الجدد في أبو ظبي «ان رفع الحصار والمعاناة عن الشعب العراقي أصبح واجباً، كما ان وقت المصالحة العربية قد حان». وفي شباط ١٩٩٦، أرسلت دولة الامارات سفينة عمّلة بنحو ٤ آلاف طن من الأغذية والادوية إلى ميناء أم قصر العراقي، وهي بذلك ثالث دولة عربية تقدم على هذه الخطوة بعد عُمان وقطر. وبعد قبول العراق قرار مجلس الأمن ٩٨٦ المعروف بقرار «النفط مقابل الغذاء»، شهدت أسواق دبي حركة تصدير نشطة إلى الاسواق العراقية، حيث أبرم تجار محليون مع تجار عراقيين عدداً كبيراً من الصفقات تناولت مواداً غذائية وأدوية. وفي كانون الاول ١٩٩٦، قنرت أساطل تجارية بحجم المشتريات العراقية بين ٥ و ٧ ملايين دولار يومياً، وهي تركز على السكر والرز وزيت الطعام والحبوب والادوية، ويتم شحنها إلى العراق عن طريق ميناء الحميرة في دبي. وفي كانون الثاني ١٩٩٧، وصل إلى بغداد المدير العام للدائرة الموانئ والجمارك في دبي كأول مسؤول خليجي يزور العراق منذ حرب الخليج الثانية، وطيلة ١٩٩٧ وحتى اليوم (اواسط ١٩٩٨) والامارات تصدر الدول العربية الداعية لرفع الحظر عن العراق وإجراء المصالحة العربية الشاملة معه.

مع البحرين، كانت العلاقات متقاربة مما كانت عليه مع الامارات من حيث الدعوة إلى رفع الحصار عن العراق. وقد ركزت صحف البحرين على هذه القضية بشكل مسهب ودائم. وفي مطلع تشرين الاول ١٩٩٦، وفي خطوة لافتة، حضر القائم بالاعمال العراقي في البحرين حفل افتتاح الدورة الخامسة لانعقاد مجلس الشورى البحرينى. وفي وقت لاحق زار بغداد وفد تجاري بحرينى لدراسة آفاق التعاون التجاري بين البحرين والعراق وسبل المساهمة في رفع المعاناة عن الشعب العراقي.

مع المملكة العربية السعودية، فقد استمر الموقف السعودي من العراق قريباً جداً من موقف الكويت (١٩٩١-١٩٩٨). ففي كلمته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في تشرين الاول ١٩٩٥، أكد وزير الخارجية السعودي الامير سعود الفيصل، تعاطف بلاده مع شعب العراق، إلا انه حمل بغداد مسؤولية استمرار معاناته، وقال «إن المجتمع الدولي يعلم ان المسؤولية في ذلك تقع على

## الاحزاب

### في العهد الملكي ١٩٢١-١٩٥٨

#### ١- الحزب الوطني العراقي:

أول الاحزاب العراقية بالمفهوم الحديث للحزب، أسس رسمياً في آب ١٩٢٢ برئاسة عماد جعفر أبو الثمن. وتعود جذوره إلى ١٩٢١ عندما عقد مجموعة من الزعماء السياسيين العراقيين اجتماعات لمناقشة الموقف في البلاد قبيل تنويع فيصل بن الحسين ملكاً على العراق. ويسود ان معارضة الانكليز، وفصل في بادئ الأمر، حالت دون الاجماع على تأليف الحزب، ولكن بعض السياسيين أصروا على المضي في تأليف الحزب ولو بصورة سرية، فألفوا جمعيتي «الحزب الوطني العراقي» و«جمعية النهضة العراقية» للتعبير عن آراء الحركة الوطنية ومعارضة التسلط البريطاني. وقد اضطرت الحكومة، بعد ماطلة، إلى السماح للجمعيتين بالعمل العلني، إلا ان السلطات البريطانية اغتصمت فرصة تقديمهما عريضة مشذكة لمناسبة مرور عام على تنويع الملك فيصل في ٢٢ آب ١٩٢٢ لفتتا فيها النظر إلى ضرورة وقف التدخل البريطاني في الامور الداخلية للعراق وإجراء انتخابات حرة، للتكليف بالجمعيتين المذكورتين وتعطيل جريدتي «المفيد» و«الرافدين» وإبعاد مديريهما وإرسال طائرات للاغارة على بيوت القبائل المؤيدة لهما والايحاز لنجل عبد الرحمن النقيب بتأسيس «الحزب الحر العراقي» لناوآتهما. وقد استعاد الحزب الوطني العراقي انفاسه في ١٩٣٠ واتفق مع حزب الاخاء الوطني على التآلف للعمل ضد وزارة نوري السعيد وسياستها، وانفرط عقد هذا التحالف في ١٩٣٣ بعد تولي رشيد عالي الكيلاني رئاسة الوزارة. وفي ١٩٣٦، قام جعفر أبو الثمن وكامل الجادر جي بتأسيس جمعية الاصلاح الشعبي.

#### ٢- الحزب الحر العراقي:

أسسه، في ايلول ١٩٢٢، محمود النقيب بايعاز من الانكليز ولدعم وزارة أبيه عبد الرحمن النقيب بعد أن اقدمت السلطات البريطانية على قمع العناصر الوطنية في الحزب الوطني العراقي وجمعية النهضة العراقية. وسرعان ما استفد الانكليز الاهداف المتوخاة من تأليف هذا التجمع بعد عقد المعاهدة البريطانية-العراقية في ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢ والمتضمنة بنود الانتداب البريطاني على العراق.

وبعد استقالة الوزارة النقيب في تشرين الثاني ١٩٢٢، اضمحل الحزب تلقائياً، أي انه لم يعيش لأكثر من شهرين تمّ خلالها عقد المعاهدة وضرب الحزب الوطني العراقي.

#### ٣- حزب الأمة:

تجمع ليبرالي عراقي أسسه ناجي السويدي ومحمد جعفر الشبيبي في آب ١٩٢٤. اقتصرت مطالبه على الاسراع في إتمام الدستور وانهاج الحياة النيابية في السياسة، ولم يكن له كبير اثر في مجريات الامور.

#### ٤- حزب الاستقلال الوطني:

تشكل في ايلول ١٩٢٤ برئاسة عبد الله العمري، ومركزه الموصل، وهدف للدفاع عن المصالح الوطنية في قضية الحدود والنزاع على ولاية الموصل بين العراق وتركيا. وقد بذل هذا الحزب جهوداً كبيرة للدفاع عن عروبة الموصل، وأصدر في ١٩٢٥ جريدة «العهد».

#### ٥- حزب التقدم:

أول تجمع نيابي عراقي موال للانكليز، أسسه عبد المحسن السعدون في صيف ١٩٢٥. وبالرغم من انتماء أكثرية اعضاء المجلس النيابي إلى صفوفه. فلان مرشح المعارضة رشيد عالي الكيلاني لرئاسة المجلس فاز على مرشح التقدم حكمت سليمان، الأمر الذي اضطر السعدون إلى تقديم استقالته. وقد ساند السعدون وزارة جعفر العسكري الذي خلفه. وعندما دعي السعدون إلى تأليف الوزارة للمرة الثالثة في مطلع ١٩٢٨، استصغر إرادة ملكية لحل المجلس النيابي منتقداً الاحزاب الموجودة في المجلس. وعندما تولى نوري السعيد الوزارة في ١٩٣٠ شكل حزباً له وحل المجلس النيابي، فاضمحل حزب التقدم وبرزت تجمعات سياسية جديدة.

#### ٦- حزب الشعب العراقي:

حزب يساري تم تشكيله في نيسان ١٩٤٦ برئاسة عزيز شريف، واقدمت على حله وزارة صالح جبر في ايلول ١٩٤٧.

#### ٧- حزب العهد العراقي:

ألفه نوري السعيد على اثر توليه رئاسة الوزارة في ١٩٣٠ وعقده للمعاهدة مع بريطانيا في العام نفسه واقدمه على حل المجلس النيابي بقصد السيطرة على المجلس النيابي

فلسطين وتقوية الجيش وبالاصلاحيات الاجتماعية والقضائية والجزائية. شارك بشخص رئيسه في حكومة محمد الصدر التي تشكلت بعد وثبة كانون الثاني ١٩٤٨. لجأ إلى العمل السري وحاول الاشتراك في تآليف حزب سياسي باسم المؤتمر الوطني، وذلك بالتعاون مع الحزب الوطني الديمقراطي ولكنه لم ينجح في ذلك. انضم في ١٩٥٦ للجبهة الوطنية وكانت له مواقف وطنية وقومية مشهورة. وعلى الرغم من نظراته الاصلاحية لم يستطع الحزب ان يتطور مع الاحداث في ما يتعلق بالمفاهيم الاجتماعية الثورية، ومع بداية توسع حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق في النصف الاول من الخمسينات أخذ عنصر الشباب المتحمس في صفوفه يتجه نحو حزب البعث بحيث أصبح حزب الاستقلال بمجرد تجمع سياسي لوجوه سياسية قومية أدركها التقاعد في أواخر الخمسينات والستينات.

#### ١١- حزب الأمة الاشتراكي:

حزب يميني، تأسس في ١٩٥١ برئاسة صالح جبر وضمّ العديد من الاقطاعيين والرأسماليين الذين انشقوا عن نوري السعيد وحزبه، حزب الاتحاد الدستوري، دون ان يخالفوه الموالاة للغرب وللنظام الملكي القائم. وكان لحزب الامة الاشتراكي جريدة ناطقة باسمه تدعى «الامة». ألغى هذا الحزب بعد انتفاضة ١٩٥٢ التي وقعت عندما أعلنت وزارة نور الدين محمود الاحكام العرفية.

#### ١٢- حزب الاتحاد الدستوري:

حزب يميني أسسه وترأسه نوري السعيد في ١٩٥١. ضم في صفوفه العناصر الاقطاعية والرأسمالية من أنصار نوري السعيد، أمثال عبد الوهاب مرجان وخلييل كنه وضياء جعفر وجميل الأورفلي. وأصدر الحزب جريدة «الاتحاد الدستوري» الناطقة باسمه، وأخرى في الموصل باسم «الدستور». ألغى الحزب بعد انتفاضة ١٩٥٢، وتسلم نور الدين محمود رئيس اركان الجيش رئاسة الوزارة وإقدامه على إلغاء الاحزاب وإعلان الاحكام العرفية.

#### ١٣- الجبهة الشعبية المتحدة:

تكتل سياسي عراقي معارض تكون في ١٩٥١ من مجموعات من الجبهة الدستورية اليرلمانية وجبهة المعارضة اليرلمانية والحزب الوطني الديمقراطي وبعض أعضاء حزب الاحرار برئاسة طه الهاشمي. وكانت أهداف التكتل

الجديد وتمير المعاهدة الجديدة. وقد اضمحل هذا الحزب بعد استقالته في ٢٧ تشرين الاول ١٩٣٢ وتولي ناجي شوكت رئاسة وزارة انتقالية حلّت المجلس النيابي.

#### ٨- حزب الإخاء الوطني:

أسسه ياسين الهاشمي وناجي السويدي ورشيد عالي الكيلاني في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٠، وحله ياسين الهاشمي نفسه عندما تولى الحكم، كما حل بقية الاحزاب في آذار ١٩٣٥. تضمن المنهاج السياسي لهذا الحزب العمل على تشجيع الصناعة الوطنية.

#### ٩- جمعية الاصلاح الشعبي:

انبثقت، في تشرين الثاني ١٩٣٦، عن جماعة الأهالي ممثلة بجمعة أبو التمن وكامل الجادرجي، وكانت ذات ميول وطنية. ايدت التقارب بين البلاد العربية وتقوية الصلات مع الهيئات الشعبية فيها، وإفساح المجال لإبداء الآراء والحريات الديمقراطية التقدمية، وإلغاء القوانين الزراعية الجائرة وقيام الحكومة بالمشاريع الصناعية. ويدعو ان اللهجة التقدمية التي تميزت بها هذه الجمعية دفعت الطبقة السياسية الحاكمة للقضاء عليها بسرعة.

#### ١٠- أحزاب نيسان ١٩٤٦: هي أربعة أحزاب أعطيت ترخيصاً في نيسان ١٩٤٦:

- حزب الاتحاد الوطني: سياسي يساري، ضم عبد الفتاح ابراهيم الذي ترأس لجنته السياسية، وناظم الزهاوي وجميل كبه وناصر الكيلاني وعبد الاله مسعود ومحمد صالح بحر العلوم ومحمد مهدي الجواهري وكاظم الدجيلي. وقد أصدر جريدة ناطقة باسمه هي «السياسة» ثم «صوت السياسة»، إلا ان وزارة صالح جبر سحبت ترخيصه في ٢٧ ايلول ١٩٤٧.

- حزب الشعب العراقي: حزب يساري، تزعمه عزيز شريف. حلته وزارة صالح جبر في ايلول ١٩٤٧.

- حزب الاحرار: يجمع يميني، هيئته المؤسسة: داخل الشعلان وعلي ممتاز وعبد الوهاب محمود. أما الشخصية الفعلية المحركة له فكان سعد صالح. أصدر جريدة ناطقة باسمه هي «صوت الاحرار». سحب ترخيصه في ١٩٤٨، وأغلقت جريدته في العام التالي.

- حزب الاستقلال: رئيسه محمد مهدي كبه، وجريدته «لواء الاستقلال»، وألغى امتيازها في ١٩٥٤. عارض النظام الملكي، ونادى بالوحدة العربية والدفاع عن



الحزب الشيوعي العراقي: نشأت الحركة الشيوعية في العراق في ١٩٣٤، وكانت متأخرة بالنسبة إلى مثيلاتها في البلدان العربية الأخرى (١٩٢٠ في مصر، ١٩٢٤ في لبنان وسورية، ١٩١٩ في فلسطين).

ففي ٣١ آذار ١٩٣٤ اجتمع ممثلون عن «الحلقات الماركسية» في بغداد وأعلنوا عن تشكيل «لجنة مكافحة الاستعمار والاستغلال»، وانتخبوا عاصم فليح أميناً عاماً لها. وفي ١٩٣٥، غيرت اللجنة اسمها فأصبحت «الحزب الشيوعي العراقي»، وأصدرت جريدة سرية (أول جريدة سرية في العراق) باسم «كفاح الشعب». وسرعان ما انكشف أمر الحزب، فوجهت السلطات إليه في أواخر كوادره، ١٩٣٥ ضربة أليمة، إذ اعتقلت أمينه العام وعدداً من كوادره، وعطلت صحيفته، وفرّ كثيرون إلى خارج البلاد (إيران، سورية، لبنان، فرنسا.. حيث انخرط بعضهم في العمل الحزبي الشيوعي داخل هذه البلدان)، منهم يوسف سلمان (الملقب «فهد») الذي كان أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب يوم تأسيسه، والذي غادر إلى سورية ولبنان حيث أقام علاقات وثيقة مع القيادة الشيوعية فيهما التي كانت تشرف آنذاك على شؤون الحزب الشيوعي العراقي. ثم سافر إلى فرنسا حيث نشط في صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي الذي أوفده إلى موسكو للدراسة في «الجامعة الشيوعية لكادحي الشرق» التابعة للكونغرس فتلقى فيها مبادئ الماركسية-اللينينية.

في ١٩٣٨، عاد يوسف سلمان (فهد) إلى بغداد حيث عمل على إعادة تأسيس الحزب الشيوعي العراقي فشكل لجنة مركزية جديدة غاب عنها معظم أعضاء اللجنة السابقة، وتميزت بغلبة الشيوعيين المتحدرين من الاقليات الدينية (أشوريين ويهود) وهيمنة المثقفين وغياب العناصر البروليتارية. ولم يمتد الحزب الجديد أي نظام داخلي عند تأسيسه إلى ان تصبح الظروف السياسية أكثر ملائمة، ما أدّى إلى انشقاقات عديدة، أولها انشقاق ذي النون أهبوب ويعقوب كوهين، ثم انشقاق عبد الله مسعود القرهيني (١٩٤٢) الذي تمكن من عقد مؤتمر تم فيه طرد فهد (كان يحضر مؤتمر الكونغرس في موسكو) وجماعته؛ ثم انشقاق داود صايغ وتأسيسه «رابطة الشيوعيين العراقيين» وصحيفة «العمل» التي شنّت من خلالها حملة عنيفة ضد قيادة فهد. لكن مع اعتقال الصايغ في ١٩٤٧، انهارت هذه الرابطة وانضم اعضاؤها إلى قيادة فهد. هذا إضافة إلى عدد من مجموعات شيوعية صغيرة، بينها من سيطر عليها يهود عراقيون. لكن الحزب الشيوعي العراقي بزعامه فهد

إبعاد العراق عن التكتلات الدولية، أي انتهاج سياسة الحياد الايجابي، وتحقيق نظام ديمقراطي دستوري والتعاون العربي واستكمال سيادة العراق واستقلاله. وأصدر التكتل جريدة «الجبهة الشعبية المتحدة» وجريدة «الدفاع». وتعرضت الجبهة للاهتزاز بسبب استيوار بعض قادتها وأعلن رئيس الهيئة الادارية محمد رضا الشبيبي، في صيف ١٩٥٤، نهاية حياة الجبهة لإتاحة المجال لأعضائها بالمشاركة بالانتخابات. وعندما شكل مجلس الإعمار عين طه الهاشمي رئيس الجبهة رئيساً له.

#### ١٤- جبهة الاتحاد الوطني:

جبهة وطنية تشكلت من الاحزاب المناهضة للحكم الملكي والاحلاف العسكرية في ١٩٥٦. ضمت حزب البعث والحزب الشيوعي وحزب الاستقلال والحزب الوطني الديمقراطي. وجاء قيام الجبهة تجاوباً مع تصاعد التيارات الجماهيرية التحررية والقومية في سورية ومصر والتي وجدت ترجمة لها في العراق إبان المظاهرات التي اندلعت في بغداد تأييداً لتأميم قناة السويس واستنكاراً للعدوان الثلاثي على مصر.

ألقت الجبهة لجنة عليا وفروعاً في مختلف أنحاء العراق وأصدرت بيانها الأول في ٩ آذار ١٩٥٧ الذي لخص مطالب الجبهة واهدافها بما يلي:

«- معارضة الجبهة للحكم الرجعي السعيدى (نوري السعيد) وحل المجلس النيابي الزيف.

- معارضة حلف بغداد والانسجام مع سياسة الاقطار العربية المتحررة والتنسيق معها.

- مقاومة النفوذ الاستعماري وانتهاج سياسة عربية مستقلة وتبني سياسة الحياد الايجابي.

- اطلاق الحريات الديمقراطية.

- اطلاق سراح السجناء والمعتقلين والموقوفين السياسيين وإلغاء الادارة العرفية للبلاد» (موسوعة السياسة، ج٢، ط١، ١٩٨١، ص٣٠).

وقد مهد قيام الجبهة ونشاطها لاندلاع ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. وبعد نجاح هذه الثورة، انضم إلى الجبهة الحزب الديمقراطي الكردستاني.

#### ١٥- تنظيم الضباط الاحرار: راجع باب «معالم تاريخية».

حزب البعث العربي الاشتراكي: راجع «سورية»، ج١٠، والنبذة التاريخية.

(وزارة نوري السعيد) على فهد ومعاونيه الرئيسيين واتهمتهم بتلقي مساعدات مادية من قوى اجنبية والاتصال بها (الاتحاد السوفياتي، حزب توده الايراني والحزب الشيوعي السوري)، وبمحاولة إثارة الشغب والتغلغل إلى صفوف الجيش. واستمر فهد يقود الحزب من زنزانته من خلال يهودا الصديق ومالك سيف اللذين كانا يتنازعان قيادة الحزب في غياب فهد. وقد تحالف الحزب في هذا الوقت مع الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب الشعب والوطنيين الديمقراطيين، وشارك في وثبة ١٩٤٨ التي زادت في توسع قاعدته.

إلا ان كل هذه المكاسب بدت، في ١٩٤٨، وكأنها تبخرت بسبب موقف الحزب المؤيد لتقسيم فلسطين. وقبض على عدد كبير من قادته، وأعيدت محاكمة فهد ورفاقه وحكم عليهم بالاعدام، ونفذ الحكم في ١٤ و ١٥ شباط ١٩٤٩، بفهد وزكي باسيم وعهد الشيبسي. في مطلع الخمسينات، أعاد الحزب تشكيل خلاياه بقيادة بهاء الدين التوري (كردي) الذي رجع كل جهود الحزب نحو المنطقة الشمالية (كردستان العراق) والبصرة. في ١٩٥٣، قبض عليه، فألت القيادة إلى عبد الكريم الداود (كردي) الذي استند إلى دعم حامد عثمان (كردي أيضاً) الذي تميزت قيادته بالتهور والدعوة لاتباع أسلوب الاضرابات العامة والكفاح للسلاح، متأثراً بذلك بفكر مار تسي تونغ، وذلك في وقت لم يكن الحزب قادراً على ذلك، لا بل إنه عجز حتى عن الدخول في تحالفات جديدة مع القوى الوطنية والقومية والديمقراطية لإفشال حلف بغداد. وقد تميزت فترة ١٩٤٩-١٩٥٥ بارتفاع دور الأكراد في الحزب، إذ كان معظم القادة من الأكراد، كما شكلوا ٣١،٣٪ من أعضاء اللجان المركزية.

في حزيران ١٩٥٥، انتقلت قيادة الحزب من حامد عثمان إلى حسين الرضي (سلام عادل). وقد أدى هذا التغيير إلى وضع حد لهيمنة الأكراد على الحزب. فتحالف مع القوميين العرب والقوى الوطنية، وذلك تطبيقاً للخط السوفياتي الجديد الذي دعا إلى الانفتاح على الحركات التحررية والوطنية في العالم الثالث. وابتداء من ١٩٥٦، وعلى أثر العدوان الثلاثي على مصر وموقف الاتحاد السوفياتي المؤيد بقوة لمصر، أخذت الاحزاب الشيوعية العربية تستعيد بعض قوتها التي كانت قد خسرتها بسبب موقفها من القضية الفلسطينية.

في شباط ١٩٥٧، نشأت جبهة اتحاد وطني، كان الشيوعيون اعضاء فيها إلى جانب البعثيين وحزب

(يوسف سلمان) كان الأقوى بسبب شخصية فهد نفسه من جهة والتأييد المعنوي والمادي الذي كانت تمنحه اياه الحركة الشيوعية العالمية. فقد نجح، بين ١٩٤١ و ١٩٤٧ في تحويل الحزب إلى جهاز فعال ومنظمة شعبية.

إلا ان أول أزمة فكرية وسياسية حقيقية واجهت الحزب كانت في مطلع الحرب العالمية الثانية. ففي ١٩٤١، عندما اندلعت في العراق ثورة رشيد عالي الكيلاني التي كانت حركة وطنية عراقية وقومية عربية موجهة أساساً ضد الاستعمار البريطاني، والتي تحالفت تكتيكياً مع دول المحور التي كانت مرتبطة آنذاك مع الاتحاد السوفياتي بمعاودة عدم اعتداء، وقف الشيوعيون العراقيون في البداية موقف الحياد من هذه الثورة، وعندما نشبت معارك بين الانكليز والثورة (ايار ١٩٤١) وقف الشيوعيون إلى جانبها، ولكن بتحفظ، إذ طلبوا من الكيلاني توقيف الحملات ضد اليهود وعدم الإضرار في تأييد دول المحور وعدم طلب قوات المانية مقابل تحسين العلاقات مع الاتحاد السوفياتي. وقد رد الكيلاني بإطلاق سراح بعض الشيوعيين العراقيين وإقامة علاقات دبلوماسية مع موسكو أملاً في تلقي المساعدة العسكرية ضد الانكليز. وفي ١٢ ايار ١٩٤١، اعترف الاتحاد السوفياتي بالنظام الثوري الجديد في العراق (أي بحكومة الكيلاني التي كانت تقاوم الجيش الانكليزي طيلة شهر ايار). إلا ان الغزو الألماني للاتحاد السوفياتي وانهاية الثورة قمت ضربات الانكليز غير المعطيات السياسية في البلاد. وإزاء ذلك واجه الحزب الشيوعي العراقي انتقادات من أعضائه اليهود لتأييده حركة الكيلاني التي وصفها زوراً بأنها «حركة نازية». وفي السنين اللاحقة (١٩٤٣-١٩٤٤)، أعلن الحزب الشيوعي العراقي ان تأييده لحركة الكيلاني كانت «غلطة سياسية تكتيكية».

في فترة ١٩٤١-١٩٤٧، عرف الحزب الشيوعي العراقي نمواً ملحوظاً، وتعود أسباب ذلك إلى ان قيادته كانت عربية الطابع (لم تكن قد سيطرت على قيادته بعد العناصر الكردية واليهودية)، وتغلب عليها البورجوازية الصغيرة، وإلى ان السلطات البريطانية دفعت السلطات الحكومية إلى غض الطرف عن نشاطاته للتأييد الذي كان يديه لدول الحلفاء في حربها ضد النازية، إضافة إلى انه لم يصل في معارضته للحكومة العراقية إلى حد المطالبة بإلغاء المعاهدة البريطانية-العراقية التي كانت معظم القوى الوطنية تطالب بنقضها.

وفي كانون الثاني ١٩٤٧، قبضت السلطات

الاستقلال والحزب الوطني الديمقراطي، وصحت شعارات إسقاط ثوري للشيعة والسياسات الصراف من حلف بغداد واتهام سياسة الجهاد الاقليمي والحقاق الخريمان. وانتهت هذه المسبة على حركة العصبات الاحرار وسكنت معهم.

تعرض النظام الجديد الذي قام على أسس ثورة ١٤ ثور ١٩٥٨ ومنذ برونه، إلى تقلبات داخلية كان أبرزها انتقاله من قياد القوي الوطني القومي الذي سادى به آنذاك عبد السلام عارف ودفع باتجاهه حزب الشعب والقوى القومية، وبين قياد الشخص الوحدية مع الجمهورية العربية المتحدة ومنذ عبد الكريم قاسم منحرفاً من الحزب الشيوعي العراقي وبعض العصبات الأكراد والفرسكان، وكان كلما امتد لشخص بين قاسم والقياد القومي كان الشيوعيون يدمعون قاسم، مكاتروا بالسلط يمدون، موصوفاً وروا على غفلة منهم، على تورية تضاهه للاسناد بالحكم.

ولم تمر ايام قليلة على إسحاق الثورة، أي في ايلول ١٩٥٨، حتى صبح قاسم يتشاء ثرى مقالسة ضمنية سيطر عليها الشيوعيون والفرح من الشيوعيين للقطر، وحلهم يسيطرون على الشبايات وسأهم مراكز حساسة. ودام كل ذلك ليريد في الترشح بين قاسم والجمهورية العربية المتحدة ومؤيدتها من قوى قومية وعرفية. وقد بلغ هذا الترشح ذروته في انتخابات ليرسل في آذار ١٩٥٩ التي قام بها فصبات القومي عبد الرهاب الشراف (رئيس باب فرحان). وقد امتد قاسم في قضاء على هذه الاصابة على الشيوعيين العراقيين بشكل أساسي، معمد هؤلاء إلى ارتكاب مجازر كبرية ضد معارضيهم شعب ضحيتها مئات الفلبي، وتركت أرها اللابح في مسائل العلاقات بين القوى الشيوعية والقومية في البلاد.

بدأ من ايار ١٩٥٩، أظهر قاسم لفتاحاً على الفزى القومية للعادية للشيوعيين، وعمد إلى تقليص لمرؤ هؤلاء في الجيش، وأبقى على حشبات وزارية ثابرة في بهم. ثم وثقت مجاز كركوك (١٤-١٦ ثور ١٩٥٩) التي ثروا للشيوعيين فيها، كاتفل قاسم القديد سهم وحذ من نشاط الشبايات التي يثرونها عليها. ووجد الشيوعيون أنفسهم أمام مأرق شعبي وبنلاك وطية وتاريخية خطيرة، إذ لظهور مسؤولين عن حوزتين كبريات لتصل بهما شعور قلبه والفرسل في آذار، وكركوك في ثور ١٩٥٩ وبسائر كركوك وفتت سد الفركسان الذين لاروا للاحتفال بالكبرى السرية الأولى للثورة تحوب منعه وحاص بهم، تعرض مركزهم لاطلاق نار تم لأعمال تضعية بمنهم على

مدى يوس كاملين. ومن الثورات التي سالتها الشيوعيون لثروطهم في مجاز كركوك، ما كاله مكركوبهم العام عبر عبد عداً، هنا وقتن بأن ثي نانت حدي وبزبه سيجفا إذا عت هذا الحدث بشرد عن الفوايح السياسية التي فطعت لوساطة سياسية عدة من شركات قطع إلى عبد الكريم قاسم، موروكاً بمصرمة من القويين وجهاد القناعة للشمج ليام الحرم عبد المناسر، فذبي وأوا في هذه الاحداث للمجعة واحداث الفوسل ومساندتها في قمع مؤامرة الشراف وسيلة تضعية حشبات سع حزبنا، «الوسط»، العدد ٢٨٨، تاريخ ٤ آب ١٩٦٧، ص ٢٢٢.

أخذت القولة تحبب بالحزب الشيوعي العراقي نشأت مراكز تعرض للهماد وقياديو للتضعية على يد فقري للمارساة للقطر. وروما غفا السب باد الحزب الشيوعي من لولائه نظام عبد الكريم قاسم بالفرح من امتاده هر عم. مدنا الشيوعيون العراقيون وكأهم رطلوا مصرهم بصيرة، وهكذا فعندما قام حزب البحث القومي الانشراكي، في شاط ١٩٦٢، بالقاء على حكم قاسم، كان الشيوعيون أول وآخر من دافع عم بالصلاح معرضوا أنفسهم للملاسة والقضية ووجهت إليهم صرية قضائية. طد انتقل زعيمهم (حسي فرسي) ومدات في صمعه، كما وجهت شريات متلاحقة إلى الكفالات القومية وإلى عدد كبير من الاسماء المعانين، شيتت شككت هذه الفرمات «الفرقة الثالثة» لكن هذه المرة شن الشيوعيين) امبح الحزب الشيوعي على أرها في ووسع شيه بالفرح الذي كان عليه بعد إسحاق عهد في ١٩٦٩. وانقسم الحزب إلى «الحزب الشيوعي-اللجنة المركزية» (وهو الأساسي، وقاده بهسا، لادين السوري وعامر عبد الله) وإلى «الحزب الشيوعي-القيادة المركزية» (بقيادة عزيز الحارح) وكلاهما دما إلى للثاومة للسلحة ضد النظام، مما عرض الشيوعيين إلى مزيد من الصعيات، فلكمكت أولوم من بغداد إلى الشاطن الفكرية حيث تقام حوزهم علاقات تنظيمية وعسكرية مع الثمردن الأكراد، وكان من نتيجة ذلك أن همين الأكراد على قافة الحزب خاصة مع وصول عزيز عماد (رئيس صاب فرحان) إلى قيادة الحزب في ١٩٦٤، وبقي في هذا النسب حتى ١٩٩٢.

في طبل للحكم العراقي، أمد الشيوعيون تطيس أنفسهمي وأسدوا بمكرون بمعداً في قلب نظام الحكم، وطر حوا الفكر؛ بسارية منظمة (عمامة الحجاب) الذي كان يتردعه عزيز الحارح علي حيلر) بالفرح من معظ الاتحاد السوفياتي عليهم لانتصاح سياسة مؤزيرة. ول يارسل

ساعات. فتم، في ١٩٧٨، تنفيذ حكم الاعدام بعدد من العسكريين الشيوعيين المعتقلين. وجاء ذلك في نطاق حملة ضد الحزب طالت الآلاف من اعضائه. وكانت هذه الحملة أشد تأثيراً في المناطق العربية منها في المناطق الكردية حيث أفلح عدد كبير من الشيوعيين في الالتحاق بالجبل. ومع ذلك استمر الحزب الشيوعي عضواً في الجبهة إلى ما بعد ١٩٧٨، ذلك «أنا تعاملنا مع هذه القضية بحذر شديد. ولم نحاول خلق ضجة لئلا نستفزهم خوفاً من ان يؤدي الاستفزاز إلى مزيد من تنفيذ احكام الاعدام برفاقنا (...). احتفظنا ببعض المظاهر كغطاء للتراجع. اتخذ الحزب قراراً بأن أبقى في الخارج وراحت العناصر القيادية تغادر تدريجياً، إلى بيروت وغيرها (...). في النهاية لم يكن هناك خيار غير الافتراق. عقدنا اجتماعاً في الخارج في تموز ١٩٧٩ وخرجنا بشعار إنهاء الدكتاتورية (...). كيف نستطيع ان نقبل بأن مروراً جنازات الشيوعيين أمام مقرات الحزب وينظاهروا بالعلاقات مع قياديه؟» (عزيز عماد، «الوسط»، العدد ٢٨٨، تاريخ ٤ آب ١٩٩٧، ص ٢٩-٣٠).

وعن وضع الحزب الشيوعي العراقي ومختلف مواقفه بدءاً من اندلاع الحرب اليرانية-العراقية، وعلى لسان سكرتيره العام عزيز عماد («الوسط»، العدد ٢٨٩، تاريخ ١١ آب ١٩٩٧، ص ٣٥-٣٧):

إزاء الحرب مع ايران:

«كانت لدينا بعض المقرات والقواعد في جبال كردستان، إضافة إلى وجودنا في المدن العراقية بأعداد قليلة. هذه المقرات والقواعد كانت تشكل بدايات العمل الانتصاري المسلح. وكانت هناك أعداد غير قليلة من رفاقنا ذهبوا إلى اليمن الديمقراطية وسورية ولبنان بالتعاون مع المقاومة الفلسطينية وبلدان اشتراكية (...). عارضنا الحرب العراقية-اليرانية بشدة منذ البداية، وقلنا إنها أعلنت نيابة عن الامبريالية... وطالبنا بوقفها فوراً وانسحاب القوات العراقية من الاراضي اليرانية. وبقينا نطالب بوقفها طيلة المراحل اللاحقة، عندما انتقلت معاركها إلى الاراضي العراقية (وعن تعاطي مسلحي الحزب في الشمال مع القوات اليرانية، أنكر عزيز عماد ذلك وقال) أبدأ، وبالعكس فقد صدرت تعليمات مشددة لمقاتلينا بتجنب أي تعاطي مع القوات اليرانية».

إزاء حرب الخليج الثانية (غزو الكويت):

«موقفنا يشرف حزينا. لقد طالب عبد الكريم قاسم بالعكس وأصدر قراراً يجعلها قضاء من أفضية

١٩٦٧، وأثار هزيمة حزيران ما زالت تتفاعل شعبياً، عمد عزيز الحاج إلى الانفصال رسمياً عن الحزب معلناً حياده في الصراع الايديولوجي بين الصين والاشهاد السوفياتي، وداعياً إلى تسليح الجماهير ومناداً بمواقف الاتحاد السوفياتي والاحزاب الشيوعية العربية من القضية الفلسطينية.

وبعد أقل من شهرين من استلام البعث للسلطة في العراق (ثورة تموز ١٩٦٨)، أي في ايلول ١٩٦٨، تم الافراج عن جميع المعتقلين السياسيين. فبادر جناح عزيز الحاج إلى رفض التعاون مع البعث وأعلن العصيان المسلح، إلا ان السلطات ألقت القبض عليه (شباط ١٩٦٩)، فأعلن انتهاء حركته وانضمامه إلى تأييد الحكم. أما الجناح الآخر (اللجنة المركزية، بقيادة عزيز عماد) فقد أيّد الحكم الجديد بتحفظ، ثم أخذ يتقرب منه كلما كان الحكم يدعم علاقاته بالدول الاشتراكية. وفي ١٤ ايار ١٩٧٢، دخل الشيوعيون الحكومة بشخص مكرم الطالباني وعامر عبد الله. وفي ١٧ تموز ١٩٧٣، وقّع البعث والشيوعي ميثاق عمل وطني نصّ على إنشاء جبهة وطنية وقومية تقدمية تضمهما إلى جانب الحزب الديمقراطي الكردستاني في إطار جبهوي واحد. ونتيجة لذلك سُمح للحزب الشيوعي باصدار جريدة ناطقة باسمه هي «طريق الشعب» طبع منها في ١٩٧٥ نحو ٦٠٧ مليون نسخة. وقد اعترف الحزب الشيوعي العراقي، بانضمامه إلى الجبهة، بحزب البعث العربي الاشتراكي كالحزب القائد، إذ جاء في ميثاق العمل الوطني ان حزب البعث «يمثل موقفاً متميزاً في قيادة الجبهة وفي هياتها ويقود السلطة السياسية في الدولة كما يقود مؤسساتها الدستورية». كما قبل الشيوعيون بعدم العمل داخل الجيش تحت طائلة الاعدام. وبالفعل اعتقلت السلطات، في ١٩٧٤، مجموعة من العسكريين الشيوعيين وأصداقهم.

وفي ٤-٦ ايار ١٩٧٦، عقد الحزب الشيوعي مؤتمره الثالث في بغداد وأعاد انتخاب عزيز محمد سكرتيراً أولاً للجنة المركزية. وقد تبنى المؤتمر تقريراً يشتمل على أبرز المقولات الشيوعية العالمية التي كانت سائدة وقتذاك لدى معظم الاحزاب الشيوعية للعربية والاحزاب الشيوعية في كثير من البلدان والتي تعتبر موسكو «قاعدة الاشتراكية في العالم»، وأدان الخط الصيني ومقولة الشيوعية الاوروبية. واتخذ المؤتمر موقفاً مؤيداً لقرارات مجلس الأمن ومؤتمر جنيف، وهو موقف متعارض مع موقف حزب البعث الحاكم الراض لكل هذه القرارات والحلول.

ولكن العلاقة بين الحكم والشيوعيين سرعان ما

وتفكك الاتحاد السوفياتي لها تأثيرات سلبية على كل الاحزاب بدرجات متفاوتة. وبسبب من انغماس الشعب العراقي في مواجهة الدكتاتورية فإن الاسئلة الجديدة لم تقفز إلى الواجهة بعد، ذلك ان الأولوية لا تزال لإسقاط النظام. وهناك جبهة واسعة من أبناء شعبنا تشق بجهدية الحزب في النضال من اجل هذا الهدف. ولذلك تلف حولها».

وعن الوضع الحالي للحزب، قال سكرتيره العام الحالي، حميد مجيد موسى (انتخبه لهذا المنصب مؤتمر الحزب الخامس في ١٩٩٣، وهو في العقد الخامس من عمره ومن مدينة الحلة) إن الحزب «موجود في كل مكان من مدن العراق. أنتم تسمعون عن نشاطاتنا وتوزيع بياناتنا في البصرة، الموصل، بغداد، في الجامعات، المعامل. نحن ننشر ذلك باستمرار عما يقوم به الشيوعيون وأصدقائهم. موجودون خارج الوطن حيث أكثر من مليونين من أبناء الجالية العراقية موزعون على بلدان العالم. موجودون في كردستان كقوة سياسية مشهود لها بحفظ الخير والنزعة السلمية والطموح لعودة التقاليد الديمقراطية في التعامل وإعادة المعارضة إلى كردستان» («الحياة»، العدد ١٢٧٣٣، تاريخ ١١ كانون الثاني ١٩٩٨، ص ١٣).

(مراجع هذه المادة الفرعية: «الحزب الشيوعي العراقي»، «موسوعة السياسة»، ج ٢، ط ١، ١٩٨١، ص ٤٠١-٤٠٦ و«الوسط»، الاعداد ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، تواريخ ٢٨ تموز، و ٤ و ١١ آب ١٩٩٧ و«الحياة»، العدد ١٢٧٣٣، تاريخ ١١ كانون الثاني ١٩٩٨، ص ١٣).

الجبهة الوطنية والقومية التقدمية: في ١٥ تشرين الثاني ١٩٧١، اصدر حزب البعث الحاكم «ميثاق العمل الوطني» لاقامة جبهة بين القوى الوطنية والقومية التقدمية. وفي ١٩٧٢، وقعت معاهدة الصداقة بين العراق والاتحاد السوفياتي، الأمر الذي جعل الحزب الشيوعي العراقي يدخل بجهدية في مفاوضات مع الحزب الحاكم من أجل إقامة تلك الجبهة. وفي ١٧ تموز أعلن عن توقيع البيان المشترك بين حزب البعث والحزب الشيوعي، وبذلك برزت الجبهة التي اكتملت في ما بعد بانضمام الحزب الديمقراطي الكردستاني (بارتي) والقوميين والمستقلين إليها. وبعد انكشاف أمر تنظيم شيوعي سري في الجيش (رغم ما كان وقّع عليه الحزب الشيوعي العراقي من وثيقة تتضمن قبوله عدم إقامة مثل هذا التنظيم في الجيش) تم القضاء عليه، وانسحب الشيوعيون من الجبهة (راجع «الحزب الشيوعي

البصرة. وقفنا ضد هذا الاتجاه وحذرنا قاسم من هذه المغامرة. وعندما غزا صدام الكويت أدنا هذا الغزو في يومه الاول وتضامنا مع الشعب الكويتي وطلبنا بانسحاب القوات العراقية وحذرنا من الكارثة التي سيجلبها لشعبنا وللمنطقة».

إزاء العلاقة مع سورية:

«كنا على علاقات معها حتى حين كنا في الجبهة مع الحزب الحاكم في العراق. وكنا نرفض ادعاءات النظام ضد سورية، ونؤكد أهمية التحالف الاستراتيجي معها. سورية احتضنت للمعارضة العراقية بكل فصائلها... واستقبلت الألاف من أبناء شعبنا. وقبل انتقال حزبنا إلى المعارضة جرى نقاش في موضوع الميثاق الوطني مع سورية عام ١٩٧٨ في قيادة الجبهة، قلنا فيه: إذا كانت الوحدة التي ندعو لها نحن متعذرة لأسباب ما، فلماذا لا نبور صيغة أقل من الوحدة، وإذا ما نجحت نظورها لاحقاً. فردت قيادة النظام يومذاك: إما غرام وهيام وإما أسباب واحتراب».

إزاء مشاركة الشيوعيين في انتفاضة ما بعد حرب الخليج الثانية:

«نعم، شارك الشيوعيون في كل اماكن وجودهم... صدام سمي محافظة الأنبار التي تضم الرمادي والفلوجة وثلاث محافظات أخرى بالمحافظات البيضاء. هذا اعتراف بان الانتفاضة عمت المحافظات الاربع عشرة الأخرى كلها، وحتى محافظة الأنبار لم تبق بيضاء في نظري فقد شهدت غضبة شديدة إثر إعدام عدد من ابنائها الضباط (...). كان الشيوعيون موجودين في المقرات المشتركة للمتضامين مع التنظيمات الأخرى وفي مقرات خاصة بهم. أما في كردستان فكان دور الشيوعيين واضحاً جداً».

إزاء ما يطرح من مشروع تسمي للعراق إلى ثلاث فيدراليات كردية وسنية وشيعية:

«نحن لسنا مع اية صيغة فدرالية تعتمد على ارضية طائفية. الشعب الكردي شعب متميز، وله خصوصيته وموضوعه مختلف. ونحن نعتقد، وهذا حصيلة التجربة التاريخية، انه كلما حصل الشعب الكردي على حقوقه القومية في ظل الديمقراطية انجذب إلى المركز أكثر».

إزاء وضع الحزب الشيوعي العراقي وسط انهيار المنظومة الاشتراكية في العالم:

«ما من شك في ان التراجعات التي حصلت في الحركة الشيوعية العالمية، بانهيار المنظومة الاشتراكية

المعروف والاساذ في الحوزة الدينية في النجف الذي تتفق الروايات على ان السلطات العراقية قتلته في ١٩٨٠، أن ينأى بنفسه وبطلبه عن المواجهة مع النظام العراقي في السبعينات فطلب منهم الانسحاب من حزب الدعوة، لكن ذلك لم يخفف من المواجهة بين النظام والحركة الاسلامية التي انفجرت بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران في ١٩٧٩، وأدت إلى قتل السيد الصدر مع عدد كبير من رجال الدين وأعضاء الحركة الاسلامية. ودفع هذا الوضع بعض الشباب المتحمس خصوصاً في الحركة المرجعية التي أصبحت منذ ١٩٧٩ تحمل اسم «منظمة العمل الاسلامي» إلى محاولة اغتيال عدد من رموز النظام وتفجير بعض المراكز الحساسة. وعلى الرغم من إنشاء أجنحة عسكرية في حزب الدعوة أو منظمة العمل الاسلامي أو غيرها من الحركات الاسلامية، إلا انها لم تقم بعمليات منظمة وكبيرة، إذ غلب الطابع الفردي والمحلي على نشاطاتها.

وبعد نشوب الحرب بين العراق وايران أسس عدد من الحركات الاسلامية العراقية في طهران «الجيش الاسلامي الثوري لتحرير العراق» الذي تحول في ما بعد إلى «الجلس الاسلامي الاعلى للثورة الاسلامية في العراق» بقيادة السيد محمد باقر الحكيم، وشارك أعضاء هذا المجلس في الحرب إلى جانب ايران ضد القوات العراقية، وحلوا مع القيادة الايرانية التي كانت ترفع شعار إسقاط الرئيس صدام حسين، كما أعلنوا إيمانهم بعبداً ولاية الفقيه والعمل من اجل تأسيس جمهورية اسلامية في العراق.

ولكن الأمل الذي عقدته المعارضة الاسلامية العراقية تلاشى مع قبول الإمام الخميني بوقف الحرب العراقية الايرانية في ١٩٨٨، مما أدى إلى فتور العلاقة بين الحركات الاسلامية العراقية والجمهورية الاسلامية، وكانت العلاقة قد تدهورت من قبل بين منظمة العمل الاسلامي والحكومة الايرانية بسبب خلاف زعيم المنظمة المرجع الديني السيد محمد الشيرازي مع الامام الخميني وكذلك بسبب تحالف قائد المنظمة السيد محمد تقي المدرسي مع السيد مهدي الهاشمي القريب من الشيخ حسين منتظري ومسؤول وحدة حركات التحرر في الحرس الثوري الايراني، الذي اختلف مع قادة النظام وأعدم بعد ذلك، مما أثر في علاقة المنظمة مع المسؤولين الايرانيين وأدى بها إلى الهجرة من ايران.

أما حزب الدعوة الذي ظل يحتفظ بعلاقات أكثر رسوخاً مع ايران خلال الحرب في الثمانينات فقد تعرضت علاقته هذه للاهتزاز بسبب رفضه الخضوع التام لولاية

العراقي» و«أحزاب المعارضة» في هذا الباب، وكذلك النبلدة التاريخية).

#### الاحزاب والحركات الاسلامية: مع ان العراق

شهد في العهد الملكي جواً نسبياً من الديمقراطية وحرية تأسيس الاحزاب، لكنه لم يشهد ولادة حزب علني يقوم على أساس الاسلام. وكان أول طلب لتأسيس حزب اسلامي وقع في العهد الجمهوري أيام حكم عبد الكريم قاسم، وذلك بعد صدور قانون الجمعيات في أول كانون الثاني ١٩٦٠ حيث تقدمت مجموعة من الاسلاميين الذين ينتمون إلى جماعة «الاخوان المسلمين» بقيادة نعمان السامرائي بطلب تأسيس «الحزب الاسلامي العراقي» في شباط ١٩٦٠، وأجازت محكمة التمييز الطلب بعد رفض وزارة الداخلية، واستطاع الحزب ان يستقطب انصاراً كثيرين في أوساط السنة والشيعية على السواء. لكن السلطات العراقية حلت الحزب واعتقلت قيادته بعد اقل من سنة على إنشائه، كما اعتقلت الشيخ عبد العزيز البدري الذي تقدم بطلب إنشاء حزب اسلامي آخر هو «حزب التحرير» من دون ان يحصل على ترخيص.

ومنذ ذلك الحين والاحزاب الاسلامية ممنوعة في العراق، ويُعاقب أي عضو في القوات المسلحة ينتمي لغير حزب البعث الحاكم، كما يتعرض أي مواطن عراقي ينتمي لأي حزب اسلامي لعقوبة السجن والاعدام. لذلك لجأت الحركات الاسلامية إلى السرية. وإضافة إلى «الاخوان المسلمين» و«حزب التحرير» تأسس «حزب الشباب المسلم العقائدي» بزعامة الشيخ عبد الكريم الجزائري، وحزب «الدعوة الاسلامية» بقيادة السيد محمد باقر الصدر، كما تأسست في كربلاء الحركة المرجعية بقيادة السيد محمد الشيرازي الذي رفض الصيغة الحزبية في العمل وأكد الصيغة المرجعية وولاية الفقيه.

والتزمت الحركات الاسلامية جميعاً العمل الثقافي والسياسي السلمي ولم تعتمد على العمل العسكري في مواجهة النظام، واعتمدت في عملها على مؤسسات دينية كمؤسسة المرجعية التي كان يتزعمها في الستينات السيد عمن الحكيم (توفي في ١٩٧٠) ثم السيد أبو القاسم الخوئي الذي توفي في ١٩٩٢ (راجع «المرجعية الشيعية» و«ولاية الفقيه»، و«الخوئي، السيد أبو القاسم» في «ايران»، ج٤، ص١٩٠، ١٩٢ و٢١٩)، وهي مؤسسة دينية تتجنب العمل السياسي المباشر والاصطدام بالسلطة. وقد حاول السيد محمد باقر الصدر، المرجع الديني والفكر الاسلامي

وتسمح السلطات العراقية لبعض المراجع الدينية في النجف بممارسة التدريس والقسوى وبعض النشاطات الأخرى. كما تقوم باستضافة رجال دين لإلقاء محاضراتهم في التلفزيون، وتقوم الحكومة العراقية باطلاق ما يسمى بالحملات الإيمانية ومضاعفة دروس الدين في المدارس وإصدار الأوامر لأعضاء حزب البعث بالانخراط في صفوف الحركة الدينية المتنامية في العراق وإقامة الصلوات في المساجد. وهذا ما أدهش كثيرين من المراقبين ودفنهم للتساؤل عن السر الكامن وراء سياسة النظام الاسلامية، هل هو الخوف من تحدي المد الاسلامي الشعبي، أم محاولة لركوبه، أم توجيهه بعيداً عن السياسة؟ (عن أحمد الكاتب، «الوسط»، العدد ٣٣٠، تاريخ ٢٥ ايار ١٩٩٨، ص ٢٦).

وقد وضع مهدي السعيد، كاتب وصحافي عراقي مقيم في بريطانيا، لائحة بعشرين حزباً وحركة اسلامية ظهرت منذ ١٩٥٧ («الحياة»، العدد ١٢٠٩٢ تاريخ ٣ نيسان ١٩٩٦، ص ١٨):

١- حزب الدعوة الاسلامية: تأسس ١٩٥٧ على يد السيد محمد باقر الصدر، رموزه الحالبون الشيخ محمد مهدي الأصفي والدكتور ابراهيم الجعفري في لندن والحاج علي الأديب في ايران والحاج جواد المالكي. له علاقات جيدة مع ايران وسورية (يشكل هذا الحزب القصيل الأكبر والأقدم في ساحة العمل الاسلامي في العراق، وهو يواجه الحكومة العراقية منذ حوالي ٢٠ سنة، وتعرض منذ قيام الجمهورية الاسلامية الايرانية إلى سلسلة ضغوط ودعوات للاندماج بايران والخضوع التام لولاية الفقيه، كانت آخرها دعوة الناطق الرسمي السابق باسمه الشيخ محمد مهدي الأصفي لاعلان التبعية لخامنئي-«الوسط»، العدد ٣٣٨، تاريخ ٢٠ تموز ١٩٩٨، ص ٢٢).

٢- المجلس الأعلى للثورة الاسلامية في العراق: تأسس ١٩٨٢ وتزعمه السيد محمد باقر الحكيم، وتلقى دعماً من ايران وله علاقات جيدة بسورية وبعض البلدان العربية.

٣- منظمة العمل الاسلامي: تأسست ١٩٧٦ بزعامة السيد محمد تقي المدرسي والشيخ محسن الحسيني والسيد كمال الحيدري، وتعتبر الصيغة السياسية التي تطورت من الحركة الشيرازية في العراق، وكانت سابقاً تسمى بأسماء أخرى منها «حركة المرجعية» وهي تتلقى دعماً إيرانياً أيضاً.

٤- حركة جند الإمام: تأسست ١٩٦٩ بزعامة السيد سامي البدري الذي انشق عن حزب الدعوة، ومن

الفقيه، الأمر الذي أدى إلى انشقاق مجموعة بقيادة السيد كاظم الخائري تحت اسم خط الولاية، وتوزع الباقون بين مباح للمرشد علي خامنئي-مجموعة الشيخ الأصفي الذي استقال من الحزب أخيراً، ومؤيد للسيد محمد حسين فضل الله كمرجع أعلى للحزب (مجموعة لندن).

وقد تمحنت ايران في كسب ولاء حركة «جند الإمام» التي أسسها السيد سامي البدري وبتزعمها حالياً الشيخ عبد اللطيف الخفاجي، وكذلك ولاء السيد محمد باقر الحكيم الذي يقود «قوات بدر» الخاضعة للمجلس الأعلى للثورة الاسلامية العراقية وهي قوات تخضع لقيادة ضباط من الحرس الثوري الايراني.

وقد تدخلت هذه القوات جزئياً في انتفاضة آذار ١٩٩١ في جنوبي العراق بعد هزيمة القوات العراقية في الكويت، وبدأت خلال السنوات الماضية على إعلان قيام قواتها بشن هجمات مسلحة في الأهوار ومناطق عراقية أخرى.

كما أنشأت منظمة العمل وحزب الدعوة مقرات عسكرية في كردستان العراق لكنها انسحبت منها بعد اقتتال الاحزاب الكردية وتقدم القوات العراقية إلى الشمال في ١٩٩٦.

وبينما كانت الحركات الاسلامية الشيعية تصعد من مواجهتها للنظام في الثمانينات آثرت جماعة الاخوان المسلمين (أو الحزب العراقي الاسلامي) العمل الثقائي وإعادة بناء قواعدها بهدوء حتى نهاية الحرب العراقية الايرانية حيث أسس أحد القياديين السابقين وهو فلاح السامرائي مع الشيخ محمد الألويسي تنظيم «الكتلة الاسلامية». وأعلن الدكتور أسامة التكريتي الذي استقر في لندن ظهور الحزب الاسلامي من جديد وأخذ منذ ١٩٩١ يصدر مجلة شهرية باسم «دار السلام».

وكان جناح من الحزب القديم بقيادة الشيخ عثمان عبد العزيز قد أعلن ولادة «الحركة الاسلامية الكردية» وتحالف مع ايران ونجح في «تحرير مدينة حلبجة من القوات العراقية التي عادت فقصفتها بالثنايل الكيماوية في ١٩٨٨». وأعلنت مجموعة أخرى ولادة «الاتحاد الاسلامي في كردستان» العراق.

إلا أن جميع هذه الحركات ممنوعة من العمل بشكل رسمي أو علني ما عدا حركة سلفية تنشط بشكل واسع في مختلف المدن العراقية وتحتل بقبول السلطة لأنها تتعد عن السياسة. ويتردد ان نائب الرئيس العراقي عزت النوري يقوم بدعم بعض الحركات الصوفية ويحضر بعض جلساتهم.

- ١٥- حركة الضباط الاسلاميين العراقيين: تأسست ١٩٩١.
- ١٦- حركة المسلمين الأكراد الفيليين: تأسست ١٩٩١ ورئيسها عبد الجليل الفيللي واندجحت مع «التجمع الاسلامي للأكراد الفيليين» ١٩٩٢ والتحقا بالحزب الديمقراطي الكردستاني في ١٩٩٣.
- ١٧- الحركة الاسلامية في كردستان العراق: تأسست ١٩٨٧ في شمالي العراق وهي من الحركات السنية ولها علاقات جيدة مع بعض الدول الاقليمية.
- ١٨- الكتلة الاسلامية: تأسست ١٩٨٣ في ايران بقيادة محمد خالد البرزاني.
- ١٩- الاتحاد الاسلامي لتركمان العراق: تأسس ١٩٩١ (شيعي) ومن رموزه عباس البياتي (الأمين العام) والمهندس عماد الشمالي.
- ٢٠- الحركة الاسلامية في كردستان العراق: وهي تطوير لحركة الاخوان المسلمين، ومن رموزها الشيخ عثمان عبد العزيز المرشد العام للحركة ولديها علاقات ودية مع ايران وسورية.

#### احزاب المعارضة قبل حرب الخليج الثانية

- (١٩٨٩-١٩٩٥): انتهت الجبهة الوطنية والقومية والتقدمية بانسحاب الشيوعيين منها في ١٩٧٩ وانتقالهم إلى كردستان العراق ومباشرتهم مع الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب الاتحاد الديمقراطي الكردستاني العمل المسلح ضد النظام الذي استمر حتى انتفاضة آذار ١٩٩١ حين سيطر الأكراد على كردستان وأعلنوا عن تحريرها.
- تشكلت المعارضة، بين ١٩٨٠ و ١٩٩٠، إلى الشيوعي، من:
- ١- حزب البعث-قيادة قطر العراق، منشق عن حزب البعث الحاكم في منتصف الستينات في ما اعتبر آنذاك انشقاق اليمين واليسار داخل هذا الحزب.
- ٢- الحزب الاشتراكي العراقي المعتبر أبرز قوة سياسية في التيار القومي بعد البعث، وقد تأسس في أول تشرين الاول ١٩٦٦. وبعد حركة ١٩٦٨، وجهت له ضربة قوية وأعدم أربعة من قياديه.
- ٣- الاتحاد الوطني الكردستاني الذي أسسه جلال الطالباني في سورية في ١٩٧٥، بعد فشل الثورة الكردية، وانضم هذا الاتحاد إلى التجمع الوطني العراقي. وكذلك احزاب وفصائل وتجمعات كردية عديدة، غالبيتها منشقة عن الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة البرزاني.

رموزها الشيخ عبد اللطيف الخفاجي وعزت الشاهندر وتصدر جريدة «البديل الاسلامي» في دمشق.

٥- حركة المجاهدين العراقيين: تأسست ١٩٨٠ في دمشق وكانت تصرح بأنها الجناح العسكري لحزب الدعوة الاسلامية، ومن قادتها السيد عبد العزيز الحكيم وقد اندجحت بالجلس الاسلامي الاعلى لاحقاً.

٦- جماعة العلماء المجاهدين في العراق: تأسست ١٩٥٧ وكان رئيسها مرتضى آل ياسين. وفي ١٩٨٠ شكل السيد محمد باقر الحكيم في طهران حركة جماعة العلماء المجاهدين في العراق من جديد ولها مؤسسات ثقافية واعلامية وتلقى مساعدات كبيرة من ايران.

٧- الدعوة الاسلامية: مجموعة من المنشقين عن حزب الدعوة الأصلي، أسسوا حزبهم في ١٩٨٠، من رموزها عبد الزهرة عثمان وأبو صفا البصري وعبد الأمير علي خان.

٨- الكوادر الاسلامية: تنظيم منشق عن حزب الدعوة الأصلي ويضم نخبة من كرادر الدعوة من المثقفين ومن أبرزهم محمد عبد الجبار رئيس تحرير جريدة المؤتمر حالياً.

٩- التجمع الاسلامي العراقي: تأسس نهاية الثمانينات في لندن كمنبر سياسي ضم علي تحمسين وعبد الوكيل والسيد محمد بحر العلوم.

١٠- حركة مجاهدي الثورة الاسلامية في العراق: تأسس ١٩٩١ في ايران من قبل مهدي عبد مهدي، وقد شكل قوة عسكرية أثناء الحرب العراقية الايرانية لمساعدة القوات الايرانية في شمالي العراق.

١١- الحركة الاسلامية في العراق «الخالصيون»: تأسست ١٩٧٨ وهي امتداد لحركة الخالصي (الأب) في الكاظمية ولها علاقات جيدة مع سورية.

١٢- حركة الوفاق الاسلامي «المجاهدين سابقاً»: تأسست ١٩٨٠ في ايران ومن رموزها الشيخ جمال الوكيل وكمال رضوي.

١٣- تنظيم الحركة الاسلامية في العراق «العقائديون»: تأسست تحت إسم جديد «الاسلام رسالة الشعب» في دمشق ١٩٩١ من أهم رموزها السيد أكرم الحكيم والمهندس عبدالله نجف.

١٤- المجلس الأعلى للعشائر العراقية ذات الاتجاه الاسلامي: تأسس ١٩٩١ في دمشق، ومن رموزه حامد بزيغ من رؤساء عشيرة البلسور، ومناور الحبيب، ويصدر نشرة «صوت العشائر».



٤- الحركة الاشتراكية العربية، وجناح عبد الاله النصراوي، إضافة إلى الضباط الوندويين بزعامة عرفان عبد القادر.

٥- شخصيات سياسية وأعضاء في اتحادات مهنية متعاطفة مع هذا أو ذاك من الأحزاب الرئيسية.

٦- أحزاب وحركات اسلامية (راجع العنوان الفرعي السابق).

اتخذت احزاب المعارضة من دمشق مقراً لها منذ ان بدأت تعقد لقاءات بينها في ١٩٨٠. وأسفرت هذه اللقاءات عن نية إقامة جبهة معارضة، وبخاصة بعد اندلاع حرب الخليج الأولى للاستفادة من ظروف الحرب في تعزيز التمرد في كردستان، وانتهاء النظام في داخل العراق. لكن هذه الاحلام اصطدمت بمعارضة الاتحاد السوفياتي الذي كان غير راض في الأساس لانسحاب الشيوعيين من الجبهة الوطنية والقومية التقدمية في العراق، وكذلك بمساندة الدول الغربية للعراق في حربه ضد ايران، وايران نفسها فتحت جبهة داخلية ضد الأكراد الإيرانيين.

لكن لقاءات اطراف المعارضة استمرت في دمشق وأسفرت، في ١٦ تشرين الاول ١٩٨٠، عن الاعلان عن جبهة ضمت حزب البعث-قيادة قطر العراق، والاتحاد الوطني الكردستاني والحزب الشيوعي العراقي والحركة الاشتراكية العربية (عبد الاله النصراوي) والحزب الاشتراكي في العراق (د. حيدر ألوسي). وكانت ابرز نواقص هذه الجبهة أنها وضعت، بناء على طلب جلال الطالباني، فيتو على دخول الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة مسعود البرزاني الذي كان قد تمكن من إعادة بناء حزبه من جديد. وكان هذا الأمر في أساس الخلافات بين اطراف الجبهة، خاصة وأن اطرافاً تمثل احزاباً وحركات اسلامية، سواء في الجانب العربي من العراق أو في جانبه الكردي، أخذت العلاقة معها تشكل موضوع خلافات إضافية.

في أجواء خلافاتها السياسية هذه، دخل على خطها (المعارضة العراقية) الزعيم الليبي معمر القذافي الذي أعلن، في ١٩٨٣، تحيازه إلى الأكراد، وادعى انه سيروجه المعارضة العراقية ويحل أزمته. واتفقت المعارضة، برعايته، على توقيع «ميثاق طرابلس»، وفيه عدة نقاط منها ان هذا الميثاق هو أساس عمل المعارضة العراقية الموحدة في المستقبل. وما إن عاد قيادة المعارضة من طرابلس الغرب حتى عادت الخلافات بينهم من جديد. فتخلوا بين ليلة وضحاها عن بنود الاتفاق. وجرّت الخلافات بين القوى

الكردية إلى اصطفاغ جديد. فقد اشغال الحزب الشيوعي إلى الديمقراطية الكردستاني والاشتراكي الكردستاني واحزاب كردية أخرى، مما أثار حفيظة جلال الطالباني الذي كان آنذاك قد عزّز مواقفه في كردستان، فوجه ضربة قاصمة للشيوعيين في «بشت أشان»، ولمرتين متتاليتين، ابتداء من ١٩٨٣، حيث اباد عشرات المقاتلين.

وثمة عنصر آخر كان له دوره أيضاً في توسيع رقعة الخلاف بين اطراف المعارضة. ففي ابريل بدأ محمد باقر الحكيم ينظّم قواه من بين الهاريين والمهجرين العراقيين، ووجه ضربات إلى القوات العراقية في الأهوار والحدود الايرانية-العراقية ابتداء من منتصف الثمانينات. ثم شكل قوات بدر التي عملت لسنوات تحت أمرته وضمّت مئات الجنود العراقيين من الهاريين أو الأسرى.

استمرت حالة المواجهة بين النظام وقوى المعارضة في كردستان العراق، وتصاعدت ابتداء من ظهور «الجبهة الكردستانية» التي تشكلت من ثمانية احزاب كردية في ١٣ آذار ١٩٨٨، الرئيسية منها: الديمقراطي الكردستاني (البرزاني)، والاتحاد الوطني الكردستاني (الطالباني)، والحزب الشيوعي-اقلهم كردستان. وقد انتهت هذه الجبهة باندلاع انتفاضة آذار ١٩٩١، مباشرة في أعقاب حرب الخليج الثانية.

احزاب المعارضة بعد حرب الخليج الثانية (١٩٩١-١٩٩٨): أكثر من ٧٠ حزباً وتجمّعاً سياسياً ظهر منذ حرب الخليج الثانية، وكل منها تقريباً أصدر صحيفة أو أقله نشرة داخلية، ومعظمها (تجمعات ونشرات) سرعان ما اختفى لهشاشة تركيبها التنظيمي، لانقطاع شريان التحويلات المالية، للخلافات الداخلية... بحيث بدت تجمعات مطّيفة من أشخاص همهم اصطيداء الظرف القاسي على البلاد واستعطاء الدعم من القوى الخارجية.

انتهاء حرب الخليج الثانية (أواخر ١٩٩٠-اوائل ١٩٩١)، كان معظم قادة المعارضة في سورية وبلدان أوروبا الغربية، وكانوا مستغرقين في مناقشات ومفاوضات وصراعات عديدة حول الموقف من الاوضاع العراقية. وقد أدت هذه الاوضاع إلى تراجع الاحزاب التقليدية. وفرضت قيام احزاب وقوى جديدة وحدث لها دعماً مالياً من جهات دولية وعربية.

وعندما اندلعت انتفاضة آذار ١٩٩١ (بمباشرة في أعقاب الحرب) كان قادة المعارضة جميعاً في الخارج،

عربية وكردية وشيعية، ثم التشكيلات المؤسسة حديثاً. وفي ١١-١٣ آذار ١٩٩١، عقدت المعارضة العراقية مؤتمراً لها في بيروت، شارك فيه ٥٠٠ شخصية معارضة من مختلف القوى والأحزاب العراقية، وأسفر عن فشل ذريع، إذ لم يفرج بأي قرار سوى توصية بعقد مؤتمر ثانٍ في غضون أشهر قليلة، وتشكلت لجنة تحضيرية من حزب الدعوة الإسلامية، والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، والاتحاد الوطني الكردستاني، وشخصيات من التيارات القومية المستقلة، وقررت اللجنة عقد المؤتمر في فيينا.

وانعقد المؤتمر في فيينا (١٦-١٩ حزيران ١٩٩٢)، وسمي «المؤتمر الوطني العراقي»، وشارك فيه أكثر من ٢٠٠ شخصية عراقية وقاطعه التيار الإسلامي الممثل بحزب الدعوة الإسلامية والمجلس الأعلى ومنظمة العمل الإسلامي، كما قاطعه حزب البعث-قيادة قطر العراق، وكذلك الحزب الشيوعي العراقي.

واستمرت الحوارات (وكذلك الخلافات) بين أطراف المعارضة، إلى أن تقرر عقد مؤتمر عام للمعارضة في كردستان العراق في تشرين الأول ١٩٩٢، وأضيفت كلمة «الموحد» على إسم المؤتمر فأصبح إسمه «المؤتمر الوطني العراقي الموحد». وعقد هذا المؤتمر في موعده في مدينة صلاح الدين (كردستان العراق)، وقاطعه كل من التيار القومي والمجلس العراقي الحر وتجمع الوفاق الوطني الديمقراطي العراقي (صلاح عمر العلي) وبعض الحركات الصغيرة. ولكنه مع ذلك اعتبر أكبر تشكيلة تجمع قوى المعارضة. إلا أن هذه التشكيلة عجزت عن إيقاف الخلافات الداخلية المترجمة ممارسات يومية، وكانت العلة في عمل معظم هذه القوى باتجاه المصالح الذاتية. ولم يكن شيء يوحد هذه المعارضة، على مدى السنوات اللاحقة لانعقاد مؤتمر صلاح الدين، سوى ضرورة الاطاحة بصدام حسين. أما مرحلة ما بعد إطاحته، فكان لكل من اطراف المعارضة بصدها أفكاره الخاصة، هذا عدا عن تشتت قادة المعارضة في أوروبا والشرق الأوسط، وبينهم الشيوعيون والاسلاميون (سنيون وشيعية) وأكراد وعرب سناخطون وبعثيون ومسؤولون حكوميون سابقون... حتى أتت الضربة القاتلة للمعارضة في ١٩٩٦.

ففي آب ١٩٩٦، طلب مسعود برزاني زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني تدخل الرئيس العراقي صدام حسين عسكرياً في صراعه المستمر منذ فترة طويلة مع

وكانوا يكتفون بالتصريحات والبيانات. وفي حين هزمت الانتفاضة، وبسرعة، في الجنوب، كان مسعود البرزاني وآخرين في قيادة الأحزاب الكردية يسعون دائرة نفوذهم في الشمال أثناء الحرب، ولم يتخطوا الشمال بعد هذه الحرب لصدور قرار دولي يعتبر منطقة كردستان «جيباً آمناً» يجب أن لا تتطرق منه أي مراجعة عسكرية، كما أنه استفاد من تدخل دولي يمنع سلطات النظام العراقي من استخدام القوة العسكرية ضده ومن تعليق الطائرات في الجنوب.

وأهم الأحزاب والتجمعات المعارضة التي تشكلت

منذ ١٩٩١:

- التجمع الوحدوي الناصري (١٩٩١)، توري البحراني، -التجمع القومي الديمقراطي «التنظيم الناصري» (١٩٩١)، عبد الحميد الشريف، -الهيئة العراقية المستقلة (١٩٩١)، حسن النقيب، -حزب الخفافلين (١٩٩٢)، قومي كردي، خورشيد شوكت، -اتحاد الديمقراطيين العراقيين (١٩٩٠)، بعض كوادره كانوا في الحزب الشيوعي، -الحزب الديمقراطي العراقي (١٩٩٣)، انشق عن اتحاد الديمقراطيين العراقيين، -التجمع العراقي المستقل (١٩٩٢)، صادق بحر العلوم، -التجمع الديمقراطي لانقاذ العراق (١٩٩٢)، مشعان ركاض الجسوري، - الوفاق الديمقراطي العراقي (١٩٩٢)، صلاح عمر العلي، - حركة الاصلاح الوطني (١٩٩١)، سامي عزارة المعجون، -المجلس العراقي الحر (١٩٩١)، سعد صالح حبر، -دعاة الملكية (١٩٩١)، مجموعة قليلة تروج للامير علي بن حسين كبديل للملك فيصل الثاني، راجع «الهاشميون...» في باب معالم تاريخية، -الحزب الوطني التركماني العراقي (١٩٩١)، مظفر ارسلان وعزيز قادر، -المنظمة الأشورية الديمقراطية (١٩٩٣). أضف إليها شخصيات سياسية من مختلف التيارات على الساحة العراقية.

هكذا يتضح أنه في فترة زمنية لا تتعدى الستين أو ثلثاً تشكلت أحزاباً ومجموعات عديدة، صغيرة وعائمة، انطلقت أساساً من القوى الرئيسية القومية والإسلامية والعلمانية العربية أو الكردية، أو أنها دارت في فلكها.

في ٢٧ شباط ١٩٩٠، تشكلت في دمشق «لجنة العمل المشترك لقوى المعارضة العراقية» التي ضمت التيار الإسلامي والكردية والقومي العربي والديمقراطي، وتشكل بعد ذلك فرع لها في لندن، وفي ٣٠ تموز ١٩٩١، انضم إليها ست حركات أخرى فأصبح مجموع اطراف اللجنة ٢٣ حزباً وحركة (أساسها أحزاب المعارضة الرئيسية،

عراقية معارضة في الشهور التي تزامنت وأعقبت حرب الخليج الثانية وعمليات فرار مسؤولين عسكريين وسياسيين، والعدد اليوم مئات المعارضين العراقيين لا يتفق واحد منهم مع واحد آخر».

الأحزاب الكردية: راجع باب «كردستان العراق» .

القوات الكردية المنافسة بقيادة جلال الطالباني رئيس الاتحاد الوطني الكردستاني. فزحت القوات العراقية على مدينة أربيل والمناطق الأخرى، وأنهت وجود المراكز والمكاتب والتجمعات العراقية المعارضة. وأصبح يصحح في المعارضة، بعد صيف ١٩٩٦ وحتى اليوم (صيف ١٩٩٨) القول المتكرر: «قبل حرب الخليج الثانية كانت هناك ٢٠ جماعة عراقية معارضة، وارتفع العدد إلى ١٠٠ جماعة

- إذا قلنا ان الدولة العراقية الحديثة ظهرت إلى الوجود في مطلع العشرينات فإن هذا يعني خروج من تبعته للسلطنة العثمانية التي حكمت دولاً في آسيا وأفريقيا وأوروبا كان وضعها مثل وضع العراق في تبعيته للعثمانيين. والعراق، حتى في هذا المعنى، سبق قيام تركيا الحديثة بأربع سنوات، وسبق قيام اسرائيل بربع قرن، فهل تكون وحدة العراق أهش من وحدة اسرائيل ووحدة تركيا؟.

- لقد تم التعامل مع العراق كوحدة سياسية وجغرافية وبشرية منذ الثورات-المدن. وتعززت هذه الوحدة في الامبراطوريات الكبرى، الهابلية والأكديية على وجه الخصوص.

- وإذا وصلنا إلى الفتح الاسلامي نجد ان التعامل مع العراق كوحدة سياسية وجغرافية وسكانية كان أمراً واقعاً إذ تذكر كتب المؤرخين ان فتح العراق تم في ثلاث مراحل بعد معركة القادسية، وان الفاتحين المسلمون حافظوا على التركيبة السكانية للعراق وعززوا من التلاحم بينها في إطار الدين الجديد، وتعاملوا مع العراق كما عرفوه في عصرهم الجاهلية والذي كان يزدد فيها باسمه الحسالي (في الأشعار والخطب والتجارة). وحينما اراد عمر بن الخطاب مسح العراق «طلب من له بصير وعقل يوسع الارض مواضعها» فأجمع الصحابة على عثمان بن حنيف فولاه مسح العراق. ومسح عثمان المنطقة الواقعة بين الخابور شمالاً وحلوان (بعد خانتين وحلولاء على الحدود الايرانية) شرقاً، والعذيب (فوق السماوة قرب الحدود مع المملكة العربية السعودية) غرباً، والخليج العربي جنوباً. وبلغت

## أقليات

تهديد («عناصر وحدة العراق أقوى»): في أعقاب حرب الخليج الثانية أصبح يُسمع ويُكتب، بين حين وآخر، وخاصة بعد كل أزمة أو عملية عسكرية، داخلية أو ذات بعد شرق أوسطي أو دولي، عن مشاريع تقسيمية للعراق، علماً أن أيّاً من الاطراف الداخلية المعارضة أعلن عن رغبة في الانفصال عن مركز السلطة في بغداد، بل بالعكس كان يُبرز تشديده على وحدة العراق.

نبيل ياسين، كاتب عراقي مقيم في بريطانيا، نشر في «الحياة» (العدد ١٢٧٧٢، تاريخ ٢٠ شباط ١٩٩٨، ص ١٨) دراسة مكثفة أظهر فيها ان «خراطة التقسيم غير ممكنة جغرافياً وبشرياً» وان «عناصر وحدة العراق أقوى من مخططات التقسيم». منها هذه المقتطفات التي نعهد بها لباب «أقليات» الذي استبعدنا منه الأكراد لورود باب خاص بهم هو «كردستان العراق».

- منذ حرب الخليج الثانية تشيع مفاهيم وتداول مصطلحات مثل الشيعة والسنة والأكراد وكأنها ثلاث أمم في ثلاث اراضٍ موحدة قسراً منذ نشأة الدولة العراقية الحديثة في مطلع العشرينات. وتطرح بين فترة وأخرى أطروحة ان ضمان الأمن والاستقرار في المنطقة وضمن حقوق الانسان تكمن في فك هذه الوحدة القسرية. كما يطرح في الوقت نفسه ترابطاً بين سقوط صدام حسين وتقسيم العراق. غير ان الواقع السياسي والديمقراطي غير ذلك تماماً.



المصدر: «الحياة»، العدد ١٢٧٧٢، ٢٠ شباط ١٩٦٨، ص. ١٨.

مساحة الأرض ضمن هذه الحدود ٣٦ مليون جريب (والجريب يساوي ١٩٥٢ متراً مربعاً) وهي مساحة تزيد قليلاً عن المساحة الحالية للعراق ببضعة عشرات الكيلومترات. وعلى هذه المساحة احتسب خراج العراق وتم التعامل مع الولاية من الناحية السياسية والاقتصادية على أساس المساحة والحدود هذه. وظلت اقتصاديات العراق خاضعة لهذا الوضع على مرّ السنين والتغيرات.

- استعصمت وحدة العراق على التقسيم حتى تحت ضربات أعتى الامبراطوريات والجيوش الغازية منذ تاريخه القديم مروراً بالمغول والعثمانيين وانتهاءً بالبريطانيين. فاضطر العثمانيون إلى تنظيم إداري يتيح لهم قمع التمردات القبلية البعيدة عن مركزهم فوضعوا ولاية بغداد على رأس ثلاث ولايات هي الأعمدة الرئيسية لوحدة العراق السكانية والحضارية والاقتصادية لإتاحة الفرصة لبغداد حتى لا تسقط فيسقط العراق كله من يد الدولة العثمانية. فحولوا الموصل والبصرة إلى إيالات أو سناجق أو متصرفيات تحت سلطة بغداد.

- بعد ان يظهر الكاتب تداخل التوزيع السكاني بحسب تركيبة معقدة قومياً ومنهياً ودينيّاً في منطقة واحدة تقع فوق خط ٣٦ حتى ل يبدو خط ٣٦ بالنسبة إلى الوضع الديمغرافي للعراق خطأً وهمياً لم تقصد القبائل والمذاهب والاديان ان تتخذ قبل عشرات القرون خطأً لسكنها كما افترضت ذلك الولايات المتحدة عام ١٩٩٢ وقسمت العراق جزيئاً بحجبه، يقول إن الموقع الطبيعي للعراق وتضاريسه ومصادر المياه والخصوبة فرضت وضعاً مركباً للسكان فيه، جعلت التداخل غير منفصل بحدود طبيعية. فهذه الوضعية السكانية والقومية والمنهية والدينية المتداخلة والمعقدة تجعل من مشروع التقسيم مشروعاً يقترب من الخيال أكثر مما هو واقع.

اليهود: لم يعدوا يشكلون أقلية منذ السنوات التي شهدت قيام اسرائيل، حيث أخذ عددهم يتناقص بسرعة إلى أن أصبح «٨٠ يهودياً عراقياً يعيشون حياة هادئة ويعاملون معاملة حسنة». وآخر عملية هجرة لليهود العراقيين جرت خلال السنوات الثلاث الأولى التي أعقبت حرب الخليج الثانية، وذلك عندما «سمحت الحكومة العراقية لنحو ٧٠ يهودياً عراقياً بمغادرة وطنهم والتوجه إلى دول لوروية» («الحياة»، نقلاً عن صحيفة «معاريف» الاسرائيلية، ٧ كانون الثاني ١٩٩٥).

الطائفة اليهودية في العراق من أقدم الطوائف

باللهجة المحلية البغدادية تعني النهب والسلب). وقد أدت هذه الأحداث إلى صدور قانون إسقاط الجنسية عن يهود العراق، ما دفع إلى هجرتهم إلى فلسطين وبلدان أخرى عدة. وبعد هذه الأحداث لم تعد أحوال اليهود العراقيين المتبقين إلى التحسن، بل أن ثمة أقبوالاً كثيرة (لا تزال موضوع دراسات ومناقشات) على أن السلطات العراقية الصديقة للانكليز كانت تشجع، في الأربعينات، وتعمل على إخراج اليهود من العراق معتمدة وسيلة ترهيبهم والضغط عليهم (راجع «نادوة بيروت» في مادة «العالم العربي» في هذا الجزء).

بعد قيام إسرائيل (١٩٤٨)، لم تخف الحكومة الإسرائيلية، لا اهتمامها بمسألة السماح لليهود العراقيين بالرحيل إلى إسرائيل ولا حاجتها إلى الكادر البشري اليهودي العربي باعتباره أكثر دراية بالمنطقة من الكادر اليهودي الأوروبي. فزاد حماس جمعيات الهجرة اليهودية المتوزعة على بقاع الأرض خصوصاً تلك المحسوسة في الولايات المتحدة.

في النصف الأول من السبعينات، وعلى أثر إعلان الحكومة العراقية عن اكتشاف شبكات تجسس اسرائيلية وإعدام بعض المتهمين، نشطت جمعيات الهجرة اليهودية لتهريب من بقي من اليهود العراقيين. وألحت الصحف وقتها، وتعيد الدراسات اليوم التأكيد على أن عمليات هذا التهريب سلكت طريق شمالي العراق ثم إيران وبمساعدة من سلطات شاه إيران، ونجحت بنقل نحو ١٥٠٠ يهودي عراقي، وقالت انه لم يبق وقتها سوى نحو ٣ آلاف يهودي.

الصابئة (المنداليون): أقلية دينية يبلغ تعدادها نحو ٧٠ ألفاً في العراق، ومكان يجمعها الأساسي في جنوبي العراق على ضفاف دجلة والفرات، ومنها الأقلية الأخرى في إيران حيث تتواجد على ضفاف نهر الكارون في أهواز إيران. واختيارهم هذين المكانين يعود إلى وفرته بالماء طيلة أيام السنة نظراً إلى أهمية هذا العنصر الحياتي في طقوسهم ومعتقداتهم الروحية. نرح منهم عدد إلى بغداد، وعدد أقل إلى مدن عراقية أخرى مثل العمارة والبصرة والناصرية وحتى الموصل في الأربعينات بسبب النهضة الصناعية؛ وأكبر موجة من نزوح الصابئة في اتجاه العاصمة حدثت خلال السنوات العشر الأخيرة بسبب حرب الخليج، كما هاجر عدد منهم إلى أوروبا وأمريكا وأستراليا. أما الذين بقوا في بغداد، فأخذوا يعودون إلى النهر بسبب الحظر

اليهودية في العالم. وأقدم وجود لليهود في العراق يعود إلى القرن الثامن ق.م، أي في فترة الحكم الآشوري. وأخذت أعدادهم بالازدياد بشكل كبير في العصر البابلي الحديث بعد الحملة التي قادها نبوخذ نصر الثاني في ٥٩٨ ق.م. إلى فلسطين وقضائه على تمردهم، ونقله معه إلى بابل ألفاً من اليهود أسكنهم في جوار المدن والقرى البابلية، ما ساعدهم على التجمع في المنفى والاستمرار في ممارسة تقاليدهم وطقوسهم الدينية.

في الدولة الإسلامية، عمل اليهود معاملة جيدة باعتبارهم «أهل الكتاب»، وبعضهم ارتقى إلى مناصب عليا في الدولة العباسية، وقدّم عددهم في عهد الخليفة المستنجد عند زيارة الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي لبغداد سنة ١١٧٠ بأربعين ألفاً في بغداد وحدها.

ساعت أحوال اليهود، كما كل العراقيين، بدءاً من الغزو المغولي. ثم عادت وتحسنت مع مجيء العثمانيين. وفي ١٨٧٦، كان مناحيم داتال أحد الممثلين الاثني عشر عن بغداد في «مجلس المبعوثان»، وبعده انتخب ساسون حسقيل لدورات عدة، كما كان مستشاراً لوزارة التجارة في الحكومة العثمانية وعضواً في جمعية الاتحاد والترقي.

أخذت النظرة الودية نحو اليهود تتغير بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بال (١٨٩٧) وأصبحوا محط الشكوك والريب، إلى أن وقع انقلاب ١٩٠٨-١٩٠٩ الذي قاده حزب «تركيا الفتاة» والذي كان عدد من قاداته من اليهود الذين أسلموا (الدوغة) كجاويد باشا وطلعت باشا. فسهل النشاط الصهيوني وأخذت الهجرة اليهودية إلى فلسطين تزداد.

طيلة الوجود الانكليزي في العراق (الاحتلال والانتداب)، وفي مرحلة ما بعد الاستقلال (١٩٣٢)، لعب اليهود العراقيين دوراً بارزاً في حقل الخدمات الحكومية وحقل التجارة، وتواجدوا في الوزارة والبرلمان (ساسون حسقيل عين وزيراً للمالية في وزارات متتالية في العشرينات؛ ويوسف رزق الله غنيمية عين كذلك وزيراً للمالية في ست وزارات آخرها في ١٩٤٧، ووزيراً للتموين في ١٩٤٤). أما عددهم في العشرينات والثلاثينات فيقول جورج انطونيوس («يقظة العرب»، ص ٤٨٦) بصده: «وفي العراق جماعة يهودية يبلغ عددها ٨٠ ألفاً تقريباً ومعظمهم يقطن في بغداد».

أوجد ضرب ثورة الكيلاني (ايار ١٩٤١) وتصفيته حالة من الفوضى اتسمت بوقوع أحداث في بغداد (حزيران ١٩٤١) عرفت بأحداث «الفرهود» (كلمة



طقس عماد صابئي.

رجال دين من الصابئة.



المفروض على العراق منذ ١٩٩٠، إذ لم يعد هناك ضغط لايصال المياه إلى المسيح الذي كان يوفر لهم الماء لممارسة طقوسهم. كتابهم المقدس هو «كنزه ربه»، أو الكنز الكبير، المكتوب بالمندائية، وهي لهجة آرامية، ولا يجيد اليوم قراءة هذا الكتاب إلا عدد قليل من الصابئة. وفي تحديد مناسباتهم الدينية يستخدم الصابئة المندائيون التقويم البابلي، وأهم مناسباتهم الدينية هو «العماد» حيث يقوم الرهبان الصابئة، والمؤمنون، بتزييل أناشيد باللغة الآرامية أثناء تعويد المؤمن في مياه نهر دجلة، مرتدين ملابس تشبه ملابس مرحلة يوحنا المعمدان وبالطريقة نفسها التي عمد بها يوحنا المعمدان السيد يسوع المسيح.

عُرف الصابئة المندائيون بامتثالهم لصناعة القوارب والحداثة وخاصة صياغة الذهب والفضة منذ أيام العباسيين، كما اشتهروا بالعلم والفن والمواهب العقلية التي قربتهم من السلطات في كل العصور، وحببتهم الاضطهاد وحاجة التحصن في الجبال كما تفعل الأقليات أحياناً، وشهرة هي قولة المأمون فيهم معللاً سبب البقاء عليهم: «لولا مزاياهم العقلية»، إضافة إلى ذكرهم في القرآن الكريم، وقد وفر هذا الذكر خلافاً بين الفقهاء بصددهم كانت نتائجه لصالحهم في أغلب الأحوال.

وردت تسميتهم في ثلاث سور قرآنية، منها سورة البقرة ٦٣: «إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا يخوف عليهم ولا هم يحزنون». وورد ذكرهم في غالبية أمهات الكتب الإسلامية في صدر الإسلام وبعده، وذكرهم الشافعي في كتابه الفقهي حيث يعتبرهم فرقة من الفرق المسيحية: «من دان دين اليهود والنصارى من الصابئين والسافرة أكلت ذبيحته وحل نسأه». ولا موقف ديني حتى اليوم لمرجعيات المذاهب المسيحية الكبرى من الصابئة، واكتفى الفاتيكان بذكرهم، في ١٩٥٣، في وثيقة بعنوان «حوران الداخلية».

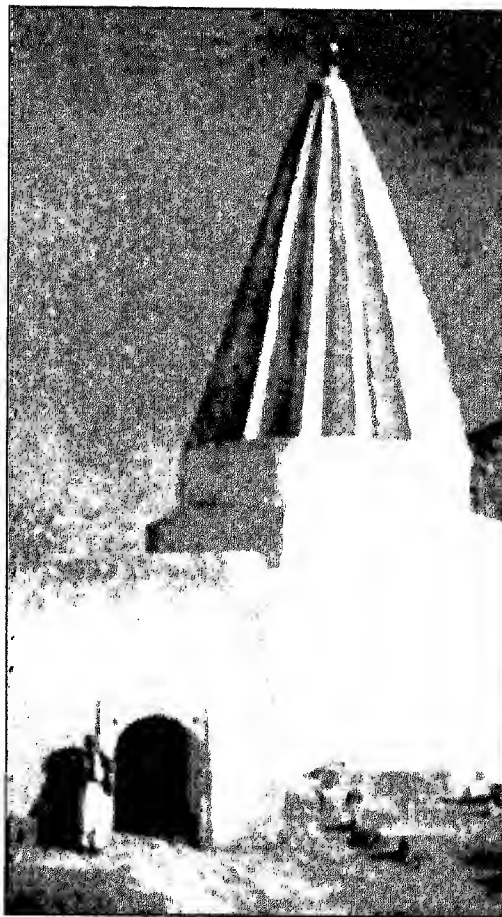
وضع عدد كبير من الدراسات والكتب حول الصابئة. لكن أهمها كتاب *The Mandeans of Iraq and Iran* الذي صدر في ١٩٣٧، للمستشرقة البريطانية ليدي درور (١٨٧٩-١٩٧٢) الذي ترجمه إلى العربية الصابئان المندائيان غضبان الرومي ونعيم بدوي، وكانت درور زوجة السير درور الذي عمل مستشاراً في وزارة العدل العراقية للفترة ١٩٢٢-١٩٤٦، فقامت بدراسة الصابئة عن قرب وعاشت بينهم وتعلمت لغتهم وجمعت كل النصوص المندائية الأساسية وترجمت العديد منها.

تحو ٢٤ ألف شخص يزيدي في سنجار و٣ آلاف في سورية. وفي ١٩٤٩، أعطى داملوجي Damloogi الأرقام نفسها بالنسبة إلى تعدادهم في سنجار، لكن بالنسبة إلى منطقتي شيخان والموصل فإنه أحصى ٥٦ قرية. وأثناء رحلته في القفقاس عام ١٩١٠، أحصى الأمير اسماعيل تشول ٧٢ قرية فيها ٣٥٠٠ منزل. وفي مقال في الجريدة الكردية «رزغاري»، ترجم إلى العربية ونشرته صحيفة «الحرية» البيروتية (العدد ٤١ تاريخ ١٣ نيسان ١٩٥٩)، وكتبه حيدري، جاء ان هناك ٤٠ ألف كردي في كل من أرمينيا وأذربيجان وجورجيا، وانهم يسكنون بصورة خاصة في تيفليس وباتوم، وأنهم بغالبيتهم من اليزيديين. لكن الإحصاء الرسمي الذي أجراه الاتحاد السوفياتي في ١٩٣٩ أشار إلى ان هناك ٤٥٨٦٦ كردياً، بينهم ١٥ ألف يزيدي. وإذا كان التقدير يشير إلى وجود ٣٠ ألف كردي في العراق، و٣ آلاف في سورية، وبعض الآلاف في تركيا، وتحو ١٥ ألفاً في الاتحاد السوفياتي، فيكون ان عدد اليزيديين لا يمكن ان يتجاوز الخمسين ألفاً» (Thomas Bois, O.P., «Les Yézidis», imp. Catholique, Beyrouth, 1961, p.221)

من النظريات البارزة حول اصل اليزيديين نظرية الأكاديمي السوفياتي ن. ج. مار N.J. Marr الذي تقدم بها منذ ١٩١١، وتعتبر ان اليزيديين طائفة كردية (وهذا يعني انهم من الشعوب الهندو-أوروبية) فقدت الكثير من خصوصيات معتقداتها الدينية مع دخول الأكراد في الاسلام. فاليزيديون، تبعاً لهذه النظرية، هم الأكراد الذين استمروا على دينهم الاصلي.

ليس لدى اليزيديين تاريخ مكتوب، فاعتمدوا «علم الصدر»، أي الحفظ والرواية الشفهية، تاركين لغزهم ان يقول فيهم ما يشاء. وحتى وقت قريب كان يحرم على اليزيدي تعلم القراءة والكتابة، واحتلقت عليهم أمور عقائدهم. لكن تصوفهم الفطري وتكشفهم في أمور الدنيا وتوقهم إلى عالم الأرواح الطاهر وكرههم للعن والإيذاء جذبت إليهم المتصوفة.

وتختصص تسميتهم باليزيديين، اختلفت الآراء حولها. فمنها ما ينسبهم إلى يزيد بن معاوية، أو يزيد بن أنيسة أو يزيد بن عنيزة؛ ومنها ما لا ينسبهم إلى أي يزيد بل إلى كلمة «يزدان» التي تعني في الزرادشتية الإله المقدس، و«الفعل يزد معناه يعبد ويضحى»، والاسم «اليزيدي» يعني «الخالق بالعبادة». ومن الآراء ما يعيد التسمية إلى مدينة تدعى «يزدم» على مقربة من حدياب (وهي الموصل



مكان يزيدي مقدس (بعشيق، الموصل).

السيزيديون (الأيزيديون): التقديرات الحالية

لعدددهم تتراوح بين ٦٥-٨٠ ألفاً. أماكن تواجدهم الرئيسية في أودية شيخان وجبال سنجار في العراق. وهناك يزيديون في سورية حيث تتوزع قراهم في الجزيرة وفي جبل سمعان. وكان هناك بعض الآلاف منهم، في المرحلة السابقة على قيام الاتحاد السوفياتي، في تيفليس (جورجيا) ويريغان (أرمينيا)، والباقرن هناك ما لبثت ان ضاعت هويتهم الدينية بعد قيام الاتحاد السوفياتي. ثمة إحصاءات أخرى تعطي فكرة عن تطور عددهم:

«ليس هناك من إحصاءات حادة حول اليزيديين. في القرن السابع عشر، قدر فيبر Febvre عددهم بـ ٢٥٠ ألفاً. وعشية الحرب العالمية الأولى، قدره ويغرام Wigram بما لا يتعدى ١٢٠ ألفاً. وفي ١٩٣٧، أحصى ر. ليكوت R.Lescot ٤ آلاف منزل يزيدي في جبل سنجار، و ٤٠٠ في جبل سمعان و ٢٧٠ في الجزيرة السورية، أي ما يعادل

أعلاه؛ المنجدا دراسات ميدانية قيمة كتبها الصديق الكاتب والصحافي السوري نبيل فياض، ونشرت بعضاً منها جريدة «الديار»، ١١٩٨٩ ومقالة رشيد البندر، باحث عراقي، «الحياة»، العدد ١٢٠٠٤، تاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٩٦، ص ٢١).

**الأشوريون (والكلدان):** يعتبر كثيرون، لا بل الجميع ربما، أن أهم الكتب المؤرخة للعرب في عصر النهضة، وخاصة في فترة مرحلة الانتداب والاستعمار في العشرينات والثلاثينات، هو «يقظة العرب» لجورج انطونيريس. فماذا في هذا الكتاب عن الأشوريين في العراق في العشرينات والثلاثينات (ص ٤٨٧-٤٩٠)؟

«أما الأشوريون الذين تردّد ذكرهم كثيراً في السنوات الأخيرة (أي في اواسط الثلاثينات) فإلّهم يشكلون مجموعة أخرى متميزة غير عربية، وهم كالأكراد ينتمون في الموصل وكان تعدادهم يبلغ ٣٥ ألف نسمة (سكان العراق كانوا يزيدون قليلاً عن ٣ ملايين)، وهم ينتمون إلى الكنيسة النسطورية. وقد خلقت وجود هاتين الاقليتين (المقصود بالأقلية الثانية الأكراد) وغيرهما ووجود عدد كبير من السكان في حال البداوة مشكلات ذات طابع سياسي وإداري عوّقت مهمة البناء (المقصود بناء الدولة) بل كانت أحياناً تهددها بالانتكاس. وربما كانت القبائل البدوية هي أخطر الصعوبات جميعاً فالقبائل دائماً مشكلة في إقامة حكومة نظامية غير ان أمرها في العراق أعسر لعوامل محلية متنوعة مثل الارض والماء والدين (...). وكان أكثر الأشوريين مهاجرين من جنوب شرقي الأناضول هربوا من ظلم الترك خلال الحرب، ولجأوا إلى العراق، ودخلوا تحت جناح القيادة العسكرية البريطانية، وكان عدد كبير منهم قد سلكوا أنفسهم في خدمتها. ولم يكن بينهم وبين العرب (بل وغير العرب) من سكان العراق أية روابط مشتركة. ومما زاد في انكماشهم انهم منذ الايام الاولى اغازروا-علنا- إلى جانب الدولة المحتلة. وكانت المشكلة التي خلقها وجودهم في العراق من بعد فريادة من عدة وجوه، إلا ان صعوبتها لم تنشأ من أعدادهم أو فقرهم أو احتياجاتهم الخاصة، وإنما نشأت من الأثر النفسي الناجم عن موالاتهم للدولة المنتدبة طوال عهد الانتداب، فكانت تلك المبالاة حاجزاً آخر بينهم وبين الشعب الذي التجأوا إليه، وكما أنها زادت من شعورهم بالانكماش والعزلة، طمست إحساسهم بالتناسب وجنحت بهم إلى الاسراف في الآمال وإلى اعتمادهم المردي على خصائصهم الحربية

نفسها) أوردتها مؤرخ يوناني عاش في القرن السابع. والجديد في البحث حول أصل التسمية انها نسبة إلى كلمة سومرية وجدت مكتوبة بالخط المسماري، كشف عنها أحد خبراء الآثار واللغات القديمة الألمان، وهي A-zi-da وتعني الروح الخيرة وغير الملوثين والذين يمشون على الطريق الصحيح. وبالفعل وردت هذه الكلمة في القاموس السومري (جامعة بنسلفانيا، الولايات المتحدة، ١٩٩٤) بمعان عدة ومتقاربة. ومقارنة بما يقوله اليزيديون (أو الأيزيديون) الحاليين: «نحن على دين الحق، بيضاء ملابسنا، الجنة مكاننا»، تكون هذه النسبة مؤشراً ربما يؤدي للكشف عن صلة بين هذه الديانة وما عرفه السومريون من عبادات.

أما بخصوص تسميتهم بـ«عبدة الشيطان» الذي عثله لديهم الطاووس، فيكاد الدارسون يجمعون اليوم على انهم يكرّمون الشيطان الذي كان يُدعى بجماله «طاووس الملائكة» قبل ان يطرده الله من الجنة لأنه رفض الخضوع لأدم، الأمر الذي يذكر بـ«زعيم الملائكة» عند المسيحيين الذي كان يدعى «لوسيفر» أي «حامل النور» وبـ«إليس»، في بعض الروايات الاسلامية، الذي ترسل الطاووس، وليس الأفعى، باعتبار الطاووس أكثر جمالاً وفتنة، لكي يوقع بأجدادنا الأول (للفيلسوف الالمانى إيمانويل كنت Kant قول يوجز هذه الرواية الدينية: «للطاووس بهاء الملك، مشية السارق وصوت الشيطان»). فاليزيديون يعون بوضوح المخطور والمسموح، الخير والشر، ويعبدون الله. وهذا واضح في صلواتهم: «الله هو الواحد الذي لا شريك له ولا خليل هو الواحد الأتقار». وأما تشديسهم وإجلالهم للشمس ونورها فينبع من أهمية هذا الكوكب في الحياة والضياء. وهذا التقديس له علاقة بعقائد قديمة، منها الزرادشتية والشمسية وربما أقدم منهما. يقتبس اليزيديون في العراق مقاماً باسم الشيخ «عدي» ولهم كتاب ديني يُسمى «الجلوة».

والتسمية (عبدة الشيطان) تعود إلى قرون من الاضطهاد الذي تعرّض له اليزيديون. وفي ١٧٩١، أطلق عليهم الوزير العثماني في العراق أحمد باشا هذه التسمية بعد ان قتل منهم مجموعة وبعث برؤوسهم المقطوعة إلى اسطنبول. أما أكثر الكتاب الذين أشاعوا هذه التسمية في التاريخ المعاصر فكان الأب أنستاس الكرملي (١٨٦٦-١٩٤٧)، لغوي وأديب وصاحب مجلة «لغة العرب»، وعضو اجمع العلمي العربي، ومن مؤلفاته «خلاصة تاريخ بغداد» (مراجع هذا الموضوع: الكتاب الفرنسي المذكور



الرغبات التي أفضح عنها الأشوريون، وان العروض التي تقدمت بها الحكومة لم تكن منصفة فحسب بل كانت سخية كذلك. غير ان الاخفاق في الوصول إلى اتفاق نجم في الدرجة الاولى عن عناد الأشوريين وعن الموقف الفائل الذي وقفه بعض زعمائهم. ويقع جانب من المسؤولية على عاتق البريطانيين ايضاً: أولاً لأن زعماء الأشوريين ظنوا الخبايا العنوية التي أبدتها السلطات العسكرية البريطانية وبعض الأساقفة الانجليكانيين نحوهم تعني مقداراً كبيراً من المساعدة أكثر من حقيقتها، وثانياً لأن دولة الانتداب لم تصنع سمعها إلى الانذارات التي تتحدث عن الاضطرابات، وقد ظل الموظفون البريطانيون في العراق يرسلونها إلى وزارة المستعمرات طوال السنوات التي سبقت اندلاعها».

أشوريو اليوم هم أحفاد الأشوريين أصحاب الحضارة المعروفة في بلاد ما بين النهرين، حافظوا على تقاليدهم المميزة، وخاصة على لغتهم التي ما زالوا ينطقون بها، وهي تعود في أصولها إلى مزيج من اللغات الآشورية والآرامية والبابلية القديمة. احتموا بجبال شمالي العراق ولم يفتنوا بالشعوب التي غزت بلادهم.

في القرن الأول الميلادي، اعتنق الأشوريون المسيحية على أيدي رسل القديس توما. ومنذ ذلك الوقت

(...) كان الملك فيصل وحكومته أكثر نجاحاً في معالجة أمور الاقليات. ذلك لأن مشكلة الأقليات كانت مما تمس به زعماء العرب وخبروه لاتصالها بنفس الامور التي كانوا يتجادلون هم والأتراك حولها من قبل، وكانت السياسة التي اختاروها تعتمد على حسن الادراك والتسامح. فقد أدركوا أهمية القيم الثقافية والحرية الطائفية-لأنهم كانوا يحسونها إحساساً عميقاً- لذلك كانت الامتيازات التي منحوها للأقليات سخية مشمولة بالحكمة. ونتجت عن ذلك سلسلة من التشريعات والإجراءات الخاصة، توصلوا إليها بالاتفاق مع زعماء كل أقلية، وبرهنت على انها قابلة للتطبيق، ولم تشذ عن ذلك إلا الأقلية الآشورية. وقد ذهبت حكومة العراق في معالجة مشكلة الأشوريين إلى أقصى حد تستطيعه في تقديم الامتيازات غير ان المطالب المسرفة التي تقدم بها البطريرك الآشوري وجماعة شرسة من زعماء تلك الطائفة جعلت الاتفاق مستحيلاً. نعم لا شيء يسوِّغ الاعمال الوحشية التي أنزلت بالأشوريين بعد ثورتهم المسلحة في صيف ١٩٣٣، كما ان المذبحة التي جرت هنالك وصمة معيبة في صفحات التاريخ العربي، ولكن هذا لا يغير شيئاً من الحقيقة: وهي ان حكومة العراق قبل تلك الحادثة لم توفر جهداً لكي تحقق كل

رابطة الكلدان من ذوي الاصل العراقي في ديترويت (الولايات المتحدة، ١٩٤٧).



ارتبط تاريخهم بتاريخ المسيحية. وفي مطلع القرن الخامس برز منهم البطريك نسطور الذي عارض فكرة الرهبة المسيح وقال إنه ذو طبيعة مزدوجة. وعلى رغم أن نسطور عوقب ونفي إلى ليبيا، فإن الأثوريين تمسكوا بمذهبه وأصبح هذا المذهب صفة قومية.

قدم الأثوريون مساعدة للفاتحين المسلمين، وساهموا في عهدود الحضارة العربية في ادارة الدولة وفي ثقافتها سيما في مجال ترجمة العلوم والفنون عن اللغات الأجنبية التي كانوا يتقنونها بفضل صلاتهم العريقة مع الشعوب المجاورة. وفي بعض الفترات، تعرّض الأثوريون للاضطهاد فهاجر قسم كبير منهم إلى أنحاء متفرقة، ولا سيما إلى الصين وأذربيجان وروسيا.

في ١٨٤٥، اعترفت بهم اسطنبول كملّة مستقلة من الملل العثمانية. ومع مريحة قدوم المبشرين الغربيين (والارسلالات) إلى المنطقة، قاومهم الأثوريون بقوة ولم يعترفوا بالمدّعى الغربي (الكاثوليكية والبروتستانتية) سوى عدد قليل منهم.

عن فترة ما بين الحربين العالميتين، الاولى والثانية، كتب محمد خليفة، كاتب وصحافي سوري («الحياة»، ١١ آب ١٩٩٣): «إبان الحرب العالمية الاولى ثار الأثوريون على الاتراك وقاتلوا بضراوة على أمل ان يمنحهم الدول الأوروبية المتحالفة بعد هزيمة تركيا حق تقرير المصير وتسمح لهم بتأسيس وطن قومي، خصوصاً ان الروس والانكليز دخلوا هذه الاماني في نفوسهم. غير ان الاحداث لم تسفر سوى عن مأساة، فقد تراجعت الدول الأوروبية بعد الحرب عن تعهداتها الغامضة لهم واكتفت بمناقشة قضيتهم مراراً وتكراراً في عصبة الأمم، وطالبت الدول التي يعيرون بها بمنحهم حقوقهم الثقافية. إلا ان تركيا عاقبتهم بقسوة، فنزح عشرات الالوف منهم (من جنوب شرقي الاناضول) وانضموا إلى اخوانهم في العراق، وقامت ايران ايضاً باضطهادهم وتهجيرهم، فتجمع العدد الأكبر منهم في العراق وسورية. وأقامت بريطانيا لهم معسكرات تحت حمايتها باشراف عصبة الامم (نحو ٣ آلاف هاجروا، في ١٩١٥، إلى روسيا، واصبح عددهم اليوم نحو ٤٥ ألفاً، ١٠ آلاف في العاصمة موسكو).

وواصل الأثوريون معاولاتهم إلى انتزاع دعم الدول الأوروبية لإقامة دولة في شمالي العراق، لكن الانكليز الذين كانوا يحتلون العراق استغلّوهم لمصالحهم، فشكّلوا منهم «كتائب عسكرية» اعتمدوا عليها في قمع انتفاضة الأكراد والعرب، مما أحدث جرحاً عميقاً في العلاقات بين العناصر

الثلاثة نتج عنه قيام الأكراد والعرب لاحقاً (أي في ١٩٣٣) بالانتقام منهم في معارك ضارية، أخذت طابع المذابح الجماعية وأسفرت عن فرار عشرات الآلاف منهم إلى سورية وقيام الحكومة العراقية بفرض الإقامة الجبرية على زعيمهم السياسي والروحي البطريك مار شمعون في بغداد، قبل ان تجرده من جنسيته وتسمح له بالهجرة إلى أميركا. وطوال ثلاثين سنة استمر النزاع والقتال بين الأكراد والأثوريين خصوصاً بعد أن عزّز الأكراد ثورتهم المسلحة، نظراً إلى ان النزاع بين الجانبين بات يدور حول أرض واحدة يعتبرها كل منهما أرضاً قومية له ويسعى لإقامة كيان سياسي عليها. ودُمغ الأثوريون بالعمالة للأجنبي. وقد تكررت المحنة في سورية، حيث استقبلت سلطات الانتداب الفرنسي عشرين ألفاً منهم بعد نزوحهم من تركيا والعراق ووطنهم في شمالي سورية (محافظة الحسكة). وداعبت فرنسا احلامهم القومية لكنها في النتيجة لم تفعل سوى ما فعلته بريطانيا، إذ استخدمتهم كمقاتلين أشداء لتدعيم احتلالها وسخت عليهم بامتيازات مادية، وحين استقلت سورية تمّ تجريد الأثوريين من تلك الامتيازات، مما دفعهم إلى الهجرة الواسعة إلى أميركا وأوروبا».

في مطلع السبعينات، بدأت صفحة جديدة في المسألة الأثورية. ففي ١٦ نيسان ١٩٧٢، انضمت السلطات العراقية بمجموعة قرارات لصالح الأقلية الأثورية (بما فيهم الأقلية الكلدانية). فاعترفت بحقوقهم الثقافية، حيث سمحت لهم بتدريس لغتهم في المدارس الابتدائية والمتوسطة، وتدريس العربية كلغة ثانية، وافتتح في جامعة بغداد قسم للغة والآداب الأثورية، وتأسست أكاديمية للغة الأثورية، وقسم خاص بهم في اتحاد كتّاب العراق، والتزمت الدولة بتقديم المساعدات المادية والمعنوية للكتّاب والفنانين الأثوريين، وأعيدت الجنسية العراقية للبطريك الأثوري مار شمعون الثالث المبعد عن العراق منذ ١٩٣٣.

لكن قبل هذه الاجراءات، أي في ١٩٦٨، عقد في باريس المؤتمر الأثوري الاول الذي اسفر عن تأسيس «الاتحاد الأثوري العالمي» كمنظمة عالمية للدفاع عن حقوق الأثوريين وتوحيد صفوفهم حيثما كانوا في العراق أو تركيا أو ايران أو سورية أو الاتحاد السوفياتي أو قبرص أو الولايات المتحدة وأوروبا. وسرعان ما ظهرت في هذه المنظمة تيارات متباينة حول الاهداف: تيار يطالب بالكفاح لإقامة دولة مستقلة في مناطق حضورهم التاريخي (شمالي العراق، شمال شرقي سورية، جنوب شرقي تركيا وغرب

وكذلك بعض القرى التابعة لمحافظة كركوك. أما تعدادهم بحسب ما ورد في إحصاء ١٩٤٧ هو ٢٨١٣٠ تركمانيًا من أصل ٣ ملايين و٤٦٨ ألفًا هو إجمالي عدد سكان العراق. وفي إحصاء ١٩٥٧، كان العدد ٥٦٧ ألف تركماني (٦ ملايين و٣٧٦ ألفًا مجموع عدد سكان العراق). ونتيجة لإحصاء ١٩٨٧ (١٨ مليونًا مجموع عدد سكان العراق) ذكرت التقديرات ان التركمان أصبح عددهم يناهز ١٥٠-٢ مليون نسمة. مسلمون باستثناء بضع مئات من الكاثوليك في قلعة كركوك.

يعود التركمان إلى الاصول التركية، كما يعود وجردهم في العراق إلى نحو ألف سنة، وقد زالوا الحكم فيه قبل العثمانيين بنحو قرنين من الزمن. بدأ استيطانهم أرض العراق منذ الامويين. وفي العهد العباسي، شكل الخليفة المنصور، والخليفة هارون وحدات عسكرية منهم بغية إيجاد توازن مع الفرس في جيشهما، في حين اعتمد المعتمد كليًا عليهم واسكنهم سامراء. وكثر عددهم في ايام البويهيين ثم الصفويين ثم السلجوقيين. وفي عهد هولاة تأسست عدة إمارات تركمانية في الموصل وكركوك وأربيل... وامتدت فترة حكم الامارات-الدول التركمانية ١٩٦٦ عامًا.

وفي العهد العثماني، رافقت عشائر من التركمان الحملات العثمانية، أهمها حملة السلطان سليمان القانوني (١٥٣٤)، وحملة السلطان مراد الرابع (١٦٣٨) الذي استزد فيها بغداد من أيدي الصفويين. وكان العثمانيون يُسكنون هولاة التركمان المشتركين معهم في الحملات العسكرية في المواقع والحاميات المكلفة حماية «الطريق السلطاني العظيم»، أي المنطقة التي يسكنها التركمان في الوقت الحاضر. ولأنهم كانوا معتادين على الحكم والادارة والحياة المدنية، فقد زودوا الدول العثمانية بالموظفين والاداريين ونخب في الصناعة والتجارة.

مع الاحتلال الانكليزي للعراق ثم مع الانتداب وبداية قيام الدولة العراقية، بدأ التركمان ينكفئون عن مواكبة الأحداث، وفسرت السلطات، بما فيها الوطنية، موقفهم بالسلبية استنادًا إلى الخلفية التاريخية، فزاد هذا الأمر من انكفائهم وثقلتهم، خاصة وان التركمان تعرّضوا في ١٩٢٤ إلى مجزرة بتدبير من الانكليز وبواسطة جنود «الليفي» من الأتوريين.

بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، رأى بعض قادة التركمان أن الوقت حان للخروج من العزلة، وربما من التخلف. فأرسلوا برقيات تأييد للزعيم عبد الكريم قاسم،

شمالي إيران، وهي المناطق نفسها التي يعتبرها الأكراد وطنهم القومي، وتيار يكتفي بالمطالبة بحكم ذاتي في مناطق كثافتهم السكانية، وثالث يقلص المطالب إلى حكم اداري واعتراف بالحقوق الثقافية. وكان أقصى ما تمكنت منظمة الاتحاد الأتوري العالمي من تحقيقه هو الانضمام إلى منظمة الشعوب التي ليس لها حكومات ودول (U.N.P.O) وتضم نحو ثلاثين شعبًا، منهم الأكراد والتركمان والهناد الحمر وسكان أوسناليا الاصليين...

وفي أعقاب حرب الخليج الثانية، ظهرت احزاب ومنظمات سياسية للأتوريين، أهمها «الحركة الديمقراطية الأتورية» التي دخلت عضوًا في «الجبهة القومية الكردستانية»، وهي طرف من أطراف المعارضة العراقية الحالية. وتقول هذه الحركة إنها لا تطالب بالانفصال، ولكنها تسعى للاعتراف بالقومية الأتورية.

أما بالنسبة إلى الكلدان، فإن مساهمهم التاريخي واحد تقريبًا مع الأتوريين، وهم مثلهم يتحللون من الكلدان والبابليين والأشوريين أصحاب الحضارة التاريخية العريقة في بلاد ما بين النهرين. كان الكلدان أكثر انفتاحًا على البشريين (والارسلالات) الغربيين، فتشكلت فيهم كنيسة كاثوليكية، كما منهم عدد من البروتستانت. تاريخهم السياسي الحديث، بما فيه الهجرات (خاصة إلى الولايات المتحدة)، مندمج إلى حد كبير بتاريخ الأتوريين، ويفضل الكلدان تسمية «الحركة الديمقراطية الأتورية» باسم «الحركة المسيحية»، كما ويلدغون باتجاه تعاون كردي-مسيحي على ان تحترم الأكراد الكردية مشاعر الأقلية المسيحية وحقوقها. الحالية الكلدان ناشطة في الولايات المتحدة، وتعمل على إقناع الحالية الأتورية هناك على ان يتسجل أفراد الجاليات هناك باسم مشترك هو «كلد-آتور» في الاحصاء المقبل لسكان الولايات المتحدة المقرر إجراؤه في العام ٢٠٠٠، ذلك انه إذا كان عدد المسجلين ١٠٠ ألف فأكثر يصبح بإمكانهم الحصول على امتيازات و منافع تُسرّ بها السلطات الفدرالية هناك. وكذلك، تجري الكنيسة الكلدانية مفاوضات مع الكنيسة النسطورية (الأشورية) لتوحيد الكنيستين.

**الوكمان:** أماكن تجمعهم الأساسية هي المنطقة السهلية الفاصلة بين المنطقة الجبلية الكردية من تلعفر في الشمال الغربي من العراق إلى مندي في الجنوب الشرقي منه. وأهم مراكزهم السكنية: قرى قضاء تلعفر التابعة لمحافظة الموصل، مدينة أربيل وبعض القرى التابعة لها،

وبدأت تتخذ إجراءات في مناطق الشمال، خاصة في محافظة كركوك، على أساس هذا المرسوم، لا سيما في ما يتعلق بالعقارات والأسماء.

لم يحمل التركمان السلاح منذ قيام دولة العراق الحديث (بعد الحرب العالمية الأولى) ولا شاركوا في الأحداث السياسية، بل حُمل السلاح ضدهم وجاءت الأحداث لتطبق عليهم العزلة. لكن حرب الخليج الثانية غيرت من المشهد المعروف عن التركمان، فشاركت بعض تشكيلاتهم في انتفاضة آذار ١٩٩١ الفاشلة، ثم بدأ بعضهم ينتظم في حركات وتجمعات سياسية داخل جبهات المعارضة. وكان لتصريحات الرئيسين التركيين، أوزال ودهيريل، حول «إعادة النظر في الحدود» (توقف الحديث عنها منذ أواخر ١٩٩٥) أن أعادت البحث على نطاق واسع في وضع التركمان كأقلية قومية (راجع «مسألة الموصل» في باب معالم تاريخية).

وأظهروا قدرًا كبيرًا من الفرحة والتأييد المطلق للثورة في عيدها الأول (١٩٥٩). لكن ذلك لم يرح بعض الاطراف، فوقعت بجزرة بشعة بحقهم ذهبت بأرواح نخوة من شبابهم أثناء الاحتفال في مدينة الموصل (راجع «الحزب الشيوعي» في باب الاحزاب). فكانت صدمة عنيفة جدًا احجم بعدها التركمان من تحديد عن التفاعل مع الأحداث، ولم ترتفع عنهم الضغوط والملاحظات بعض الشيء إلا في عهد عبد الرحمن عارف.

في ١٩٧٣، نص الدستور العراقي الموقت، وكذلك الدستور الذي أعلن عنه في ١٩٩٠، على ان الشعب العراقي يتألف من العرب والأكراد. وفي تعداد ١٩٧٧ و١٩٧٨، ارغم التركمان على تحديد أصولهم العربية أو الكردية في استمارة الاحصاء، وصدر مرسوم جمهوري عشية الاحصاء اعتبر التركمان عربًا رسميًا،

اللغات الايرانية التي تمثل فرعًا من مجموعة اللغات الهندو-اوروية. ولكنها لغة نقية لها مميزاتها الخاصة وتطوراتها القديمة والمعاصرة. ويتوزع الأكراد سكانيًا وجغرافيًا على الحدود العراقية-السورية والعراقية-التركية والعراقية-الايرانية والايرانية-الأذربيجانية والايرانية-الأرمنية. أي ان الأكراد يعيشون على حدود العراق وتركيا وايران وسورية وأذربيجان وأرمينيا، ولكن تواجههم الفعلي والذي رسخ نتيجة العديد من العوامل التاريخية والجغرافية والسياسية جعلهم يتركزون في شمالي العراق، حيث ينطلقون من هناك لإثارة الاضطرابات مع الدول المجاورة أو مع العراق نفسه، ولعل ذلك ما جعل العراق الدولة الوحيدة التي عانت بشدة من بين الدول السابقة الذكر من تمركات الأكراد. وعلى الرغم من ان تقدير عدد الأكراد يمثل إشكالية كبيرة بفعل تضارب الاحصائيات وتنوعها، إلا انه مؤخرًا بات هناك إجماع على انهم لا يقلون عن ٢٠ مليون كردي، موزعون كالاتي: ١٢ مليونًا في تركيا، ٤ ملايين في العراق، مليونان في ايران، والباقي موزعون في سورية وأذربيجان وأرمينيا،

## كردستان العراق

(الخريطة توزع الأكراد على العراق وتركيا وايران وسورية، راجع ج٦، ص٢٤١. وراجع «كردستان ايران»، ج٤، ص١٧٢-١٧٩) و«كردستان تركيا»، ج٦، ص٢٤١-٢٥٥).

نظرة عامة: يشكل الأكراد، عمومًا، وحدة قومية خاصة. يدينون بالاسلام في ما عدا أقلية صغيرة يزيدية وأقلية أصغر مسيحية، كما ان هناك أقلية يهودية (راجع «يهود كردستان وعلاقات كردية-اسرائيلية» في هذا الباب). المذهب الرئيسيان هما السنة والشيعة. فالأكراد الذين يعيشون في كردستان العراق (المناطق الشمالية) وكردستان ايران في غربي أذربيجان إضافة إلى ثلثي أكراد تركيا هم على المذهب السني، فيما الآخرون على المذهب الشيعي. وللأكراد لغتهم القومية التي تنتمي إلى مجموعة

«تعتبر كردستان من أحسن الاراضي العثمانية»، ويعني بذلك الموارد الطبيعية. بعد هذا تناول عهد الاستعمار الغربي، فلقد زرع مارك سايكس الانكليزي كردستان شيئاً شيراً ووضع خرائط مفصلة عام ١٩٠٨ ثم تجاهل كل شيء حول واقع الشعب الكردي ووطنه واتفق مع جورج بيكو الفرنسي على تقسيم كردستان في معاهدة سايكس-بيكو (١٩١٦). في الوقت نفسه كتب مينورسكي الروسي دراسة «الأكراد: دراسات وانطباعات» في ١٩١٥ يحدد فيها المنطقة الكردية، وينطبق التحديد هذا إلى حد كبير مع ما سبق ذكره من دراسات. خلاصة القول إن الأكراد شعب عريق كالعرب، كما تؤكد المصادر التاريخية التي يرجع بعضها إلى ثلاثة آلاف عام أو أكثر.

بالنسبة إلى تدوين تاريخ الأكراد، ننقل ما ذكره الكاتب الكردي حسين أحمد الجلاف («حكايات تراثية كردية»، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والاعلام، دار النشر والثقافة الكردية، ١٩٨٨، ص ٣-٤):

«... فالذي يقرأ حكاياتنا الشعبية الكردية التي تنقلت شفهاً من عصور سحيقة في القدم إلى اواسط القرن الثامن عشر حيث قبض لبعضها أن يُدون ببراع بعض المستشرقين حيث ظل تراث الشعب الكردي الذي أنجب قادة عظاماً مثل كاوة الحداد داحر الظلم ومخطم اسطورة الطاغية ضحاك ومنجب صلاح الدين الايوبي حمر القدس من برائن الصليبية الغازية ومنجب مفكرين عظاماً وكتاباً كباراً أمثال ابن حلكان (صاحب وفيات الاعيان) وابن النذير والدينوري والجزري والقاضي الشهرزوري (فقيه دمشق وقاضيها الشهرير) وعشرات القادة والمفكرين الآخرين الذين خدموا الحضارة العربية الاسلامية والفكر الانساني بسيفهم أو اقلامهم... أقول ظل تراث هذا الشعب العريق الذي ورد ذكره تحت إسم «كوردراها» أو «كودراها» في أقدم المدونات السومرية كما يقول كيرزن (عن كتاب Anthropology of Iran and Iraq للعلامة هنري فيلد) والذي ذكره زينفيون تحت «كوردوكي» أو «كوردليو» في كتابه «أناباسيس» من ان شعباً تحت إسم «كوردوكيو» قاوم حملة العشرة آلاف فارس التي قادها زينفيون (عن مفكرة بيره ميرد الكردية، للاستاذ نرمان لعام ١٩٨١) بالذات عبر بلاد الكرد وفارس سنة ٤٠١ ق.م. قاوم الكرد تلك الحملة بشجاعة واستيسال نادرين... ظل تراث هذا الشعب شأنه شأن لغته الكردية نفسها مهملاً... وبدون تدوين لقرون طويلة».

ويتابع حسين أحمد جلاف (المراجع المذكور أعلاه،

كما ان تواجداً رمزياً لهم في بعض الدول العربية مثل مصر والاردن. وتعتبر أهم قبائل الأكراد في العراق هي: برزان، الطليانية، البابان، الجلاف، واليزيديون. وعبر التاريخ الكردي في العراق، كان هناك العديد من الفصائل والجمعيات والاحزاب، ويمكن ان نقول إنها سرّت بمرحلة فرز سياسي وصراحي أسفرت عن بقاء فصليين رئيسيين تتجمع حولهما بقية الفصائل الكردية وهما الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة مسعود البرزاني، والاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة جلال الطلياني (عن مجلة «السياسة الدولية»، العدد ١٢٦، تشرين الأول ١٩٩٦، ص ١٣٣-١٣٤).

نبذة تاريخية: يوجز حمورد عثمان (أقرب السياسيين الأكراد للملا مصطفى البرزاني، وشارك في جميع الوفود الكردية التي تفاوضت مع بغداد وآخرها في ١٩٩١) تاريخ الأكراد بقوله (مطلع كلمته في اللقاء العربي- الكردي الذي نظمته في القاهرة، في حزيران ١٩٩٨، اللجنة المصرية لمنظمة التضامن الأفرو-آسيوي، «الحياة»، العدد ١٢٨٩٧، تاريخ ٢٦ حزيران ١٩٩٨، ص ١٦):

«عاش الأكراد في وطنهم كردستان، وحسب الحقائق الجغرافية والتاريخية، منذ آلاف السنين. والأدلة والبحوث والدلالات على ذلك كثيرة، قبل الميلاد وقبل التوثيق العربي، كما ورد في زمن زينوفون اليوناني الذي مرّ من كردستان في القرن الرابع ق.م. وذكر عن مسيرته الشاقة هذه، إضافة إلى ما هو معلوم عن كردية الحوريين والمثانيين والميديين وغيرهم، ثم يأتي التوثيق العربي (ابن الأثير والمسعودي وغيرهما). وهذه الدراسات تؤكد أيضاً الانتشار الجغرافي للأكراد خلال القرون العشرة الأولى من الفترحات في موطنهم كردستان. وبعد القرن السادس عشر تبدأ الدلائل والوثائق العثمانية، كما ورد في ما كتبه «أولياجلي» في القرن السابع عشر، بعد رحلته في المنطقة، عن وجود الأكراد في مناطق سكنهم في الامبراطورية العثمانية، وكذلك في كتاب «الشرفنامه» للمؤرخ الكردي البديسي (القرن ١٦)، وللإستمرار في التسلسل التاريخي نأخذ ما كتبه الفرنسي بيار جوبير في ١٨٢١ (رحلة إلى أرمينيا وبلاد فارس) الذي يذكر ان كردستان ممتد من جبال آارات شمالاً وحتى جبل حميرين جنوباً، ومن أورمية ووان شرقاً حتى نهر دجلة غرباً. ثم نأتي إلى الأب أبوجي اليسوعي ١٨٨٦ الذي يؤكد هذه الحقائق، ومن ثم يقول

في مطلع القرن العشرين قاد ثورة الأكراد ضد السلطات العثمانية الشيخ عبد السلام البرزاني، وخاصة في ١٩٠٧، واستمرت حتى سلمه أكراد «تائبون» لوالي الموصل العثماني الذي أعدمه.

بعد الحرب العالمية الأولى: لذلك، ولأن الامبراطورية العثمانية كانت رازحة بكل ثقلها وقمعها على صدر شعوب الشرق وتمنع عليهم أي تطلع للتححرر، جاءت هزيمتها، وجاءت الوعود الغربية، فرصة لانبعاث التطلعات التحررية الدفينة عند تلك الشعوب، منهم الأكراد.

«يذكر الحاكم العسكري البريطاني في العراق الكولونيل أرنولد ويلسون، في مذكراته حول تلك الفترة انه حين زار الزعيم الكردي الشيخ محمود الحفيد في مستشفى بغداد حيث كان يعالج من آثار جراح أصيب بها في قتال ضد القوات البريطانية عام ١٩١٩: ذكرني الشيخ محمود بنود ويلسون الاربعة عشر وقرأها لي حين أخرج القرآن وفي داخله بنود الرئيس الاميركي مترجمة إلى اللغة الكردية مع نص البيان الذي كانت بريطانيا وفرنسا

الملا مصطفى البرزاني.



ص ٦): «ومما يجب ان لا يفوتنا ذكره هنا هو أن أول صحيفة كردية هي «كردستان» التي صدر عددها الاول في ٢٢ نيسان عام ١٨٩٨ في القاهرة التي كانت يومئذ أهم عاصمة عربية من قبل مقداد وعبد الرحمن بدرخان. وفي ظهورها على تلك الارض العربية من المدلولات العميقة التي تتضمن فيما تتضمن تسمح العرب تجاه انتشار ثقافة أشقائهم الكرد في تلك الفترة التي كانت سياسة التتريك سيطرة الصيت على أشدها في باقي أرجاء الدولة العثمانية بينما فتحت القاهرة صدرها لتستقبل الوليد الصحفي الكردي الاول بكل تقدير واحترام (تقول مراجع أخرى ان هذه الجريدة استمر صدورها حتى شباط ١٩٠٢، وصدر منها ٣١ عددًا، وتوجد مجموعة أعدادها في مكتبة هامبورغ في ألمانيا). ومن جهة الكرد كشف ظهور الجريدة في القاهرة عمق ما يعتمل في نفوس الكرد من حب تجاه أشقائهم العرب، واليوم في عراق الحضارة والانتصار ومنذ بيان الحادي عشر من آذار التاريخي عام ١٩٧٠ أخذت الثقافة الكردية تخطو خطوات واسعة جدًا على طريق الرسوخ والتطور والنمو بحيث صار العراق أهم مركز إشعاع ثقافي كردي في العالم بما تحظى به المؤسسات الثقافية الكردية من دعم الدولة ورعايتها المستمرة» (وبالفعل، وقف مؤلف هذه الموسوعة، أثناء مشاركته في مهرجان الربيع، صيف ١٩٨٨، في بغداد، على عشرات المؤلفات الكردية بالعربية والكردية والصادرة جميعًا في السبعينات-بعد بيان آذار ١٩٧٠-والثمانينات، لكن كلها عن دار النشر والثقافة الكردية التابعة لوزارة الثقافة والإعلام العراقية).

ربما كان العام ١٥١٤ هو العام الذي يشكل البداية البعيدة لما يسمّى اليوم «الفضية الكردية»، أو لما يمكن اعتباره بداية للتاريخ الحديث والمعاصر للأكراد، سواء في العراق أو إيران أو تركيا أو سورية أو في أماكن تواجد مجموعات لهم في أرمينيا وغيرها. ففي ذلك العام عمدت الامبراطوريتان المتصارعتان، الفارسية والعثمانية، إلى تقسيم ارض الأكراد في ما بينهما. ولم يعرف الأكراد لهم دولة موحدة. وقد ظهرت النزعة القومية عندهم في مرحلة متأخرة، أي عند بلوغ الوعي القومي أوجه على إيقاع الثقافة السياسية الغربية، أثناء الحرب العالمية الأولى وبعيها خاصة على إيقاع الوعود التي أغلقتها الدول الأوروبية للشعوب الخاضعة للسلطنة العثمانية، ومبادئ الرئيس الاميركي، ويلسون، الاربعة عشر الخاصة بحق شعوب الشرق في تقرير مصيرها بأنفسها.

قد اصدرتاه ونشرته عام ١٩١٨ حول حقوق الأقليات» (سامي شورش، كاتب كردي من العراق، «الحياة»، ٧ تشرين الثاني ١٩٩٤).

في ١٩١٩، والدولة العراقية الحديثة لم تعلن بعد، قاد الشيخ محمود البرزاني ثورة أخرى فاشلة تلاها رفض الشيخ أحمد البرزاني الانضمام للدولة العراقية. لكن الأكراد نجحوا في إرسال مندوب عنهم إلى مؤتمر الصلح في باريس للمطالبة بحقهم في كيان كردي. وفي ١٩٢٠، افلحوا في إقناع المجتمع الدولي بضرورة تضمين اتفاقية سيفر ثلاثة بنود خاصة بحق الأكراد في إقامة ادارتهم الذاتية المستقلة. كذلك استطاعوا في ١٩٢٢، من إقامة مملكة كردية حازت على اعتراف الحكومتين العراقية والبريطانية عبر بيانها المشترك الصادر في ٢٢ كانون الاول ١٩٢٢. وكانت هذه المملكة، وعاصمتها السليمانية، تقاد من قبل ملكها الشيخ محمود، ولها رئيس ومجلس للوزراء (٧ وزراء) وجيش وطابع بريدي وصحافة. لكن هذا الكيان الكردي لم يدم سوى اشهر قليلة (عمرت تقريباً على قدر ما عمّر العهد الملكي الفيصلي العربي في سورية)، وسقط إثر هجوم عسكري مدعوم بالطائرات وبصورة متزامنة مع معاهدة لوزان (١٩٢٣) التي خلت من أي ذكر للشعب الكردي. وألحق الأكراد (بمناطقهم شمالي العراق، «كردستان العراق») بالدولة العراقية التي قامت أساساً على ركيزتين اساسيتين: وطنية عراقية وقومية عربية. وكلاهما عمل على صهر العراقيين في بوتقة واحدة.

«في الواقع، مارست بريطانيا دوراً حادراً في تذكير الحكومة العراقية بأهمية احترام رغبات السكان الأكراد في التعليم بلغتهم المحلية واستخدامها في المحاكم والأمور الادارية، إضافة إلى تعيين الموظفين والمستخدمين في المنطقة من أبناء القومية الكردية. لأنها كانت تعرف ان تخلخل العلاقة بين الدولة العراقية ومواطنيها الأكراد (حوالي ٢٣٪ من مجموع السكان) إنما يتسبب في مشكلات كبيرة ربما تعوق تطورها السياسي. لكن الدولة العراقية لم تلتفت بجدية لتنفيذ تلك النقطة. وإمعاناً في تلك السياسة ألغت الدولة عام ١٩٢٧ دائرة معارف كردستان كانت أقرتها عام ١٩٢٥ للاشراف على النشاطات التربوية والتعليمية بين الأكراد. وبدأت في السنوات اللاحقة بتكثيف تواجد موظفيها من خارج القومية الكردية في كردستان العراق. إضافة إلى بدنها بوضع اللبنة الأولى لسياسة تعريب المناطق النفطية في كركوك وخانقين مع ازدياد عمليات استخراج النفط منذ ١٩٢٧. إلى ذلك بدأت بشن حملات عسكرية خاصة بعد نيل العراق استقلاله السياسي (١٩٣٢) وتعاضم شوكة الجيش العراقي آنذاك، استهدفت تجريد عشائره (الأكراد) من سلاحها ومواقعها الاقتصادية. ثم لم يمض وقت طويل حتى ألغت قانوناً لاستخدام اللغات المحلية في المدارس والمحاكم كانت أقرتها عام ١٩٣٧. وإلى ذلك لم تسمح للمنظمات والاحزاب السياسية الكردية بممارسة أي نشاط علني مرخص» (سامي شورش، المرجع المذكور أعلاه).

الملا مصطفى البرزاني (الى اليسار) مع عبد الكريم قاسم في ١٩٥٨.



صهر الشعب الكردي في البوتقة العريية». وشعر الملا مصطفى البرزاني بالخطر وغادر بغداد إلى مسقط رأسه «برزان» في شمالي العراق. وبوجوده هناك وقعت اضطرابات عشائرية وأعمال تمرد على السلطة المركزية. فاستغلت الحكومة هذه الاعمال وأرسلت طائراتها لتلك منطقة برزان في ١١ ايلول ١٩٦١، ما دعا الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة الملا مصطفى إلى إعلان المقاومة المسلحة ضد بغداد. فكانت هذه بداية صراع دموي طويل ضاؤه البرزاني مع الحكومات العراقية المتعاقبة من أجل تحقيق هدف الأكراد في العراق أي الحكم الذاتي، وذلك حتى وفاته في ١٩٧٩. وأما الضربة الكبرى التي أصابت زعامته خلال هذا الصراع، فجاءت من انشقاق كتلة ابراهيم أحمد وجلال الطالباني عن الحزب الديمقراطي، والتمسك الطالباني في ١٩٦٥ بالحكومة العراقية وحمله السلاح بين ١٩٦٦ و ١٩٧٠ إلى جانب الجيش العراقي لضرب الحزب الديمقراطي والبرزانيين.

بيان ١١ آذار ١٩٧٠ والاتفاق الجزائر ١٩٧٥: عملت الحكومة على حل المشكلة الكردية التي باتت تتفاقم وتهدد أمن العراق ووحدته وتفتح الباب واسعاً أمام مختلف التدخلات الاجنبية، القريية (ايران وتركيا) والبعيدة (الولايات المتحدة واسرائيل والاتحاد السوفياتي...). فأصدرت بيان ١١ آذار ١٩٧٠ الذي حدّد الصيغة المتكاملة من النواحي النظرية والسياسية والعملية لحل تلك المشكلة حلاً سلمياً يضمن الحقوق القومية للأكراد، أي منح الحكم الذاتي للمنطقة الشمالية (كردستان العراق) ابتداء من ١١ آذار ١٩٧٤ ضمن نطاق الجمهورية العراقية وحسب المواد التي تضمنها قانون الحكم الذاتي الذي يجعل من أربيل عاصمة المنطقة ويعتمد على مجلس تنفيذي. كما جرى تعديل الدستور العراقي الموقت ليكون منسجماً مع ذلك القانون.

وقد نص قانون الحكم الذاتي في مادتيه الاولين:  
«المادة الاولى:

- أ- تتمتع منطقة كردستان بالحكم الذاتي وتسمى المنطقة حيثما وردت في هذا القانون.  
ب- تحدد المنطقة حيث يكون الأكراد غالبية سكانها ويثبت الاحصاء العام حدود المنطقة وفقاً لما جاء في بيان ١١ آذار (١٩٧٠). وتعتمد قسود إحصاء عام ١٩٥٧ أساساً لتحديد الطبيعة القومية للأغلبية السكانية المطلقة في الاماكن التي سيجري فيها الاحصاء العام.

من الأربعينات إلى ١٩٧٠: فترة من تاريخ أكراد العراق متصلة مباشرة بزعامة كردية يمثلها مصطفى البرزاني (١٩٧٩-١٩٠٠) الذي عاش يحلم بدولة للأكراد. وفي ١٩٤٥، قررت الحكومة العراقية اجتياح منطقة برزان لوضع حد للأعمال المعلة بالأمن التي يقوم بها رجال مصطفى البرزاني. وبرزان قرية هي مركز المشيخة التي كان استقر فيها الجهد الاول للبرزانيين وأقام فيها تكية جذبت إليها المريدين والاتباع. وانتقلت مقاليها في ما بين الأبناء والاحفاد حتى وصلت إلى الشيخ محمد البرزاني الذي توفي في ١٩٠٣، وخلف خمسة أولاد هم: عبد السلام، الشيخ أحمد، محمد صديق، يابو، والملا مصطفى.

اندحر البرزانيون أمام الحملة الحكومية وفرّ أحمد البرزاني وأخوه الملا مصطفى ورجلها إلى ايران فدخلوها في ١١ تشرين الاول ١٩٤٥. وحين انهارت الدولة الكردية الاولى في التاريخ وهي دولة «مهباد» في كردستان ايران في ١٩٤٦ (راجع «ايران»، ج٤)، لجأ الرجل واتباعه إلى الاتحاد السوفياتي على اعتبار انه معاد للامبريالية. وعاش هناك لمدة ١٢ سنة، أي إلى ان قامت ثورة ١٩٥٨ في العراق التي أطاحت بالملكية. وبعد الدور الذي أداه وهو يتزعم الحركة الكردية طيلة نحو عشرين سنة، عاد الملا مصطفى البرزاني ليهرب من العراق حينما اشتدت عليه وطأة الضغط العسكري العراقي عام ١٩٧٥، لكن هذه المرة إلى الولايات المتحدة التي استقبلته في شيوخوته ومرضه، ولغظ أنفاسه في مستشفى البحرية الاميركية في ٢ آذار ١٩٧٩.

قبل زعماء ثورة ١٩٥٨ عودة الملا مصطفى ورجاله من المنفى السوفياتي إلى العراق. فغادروا موسكو وتوجهوا إلى رومانيا ثم إلى تشيكوسلوفاكيا، ومن هناك أرسل برقية إلى عبد الكريم قاسم وصفه فيها بـ«فتخامة قائلنا المحبوب الزعيم الركن عبد الكريم قاسم بطل الثورة العراقية المجيدة». وقد وصل البرزاني إلى العراق في ٧ تشرين الاول ١٩٥٨ (وكان التقى، في طريق عودته، الرئيس المصري جمال عبد الناصر)، حيث وجد أن ثمة توجهات ديمقراطية بدأها قاسم: أجازت الاحزاب السياسية وضمنها الحزب الديمقراطي الكردستاني، وأعلن الدستور الموقت ان الشعب العراقي يتخون من قوميتين رئيسيتين العرب والكرد.

لكن بحلول ١٩٦٠، توترت الاحواء بين البرزاني وحكومة قاسم التي بدأت «تسلك سياسات تستهدف



وانهارت مقاومة الأكراد في ١٩٧٥، في أعقاب اتفاقية الجزائر بين العراق وإيران التي أبرمت أثناء مؤتمر أوبيك في الجزائر في ذلك العام (راجع «شط العرب» في باب معالم تاريخية).

**أنشاء حرب الخليج الأولى:** لفهم وضع أكراد المنطقة الشمالية من العراق (كردستان العراق) أثناء هذه الحرب يجب الإشارة إلى ان الحزبين الكرديين الأساسيين: الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني، تعود جذور خلافهما إلى بداية الستينات حين انشقت جماعة بزعامه جلال الطالباني وابراهيم أحمد عن الحزب الديمقراطي الذي كان يتزعمه مصطفى البرزاني، والذ زعيمه الحالي مسعود البرزاني. آنذاك اعتبر جلال الطالباني وابراهيم أحمد أن الحزب مجرد أداة بيد البرزاني ورجال العشائر الذين لا يهمهم سوى تعزيز مواقعهم الاقطاعية وانتزاع مكاسب شخصية على حساب المحتوى الفعلي لمطالب الاكراد القومية والسياسية والثقافية. ووقف جناح الطالباني وأحمد إلى جانب حكومة بغداد ودعا إلى حل سلمي للقضية الكردية في العراق وندد باصرار البرزاني على استمرار القتال وبتحويله إلى «أداة في يد الامبريالية الاميركية وشاه ايران».

وبعد الهزيمة الساحقة التي تعرضت لها الحركة الكردية في ١٩٧٥، أُلقيت المسؤولية على كاهل البرزاني الذي ألقى السلاح وغادر إلى الولايات المتحدة وبعد ذلك، أعلن جلال الطالباني، في دمشق، عن تأسيس الاتحاد الوطني الكردستاني وجمع أنصاره للعودة إلى كردستان العراق واستئناف القتال. أما الحزب الديمقراطي الكردستاني فقد انتقلت قيادته إلى ابني مصطفى البرزاني إدريس ومسعود (ثم إلى مسعود بعد وفاة إدريس) اللذين أعلننا بدورهما مواصلة الكفاح المسلح ضد حكومة البعث العراقية. ورغم اتفاق الحزبين على مقاتلة بغداد أثناء حرب الخليج الأولى فقد بقي كل منهما ينظر إلى الآخر بعين الريبة والحنق معتبراً الطرف الآخر «حائناً» للقضية الكردية. أثناء حرب الخليج الأولى (العراقية-الايرائية)، ورغم تبدل النظام الايراني من جهة، واتفاق الحزبين على مقاتلة الجيش العراقي من جهة ثانية، فإن نظام الجمهورية الاسلامية في إيران لم يهنّ قضية الأكراد السياسية، واكتفى، أثناء الحرب، بتقديم مساعدات للحركة الكردية العراقية وفق شروط قيام الحزبين الكرديين بعمليات مشتركة داخل العراق ومع القوات الايرانية. وقد تمت فعلاً هذه العمليات.

ج- تعتبر المنطقة وحدة إدارية واحدة لها شخصية معنوية تتمتع بالحكم الذاتي في إطار الوحدة القانونية والسياسية والاقتصادية للجمهورية العراقية.

د- المنطقة جزء لا يتجزأ من أرض العراق، وشعبها جزء لا يتجزأ من شعب العراق.  
المادة العاشرة:

أ- تكون اللغة الكردية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية في المنطقة.

ب- تكون اللغة الكردية لغة التعليم للأكراد ويكون تدريس اللغة العربية إلزامياً في جميع مراحل التعليم ومراقفه.

ج- يخضع التعليم في جميع مراحلها، في المنطقة، للسياسة التربوية والتعليمية العامة للدولة».

إلا ان قيادة الحركة الكردية (البرزاني) رفضت تطبيق ذلك القانون عندما حل موعد تطبيقه في ١١ آذار ١٩٧٤، ورجعت إلى التمرد من جديد، علماً ان العراق هو البلد الوحيد الذي دأب على الاعتراف بالهوية الكردية منذ ايام الملكية، فمنحهم حقوقاً ثقافية وإدارية ازدادت باضطراد حتى وصلت إلى الاعتراف بالحكم الذاتي. والحقيقة ان الدول المجاورة للعراق شعرت بـ«رعب» من تلك الخطوة العراقية التاريخية، فاستنفرت قواها لإجباط ذلك المشروع وإجهاض الحكم الذاتي. وفي حين ضغطت تركيا على الحكومة العراقية كي لا تفضي قدماً في تنفيذ بيان ١١ آذار، عمدت إيران الشاه، ومعها الولايات المتحدة الاميركية إلى الضغط على القيادات الكردية لإبعادها عن كل اتفاق مع الحكومة المركزية العراقية. ولم يمر وقت طويل حتى انهيار الاتفاق وعاد كل طرف إلى سلاحه. ووقفت إيران والولايات المتحدة واسرائيل إلى جانب البرزاني وامدته بالسلاح والمال لمقاتلة الجيش العراقي (أثناءها غلب على اللغة السياسية والقومية العربية في العراق والعالم العربي الخطاب الذي يتهم البرزاني بحلقه مع هذه الاطراف، ثم جاءت الوثائق واعترافات القادة الأكراد بعد حرب الخليج الثانية لتؤكد هذا الخطاب-راجع «يهود كردستان وعلاقات كردية-اسرائيلية» في هذا الباب)، في حين لم تردد سورية وتركيا في الوقوف إلى جانب العراق وتطبيق الأكراد ومحاصرتهم عبر الحدود، لا بل المشاركة في ضرب الأكراد وقصف مواقعهم (عملية تنسيق بين الجيش العراقي والجيشين السوري والتركي سميت «عملية دجلة»)، وضاع الزعماء الأكراد في خضم الصراعات الاقليمية وتحولوا إلى اوراق بيد هذه الجهة أو تلك.



مسعود البرزالي.



جلال الطالباي.

«الاحزاب» المدعومة من ايران أو سورية أو السعودية عارضت منذ ١٩٩١، وتحديداً منذ انتفاضة آذار ١٩٩١، أية صيغة فدرالية للحكم في العراق باعتبارها تشكل بلقنة للعراق، واكتفت بالدعوة لاحترام آمال وتطلعات الأكراد (سحق الجيش العراقي هذه الانتفاضة، ولجأ مئات الآلاف من الأكراد إلى خارج الحدود). و«عندما أعلن البرلمان الكردستاني الفدرالية في ٤ تشرين الاول ١٩٩٢ نظر إليها في كثير من الاوساط العربية والاسلامية بشكل سلبى وبادرت ايران وتركيا إلى مواجهة الاعلان ومعه الكيان الكردي الاقليمي بشتى الاساليب، وربط البعض هذا الاعلان بالحماية الاميركية لكردستان العراق وبناء المنطقة

وبعد انتصار العراق في هذه الحرب، اتخذت الحكومة العراقية من هذا الموقف «الكردي الخياني» ذريعة لاعتماد سياسة الارض المحروقة مع الأكراد وتطبيق عمليات «الأنفال» (عمليات تقضي بإفراغ المنطقة الكردية، والإسم «الأنفال»، من آية في القرآن الكريم تسمح للمؤمنين التصرف بغنائم الكفار والخونة المهزومين)، ثم ارتكاب مجزرة حلبجة بالاسلحة الكيماوية في ١٦ آذار ١٩٨٨، حيث قُتل وجرح الآلاف بحسب ما تناقلته وسائل الاعلام العالمية. وحلبجة مدينة كردية عراقية يبلغ تعداد سكانها نحو ١٧٠ ألف نسمة.

ولمواجهة هذه الضربات الساحقة للجيش العراقي، أقام الحزبان اللدودان جبهة مشتركة سارت على نحو وفاقى حتى ايار ١٩٩١ حين أقيمت الحكومة المحلية في أربيل.

في أعقاب حرب الخليج الثانية: كرونولوجيا أهم أحداث ١٩٩١-١٩٩٨: «في السبعينات والثمانينات وحتى في مفاوضات ١٩٩١ (بين الاطراف الكردية العراقية والحكومة العراقية) التي جاءت بعد حرب الخليج الثانية وتأسيس المنطقة الآمنة عندنا (أي في كردستان العراق) واشتركت فيها الجبهة الكردستانية العراقية (الحزب الديمقراطي والاتحاد الوطني-مسعود البرزالي وجمال الطالباي)، لم يطالب الأكراد بأكثر من الحكم الذاتي (...) إلا ان الذي لمسناه في ١٩٩١ كان تراجعاً واضحاً عما اتفق عليه في ١٩٧٠ (أي في بيان ١١ آذار وقانون الحكم الذاتي) من بنود علنية وسرية خصوصاً في ما يتعلق بتحديد المنطقة الكردية، ووقف تغيير معالمها القومية، ومسألة الأمن والاستخبارات والعمل الحزبي للأكراد داخل القوات المسلحة (...) كما ان الحكم العراقي لم يوافق على صلاحيات تشريعية لمجلس كردستان الاقليمي ولا على مشاركة الأكراد في القيادة الحقيقية أي في صنع القرار العراقي (...) أدت هذه العقبات المهمة إلى عدم الاتفاق بيننا (أي بين الاطراف الكردية) علماً ان القيادة الكردية تحلت في ١٩٩١ بمرونة في جولات مفاوضاتنا مع الحكومة العراقية» (عمود عثمان، سياسي كردي عراقي، «الحياة»، العدد ١٢٨٩٧، تاريخ ٢٦ حزيران ١٩٩٨، ص ١٦). والجدير ذكره ان مجلس الأمن الدولي كان قد اتخذ، بصدد المشكلة الكردية في شمالي العراق، القرار ٦٨٨ لسنة ١٩٩١ الذي يدعو إلى حل المشكلة عن طريق الحوار وبالطرق السلمية.

الاحزاب الاسلامية والقومية المعارضة (راجع باب

تواصلت معارك الحزبين في كانون الثاني ١٩٩٥، وشملت كل مناطق كردستان العراق تقريباً وخاصة مدينتي أربيل والسليمانية، وأعلن رئيس حكومة الاقليم، رسول علي، ان مصير الحكومة والادارة الكردية في شمالي العراق «مجهول»، وان الادارة غير موجودة عملياً، وان البنك المركزي مفلس. وقد تبادل الحزبان المتقاتلان «تهمة التنسيق مع بغداد» التي كانت تعلن عن سقوط آلاف القتلى بين الأكراد وتتهم التحالف الغربي بتسليح الأكراد.

في ايار ١٩٩٥، مرّ عام على حرب الحزبين (الحرب الأهلية) المستمرة. وفي اواخر هذا الشهر، اتفق الحزبان على هدنة بينهما، لكن المعارك عادت في ١٣ تموز ١٩٩٥. وضغطت واشنطن لعقد لقاء كردي. فعقد في دروغينا على مقربة من دهلن (ايرلندا)، ٩-١١ آب ١٩٩٥، وقد تضمن بندين أساسيين: تجريد مقاتلي أربيل من السلاح باشراف مراقبين، يليه بعد ٤٨ ساعة تحويل العائلات الجرمكية التي يستوفيهها الحزب الديمقراطي في مركز ابراهيم الخليل على مقربة من زاخو إلى حساب مصرفي باسم حكومة أربيل الكردية (حوالي ٣ ملايين دولار شهرياً). وفشل اللقاء، وأفرز تداعيات، أخطرها بنظر الولايات المتحدة، وصول زعماء الحزبين إلى ايران للتباحث تحت رعاية طهران، وازدياد تعقيدات الوضع الكردي بعد الهجوم الشامل الذي شنه مقاتلو حزب العمال الكردستاني (أوجلان، راجع «تركيا»، ج٦) على مواقع الحزب الديمقراطي خصوصاً في بادينان في ٢٦ آب ١٩٩٥. فأصبح الصراع الكردي ثلاثياً بعد أن كان ثنائياً.

في لوائل ايار ١٩٩٦، وصف تقرير مسؤول الامم المتحدة في المنطقة الكردية الجزائر بول دال الوضع في المنطقة بأنه «لا سلم ولا حرب». وبعد ايام قليلة من الاعلان عن هذا التقرير، بثت وكالة «الاناضول» للأبهاء التركية ان ١٢٠٠ جندي تركي شاركوا في عمليات ضد حزب العمال الكردستاني (حزب كردي في كردستان تركيا برعاية عبد الله أوجلان) في مناطق متاخمة للحلود في شمالي العراق (وكان نحو ٣٠ ألف عسكري تركي شاركوا في عمليات ضخمة في شمالي العراق ربيع ١٩٩٥ في عملية استهلكت «سحق قواعد حزب العمال». وفي اواخر حزيران ١٩٩٦، باشر الاتراك عملية جديدة (٦ آلاف جندي) داخل اراضي الشمال العراقي لمطاردة حزب العمال، استمرت لأسابيع. وبعد انتهائها بأيام قليلة، أي في اواخر تموز، هاجمت قوات ايرانية مواقع الحزب الديمقراطي الكردستاني الايراني في مناطق الأشناد الوطني الكردستاني من شمالي العراق.

الأمته، والربط ليس صحيحاً فالمنطقة الكردية لم تكن آمنة ولا شعية كما يجب وكانت تعاني، ولا تزال، من مشاكل جغرافية وسياسية واقتصادية لا يراها الآخرون من بعيد، كما لا يرون معاناة شعبنا من القرارات الدولية التي أتت بروحي من مصالح الشعب الكردي بالطبع. وساء الوضع كثيراً (نتيجة هذا الاعلان في كردستان العراق بعد الاقتتال الداخلي الذي خلق انطباعاً سلبياً واسعاً) (محمود عثمان، المرجع المذكور أعلاه).

قبل إعلان الفدرالية (٤ تشرين الاول ١٩٩٢)، جرت انتخابات في مناطق كردستان العراق في ايار ١٩٩٢، وافتتح البرلمان في ٤ حزيران ١٩٩٢، كما بدأت ادارة الحكم الذاتي تنفيذ بعض الاجراءات الادارية مثل اصدار الطوابع البريدية. وكان المؤتمر الوطني العراقي المعارض عقد مؤتمراً في فيينا (حزيران ١٩٩٢) وذهب إلى الاقرار بمبدأ حق تقرير المصير للشعب الكردي (وهذا المؤتمر كانت تهيمن عليه الاحزاب الكردية). وقد جاء هذا الحق مقيداً بعبارة «دون الانفصال» في إحدى الفقرات، ومن دون قيود في فقرتين أخريين. أما الاجتماع التمهيدي لقوى المعارضة في صلاح الدين-شقلاوة (ايلول ١٩٩٢) فقد اتخذ قراراً بتأييد صيغة حق تقرير المصير ضمن «عراق ديمقراطي موحد». وكانت بغداد تفرض حصاراً اقتصادياً شاملاً على كردستان العراق منذ تشرين الاول ١٩٩١. وفي اوائل ١٩٩٣، بدأ إقليم كردستان العراقي «أشبه ببلد مستقل»، تمهية عسكرية وسياسياً قوات التحالف الدولي وقرارات مجلس الأمن الدولي، وتقوم فيه «حكومة كردية» و«برلمان كردي» و«سلطة كردية»، ولكنه في الوقت نفسه يتحدث بخوف عن تهديد وزير الدفاع العراقي الفريق علي حسن المجيد (اواسط كانون الثاني ١٩٩٣) بشن هجوم عسكري على منطقة الأكراد: «إن الجيش العراقي على أهبة الاستعداد حالياً لاستعادة سيطرة الدولة على مناطق الشمال والجنوب».

في اواسط ايار ١٩٩٤، اندلعت اشتباكات بين الحزبين الكرديين الرئيسيين: الديمقراطي (البرزاني) والاتحاد الوطني (الطالباني)، اعتبرت الأسوأ منذ قبل ٣٠ عاماً. وكان الحزبان يتقاسمان السلطة نتيجة انتخابات ايار ١٩٩٢، وكان تفاهمهما عاملاً مهماً من اجل استمرار الحماية الغربية. لكنهما توصلا، في تشرين الثاني ١٩٩٤، إلى اتفاق على تشكيل حكومة جديدة للاقليم تضم ممثلي خمسة احزاب أخرى أقل شأنًا منهما، ليعودا إلى الاقتتال في اواخر كانون الاول ١٩٩٤.



مقاتلون أكراد.



المفاوضات، ثم ثالثة (منتصف كانون الثاني ١٩٩٧) بين حزبي البرزاني والطلباني. وبدأت واشنطن وأنقرة ولندن كعواصم حامية للأكراد في كردستان العراق بعد انسحاب باريس من التزاماتها بهذا الخصوص. كما بدأ البرزاني متمسكاً بجهوده لإبقاء أفضل الصلات مع حكومة بغداد، والطلباني لإبقاء علاقاته الوطيدة مع إيران.

في ١٤ أيار ١٩٩٧، نفذت تركيا عملية عسكرية أخرى (٥٠ ألف جندي) داخل أراضي شمال العراق ضد «جماعة حزب العمال الكردستاني»، ساعدها فيها الحزب الديمقراطي الكردستاني (البرزاني)، وتميزت بأن بعض عملياتها حدثت في مناطق حدودية قريبة من إيران، مما حدا بإيران إلى تعزيز وحداتها العسكرية في المناطق الحدودية المتاخمة لتركيا. كما كان لافتاً أن هذه العملية تزامنت مع حديث تعمق الحلف التركي-الإسرائيلي، وحديث ضرورة تصفية مناطق شمالي العراق من أي دور لإيران، وحديث الضغط التركي على سورية أولاً والموقف العربي بشكل عام ثانياً.

في أيار ١٩٩٨، ثار جدل عراقي-مصري بسبب استضافة القاهرة حواراً عربياً-كردياً عراقياً، دعت إلى عقده في ٢٧ و٢٨ أيار (١٩٩٨) «اللجنة العصرية للتضامن» (منظمة غير حكومية).

**يهود كردستان وعلاقات كردية-اسرائيلية:** لقد أشار رحالة وباحثون زاروا كردستان بين القرنين الثاني عشر والعشرين إلى وجود يهود بين المسلمين الأكراد يشاركونهم أنماط حياتهم. وكانت العادات الدينية فقط تميز اليهود عن المسلمين والمسيحيين في كردستان. ومنذ مطلع القرن الثامن عشر تعززت الصلات بين يهود كردستان والمراكز اليهودية في فلسطين. وفي ١٨١٢، هاجرت جماعة من يهود كردستان إلى فلسطين وأقامت في القدس.

ومنذ بداية القرن العشرين هاجر عدد من يهود كردستان إلى فلسطين، وقبل تأسيس الدولة اليهودية في ١٩٤٨ كان في فلسطين نحو ٢٠ ألف يهودي كردي. وبين ١٩٥٠ و١٩٥١ هاجر إليها نحو ٤٠ ألف يهودي آخرين من كردستان إيران والعراق خلال ما عرف بمجملتي «عزرا» و«نيحيميا». وبين ١٩٧٠ و١٩٧٣ ساعد الأكراد نحو ٣ آلاف يهودي كانوا ظلوا في بغداد على الفرار عبر كردستان إلى إيران، ومنها سافروا إلى إسرائيل. ويقدر عدد يهود كردستان في إسرائيل، حالياً، بنحو ١٠٠ ألف،

مضى شهر آب ١٩٩٦ على اقتتال كردي-كردي وتدخل عسكري تركي وإيراني مباشر. لكن اليوم الأخير منه، شهد حدثاً تاريخياً ومصورياً بالنسبة لكردستان العراق وللعراق. إذ دخل الجيش العراقي (قوات الحرس الجمهوري) مدينة أربيل واستعادها بعد خمس سنوات على انسحاب القوات العراقية من أربيل ومدن كردية أخرى. وأكدت بغداد أنها عملية «محدودة» هدفها مساعدة الحزب الديمقراطي الكردستاني (مسعود البرزاني) ضد الاتحاد الوطني الكردستاني (جلال الطلباني). وبعد أيام قليلة، رفع الرئيس صدام حسين الحصار الاقتصادي عن المناطق الكردية الذي كان يفرضه منذ تشرين الأول ١٩٩١، ما أدى إلى تحسن فوري لسعر الدينار، إذ ارتفع من ١٣٥٠ إلى ألف مقابل الدولار.

بعد أسبوعين على دخول الجيش العراقي أربيل، أي في ١٥ أيلول ١٩٩٦، برز مسعود البرزاني طلبه للدعم العسكري من بغداد بأن إيران كانت أقامت قواعد عسكرية في جومان وقسري وكلاله في شمالي العراق في إطار اتفاق بين طهران وجلال الطلباني، وقال إن «الطريق الطبيعي لحل المسألة الكردية سيكون مع الحكومة المركزية في بغداد». وكان مسعود البرزاني أكد، قبل أيام، سيطرة حزبه على معظم المناطق الكردية بعد سقوط السليمانية في يده، معلناً استسلام آلاف المقاتلين من حزب الاتحاد الوطني (الطلباني)، والبرلمان الكردي عيين، في ١٦ أيلول، رئيس وزراء اللاقليم جديداً هو روح نوري شاويس (من الحزب الديمقراطي) خلفاً للكوسرت رسول علي (من الاتحاد الوطني). ونزح آلاف الأكراد إلى إيران. لكن معارك متفرقة استمرت بين الحزبين، وأعلن الاتحاد الوطني، في ١٣ تشرين الأول (١٩٩٦) استعادة مدينة السليمانية.

عودة الطلباني إلى السليمانية مكنته من الجلوس مجدداً على طاولة المفاوضات مع غريمه البرزاني. فاتفقا على هدنة ووقف للنار، ثم باسرا، في آخر تشرين الأول ١٩٩٦، مفاوضات مباشرة في أنقرة برعاية الوسيط الأميركي روبرت بليتز (مساعد وزير الخارجية الأميركي لشؤون الشرق الأدنى)، وحضرها ممثلون عن الحكومتين التركية والبريطانية. وللمرة الأولى شارك في المحادثات بين الحزبين الكرديين الرئيسيين ممثلون عن التركمان استجابة لطلب تركيا التي كانت أصرت على «حماية حقوقهم». وانتهت الجولة الأولى من هذه المفاوضات في ٣١ تشرين الأول ١٩٩٦.

واستمرت الهدنة، وعقدت جولة ثانية من

العربي المليء بمختلف تهم العلاقة مع اسرائيل والصهيونية وايران والشاه الموجهة للاكتراد سغياً للانفصال ولضرب وحدة العراق وحركة التحرر العربية. وبشي هذا الخطاب عاجزاً عن تقديم الراهين الحسية والوثائق الدامغة بسبب الطابع السري والاستخباراتي الذي دمج هذه العلاقة من جهة، والنفي الدائم الذي عكف القادة الاكتراد على تأكيده في كل مرة يُسألون عنها من جهة أخرى. حتى كانت سنوات ما بعد حرب الخليج الثانية، فانهالت اثناعها (خاصة في ١٩٩٦ و١٩٩٧) المؤلفات والأبحاث والدراسات والمقالات والتصريحات والاعترافات، وغالبيتها كتبها ونشرها أو تكلم عليها قادة اكراد أو مسؤولون اسرايليون شاركوا مباشرة في هذه العلاقات، وكثيراً ما جاءت مدعومة بوثائق وصور. من جملة ما نُشر كتاب الصحافي الاميركي جونثان راندل «أمة في شقاق: دروب كردستان كما سلكتها»، عزبه فادي حمود، ونشرته «دار النهار» في ايلول ١٩٩٧، و«مذكرات»، حوار مع محمود عثمان، المنشار الأول للملا مصطفى البرزاني، وكان رافقه في زيارتين لاسرائيل في ١٩٦٨ و١٩٧٣ («الوسط»، العسدان ٢٩٨ و٢٩٩، تاريخ ١٣ و٢٠ تشرين الاول ١٩٩٧)؛ والحلقات التي نشرتها الصحيفة الاسرائيلية «يديعوت أحرونوت» في كانون الاول ١٩٩٦؛ وتناولت تاريخ الاتصالات الاسرائيلية الكردية التي بدأت منذ منتصف الستينات وعلى لسان خمسة مديرين سابقين للاستخبارات الاسرائيلية (موساد)، وكذلك على لسان الكولونيل تسوري ساغوي الذي قال إنه قاد بالفعل في مناسبتين مقاتلين اكراداً في ١٩٦٦ و١٩٧٤، أدتا إلى سقوط قوات عراقية كبيرة في مكمن وانه أشرف على تدريب المقاتلين على استخدام أسلحة اسرائيلية.

تمت أول محاولة لاقامة اتصال بين اسرائيل والحركة الكردية في العراق في ١٩٦٣ بحسب ما رواه محمود عثمان، وذلك عندما التقى جلال الطالباني (وكان آنذاك عضواً في المكتب السياسي للحزب الديمقراطي ومبعوثاً شخصياً للملا مصطفى) شيمون بيريز في باريس (وكان آنفذ وكيل وزير دفاع اسرائيل). وجرى لقاء آخر في ١٩٦٣ عبر الشخصية الكردية المعروفة الامير كامران بدرخان الذي كان استاذ الدراسات الكردية في جامعة السوربون في باريس. وقتئذ أوفد الملا مصطفى البرزاني سكرتير الحزب الديمقراطي الكردستاني آنذاك ابراهيم أحمد إلى باريس حتى التقى سرّاً دبلوماسياً اسرائيلياً. لكن اللقاء لم تبعه إقامة علاقات بين الطرفين حتى ١٩٦٥ عندما قام

غالبيتهم من كردستان العراق، منهم ٣٥ ألفاً في القدس و٥ آلاف في طربيا و٧ آلاف في حيفا و٢٠ ألفاً في مستوطنات، والبقية في أنحاء مختلفة من اسرائيل. وبرز عدد من يهود كردستان في الحياة السياسية العامة، منهم نواب واطباء بارزون في الاحزاب السياسية ومجالس البلديات. وكان حبيب شيموني، الرئيس الحالي لمنظمة يهود كردستان المولود في مدينة عقرة الكردية العراقية، نائباً في الكنيست عن حزب العمل. ولعل أبرز يهودي كردي هو الجنرال اسحق موردخاي وهو من مواليد عقرة ايضاً.

أما بالنسبة إلى تاريخ تواجد اليهود القديم في كردستان، فالارجح انهم وصلوا إلى هذه المنطقة في عهد المعبد الأول. ويعتقد بعضهم انهم احفاد القبائل العشر من اليهود الذين سباهم الأشوريون بعدما دمروا مملكة اسرائيل في ٧٢٠ ق.م. وانضم إليهم يهود السبي البابلي بعد ذلك بـ ١٥٠ عاماً. ومنذ ذلك الحين نشأت في المنطقة مستوطنات يهودية سرعان ما انقطعت صلتها لأسباب جغرافية بالمراكز اليهودية التي كانت موجودة في بابل. ولكن على رغم هذه العزلة استطاع يهود كردستان ان يحافظوا على خصوصيتهم الدينية. وفي القرن الثاني عشر ظهرت بين يهود كردستان حركة مسيحية قادها «مسيحان» كاذبان هما ميحيم بن شلومو ابن روجي ودافيد الروي الذي اطلق اليهود اسمه على أول مستوطنة في كردستان.

وفي القرن الثالث عشر اجتاحت المغول العراق وفرّ عدد كبير من اليهود إلى جبال كردستان حيث بنوا مستوطنات في مناطق منعقة. وقتل يهود كثيرون من عدم الاستقرار القومي المستمر منذ مئات السنين نتيجة للصراع بين الأكراد والعثمانيين، ولكن اليهود لم يتعرضوا لأي اضطهاد ديني من جانب الأكراد المسلمين. وكان على اليهود الراغبين في دراسة اليهودية الانتقال إلى بغداد نظراً إلى عدم وجود مدرسة دينية (يشيفوت) في كردستان. ولم أقاموا في الموصل وكركوك، أن يوفروا لأطفالهم تعليماً لورويماً بعد الاحتلال البريطاني للعراق (عن كامران قره داغي، «الحياة»، العدد ١١٣٣٣، تاريخ ٢٥ شباط ١٩٩٤، ص ١٨).

أما بالنسبة إلى علاقات اكراد العراق (كردستان العراق) بالدولة اليهودية (اسرائيل)، فيذكر، دون شك، جميع المعاصرين للاحداث الكردية منذ إعلان تمردهم في بداية الستينات، ذلك الخطاب الوطني العراقي والقومي

القوات وذلك بعد ان أخرجهم قول الحقيقة. وبعد يوم واحد استدعي الممثل الاسرائيلي في طهران إلى مكتب أحد الرسميين الايرانيين وأعلم بالاتفاق الجديد. هكذا واجه الأكراد في الليل بمفردهم الجيش العراقي. وسعت اسرائيل إلى الاستمرار في تقديم المساعدة، بيد ان مساعيها باءت بالفشل بسبب الحدود الايرانية المغفلة. فلم يعد بوسعنا الوصول إلى الأكراد».

في كانون الثاني ١٩٧٧، أصدرت «اللجنة التحضيرية» للاتحاد الديمقراطي الكردستاني (جلال الطالباني) كراساً بعنوان: «تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهارها والدروس والعبر المستخلصة منها»، ورد في الصفحة ٨٤ منه ما نصه: «وأما موضوع العلاقات مع اسرائيل والدوائر الصهيونية والتي تكونت من خلال تلك الجهات الامبريالية والرجعية وبالرغم من انها لم تكن موجهة ضد الأمة العربية بقدر ما يتعلق الأمر بالثورة الكردية إلا انه كان يجب إيدانها بشكل قاطع وصریح باعتبارها خطيئة كبرى بالنسبة لحركة شعبنا الكردي».

في ١٩٧٩، وبمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الملاً مصطفى البرزاني، أقامت رئاسة الأركان حفلاً تأبينياً له في نادي الضباط في تل أبيب حضره كبار مسؤولي ورئيس الأركان آنذاك، اسحق رايبين.

وتكررت الحال نفسها في الثمانينات عندما أقدم الأكراد على معونة حلفاء الأمم الايرانيين في حربهم ضد العراق (حرب الخليج الاولى). لكنهم ما لبثوا ان تحولوا ضحية للجيش العراقي بعد توقيع الهدنة في ١٩٨٨ بين ايران والعراق، وقد هال هذا الجيش تصرف الأكراد وإيغالهم في التمرد والثورة وانهاك العراق الذي منحهم من الحقوق القومية قدرًا لا مجال لأن تقاس به أوضاعهم السياسية والقومية في ايران أو تركيا أو أي بلد يتواجدون فيه. والتفسير الذي تلثني عنده مختلف المصادر والمراجع، بما فيها الاسرائيلية نفسها، ان رأس العراق القوي والعربي والأكثر عداء لاسرائيل هو المطلوب.

في أعقاب حرب الخليج الثانية، برزت اتصالات اسرائيلية-كردية مجدداً، وأشارت عدة مصادر إلى استمرار وجود علاقات بين الموساد وجماعات كردية عراقية. ومنذ ظهور منطقة الادارة الكردية في كردستان العراق في أعقاب انتفاضة آذار ١٩٩١، قيل الكثير عن وجود اسرائيلي في المنطقة، إلا ان القادة الاكراد نفوا ذلك من دون ان ينفسوا «احتمال ان يكون لاسرائيل وجود غير مباشر من خلال العاملين في المنظمات الانسانية في كردستان».

دافيد كيمحي (الذي تدرج لاحقاً في مناصب دبلوماسية حتى اصبح مديراً عاماً لشؤون الشرق الاوسط في وزارة الخارجية، ثم شغل في ١٩٩٦ و١٩٩٧ رئيس المجلس الاسرائيلي للعلاقات الخارجية) بأول زيارة سرية إلى كردستان العراق والتقى الملا مصطفى. وهذه الزيارة أدت إلى إقامة علاقات بين اسرائيل والملا مصطفى استمرت حتى انهيار الحركة الكردية المسلحة في آذار ١٩٧٥.

وإضافة إلى ما رواه كيمحي، روى ايضاً عضو الكنيست، إيليا، كيف بدأت البعثات الاسرائيلية، منذ ١٩٦٦، بزيارة البرزاني بصورة مستتمة، وكيف ساعدته على تنظيم جهاز استخباراته، وأشرفت على تدريب الشوار الأكراد. وشغل الكولونيل موردخان هود منصب المنسق للاتصالات بين الايرانيين والاسرائيليين والأكراد. وفي ١٩٧٢، نشرت صحيفة «هيرالد تريبون» مقالاً ورد فيه ان اسرائيل كانت ترسل شهرياً إلى الملا الكردي مساعدة مالية قدرها خمسون ألف دولار، كان يحملها عبر ايران إلى منطقة حاج عمران ضابط اسرائيلي في شعبة المخابرات. وتكثفت الاتصالات الكردية-الاسرائيلية عقب صاور قانون الحكم الذاتي لمنطقة كردستان، وبعد إبرام معاهدة التعاون والصداقة بين العراق والاتحاد السوفياتي (١٩٧٢).

وفي ١٩٧٣، عند نشوب حرب تشرين الاول، طلبت اسرائيل من البرزاني شن هجوم واسع في العراق من شأنه إبعاد العراق عن الجبهة الشرقية. لكن الايرانيين والاميركيين رفضوا الاقتراح. فالايرانيون تخوفوا من ان يحقق الأكراد مكاسب كبيرة تعكس سلماً من منظور ايران على أكرادها والاميركيون لأسباب كشف عنها هنري كيسنجر في مذكراته فقال إنه خاف ان يؤدي تسخير جبهة العراق الشمالي إلى التأثير على خطته للتفاوض في حال خسر العرب الحرب عام ١٩٧٣. فهو لم يسمح للأكراد بالاستفادة من الفرصة لتعزيز قدرتهم على المساومة مع العراق بتوسيع الجبهة شمالاً في الوقت الذي كانت الدول العربية في حرب مع اسرائيل.

وبعد اتفاق الجزائر الذي وقعت عليه العراق وايران في ١٩٧٥ لتسوية خلافات الحدود بينهما (شط العرب)، قامت ايران بسحب الوحدات الايرانية التي كانت تحارب في الاراضي الكردية شمالي العراق مع كامل أسلحتها. ويروي دافيد كيمحي في كتابه «الخيار الأخير»: «شاهد فئات القوات الكردية والاسرائيليون بدهشة انسحاب حلفائهم الايرانيين من ميدان المعركة وبرر القادة الايرانيون موقفهم بأن ما يحصل إجراء روتيني لتبديل

«الحياة» (٢٩ حزيران ١٩٩٧) عن مصادر كردية تأكيداً وجود «ضباط وخبراء اسراييليين» في شمالي العراق، وان مهمتهم الآن المساهمة في «تنظيم قوات من المرتقة تريد تركيا ان تنشرها في كردستان العراق». ومسارح الحزب الديمقراطي الكردستاني (بزعامة مسعود البرزاني) إلى نفي هذه الأنباء: «نؤكد لجميع المعنيين ان اسراييل أو أية دولة أخرى لم تشارك في هذه العمليات إطلاقاً». ومثل هذا النفي لم يكن جديداً، إذ كان زعماء هذا الحزب يكررونه منذ نحو خمسة عقود. ولعل زعيم الاتحاد الوطني الكردستاني، جلال الطالباني، خرج عن قاعدة النفي هذا عندما تساءل في لقاء له مع «مخطة الجزيرة» (١٩ حزيران ١٩٩٧): «لماذا يستنكر البعض على الأكراد علاقتهم مع اسراييل على فرض وجودها- وإن بعض الدول العربية لديها علاقات معها؟ وهل يعقل ان يكون الكردي أكثر فلسطينية من ياسر عرفات؟».

وفي آب ١٩٩٧، تناقلت الأنباء ان وفداً اسراييلياً ضم ثلاثة ضباط وعدداً من المرافقين قام بعملية مسح جوي وميداني لمنطقة الحدود التركية-العراقية في إطار تعاون مشترك بين اسراييل وتركيا لإنشاء «منطقة أمنية عازلة»، كما انهم زاروا قاعدة الزاب العسكرية عند الحدود. وقبل ذلك بنحو شهرين، تناقلت الأنباء أيضاً ان لجنة عسكرية اسراييلية-تركية كشفت في توصياتها عن دور اللحننة «المباشر في الاشراف على الهجوم التركي الواسع ضد الأكراد الأتراك في شمالي العراق». كما كشف الثقاب أيضاً عن وجود اتصالات تسيقية بين الادارة الاميركية واسراييل والقيادة العسكرية التركية بخصوص احداث كردستان العراق.

ونقل رئيس «المجلس الاسلامي الاعلى» في العراق، ومقره طهران، السيد محمد باقر الحكيم إلى صحيفة

## معالم تاريخية

فإن النظام الملكي في العراق استمر يعلن رفضه الاعتراف بالجمهورية العربية المتحدة.

وعلى رغم إعلان اتفاق الاتحاد العربي الهاشمي اقتضاه على النظامين الملكيين الهاشميين، فقد طالب رئيس الوزراء العراقي، نوري السعيد، بريطانيا باعلان استقلال الكويت تمهيداً لضمها إلى الاتحاد والاستفادة من عائلاتها النفطية لتدعيم الاتحاد دون المس بوضعها المشيخي والداخلي. إلا ان هذه المسألة بقيت معلقة حتى انفراط الاتحاد بقيام ثورة ١٩٥٨ التي أطاحت النظام الملكي في العراق.

جاء دستور الاتحاد، رغم حرصه على الظهور بمظهر وحدوي، اقرب إلى الصيغة الكونفدرالية في مسألة

□ الاتحاد العربي الهاشمي: اتفاق اتحادي يضم النظامين الملكيين الهاشميين في العراق والاردن أعلن في ١٤ شباط ١٩٥٨، أي بعد أقل من اسبوعين فقط من قيام الوحدة بين مصر وسورية (الجمهورية العربية المتحدة)، فاعتبر متسرعاً ورد فعل على ما أطلقته الوحدة من حماس جماهيري عربي في طول العالم العربي وعرضه. وعلى رغم الموقف الودي الذي أبداه رئيس الجمهورية العربية المتحدة، الرئيس المصري جمال عبد الناصر، إزاء «الاتحاد الهاشمي» كما إزاء «أية خطوة على طريق الاتحاد والوحدة القومية»



اندلعت الثورة على أثر إعلان بريطانيا عن نيتها فرض الانتداب تنفيذاً لمقررات مؤتمر سان ريمو. فعقد، في ٢٤ ايار ١٩٢٠، أول اجتماع وطني كبير في منطقة الميدان، وقرر المجتمعون خوض النضال ضد المحتلين الانكليز حتى تحرير البلاد. ولدى اعتقال سلطات الانتداب أحد الخطباء، اجتاحت أنحاء العراق ثورة واسعة، وشرع الثوار يعدمون الضباط والجنود الانكليز ويلصقون على جثثهم مذكرات تطالب بالاستقلال التام للعراق. واتصل قادة الثورة بالمرجع الديني الكبير، في النجف، الامام الشيرازي الذي اصدر فتواه الشهيرة «المطالبة بالحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الانكليز عن قبول مطالبهم» (٢٧ ايار ١٩٢٠). وردت السلطات البريطانية على الإمام الشيرازي باعتقال مجلته مع عدد من العلماء والقادة وتفتهم إلى جزيرة هنجام في الخليج.

في ٣٠ حزيران ١٩٢٠، انطلقت الرصاصة الاولى للثورة المنظمة (بعد ان كانت عفوية) في الرميثة والناحية، ثم تبعتها بقية المدن والقرى العراقية وعلى رأسها مدينة النجف التي كانت القاعدة الأساسية لثورة العشرين. وأنشئ «مكتب الثورة» الذي ضم مختلف القوى السياسية المناهضة للانكليز، وأشرف على تنظيم التحركات الثورية في مختلف أنحاء العراق، وإقامة الادارات الموقته لتصرف شؤون المناطق المحررة. وقد امتدت الثورة إلى معظم مدن الفرات الاوسط وقراه، وإلى بغداد والموصل والمنطقة الشمالية.

وفي مواجهة الثورة، حشد المحتلون اعداداً ضخمة من الجنود المجهزين بأحدث الاسلحة، وقد زاد عددهم على ١٥٠ ألفاً، ونتيجة لهذا التفاوت في حجم القوى ومستوى تدريبها وتجهيزها، وبرز بعض الاقطاعية والعشائرية التي راحت تساوّم الانكليز، استطاعت القوات البريطانية القضاء على مراكز الثورة الرئيسية خاصة بعد ان لجأت إلى ضرب المدن والقرى بالطائرات.

كانت النتائج السياسية لهذه الثورة (حزيران- تشرين الاول ١٩٢٠) مهمة للغاية، وذلك على رغم هزيمتها العسكرية. فالمؤرخون يجمعون على أنها:

- ١- اضطرت بريطانيا لتغيير سياستها التي كانت ترمي إلى ضم العراق إلى إدارتها الاستعمارية في الهند.
- ٢- اضطرتها كذلك لتقديم بعض التنازلات منها إقامة حكومة موقته من عناصر تحظى بثقة العراقيين (برئاسة عبد الرحمن الكيلاني) بعد ان تأكد لبريطانيا انها لن

الإبقاء على السيادة الاقليمية واحتفاظ كل دولة بشخصيتها الدولية المستقلة، ويعلمها بنظام الحكم فيها والتمسك بالتزامها للمواثيق والمعاهدات الخاصة.

ونصّب هذا الدستور (أعلن في ١٣ ايار ١٩٥٨) ملك العراق رئيساً للاتحاد، وجعل عاصمة دولة الاتحاد مفاوضات بين بغداد وعمان، وأقام العديد من الأجهزة والمؤسسات الاتحادية.

#### □ الآشوريون اليوم: راجع باب الأقليات.

#### □ الثورات العراقية: أبرز هذه الثورات ثلاث:

ثورة العشرين (راجع هذا الباب)، وثورة رشيد عالي الكيلاني (١٩٤١)، وثورة ١٩٥٨ التي قضت على النظام الملكي وأقامت «الجمهورية العراقية» (راجع، بصدد الثورتين الأخيرتين، أبواب «النبتة التاريخية» و«الاحزاب» و«زعماء، رجال دولة وسياسة»). أما الحركات «الثورية» الأخرى، وفي مقدمتها حركة ٨ شباط ١٩٦٣، وحركة ١٧-٣٠ تموز ١٩٦٣، وحركة الشواف (في الموصل) فقد وصفها البعض بـ«ثورة» والبعض الآخر بـ«انتفاضة»، وآخرون بـ«إنقلاب» (راجع بصددها ابواب «النبتة التاريخية»، و«الاحزاب»، و«زعماء، رجال دولة وسياسة»).

أما حركة كانون الثاني ١٩٤٨ فعرفت بـ«وثبة ١٩٤٨» وقامت على أثر توقيع صالح جبر رئيس الوزارة بتوقيع معاهدة بورتسموث مع وزير خارجية بريطانيا أرنست بينفن. وتمثلت الوثبة بالمظاهرات الشعبية العنيفة التي عارضت المعاهدة وطالبت بالاستقلال التام وتصفية النفوذ الاستعماري البريطاني. وعندما تصدت السلطة للمظاهرات وقعت مصادمات (معركة الجسر) قتل فيها عدد من المتظاهرين (٢٧ و ٢٨ كانون الثاني)، وسقطت الحكومة وفرّ رئيسها صالح جبر إلى خارج العراق وغاب مدة غير قصيرة، وتشكلت وزارة جديدة برئاسة عماد الصدر. لكن هذه الوزارة بقيت مدة قصيرة عاد بعدها نوري السعيد إلى الحكم.

#### □ ثورة العشرين (١٩٢٠): ثورة شعبية نشبت

ضد الاحتلال البريطاني للعراق. وجاءت واحدة في سلسلة الثورات التي شهدتها البلدان العربية (سورية، لبنان، فلسطين، مصر) ابتداء من ١٩١٩ كعبير عن رفض العرب للاستعمار ولوضع مقررات سايكس-بيكو وسان ريمو موضع التنفيذ.

على ان الوعي العربي القومي كان قوة يحسب حسابها».

#### □ حلف بغداد (السنن): إتفاقية تعارون

عسكري أبرمت (شباط ١٩٥٥)، أول الأمر، بين العراق وتركيا بتأييد قوي من الدول الغربية خاصة الولايات المتحدة وبريطانيا، ثم انضمت إليها كل من بريطانيا وباكستان وإيران في العام نفسه (١٩٥٥)، واتخذت بغداد مقراً لها. وأنشأت الاتفاقية مجالس وزارية ولجاناً عسكرية واقتصادية، وقد انضمت الولايات المتحدة إلى عضوية اللجان العسكرية والاقتصادية. وقد استهدف الغرب من هذا الحلف منح انتشار النفوذ السوفياتي والشيوعية بعد الحرب العالمية الثانية، وحماية الأنظمة الصديقة له في المنطقة خشية تنامي حركة التحرر العربي التي أخذت تقوى وتشتد في الخمسينات وتشكل تهديداً كبيراً لمصالحه النفطية المتزايدة ولاسرائيل. وقد كانت سياسة الرئيس المصري جمال عبد الناصر التي توجت بتأميم قناة السويس وسياسة سورية التحررية موضع حقد اطراف هذا الحلف. فكان العدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦)، والتحرش التركي بسورية في النصف الثاني من الخمسينات. وأبدى العرب عداً شديداً لهذا الحلف. فاستطاع الاردنيون إسقاط محاولات ضم الاردن للحلف، وقام العراقيون بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فسددوا ضربة قوية للحلف. فانسحب العراق من عضويته رسمياً في آذار ١٩٥٩، الأمر الذي أجبر أعضاء الحلف الآخرين على نقل مقره إلى أنقرة وتغيير اسمه، في آب ١٩٥٩، إلى «حلف المعاهدة المركزية». وبعد إطاحة حكم الشاه في إيران (مطلع ١٩٧٩) انسحبت الحكومة الإيرانية الجديدة من الحلف، ثم تبعها باكستان، وبعدها تركيا، ولم يبق فيه سوى بريطانيا، فاعتبر بحكم المنتهي.

#### □ سكة حديد برلين-بغداد: ان ما يجدر إضافته

على ما ورد في مادة «المانيا» (ج٣، ص١٠٠-١٠١) انه في العام ١٩٩٥، وبمناسبة مرور ١٢٥ عاماً على تأسيس البنك الألماني Deutsche Bank، كلف البنك مؤرخين وعلماء تأليف كتاب عن مشاريعه. وقد تضمن الكتاب، في الفصل الثالث، وثيقة خاصة ببناء «خط بغداد». ومما جاء فيها (ترجمة نجم والي، «الحياة»، العدد ٣ ايار ١٩٩٥):

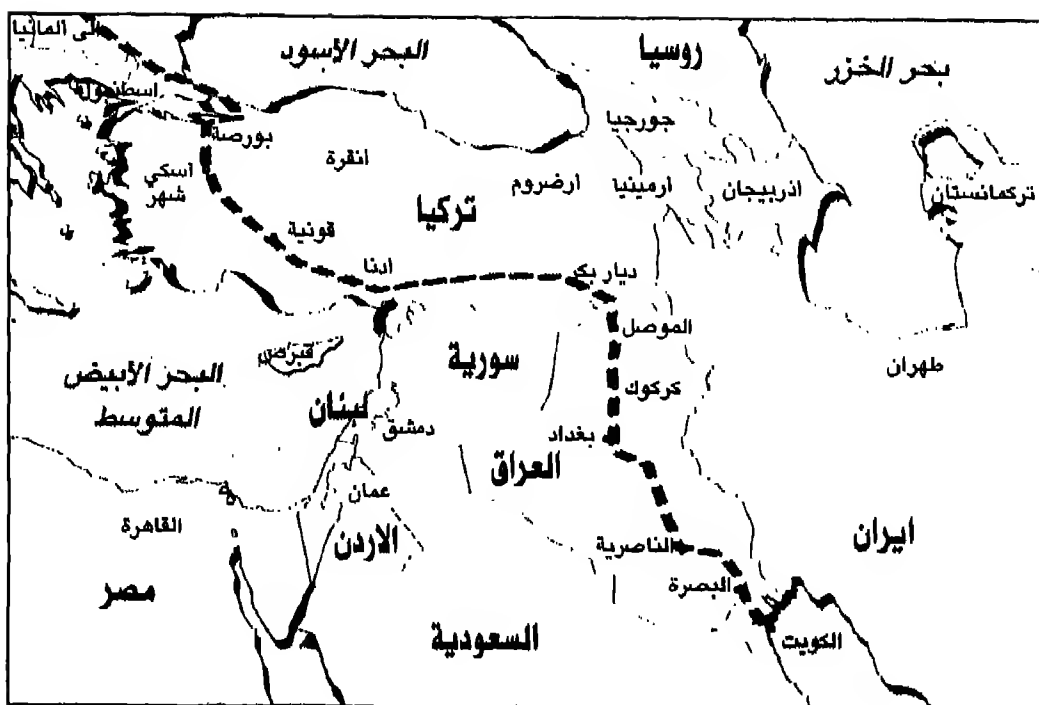
«ليس من المبالغة القول إن أكثر التزامات البنك الألماني قوة في الخارج كان مشاركته القائدة في بناء ما أطلق عليه اسم «خط بغداد». ونتيجة لذلك وقع البنك في تشابكات دبلوماسية في البلقان، واصبح حقيقة واقعة

تستطيع بأي حال من الاحوال حكم العراق بشكل مباشر. فاتجهت من جديد إلى الهاشميين، وإلى عائلة الشريف حسين بالذات. وكان فيصل اضطر لمغادرة سورية في ٢٧ تموز ١٩٢٠، أي بعد نحو شهر واحد من اندلاع ثورة العشرين في العراق. وفي آذار ١٩٢١ قرر مؤتمر القاهرة الذي عقده تشرشل لحل مشاكل الشرق الاوسط تعيين فيصل ملكاً على العراق، وعبد الله أميراً على شرقي الاردن.

٣- ولمة نتيجة أخرى لثورة العشرين لا تقل أهمية عن بقية النتائج، وهي في ما اظهرته الثورة من وحدة في صفوف الشعب العراقي حيث وقف العرب والأكراد، السنة والشيعة، صفاً واحداً في مواجهة الاحتلال رغم المحاولات البريطانية التي كانت تعمل جاهدة على تغذية كل ما من شأنه إحداث الفرقة.

أخيراً، ربما كان تقويم جورج أنطونيوس لنتائج هذه الثورة، الذي عاصرها وأرّخ لها بمثل ما أرّخ لعقود من النهضة العربية حتى الحرب العالمية الثانية، لا يزال التقويم الأساس الذي يستند إليه المؤرخون. فهو يقول («بقظة العرب»، ط٢، مترجم إلى العربية، بيروت-نيويورك، ١٩٦٦، ص٤٨٠-٤٨١):

«وقد يصح القول إن ثورة العراق حققت هدفها الكبير توطاً إذا اعتبرناها ثورة ضد إملاعات الدول المتحالفة، ومضت إثنين عشر سنة أخرى قبل ان يلغى الانتداب ويتم الاعتراف الرسمي في حنيف بأن البلاد (العراق) أصبحت في منزلة دولة مستقلة ذات سيادة. غير ان البذرة غرست عام ١٩٢٠ عندما قررت الحكومة البريطانية، إزاء الثمن المروع الذي كلفتها إياه الثورة (آلاف القتلى الانكليز)، ان تغير سياستها أو أن تغير خططها العسكرية-في أقل تقدير- وقالت الحكومة إن سياستها الجديدة محض استمرار للسياسة القديمة، وهذه هي الحال عندما تدعن دولة كبيرة لعنف شعب خاضع لها، وفسرت ذلك بقولها، إن غاية الحكومة البريطانية كانت دائماً وما تزال- إنشاء حكومة عربية في العراق وتنظيم علاقات البريطانيين بتلك الحكومة عن طريق معاهدة تحالف. أما في الظاهر فإن التغير بلغ حد تغيير في المنهج إذ ظلت العلاقة الانتدابية قائمة على ان تنظم بوساطة معاهدة لا بأي وثيقة أخرى تصنعها بريطانيا حسب مزاجها. وكان التغير أساسياً من الناحية العملية لأنه أحيا المبدأ المهمل، مبدأ «موافقة المحكومين». ونص على ان موافقة العراق ستكون شرطاً في أي تدبير، وان بريطانيا العظمى ستحاول، في المستقبل، ان تبلغ غاياتها بالمفاوضة بدلاً من الاملاء كما حدث في سان ريمو. وقد دلت الثورة



«سكة حديد برلين-بغداد» تعتبر من أكبر اسباب الحرب العالمية الاولى، ويعود ذلك الى انها كانت سربط اقطار أوروبا والمشرق العربي وبلدان الخليج وشبه القارة الهندية في شبكة اقتصادية وصناعية لا مثيل لها. بدأ بناء الشبكة في مطلع القرن العشرين لكن العمل فيها توقف بسبب الحرب العالمية الاولى ولم تستكمل الا في ١٩٤٠ وتم تدميرها خلال القصف الجوي للعراق في حرب الخليج ١٩٩١ (الخريطة وكلامها عن «الحياة»، العدد ١١٦٨٤، ١٠ كانون الثاني ١٩٩٥، ص ١٢).

١٥ آب ١٨٨٨ يستعلم فيها عن المشروع. ولدهشة البنك وصله الجواب من المستشار الألماني بسمارك شخصياً يقول فيه ان حكومة الرايخ ليس لديها اعتراض وانها على استعداد لدعم المشروع دبلوماسياً (...). (ونفذ البنك المشروع حتى مدينة قونيا. وبعدها، توقفت المشروع سنوات إذ كانت سياسة بسمارك في الاصل دفاعية وتتبع توازنات في أوروبا، بينما اتجه فلهم الثاني سياسة هجومية في ظل شعار الدعوة إلى «مكان تحت الشمس». وعلى أساس هذه الدعوة اكتسب بناء الخط الحديدي ثقلاً أكبر فإذنه كلما امتد الخط باتجاه بغداد كلما أثار شكوك القوى الأوروبية الكبرى، ولكن السلطان العثماني كان يراهن بالضبط على هذه النقطة (...). وفي ليلة عيد الميلاد من العام ١٨٩٩، أرسل سيمنز برقية إلى زملائه في ادارة البنك في برلين تقول: «اليوم وقع اتفاق بغداد» (...). ويتفق المؤرخون، اليوم، على ان سكة حديد برلين-بغداد تعتبر من أكبر أسباب الحرب العالمية الاولى،

وكجزء من مساعي الرايخ الألماني لأن يكون قوة عالمية نافذة. ولنت حجم المشروع وحده الانظار لأن خط سكة الحديد الذي كان قتر له في الاول ان يربط فقط اسطنبول بأنقرة أصبح تباعاً أكبر مما رُسم له، إذ امتد في النهاية ليمر ببغداد ويصل حتى البصرة. ومنذ البداية أثار المشروع ريبة دولية لأنه مؤل من قبل بيرت السال الألمانية، ولأن القوى الكبرى في أوروبا، فرنسا وبريطانيا العظمى وروسيا، كانت تتابع سلفاً مصالح مالية، اقتصادية وسياسية ذات وقع استراتيجي (...). في البداية لم يكن البنك الألماني متحمساً للموضوع، حتى ان الصفقة التجارية للمشروع لم تأت تباعاً من المتحدث باسم البنك الألماني إنما من قبل عضو الهيئة الادارية للبنك ألفريد كارلا الذي كان في بداية ١٨٨٨ في اسطنبول من اجل التباحث لبيع أسلحة للامبراطورية العثمانية، إذ تعرف على ممثل الحكومة التركية الذي فاتحه بأمله في ان يمول البنك الألماني الخط الحديدي (...). وجه البنك رسالة إلى مكتب الخارجية الألمانية في

والاحصاء والفكاهة والهزل. وحين اضطرت الحياة الصحفية في العراق بسبب كثرة المخاصمات بين أربابها فقد أصدرت حكومة الأستانة أمرها إلى والي بغداد بإسقاط امتياز اية جريدة أو مجلة نال صاحبها امتيازاً بها ولم ينشرها حتى ١٥ آذار ١٩١١، أو نشر أصحابها بمضعة اعداد منها ثم توقفوا عن ذلك حتى صدور هذا الأمر.

أما الجرائد والمجلات التي صدرت قبل الحرب العالمية الأولى وفي أثنائها، بالإضافة إلى الزوراء والمرسل والبصرة، فقد وصل عددها إلى نحو سبعين، وأهمها: «بغداد»، سياسية، بالعربية والتركية، أصدرها مراد بك سليمان في آب ١٩٠٨، ونشرت آراء جمعية الاتحاد والترقي، وتوقفت عن الصدور في مطلع عامها الثاني. و«العراق»، سياسية عربية أصدرها عبد الجبار باشا الخياط (١٩٠٩). و«الدستور» (١٩١٢)، أنشأها في البصرة عبد الله أفندي الزهير لتكون لسان حال جمعية الإصلاح التي أسسها في البصرة طالب النقيب. و«صدى الدستور» (١٩١٣)، أصدرها عبد الوهاب الطباطبائي بمناسبة انتخابه عضواً في مجلس المبعوثان. و«النهضة» (١٩١٣)، أنشأها مرادم أمين الباجه جي وبرايم حلمي العمر بعد تزايد النزعة القومية في العراق على أثر انعقاد المؤتمر العربي الأول في باريس، وعطلتها الحكومة بعد ظهور عددها الحادي عشر فهرب صاحبها إلى البصرة والتجأ إلى طالب النقيب. وأما الجرائد والمجلات التي صدرت بعد الاحتلال البريطاني للبصرة في ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٤ حتى نهاية ١٩٣٣، وكانت سياسية، فقد وصل عددها إلى ٦١ جريدة ومجلة. منها: «الرافدان» (صدرت في ايلول ١٩٢١ لصاحبها سامي خرندي، واشتهرت بكتابتها الوطنية الصارمة، وعطلها المندوب السامي وأبعد صاحبها إلى جزيرة هنجام في الخليج)؛ و«الأمل» (صاحبها الشاعر معروف الرصافي)، و«العالم العربي» (اشتهرت بانتصارها لقضايا الشعب ومكافحتها للصهيونية وبتراجمها لكل ما يكتب عن العراق بالانكليزية والفرنسية)، و«نداء الشعب» (١٩٢٦)، لسان حال حزب الشعب الذي ألفه ياسين الهاشمي، وعرفت بمعارضتها الشديدة للمعاهدة العراقية-البريطانية)، وتوالى صدور الجرائد الناطقة باسم الاحزاب التي كانت تتشكل، للولاية منها أو المعارضة، منها «صدى العهد» (لسان حال حزب العهد الذي ألفه ثور السعيد في ١٩٣٠)، و«صدى الاستقلال» (١٩٣١)، لسان حال الحزب الوطني العراقي). أما الصحف غير السياسية التي عالجت قضايا اجتماعية وأدبية وفنية وعلمية والتي صدرت في الفترة

ويعود ذلك إلى انها كانت ستربط اقطار أوروبا والمشرق العربي وبلدان الخليج وشبه القارة الهندية في شبكة اقتصادية وصناعية لا مثيل لها. وبدأ بناؤها (أي استكمالها من قونيا باتجاه بغداد) في ١٩٠٣ عندما حصلت على هذه الصلاحية «شركة خط بغداد» التي تأسست في العام نفسه، وتحدت مدة ثماني سنوات للانتهاء من أعمال البناء بتكاليف قدرها ٤٥٠ مليون فرنك. لكن العمل استلزم مدة أطول من ثماني سنوات، ثم توقف بسبب الحرب العالمية الأولى، ولم يُستكمل إلا في ١٩٤٠. وقد تم تدمير خطوط السكة خلال القصف الجوي للعراق في حرب الخليج الثانية ١٩٩١.

#### □ الصحافة في العراق: ورد على لسان بعض

الرحالة الاجانب تلميحات وإشارات إلى ان أول صحيفة ظهرت في العراق كانت تعرف باسم «جورنال العراق» التي أنشأها داود باشا الكرجي عندما تسلم منصب الولاية في ١٨١٦، وكانت تطبع في مطبعة حجرية، وتنتشر في اللغتين العربية والتركية، ويُذاع فيها وقائع القبائل وأخبار الدولة العثمانية وقوانين البلاد.

إلا أن أغلبية المؤرخين يؤكدون انه لم يكن في العراق، قبل إعلان الدستور العثماني في ٢٣ تموز ١٩٠٨، غير ثلاث صحف كانت تنشرها الحكومة العثمانية في اللغتين العربية والتركية مرة في كل اسبوع، وذلك في الولايات الثلاث: بغداد والبصرة والموصل. أما هذه الصحف فهي: - «الزوراء» التي أنشأها الوالي مدحت باشا في بغداد وجلب لها مطبعة آلية من باريس سماها مطبعة الولايات، وقد صدر عددها الأول في ١٦ حزيران ١٨٦٩ واستمرت تصدر بانتظام لمدة ٤٩ عاماً، أي إلى ان احتل الجيش البريطاني مدينة بغداد فجر ١١ آذار ١٩١٧. - «الموصل»، وصدرت في الموصل عام ١٨٨٥ واحتجبت قبل إعلان هدنة مونروس في اواخر تشرين الأول ١٩١٨. - «البصرة»، وظهرت في ١٨٨٩ باسم عماد علي المعروف بـ حلمي زاده، وفي ١٨٩٥ تولت الحكومة إصدارها، واحتجبت بعد احتلال الانكليز البصرة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤. فمع هذه الصحف الثلاث بدأ عهد العراقيين بالصحافة في تاريخهم الحديث.

ولما أعلن الدستور العثماني (١٩٠٨)، أقدم المفكرون في العراق على اصدار سلسلة طويلة من الجرائد والمجلات حتى بلغ عددها في سنة واحدة نيفاً وخمسين صحيفة في مختلف الموضوعات: في السياسة والعلم والأدب

بعد ثورة تموز ١٩٥٨، صدرت «البلاد»، و«الأخبار»، و«الحرية»، و«اليقظة»، و«الجمهورية»، و«صوت الاحرار»، و«الثورة»، و«الزمان»، و«اتحاد الشعب»، و«الاهالي» و«حبه بات»، وذلك في الأشهر الأولى من الثورة، وأدخل الصحفيون لأول مرة نوعاً جديداً من المقال ويعرف بالتحقيق الصحفي أو الريبورتاج. وشهد العام ١٩٦٧ ولادة القطاع العام في الصحافة، حيث أعلن عن قيام المؤسسة العامة للصحافة والطباعة (قانون رقم ١٤٥ للعام ١٩٦٧ الصادر عن مجلس قيادة الثورة). وصدرت عدة صحف عن المؤسسة، أبرزها: «الجمهورية»، و«الثورة العربية»، و«المواطن»، و«المساء»، و«بغداد أوبرفر» (بالانكليزية)، إضافة إلى مجلة «ألف باء». وبعد ١٩٦٨، أعيد تنظيم الصحافة والمؤسسات الصحفية، فأُسست أكثر من دار صحفية، منها: دار الجماهير للصحافة، ودار الثورة، وسمح للأحزاب السياسية ضمن الجبهة الوطنية بقيادة حزب البعث باصدار صحف خاصة مثل جريدة «التأخي»، و«العراق حاليًا» التي نطقت باسم القوي الوطنية الكردية، و«طريق الشعب» بلسان الحزب الشيوعي العراقي، إضافة إلى عدد من المجالات الدورية الاسبوعية والشهرية (من دراسة بعنوان «الصحافة العربية» كتبها مؤلف هذه الموسوعة في ١٩٨١ و١٩٨٢، إبان عمله في «موسوعة السياسة» التي وردت في جزئها الثالث، ط ١، ١٩٨٣، ص ٦٠٤-٦٠٨).

وقبيل اندلاع حرب الخليج الثانية (١٩٩٠)، كانت أهم الصحف اليومية الصادرة في العراق: «الثورة» (جريدة حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم)، و«الجمهورية»، و«العراق» (ناطقة باسم الأكراد)، و«بغداد أوبرفر» (بالانكليزية). وكان هناك عدد كبير من المجالات والصحف الاسبوعية المختصة. فالمجلات الأدبية والفكرية بلغ عددها خمسين بالعربية، وواحدة بالكردية، والفنية واحدة، والمهنية إثنان، والعلمية واحدة، والرياضية إثنان، والمخصصة للأطفال واحدة. أما الصحف والمجلات الدورية: الأدبية والفكرية العربية ٤٧، والكردية ٤، والزكمانية واحدة، والسريانية واحدة. والصحف المهنية ١٤، والعلمية ٢٤، وهناك ٢ للرياضة، وكلها بالعربية.

#### □ الضباط الاحرار (العراقي): تنظيم عسكري

ثوري وطني سري عراقي، دفعت إليه حملة أسباب: المرارة المرتبة على إهماد ثورة ١٩٤١ وإعدام قادتها، تخافل للحكومة في حرب فلسطين (١٩٤٨)، استخدام الجيش

نفسها (١٩١٤-١٩٣٣) فقد بلغ عددها نحو ٨٦ صحيفة. ومن أبرز كتّاب المقال السياسي الذين شاركوا في التحرير والكتابة طيلة فترة ما بعد ثورة العشرين حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية: باقر السبيسي وعبد الغفور البدري وسامي خورندي وعبد الحسين وفهمي المدرس وابراهيم صالح وشكر واهميس حلمي العمر وروفائيل بطي وعثمان قاسم وسليم حسون وعبد رضا الشبيبي وعبد اللطيف القلاحي ويوسف رحبيب وجعفر أبو التمن، وغيرهم.

أما في سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية (١٩٣٤-١٩٣٩) لم يُكتب عن الصحافة العراقية شيء يذكر حتى كانت ثورة رشيد عالي الكيلاني (١٩٤١). ويعبر التصريح الذي أدل به الوصي طه الهاشمي المكلف تشكيل الوزارة في ٦ شباط ١٩٤١ عن وضع الصحافة العراقية في هذه السنوات السابقة للثورة: «إن الصحافة حرة، غير ان الظروف العصيبة التي يمر بالعالم، والتي لا بد للعراق ان يجتازها بسلامة، تتطلب اليقظة، فقد أصدرت الحكومة عدة مراسيم في بدء نشوب الحرب، وفيها احكام للسيطرة على الصحافة، وقد أصبح من حق الحكومة، استناداً على تلك المراسيم، ان توقف كل صحيفة عند حلها إذا خرجت عن الخطة المرسومة...».

كانت معظم الصحف العراقية، إذًا، قبيل ثورة ١٩٤١ تحاول البقاء ضمن التوازن بين الاحداث، وكانت جرأة الصحف الوطنية مقصورة على التلميحات، بحيث لا تستير السلطة والسفارة البريطانية. ومع قيام الثورة وتكليف الكيلاني برئاسة حكومة الدفاع الوطني، وقتت أكثرية الصحف إلى جانبها. وبعد فشل هذه الثورة، توقف بعضها عن الصدور كجريدة «الجهاد»، وجريدة «اليوم»، وانقلب البعض الآخر وأصبح بوقاً للسلطة الحاكمة حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، كجريدة «العراق» و«الأخبار» و«صوت الحق». ومع ذلك، تمكنت الصحف الصادرة عن الحزب الوطني الديمقراطي (الاهالي، صوت الاهالي، صدق الاهالي، نداء الاهالي) وحزب الاستقلال (نواء الاستقلال، صدق الاستقلال)، وحزب الاحرار (الاحرار)، وحزب الاتحاد الوطني (السياسة، صوت السياسة)، وحزب الشعب (الوطن)، ان تعبر بأسلوب جديد امتاز بتضمينه مفاهيم سياسية جديدة فرضت تعابير جديدة كانت معدومة في صحافة ما قبل الحرب العالمية الثانية. إلا ان هذه الصحف ألغيت معظمها إثر تجميد النشاط الحزبي في ١٩٤٧.

بالانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة في حال تعرض الثورة إلى تدخل مناوئ من دول حلف بغداد. وسنحت فرصة تفجير الثورة عندما أقدمت قيادة الجيش على نقل بعض القطعات العسكرية التي يسيطر عليها الضباط الاحرار باشراف قاسم وعارف إلى الاردن عبر بغداد عشية ١٣-١٤ تموز ١٩٥٨. وقد تولى عبد السلام عارف صباح ١٤ تموز عملية الاستيلاء على المرافق الحساسة وإذاعة البيان رقم واحد من الاذاعة. ومن ثم توجهت وحدة صغيرة لاحتلال القصر الجمهوري. ولما كانت الاحزاب الوطنية على علم بالثورة، راح مؤيدوها والمجموع يتدفقون على الشوارع ويساتلون حركة القوات المسلحة، ما أضفى على هذه الحركة طابع الثورة الشعبية.

#### □ الضباط المشرفيون: مجموعة من الضباط

العرب (العراقيين) الذين كانوا في الجيش العثماني والتحقوا من خلال جمعية العهد العسكرية السرية بالثورة العربية الكبرى (١٩١٦)، وانتقلوا مع الأمير (ثم الملك) فيصل إلى سورية، ثم إلى العراق حيث شكلوا ركيزة نظام الملك فيصل. فممنهم من أصبح رئيساً للوزراء، مثل جعفر العسكري ونوري السعيد وجميل المدفعي وعلي جودت الايوبي (راجع باب «زعماء»). ويقدر مجموعهم بنحو ٣٠٠ ضابط، معظمهم من مناطق بغداد والحجاز، وينتمون إلى الطبقات المتوسطة أو ما دونها. وكان توجههم السياسي والاداري متأثراً بنموذج تركيا الفتاة وبالرغبة في التشبه بالطريقة الأوروبية والقرمية العلمانية. لذلك، اصطدموا بالعائلات والعشائر والقوى التقليدية، وقفوا إلى جانب الملك فيصل عندما أخذ يطالب الانكليز، بعد ستة أشهر من تعيينه ملكاً (١٩٢١) بالصدقة والتحالف عوضاً عن التبعية الاستعمارية والانتداب، فكانوا في صف العناصر الوطنية وعلماء الشيعة. وتكرر الموقف نفسه بالنسبة إلى مسألة تقوية الجيش العراقي في ١٩٢٩. وعندما شكل نوري السعيد وزارته الاولى (١٩٣٠) احتل الضباط الشريفيون خمسة من أصل ستة مناصب وزارية.

غير ان مجيء نوري السعيد إلى رئاسة الوزارة قربته من الانكليز، فأخذ الملك فيصل بعد سنتين من توليه الوزارة يراقب مجلد نمو سلطة نوري السعيد الذي توسع في تطهير الجيش والادارات الكبرى لصالح تقوية نفسه والمقربين منه. وعندما خلف الملك غازي الملك فيصل ضعف نفوذ القصر في البلاد وبدأ الجيش والضباط الشريفيون يتدخلون بالسياسة بشكل سافر، الأمر الذي اثر على وحدتهم

ضد المتظاهرين في بغداد، دخول العراق حلف بغداد، تحالف الحكم مع بريطانيا والغرب في العدوان الثلاثي على مصر، وانطلاق أفكار وتيارات التحرر والعروبة والوحدة ونمو الحركات الوطنية والسياسية.

في ١٩٥٢، بدأ الضباط رفعت الحاج سري نشاطه عن طريق تنظيم رفاقه من سلاح الهندسة، وأصر على اعتماد استقلالية الحلقات وسريتها. وخلال سنوات قليلة استطاع هو ورجب عبد المجيد تنظيم العديد من الحلقات السرية واستقطاب بعض الضباط الشباب من أمثال ناجي طالب (أمر المدرسة العسكرية) ومحسن حسين الحبيب أمر المدفعية الثقيلة في معسكر الوشاش. وفي اواخر ١٩٥٦ تكاثرت عدد الضباط المنتهين إلى حلقات التنظيم (وخصوصاً بعد تأميم قناة السويس والعدوان على مصر)، الأمر الذي استوجب تسمية لجنة عليها ضمت محي الدين عبد الحميد (رئيساً) وناجي طالب وظاهر مجي ورجب عبد المجيد وعبد الكريم فرحان ووصفي طالب وصبيح علي غالب ومحمد سبيع ورفعت الحاج سري. وقد شكلت اللجنة العليا لجنة عسكرية لاعداد الخطط الضرورية للقيام بالثورة، وأخرى سياسية لدراسة الاوضاع الداخلية والدولية وجمع المعلومات التي تساعد على وضع الحلول للمشاكل السياسية والاقتصادية التي سوف تواجه الثورة عند نجاحها.

ويلاحظ انه حتى تاريخ تكوين اللجنة العليا لم يكن كل من عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، اللذين لعبا دوراً قيادياً رئيسياً في ما بعد، قد انضموا لقيادة تنظيم الضباط الاحرار لوجود وحدتهما التابعة للفرقة الثالثة في المفرق (الاردن). ولكنهما انضموا إلى التنظيم في ١٩٥٦، وبعد شهر قليلة، انضمت مجموعة تضم نحو ٨٠ ضابطاً من ذوي الرتب الصغيرة. وبدأ التعاون (١٩٥٧) بين الضباط الاحرار وجماعة الاتحاد الوطني التي ضمت الاحزاب الوطنية والاشتراكية المعارضة. وكان الضباط البعثيون انضموا إلى الضباط الاحرار بقرار من الحزب.

في شباط ١٩٥٨، أوفدت اللجنة العليا، تمسباً منها لامكانية تدخل حلف بغداد، صديق شنشل، رئيس حزب الاستقلال وعضو جبهة الاتحاد الوطني (وهي الجبهة التي تضم اللجنة العسكرية وأعضاء من الاحزاب الوطنية والاشتراكية المعارضة)، إلى القاهرة ومفاتيح الرئيس جمال عبد الناصر والسوفيات في الأمر. وحصل شنشل على وعد من الرئيس جمال عبد الناصر والسفير السوفياتي بالدعم والمساندة، الأمر الذي دفع اللجنة العليا لاتخاذ قرار

زراعية بالغة لانه يسقي أهم منطقة لبساتين النخيل في العالم (٧ ملايين نخلة مثمرة). وقد شقت حوله آلاف الجداول منذ الفتح الاسلامي. وكذلك، لشط العرب أهمية عسكرية وتجارية مرتبطة بالمنافذ الخارجية.

أنشأ البرتغاليون (وهم السابقون في غزو الخليج) وكالة تجارية في البصرة ١٦٢٢. وبعدهم، وصل الهولنديون إلى الخليج وشط العرب ودخلوا البصرة وأنشأوا وكالة تجارية ١٧٣٠ وبقوا هناك حتى ١٧٥٣. ثم سارع الفرنسيون والانكليز لأخذ حصصهم من المنطقة وكانوا يصطدمون بسيادة الاتراك على العراق حتى اوائل القرن العشرين. لكن إمارة عربية، هي إمارة الحويضة، ظلت تسيطر على شط العرب حتى بعد ان افتتح الاتراك العراق في ١٤٥٣. فكانت السفن تدفع الضريبة إلى أمير الحويضة. وكانت الضفة اليمنى من شط العرب تخضع لسيطرة العرب منذ عهد الجلائريين في العراق حتى استيلاء العثمانيين على البصرة وتحويلها إلى ولاية عثمانية ١٥٤٦. وفي معاهدة «قصر شيرين» بين تركيا وفرنسا في ١٦٣٩، لم ترد أي إشارة إلى شط العرب، ذلك انه كان يخضع للسيادة العربية الخارجية عن نفوذ الفرس والاتراك معاً. فالفرس كانوا منذ عهد الصفويين يطلقون اسم «عربستان» على كامل اقليم الأهواز، وهو اعتراف صريح منهم بعروبة هذا الاقليم. وعندما ظهرت قبائل «بنو كعب» في منطقة شط العرب والاهواز واستقرت فيها (منذ اوائل القرن الثامن عشر) تعاضمت المقاومة العربية في وجه الاتراك والفرس وضد الحملات الانكليزية، خاصة ايام الشيخ سلمان بن سلطان (١٧٣٧-١٧٦٧).

راحت بريطانيا، مع تعاضم نفوذها في القرن الثامن عشر، تتدخل في قضايا الحدود بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية بشكل يؤمن لها الهيمنة على الطرق المائية، بينها شط العرب. فأوعزت إلى أحد دعاتها، أوستن هنري لايبارد، الرحالة والدبلوماسي ومنقّب الآثار في نينوى (راجع «آثار العراق» في باب مدن ومعالم)، بوضع مشروع تحديد الحدود العثمانية-الفارسية في شط العرب. وكان مما تضمنه ذلك المشروع ان تكون منطقة شط العرب والحمرية تابعة للدولة العثمانية، وان يُعطى نهر بهمنشير إلى ايران. وهذا النهر هو فرع من نهر كارون يصب في الخليج وليس في شط العرب. ولقد نشر لايبارد مشروعه ذلك في المجلد السادس عشر من مجلة الجمعية الجغرافية الملكية في لندن ١٨٤٨ بعنوان «وصف ولاية خوزستان». وتناهت بعد ذلك الاتفاقات والمعاهدات

ومناسكهم. ذلك ان بكر صدقي وعبد اللطيف نوري قائد انقلاب ١٩٣٦ كانا ينتسبان لهذه المجموعة، وكذلك صلاح الدين الصباغ ورفاقه قادة ثورة ١٩٤١. وعندما وقع انقلاب بكر صدقي التجأ نوري السعيد إلى السفارة البريطانية ومن ثم ذهب إلى مصر. وبعد القضاء على الانقلاب عاد نوري السعيد وبدأ في ١٩٣٨ يحاول إقناع صلاح الدين الصباغ بفرض سلطة الجيش على حكومة جميل الملغعي. وفي اواخر ١٩٣٨، عاد نوري السعيد إلى رئاسة الوزارة وأخذ يتأمر على الملك غازي الذي كان يميل إلى رشيد عالي الكيلاني، الأمر الذي قرّبه من الأمير عبد الاله. وقد ايد تحالف نوري وعبد الاله بعض الضباط الشريفيين، وعُين الأخير وصياً على العرش نظراً إلى صغر سن ابن غازي (الملك فيصل الثاني). ولكن هؤلاء الضباط انقلبوا على هذا التحالف فضعف نوري السعيد وعهد الاله وهربا من العراق إبان ثورة ١٩٤١ ولم يعودا إلا بعد التدخل البريطاني العسكري المباشر. وفي الفترة التي تلت عودة نوري السعيد تحول الكثير من الضباط الشريفيين الذين استمروا في الحكومة والجيش إلى الطبقات العليا المالكة في المجتمع عن طريق المنصبات التي كانت تأتيهم من الشركات الكبرى والملاكين الكبار. وفي الخمسينات بدأت مجموعة الضباط الاحرار تتكون كاستمرارية للاتحافات الوطنية عند الضباط الشريفيين الذين قاموا بثورة ١٩٤١ (عن «موسوعة السياسة»، ج٣، ط١، ١٩٨٣، ص٧٢٩-٧٣٠).

□ مجازر كركوك (١٩٥٩): راجع «الحزب

الشيوعي العراقي» في باب الاحزاب.

□ مجازر الموصل (١٩٥٩): راجع «عبد

الروهاب الشواف» في باب الزعماء.

□ مسألة شط العرب: بالتشاء مياه دجلة

والفرات تكونت مياه شط العرب الذي يصب في الخليج والذي يبلغ طوله ٢٠٤ كلم، ويتفاوت عرضه من كيلومترين عند المصب إلى كلم واحد عند البصرة. والملاحة صالحة فيه للبوخر البحرية ذات المغطس ٣٢ قنماً، وذلك من مصبه في الخليج حتى ميناء المعقل قرب البصرة لأن عمق المياه في هذه المسافة يتراوح بين ٩-١٨م. ويعود جزء كبير من أهمية الخليج العربي الدولية إلى شط العرب كمدخل إلى العراق. وله كذلك أهمية

ظلت مسألة الحدود بين الحكومة العراقية وفارس عالقة ومثار خلاف، إلى ان عرض العراق الأمر على عصبة الأمم التي أوصت في ٢١ كانون الثاني ١٩٣٥، بعد مناقشات طويلة، بحل النزاع عن طريق المفاوضات المباشرة. وقد كانت نتيجة ذلك عقد معاهدة ١٩٣٧ (وهي المستند أو الوثيقة القانونية الرابعة والأهم) التي أصبحت نافذة للمفعول في ١٩٣٨ بعد أن صدقها الطرفان (العراقي والایراني) وفق الاحكام الدستورية لكل من البلدين وتبادلا وثائق الإبرام (عن عباس عبود عباس، كتاب «أزمة شط العرب»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٧٣).

«أعلنت هذه المعاهدة، في مقدمتها، على الرغبة في تمكين أواصر الصداقة الأخوية بين العراق وإيران، وحددت الغرض من عقدها بوضع حد حاسم لمشكلة حدودهما المشتركة. اما بالنسبة إلى الوثائق السابقة فقد اعتبرت المعاهدة ان بروتوكول القسطنطينية لسنة ١٩١٣ ومحاضر جلسات لجنة تحديد الحدود المؤرخة عام ١٩١٤ ووثائق شرعية وملزمة للطرفين (مادة ١). ولكن المعاهدة عدلت خط الحدود في شط العرب، فحصلت إيران بذلك على مكسب جديد بموافقة العراق، على ان يكون هذا الخط هو خط الشالوج لمسافة ٧ كلم تقريباً مقابل عبادان. ومن تفحص بمجمل الاحكام الواردة في نصوص هذه الوثائق يتأيد أن شط العرب موضوع تحت سيادة العراق من مصبه حتى نقطة تكونه باستثناء حوالي ١٤ كلم يشترك البلدان في السيادة عليها، سبعة منها مقابل ميناء عبادان حيث خط الفالوج هو خط الحدود، وسبعة أخرى مقابل ميناء الحمرة حيث يكون خط الحدود هو منتصف بحري المياه» (عن «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج٣، ط١، ١٩٨٣، ص٤٧٩).

في ١٩ نيسان ١٩٦٩، انفجرت أزمة حدود جديدة بين العراق وإيران عندما أعلن وكيل وزارة الخارجية الإيرانية امام مجلس الشيوخ الإيراني نقض إيران لمعاهدة ١٩٣٧. وبعد أشهر (١٩٧٠)، أعلن شاه إيران عن إلغائها من جانب واحد. وقد صاحبت ذلك، وعلى مدى شهور طويلة، تهديدات ومطالب من جانب إيران تتعلق بالملاحه في شط العرب وباعادة تعيين الحدود المشتركة. وكانت الولايات المتحدة الاميركية قد توصلت إلى وضع يدها على أكثر من ٨٠٪ من النفط الإيراني.

«في ١٩٧٥، عقد إتفاق جديد بين العراق وإيران في الجزائر، وتكلف من ثلاث مواد: ١- انسحاب القوات الإيرانية

الخاصة بالحدود بين الدولة العثمانية وفارس حتى سنة ١٩١٣ عندما تم التوقيع على بروتوكول الأستانة (القسطنطينية).

وما لبث ان دخل في اواخر القرن التاسع عشر عامل مهم للغاية على مسار المفاوضات والاتفاقيات، وهو اكتشاف النفط واستعماله كأداة رئيسية للطاقة، وما نجم عن ذلك من تنافس بين الدول الاستعمارية.

فحين استطاع وليم نو كس دارسي، انكليزي من أوسزاليا، ان يحصل على امتياز للتنقيب عن النفط في إيران، عملت بريطانيا ما بوسعها لأن تتزح الامتياز من وليم دارسي. ويمكن أحد رجال غابراتها، وهو اليهودي سدي روز نبلوم من خنداق وليم دارسي وحمله على التنازل عن امتيازها لجمعية تبشيرية مسيحية وهمية. وهكذا استأثرت بريطانيا وحدها بمناجم النفط الإيراني. فتضاعفت لديها أهمية شط العرب، طريق نقل النفط الإيراني إلى الخليج ثم إلى أوروبا. فظلت تضغط باستمرار على الحكومة العراقية في العهد الملكي حتى حملتها على عقد معاهدة ١٩٣٧.

وقبل تبيان أهم ما ورد في هذه المعاهدة (١٩٣٧) بخصوص الحدود، وشط العرب خاصة، نذكر انها استندت على وضع قانوني يعرود، بصورة خاصة، إلى معاهدة أرضروم الثانية في ١٨٤٧، المعقودة بين الدولة العثمانية وفارس بواسطة كل من روسيا وبريطانيا، والتي وضعت تحت السيادة الفارسية مدينة الحمرة وميناءها وجزيرة الخضر (عبادان) والأراضي التي تقع على الضفة الشرقية لشط العرب، كما نصت على حرية الملاحة للسفن الإيرانية في الشط من مصبه حتى التقاء حدود البلدين. لكن تنفيذ هذه المعاهدة اصطدمت بتعنت الجنابيين (العثماني والفارسي) في تفسير نصوصها، وباندلاع حرب القرم الثانية.

أما المستند الثاني لمعاهدة ١٩٣٧ فهو بروتوكول طهران لعام ١٩١١ الذي عاد الطرفان (العثماني والفارسي) إلى الاتفاق على تأليف لجنة مشتركة لوضع خط الحدود بين البلدين على أساس معاهدة أرضروم (١٨٤٧).

ومع المستند الثالث، بروتوكول القسطنطينية لعام ١٩١٣-١٩١٤ الذي دخل في تفصيلات دقيقة (٨٧ محضراً)، استمرت الخلافات على التطبيق، إضافة إلى ان وضعاً مستجداً تماماً قد طرأ على الوضع برمته: الحرب العالمية الأولى، هزيمة الدولة العثمانية، الاحتلال البريطاني للعراق، ثم العهد الملكي العراقي وتأليف حكومات وطنية عراقية.



بعضها ولاية الموصل تحديداً كاتفاقية سايكس-بيكو (١٩١٦) بين فرنسا وبريطانيا، وحسب المذكرات الدبلوماسية التي تبودلت في لندن يومي ٩ و١٦ ايار ١٩١٦ (في إطار الاتفاق الشهير، سايكس-بيكو) كانت الموصل من نصيب فرنسا، لكن ثمة خلافات ومساومات حول المحاصصة في بلدان المشرق العربي نشبت بين بريطانيا وفرنسا. فـ«صحيح ان اتفاقية سايكس-بيكو نصت على تقسيم العراق إلى منطقتي نفوذ: فرنسية وبريطانية ولكن حين انعقد مؤتمر سان ريمو (١٩٢٠) لم تعد فرنسا طرفاً في المطالبة به (أي بحصتها في العراق). ومع ان المفاوضات التي بدأت في لندن في كانون الاول ١٩١٨ (حين طلب المستر لويد جورج إلى كليمنصو ان يوافق على ضم شمال العراق وفلسطين إلى منطقتي النفوذ البريطاني) لم تؤد إلى تسوية نهائية حيثئذ فإن اتفاقية عقدت بعد سقوط كليمنصو في كانون الثاني ١٩٢٠ وتنازلت فرنسا بموجبها عن كل مطامعها الإقليمية في العراق مقابل إطلاق يدها في سورية واعطائها حصة كبيرة من زيت الموصل. وقد تمت المساومة الفرنسية البريطانية فعلاً في سان ريمو، والمؤتمر منعقد، ولما أبرم أمر تلك الصفقة (تم ذلك في ٢٤ نيسان ١٩٢٠ في اتفاق عنوانه «مذكرة اتفاق بين المسير فيليب برتلو والسير جون كادمان») منح المجلس الأعلى رسمياً حق الانتداب على العراق كله لبريطانيا» (جورج انطونوس، «يقظة العرب»، ص ٤٧٤-٤٧٥).

طوي الخلاف، إذاً بين بريطانيا وفرنسا، حول الموصل الواقعة ضمن الحدود الطبيعية للعراق كما حددها خط بروكسيل، ليبدأ فصل من الخلاف، حول الموصل، بين بريطانيا وتركيا. وولاية الموصل التي هي موضوع الخلاف البريطاني-التركي هي غير محافظة الموصل العراقية الحالية. فالولاية كانت تضم شمال العراق بأسره وتشمل في الوقت الحاضر محافظات الموصل ودهوك وكركوك واربيل والسليمانية.

لم يكن بمقدور الاتراك الدخول في نواح عسكري مع بريطانيا المنتدبة على العراق بسبب الموصل. لذا التجأت دبلوماسيتهم إلى لعب ورقة أقليات منطقة الموصل، وخاصة الأكراد. إلا ان وزير خارجية بريطانيا اللورد كيرزون واجه هذه الورقة بقوة لفتاعته بأن «ضياح الموصل يجر إلى ضياح بغداد والعراق كله، مما يعني الفشل النهائي للسياسة البريطانية في الشرق».

وفي نهاية كانون الثاني واول شباط ١٩٢٣، وفي أجواء رغبة تركيا في إخراج مؤتمر لوزان، فقد قبلت شطب مسألة الموصل من معاهدة الصلح هذه وإبقائها

من الأراضي العراقية المحتلة (كانت قوات ايرانية دخلت اراض عراقية في الشمال لموازرة للمتمردين الأكراد)؛ ٢- وقف الدعم الايراني لجماعة البرزاني؛ ٣- تقسيم شط العرب. كانت كل مادة من هذه المواد مكتملة للأخرى. فخرق الواحدة يعني خرقاً للاتفاق برمته. وقد نفذ الجانب الايراني البنود المتعلقة بهشط العرب وبايقاف الدعم للمتمردين الأكراد، لكن نظام الشاه كان قد أطيح به قبل تنفيذ البند المتعلق بانسحاب القوات الايرانية من الأراضي العراقية. وقد أعلن الخميني رفضه لهذا الاتفاق حتى قبل وصوله إلى السلطة وهو في باريس، ووصفه بأنه اتفاق إمبرالي يرفضه الايرانيون. وبعده إلى ايران، سارع إلى دعوة الانفصاليين الأكراد إلى استئناف مجدهم في شمالي العراق وعمل على تسليحهم. وعندما طلب العراق انسحاب القوات الايرانية من اراضيه، رفض الخميني هذا الطلب مدعياً انها اراض ايرانية وانه غير معني باحترام اتفاق معقود مع الشاه. وعندما بعث العراق برسالة إلى النظام الايراني لمعرفة ما إذا كانت طهران لا تزال تحترق الاتفاق (اتفاق الجزائر) قائماً، لم يتلق جواباً. وهكذا، لم يحترم نظام طهران إلا بذلك واحداً من الاتفاق، البند المتعلق بتقسيم شط العرب» (عن مجلة «بغداد» الصادرة باللغة الفرنسية، العدد ٢٧٩، تشرين الاول ١٩٨٨، ص ٢٠، راجع كذلك «النبيذة للتاريخية»).

#### □ مسألة الموصل: مسألة جرى الحديث عنها،

ورفعت بصدها خلافات بعد الاعلان عن انتهاء الحرب العالمية الاولى وتوقيع هدنة مودروس (أو موندروس) في الساعة الحادية عشرة من يوم ١١ تشرين الثاني ١٩١٨، وأقبل ملفها بعد تأسيس الدولة العراقية في ١٩٢٠ وتثبيت حدودها في ١٩٢٦. وأعاد الزعماء الاتراك، أعصمهم الرئيس التركي سليمان ديميريل، فتح ملف هذه المسألة منذ أواخر الثمانينات، وخاصة في أعقاب حرب الخليج الثانية وفي أجواء الظروف الفارقة الصعبة التي عاشها، ولا يزال، العراق نتيجة هذه الحرب.

بعد هدنة مودروس التي أنهت الحرب بين الحلفاء والدولة العثمانية، تحركت القوات البريطانية المحتلة للعراق (وكانت بدأت احتلاله منذ ١٩١٤ بدءاً بالبصرة) تجاه الموصل، التي كانت لا تزال خاضعة للعثمانيين، واحتلتها في ٥ تشرين الثاني ١٩١٨ بعدما انسحب منها القائد التركي علي إحسان باشا. والجدير ذكره ان قبل هذا التاريخ كانت ثمة معاهدات واتفاقيات عقدت بين الدول الحلفاء، كمعاهدة لندن في ١٩١٥ واتفاقية سان جان دو مودريان في ١٩١٧ تضمنت اقتسام أملاك الدولة العثمانية وذكرت

الكرديستاني من تلك المنطقة». ومفاد هذا الطرح ان يتم تصحيح الحدود التركية-العراقية، بحيث يبعد خطها الجديد عن قمم الجبال الفاصلة بين البلدين لينزل إلى سفح الجبلين من الاراضي العراقية، وهو ما يعني توسيعاً جغرافياً للاراضي التركية على حساب الاراضي العراقية، وتحديدًا في ما يخص ضم ولاية الموصل. وكان العراق يرد بعنف على هذه الدعوات التركية الصادرة عن «الانكشاري المريض»، ويحذر من «لعبة التقسيم»، ومن أن «بلور التقسيم في تركيا أكثر». ولوحظ ان الأوساط السياسية ووسائل الاعلام في تركيا توقفت، منذ اواسط ايار ١٩٩٥، عن تداول موضوع الحدود (راجع «مسألة الموصل» في تركيا، ج٦، ص٢٧٦-٢٧٧).

□ المعاهدات العراقية-البريطانية: سبع معاهدات عقدت خمس منها إبان الحكم الملكي الفيصلي في ظل الانتداب البريطاني.

الاولى (تشرين الاول ١٩٢٢): جاءت في أعقاب الثورة العراقية الكبرى المعروفة بثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني الذي بدأ أثناء الحرب العالمية الاولى ونقض بريطانيا لوعدها السابقة لحق العرب في التحرر والاستقلال والرحمة مقابل دخولهم الحرب ضد العثمانيين وحلفائهم في دول المحور. فجاءت هذه المعاهدة، التي حولت صيغة الاحتلال إلى صيغة الانتداب، كأهم نتيجة للثورة. ومع ذلك، قوبلت المعاهدة برد فعل سلبي شديد لدى عديد من الهيئات والاحزاب التي رأت إليها تقييداً للسيادة الوطنية العراقية.

الثانية (كانون الثاني ١٩٢٦): فرضت من جانب بريطانيا لتعديل المعاهدة الاولى وتعديلها لمدة ٢٥ سنة، مع إقرارها (بريطانيا) لشرط ان المعاهدة لا تعود نافذة إذا نال العراق عضوية عصبة الأمم. واستمرت مفاوضات الملك وحكومته مع الانكليز لمعاهدة تخلو من القيود والعراقيل الموحدة في المعاهدتين الاولين.

الثالثة (كانون الثاني ١٩٢٧): تضمنت اعتراف الحكومة البريطانية الصريح باستقلال العراق وسيادته وتمهدها بدعم العراق لدخول عصبة الأمم في ١٩٣٢. ولكن الانتداب استمر وكذلك الوجود العسكري البريطاني ووجود مستشارين انكليز في الوزارات والتدخل الانكليزي في تعيين المسؤولين في المناطق الكردية.

الرابعة (تموز ١٩٣٠): عقدت بعد مفاوضات تولتها عدة وزارات كانت تستئيل كلما تعثرت المفاوضات إلى ان

مطروحة على الحكومتين اللتين لم تتوصلا إلى حل، ما حدا بمجلس عصبة الأمم ان يقرر في ٣٠ ايلول ١٩٢٤ تأليف لجنة تحقيق حول الموصل وتقديم توصية لحلها إلى المجلس.

زارت اللجنة كلاً من لندن وأنقرة وبغداد والموصل. وأبرز تقريرها (الذي قدمته في ١٦ تموز ١٩٢٥) خلافات كثيرة حول ادعاءات تاريخية وعرقية واقتصادية واستراتيجية، وارتأت «ان المحجج المهمة لا سيما الاقتصادية والجغرافية وعواطف أكثرية السكان تميل لتأييد ضم جميع الاراضي الواقعة جنوبي خط بروكسيل إلى العراق وذلك بشرطين:

الاول: ان تبقى هذه الاراضي تحت الانتداب الفعال لمدة ٢٥ سنة.

الثاني: ان تؤخذ في الاعتبار رغبات الأكراد بتعيين موظفين أكراد في المحاكم والمدارس وبأن تكون اللغة الكردية اللغة الرسمية فيهما.

ورفضت تركيا تقرير اللجنة، وطلبت طلباً عاجلاً إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي (١٩ ايلول ١٩٢٥). فأصدرت المحكمة حكمها في ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٥، بأن القرار الذي سيتخذه مجلس عصبة الأمم في القضية سيكون قراراً قطعياً وملزماً باعتباره سيقدر حدود ولاية الموصل، وتمّ الموافقة على هذه الحدود في ١٩ كانون الاول ١٩٢٥. وفي ١٨ تموز ١٩٢٦، صادقت الجمهورية التركية على معاهدة تركية-بريطانية-عراقية تم بموجبها القبول بخط بروكسيل خطاً للحدود بين العراق وتركيا.

ورغم توقيع تركيا على هذه المعاهدة ظلت مسألة الموصل، ومعها مسألة كيليكيا ولواء الاسكندرون (سورية)، تسببان توتراً خفياً في العلاقات التركية مع العراق وسورية. وبعد مرور نحو ستة عقود ونيف على مصادقة تركيا على معاهدة ١٩٢٦، استغل الزعماء الاتراك العمليات العسكرية الحليفة ضد العراق. فأطلق الرئيس التركي تورغوت أوزال تصريحاً استعمل فيه عبارة «الشعوب العراقية» (كانون الثاني ١٩٩١). فكان سابقة لا مثيل لها في تاريخ تركيا الحديث، وفتح علاقات أنقرة الاقليمية على احتمالات قد تكون الأكثر حدة والأخطر منذ تأسيس الجمهورية التركية في ١٩٢٣. وكذلك صرّح الرئيس التركي سليمان دميريل، في اول ايار ١٩٩٥، عن ضرورة تعديل الحدود العراقية-التركية، لأسباب أمنية، وان الموصل «ما زالت تابعة لتركيا»، مما أعطى انطباعاً عن استمرار هذا النهج في سياسة تركيا، رغبة منها في إخضاع شمالي العراق لنفوذها بجمحة «منع متسللين من حزب العمال

لكن تشرشل أوضح له أن عرش العراق من حصة أخيه فيصل وان بريطانيا تعرف ان هناك معارضة عراقية قوية لهذا الترشيح (بعد القس، توجه تشرشل إلى القاهرة لرأس المؤتمر الاستعماري البريطاني الشهير، راجع «مؤتمر القاهرة، ١٩٢١» في هذا الباب).

تعترف المصادر التاريخية والسياسية البريطانية بأن الثورة الشعبية العراقية (راجع «ثورة العشرين» في هذا الباب) أجيحت بريطانيا على التكريك بحكومة عراقية وطنية. فطلب المندوب السامي البريطاني والحاكم العسكري على العراق، برسي كوكس، من عبد الرحمن النقيب الكيلاني نقيب اشراف بغداد تشكيل حكومة عراقية تحت إشرافه وإشراف المستشارين البريطانيين. ودخل الوزارة واحد من أقوى الشخصيات العراقية المنافسة هو طالب النقيب، نقيب اشراف البصرة الذي أصبح وزيراً للداخلية. وحين شعر الإنثان، الكيلاني والنقيب، بنية بريطانيا لترشيح فيصل ملكاً على العراق، اتفقا على اللجوء إلى ملك عراقي يكون أحدهما، كما اتفقا على إصدار جريدة تدعو لهما وتعارض اختيار فيصل، وقد استدعي لرئاسة تحريرها الشاعر معروف الرصافي الذي كان في القدس نائياً نفسه اختياريًا.

هذه المعارضة العراقية القوية لترشيح فيصل التي تمحورت حول شخصية طالب النقيب رافع شعار «العراق للعراقيين» أكثر من شخصية الكيلاني الذي كان قد بلغ السابعة من عمره، جعلت الادارة البريطانية تطرح عدة مقترحات أوجزها الشاعر والكاتب العراقي نيل ياسين («الحياة»، العدد ١٠٩٧٩، تاريخ ٤ آذار ١٩٩٣، ص ١٠) بالتالي:

«اقترح لورنس القاضي بتقسيم العراق إلى دولتين لزيد وعبد الله (كما تقدم ذكره).

- أرولد ولسن قدّم مقترحات عدة أولها إنشاء دولة عربية في العراق تشمل ولاية الموصل تحت حكم أمير عربي بوجود مندوب سام بريطاني وبمجموعة كاملة من المستشارين. فتمّ درس ادعاءات هادي العمري عميد العمريين في الموصل وأحد اشرافها، وادعاءات أمير مصري أو أحد اولاد الشريف حسين (وسرعان ما استبعدت جميع هذه المقترحات أو الادعاءات لمصلحة مشروع يقضي باقرار برسي كوكس حاكماً لمدة خمس سنوات من دون أي حكم عربي).

- البريطاني الشهير، فيليبي (عنه، راجع «العربية السعودية، المملكة» في هذا الجزء)، صديق طالب النقيب، اقترح إقامة جمهورية، وكتب عن ملاءمة طالب النقيب ليكون رئيساً للوزراء أو رئيساً للجمهورية.

كلف الملك فيصل نوري السعيد تشكيل الوزارة. وقد ألحق بالمعاهدة بروتوكول عسكري رأى إليه العسكريون تركيداً ابتدئاً للاحتلال تحت ستار التحالف. فعارضها زعماء المعارضة بقوة، وحلّ نوري السعيد البرلمان وجاء بأخر يدين له بالولاء في غالبية اعضائه ليوافق على المعاهدة.

الخامسة (كانون الثاني ١٩٣١): عقدتها وزارة نوري السعيد للحلول على صك الانتداب البريطاني على العراق. نصّت رسمياً على إلغاء الانتداب، وكانت مدتها ٢٥ عاماً. فمهدت لدخول العراق عصبة الامم (١٩٣٢). وسمحت للمعاهدة لبريطانيا بالاحتفاظ بقاعدتين جويتين في الحباية والشعبية وبقوات عسكرية في البلاد لمدة خمس سنوات.

السادسة (١٥ كانون الثاني ١٩٤٨): هذه المعاهدة المسماة «معاهدة بورتسموث» (مدينة انكليزية) تربط العلاقة بين البلدين لمدة ٢٠ سنة. لكن هذه المعاهدة لم تعش إلا لأيام قليلة إذ قضت عليها انتفاضة كانون الثاني ١٩٤٨ المسماة «وثبة كانون» كما قضت على حكومة صالح جبر التي وقعت عليها. وقبل أشهر قليلة منها كانت وقعت أيضاً انتفاضة «كاورباغي» في كركوك التي قادها عمال شركة نفط العراق.

السابعة (تيسان ١٩٥٥): تمّ إلغاء معاهدة ١٩٣٠، وعقد العراق معاهدة مع بريطانيا مدتها خمس سنوات.

#### □ الملكية في العراق: عندما كان فيصل ملكاً

على سورية كان أخوه الأكبر الأمير عبد الله يعد نفسه ليكون ملكاً على العراق. فأوعز فيصل إلى ٢٥ شخصية عراقية مناصرة دعم رغبة أخيه. فألفت هذه الشخصيات «المؤتمر العراقي» الذي أصدر بياناً طالب فيه باستقلال العراق وان يكون عبد الله ملكاً عليه. وقبل ذلك بنحو سنتين، أي في ١٩١٨، كان لورنس قد اقترح انشاء ثلاث دول عربية هي سورية تحت حكم فيصل، ودولتان في العراق، الأولى من البصرة إلى عانة وتعطى لعبد الله، والثانية في الموصل وتعطى لزيد.

وفي أثناء دخول الجيش الفرنسي دمشق وفرار فيصل من سورية كان في نية عبد الله مقاتلة الفرنسيين في سورية برجال القبائل المناصرة له. فحاول المندوب السامي البريطاني هيرت صامويل، عبر الشخصية السياسية الفلسطينية عونى عبد الهادي، إقناع عبد الله بعدم الاقدام على أي عمل من شأنه إخراج بريطانيا مع حليفاتها فرنسا. وطلب وزير المستعمرات البريطانية ونستون تشرشل عدم تقرير أي شيء حتى يصل إلى القس، وبوصوله اجتمع مع عبد الله الذي طلب عرش العراق.

في لندن محادثات عديدة مع شخصيات حكومية وغير حكومية، وبخاصة مع وزير للمستعمرات، تشرشل، ومستشاره الكولونيل لورنس. وتمخضت تلك المحادثات عن تفاهم بجملة ان الحكومة البريطانية ستسلم إدارة العراق إلى حكومة عربية وستستعمل نفوذها لتضمن تعيين فيصل ملكاً على العراق وتدخل في مفاوضات معه لإبرام معاهدة تحالف تحل محل الانتداب.

ترأس تشرشل المؤتمر وحضره نحو أربعين بريطانيًا من العاملين في البلاد العربية، وكان أبرزهم السير برسي كوكس للندوب السامي في العراق، والسير هربرت صموئيل للندوب السامي في فلسطين. وقد توزعوا على ثلاث لجان، مالية وعسكرية وسياسية، وترأس تشرشل بنفسه اللجنة السياسية التي لعب فيها لورانس دوراً رئيسياً. وقرّر المؤتمر أن يوصي بإتخاذ المسائل التي تم عليها التفاهم في لندن بين فيصل وتشرشل بأسرع وقت. واقترح المؤتمر ان يتوجه فيصل إلى العراق مرشحاً للعرش، وأن يُنادى به ملكاً عن طريق استفتاء شعبي. «وكانوا يهللون النفس بأنهم، إذا أنشأوا حكومة عربية في العراق لمهد لالغاء الانتداب، فقد تتمكن الحكومة البريطانية من تخفيض اعداد حامياتها كثيراً وتوفير بذلك نفقات طائلة. ذلك ان ثورة ١٩٢٠ قد افنتهم بأن حنفظ العهود التي قطعوها سبيل من السبيل إلى تجنب النفقات الباهظة، وكانت هذه هي سياسة الجمع بين الاقتصاد وكلمة الشرف» (جورج انطونيو، «يقظة العرب»، ص ٤٣٣).

وكذلك تم في هذا المؤتمر تأكيد فصل شرقي الاردن عن ادارة فلسطين والاعتراف بالامير عبد الله أميراً عليها، وتأكيد التزام الانتداب بدقة بشرط إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. والجدير ذكره هنا ان وقتاً فلسطينياً اتصل بتشرشل في القاهرة، ولكنه أجاب بأنه يفضل لقاءهم في القدس (التي وصل إليها بعد ١٢ يوماً من المؤتمر، أي في ٢٤ آذار ١٩٢١)، وكان الوفد يمثل المؤتمر العربي الفلسطيني المنعقد في حيفا، كانون الاول ١٩٢٠. وعلى جدول أعمال مؤتمر القاهرة أدرجت أيضاً المصالح البريطانية في «ساحل الامارات المتصالحة على شاطئ الخليج و عدن».

وقد حاول لورانس ان يُظهر ان بريطانيا، بعد نتائج هذا المؤتمر، قد وفّت بوعودها العربية في رسائل حسين-سكاهون الشهيرة، وإن متأخرة: «عهدت وزارتنا المنهكة إلى المسز ونستون تشرشل بتسوية شؤون الشرق الاوسط، فاستطاع في بضعة أسابيع في مؤتمر القاهرة ان

- أواسط في كركوك وفي بغداد اقترحت ترشيح أحد الامراء العثمانيين الاتراك هو برهان الدين بن عبد الحميد الثاني.  
- أواسط بريطانية رشحت آغا خان، زعيم الاسماعيلية.

- والي بشت كورة غلام رضا خان رشع نفسه.  
- مؤتمر القاهرة (آذار ١٩٢١)، راجع مادته في هذا الباب) برئاسة تشرشل وحضره من العراق برسي كوكس والمس بل وهالدن قائد القوات البريطانية في العراق وجعفر العسكري وساسون حزقييل وزير المال وعميد العائلات اليهودية، هذا المؤتمر رشع فيصلاً.

بهذا الترشيح ألغيت المشاريع الأخرى- وكلها بريطانية في الواقع- وكان قائماً على الفكرة الأساسية التي وردت في تقرير مجموعة اللورد كرزون الداعية إلى وضع دستور لدولة عربية أو مجموعة من الدول على أساس رغبات السكان مع بقاء السيطرة البريطانية التي لا يوجد نزاع حولها.

وقد جاءت معارضة هذا الترشيح من طالب النقيب الذي هتد بأنه سوف يجر العشار العراقية ويعيها لمنع بريطانيا من استخدام نفوذها لصالح فيصل. ولم يفسح البريطانيون مجالاً له لتنفيذ تهديده. إذ سرعان ما تلقى دعوة من المس بل، سكرتيرة المفوض السامي برسي كوكس وبناء على تعليماته، دعوة لتناول الشاي في بيها. وما إن وصل طالب النقيب إلى منزل المس بل حتى أحاط به الجنود البريطانيون وأخلوه عنوة وحفروا في سيارة عسكرية ونقلوه فوراً منفياً إلى سيلان (سري لانكا) مع عدد من أنصاره.

#### □ مؤتمر القاهرة (١٢ آذار ١٩٢١): مؤتمر

إداري استعماري بريطاني، دعيت إلى عقده وزارة المستعمرات البريطانية (التي كان يرأسها ونستون تشرشل، وكان لورانس مستشاراً أول له) لرسم السياسة الانكليزية لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الاولى ولتطبيق صك الانتداب المقرر في مؤتمر سان ريمو (١٩٢٠)، وكان الوضع العراقي (ثورة العشرين) على رأس أسباب انعقاده. إذ كان من نتيجة الخسائر التي سببتها ثورة العراق ان اشتدت الحملة في بريطانيا لتخفيض النفقات على الالتزامات في الخارج. واتخذ المؤتمر قرارات أدت إلى تغيير جذري في السياسة في العراق وإلى تغييرات ذات أهمية-من نوع مختلف- في فلسطين وشرقي الاردن.

في الاسابيع التي سبقت عقد المؤتمر، أجرى فيصل

عندما تشكل «كونسورسيوم» دولي يسيطر عليه الانكليز، وعندما بدأت في الوقت نفسه، شركة «توركيش بترولوم» بأعمال تنقيب نشطة وحديثة. ولقد أسفرت تلك الاعمال التي ادارها الاميركي أ.و.شو، عن ظهور النفط في العراق، اعتباراً من يوم ١٥ تشرين الاول ١٩٢٧ في آبار بابا قرقر بالقرب من مدينة كركوك.

أجرى الملك فيصل مفاوضات صعبة مع الانكليز في شأن النفط، وأصر على إعادة النظر في الامتيازات الممنوحة للشركة. لكن الانكليز، رفضوا وهددوا بعدم الموافقة على مشروع الدستور العراقي الذي كان موضوع صراع وأخذ ورد بين الملك ومع القوى السياسية العراقية وبين الانكليز. وفي نهاية الأمر، تم التوقيع على اتفاقية امتيازات منحت شركة «توركيش بترولوم» حق التنقيب واستخراج النفط في أنحاء العراق كافة باستثناء ولاية البصرة. ولقد بدأت عمليات التنقيب عملياً في تشرين الثاني ١٩٢٥ لتستغرق سنين انتهت بدخول العراق عصر النفط الذي جعل من العراق ثاني دولة نفطية في منطقة الشرق الاوسط بعد ايران، وواحداً من أغنى بلدان المنطقة، ولا سيما بعد عقود من السنين حين زال الحكم الملكي، واستمر النفط وكأنه في أساس أو وراء كل لعبة سياسية أو حدث كبير سواء داخل العراق أو في المنطقة، إلى ان كان يوم الاول من حزيران ١٩٧٢.

ففي ذلك اليوم أعلن العراق، وكان يحكمه أحمد حسن البكر ونائبه صدام حسين، عن تأميم «شركة النفط العراقية» التي كان الانكليز قد أسسوها في العشرينات، أي في الزمن الذي كان فيه إنتاج النفط قد بدأ في حقول الشمال، في الموصل وكركوك. والحال ان ذلك الاعلان، الذي كان بمثابة انتصار كبير حققه حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم، كان نقطة الذروة في تحرك بترولي عراقي كان قد بدأ جنيئاً غداة انتصار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي سعت للسيطرة على مقدرات العراق الاقتصادية ولا سيما في مجال الثروة النفطية. وقد تمكن عبد الكريم قاسم من ان يبتز من شركة النفط العراقية أراض كانت تحتفظ بها من دون ان تسعى لاستخراج النفط منها. ولقد عرض قاسم استغلال تلك الاراضي على شركات أخرى، غير ان أحداً لم يستجب لعرضه، لأن التضامن كان لا يزال قائماً في ذلك الحين بين شركات النفط الكبرى.

وعقب هزيمة حزيران ١٩٦٧، عمدت القوات العسكرية العراقية إلى احتلال المناطق التي تقوم شركة النفط

يفكّ العقد جميعاً، وان يجد حلاً لتحقّق، في ما أرى، وعودنا مبنياً ومعنى دون ان يضحى بأية مصلحة من مصالح امپراطوريتنا أو بأية مصلحة من مصالح الشعوب التي تشملها التسوية. وبذلك نحللنا من المغامرة الشرقية التي خضناها ايام الحرب بأيدي نظيفة إلا أننا تأخرنا عن الوقت المحدد ثلاث سنوات حرمتنا من الفوز حينئذ بالشكران الذي تستطيع الشعوب، بل الدول ان تردّه» (عن كتاب لورانس «أعمدة الحكمة السبعة»، ط ١٩٣٥، هاشم ص ٢٧٦، وقد أوردها كذلك جورج انطونيوس في كتابه «يقظة العرب»، ص ٤٣٥).

#### □ ميثاق العمل القومي المشعورك: ميثاق

وحدوي أعلن بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٨ إثر سلسلة من اللقاءات بين القيادات السياسية والحزبية الحاكمة في كل من العراق وسورية. وذلك في أعقاب إقدام الرئيس المصري محمد أنور السادات على توقيع اتفاقيتي كامب دافيد للصلح مع اسرائيل في ١٧ ايلول ١٩٧٨، وخروج مصر من المواجهة العربية ضد اسرائيل. وقد نصّ الميثاق على إنشاء هيئة سياسية عليا مشتركة من قيادتي القطرين، وتشكيل أربع لجان مركزية: لجنة الشؤون السياسية والاعلامية والثقافية، لجنة الشؤون الاقتصادية والتعاون الفني، لجنة التعاون العسكري ومهمتها اعداد اتفاقية دفاع مشترك تمهّد لقيام وحدة عسكرية كاملة بين البلدين، ولجنة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي.

الجددير ذكره ان الاعلان عن هذا الميثاق جاء بعد ٢٤ يوماً من انعقاد مؤتمر القمة العربي التاسع في بغداد، وانه لم يجد طريقه إلى التنفيذ (راجع العنوان الفرعي «المصالحة مع العراق» في النبذة التاريخية من مادة «سورية»، ج ١٠، ص ١١٨-١١٩)، وان مختلف الكتابات السياسية العربية أجمعت على أن هذا الميثاق، كان بإمكانه، لو نفذ، ان يخلق ظروفاً جديدة داخل الوضع العربي من شأنها ان تؤدي إلى إيقاف حالة التدهور التي أصابت هذا الوضع بخروج مصر من ساحة الصراع في المنطقة وانتقال اسرائيل إلى مرحلة متقدمة من الهجوم.

#### □ النفط العراقي، البداية والتأميم: كانت

الدراسات وأعمال البحث والتنقيب قد أظهرت أن أغوار التربة العراقية غنية بالنفط، وعليه توقع العارفون ان العراق سيصبح واحدة من من أكبر دول المنطقة المنتجة للنفط ومن أغناها. وهذا التوقع بدأ يأخذ طريقه للتنفيذ منذ ١٩٢٥

كانت مستعمرة وعرفت أحداثاً دراماتيكية شديدة الضرر في أيام استقلالها، إلى حدّ التندر على أيام الاستعمار وحكم الأجنبي. والأمثلة كثيرة وهي تكاد تطلّ جميع البلدان التي فتكت الحروب الأهلية بمؤسساتها الرسمية والأهلية ونالت من بناها وقيمها الاجتماعية.

في أعقاب حرب الخليج الثانية، أعادت مجموعات عراقية معارضة، كردية وعربية، «فكرة عودة الهاشميين» إلى حكم العراق إثر أحداث أو مناسبات ثلاث متصلة مباشرة بهذه الفكرة:

الاولى، عندما عقد الشريف علي مؤتمراً صحافياً، في لندن صيف ١٩٩٣، أعلن فيه مطالبته رسمياً بعرش العراق وادعى أن لديه أنصاراً في الداخل وأنه بصدد تشكيل حزب ملكي عراقي. «والشريف علي بن الحسين، والده الحسين بن ناصر من أشرف الأسرة الهاشمية العلويين الذين نزحوا من الحجاز بعد سقوطها بيد ابن سعود في العام ١٩٢٤، ولم يكن لهم أي دور أو قيمة سياسية في العراق أو خارجه. إلا أن ادعاءه الصلة بنسب الملك فيصل الثاني تعود فقط إلى ان والدته هي شقيقة الامير عبد الاله، خال الملك فيصل الثاني، الذي كان وصياً على العرش بعد موت الملك غازي. وبالتالي فالشريف علي هو ابن عمالة الملك. ولم يسمع أحد بالشريف علي حتى المؤتمر الصحافي المذكور» (رياض نجيب الرئيس، «الهاشميون قادمون والسعوديون خائفون»، «السفير»، ٤ ايلول ١٩٩٥، ص ١٤).

الثانية، دعوة العاهل الهاشمي الاردني الملك حسين (أيضاً في ١٩٩٣) الناس إلى إطلاق لقب «الشريف حسين» عليه ومناذاته به، تشبهاً وتيمناً بأجداده الهاشميين أشرف مكة والحجاز حتى ١٩٢٤.

الثالثة، إثر فرار صهري الرئيس العراقي صدام حسين، إلى عمان في ٨ آب ١٩٩٥، والتهافت الدبلوماسي والاستخباراتي الدولي (خاصة الاميركي) والعربي (خاصة السعودي، رغم قطيعة بين البلدين امتدت إلى سنوات طويلة سابقة) على عمان لأهمية ما كان يمثلها الصهران حسين كامل وصدام في داخل النظام العراقي سياسياً وأمنياً واستراتيجياً، وبروز الملك حسين كأهم لاعب سياسي في المنطقة نتيجة حدث الفرار هذا، وخطابه الذي لقيه، بعد أيام قليلة، وركز فيه على دور الهاشميين في الحفاظ على وحدة العراق بقوله: «لقد تركنا الشعب العراقي الشقيق ان يختار طريقه ويعيش تجربته، ونحننا أن لا ينفرط عقده الذي جمعه الهاشميون سنة وشيعة، عرباً وأكراداً، وكل عناصر نسيجه

العراقية باستغلالها فارضة حظراً على تصدير النفط إلى أي بلد في العالم يساند اسرائيل. وفي ١٩٦٩، تمكن العراق من الحصول على زيادة في أسعار نفطه المسلم في موانئ شرقي البحر الابيض المتوسط بعد أن أقتلت قناة السويس وبات النفط الوارد إلى اوربا يمر عبر دورانه حول رأس الرجاء الصالح، مما أعطى للنفط العراقي قيمة كبرى.

ووصلت السياسة النفطية العراقية إلى ذروتها في قرار تأميم الشركة (الاول من حزيران ١٩٧٢) إضافة إلى الحقول التابعة لشركة نفط الموصل. وفي الوقت نفسه، أتمت سورية أنابيب النفط التي تمر في أراضيها والتي تنقل النفط العراقي من العراق إلى سواحل البحر المتوسط. وكانت فرنسا، من دون الدول الغربية جميعاً، الوحيدة التي أهدت قرار التأميم العراقي. وذلك لأن العراق قد ضمن لها دون غيرها تزويجها بالنفط لمدة عشرة أعوام مقبلة. ومن المعروف ان شركة النفط العراقية كانت مملوكة للانكليز والاميركيين، وان فرنسا كانت على الدوام مستبعدة من أفق اللعبة النفطية في العراق. وقد رسم هذا الامتياز المنروح لفرنسا خطوط التقارب العراقي-الفرنسي الذي بقي بعد ذلك حتى حرب الخليج الثانية (١٩٩٠-١٩٩١).

ووجدت شركة نفط العراق نفسها مرغمة على قبول الواقع الجديد مقابل تعويضات بلغت ١٥ ملياراً من النفط تسلّم في المصافي المتوسطية. وبعد ذلك بشهور، واصل العراق تمركه، فألقى كل التنازلات العراقية التي كانت ممنوحة لشركات اميركية مثل «ستاندارد أويل»، أو «نيو جرسبي»، و«شل» وغيرها.

#### □ «الهاشميون عائدون؟» (مناقشة): موضوع

سياسي جرى تداوله على نطاق ضيق في أعقاب حرب الخليج الثانية وتداولتها، ودار حول «وجود تيار سياسي عراقي مطالب بعودة الملكية الدستورية إلى العراق».

واللافت ان مثل هذا الطرح، المعبّر عن نوع من «انقلاب في التفكير» لدى البعض والذي ما كان لأحد ان يتصور حدوثه، كثيراً ما ينتعش في أعقاب أزمات كبرى (حروب خارجية أو أهلية مدسرة أو تغييرات دراماتيكية عميقة ومفاجئة في الأنظمة) تصيب الشعب وتواجهه بأفدح الاضرار. فعالية دول اوربا الشرقية والبلقانية (رومانيا، بلغاريا، البانيا...) شهدت، في أعقاب انهيار المنظومة الاشتراكية الشيوعية، أفكاراً وتيارات طالبت بعودة الملكية وإن كانت بقيت ضعيفة وقليلة الأثر قياساً على تيارات واحزاب أخرى. وقد يذهب البعض، في بلدان أخرى

الوطني»، رغم تأكيده في مطلع خطابه «بأنه لا مطمح لي» في العراق.

إلام استندت هذه المجموعات في تطارحها، أو تدارسها فكرة عودة الملكية الهاشمية إلى العراق؟

«- الزعيمان الكرديان مسعود البرزاني وجمال الطالباني يمتنعان بعلاقات ودية مع الملك حسين (...).

«- تمت مفاشة الملك حسين بهذا الأمر مرات عدة من قبل مجموعة زعماء يمثلون بعض عشائر السنة في العراق كلما زاروه (...).

«- تعتبر أغلبية الشيعة العراقيين من غير المرتبطين بايران، الذين يتمتعون بعلاقات طيبة مع الملك حسين بأن بينهم وبين الهاشميين قربي دينية (...). وهذا ما يعزز البعد الشيعي العربي ويوقف التأثير الإيراني. وللملك حسين علاقات مئينة مع عدد من المؤسسات الشيعية، أهمها مؤسسة الامام الخوئي (في لندن وسواها). وقد أنشأ، بتمويل من هذه المؤسسات وبعد حرب الخليج الثانية مباشرة، «جامعة آل البيت» في الاردن التي يؤمها عدد كبير من الطلبة الشيعة من مختلف أنحاء العالم العربي (...).

«- توفر صبغة «دولة الاتحاد العربي» التي كانت قائمة قبل ثورة ١٩٥٨، عندما كان فيصل الثاني ملك العراق رئيسها والحسين ملك الاردن نائبه (راجع «الاتحاد العربي الهاشمي» في مطلع هذا الباب) أفضل مخرج للعراق من صراع دسوي على السلطة لا بد وان يحصل بعد غياب صدام (...). كما توفر نظاماً ملكياً دستورياً يضمن حكماً ديمقراطياً منضبطاً على نموذج الاردن وعلى غرار ما يمارسه الملك حسين في الاردن حالياً» (عن رياض الرئيس، «السفير»، ٤ ايلول ١٩٩٥، ص ١٤).

هل من شريفي آخر منافس للملك حسين في أفق «فكرة عودة العرش الهاشمي العراقي» الذي جاء كلامها دائماً محبوباً بصورة أقرب إلى رواية في الأدب السياسي منه إلى كلام في السياسي؟

رياض نجيب الرئيس كتب في الموضوع (المرجع المذكور أعلاه) يقول:

«لا يوجد هاشميون كثيرون يتنافسون على العرش العراقي خارج دائرة الملك حسين (ملك الاردن) شخصياً. فلم يعد من الفرع الهاشمي العراقي أي شخص ذي قيمة أو وزن سوى الأمير رعد بن زيد، ابن الأمير زيد بن الحسين، الابن الأصغر لشريف مكة الحسين بن علي، قائد الثورة العربية الكبرى، وشقيق الملك فيصل الاول، الذي كان نائبه

عندما كان فيصل ملكاً على سورية، ثم أصبح سفيره في لندن عندما أصبح ملكاً على العراق. وهو الحفيد المباشر والوحيد الذي ما زال على قيد الحياة لمؤسس الأسرة الهاشمية الحالية (...). والأمير رعد يقيم في الاردن كأحد مستشاري الملك حسين منذ العام ١٩٥٨، فهو نجما من مذبح قصر الرحاب في بغداد التي تم فيها تصفية كل الأسرة الهاشمية عند قيام الثورة لأنه كان تلميذاً في انكلترا في ذلك الزمن عندما كان والده سفيراً في بريطانيا. وليس معروفًا عن الامير رعد ان له طموحات سياسية أو انه يتعاطى بالشأن السياسي العام مباشرة»

إلا ان الشريف علي، المطالب العليي الوحيد بالعرش الهاشمي العراقي، فيقول بصدده رياض نجيب الرئيس (المرجع المذكور) ان المعارضة العراقية بكل فصائلها سخرت منه في حينه (أي عندما أعلن ترشيحه في مؤتمر صحفي في لندن صيف ١٩٩٣)، ولم يعد يسمع عنه شيئاً إلى ان بلأ صهرا صدام إلى الاردن في آب ١٩٩٥، وفجأة عاد اسمه إلى الظهور في تصريحات صحافية أهمها أن «منافسه» على العرش، الملك حسين «لن يتخلى عن صدام، وهو شخص لا يثق به أحد في المنطقة»، وان «ايران واسرائيل وسورية والسعودية لن تسمح بقيام اتحاد بين العراق والاردن» (نقلًا عن جريدة الغارديان-لندن، ٢٦ آب ١٩٩٥). ويتابع الرئيس: «واتضح انه (الشريف علي) على خلاف عائلي قديم مع الملك حسين، وهو يقيم في لندن، متزوج من سيدة عراقية شيعية من كربلاء، غادر العراق وله من العمر ستتان إلى لبنان، وعاش فيه سنوات، حتى جاء لندن ودرس فيها الاقتصاد وعمل في أحد المصارف، وقد رجحت له وكالة الأنباء الكويتية (كرون) تصريحاته مؤخرًا كجزء من حملة الكويت لتصغير دور الملك حسين في التطورات العراقية الأخيرة (المقربة على فرار صهري الرئيس صدام حسين)، والاعلان ان ليس هناك «مطالب رسمي» بعرش العراق غيره، في حين ان بريطانيا ترعاه وتؤمن له التسهيلات، كجزء من سياسة الشعرة التي لا تقطعها مع أحد، ولتقليص نفوذ الملك حسين، ومنع احتمال قيام وحدة مستقبلًا بين الاردن والعراق».

شريفي هاشمي آخر هو الدكتور الشريف محمد بن فيصل الاول بن الحسين بن علي اعترض على اسلوب طرح فكرة عودة الملكية إلى العراق وطالب بملكية دستورية مشروطة يقررها الشعب العراقي في الداخل وليس بضغوط سياسية من الخارج، وذلك في معرض رده على ما نشرته

التاريخ الذي عاشه بعضنا. أما إذا قارنا تاريخ الملكية بتاريخ نظام البعث ونظام (الرئيس) صدام فإننا لم نقبل بهذا النظام ولم يدر بخلد أحد أنه سيكون بديلاً عن الملكية العراقية وهي مقارنة غير واقعية على اية حال. وإذا كان هناك من يعتقد ان تاريخ الجمهورية العراقية هو تاريخ الانقلابات العسكرية فإن تاريخ الملكية العراقية شهد أخطر انقلابين عسكريين هما انقلاب بكر صلفي ١٩٣٦، وانقلاب العقدة الاربعة ١٩٤١، كما شهد أخطر الانتفاضات التي قوبلت بالرصاص وأسقطت القتلى والجرحى. ومن يعتقد ان الملكية العراقية شهدت استقراراً سياسياً فيمكن عدّ ٥٤ وزارة خلال مدة لا تتجاوز ٣٥ عاماً أي ان معدل عمر الوزارة الواحدة لم يكن يصل إلى شهر ونصف الشهر وكل ذلك بسبب سياسة حنفة معينة من المحيطين الذين كانوا يتناوبون الوزارة والرئاسة فإذا لم يكن أحدهم رئيس وزراء فهو وزير في حكومة. وخلال هذه الفترة وحلما كان البرلمان يُعَيَّن ويُحَلَّ في بضعة ايام طبقاً لرغبة رئيس الوزراء الجديد أو طبقاً لرغبة خصومه إذا ارادوا حجب الثقة عنه، وهذه حقيقة يجب الاعتراف بها مهما كان مؤيدو الملكية العراقية يملكون من حماس وحنين لها. فضلاً عن ذلك كله، كان شعور الأسرة (الهاشمية) في العراق شعوراً محبطاً بأنهم غرباء عن البلاد. وإذا كان هذا الشعور قد دفع الملك فيصل الاول للذئب والهدوء فإنه كان ملازماً للصوفي عبد الاله الذي كان يردّد دون انقطاع إثر كل أزمة سياسية أو انتفاضة أو تحرك عسكري: «ماذا يريدون منا. إذا لم يقبلوا بنا، فإننا سنخرج ونعود إلى ارضنا»، وهو شعور جعل من الملكية ظاهرة فصل بين العراقيين وبينها. وهذه العقدة قادتها إلى الريبة بالشعب والحذر منه والاعتماد كلية على البريطانيين لاستمرار الحكم حتى بعد ان «استقل» العراق رسمياً وأصبح عضواً في عصابة الامم المتحدة وفي الامم المتحدة. ومهما يكن من الأمر إن إثارة موضوع عودة الملكية في العراق إنما يقصد به، إلى جانب مقاصد أخرى، عرقلة جهود العراقيين بإقامة نظام ديمقراطي تعددي وتمزيق الوحدة الوطنية وإطواء المعارضة بقضايا ثانوية وجعلها تدور في حلقة مفرغة» («الحياة»، العدد ١٠٩٧٩، تاريخ ٤ آذار ١٩٩٣، ص ١٠).

الجلدير ذكره أخيراً ان موضوع عودة الملكية إلى العراق تلاشى كل حديث عنه في وسائل الاعلام منذ اوائل ١٩٩٦ حين بدأ يتصاعد حديث تماسك نظام الحكم العراقي وتضعف صفوف المعارضة.

«الحياة» (١٥ شباط ١٩٩٣) من دراسة تطرقت إلى نشاط تيار يطلق على نفسه «العناصر الوطنية العراقية-دعاة الفكر الدستوري الملكي». ومما قاله (في «الحياة»، العدد ١٠٩٧٩، تاريخ ٤ آذار ١٩٩٣، ص ١٠): «الأسرة الشرفية لأسمى وأرفع في مكانتها من ان تكون في وجهة نظر البعض مطية وخشبة خلاص كسّم للوصول إلى تحقيق مطامع شخصية علي ظهرها. فعودة الملكية إلى العراق ليست محلاً للمساومة كآخر سهم في جعبة بعض السياسيين من المعارضة لكي يجربوا حظهم فيه. فلم تكن لدى هؤلاء هذه التوجهات من قبل. ولكن بعد ان استنفدوا كل السبل في محاولاتهم لاستقاط نظام الحكم في العراق، وتشكيل حكومات منفي في اجتماعاتهم في دمشق وبيروت وأربيل وواشنطن، إذ كان رد الادارة الاميركية عليهم بصريح العبارة بأن السياسة الاميركية لا تؤيد قيام نظام ملكي في العراق... وتفضل الحفاظ على بقاء حزب البعث كمؤسسة حاكمة مع التوجه مستقبلاً في تغيير رأس النظام فقط...».

هذه الفكرة، فكرة إمكانية عودة العرش الهاشمي على العراق، تداولت بها، وعملت لأجلها، مجموعات صغيرة من المعارضة العراقية، و فقط، كما ظهر اعلامياً، في مناسبات ظرفية (خاصة في ١٩٩٣ و ١٩٩٥)، إذ لا تلبث ان تختفي مع ضهور المناسبة أو الحدث الذي دعا إليها. وكانت هذه المجموعات تستند في دعواها على ما اعتبرته حقيقة واقعية: أي المآل الكارثي الذي بات يعيشه العراق نتيجة حرب الخليج الثانية ونتيجة سياسات النظام الجمهوري في مختلف عهوده مع ما تكمن فيها من مخاطر الحروب الاهلية والتقسيم؛ وحقيقة تاريخية: أي ان وحدة العراق وتآلفه قد حققها الحكم الهاشمي، وهاشميو اليوم قادرون على إعادة انتاجه ديمقراطياً ودستورياً، وانتقاد العراق تالياً.

أما مجموعات المعارضة الأخرى، وهي غالبية المعارضة، فلم تحمّل الحكم الجمهوري مسؤولية المآل العراقي «الكارثي»، وحصرت هذه المسؤولية بنظام الرئيس الجمهوري الحالي صدام حسين. وقد أوجز آراء هذه المعارضة، في مجال المقارنة بين الملكية والجمهورية، الشاعر والكاتب العراقي نبيل ياسين بقوله:

«هناك من يعتقد ان النظام الملكي في العراق كان خيمة تقيًا ظلالمها جميع العراقيين. وهو اعتقاد عاطفي ينفية



## مدن ومعالم

### تهييد

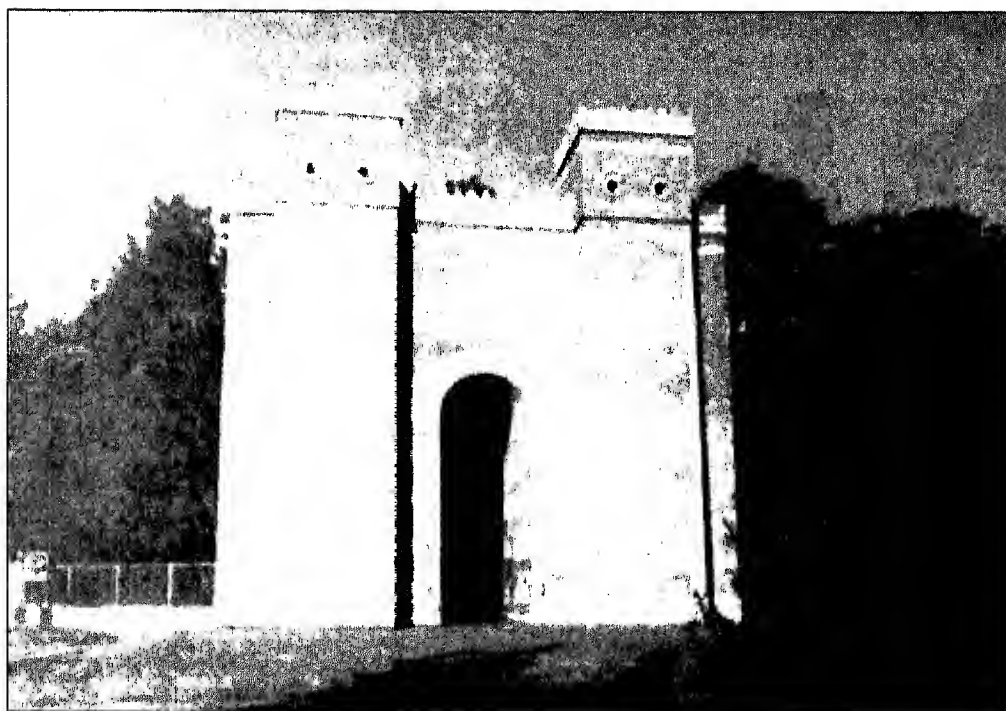
١- علم الآثار (الأركيولوجيا): ليس أصوب من اختيار هذا الباب (مدن ومعالم)، الذي اعتدنا على أن نذكر فيه أهم آثار الدول والبلدان، وفي هذه المادة بالذات (العراق) لقول كلمة في أهمية علم الآثار (الأركيولوجيا). كما ليس أصوب، لهذا الهدف، من اللجوء إلى علماء الآثار، وخاصة لأبرزهم، في آثار العراق، صموئيل كريبم مؤلف كتاب «من ألواح سومر» (ترجمة طه باقر، مراجعة وتقديم الدكتور أحمد فخري، مكتبة المنشى ببغداد ومؤسسة الخالجي بالقاهرة، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر). يقول مؤرخ الكتاب وكاتب مقدمته، طه باقر الذي كان تلميذاً لكريبم، في تعريف علم الآثار (ص ٦-٧):

«إن ما يُدعى «علم الآثار» (الأركيولوجيا) إنما هو فرع حديث الولادة من فروع العلوم والمعارف الحديثة، إذ لا يكاد عمره يتجاوز مائة عام (والكتاب بنسخته الانكليزية صدر في ١٩٥٦). ولكن في وسعنا ان نؤكد القول إن هذا العلم، على الرغم من حداثة، قد حقق أروع اكتشافات في تاريخ تطور الانسان منذ أن وجد على هذه الارض، فقد كشف لنا عن تلك المراحل الصعبة التي اجتازها للانتمال من عهود الهمجية والقطرة، تلك العهد التي شغلت الجزء الأعظم من حياته إلى ان تدخل في تلك التجربة المثيرة في حياته بإنشائه الحضارة والمدنية. والمجموع عليه بين الباحثين العلماء ان ذلك قد تمّ في ربوع الشرق الأدنى، يوم ظهرت فيه أولى الحضارات البشرية في وادي الرافدين وفي وادي النيل، وأقيمت أسس الحضارة وال عمران (...). ويصح القول إن علم الآثار بكشفه عن مراحل التطور البشري قد أحدث انقلاباً مدهشاً في المعرفة الانسانية وفتح في تاريخ التقدم البشري آفاقاً واسعة بعيدة في اتجاه الانسان ونظيرته إلى الحياة بوجه عام، وإلى التاريخ وفلسفة التاريخ بوجه خاص. ولعل ألمع جانب من هذه الكشوف الحديثة ان «معاول» المنقبين قد استطاعت ان تستظهر من الركام وأنقاض التواب حياة عدد كبير من الحضارات والأسم والشعوب الغابرة لم يكن العالم ليعرف عنها شيئاً حتى مجرد أسماء البعض منها. بيد أننا الآن نعرف تاريخها السياسي والحضاري-علمها وفنونها وآدابها والادوار التي مثلتها في مسرح التاريخ البشري. وتلك

لعمري مادة تاريخية غزيرة مكنت الباحثين في العمران وعلماء الاجتماع المحدثين من درس النواميس الخاصة بنشوء الحضارات ونموها وركودها وانحلالها وزوالها، بحيث قارب فلاسفة التاريخ ان يصلوا إلى نتائج خطيرة في حل اللغز الذي ينطوي عليه هذا العالم الأصغر الذي نسميه الانسان. وعلى ضوء هذه المقاصد الجليلية والغايات الخطيرة أدركت المؤسسات العلمية في الغرب أهمية التحري عن آثار البلاد العربية والكشف عنها فجننت من تحرياتهم لمرات بالغة الأهمية في الكشف عن أصول الحضارات البشرية المستمدة من تراث حضارات الشرق الأدنى. وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة إلى أسم الغرب ومؤسساته العلمية، فما أحرانا، نحن الذين لا نزال نعيش في تراث تلك الحضارات، ان تكون الحوافز الدافعة لنا أضعافاً مضاعفة على التحري عن ذلك التراث».

٢- ما يريده الغرب من هذه التسميات: «بلاد ما بين النهرين» و«الشرق الاوسط» و«الشرق الأدنى»: من مقال كتبه زنب بجرائي، استاذة الفن القديم والآثار في جامعة ولاية نيويورك، ولها مؤلفات منشورة بالانكليزية عن آثار العراق («الحياة»، العدد ١٢٩٤٥، تاريخ ١٣ آب ١٩٩٨، ص ١٧):

ماضي ما بين النهرين يحسب التاريخ المتعارف هو المكان الذي اتخذت فيه الحضارة العالية خطواتها الطفولية الأولى: اللغة المكتوبة، القوانين، العمارة، وكل تلك الانجازات «الأولى» التي تمخّل بها الكسب المتداولة عن ما بين النهرين (...). وحتى في ثلاثينات القرن الماضي، قبل بداية التنقيبات العلمية في الشرق الأدنى، كانت فلسفة هيغل للتاريخ حددت هذه المنطقة بأنها المكان الذي شهدت فيه الانسانية طفولتها. وقدمت الكتابة التاريخية الأوروبية إطاراً تفسيرياً يشبه تطور التاريخ بنمو الانسان، ويمدد الشرق مهلاً لذلك الانسان. وعندما اكتشفت آثار ما بين النهرين فعلاً بعد ذلك بسنين، كان هذا المنظور واسعاً تماماً وتم تفسير هذه المكتشفات على أساسه (...). تزامنت أولى تنقيبات البعثات في منتصف القرن التاسع عشر مع استخدام عدد من التسميات لهذه المنطقة: بلاد ما بين النهرين، والشرق الأدنى، والشرق الأوسط. وفي الوقت الذي كان فيه الاسمان الأخيران قابلين للتبادل أصلاً، وبشملان منطقة جغرافية أكبر، فإن تسمية بلاد ما بين النهرين أصبحت تطلق على حضارة ما قبل الاسلام في المنطقة التي كانت تعرف في عهد الحكم العثماني بالعراق.



باب عشتار.

ملك يهودي يقدم الطاعة ساجداً للملك الآشوري شلمنصر الثالث (٨٥٩-٨٢٤ ق.م.)



اوروبا. ساهمت الآثار الثقافية لبلاد ما بين النهرين، إذن، في إظهار كيف تطور الغرب الحديث من تلك المرحلة في التطور، وإن روايات الكتاب المقدس كانت صحيحة مع ذلك. لم تكن هذه بالتأكيد الدوافع الوحيدة لمساعي التنقيب عن الآثار في بلاد ما بين النهرين. والأكثر أهمية أن المفاهيم التي شكلت بلاد ما بين النهرين ليست مقصورة على الفترة الأولى من أعمال التنقيب في المنطقة. ويفوق ذلك أهمية أن ندرك أن إنشاء بلاد ما بين نهرين ضمن خطاب القرن التاسع عشر ليس شيئاً من الماضي. فهذه البنى تستمر إلى الوقت الحاضر، ولا تزال باقية من دون تنفيذ تقريباً.

\* آثار العراق: مآل كارثي يستدعي ورشة عالمية علمية وحضارية للإقناذ: مواضع الساعة، أكانت حارة أم باردة، لا بد لكل كتابٍ بشأنها أن تستند إلى وسائل الاعلام اليومية. والحقيقة ان «الحياة» برزت في طبيعة الصحف العربية والعالمية التي أولت اهتماماً جاداً، بما ينزل بآثار العراق، أرض أم الحضارات البشرية، من كوارث بعدة وجوه: السرقة والتخريب، القصف والتدمير، خاصة جراء حرب الولايات المتحدة وحلفائها ضد العراق (١٩٩١) وسنوات حصارهم الذي لا يزال مضرراً على هذه الدولة حتى الآن (صيف ١٩٩٨). ومن هذه الصحيفة، بأعدادها: ١١٦٩٠، تاريخ ٢١ شباط ١٩٩٥، ص ١٢، ١٢٣٩٧، تاريخ ٥ شباط ١٩٩٧، ص ١٦، و ١٢٤٠٥، تاريخ ١٤ شباط ١٩٩٧، ص ٢١: بداية وقوف الغربيين على آثار العراق:

كان دارسو التاريخ القديم للعراق لا يمدون أمامهم سوى ما جاء ذكره عن هذه البلاد في الكتب التراثية وفي ما كتبه الرحالة القدامى من أمثال هيرودوتس وديودوروس الصقلي واسترابو وبليني الأكبر. إلا ان الوضع تغير بعد ذلك ممّا عندما بدأت محاولة ترجمة النصوص الآشورية في العام ١٨٠٢ على يد جورج فريديريك غروتقند في جامعة غوتنغن الألمانية، ولم يتم حل رموز هذه اللغة إلا بعد ذلك بنصف قرن. وعندما تمكن اللغويون من ترجمة كتابات الألواح الآشورية القديمة ازداد اهتمام الباحثين الغربيين في التعرف على أسرار تاريخ أرض الرافدين القديم، وبدأت أعمال الكشف الأثري. وكان أول الأثريين الذين عملوا في العراق بول إميل بوتنا الذي شغل منصب قنصل فرنسا في الموصل بالشمال، وهو الذي عثر على بقايا مدينة نينوى القديمة، عاصمة الآشوريين،

وكان هذا الاسم، العراق، أصبح شائع الاستعمال بالفعل من قبل السكان المحليين في زمن كتابات الجغرافي ياقوت الرومي في القرن الثاني عشر وأوصاف ابن حوقل عن المنطقة في مطلع القرن العاشر.

بدأ استخدام مصطلحي الشرق الأوسط والشرق الأدنى بهدف إعطاء تحديد أكثر وضوحاً للمنطقة الجغرافية الشاسعة التي كان يجري الاكتفاء بتعريفها بـ«الشرق»، وكانت تشمل كل آسيا وشمال أفريقيا. ولتمييز ما كان أقرب إلى أوروبا، في وقت اشد فيه الاهتمام بهذه المنطقة، أصبح تطوير تعريف أكثر دقة ضرورياً. وسرعان ما خرج عن نطاق التداول العام مصطلح الشرق الأدنى الذي استخدم للمرة الأولى في نهاية القرن التاسع عشر (...).

ابتكر إسم الشرق الاوسط في ١٩٠٢ من قبل مؤرخ البحرية الاميركي ألفرد تاي ماهان الذي اعتبر، لغايات استراتيجية عسكرية، ان مركز هذه المنطقة هو الخليج. وبهذه الطريقة جرى التمييز بين المنطقة قبل ظهور الاسلام وبعده بما يعني ضمناً موت حضارة واستبدالها واستصحابها من قبل حضارة أخرى. وفي إطار هذا النظام الصارم أصبح الإسم المقبول للعراق في فترة ما قبل الاسلام هو بلاد ما بين النهرين. وأكد هذا الانبعاث لاسم استخدم للمنطقة في التراث الكلاسيكي مكانة حضارة آشور-بابل ضمن سرد الحضارات باعتبارها الجذور المشهورة الابعاد للثقافة الغربية. هكذا، يشير مصطلح بلاد ما بين النهرين إلى وجود زمني أكثر منه جغرافي، وهو حسب تعبير ليو أوبنهايم «حضارة مينة». لم تكن بعثات التنقيب الأولى عن الآثار تعاني إذن أي غموض في ما يتعلق بأهدافها. فيما أن الحضارة الانسانية ابتدأت أصلاً بحسب ما كان يعتقد في بلاد ما بين النهرين، كان الميراث اللذان يقدمان مراراً لإقناذ بعثات التنقيب هما البحث عن «جذور» الحضارة والعثور على الأماكن التي وردت في التوراة.

هذه الرغبة في فصل ماضي المنطقة عن حاضرها، وتقديمه بدلاً من ذلك كمرحلة بدائية في تطور البشرية، مهدّ لمفهوم بلاد ما بين النهرين كمنطقة تابعة بشكل شرعي للغرب، بمعنى تاريخي وجيوسياسي على السواء. وعبر إطلاق التسميات أُنجز بنجاح فصل هذه الحضارات القديمة وتجزئتها وعزل التاريخ اللاحق للمنطقة.

هكذا، لم ينظر إلى عمليات الاستحواذ على الآثار والاعمال الفنية التي سُحنت إلى اوروبا باعتبارها تمثل فقط، أو حتى قبل كل شيء، الاستيلاء على الآثار الفنية التاريخية للعراق. بل إنها تمثل بقايا ماضي خيالي لمرحلة ما قبل

وكيف أفلح في نقل نحو ١٠٠ تمثال.

استمرت عمليات نهب الآثار العراقية. ولم توقفها ولادة دولة العراق الحديث ولا حتى الاستقلال. ففي عددها الصادر في ١٩٩٥ والمخصص لموضوع سرقة الآثار العراقية ورد في نشرة «أكاد» AKKAD العراقية عن قيام برنار غريتر، السفير الفرنسي السابق في بغداد ما بين ١٩٦٩ و١٩٧٤، بهريب الآثار داخل الحقب الدبلوماسية الكبيرة، وان هذه الآثار سرقت من موقع حمدة نصر في أور ويعود تاريخها إلى ما قبل ٥ آلاف سنة، وعرضت المسروقات للبيع علناً في غاليري «رويال أثيرا» في لندن ونيربورك. وكان مهربون فرنسيون حاولوا، في الثلاثينات، تهريب قطع مهمة من موقع خورسباد قرب الموصل. ولا يزال مصير القطع التي غرقت في شط العرب مجهولاً، ولم تنفع محاولات اليابانيين لاستخراجها في الستينات. ويذكر ان الدبلوماسيين الاجانب المعتمدين في بغداد كانوا، حتى سنوات قريبة، يعتبرون التفتيش عن الآثار وتهريبها نوعاً من رياضة أو هواية يطلقون عليها مصطلح «تيلينغ» Teling، من «تل» بالعربية، في إشارة إلى ان معظم الآثار العراقية موجود في باطن التلال التي قد تضم مستوطنات وقرى تعود إلى التاريخ القديم.

وقد يفسر تاريخ سرقة عشرات الآلاف من كنوز التراث الحضاري في العراق لماذا لم تتضمن، إلى الآن، الولايات المتحدة وبريطانيا إلى «الاتفاقية الدولية الخاصة بتحريم استيراد ونقل وملكية الممتلكات الثقافية» التي أقرتها منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم (الأونيسكو) في العام ١٩٧٠.

في الحرب ١٩٩٠-١٩٩١ وبعدها:

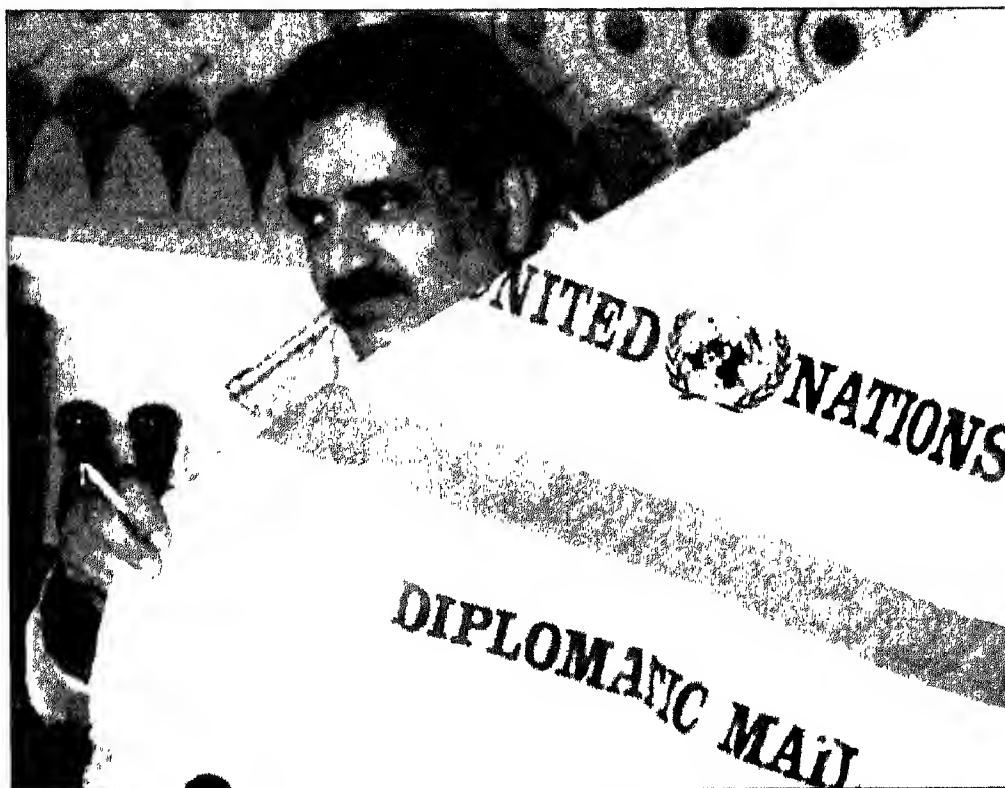
في شباط ١٩٩٥، وعلى رغم الحصار الدولي المطبق على العراق، غامر علماء آثار معروفون في العالم (من اليابان وبريطانيا والولايات المتحدة واسبانيا وروسيا والنمسا والمانيا...) و ٢٠ استاذاً أكاديمياً من جامعات متاحف عالمية وقصدوا بغداد للاجتماع والتداول في سبل إنقاذ الآثار العراقية من التخريب والنهب. فدعوا إلى إنهاء الحظر الاقتصادي والثقافي الذي يحرم المؤسسات العراقية المختصة من وسائل صيانة الآثار، ووجهوا رسائل إلى المدير العام لمنظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم (الأونيسكو) ومدير البوليس الدولي (الانربول) وحكومات البلدان العربية والاسلامية المجاورة للعراق تطالب بالمساعدة على وقف عملية نهب الآثار. وذكروا ان فقدان سيطرة الحكومة المركزية على بعض مناطق شمالي العراق وجنوبه والحظر

بالقرب من الموصل، وفيها قصر الملك سنحاريب. ومنذ منتصف القرن الماضي وحتى نشوب حرب الخليج في ١٩٩٠ انتشرت بعثات الحفر الأثري في كل جزء من أرض العراق، تعمل في حوالي ٥٠٠ موقع للكشف على أسرار حضارة بلاد الرافدين منذ آلاف السنين. فجاءت البعثات من فرنسا وانكلترا والمانيا والولايات المتحدة وإيطاليا، كما بدأ العراقيون أنفسهم في العمل. وتم العثور على نحو نصف مليون قطعة أثرية توزعت على متاحف بغداد ولندن وبرلين وباريس واسطنبول ولينغراد وفيلادلفيا وبييل، إلى جانب مئات الآلاف من القطع التي ظلت في مواقعها الأصلية.

السرقه والنهب قبل ١٩٩٠:

متحف «متروبوليتان» في نيويورك الذي يضم نصباً وجدراناً بكاملها منتزعة من مواقع آشور وبابل ونيوى وغمرد، هذا المتحف أصدر دليلاً تذكر مقدمته أن «جدران المتاحف في بلدان عدة في العالم تشهد على نجاح هنري لايارد في إزالة المنحوتات الجدارية ونقلها إلى الهند أولاً ثم أوروبا». وهنري لايارد هذا هو مغامر انكليزي قام في منتصف القرن التاسع عشر بالتفتيش عن الآثار في نيوى حيث أطلال غمرد، واشتهر، بعد قيامه بأكثر عمليات نقل وبيع كنوز التراث القديم المنتزعة بالجملة من العراق إلى بريطانيا وأصبح من نجوم المجتمع الانكليزي وعين دبلوماسياً واختير عضواً في البرلمان البريطاني. شخصية هنري لايارد هذا، المغامر أو «شذاذ الأفاق» كما يقال بالعربية، والأضرار التي سببها لأقدم تراث حضاري في التاريخ قد تكون هي التي دفعت معاصراً له لأن يقول: «إذا كنت أغتفر هنري عثوره على نيوى فلن أغتفر لنيوى عثورها على هنري». وما يرويه دليل متحف متروبوليتان ان لايارد كان يستخدم أحياناً المتفجرات اقتصاداً في الوقت، وانه كان ينقل الجداريات على ظهور الثيران إلى ضفاف نهر دجلة حيث تنقل على جلود حيوانات منفوخة طافية فوق الماء إلى الخليج، ومن هناك تحملها السفن إلى الهند، وبعض الجداريات غرق أثناء نقلها.

ويخصص دليل متروبوليتان صفحات لمشاركة مبشرين أمريكيين في انتزاع ونقل المنحوتات الجدارية الآشورية، والمراسلات المبشرين التي تكشف عن المناقشة الضارية بين المتفتشين الانكليز والفرنسيين في نزاع مماثل للثيران الممنحة الآشورية ونقلها إلى متحف اللوفر الفرنسي والمتحف البريطاني. ويروي مبشر أميركي فرحه الطاغية عندما سمح له الانكليز أن يختار ما يريد من المنحوتات الجدارية في قصر ثمرود، وكيف كان يقطع الجداريات،



رئيس مؤسسة الآثار العراقية مؤيد سعيد يعرض حقيبة دبلوماسية هرب بها موظفو الأمم المتحدة آثاراً عراقية (شباط ١٩٩٧).

مسلحة على مواقع أثرية مهمة، منها تل جوهر غربي مدينة شطرة. وذكر العلماء في المؤتمر أن عمليات السرقة والنهب والتخريب لا تزال مستمرة. كما كشفت الوثائق المقدمة إلى المؤتمر عن تعرض منطقة أور نفسها إلى انتهاكات، وهي تعد من أهم المناطق الأثرية العالمية التي شهدت ميلاد الكتابة ونشوء المدن، وإليها يُنسب إبراهيم الخليل. وظهرت آثار القصف الجوي الذي أحدث ٤٠٠ ثقب ظاهر في زقورة أورغو المشهورة التي بنيت عام ٢٠٥٠ ق.م. ولكن أفدح الأضرار وقع عند الإنزال الأميركي في منطقة أور التي تقع قرب مدينة الناصرية جنوبي العراق، إذ استخدمت الوحدات الأميركية الجرافات في إزالة جزء كبير من تل اللحم في أور لاقامة مرائب للشاحنات العسكرية. وذكر مسؤولو الآثار ان الموقع غير مدروس سابقاً ولا يُعرف نوع القطع الأثرية التي استخرجها منه الأميركيون ويُجهل مصيرها. وقالوا إنهم لم يعثروا في الموقع إلا على نفايات وعلب وطلقات فارغة. ونُقل عن السكان المحليين الذين لم يغادروا المنطقة خلال العمليات الحربية ان القوات الأميركية كانت تنظم جولات لمجموعات من الجنود الأميركيين يبلغ عدد أفرادها بين ٥٠٠ و ٧٠٠ فرد يومياً، ويرافقهم خلال الجولات دليل آثاري أميركي برتبة ضابط. ورجح

الاقتصادي والثقافي يجرمان البلد من وسائل حماية وصيانة آثاره الثمينة. وقالت عالمة اميركية طلبت عدم الكشف عن اسمها ان جهل كثير من السياسيين بالتاريخ العالمي يحول دون إدراكهم حجم الكارثة الحضارية التي تترتب على تدمير الآثار العراقية وسرقتها. وأوضحت العالمة ان هذا الجهل ظهر في دهشة الرئيس الاميركي بيل كلينتون خلال زيارة القاعات العراقية في متحف اللوفر في باريس واعترافه بأنه لم يكن يتصور حجم الآثار الموجودة في العراق.

وعُرضت، إبان مؤتمر بغداد هذا للعلماء الآثار العالميين، أفلام فيديو كشفت عن حجم الدمار الذي أوقعته الاضطرابات الداخلية في أعقاب حرب الخليج (١٩٩٠-١٩٩١). وبدت آثار الحرب واضحة في متاحف المحافظات والمدن العراقية التي كانت قد نقلت إليها مقتنيات مهمة من المتحف المركزي في بغداد خشية تعرضها للقصف الجوي. وأكثر المتاحف تعرضاً للتخريب هو متحف كركوك شمالي العراق، ويبلغ عدد القطع التي فقدت أو أتلقت ٧٤٨ قطعة، إضافة إلى ٤٨٤ مخطوطة إسلامية، وفقدت في متحف دهوك ٢٤٠ قطعة، والسليمانية ٢٢، وأشور ٣٠، وسنجار ٤، والكوفة ١٩٨، والقادسية ٩٤، وميسان ٧٢٢، والبصرة ٩٤٧، وواسط ٧٤. ووقعت هجمات

الآشورية الوحيدة التي ظلت مستوطنة بهذه الكثافة السكانية واحتفظت باسمها القديم إلى يومنا هذا. والمرجح ان أقدم ذكر لها كان في كتابات الملك السومري شولكي نحو ٢٠٠٠ ق.م. باسم «أورييلم». ووردت أيضاً باسم أريلا حيث كانت ضمن امباطورية أور الثالثة. وجاء ذكرها أيضاً في الكتابات البابلية والآشورية باسم أربا-إيلو التي تعني «الآلهة الاربعة». واشتهرت بكونها من مراكز عبادة الالهة عشتار فعرفت باسم «عشتار أربلا». وتلفظ باللغة الكردية، حالياً، بـ«هولير».

حظيت أربيل باهتمام خاص من معظم الملوك الآشوريين، وكانت من أبرز مراكزهم. أنشأ فيها ستحارب (٧٠٥-٦٨١ ق.م.) مشروع ري خاصاً، ووجد بعض الآثار التي تعود لآشور بانيسال وآشور دان الثالث.

تعاقب على أربيل الكثير من الدول والحكومات التي مرت على العراق، واتخذت من المدينة مركزاً رئيسياً للسيطرة على شمال العراق والانطلاق منها إلى دول أخرى خصوصاً في العصور القديمة في ظل الكوتيين والميتانيين والأحميين والفرثيين والرومان والساسانيين. وكانت المدينة مركز صراع ومعارك بين دول عدة، ومن أشهرها المعركة

المسؤولون ان عمليات التنقيب الواضحة في منطقة أور قد تكون مصدر الآثار التي ذكرت الصحافة الاميركية ان الجنود العائدين من الخليج عرضها للبيع على المتاحف في الولايات المتحدة. وذكر ان الاحتجاجات الرسمية العراقية إلى الأمم المتحدة لم تنمر إلا عن إعادة ١٩ قطعة فقط من بين مئات يقدر وجودها في أيدي أفراد القوات الاميركية.

\* أربيل: مدينة عراقية. أهم مدن كردستان العراق، وقد أصبحت مؤخراً عاصمة هذه المنطقة (كردستان العراق). تقع في سهل أربيل المتموج شمالي الجمهورية العراقية وتحاذيها الجبال من الجهتين الشمالية والشرقية ويبلغ معدل ارتفاعها عن مستوى سطح البحر ٤١٤ م، وتبعد حوالي ٨٧ كلم إلى الشرق من مدينة الموصل مركز محافظة نينوى، وحوالي ٩٦ كلم شمالي مدينة كركوك، وحوالي ٣٤٦ كلم شمالي العاصمة بغداد. تعد نحو ٣٧٥ ألف نسمة، وهي من أقدم المراكز الحضارية الحية، أي التي ما زالت قائمة ومأهولة بالسكان، ولم تنقطع عنهم منذ نحو ٤ آلاف سنة.

إن إسم أربيل قديم قدم المدينة. وقد ورد بكثرة في الكتابات التاريخية في مختلف العهود. ولعل أربيل المدينة

جانب من قلعة أربيل كما تُشاهد من قلب المدينة.



خلال العقدين الأخيرين، وازدادت الدوائر الحكومية، وازداد النزوح إليها من الريف والتوسع الصناعي الحكومي والأهلي، وافتتحت فيها «جامعة صلاح الدين»، وأنشئت المعاهد والمستشفيات (عن سامي شورش- كاتب كردي عراقي- ورؤوف محمد علي الانصاري، «الحياة»، ١٥ كانون الثاني ١٩٩٤، و٢٨ ايلول ١٩٩٧، ود.فاضل حسن أحمد، «المدينة العربية»، مجلة متخصصة تصدرها منظمة المدن العربية، العدد ٣٤، تشرين الثاني ١٩٨٨، ص ٦٠-٦٥).

\* إريبدو (أبو شرين): مدينة قديمة في منطقة بلاد الرافدين الواطئة (جنوبي العراق)، قرب أور. أظهرت التنقيبات التي جرت فيها بين ١٩٤٦ و ١٩٤٩ أن المدينة كانت مزدهرة في عصور ما قبل التاريخ (يقال لهذه العصور في العراق مرحلة «تل العبيد»، راجع هذا الباب). من مكتشفاتها ١٨ مزاراً متطابقة تعود إلى بداية الألف الرابع ق.م. هُجرت إريبدو منذ أوائل الألف الثاني ق.م.

\* آشور: تعتبر قلعة شرفاء الواقعة على الضفة الغربية لنهر دجلة وإلى الجنوب من مدينة الموصل (على مسافة ١١٠ كلم منها) هي موقع مدينة آشور القديمة، عاصمة الآشوريين الأولى. يبدأ تاريخها منذ استيطان الانسان الاول قبل نحو ١٠ آلاف سنة وحتى اوائل القرون الميلادية، وتعد من أهم المراكز الحضارية في شمال العراق. وقد ظلت آشور عاصمة الآشوريين حتى قيام الملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق.م.) باقتحام مدينة نمرود (كالح) عاصمة جديدة له، الواقعة على الضفة اليسرى لنهر دجلة قرب التقاء الزاب الاعلى بنهر دجلة.

أبرز معالم آشور التاريخية: سوران، خارجي وداخلي؛ و١٣ بوابة؛ والزقورة التي كانت مخصصة لعبادة الإله آشور، ومعروفة باسم زقورة الإله «بيل»؛ و٣٥ معبدًا، أشهرها معبد آشور، ومعبد عشتار ومعبد نبو ومعبد مردوخ؛ وقصور كثيرة أشهرها القصر الملكي، أو قصر سنحاريب.

\* أكده (والأكديون): مدينة قديمة في وسط العراق كانت عاصمة الامبراطورية الأكديّة التي أسسها سرجون الاول نحو ٢٤٠٠ ق.م. وموقعها في منطقة تل دير حاليًا. والأكديون شعب سامي استوطن أواسط بلاد الرافدين (٢٤٠٠-٢٢٢٠ ق.م.)، كانت لهم حضارة

التي دارت بين آخر الملوك الأخمينيين دارا الثالث وبين الاسكندر المقدوني (٣٣١ ق.م.) وسميت معركة أرييلا. وورد ذكر أرييل في الكثير من المصادر والمراجع التاريخية وكتب المستشرقين والرحالة المسلمين وغيرهم. ووصفها ياقوت الحموي في «معجم البلدان» قائلًا «أرييل قلعة حصينة ومدينة كبيرة في فضاء من الارض وبقعتها خندق عميق وفي هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية وجامع للصلاة».

وزار الرحالة الالماني كارستن نيور مدينة أرييل في ١٧٦٦، وقال في وصفها: «وصلنا أرييل وهذه المدينة هي أرييلا دون شك والتي اشتهرت في المعركة التاريخية الحاسمة بين الاسكندر ودارا. وقد كانت إمارة اسلامية عاشت سنوات كثيرة، وكان امراؤها الذين حكموا بالوراثة يتصرفون ببأس شديد، فوسّعوا رقعة إمارتهم وجعلوها تشمل مناطق واسعة امتدت إلى داخل بلاد فارس حتى مدينة تبريز. وكانت المدينة آنذاك كبيرة جدًا ولها قلعة مشيدة على تل مرتفع. أما اليوم فلم يبق منها شيء ما عدا القلعة، ولكن حتى هذه ليست مسورة وإنما أقيمت عليها البيوت ولا سيما حول حافة التل بصورة متماسكة فلا يستطيع أحد أن ينفذ خلالها داخل المدينة إلا من باب المدينة الحالي».

وكانت أرييل خلال الحكم العثماني للعراق تُحكم مباشرة من والي بغداد الذي يعيّن لها حاكمًا. أما أبرز معالم أرييل التاريخية فهي القلعة والمئذنة المظفرية. ولا تزال القلعة تحتفظ بشكْلِها القديم، ويعتقد بأنها شُيّدت من قبل أسرى الحروب الآشورية مع الأمم الأخرى، وذلك لأغراض دفاعية. وأما المئذنة فتعود إلى المسجد الذي يدعى جامع المظفرية نسبة إلى حاكم أرييل الأتابكي مظفر الدين كوكيري (١١٨٥-١٢٣٣) الذي أمر ببنائه. ولكن الجامع تهدم وظلت المئذنة قائمة في مكانها على رغم سقوط قسمها العلوي.

في القلعة ثلاثة أحياء سكنية. وقد شيدت البيوت الحالية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فوق أنقاض بيوت سابقة. وكانت هذه الأحياء داخل القلعة تستوعب بين ٥-٦ آلاف شخص في ١٨٤٧ وإن عدد سكانها بلغ نحو ٤٥٠٠ شخص في ١٩١٦، بينما كان عدد سكان المدينة (أي مدينة أرييل خارج القلعة) في العام نفسه عشرة آلاف شخص.

توسعت المدينة وتطورت بشكل كبير في المساحة والسكان مع بقاء التوسع بشكل دائري مركزه القلعة



الملاك المنجح، حكيم  
آشور وطيبها.  
الالوان لا تزال عاصية  
على الزمن ومثار  
دهشة العلماء.

#### آثر اكدي.



مزدهرة ولغة حلّت محل اللغة السومرية، وأصبحت لغة دول الشرق الرسمية، وعنها تفرعت البابلية والآشورية. وسرجون هذا يعتبر مؤسس أول وأقدم امبراطورية عرفها التاريخ. ومن أبرز وأهم الكتابات الأكديّة الأدبية المتأخرة قصيدة سومرية في أصلها كتبها شاعر (لا يعرف اسمه) عاش بعد سقوط الامبراطورية الأكديّة، نالت شهرة في العهد البابلي، ووجدت نسخة منها في مكتبة الملك الآشوري آشور بانيبال، ووجدت نسخ منها أيضًا باللغة الحيثية. وقد أطلق الأثريون عليها تسمية «لغة أكد» لتناولها إرتقاء الامبراطورية الأكديّة وسقوطها، وتقع القصيدة في ٢٨١ بيتًا («المنجد»، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦، ط ١٣، قسم الاعلام، ص ٥٨؛ وغنم وحيدة، باحث عراقي، «الحياة»، ٢٩ نيسان ١٩٩٧).

\* الأهورا: (هي غير الأهواز، مدينة في جنوب غربي إيران، عاصمة إقليم خوزستان الإيراني والذي يقول له العرب «عربستان»، وقد جاء عن ذلك في مادة «إيران»، ج ٤، خاصة في موضوع «نزع خان» في باب «زعماء ورجال دولة»، ص ٢١٧-٢١٨).

«الأهورا» جمع «هور». والأهورا منتشرة جنوبي العراق، وأكبرها مساحة الهور الذي يقع ضمن المنطقة المحصورة بين محافظات البصرة والناصرية والعمارة، وأوسعها هور الحمار وهور الخويزة وهور السعدية. وهناك بعض الأهورا الأخرى قرب مدن الديوانية والكوت والحلة.



سكان بيوت القصب. وتعتبر الوركاء الواقعة إلى الشرق من مدينة السماوة بحوالي ٣٠ كلم إحدى أشهر المدن السومرية القديمة، وهي أطلال المدينة التاريخية أوروك التي ذكرتها التوراة (أرك). وسكن المنطقة، إلى السومريين، البابليون والكيثيون وشيدوا المعابد والقصور، ثم حكمها الآشوريون فالكلدانيون والفرس الأخمينيون.

من أبرز الدارسين لمنطقة الأهوار العراقية البريطانيان: الكاتب والرحالة الشهير كيفن يونغ الذي عاش في الأهوار لمدة تزيد عن أربع سنوات، والباحثة المستشرقة ليدي درور (توفيت في شباط ١٩٧٢)، وهي زوجة السير أدوين درور الذي عمل مستشاراً في وزارة العدل العراقية بين ١٩٢٢ و ١٩٤٦، ورافقته زوجته هناك، فتعرفت على العراق وشعبه، ودرست الاقليات الدينية، وحاضرت عن الأهوار لدى عودتها إلى وطنها في ١٢ حزيران ١٩٤٦. وترجم ثائر صالح هذه المحاضرة ونشرتها «الحياة» على حلقتين متواليتين وهي كناية عن مشاهدات ميدانية (تاريخ ٣١ ايار وأول حزيران ١٩٩٧).

أما أول اهتمام صحافي عراقي في الأهوار فكان ذلك الذي قامت به جريدة «الاهالي» لصاحبها السياسي كامل الجادرجي وذلك عندما نشرت سلسلة مقالات بعنوان «خمسة عشر يوماً بين المعدان» في ١٩٣٣، وأول دراسة أكاديمية حول هذه المنطقة كانت بعنوان «سكان الأهوار-الجبايش» لمصطفى سليم في جامعة بغداد. أما على مستوى الصحافة العربية فكان أول استطلاع ميداني لأهوار الجبايش والصحين قامت به مجلة «العربي» في ١٩٦٦. وفرضت قضية الأهوار نفسها على الصحافة العالمية منذ أحداث انتفاضة آذار ١٩٩١.

منذ أن تولى الرئيس العراقي الحالي، صدام حسين، مهام نائب الرئيس، قبل ان يصبح رئيساً للجمهورية في ١٩٧٩، أولى مسائل التاريخ والحضارة، ودراستهما، أهمية بالغة. فنخصصت موازنات ضخمة، وحصلت الأهوار على نصيب وافر منها. وكانت البعثة العلمية التي نظمها الرحالة النرويجي الشهير هايردل، في ١٩٧٧، واحدة من أروع وأهم ما تم إنجازها لصالح توثيق تاريخ المنطقة. ويذكر ان تلك البعثة العلمية أبحرت في سفينة تاريخية مصنوعة من قصب أهوار العراق بدءاً من نهر دجلة عبر الخليج والبحر العربي ثم إلى خليج عدن لتتبع طرق الملاحة والتجارة في العصر السومري، في محاولة البحث عن مصدر واحد للحضارة البشرية. وكتب هذا العالم الكبير بأن وزارة الاعلام العراقية «سمحت له بقطع القصب من الاهوار،

والاهوار العراقية هي منخفضات مائية تغمر جزءاً من الحدود الدولية بين العراق وايران إلى الشمال من شط العرب (أي في المنطقة المعروفة تاريخياً باسم سومر). ولقد عرف العرب في القديم هذه المنطقة باسم «البطائح»، لأن المياه تبطحت بها، أي سالت واتسعت في الارض. وهي تكثرت نتيجة الفيضانات التي شهدتها المنطقة منذ ما قبل التاريخ وامتدت إلى وقتنا الحاضر، وهي ترتبط ارتباطاً مباشراً بدجلة والفرات، وتتغذى منهما سنوياً في مواسم الفيضان الناتجة عن ذوبان الثلوج في المرتفعات التركية عن طريق شبكة معقدة من الفروع والقنوات. لذلك، فإن مساحة الأهوار تتغير سنوياً بين ١٧-٢٠ ألف كلم م. - تبعاً لحجم الفيضان. وهذا تشكيل هيدرولوجي وإيكولوجي فريد في نوعه في العالم عموماً وفي الشرق الاوسط خصوصاً، ويعتبره الدارسون أكبر نظام إيكولوجي في الشرق الاوسط ويرتبط مباشرة بنهري دجلة والفرات، ويشكل بيئياً ملجأ لآلاف الانواع من الحيوانات والطيور والاسماك والنبات، فضلاً عن انها مأوى لنحو مليون إنسان أيضاً لا يمكنهم التنقل، أحياناً، ولو لأمتار قليلة، من دون استعمال الزوارق، ويسكنون في جزر طافية، ويعيشون في إطار الاكتفاء الذاتي بما يتم إنتاجه غلياً في ذلك المحيط الذي شكل الانسان فيه جزءاً مكماً للمحيط البيئي السائد، ما جعله يلقى لأكثر من ٥ آلاف سنة من دون تغيير ملموس في طبيعة الحياة.

والبيئة السكنية في أهوار العراق، أو الحي السكني والبيت الذي يسكن فيه الأهوازي، هي «أراض تتشكل في مناطق يابسة مرتفعة تصل مساحة الواحدة منها إلى ٣ آلاف متر فقط وتسمى باللهجة المحلية «الدين» ومفردها الدين، وهي جزر صغيرة طافية على الماء بمقدار البيت مصنوعة من القصب والبردي المربوط بالحكام وهي تشبه الكلك والفرق بينهما ان الدين مصنوع من القصب بينما الكلك من الجذوع أو قطع الخشب. وهذه الدين متناثرة في الأهوار ويستخدمها الاهالي لسكنهم وإيواء مواشيهم. وهناك مساحات يابسة عائمة فوق الماء تتسع لاقامة دين واحد فوقها، وهي تتكون من تشابك الجذور وتراكم الغرين بعد ان ينبت فوقها القصب والتعناع والاعشاب الزاهية، وهي تلدور مع المياه بهبط، وتسمى التهلة وتستخدم للسكن أيضاً» («الوسط»، العدد ١٠٠، تاريخ ٢٧ كانون الأول ١٩٩٣، ص ١٥).

دلت التقييمات الأثرية في منطقة الأهوار على أن أول من سكن مدينة «الوركاء» الأثرية الاهوارية هم



واجهة مضيف في الاهوار.

قرية أهوارية قبل التجفيف.



بريطاني (١٨٨٠-١٩٦٠) في تل المقير القائم على أنقاض أور، واستمر فيها بين ١٩٢٢ و ١٩٣٤، كشفت عن وجود معابد وقصور وزقورة ومقابر ملكية، وأتاحت في المجال لإعادة كتابة تاريخ المدينة الأثرية ومنطقتها. وبما كشفته أن المكان كان مأهولاً منذ ما قبل التاريخ، وأن ثمة طرفاً تطابق إلى حد كبير مع ما أتت على ذكره الروايات البابلية والتوراتية. كانت سيطرة الأسرة الأولى من أور على سومر في حوالي ٢٧٠٠-٢٥٠٠ ق.م. ثم عادت السيطرة للأسرة الثالثة (٢١٠٠-٢٠٠٠ ق.م.) التي أسسها أور نامو. بدأت أور في التراجع عندما سقطت في أيدي الاموريين، وتقهقرت في العهد الآخميني. الرواية اللدنية الغالبة أن من أور نزح ابراهيم الخليل (راجع «آثار العراق»، و«سومر» في هذا الباب).

\* **أوروك (ورقة):** موقع في المنطقة الجنوبية من العراق، على الضفة اليسرى من الفرات. كان مدينة سومرية، بدأ التثقيب فيه منذ ١٩٢٨، وكشف عن حضارة تعود إلى ٣٣٠٠-٣١٠٠ ق.م. شهدت ولادة الكتابة وتحول قرى ما قبل التاريخ إلى مدن زراعية بتوسطها المعبد (راجع «سومر» في هذا الباب). وإلى أوروك ينتمي البطل الأسطوري جلجامش.

\* **بابل (وشروعة حمورابي):** من أبرز وأشهر مدن العراق التاريخية. تقع على بعد ٩٠ كلم من بغداد لجهة الجنوب. إسمها السومري «كادانكورا». أما «باب إيلو» أو «باب إيلي» ومعناه باب الاله أو باب الآلهة، فهو إسمها البابلي. يرجع أول وجود استيطاني فيها إلى نحو ٤ آلاف سنة ق.م. وذكرت في أخبار سلالة أور الثالثة، وأصبحت ذات مكانة تاريخية مع ملكها السادس حمورابي، ومركزاً لوادي الرافدين ما يقرب من ١٥ قرناً، وعاصمة لعشر سلالات حاكمة. ومن أشهر ملوكها، بعد حمورابي، نبوخذ نصر الذي ينسب إليه معظم الأبنية الباقية حتى الوقت الحاضر. وقد اختارها الاسكندر المقدوني عاصمة للملك.

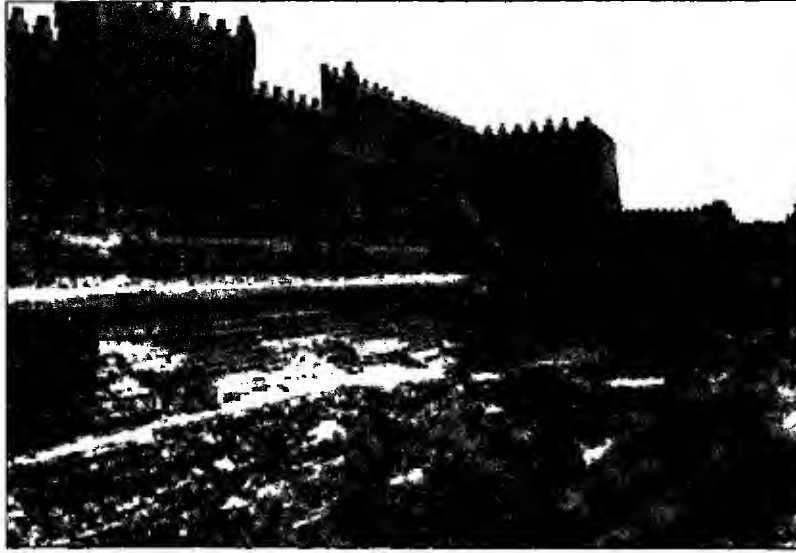
عانت المدينة من غزوات العيلاميين من الشرق الذين نهبوا كنوزها، من بينها مسلة الملك الأكدي نرام سن ومسلة حمورابي ووجد المنقبون الفرنسيون هذه الكنوز في مدينة سوسة عاصمة عيلام.

وبابل مدينة واسعة جداً (مساحتها ٤١ كلم م.)، تضم الكثير من المعابد والقصور والشوارع والبوابات

واستيراد كل ما يحتاجه من دون ضريبة، وتجميع أعضاء طاقمه مهما كانت جنسياتهم، والبقاء ضيقاً على وزارة الاعلام حتى الأبحار». وعن عرب الأهوار كتب هايردل: «عشت مع ما يُسمى اناس بدائيين في بولونيزيا وأميركا وأفريقيا، لكن عرب الأهوار هؤلاء، وبأي صورة من الصور، ليسوا بدائيين، إنهم متحضرون لكن بطريقة تختلف عنا. ليس لديهم خدمات الأزرار لكنهم اختاروا أقصر الطرق للغذاء والمتعة ومن المصدر مباشرة. وأثبتت حضارتهم بأنها قابلة للحياة والاستمرار، فيما انهارت الحضارات الآشورية واليونانية والفارسية بعد ان وصلت قمة إزدهارها» (عن حسن الجنابي، كاتب عراقي مختص بالبيئة يقيم ويعمل في أستراليا، «الحياة»، العدد ١٢٥٣٦، تاريخ ٢٦ حزيران ١٩٩٧، ص ١٨).

لكن حرب الخليج، الأولى والثانية، حملت نتائج مأسوية ومدمرة للأهوار، بيعة وسكاناً، فقررت السلطات ردم وتخفيف المنطقة وترحيل سكانها إلى مناطق عراقية أخرى. وبدأ العمل في أواخر سنوات حرب الخليج الأولى (١٩٨٨)، واستؤنف بعد الحرب الثانية (١٩٩١)، خاصة بعد استكمال السدود التركية على نهر الفرات وتقليل مناسيبه. فدعي مشروع التخفيف «مشروع النهر الثالث». وصاحبت أعمال المشروع ضجة عالمية وعربية معارضة للمشروع ومبرزة «أهدافاً طائفية ولضرب كل إمكانية معارضة ومقاومة» للنظام الحاكم؛ في حين ان هذا الأخير كان يركز على اهدافه التنموية من وراء هذا المشروع الكبير. وفي ايلول ١٩٩٥، تناقلت وسائل الاعلام العالمية صوراً بالاقمار الاصطناعية، وتعليقات وأنباء، تظهر ان السلطات العراقية بحثت في تخفيف معظم المسطحات المائية المهمة في الأهوار. وبينت الصور المقارنة للأهوار «كما كانت في اوائل السبعينات عندما كان الرئيس صدام حسين لا يزال يشق طريقه نحو قمة السلطة، والوضع الذي آلت إليه هذه المنطقة بعد المشاريع الهندسية العسكرية التي أمر صدام نفسه بتنفيذها من أجل إحكام قبضته الامنية على المنطقة التي لجأت إليها المعارضة». وقلّرت مختلف المصادر الغربية ان عدد سكان الأهوار تراجع من ٧٥٠ ألف نسمة إلى ما يقل عن ٥٠ ألفاً، وان السكان انتقلوا إلى العيش في أحزمة الفقر المحيطة بمدينيّتي البصرة وبغداد بعدما جفت مصادر عيشهم ونفقت مواشيتهم.

\* **أور (تل المقير):** مدينة سومرية. التثقيبات التي أجراها ووللي Woolley (السير ليونارد ووللي، عالم آثار



جانب من سور بابل  
بعد ترميمه.

الأجنبية مطلع هذا القرن لم تكن شاملة، ولم تعتمد الأساليب العلمية الصحيحة، إذ لم يكن يهمها سوى نقل اللقى الأثرية إلى المتاحف الأجنبية. وبدأت الدراسات وأعدت الخطط حتى كان يوم ١٤ شباط ١٩٧٨ الذي برشر فيه التنفيذ. وشمل العمل، في ١٩٧٩، نقاطاً كثيرة جداً في بابل، وتم الكشف عن عدد كبير من المرافق السكنية والمدافن وغيرها. وتواصل العمل في ١٩٨٠ و١٩٨١، وكان غنياً باللقى الأثرية، ومن أنفسها كثر بابل الذهبي الكبير الذي يعود إلى أيام نبوخذنصر. وفي ١٩٨٢-١٩٨٣، كان عدد الورش العاملة في المشروع قد وصل إلى ١٦ ورشة تنقيب وصيانة، وتجاوز الـ ٢٠ ورشة في ١٩٨٤.

لكن حربي الخليج المتعاقبتين أوقفتنا العمل بالمشروع، ولم يُستأنف إلا في ١٩٩٤. وفي أواسط كانون الأول من هذه السنة عقد في بغداد مؤتمر دولي حضره علماء آثار من اليابان والولايات المتحدة ودول اوروبية، وأصدر بياناً دعا فيه علماء الآثار في العالم إلى التزام حماية التراث الانساني والامتناع عن المساهمة في عمليات تهريب الآثار وسرقتها. وكان علماء اميركيون وبريطانيون ذكروا ان آلاف القطع الأثرية سرقت من العراق خلال الاضطرابات التي أعقبت الحرب. وأثناء المؤتمر ذكرت علة الآثار النمساوية هيلغا ترينكوالدر ان آخر ابراج بابل في العراق يغوص تحت الارض بمعدل ٥ أقدام سنوياً. وقالت إن الفريق النمساوي الذي عمل في المواقع الأثرية في العراق

وسلسلة من المصاطب التي بناها نبوخذ نصر. ويحيط بالمدينة سوران، خارجي وداخلي، وبوابة عشتار هي البوابة الفخمة الرئيسية في السور الداخلي للمدينة. ولبابل شوارع فخمة مستقيمة، وأشهرها الشارع المسمى بشوارع الموكب، وهو شارع مهيب بايراجه وجدرانته المزينة، كانت ممر فيه تماثيل الآلهة من معبد مردوخ في عيد رأس السنة البابلية (بين آذار ونيسان).

أما برج بابل فيقع ضمن حارة ضخمة، قاعدته مربعة، طول ضلعها ٩١،٥٥ م. ويرجع بناؤه إلى اواخر الألف الثاني ق.م. وأعاد بناؤه بنو بلاصر، وأكمل بناءه ابنه نبوخذنصر (راجع «الزقورات» في هذا الباب). وفي بابل معابد كثيرة، ويعد معبد إياكالا الرئيسي فيها وهو تخصص لعبادة مردوخ كبير الآلهة البابلية، ويعد معبد عشتار. ومن أهم قصورها، القصر الشمالي حيث يربص في ساحته أهم أثر في بابل ورمز عظمتها ويتمثل في أسد منحوت من البازلت الأسود (طوله ١٠،٥ م).

بدءاً من ١٩٧٠ أخذت الحكومة العراقية تولي اهتماماً بالغاً بمدينة بابل التاريخية، وبدأت مشروعاً شاملاً وضخماً لإحيائها، وعقدت أول ندوة وطنية لهذا الغرض حضرها عدد من الاختصاصيين العراقيين والعرب والعالميين، وفي ١٩٧٤، تم تخصيص مبلغ ١٢ مليون دينار للمشروع الذي اعتبر أضخم المشاريع الأثرية في العالم، والذي هدف إلى إنقاذ المدينة من تأثير العوامل الطبيعية والمياه الجوفية وأملاح الارض، فضلاً عن ان التنقيبات

الخامسة في المتحف العراقي في بغداد. وفي المتحف البريطاني في لندن توجد ٥٥ رسالة أملاها حمورابي بنفسه وأنفلها إلى حكام الولايات في الامبراطورية البابلية. وكانت تخص شؤون التقويم ومعاقبة المقتصرين والكسالى ومراقبة واردات المعابر والامور العسكرية وشؤون الزراعة والري وغير ذلك.

تعتبر شريعة حمورابي أحد أهم المصادر الرفيعة للقانون والادارة على مر العصور. وقد اقتبست منها الاقوام القديمة الكثير من الاحكام واعتمدها في تشريعاتها اللاحقة.

ولاكتشاف المسئلة التي تحمل شريعة حمورابي قصة تعود بدايتها إلى العام ١١٦٣ ق.م. ففي هذا العام احتل شوتروك ناهونتي، ملك عيلام، مدينة بابل وحمل معه إلى عاصمته سوسة كثيراً من الكنوز البابلية، بما فيها المسئلة المذكورة (سوسة Susse الحالية أنقاض مدينة تاريخية في خوزستان ايران قرب تسز، وكانت عاصمة العيلاميين ثم الأخمينيين. وهناك مدينة ومرفأ سوسة على المتوسط في تونس، وتعد حالياً أكثر من ١٢٥ ألف نسمة).

وفي العقد الأخير من القرن التاسع عشر، وأثناء إجراء البحوث على الألواح الطينية التي تحفل بها مكتبة نينوى التي أسسها الملك الفنان آشور بانبيال وتضم آلاف المدونات في شتى المجالات إبان وصول الامبراطورية الآشورية إلى أوج عظمتها، وفي غمرة البحث في هذه الآثار التي تعود إلى نحو ألف سنة بعد حمورابي، تم العثور بين الرقيم الطينية على ألواح كثيرة منها ما كتب عليها مباشرة ومنها ما استنسخ عنها، وظهر ان بعضها يعود إلى تشريعات من عصر حمورابي. وبعد ذلك بفترة وجيزة، وبسببه ربما، تمكنت البعثة الفرنسية الأثرية العاملة في سوسة بإدارة مورغان (١٩٠١-١٩٠٢) من العثور على أحجار المسئلة الثلاثة ونقلتها إلى متحف اللوفر في باريس.

\* البصرة: مدينة ومرفأ في العراق على شط العرب، قاعدة محافظة ومركز قضاء البصرة. تبعد عن بغداد ٥٤٠ كلم جنوباً، وإلى الشمال منها، في مدينة القرنة يلتقي نهر دجلة والفرات مكوّنين شط العرب الذي يمر في مدينة البصرة. تأسست في عهد عمر بن الخطاب ٦٣٨. فأصبحت إحدى أهم المدن في العراق. عندها جرت معركة الجمل ٦٥٦. ازدهرت على عهد العباسيين وأضحت مع الكوفة مهذاً للدروس اللغوية. أحرقتها الزنج ٨٧١. ثم القرامطة ٩٢٣. بدأت بالانحطاط بعد ١٢٥٨. احتلها

منذ ١٩٨٠، وجد، عندما استأنف اعماله اخيراً (أي في ١٩٩٤)، الآثار في وضع عزز جداً، إذ تعرضت للسرقة والإهمال.

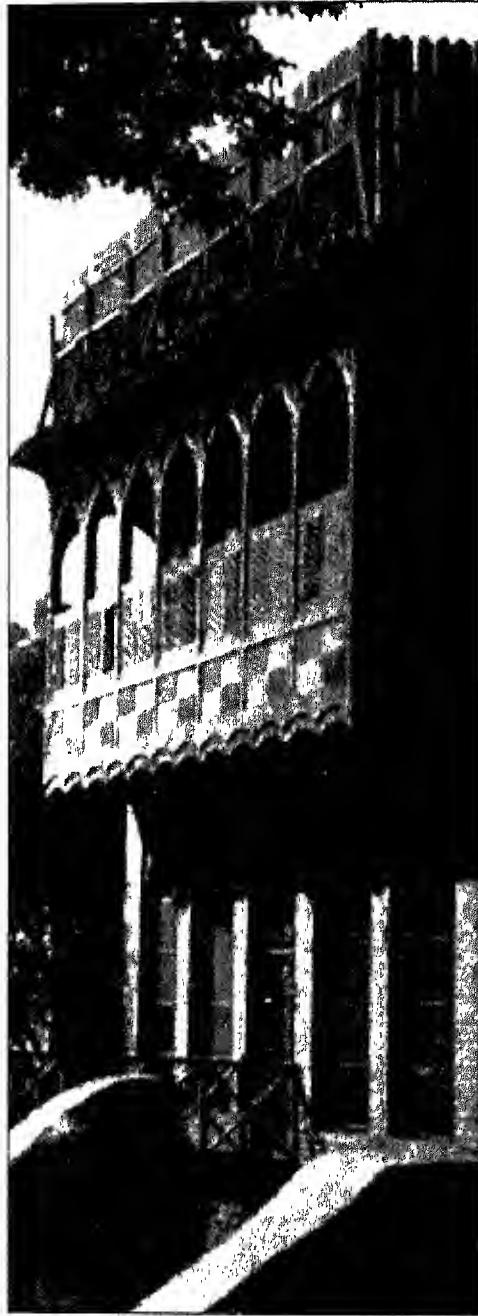
لا تُذكر بابل إلا ويُذكر معها الملك حمورابي وقوانينه أو شريعته، أو «الشريعة البابلية» الشهيرة.

ملك حمورابي بابل بين ١٧٩٢ و ١٧٥٠ ق.م. شبن، في بداية حكمه حرباً على بلاد سومر الجنوبية، فضمها إلى مملكته، وأخضع دويلات ما بين النهرين، وافتتح المدن القريبة من بلاد الشام، وأسس الامبراطورية البابلية القديمة. ورغم أهمية اعماله الحربية إلا أن إصلاحاته هي التي طغت على كل ذكر له وبابل في التاريخ البشري والحضاري عامة.

فقد نشر حمورابي الحضارة البابلية وثقافتها في البلاد التي فتحها. وعنى عناية شديدة بادارة المملكة، وقام بمشاريع عديدة وخاصة مشاريع الري، فنشر الرخاء في البلاد، كما عُني بالشؤون الدينية والعدل. وأصبحت بابل في عهده من أغنى المدن والعواصم التي عرفها تاريخ العالم القديم، وكان حمورابي عادلاً حكيماً.

تعتبر شريعة حمورابي أول شريعة حاولت تحديد المسؤولية الجنائية، وتميزت بالتكامل الحقوقي قياساً إلى القوانين الثلاثة التي سبقتها، وهي قوانين أورنامر وأشنونا ولبت عشتار. لذلك يعتبرها الباحثون أول قانون جنائي في تاريخ الانسانية. وقد حمل حمورابي الناس كافة على اتباعها والعمل بموجب موادها. وبلغ عدد هذه المواد ٢٨٢ مادة حُفرت باللغة الأكديّة، وأهم ما جاءت به تقسيم المجتمع إلى ثلاث طبقات (الاحرار، التباعون والعبيد)، وتضمنت أنظمة صارمة في ما يتعلق بشؤون الري والزراعة. فحتمت، على سبيل المثال، على كل مزارع كبيراً كان أم صغيراً ان يظهر الزعة المارة في أرضه ويحافظ على سدوده. أما المواد التي نصت على الاحوال الشخصية، أو العائلية، فقد بينت حقوق المرأة في الطلاق (وفي الإرث)، ايام لم يكن للمرأة حق في ذلك، وإنما كان من حق الرجل وحده، وألزم الزوج عند الطلاق بأداء نفقتها لتعول اطفالها، كما أصبح باستطاعة المرأة ممارسة التجارة. أما القوانين التجاري، في شريعة حمورابي، فقد شجع على ممارسة التبادل التجاري وقوى من نفوذ التجار.

هذه الشريعة منقوشة على مسلة كبيرة مكوّنة من ثلاثة أحجار من نوع الديوريت الأسود تتصبب بشكل مخروطي بارتفاع ٢٠٥٥م ومعروضة اليوم في متحف اللوفر في باريس. ولها نسخة من حجر الجلييس معروضة في القاعة



احدى شناشيل البصرة التي أعيد ترميمها.

في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٩٤، نشرت جريدة «الجمهورية» العراقية ان مفتشي الآثار عثروا على مجموعة مهمة من الأواني والفخار تعود إلى القرنين الثاني والثالث للهجرة في محافظة البصرة، وان هذه المجموعة ضمت جراراً فخارية مطعمة ومزخرفة، ومسكرات نحاسية ضربت في

الأتراك ١٦٦٨ ثم الانكليز ١٩١٤. حقل نفط. والبصرة محافظة في جنوبي العراق لها ٦ أفضية: البصرة، القرنة، شط العرب، الزبير، أبو الخصيب، الفاو.

ان الاسم، «البصرة»، يطلق على أرض فيها الحصى والحجارة الرخوة وفيها بياض وسواد. وأنها شيدت بالقرب من قرية «البصرة» التي تعود إلى العصور القديمة في التاريخ. وأن البصرة من أقدم المدن الاسلامية، اختطها عتبة بن غزوان ٦٣٦ وبناها أبو موسى الأشعري، وشيدت أول الأمر من خصائص القصب، وجعل لكل قبيلة حي خاص بها سمي باسمها. في العهد الأموي بدأت بالاتساع، وفي العهد العباسي شهدت ازدهاراً كبيراً. تأتي أهميتها أيضاً من موقعها المثل على الخليج، فهي بهذا الموقع منفذ العراق الوحيد للاتصال بالعالم الخارجي بحراً عن طريق ميناءي أم قصر والفاو.

مرت المدينة بالكثير من الحروب والاضطرابات والحروب. فبعد بنائها بخصائص القصب تعرضت للاحتراق وأعيد بناؤها من اللبن ثم من الطابوق (الأجر) والحصى. وفي ٨٦٩ احتوت على اثر الاحداث التي جرت فيها في زمن الخليفة العباسي المهدي والتي عرفت بـ«ثورة الزنج»، ثم ثورة القرامطة ٩٢٣. وبدأ الاضطراب يشملها منذ ١٢٥٩، ثم احتلتها الأتراك ١٦٦٨، فالانكليز ١٩١٤. وفي السنوات الأخيرة تعرضت كذلك لأعمال تدمير كبرى خلال حرب الخليج الأولى والثانية.

أبرز معالم البصرة التاريخية: مساجدها وسوق المبرد والشناشيل. والشناشيل هي الشرفات الخشبية المزخرفة تمتاز بها المدينة وتعتمد على إبراز واجهة الطابق الثاني بأكمله أو غرفة من غرفه بشكل ناتئ إلى الامام، يكون هذا البروز بالخشب عادة وبزخارف هندسية. ومن البصرة انتقل هذا الطراز إلى مدن عراقية أخرى خاصة بغداد، والشناشيل كلمة فارسية مركبة من «شاه نشين» بمعنى شغل جلوس الشاه (د.مصطفى جواد، مجلة سومر، المجلد ٢٤، ص ٢٤٤). وتعتبر الشناشيل من الظواهر الرئيسية والمألوفة في البيوت البصرية والتي تدل على الثراء. وأبرز مشاهد البصرة القديمة اليوم بقايا من مسجد

الامام علي، واطلال مسجدها الجامع ودار إمارتها وقصور الخاصة ودور العامة. وهذه كلها تقع في الجهة الجنوبية الغربية من البصرة الحديثة التي تتصل بمدينة الزبير على بعد نحو ٣٥ كلم. أما أبرز المعالم العمرانية في البصرة والتي ما زالت شاخصة إلى اليوم: جامع الكوازي، وجامع ومرقد الزبير بن العوام ومرقد الحسن البصري.

وفق مبدأ تطابق المثلثات القائمة الزاوية، وهي النظرية المنسوبة اليوم إلى إقليدس.

بالقرب من شادوم كان هناك مركز حضري آخر يعرف باسم زارلو Zarlou، ومن أبرز مكتشفاته العلمية لوح رياضي يعود إلى الألف الثاني ق.م. يتضمن نظرية هندسية جبرية ذات مجهولين *a deux inconnus* تحمل على غرار نظرية فيثاغورس.

وفي الجانب الغربي من دجلة، كان العديد من المراكز الحضرية الرئيسية، منها مدينة دوركوريكالزو Durkurigolzu في منطقة عقرقوف التي كانت عاصمة العراق لمدة تقرب من أربعة قرون من العصر الكاشي (١٥٩٥-١١٧١ ق.م.) والتي زخرت بأبنيتها بقصور مزينة وبرج مدرّج (زقورة) ومعابد ودور سكن وشوارع. والمقبون في التل، منذ منتصف القرن التاسع عشر، تأكدوا بأنه زقورة المدينة الكاشية المعروفة بهذا الاسم، «دوركوريكالزو»، وقد أيدت تنقيبات مديرية الآثار العراقية منذ النصف الأول من هذا القرن (العشرون) هذا القول، وتوصلت إلى ان زمن تأسيس المدينة يعود إلى عهد الملك كوريكالزو الأول الذي حكم في بداية القرن الخامس عشر ق.م.، وان المدينة ظلت مأهولة إلى العصور المتأخرة من العهد البابلي الحديث (١١٠٠-٥٣٨ ق.م.). كما اكتشف في بغداد عدد من الآثار تمثل بقايا مراكز حضرية من العصرين الآشوري والبابلي.

«هي (بغداد) من تأسيس المنصور، ٧٥٤-٧٧٥، الذي أسس أولاً مدينة المستديرة وكانت خالية من كل منشآت الزقبة. ثم التفت حولها الأحياء والأسواق والمنازه، وغصت بالناس حتى انه كان يقدر عدد سكانها في اواخر القرن الرابع مئليون ونصف، وكان فيها ١٥٠٠ حمام، ومساحاتها عشرات الآلاف، و ٨٦٠ طبيباً يعملون رخصة تمنح حق ممارسة المهنة، وزوارقها بلغت ٣٠ ألفاً» (عن كتاب صدر عن الأونيسكو بمجموعة من مؤرخين وكتاب عرب وأجانب: *Les Différents Aspects de la Civilisation Islamique*، صدر مترجماً إلى العربية، في بيروت ١٩٩٨، والمؤلف أحد الذين راجعوا وصححوا الترجمة).

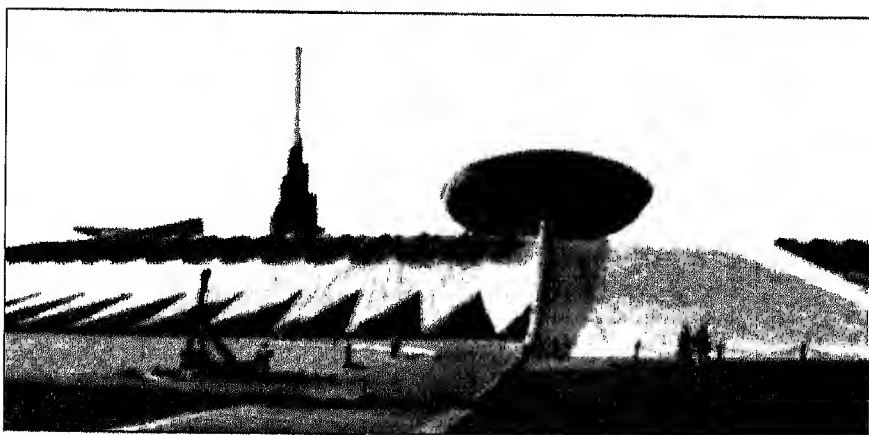
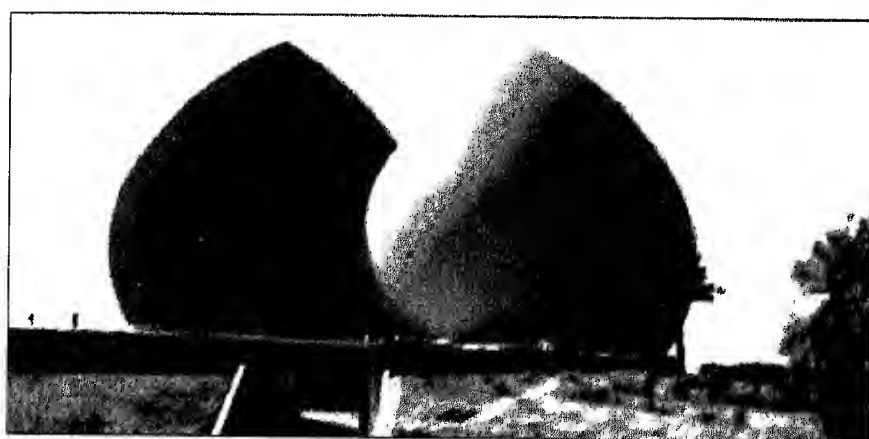
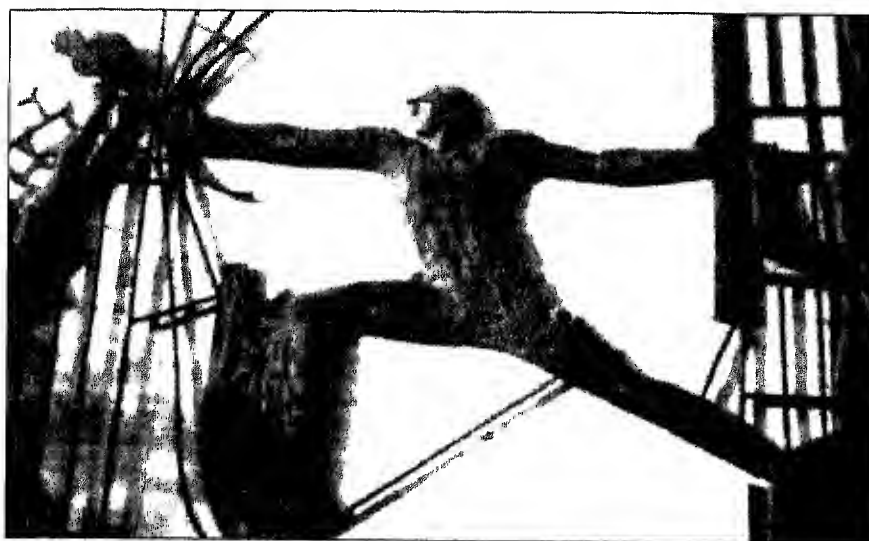
عندما قرّر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور تنفيذ رغبته في بناء عاصمته الجديدة ارتأى ان تكون قرية من أنصاره، حصينة في طبيعتها وفي تحيطها... وبعد ان استقر رأيه على الموقع الصالح (بغداد) أمر بتخطيطها على الارض بمادة قابلة للاشتعال، فأشعل فيها النار ليلاً فظهر له شكل

مدينة البصرة عام ١٣٦هـ (القرن الثامن للميلاد) في عهد الخليفة ابر العباس السفاح، ومسكوكات أخرى ضربت في مدينة السلام (بغداد) في عهد الخليفة ابو جعفر المنصور، ومسكوكات في عهد الخليفة هارون الرشيد.

\* بعقوبا (بعقوبة): مدينة عراقية. تقع شمال شرقي بغداد بمسافة لا تزيد عن ٦٣ كلم. أسسها الآراميون في القرن التاسع ق.م. وإسمها الآرامي يعني «بيت الحارس». تطل بعقوبا على ضفتي نهر ديبالي الذي تتفرع منه عدة جداول. وفيها أيضاً النهر العظيم ونهر كتكور. تشتهر بخصوصية تربتها، وتشكل البساتين أكثر من نصف مساحتها، وتعتبر من أهم المدن المنتجة للبرتقال في العراق. وشهدت السنوات الأخيرة نهضة صناعية في بعقوبا، وكذلك تعليمية وصحية ورياضية. وفيها مركز للرعاية العلمية يقيم بتنظيم دورات علمية لأبناء المدينة في مجالات الالكترونيات والفلك والفيزياء والكمبيوتر وغيرها.

\* بغداد: عاصمة العراق. تقع على الضفة اليسرى من نهر دجلة الذي طالما حال فيضانه دون توسع المدينة حتى كانت سنة ١٩٥٦ عندما بدأ تنفيذ حزان سامراء ومصرف الوادي اللذين تحكّما بفيضان النهر وأراحا بغداد من خطره. وبغداد عاصمة ثقافية قبل أي أمر آخر (مدرسة المستنصرية منذ ايام العباسيين، ومتحف مهم للغاية أصيب بأضرار فادحة إبان قصف الولايات المتحدة وحلفائها بغداد في ١٩٩١)، إذ إن الصناعة فيها حديثة. عدد سكانها نحو ٤،٢٥ ملايين نسمة.

نشأت، في بغداد، وازدهرت مستوطنات بشرية عديدة قبل العهد الاسلامي بأمد بعيد. ويعود تاريخ أقدمها إلى النصف الثاني من الألف الثالث ق.م. وأصبحت هذه المستوطنات مدناً عامرة في مطلع القرن الثاني ق.م.، منها مدينة شادوم Shadpum التي تعرف أطلالها اليوم باسم «تل حرمل» القائم في بغداد الجديدة. وقد قدمت شادوم نموذجاً متقدماً لفن تخطيط المدن ولنضوج علمي، إذ استظهرت التنقيبات، والدراسات عليها، عن وجود أكاديمية جامعة في هذه المدينة التاريخية كانت منهلاً للعلوم التطبيقية وضروب الثقافة، إضافة إلى وثائق إدارية وتجارية ومعاجم لغوية وجغرافية وبقايا تشريع قانوني مكمل لشريعة أشنونا التي سبقت شريعة حمورابي بنحو قرنين من الزمن، إلى جانب اكتشاف وثائق علمية تضمنت جداول رياضية وقضايا هندسية وجبرية أبرزها نظرية هندسية حلت



من أهم معالم بغداد المعاصرة: الجزء الاوسط من نصب الحرية الشهير للفنان جواد سليم (أعلى)،  
ونصب الشهيد (وسط)، ونصب الجندي المجهول.



مدينته. وبعدها اختار المهندسين، منهم الحجاج بن أرطاة وعبد الله بن عرز وشهاب بن كثير وأبو حنيفة النعمان بن ثابت الذين اشرفوا على بنائها.

وشيدت المدينة، التي دعاها المنصور «دار السلام»، على شكل دائري وفي حلقات متوالية تتوسع كلما ابتعدت عن المركز الذي تم فيه تشييد المسجد الجامع وقصر الخليفة وحوهما الدواوين والمرافق الحكومية الأخرى. وأحاط المنصور مدينته بخندق وأسوار تحميها من الاخطار.

شهدت بغداد، خلال سنوات قليلة، تطوراً حضرياً واسعاً، مما حدا بالمنصور، في ٧٦٨، إلى تأسيس مدينة في الجانب الشرقي من نهر دجلة سماها الرصافة بعد ان عسكر فيها ولي عهده الخليفة المهدي. ومنذ ذلك التاريخ، وعلى امتداد نحو خمسة قرون، حفلت بغداد بالتطور والازدهار في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية. وقد بلغت في ذلك حلاً من الرقي فاقت فيه حواضر الدنيا كلها، وخاصة في عهد الرشيد الذي بلغ فيها العمران ذروته خاصة في الجانب الشرقي. وقد تسابق الخلفاء والميسورون في إقامة المباني الفخمة فارتفعت على أرضها المساجد والجوامع ودور العلماء، وشيدت فيها أعظم المستشفيات والصيدليات والمرصد الفلكية والقصور والدور الشائعة، وشقت الشوارع المنسقة والقنوات والبرك والمناطق الخضراء وأقيمت الحدائق. وكذلك انتشرت الأسواق التجارية والمرافق المدنية والعسكرية. وعرفت بغداد فترة انحطاط بعد ان نقل المعتصم العاصمة إلى سامراء في ٨٣٦، لكنها عادت لتكون العاصمة من جديد في ٨٩٢.

وفي عهد الخليفة المعتمد تركز التوسع الحضري في الجانب الشرقي، أي في الرصافة التي أحاطها الخليفة المستظهر (١٠٩٥) بسور ضخمة محصنة بخندق عميق. وتم ربط دفتي دجلة بثلاثة جسور رئيسية إضافة إلى عدد من الجسور الأخرى، واستعملت الزوارق والقوارب في دجلة كوسائل للنقل بين الرصافة والكرخ. فجاءت بغداد متوافقة في منشأتها ومرافقها مع دورها كعاصمة للعالم الإسلامي وأكبر تجمع سكاني فيه.

لكن كل هذا التهور الحضري المتميز (الطابع المعماري الغالب هو الطابع العربي الإسلامي المتأثر بالطابع الرافدي القديم والمتوارث عن العمارة السومرية والبابلية والآشورية؛ ومدرسة المستنصرية أكثر الشواهد الأثرية على هذا التمازج)، الذي استمر نحو خمسة قرون، أخذ يتآكل

بعد استحواد جماعات غير عربية على السلطة. فحولت دولة العرب إلى دويلات تنازع الدولة سلطانها ممهدة بذلك للغزو المغولي لبغداد (١٢٥٨). ومنذ هذا التاريخ أخذ يرق بغداد يخبر لما مرت به من شدائد ومحن قلما تعرضت لها مدينة أخرى في الدنيا حتى باتت بعد ذلك حاضرة ريفية لا يتعدى دورها مركزاً لولاية في اطراف الدولة العثمانية بعد ان كانت عاصمة العالم. وقد ظلت محصورة داخل أسوارها القديمة طيلة عدة قرون من القهر والاستعباد الأجنبي ولم يتجاوز عدد سكانها ٨٠-١٠٠ ألف نسمة في القرن الماضي كما تشير إلى ذلك كتابات الرحالة الأجانب. من ابرز هؤلاء على الاطلاق جون آشر، عضو الجمعية الجغرافية الملكية في لندن، الذي بدأ في ١٨٦٤ رحلة شملت سواحل البحر الأسود والأناضول وارمينيا وديار بكر والموصل ببغداد. وعندما وصل آشر ببغداد «كانت أول عمارة لغتت نظره وحاشيته في الجانب الشرقي هي بناية كبيرة كنيية يبدو فيها الإهمال والخراب. وكانت البناية قصر الباشا (...). وحوله عدد كبير من المتسككين والخيالة غير النظاميين... واستقبله الباشا في غرفة كبيرة عارية الجدران، بحالة من الأثاث».

مع ذلك، فقد شهد القرن التاسع عشر بوادر نهوض لبغداد، سببه السياسي تصارع بين احزاب الامبراطورية العثمانية الذي أدى إلى استحداث بعض الاصلاح في بغداد (الأمر نفسه تقريباً بالنسبة إلى معظم حواضر ومدن البلدان العربية في الامبراطورية العثمانية خلال القرن التاسع عشر). كذلك فإن فتح قناة السويس قد أدى إلى تفكك اقتصاد المقايضة في العراق وربطه بالاقتصاد العالمي. وبعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الاولى وسقوط العراق تحت النفوذ البريطاني عادت ببغداد لتصبح عاصمة لدولة العراق الحديث.

إن أول تطوير عمراني. خارج المدينة القديمة (في الربع الاول من القرن العشرين) كان استيطان الثورات البريطانية المحتلة في منطقتي الهندية والوشاش، ثم أعقبه التوسع العمراني في منطقة حزام دجلة شمالي المدينة القديمة وجنوبها. وقد كان صدور نظام الطرق والأبنية، في ١٩٣٥، مؤشراً على اهتمام السلطات بالسيطرة على التوسع العمراني من خلال التخطيط له. وأول خطة عمرانية لبغداد تم إعدادها في ١٩٣٩ من قبل فريق الماني أعطى هذا الامتياز. فتم بموجبها توسيع خدمات الماء والكهرباء وفتح شارع الكفاح والشيخ عمر في الرصافة. وفي مطلع الخمسينات بات الامتداد الشريطي في حزام نهر

-القلعة التي تقع في وسط المدينة، والتي دمرت على يد تيمورلنك ١٣٩٣. وثمة من يعتقد أن أصولها تعود إلى أيام الحكم الساساني وربما إلى العصر الآشوري.  
- سور المدينة المدعم بأبراج عديدة وله ثلاثة مداخل، وتبين أنه شُيد في ثلاث فترات زمنية.  
-المصلى الواقع في نسل محيسن والحراب، وزخارفهما الموجودة على الأخشاب وتدل انها تعود إلى القرن العاشر.

-الكنيسة الخضراء، بناها الأب المغربيان ماروثا الثوفي سنة ٦٣٩، وتحظى بأهمية تاريخية ودينية لأنها كانت مركزاً دينياً وثقافياً مهماً تجري فيه المناظرات الدينية بين المسيحيين، ومن الذين زاروا هذه الكنيسة المسعودي صاحب «مروج الذهب». تتميز بكثرة زخارفها والصور.  
- مسجد ومشهد الأربعين الذي يقع في الجهة الجنوبية-الغربية من تكريت. يسميه البعض «مزار الأربعين» أو «مقام الأربعين»، ويحتمل ان التسمية جاءت من عدد الذين دفنوا في هذا المكان من شهداء معركة فتح تكريت في ٦٣٧. وبعض الكتابات على جدران المبنى يذكر تاريخ بناء المسجد وهو سنة ٦٦٠هـ-١٢٦٢م (عن رؤوف محمد علي الأنصاري، معماري عراقي، «الحياة»، العدد ١١٧١٤، تاريخ ١٨ آذار ١٩٩٥، ص ٢٠).  
تسلم عدد من أبناء تكريت السلطة في العراق، وأبرزهم الرئيس العراقي الحالي صدام حسين الذي أولى المدينة عناية فائقة.

\* تل العبيد **El-Obeid**: موقع أثري (جنوبي العراق، أي المنطقة نفسها التي يقال لها بلاد الرافدين الواطنة) قرب أور. بدأت التنقيبات فيه في ١٩١٩. تمثل حضارة العبيد الفترة الأقدم من الحضارة السومرية ما قبل التاريخ، وقد امتدت من بداية الألف الرابع إلى حوالي ٣٣٠٠ ق.م، وتميزت بشغل السيراميك ذات اللون الواحد (أسود أو بني) والأبعاد الهندسية، ونحت الأحجار. ازدهرت بصورة خاصة في إريدو، وانتشرت إلى المناطق الشمالية من بلاد ما بين النهرين وحتى سواحل المتوسط في رأس شمرا (راجع «سومر» في هذا الباب).

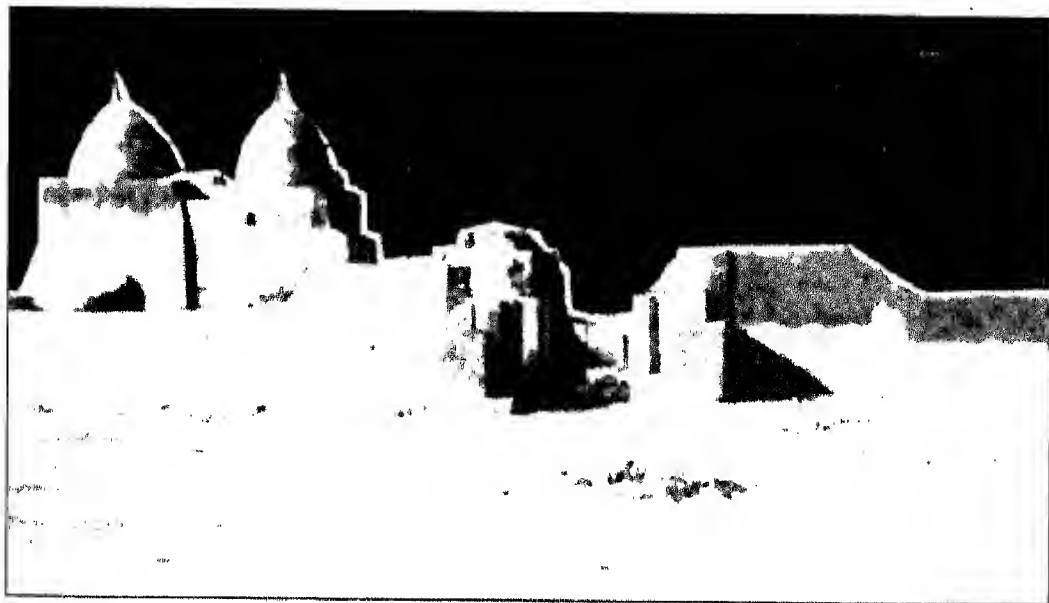
\* تل المقيّر: راجع «أور» في هذا الباب.

\* جمادات نصر **Djemdet Nasr**: موقع أثري قديم قرب كيش. بدأت عمليات التنقيب فيه منذ ١٩٢٥،

دجلة يغطي المنطقة الممتدة من مدينة الكاظمية في الشمال حتى معسكر الرشيد في الجنوب (٢٥-٣٠ كلم). وقد ساعد إنجاز سد الثرثار، في ١٩٥٤، وانحسار خطر الفيضان إلى حد كبير في هذا التوجه. وتم إعداد تصميم أساسي في ١٩٥٦ من قبل شركة مونويريه البريطانية، وتصميم أساسي آخر في ١٩٥٩ أعلنته مؤسسة دو كسياس. وبالرغم من أن هذين التصميمين لم يعقبهما إجراء تشريعي فقد اعتمدا في توجيه التوسع العمراني خارج منطقة حزام دجلة. وكان لفتح الطرق السريعة في جانبي الكرخ والرصافة الأثر الكبير في التحضر (التمدين) العمودي على النهر. بيد ان هذين التصميمين لم يكن بمقدورهما مواكبة تصاعد عملية التمدين السريع، لذا فقد ركنت بغداد إلى إعداد تصميم أساسي جديد في ١٩٦٧ تم تحديثه في التصميم الإنمائي الشامل لعام ١٩٧٣ الذي شرع بقرار مجلس قيادة الثورة في ١٩٧٤. وأولى تنفيذ هذا التصميم أهمية بالغة للمنتزهات والمناطق الترفيهية، إذ تغطي المساحات الخضراء أكثر من ٤ ملايين متر مربع من المساحات المفتوحة الخضراء والعديد من الملاعب الرياضية والمساح ومراكز الترفيه والتسليه، تأتي في مقدمتها «جزيرة بغداد» السياحية التي تغطي مساحة ١٢٥ هكتاراً في وسط نهر دجلة وتشمل منشآتها كازينوهات ومطاعم ومساح ودار استراحة ونوادي ومرافق رياضية ومسرحاً مفتوحاً وبرج الماء المشيد بارتفاع ٦٥ متراً (المراجع: «المدينة العربية»، مجلة متخصصة تصدرها منظمة المدن العربية، العدد ٣٧، ايار ١٩٨٩ «أنسيكلويديا أونيفرساليس» الفرنسية؛ «أنسيكلويديا برتانيكا» الانكليزية؛ «أميريكانا» الامريكية؛ «لو روبر»؛ «الحياة»، رؤوف محمد علي الأنصاري، ٩ ايلول ١٩٩٧، وعلي عبد اللطيف، ٦ تشرين الثاني ١٩٩٦، و«الوسط»، العدد ٣٠٤، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٩٧، ص ٥٦).

\* تكريت: مدينة عراقية تقع على نهر دجلة إلى الشمال من بغداد بنحو ١٦٠ كلم. وإسم «تكريت» من «تجريت» وهي كلمة سريانية. تعود إلى زمن الملك الآشوري توكولسي نورتا الثاني (٨٩٠-٨٤٤ ق.م). دخلها المسلمون في عهد عمر ٦٣٧، وسرعان ما عمرت واتسعت لوقوعها على طريق القوافل التجارية المحاذي لنهر دجلة والذي يربط بغداد بالموصل وحلب.

عثر فيها على أطلال بيوت سكنية من ثلاث طبقات تعود إلى أيام الآتابكة. ومن آثارها العمرانية المهمة:



مسجد الاربعةين في تكريت.

معبد في مدينة الحضر الآثارية.



وهجرت بعد أقل من قرن من الزمن. ذلك ان الساسانيين اعتنقوا الزردشية كـمعتقد ديني (على خلاف الفريسيين)، وكانت المسيحية بدأت تتغلغل إلى وادي الرافدين من الغرب. أما العامل الأهم في تدهورها، ومن ثم زوالها، فهو العامل الاقتصادي. ففي حين كانت الحضرة تسيطر على طرق القوافل المتنقلة في بادية العراق وهي تنقل البضائع التي كانت تستلمها من السفن الآتية من الهند والصين إلى موانئ الخليج العربي عملة بالحرير والتوابل والأخشاب والعمود والأحجار الكريمة وتعود بمنتجات الشرق القديم من ملابس صوفية وتحف عاجية ومعادن، فقد غيرت هذه السفن (وبالتالي القوافل طرقها)، في العهد الساساني، موانئ الخليج واعتمادات الأبحار حول شبه الجزيرة العربية والوصول إلى الموانئ الواقعة في أعالي البحر الأحمر. فأثر ذلك كثيراً في المدن الصحراوية. وهذا ما يفسر لنا عدم ظهور مدينة أخرى في البادية.

في أواخر القرن التاسع عشر قام القنصل الفرنسي في الموصل بإجراء بعض التنقيبات في المدينة، خصوصاً في المعبد الثاني. وكان الباحث الألماني والتر أندريه من بين أبرز المنقبين الذين تابعوا آثار مدينة الحضرة (١٩٠٣-١٩١٤). وبدأت مديرية الآثار العامة في العراق حملة كبيرة للتنقيب في المدينة سنة ١٩٥١. وفي ١٩٨٧، قامت بعثة إيطالية بإجراء التنقيبات والمسوحات الأثرية.

يبلغ عدد الكتابات المكتشفة حتى الآن في الحضرة أكثر من ٣٠٠ نص كلها بالآرامية باستثناء نص واحد باليونانية وثلاثة باللاتينية (كانت الآرامية لغة التلوين والمراسلة لدى معظم شعوب المنطقة). ومدينة الحضرة الباقية حتى اليوم مستديرة تقريباً، قطرها نحو كيلومترين، يحيط بها خندق عميق يحكم الجانب وسور مدعم بـ١٦٣ برجاً ويحده من القلاع. والمعابد هي أبرز وأهم وأكثر معالمها الأثرية («الحياة»، -إيلي سعادة- العدد ١١٢٤٦، تاريخ ٢٨ تشرين الثاني ١٩٩٣، ص ١١٦ ورؤوف حممد علي الانصاري، العدد ١٢١٩٠، تاريخ ١١ تموز ١٩٩٦، ص ١١٤ وعبد اللطيف علي، العدد ١٢٤٦٣، تاريخ ١٣ نيسان ١٩٩٧، ص ٢٠).

\* **الحلّة:** مدينة عراقية، إلى الجنوب الغربي من بغداد التي تبعد عنها ١٠٠ كلم، وعلى بعد ١٠ كلم عن أطلال مدينة بابل الشهيرة، وهي حالياً مركز محافظة بابل (كانت محافظة الحلة سابقاً)، كما تبعد عن الكوفة نحو ٥٥ كلم إلى الشمال الشرقي منها، وعلى موقع من نهري

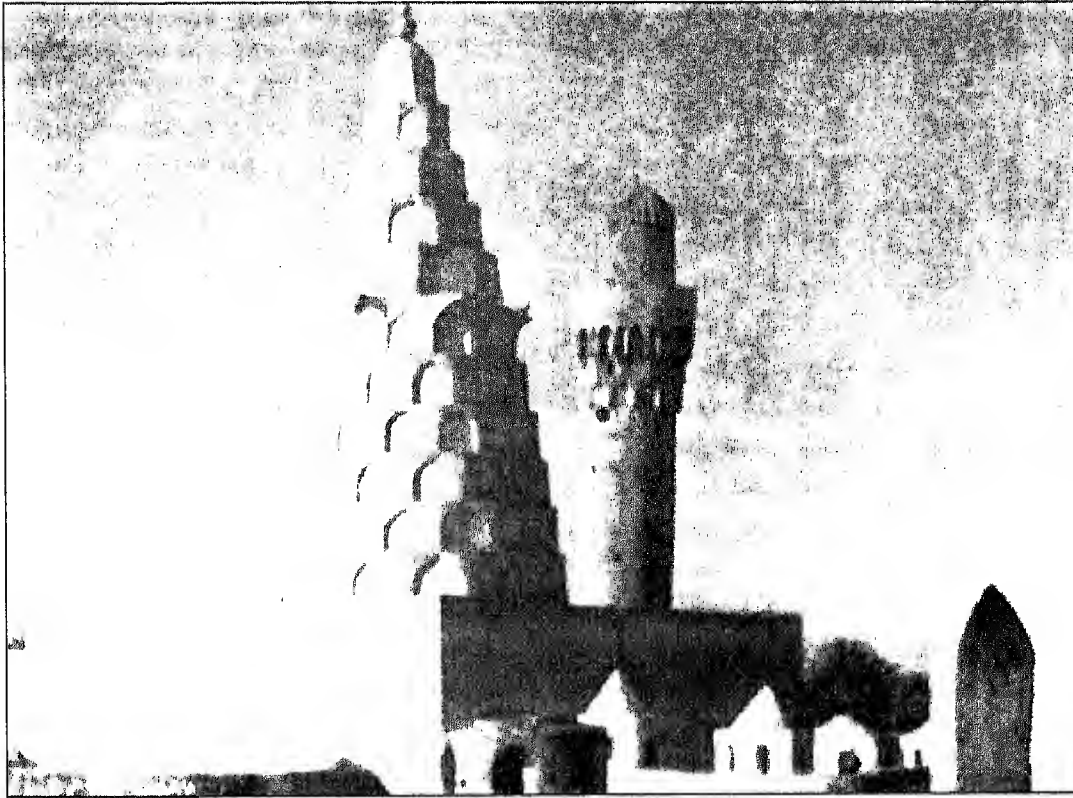
وكشفت عن حضارة تعود إلى حوالي ٣١٠٠-٢٩٠٠ ق.م. وهي تمثل المرحلة الثالثة من مراحل التاريخ السومري. تتميز بأن صناعة السيراميك والكتابة فيها كانتا أكثر تطوراً مما كانتا عليه في أوروك. وعرفت جملة نصر أيضاً تقدماً عن سواها من المدن السومرية في مجال الفنون، وانتشاراً واسعاً في التجارة. ويكاد يجمع علماء الدراسات السومرية والدراسات المصرية على ان عصر جملة نصر في بلاد ما بين النهرين يوافق عصر الأسرة الأولى في مصر.

\* **حصن الأخيضر:** راجع «عين التمر» في هذا الباب.

\* **الحضر:** مدينة عراقية أثرية. إحدى المدن العربية الصحراوية مثل تدمر في سورية والبتراء في الأردن. تقع على بعد ٣ كلم إلى الغرب من وادي الثرثار، وتبعد نحو ١١٠ كلم إلى الجنوب الغربي من الموصل و٣٤٥ كلم شمال غربي بغداد. والاعتقاد الراجح لدى المؤرخين ان هذا الموقع كان مستوطناً للقبائل العربية منذ سقوط دولة الآشوريين في ٦١٢ ق.م. إذ تتواجد في المدينة آلهة كانت تعبد في زمن الآشوريين، جنباً إلى جنب مع آلهة استقدمت إلى المدينة من الجزيرة العربية. وهذا الموقع على طرف البوادي كان فاصلاً بين امراطوريتين اقتسمتا العالم القديم في القرون الأولى للميلاد: الرومان والفريسيون.

ويبدو أن أرض الحضرة كانت منذ الآشوريين قرية نشأت في الأماكن التي تتوافر فيها المياه أكثر من سواها. ثم توسعت هذه القرية، لا سيما بعد فتح الاسكندر المقدوني (٣٣١-٣٢١ ق.م.) لبلاد الشرق وما أعقب ذلك من تأسيس مدن وظهور شبكة من الطرق تشعبت من بابل إلى جميع الجهات. ويحتمل ان أول معبد من الحجر شيّد في الحضرة كان في زمن الملوك السلوقيين الذين خلفوا الاسكندر في حكم بلاد المشرق. وقد وجدت قطع من أعمدة وأجزاء من منحوتات وأوان من الفخار تدل على هذا الأمر.

واتسعت الحضرة وصارت مدينة كبيرة بعد بزوغ أهميتها العسكرية للدفاع عن الامبراطورية الفريسية ضد الرومان. ونتيجة لذلك برزت أهمية القبائل العربية، التي كانت الحضرة قد أصبحت أكبر مركز لها، في الحرب، حتى ان قذائف نارية أتت على ذكرها المؤرخون ودعواها «القذائف الحضرية». أما مع الساسانيين (سقطت الحضرة بيدهم في ٢٤١ م)، فقد بدأت المدينة بالتدهور سريعاً،



قبة مرقد ذي الكفل ومئذنة مسجد النخيلة قرب الحلة.

زقورة عقرقوف، غربي بغداد.



أما القيساريات فهي موجودة داخل الأسواق الكبرى في المدن، شبيهة بالخانات من حيث المعمار ولكنها تختلف عنها من حيث الوظيفة. وجاءت كلمة قيسارية من الرومان (تحريف كلمة قيصريّة، نسبة إلى قيصر). والقيسارية عبارة عن مبنى ذي حوائط يقع في إطار الأسواق الرئيسية استعمله الرومان لبيع السلع التي يتقاضونها من التجار كضرائب. ويذكر بعض المصادر أن القياصرة الروس شيّدوا في بلادهم وبلاد ما وراء النهر مبانٍ مشابهة ووظيفة مشابهة. وبسبب قوة الروابط التجارية بين العراق وهذه البلدان ظهر مثل هذه المجمعات (أي القيساريات) فيه. وتقع عادة، في المدن العراقية، خلف المحلات التجارية في الأسواق الرئيسية. وقد أزيل الكثير من هذه القيساريات العراقية نتيجة الهدم الذي طال المراكز القديمة في بعض المدن العراقية.

\* خورسباد (دور شروكين): تقع هذه المدينة الأثرية على بعد ١٥ كلم شرقي مدينة الموصل. اختلف سرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م.) مركزاً لحكمه وسماها «دور شروكين» أي «مدينة سرجون». غير أن أحفاده تركوها وعادوا ثانية إلى نينوى. أطلق عليها الساسانيون إسم «خسرو آباد»، ومنها جاء إسم «خورسباد». أبرز معالمها: سور ذو أبراج يزيد عددها على ١٥٠ برجاً. وفي السور ٨ أبواب، كل باب سمي باسم إله آشوري، وتزين مداخل المدينة ثيران مجنحة برؤوس بشرية؛ وقصر سرجون وبعض الأقسام المجاورة له، وبعض المعابد، وزقورة.

\* دور شروكين: راجع «خورسباد» في هذا الباب.

\* دور كوربكالزو: راجع «بغداد» في هذا الباب.

\* الرصافة: راجع «بغداد» في هذا الباب.

\* زارلو: راجع «بغداد» في هذا الباب.

\* الزقورات (الأبراج): معابد أثرية، تعود إلى العصور القديمة، منتشرة في وادي الرافدين، ذات خصائص معمارية متميزة، أهمها أنها تقوم على قواعد مرتفعة ومتدرجة، وانها من طبقات لا تقل عن ثلاث عداً طبقاً

الفرات الذي ينفذها فرع كبير منه. وتكتنفها بساطين النخيل وأشجار الفواكه والخمضيات، فهي، لذلك «الحلة الفيحاء». وقلبها عرفت باسم «الحلة السيفية» نسبة إلى الأمير صدقة بن ديبس المزديدي الملقب بـ«سيف الدولة» الذي بدأ بنائها في ١١٠٠. ولعبت، مع النجف وكربلاء، دوراً حضارياً في تاريخ العراق والعالم الإسلامي، وأصبحت مقر كبار العلماء والفقهاء ومكان تدريسهم، وأبرزهم ابن إدريس الحلبي، والشيخ نجيب الدين الحلبي. وتخرج منها الكثير من العلماء والفقهاء والأدباء قبل أن ينتقل التدريس منها إلى النجف وكربلاء. وقد أدت سيطرة التركمان على العراق في القرن الخامس عشر إلى تقهقر الحلة واضمحلال مدارسها وتشتت مكباتها.

وكان للحلة دور بارز مع بقية مدن الفرات الأوسط في اندلاع ثورة ١٩٢٠ ضد البريطانيين، وشاركت في الكثير من الانتفاضات الوطنية.

الحلة في وسط منطقة غنية جداً بالمدن الأثرية والمعال (بابل، كيش، كوثي-تل ابراهيم-، جامع ومرقد الحمزة، مرقد ذي الكفل ومنارة مسجد النخيلة، مشهد الشمس، مرقد القاسم بن الامام موسى الكاظم، مرقد بكر بن علي بن ابي طالب...). والجدير ذكره، هنا، ان ثمة ظاهرة عمرانية انتشرت على ما يبدو في أماكن عدة في العراق وهي انه عندما تندر مدينة واقعة على نهر فإنه سرعان ما تقوم مدينة أخرى بدلاً عنها وقرية منها، وقد تكون على الطرف المقابل من النهر. فلقد ظهرت مدينة الحلة قسبة صغيرة على الطرف المقابل، كما ظهرت الموصل مقابل نينوى، والناصرية بين أور ونهر الفرات. وتعتبر الحلة اليوم من أهم المدن المجاورة لبغداد ومركز الفرات الأوسط.

\* خانات القوافل والقيساريات: الخانات أبنية مخصصة لاستراحة المسافرين والتجار والحجاج (أي محطات، أو استراحات)، ازدهرت خلال العهود الإسلامية بسبب توسع الحركة التجارية بين البلدان الإسلامية، وتعد معالم معمارية بارزة في العراق. وازدادت أهميتها إبان الحكمين الصفوي والعثماني للعراق. ويوجد منها في أطراف بغداد، وعلى الطريق الذي يربط بين الموصل وسنجار، وفي جنوبي سامراء. وأهمها الخانات الواقعة على طريق بغداد-كربلاء-النجف. وتشابهه شكل مربع أو مستطيل. وتتميز ببنائها الواسع وبأسوارها العالية المدعومة بأبراج.

(الشرقية) من نهر دجلة، وتبعد عن بغداد ١٢٠ كلم. المدينة الحالية نشأت على جزء من اطلال العاصمة العباسية المندثرة. وفي اواخر العصر العثماني، أصبحت سامراء ولاية لها سور طوله كيلومتران. وفي عهد الاحتلال البريطاني للعراق قسمت البلاد إلى ١٦ وحدة ادارية، كانت سامراء واحدة منها. وبعد قيام الدولة العراقية أصبحت قضاء تابعاً لبغداد، ثم تبعت محافظة صلاح الدين منذ سنوات قليلة.

في ١٩١٢-١٩١٤، وفي موضع سامراء، عثر العالم الاتاري هرزفند على انواع من الأواني والفخار ترقى في تاريخها إلى الألف السادس ق.م.

يقول فيليب حقي في «تاريخ العرب» ان إسم «سامراء» يعود إلى أصل آشوري وهو «سرمارتا» Suurmata، فحرفه العرب إلى «سرّ من رأى». وذهب آخرون إلى ان إسمها بالأرامية «سامرا». وينهب «معجم لبلدان» و«التنبيه» إلى ان اسمها «سرّ من رأى».

أنشأ الفرس عند سامراء حصناً سمي «حصن سومير» Sumer، وهو الحصن الذي شهد تقهقر الجيوش الرومانية بعد مقتل قائدها الامبراطور جوفيان في العام ٣٦٣. وانتقلت المدينة بعد ذلك إلى ايدي الروم بعد ان دحروا الفرس في عهد خسرو برويز، فأنشأوا الكنائس وأقاموا الأديرة حسبما جاء في كتاب «مآثر الكبراء في تاريخ سامراء» للشيخ المهلاني.

عن انتقالها إلى العرب المسلمين، جاء في «المنجد» انها «كانت قرية صغيرة عندما احتلها العرب ٦٣٧». وجاء لدى المستوفي: «إن مدينة سامراء أنشأها في الأصل سابر ذو الأكتاف (٣٠٩-٣٧٩) وكما كان اقليمها طيباً

المعبد، وانها متدرجة سواء من خارجها أو من داخلها أو من الخارج والداخل معاً. ويقول المؤرخون ان الفراصة استلهموا أهرامهم وهيكلهم الأولى من زقورات الرافدين. وكانت زقورة بابل المعروفة باسم «برج بابل» الحصيلة النهائية لتلك النوع من العمران، ونقطة تحول كبيرة نحو عمارة حضارية متقدمة. وتحيط بالزقورة عادة ساحات واسعة للمصلين تسمى صحن الزقورة، حولها مبان وغرف لخدمات مختلفة، ومعظمها للكهنه، ومخازن للندور والهدايا التي تقدم للأله.

من أشهر زقورات العراق:

- زقورة أور، وهي من أولى الزقورات. واقعة قرب مدينة الناصرية. شيدها الملك أرتمو مؤسس سلالة أور الثالثة (٢١١٣-٢٠٩٦ ق.م.). ما تزال شاخصة إلى الآن، وارتفاعها الحالي ١٧،٥ م. ويقدر بـ ٢٦٦ بالأصل.

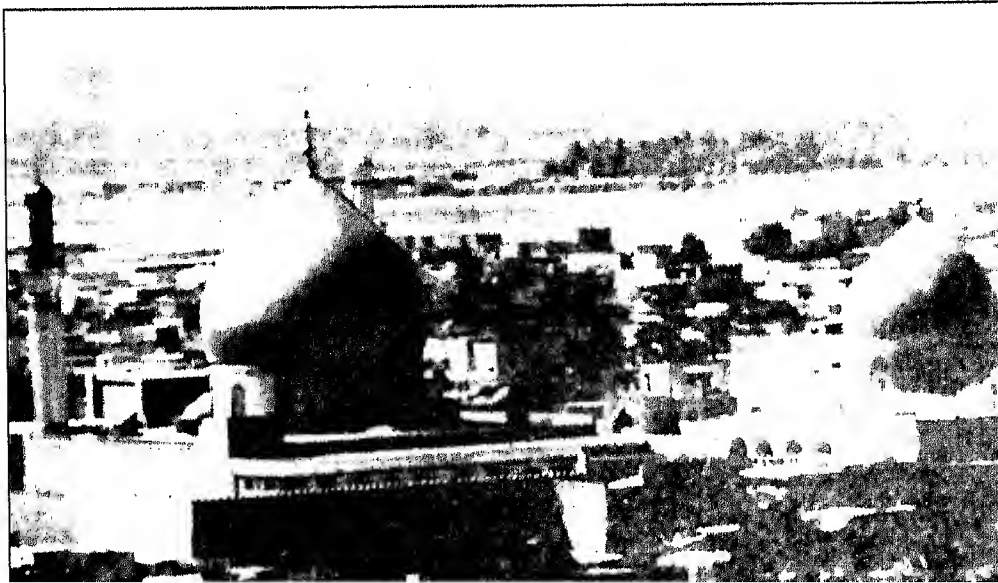
- زقورة بابل، في مدينة بابل الأثرية بالقرب من الحلة وإلى الجنوب من بغداد بحوالي ٩٠ كلم، وتتواجد ضمن حارة ضخمة مقدسة عند البابليين. طولها ٩١،٥ م. يرجع بناؤها إلى اواخر الألف الثاني ق.م.

- زقورة عقرقوف، على بعد نحو ٣٠ كلم إلى الجنوب من بغداد. لارتفاعها ٥٧ م، وفي الأصل ٨٧ م.

- زقورة بورسيبا، «برس نمرود»، الأثرية على بعد ١٥ كلم إلى الجنوب من مدينة الحلة. ترتفع بقاياها ٤٧ م. وبالتقرب منها يوجد تل مرتفع عليه مزار يعتقد البعض انه مقام ابراهيم الخليل أو قبره.

\* سامراء: مدينة عراقية. تقع على الضفة اليمنى

#### الروضة العسكرية في سامراء



وقصر الوثائق المعروف بالهاروني، وقصور التوكل، وأبرزها: الجعفري والعروس والصبيح والمليح والمختار والوحيد والعشوق وغيرها.

بدأ اهتمام الأوروبيين بآثار سامراء منذ أواسط القرن التاسع عشر، لكن أعمالهم في التنقيب تأخر إلى نهاية العقد الأول من القرن العشرين عندما قام المهندس الفرنسي، فيرله، بتنقيبات استكشافية في قصر الخليفة (صيف ١٩١٠)، وأعقبه في السنة التالية العالم الألماني هرتزفيلد. وفي ربيع ١٩٣٦ بدأت مديرية الآثار العامة في بغداد تنقيباتها في سامراء انتهت في ١٩٣٩. ومن أبرز ما عثر عليه خلال كل عمليات التنقيب حتى تاريخه (الحرب العالمية الثانية) زخارف جبسية، ومواد خزفية، وكتابات على الجدران أو على الفخار والرخام والخزف والمعادن، إلى جانب كميات كبيرة من النقوش والزخارف على الاواني الفخارية، والقطع الخشبية المزخرفة بطريقة الحفر والخزف، وبمجموعة خواتم واقراط وسلاسل...

وفي ١٩٧٢، عثر عمال لطافت، وهم يقومون بمد اسلاك في سامراء، على لوحة شبه مربعة من الرخام. وبعد إتمام معالجتها تخبرياً في المتحف الوطني في بغداد تبين أنها ساعة شمسية، ومن خطوطها وكتابتها عبارة «صنعة علي بن عيسى» الذي عاش في سامراء في أواسط القرن التاسع الميلادي. والمعروف ان الساعات العربية كانت ذاتة الصيت تفاخر في إهدائها الخلفاء والحكام والأثرياء، وليس أدلّ على ذلك من الساعة التي أهداها الخليفة هارون الرشيد إلى شارلمان، أو الساعة التي أهداها صلاح الدين الأيوبي إلى فردريك الثاني سنة ١٢٣٢.

\* سلمان بك: راجع «المدائن» في هذا الباب.

\* سنجان: مدينة عراقية (نحو ٥٠ ألف نسمة أكثرهم من اليزيديين). هي سنجان القديمة. أعلنها مرقس أوريليوس (امبراطور وفيلسوف روماني ١٦١-١٨١)، حارب البرابرة واصطدم بالفريين، السلالة التي حكمت إيران) مستعمرة رومانية. هاجمها الفرس عدة مرات. احتلها شاپور الثاني ونقل سكانها إلى فارس. ثم أعادها الامبراطور الروماني يوليانيوس من جديد ٣٦٣. اشتهرت في العهد العباسي بتقدمها، فأصبحت إحدى حواضر العراق المهمة. وهناك جبل سنجان، وهو كتلة صخرية في العراق قرب الحدود مع سورية ويشرف على مدينة سنجان.

عرفت بـ«سرّ من رأى»، وربما كانت سامراء من كلمة آرامية مثل عكبرا ويعقوبا وبقسايا. وهذه المواضع تنتهي بالألف المقصورة وهي العلاقة المميزة للكلمات السريانية الآرامية في بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام، وكانت سامراء عامرة بالاديرة وربما كانت منها كربلا».

وعن أسباب بناء المدينة في الموقع الذي أقيمت عليه، جاء في تاريخ الطبري ان المعتصم «أزمع الابتعاد عن بغداد لأن الجند شغبوا حين بويح له بالخلافة، فطلبوا العباس بن المأمون ونادوه بالخلافة، فأرسل المعتصم إلى العباس فبايعه هذا وأسكت الجند. وعند ذلك طلب المعتصم إلى وزيره أحمد بن خالد ان يشترى له بناحية سامراء موضعاً يبني فيه مدينة لأنه تخوف ان يصيح الحريية (جند العرب) صيحة فيقتلوا غلماناه، ولكي يكون فوقهم، فان رابه منهم ريب أتاهم في البر والبحر حتى يأتي عليهم».

ولما رأي أجمع عليه مؤرخون آخرون يتفق مع ما جاء في تاريخ الطبري، مفاده ان سبب بناء المدينة يرجع إلى كثرة جيوش المعتصم من الأتراك الذين كانوا يضاهقون أهل بغداد حتى بلغ بهم الأمر أن طلبوا من الخليفة ان يخرج عنهم بجندهم وإلا حاربوه، فنقل ذلك على المعتصم وعزم على الخروج من بغداد، وبنى سامراء واتخذها عاصمة له في ٨٣٦.

ردلّ تخطيط المدينة على براعة فائقة في تخطيط المدن. وازدهرت بشوارعها، وأنشئت الحمامات والمرافق الأخرى، وحفرت الأبنية ونصبت الدواليب والدوالي عليها، وحملت إليها الغروس والنخيل من سائر البلدان. وزادت المدينة سعة ومرافق وأبنية في عهد التوكل بعد المعتصم، فاندفع الناس يشيدون البيوت والقصور، واتسعوا في ذلك أكثر من اتساعهم في بغداد.

أبرز معالم سامراء العمرانية والحضارية: المسجد الجامع ومئذنة الملوية، وبمجموعة القصور، والشارع العظيم، والأسوار، ودور العامة.

المسجد الجامع، وسّعه الخليفة التوكل وكان بناه أبوه المعتصم بعد ان ضاق المسجد بالمصلين، وكانت مساحته نحو ٣٨ ألف م.م ويتسع لنحو ٨٠ ألف مصل. أما مئذنته الملوية فتقع على بعد ٢٥ م من الجدار الشمالي للمسجد، ويبلغ ارتفاعها نحو ٥٢ م. ومن مساجد سامراء الأثرية مسجد جامع ابي دلف الكبير الذي بناه التوكل في «التوكلية» وهي مدينة بناها التوكل وملحقة بسامراء وتبعد عنها نحو ٢٥ كلم.

أما أشهر قصور سامراء: قصر الخليفة المعتصم،





نختمان سومريان يحملان لقوشاً زراعية وحيوانية

لغة الانسان في بحثه الدائم المتطلع عن أصول الأشياء أو بعبارة أخرى «أوائل الأشياء» في تاريخ الحضارة. مثلاً: ماذا كانت أولى مثل الانسانية الاخلاقية المدونة؟ وماذا كانت آراؤه الدينية؟ وكيف كانت أفكاره السياسية والاجتماعية الفلسفية؟ كيف كانت اوائل المدونات في التاريخ والأساطير وقصص الملاحم والتراويل الدينية؟ كيف كانت تصاغ أولى العقود القانونية؟ من كان أول مصلح اجتماعي؟ متى حدث لأول مرة في التاريخ أول تخفيض في

أبرز معالمها الأثرية: المنارة، والمسجد، وأطلال كنيسة زكريا وكنيسة القديس جورجوس (شفيع مسيحي المدينة)، والصور الروماني (القرن الثالث)، ومبان ومدافن يزيديية.

تعود المنارة إلى العام ١١٦٩، ما دعا المؤرخين إلى اعتبار قطب الدين مسعود ابن زنكي (أحد أحفاد عماد الدين زنكي) هو بانيها (مجلة «بغداد»، بالفرنسية، تصدرها وزارة الثقافة والاعلام العراقية، العدد ٢٧٩، تشرين الاول ١٩٨٨، ص ٢٦-٢٧).

\* سومر: هي المنطقة التي تشكل جنوب العراق. كثيراً ما يجري تعريفها، حالياً، بـ«المنطقة المتطابقة لبلاد ما بين النهرين والمناحة للخليج العربي-الفارسي»، مع ملاحظة التغييرات الجغرافية الحاصلة في هذه المنطقة، إذ إن ساحلها القديم، على ما يقول العلماء، كان على بعد نحو ٢٥٠ كلم شمال-غربي الساحل الحالي. و«سومر» نسبة إلى السومريين، وهم شعب غير سامي امتزج بشعب سامي هو «الأكديون»، وبات الكلام يجري على حضارة «سومرية-أكدية» رغم اختلاف اللغتين. عرفت هذه الحضارة صناعة النحاس والقرميد، وهي أول حضارة إنسانية ابتكرت هندسة العمارة والبناء (المعابد، وبعدها الزقورات) والكتابة (الرسمية ثم المسمارية). وانتشر أثر الحضارة السومرية، على يد الأكديين، في كل آسيا الداخلية، واستمر هذا الأثر في أيام البابليين.

«من ألواح سومر» (وتعداد هذه الألواح يبلغ عشرات الآلاف) لمؤلفه صمويل نوح كرامر Samuel Noah Kramer، الاختصاصي الشهير في الأبحاث السومرية، والموضوع في اواسط هذا القرن، والذي ترجمه إلى العربية، بمساعدة مؤسسة فرانكلين، طه باقر (مكتبة المثني ببغداد ومؤسسة الخانجي بالقاهرة)، هذا الكتاب هو في أساس كل علم أو معرفة عن سومر والسومريين.

شيء واحد يريد ان يقوله، ويثبته، الكتاب (بفصله ٢٥ وصفحاته ٤٥٨)، هو ان كل علم، وكل أدب، وكل معتقد، وكل رأي، وكل سلوك، وكل مؤسسة... أوله يعود إلى سومر وحضارة السومريين. وكان حضارة الانسان اليوم، بكل عناصر الحياة الشخصية والفردية أو العامة، هي الطابق الأعلى في عمارة واحدة أساسها الحضارة السومرية (الألف الرابع-الألف الثالث ق.م).

فكل بحث في حضارة سومر يستطيع «ان يشبع

ونزوعاً إلى ما وراء المادة. وخلص المؤلف، خزعل الماجدي إلى اعتبار الثقافة السومرية أول ثقافة بشرية أصيلة ساهم الإنسان والطبيعة وتراث العصور القديمة في صياغتها، ولذلك كانت هذه الثقافة مصدر ثقافات العالم القديم كله.

\* شادوم: راجع «بغداد» في هذا الباب.

\* شط العرب: راجع «مسألة شط العرب» في باب معالم تاريخية.

\* شغاثا: راجع «عين التمر» في هذا الباب.

\* طيسفون: راجع «المدائن» في هذا الباب.

\* عقرقوف: راجع «بغداد» في هذا الباب.

جانب من واجهة حصن الاخيضر في عين التمر.



الضرائب؟ من كان أول مشرّع؟ متى اجتمع أول برلمان ذي مجلسين ولأي غرض كان اجتماعه؟ وكيف كانت أولى مدارس التعليم عند البشر؟ وكيف كانت مناهجها وهيئة مدرسيها وطلابها؟ إن هذه وكثيراً من نظائرها من «أوائل الأشياء» في تاريخ الإنسان المدوّن لمهي من صلب اختصاص الباحث في السومريات. ففي وسعه أن يجيب بالجواب الصحيح عن تلك الاسئلة الكثيرة الخاصة بالاصول الثقافية (...). وهناك حقيقة عجيبة هي انه قبل قرن مضى لم يكن أحد يعرف أي شيء حتى عن وجود هؤلاء السومريين في العصور القديمة، وإن المنقبين عن الآثار والعلماء والباحثين الذين بدأوا قبل نحو مائة عام ينقبون ويبحثون في ذلك الجزء من الشرق الاوسط المعروف باسم بلاد ما بين النهرين (العراق) لم يكونوا ينقبون ويبحثون عن السومريين وإنما عن الآشوريين والبابليين. وكان لدى هؤلاء الباحثين عن هذين القومين وعن حضارتيهما اخبار غير قليلة من المصادر الاغريقية والعبرانية. أما عن بلاد سومر والسومريين فلم يكن لديهم أية إشارة أو لمحة، إذ لم يرد أي أثر معروف عن بلاد السومريين أو عن أهلها في جميع المصادر المتوافرة لدى الباحث الحديث. فإن نفس «إسم» سومر قد أمّحى من فكر الانسان وذاكرته طوال أكثر من ألفي عام» (من مقدمة المؤلف، صمويل كزيمر، المعرّبة، ص ٢١-٢٢).

المؤلفات عن سومر، بعد كزيمر، أي في هذا النصف الأخير من القرن العشرين، بلغت العشرات، بل المئات، آخرها حتى الآن كان «الدين السومري» لمؤلفه خزعل الماجدي (دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ١٩٩٨)، وفيه أن السومريين عاشوا ما يقرب من خمسة قرون في نظام سياسي مبتكر وجديد هو نظام دولة المدينة، الذي ساد بعدهم الشرق الأدنى كله، حيث لكل مدينة استقلال ذاتي وحاكم خاص وإله خاص، لكن هذه المدن يجمعها تفاهم سياسي وحضاري وديني واضح. وقد كان ظهور هذا النظام المتحضر سبباً في دفع التطور الانساني وابتكار المجالس البرلمانية وممارسة نوع من الديمقراطية. وكان المعتقد السومري بمثابة المعتقد الاول للإنسان من حيث امتلاكه أنظمة لاهوتية وميتولوجية وشعائرية متكاملة ومنسجمة في ما بينها. وفي التراث السومري أدب ديني غزير مما يبرهن على كون الانسان في تلك العصور مشبعاً بالمبادئ والتعلق بالقيم. ومع أن تلك الاحيال السحيقية في القدم كانت تؤله القوى الطبيعية، إلا أنها كانت تحمل عاطفة روحية سامية، وميولاً دينية قوية،

## \* عين التمر (وحصن الاخضر): مدينة عراقية

تقع في بقعة شبه صحراوية تحتوي على مياه جوفية، في الجانب الغربي من العراق. تبعد عن كربلاء نحو ٦٧ كلم إلى الغرب منها. وكانت تدعى قبل إسمها الحالي شفاتا. واستمر إسم شفاتا على أكبر وأهم واحات الهضبة الممتدة إلى الغرب من نهر الفرات. وهي عبارة عن غابة من النخيل وأشجار الرمان والزيتون، تقطعها طرق ريفية ضيقة ترتفع عن مياه صافية، وتنتشر فيها عيون معدنية (نحو ٧٠ عينا كبيرة وصغيرة) كان حصن الأخضر يعتمد على مياهها.

أعيد إسم عين التمر (في السنوات الأخيرة) ليحل محل شفاتا تخليداً لمدينة عين التمر المندثرة، والتي كانت في القرن الثالث من المدن العامرة والمحصنة، وكانت قضاء في الولاية الساسانية العاشرة. وصل خالد بن الوليد إليها وهو في طريقه لفتح الشام وكانت فيها حامية عسكرية ساسانية محصنة، فافتتح خالد الحصن عنوة وقتل وسبى من كان موجوداً داخله. فأصبحت المدينة، بمحصنها، حامية اسلامية.

أبرز معالم المدينة (عين التمر-شفاتا) التاريخية: حصن الأخضر الواقع على بعد نحو ١٧ كلم من عين التمر، ويعتبر من المباني الاسلامية التي أنشئت في الصدر الاول من الاسلام، اشتهر بضخامة بنائه وتفرد من حيث التصميم والبراعة في هندسته. مرافقه الداخلية مكرنة من البهو الكبير والمسجد ومجموعة دور، وإيوان كبير ومجموعة أرواق؛ زاره عدد من المستشرقين منذ اوائل القرن السابع عشر، منهم لويس ماسينيون (١٩٠٨). وكتب عنه مصطفى جواد (١٩٤٧). أما محمود شكري الألويسي فذهب إلى أن لفظة «الأخضر» معرفة عن «الأكيدر»، وهو إسم أحد أمراء كندة الذي أسلم في صدر الاسلام. وفي العام ١٩٣٤، بدأت مديرية الآثار العراقية بالكشف عليه، وفي ١٩٣٨، تم رفع الأنقاض المتراكمة عليه وحوله، وفي ١٩٦٠ بدأت أعمال صيانه وكشف أجزاء منه، واستمرت في ١٩٧٤، ثم في ١٩٨١.

بعض المؤرخين يستند إلى ما جاء في «معجم البلدان» لياقوت الحموي ليقول إن حصن الأخضر أقيم على أنقاض «قصر مقاتل» الذي هدمه عيسى بن علي بن عبد الله في القرن الثاني الهجري وأقام حصن الأخضر فوقه. أما ما جاء بصده في معجم البلدان أن «قصر مقاتل من الاماكن الواقعة بالقرب من عين التمر وينسب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة الذي يعود نسبه إلى امرئ القيس بن زيادة مناة بن ميم، ويدعى أيضًا قصر بني مقاتل».

## \* الفاو: مدينة ومنطقة في جنوبي العراق، حيث

تغطي مساحة ٩٢ ألف كلم م، أو ما يعادل ٢٠،٩٪ من مساحة العراق. أجمعت الدراسات الجيولوجية على ان منطقة الفاو جزء من مياه الخليج، وانها خضعت إلى حركة تقعر نشطة أدت إلى حدوث منخفض مستمر وواسع، وأسهمت الانهار والوديان من الشرق والغرب على قطع جزء من الخليج العربي بشكل بحيرة واسعة، ثم أسهمت أنهار دجلة والفرات بملء هذه البحيرة بالرواسب الغرينية التي تجلبها من منطقة المرتفعات الشمالية التي تتبع منها. وقد ظهرت منطقة الفاو كأحد جزء من العراق باعتبارها تقع عند نهاية الدلتا القريبة من ساحل الخليج العربي. والفاو أحد الأفضية السبعة التابعة لمحافظة البصرة.

جاءت أهمية الفاو الادارية عندما تأسست فيه أول محطة للتغراف في ١٨٦١ في موضع يقع بين جدول حاجي عبد الله وحاجي رشيد جنوبي البصرة بنحو ٩٧ كلم وقرب بناية الحجر الصحي العثمانية. وظلت الفاو ناحية صغيرة من نواحي البصرة حتى ١٩٠٣ عندما صيرها العثمانيون قضاء لتزايد أهميتها العسكرية، إلا انها أهملت وعادت ناحية مرة أخرى.

لكن أهميتها العسكرية، في نظر العثمانيين، سبقت أهميتها الادارية. إذ أخذت الدولة العثمانية تهتم باستحكامات شط العرب في أعقاب حملة الإحساء في ١٨٧١ موجهة اهتماماً آخر إلى الفاو باعتبارها تتحكم في مدخل شط العرب والمنفذ المهم إلى الاراضي الزراعية الغنية في العراق وإقليم عربستان. وبدأت زيارة المسؤولين في الدولة العثمانية لهذه المنطقة، حيث زارها الوالي رديف باشا في ١٨٧٤ لتفقد الاستحكامات فيها، ثم زارها القائد البحري العثماني في البصرة بأمر من السلطات العثمانية العليا لاختيار أرض مناسبة لاقامة حصن يتناسب وأهمية المنطقة التجارية. ونتيجة لذلك نشط الوكلاء السياسيون البريطانيون في المنطقة لاحتباط جهود الدولة العثمانية وأطماعها في الفاو. وتوالت تقارير القنصلية البريطانية في البصرة على السفير البريطاني في اسطنبول وحكومة الهند لإخبارهم بعزم العثمانيين على تجديد الحصن وتشيد فنار لإهداء السفن إلى شط العرب. ذلك ان العثمانيين كانوا بدأوا بتشيد حصن عسكري في الفاو في ثمانينات القرن التاسع عشر. وقد ثبت للبريطانيين ان زيارة قائد الاسطول العثماني في الفاو كانت من أجل تثبيت بعض العلامات في رأس الخليج العربي عند الحاجز الغريني الخارجي ومصب شط العرب، لتسهيل الملاحة للسفن القادمة إلى النهر. وقد

الملقب بـ«الكاظم» (ومنه الكاظمية) المعروف بحلمه وعفوه وكظمه للغضب والمتوفي سنة ٧٩١، وحفيده محمد بن علي بن موسى الملقب بـ«الجواد» لجوده وحلمه والمتوفي في سنة ٨٢٥.

يعتبر مشهد الإمامين نواة الكاظمية التي شيدت على أرض كانت تُعرف أيام الساسانيين بـ«قَطْرَهْل» وقد حولها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور إلى مقابر قریش وخصصت لدفن العباسيين والعلويين. ودُفن فيها كل من جعفر بن الخليفة العباسي المنصور وكذلك الخليفة العباسي الأمين ووالدته زبيدة، إضافة إلى الكثير من العلماء والفقهاء والشعراء والمؤرخين، من بينهم الشريفان الرضي والمرتضى والإمام أحمد بن حنبل وابن الأثير وابن الجوزي والشاعر عبد المحسن الكاظمي وغيرهم.

لعبت الكاظمية، تزامناً مع بغداد خلال العهد الإسلامي، دوراً حضارياً في تاريخ العراق والعالم الإسلامي. وكانت مصدراً لهضبة علمية وأدبية وفكرية، وأصبحت في فترات زمنية مختلفة مقر كبار العلماء والفقهاء ومكان تدريسيهم. وكان للكاظمية دور بارز في اندلاع ثورة ١٩٢٠، وكان لتأكيد علمائها ومساندتهم للفنرى التي اصدرها من مدينة كربلاء المرجع الديني الشيخ محمد تقي الخائري الشيرازي في ٢٣ كانون الثاني ١٩١٩ التي حُرِّم فيها على المسلم ان يفتار غير المسلم لحكم البلاد أكبر الأثر في تأسيس الدولة العراقية الحديثة في ١٩٢١.

أبرز معالم المباني الدينية في الكاظمية مشهد الإمامين بماآذنها وقبابها الذهبية ومواد بنائها من الرخام والمرمر والزخارف، والحسينية الحيدرية (بنيت في ١٨٦٣)، والأسواق التجارية. ويقع مشهد الإمامين (أو الروضة الكاظمية) في وسط المدينة، وتضم رفات الإمامين موسى الكاظم وحفيده محمد الجواد. شيدت في ١٢٤٩ في عهد الخليفة العباسي المستعصم بالله.

\* كربلاء: مدينة عراقية إلى الجنوب الغربي من

بغداد بنحو ١٠٥ كلم. موعلة في القدم، إذ كشفت التنقيبات الأثرية عن ان الانسان القديم سكن في منطقة كهوف الطيار القريبة من كربلاء الحالية خلال العصر الحجري الحديث. وفي عهد البابليين كانت مجموعة قرى بابلية قديمة أشهرها وأكبرها نينوى الواقعة إلى الشمال الشرقي من مدينة كربلاء الحالية (وينوى هذه غير نينوى عاصمة الآشوريين التي تقع في شمالي العراق قرب مدينة الموصل). وللتلليل على ذلك جاء في كتاب «مراصد

اعتبرت الحكومة البريطانية ان اهتمام الدولة العثمانية في المنطقة وتسهيلها للملاحة في شط العرب هو محاولة للاضرار بالمصالح البريطانية، فكانت توعد للحكومتين الهندية (المدعومة منها) والارانية بالتهويل على العثمانيين.

في الحرب العراقية-الارانية (حرب الخليج الاولى)، احتلت ايران الفاو لفترة قصيرة ومنطلقاً لأهداف عسكرية وسياسية أوسع. لكن الجيش العراقي تمكن من استعادتها (ثم التوغل في داخل الاراضي الارانية) في إطار خطة عسكرية ومعارك طاحنة مشهود لها في التاريخ العسكري بحسب ما صدر من أنباء وتعليقات عالية عليها.

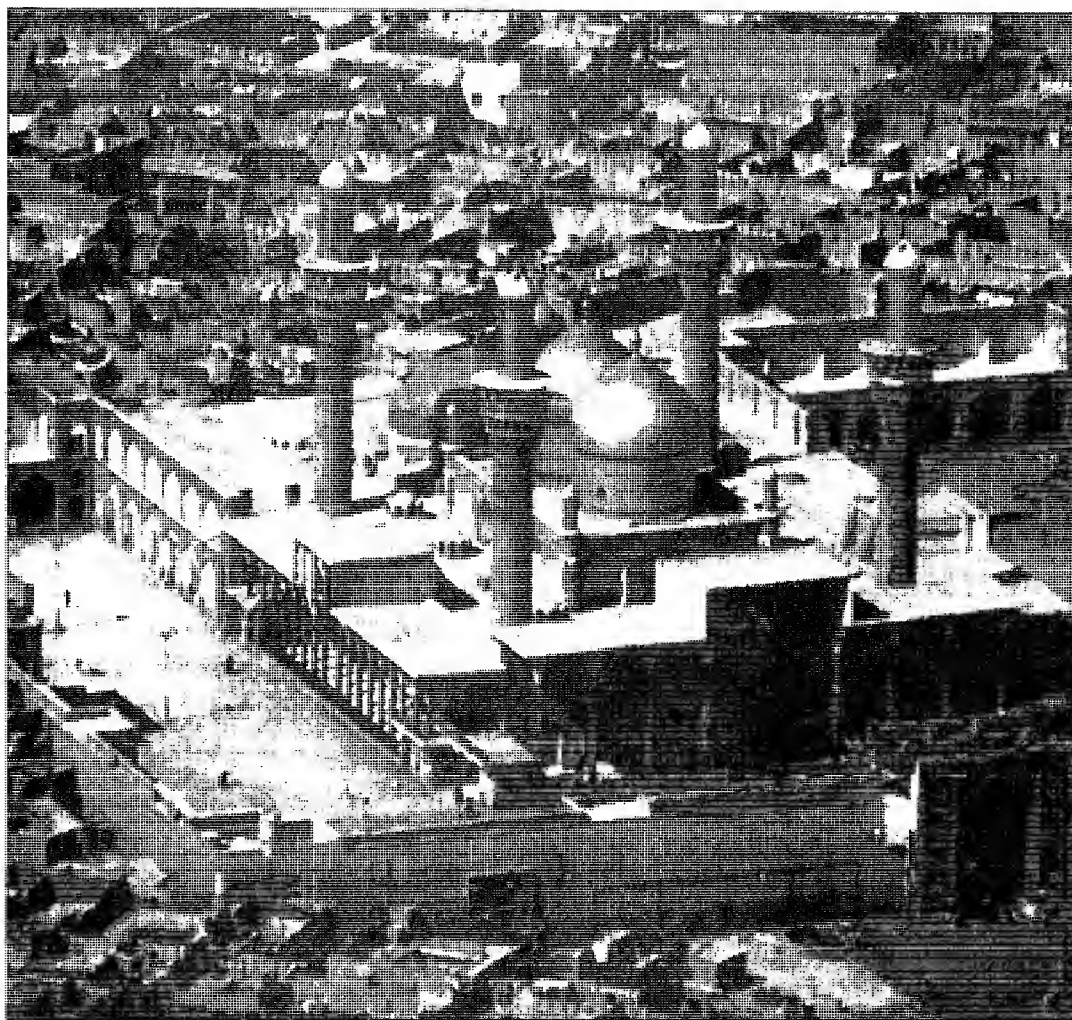
لمنطقة الفاو أهمية اقتصادية للعراق ومنطقة الخليج، تمثل بموقعها، وبزيتها الرسوية الغنية (النخيل، الخناء، الخضراوات، البت-للعلف-)، والملح حيث تعتبر مملكة الفاو أهم المالح في العراق، وبدور الفاو في نقل النفط العراقي. ففي ١٩٤٩، اكتشف النفط في منطقة الزبير في محافظة البصرة بكميات تجارية. فأنشئ في ١٩٥١ خط الزبير-الفاو بطاقة سنوية ٥،٢٥ مليون برميل، وبلغت كمية النفط المصدرة في ١٩٥٤ نحو ٣١،٥ مليون برميل، ومثلت ١٦،٦٪ من كمية ما نقل عبر الأنابيب إلى البحر المتوسط.

كان ميناء الفاو أول ميناء عراقي أنشئ لتصدير نطق الحقل الجنوبية. وتوقف العمل به بسبب تشغيل مينائي حور العميه والبكر على أسس حديثة. فالميناء الاول ميناء عائم في الخليج العربي على بعد ٤٠،٢ كلم جنوبي ميناء الفاو، أنشئ في ١٩٦٢ ويتكون من ٥ جزر صناعية صغيرة تتصل بمسور، يضح إليه النفط من ميناء الفاو. أما ميناء البكر فهو من الموانئ العائمة أيضاً في الخليج وعلى بعد ١٥،٥ كلم جنوبي الفار، وأنجز في ١٩٧٥ بالاتفاق بين شركة النفط الوطنية وموسسة ايراب الفرنسية، ويتميز بقدرته على استقبال الطائرات العمودية واستعمال أجهزة السيطرة الحديثة (عن د.فلاح شاكر أسود، استاذ في كلية الآداب-جامعة بغداد، مجلة «المورد» العراقية، العدد ٢، ربيع ١٩٨٨، ص ٣-١٦).

\* الكاظمية: مدينة عراقية تبعد نحو ١٠ كلم عن

بغداد. كانت تعتبر مجاورة لبغداد، أما الآن، ومع التوسع العمراني، فقد اندمجت بالعاصمة وأصبحت جزءاً منها أو ضاحية لها.

تعد الكاظمية إحدى أهم المدن الدينية في العراق والعالم الإسلامي. تضم مشهد الإمامين: موسى بن جعفر



الروضة في وسط الكاظمية.

جانب من دار الامارة في الكوفة بعد التقيبات والزيميات.



علي إليها في ٦٨٠، منها نينوى (غير نينوى-الموصل كما تقدم ذكره) وعمورا وماريا وصفورا وشفيا. وكانت على مقربة من هذه القرى منطقة تدعى «النوايس» وهي مجموعة مقابر للمسيحيين الذين سكنوا هذه الاراضي قبل الفتح الاسلامي للعراق، وتقع هذه المقابر اليوم في شمال غربي كربلاء في اراضي الكمالية بالقرب من المنطقة التي يقع فيها مرقد الحر بن يزيد الرياحي.

وأطلق على مدينة كربلاء الحالية، بعد استشهاد الإمام الحسين ٦٨٠ أسماء عدة منها: مشهد الحسين، ومدينة الحسين، والبقة المباركة، ومرضع الابل، وعمل الوفاء، والحائر، والحير... إلا ان أشهرها هو «الحائر» لما أحيط بهذا الاسم من الحرمة والتقديس. وقد اختص «الحائر» في ما بعد بالمرقد في الغالب.

ولم تكتسب كربلاء هذه المكانة التي لها الآن لولا استشهاد الحسين وصحبه في هذه البقة (٦٨٠). كما وتدين المدينة بنشأتها إلى واقعة الطف، وكان نواتها قبر الإمام الحسين، إذ قام رهط من بني أسد سكان القرى المجاورة للمنطقة بنصب معالم عليه كي يُستدل بها ولا يضيع أثره وذلك بعد يومين من انتهاء المعركة. ويذكر بعض المصادر التاريخية ان المختار بن ابي عبيدة الثقفي، ايام امرته على الكوفة، أقام بناء القبر وعليه قبة من الطابوق (الأجر)، وهذه القبة تعدّ الأولى في الاسلام، وذلك سنة ٦٨٦، وشيد مسجداً بجانب القبر. ويعتبر هذا البناء أول بناء في كربلاء، كما شيد قرية صغيرة تحيط بالقبر.

وبدأت المنطقة تتطور شيئاً فشيئاً، وذلك لكثرة الزائرين إليها واختيار بعض المسلمين، خصوصاً العلماء والرواة والمحدثين للاقامة فيها حتى أصبحت حاضرة إسلامية لها شأنها بين المدن الاسلامية. ومن أبرز ما تميزت به الدراسات الدينية ذات الطابع التقليدي «نظام الحلقات».

فعند بداية الحكم البويهي في ايران والعراق، تأسست المدارس الاسلامية في المدن التي كانت تحت سيطرتهم. وأول مدرسة اسلامية شيدت في العراق كانت في كربلاء وهي «المدرسة العضدية» من قبل عضد الدولة البويهي (٩٨٠)، وقد أزيلت آثار هذه المدرسة في ١٩٣٥ لغرض فتح شارع يحيط بالروضة الحسينية. كما شيد عضد الدولة مدرسة أخرى أحرقها بصحن الروضة الحسينية (أزيلت كذلك في ١٩٤٨). وعند زيارة ابن بطوطة إلى كربلاء (١٣٢٧) نوه بوجود «مدرسة عظيمة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادر»، والمدرسة المقصودة

الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع» لصفي الدين بن عبد الحق: «إن بسواد الكوفة تقع ناحية تسمى نينوى منها كربلاء التي قتل فيها الإمام الحسين». وورد في كتاب «بغية النبلاء في تاريخ كربلاء» لعبد الحسين الكيلدار آل طعمة انه يوجد على بضعة أميال في القسم الشمالي الغربي من مدينة كربلاء أطلال وأكم قيل إنها كربلاء الأصلية. وذكر لويس ماسينيون (مستشرق فرنسي شهير) في كتابه «حطط الكوفة» ان كربلاء كانت قديماً معبداً للكلدانيين في مدينة تسمى «نينوى». وظلت المدينة محتفظة بمكانتها في عهود التتوحيين واللخمييين والمناذرة يوم كانت الحيرة عاصمة مملكتهم. أما الأقوام التي سكنتها فكانت تعتمد على الزراعة لخصوبة تربتها وغزارة مائها وكثرة العيون التي كانت منتشرة في أحيائها. وفي عهد الساسانيين الذين قسموا العراق إلى ١٠ استانات (ولايات) كانت كربلاء تابعة للولاية العاشرة.

أما بالنسبة إلى الاسم، «كربلاء»، فيقول الدكتور مصطفى جواد المؤرخ واللغوي العراقي المعروف «إن إسم كربلاء ليس عربياً وإن محاولات ردها إلى الاصول العربية غير صحيحة وتصطدم بعقبات تاريخية ولغوية، إذ إن موقعها خارج عن الجزيرة العربية وإن في العراق كثيراً من البلدان ليست أسماءها عربية كبغداد وبابل وبعقوبا». ويرى فريق من المؤرخين ومنهم الأب أنستاس ماري الكرملي ان لفظ كربلاء ذكر في كتب الباحثين، ومنحوت من كلمتين آشوريتين هما «كرب» بمعنى معبد أو حرم، و«إل» بمعنى إله في اللغة الآرامية، ومجموع الكلمتين «معبد الاله». ويقول الشيخ آغا برك الظهراني ان كلمة كربلاء متكونة من كلمتين هما «كار» أي الفعل، و«بالا» أي السامي والعلوي باللغة الفارسية، فيكون معنى اللفظة «الفعل العلوي» أو «العمل السماوي» المفروض من الأعلى.

وكان إسم كربلاء معروفاً قبل الفتح الاسلامي وقبل ان يسكنها العرب المسلمون، وذكرها بعض المسلمين الذين رافقوا خالد بن الوليد. وورد في «معجم البلدان» لياقوت الحموي ان كربلاء سميت بـ«الطف» لأنها مشرفة على العراق وذلك من «أشرف على الشيء أي أطل، والطف: طف الفرات أي الشاطيء». وجاء أيضاً في المصدر نفسه ان الطف أرض من ضاحية الكوفة في طريق الرية فيها كان مقتل الحسين بن علي بن ابي طالب. ويشير بعض المصادر التاريخية إلى ان كربلاء الحالية كانت قبل الاسلام منطقة تحيط بها قرى قديمة عند قدوم الحسين بن

أنابيب لنقل النفط إلى تركيا وسورية (بانياس) ولبنان (طرابلس)، أقفل العمل به في ١٩٨٢). وكانت عدة آبار نفطية في كركوك قد تعرضت للحريق إبان المعارك بين الجيش العراقي والمتمردين الأكراد في ١٩٩١.

اشتهرت المنطقة منذ العهدين البابلي والآشوري. دعاها الساسانيون «كركمان»، والمصادر السريانية «بيت كرمي»، وعُرفت كذلك باسم «كرخا دبيت سلوخ». أصبحت في العهد الساساني مركزاً مسيحياً نشطاً ومهماً. ضمها العباسيون إلى ممتلكاتهم في ١٢٣٢، واحتلها المغول، ثم الصفويون (القرن السادس عشر)، فالعثمانيون بعد معاهدة أماسيا. شهيرة بيرانها الدائمة في باب كركوك التي تحدث عنها هيرودوتس والتي لا تزال ملتهبة حتى اليوم. ويعيد العلماء سبب ذلك إلى غنى أرض هذه المنطقة بالنفط وقربه من سطح الأرض.

\* الكوفة: تعتبر إحدى أهم مدن العالم الإسلامي التي اختطها المسلمون منذ بداية الفتح الإسلامي للعراق. تقع على شاطئ الفرات مباشرة وتبعد عن مركز مدينة النجف الأشرف نحو ١٠ كلم وعن بغداد نحو ١٧١ كم باتجاه الجنوب الغربي. تعد نحو ٥٠ ألف نسمة.

عندما انطلق جيش سعد بن أبي وقاص محرراً مناطق العراق في معركة القادسية وللدائن برزت ضرورة اتخاذ مركز لانطلاق الجيش. فاعتمد سعد على رائدي الجيش سليمان وحذيفة بن اليمان لاختيار الموقع المناسب لإنشاء دار الحجره هذه. فوقع اختيارهما على موضع مرتفع بين الحيرة والفرات وصف بأنه لسان بري يشتهر بنباتاته من الشيح والأقحوان والقيصوم والشقائق. وروعي في تخطيطها أن يكون مشابهاً لتخطيط مدينة البصرة. فأمر الخليفة بأن يكون المسجد الجامع في القلب وتكون دار الإمارة قريبة منه. بنيت بيوتها أولاً من قصب. وبعد احتراقها بعد سنة، أذن الخليفة عمر (٦٣٤-٦٤٤) في أن يُعاد بناؤها من حجر، على ألا «يزيدن أحد على ثلاثة أيات، وألا يتناولوا في البناء» (ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٢٣). ولكن سرعان ما توسيت هذه البساطة الأولى التي كانت ترمي إلى بناء مجتمع دون طبقات. وكان في الكوفة قبل ذلك ثلاثة أديرة للمسيحيين هي: دير حرقة، دير أم عمرو ودير سلسلة. وفي أواخر ٦٣٨، بدأ يقوم تجمع هائل من القبائل العربية حول مركز المدينة المتكون من المسجد الجامع ودار الإمارة (شيدهما سعد بن أبي وقاص) والأسواق. وجاء قسم من هذه القبائل من مناطق

بكلامه هي «جامع ومدرسة ابن شاهين» الملاصق لأبنية الروضة الحسينية، والذي تحول إلى مدرسة علمية ودينية مهمة. وأما الزاوية فهي «دار السيادة» التي أقامها السلطان المغولي محمود غازان خان وجعلها وقفاً على الفقراء والمساكين.

وأدى تطور الحركة الفكرية والدينية إلى انتشار المدارس العلمية والدينية في كربلاء. لكن عدداً كبيراً منها أزيل في فترات زمنية مختلفة نتيجة فتح شوارع جديدة خصوصاً في المنطقة المحيطة بالروضتين الحسينية والعباسية، وقسم منها تحول إلى الخراب نتيجة الإهمال. وكانت هناك مدارس شيدها الأهالي والسلطات العثمانية والبريطانية وجاليات الهند المسلمين، وأشهرها المدرسة الجعفرية (تأسست في ١٩١٤) والمدرسة الحسينية (١٩٠٩) والمدرسة الرشيدية (١٩١٠).

ومنذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة (١٩٢١)، بدأت الحكومة بإنشاء مدارس رسمية أخذت على عاتقها تعليم أبناء مدينة كربلاء جنباً إلى جنب مع المدارس الإسلامية الأهلية الأخرى.

أما أشهر المدارس العلمية الإسلامية في كربلاء فهي: مدرسة السردار حسن خان القزويني (شيدتها في ١٨٥٤)، ومدرسة السيد الجاهد التي شيدت في ١٨٥٤ وتقع بالقرب من مرقد السيد محمد الجاهد الطباطبائي، ومدرسة صدر الأعظم النوري (١٨٥٢)، والمدرسة الزينية، لكنها هدمت في ١٩٤٨.

أما جامع ومرقد الإمام حسين، بجانب جامع ومرقد أخيه العباس، من أبرز معالم المدينة العمرانية. وإضافة إلى دور كربلاء في تطوير الحركة العلمية والأدبية والفكرية، فقد ساهمت في النهضة الوطنية واستقلال العراق ١٩٢١ (عسن رؤوف محمد علي الانصاري، «الحياة»، الأعداد ١١٢٩٩، ٢٢ كانون الثاني ١٩٩٤، ص ١٨، ١١٧٩٥، ٨ حزيران ١٩٩٥، ص ٢١، ١٢٣٩٦، ٤ شباط ١٩٩٧، ص ٢١).

\* كركوك: مدينة عراقية. تقع في الشمال عند أطراف كردستان العراق الجنوبية، بين الموصل وبغداد. تعد نحو ١،٥ مليون نسمة. يقطنها عرب وتركمان وأكراد وأشوريون. سوق تجاري مهم لمنتجات كردستان العراق الزراعية (الحنطة والفواكه). صناعات متعددة، ومصفاة مهمة لتكرير النفط الذي تعتبر كركوك أهم منتج له في البلاد (اكتشف النفط فيها منذ ١٩٢٧)، ومنها تنفخ

استمرت فيها السكنى إلى فترة الحكم الساساني للعراق، الذي اتخذ منها مقراً لحكمه. وفي ٥٤٠ استولى أنوشروان العادل على انطاكيا الشام وسلوقية نهر الكلب، وأجلى أهل سلوقية هذه إلى عاصمته طيسفون، فأنزلهم فيها في ريف جديد عرف بـ«رومية» أي المدينة الرومية اليونانية، وشيدت على غرار انطاكيا. وكان هذا الموقع بائناً حين فتح المسلمون العرب العراق بعد ذلك بقرن واحد (أي في ٦٣٧) بقيادة سعد بن أبي وقاص الذي اتخذ المدائن مقراً لجيوشه وأرسل منها حملات فرعية إلى مختلف المناطق العراقية. وبعد فتح العراق بالكامل، رأى سعد أن يتخذ موقعاً آخر، فاختار الكوفة لموقعها على مشارف الصحراء بحيث يبقى الاتصال ببلاد العرب المسلمين. وكانت المدائن في العصور الإسلامية بلدة صغيرة أهلة بالسكان ولها مسجد جامع، وبالقرب منه ضريح الصحابي سلمان الفارسي وعلى مقربة منه قبران للصحابين حنيفة بن اليمان وعبدالله بن جابر الانصاري، وحوله بلدة صغيرة تسمى سلمان باك أي سلمان الطاهر.

أبرز معالم المدائن: جامع ومرقد سلمان الفارسي، وطاق المدائن (طاق كسرى).

يقع جامع ومرقد سلمان الفارسي بالقرب من نهر دجلة وطاق كسرى، والمرقد يعود إلى أبي عبد الله سلمان الفارسي الصحابي الجليل وهو من بلاد فارس (من رامهرمز، وقيل إنه من أصفهان من قرية يقال لها حي) أسلم عند قدوم النبي محمد المدينة المنورة. ويذكر المؤرخون أن سلمان صار والياً على المدائن في العراق ٦٣٨ (في عهد الخليفة عمر).

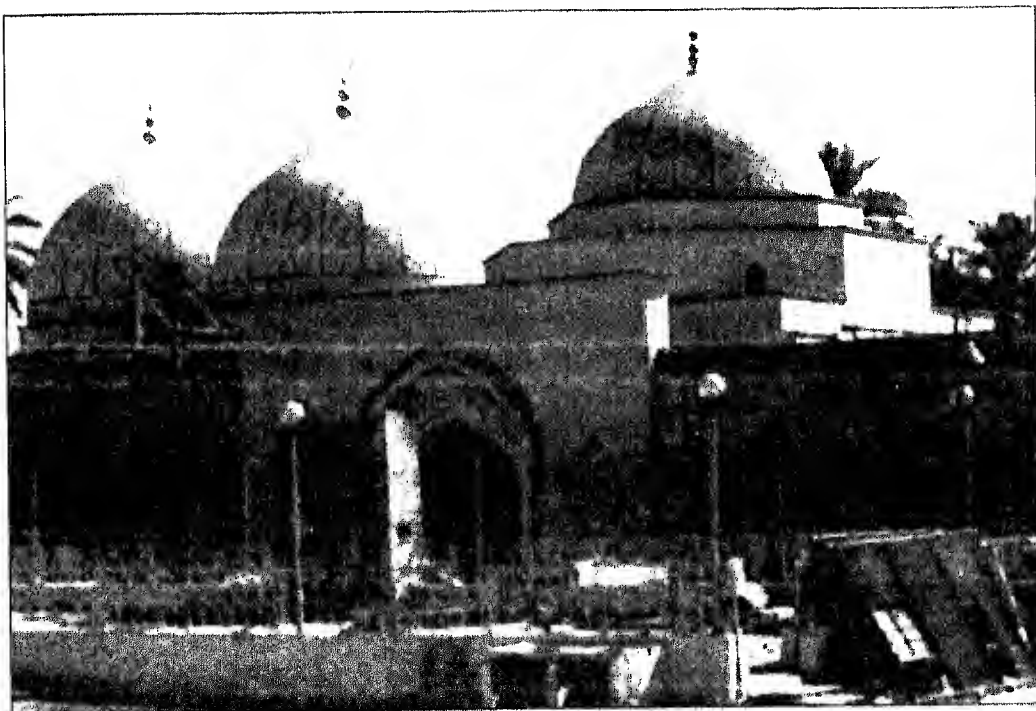
أما طاق المدائن (طاق كسرى) فيعتبر أحد أهم القصور الكبيرة التي شيدها الملوك الساسانيون، وكان يعرف أيام العباسيين بـ«القصر الأبيض» أو «إيوان كسرى»، وورد ذكره في الكثير من المصادر التاريخية والجغرافية. ومما يذكره بصدده أن الخليفة العباسي المنصور أمر بهدمه واستعمال آجره في بناء مدينة جديلة (بغداد). وحاول وزيره خالد البرمكي عبثاً إقناعه بالعلول عن هدمه. ولكن الخليفة عاد وعدل عن الاستمرار في الهدم عندما تبين له أن ذلك يكلف أكثر من صنع الأجر الجديد للبناء. في ١٨٨٥، زارته الرحالة المعروفة ملدام دولافرا مع زوجها وصورته قبل أن يسقط جناحه الشمالي بعد ذلك بسنتين على أثر فيضان نهر دجلة. ويعتبر طاق المدائن اليوم معلماً من المعالم الرئيسية المعمارية والسياحية في العراق، وهو من أشهر الأفراس وأكثرها وأعلىها في العالم القديم (يلغ ارتفاع قوسه ٣١م).

بعيدة، والقسم الآخر من المناطق المجاورة للكوفة.

علت مكانة المدينة عندما اتخذها الخليفة علي بن أبي طالب حاضرة للدولة العربية الإسلامية الفتية (٦٥٧)، وحافظت على أهميتها كمركز إداري لجزء كبير من العراق. وكان الوالي الأموي يقيم فيها، وظهرت فيها رغم ما تعرضت له المدينة من ويلات ونكبات كبقية مدن العراق، فإن الحياة فيها استمرت وساهمت في البناء الحضاري للمنطقة. واهتم بالكوفة الكثير من الحكام والولاة الذين حكموا العراق في فترات زمنية مختلفة. وتذكر المراجع التاريخية أنه كان في الكوفة، في العقود الأولى من العهد الإسلامي، أكثر من ثلاثين مسجداً. ولا تزال آثار مسجدها الجامع ودار إمارتها قائمة لحد الآن، أما دورها القديمة وبقية مرافقها العامة فقد غطتها أبنية المدينة الحديثة. ومن أبرز معالمها العمرانية: مسجد الكوفة الجامع، دار الإمارة، مسجد السهلة الذي يعد نحو ٢ كلم عن المسجد الجامع ويعتبر ثاني أقدم المساجد في المدينة وتم تشييده في زمن الإمام علي وكان يُسمى «المسجد الطاهر»، ومئذنة الكفل. والكفل بلدة على الطريق بين الحلة والكوفة عند الضفة اليسرى لنهر الهندية، وبها مدفن ذي الكفل ومزاره. وذو الكفل شخص ذكره القرآن الكريم في كلامه عن الأنبياء، وقد عينت الروايات الإسلامية قبوراً وأضرحة لذوي الكفل في شتى البقاع الإسلامية في المشرق العربي، منها قبة في قرية كفل حارس في نابلس (فلسطين)، وقبر ذي كفل في بلدة الكفل في العراق، حيث كان اليهود يزورونه ويترددون عليه ويحملون إليه النذور. وفي الكفل (البلدة العراقية القريبة من الكوفة) منارة تروي لنا المصادر التاريخية أن السلطان المغربي أولغايتو محمد خدابنده أخذ هذا المكان من اليهود وأعطاه للمسلمين وبنى هناك مسجداً مع منارة. فبدأ هناك نزاع بين المسلمين واليهود استمر إلى أيام السلطان عبد الحميد. في ١٩٣٩، بدأ المسؤولون العراقيون أعمال الترميم والصيانة لمئذنة الكفل التي تحمل خصائص المآذن العراقية.

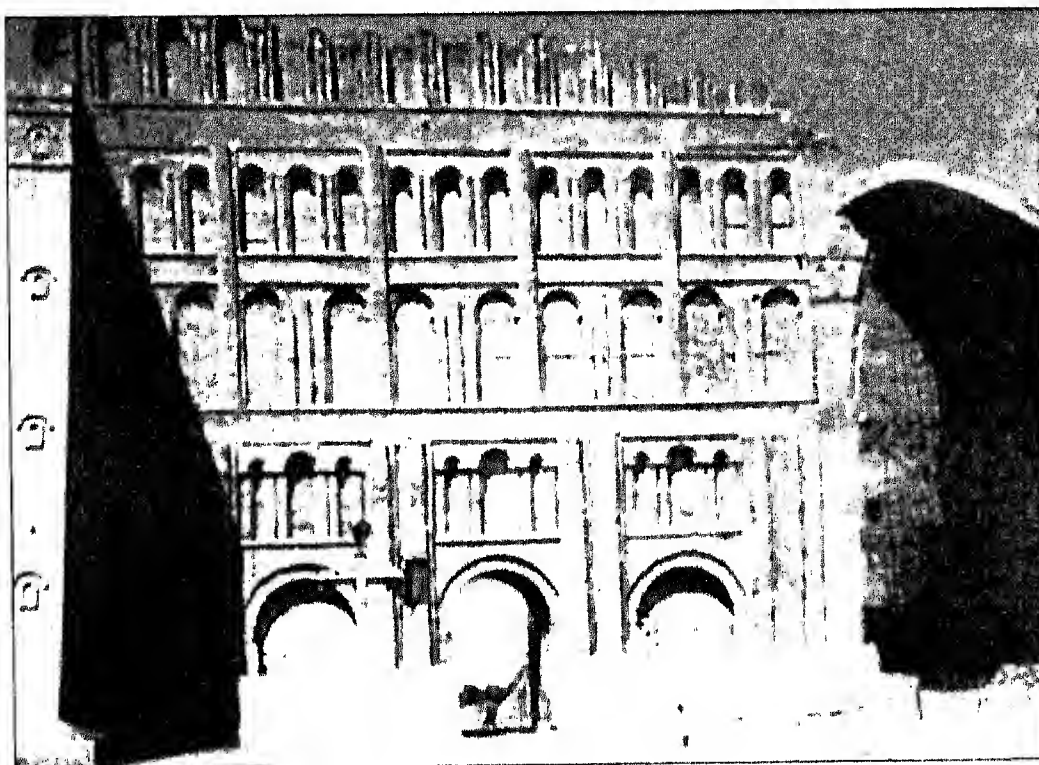
\* المدائن: سبع مدن أثرية عراقية، بين كل منها مسافة قريبة، تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة على بعد نحو ٤٠ كلم إلى الجنوب الشرقي من بغداد. تعرف اليوم باسم «سلمان باك» نسبة إلى الصحابي سلمان الفارسي الذي دفن فيها وله ضريح يُزار، كما عرفت باسم أهم مدنها وهي طيسفون التي شيدها الفرثيون في منتصف القرن الثاني ق.م. بعد أن استولوا على العراق ٤١ ق.م. والتي





جامع ومرقد سلمان اللارسي (المدائن).

طاق كسوى (المدائن).



العين وديار بكر.

ومما جعل للموصل أهمية بالغة (قبل العهد الاسلامي وأثناءه) موقعها الاستراتيجي على طريق القوافل التجارية بين الشام والعراق وهي الطريق الموازية لنهر دجلة. لذلك اتخذت الموصل منطلقاً للجيش الاسلامي الزاحفة نحو الأناضول وأذربيجان والجزيرة منذ سقوطها بيد العرب المسلمين في عهد خلافة عمر.

ازدهرت الموصل في العهد الأموي وشيدت فيها مساجد لا تزال ماثلة إلى يومنا. وازداد الاهتمام بها في عهد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين الذي أنشأ جسراً وبنى قلعة فيها، واتسعت الموصل في عهده اتساعاً كبيراً حتى أنه حاول اقتادها عاصمة لخلافته.

وفي العصر العباسي الاول كانت الموصل تحت الحكم العباسي المباشر حتى ٩١٠، إلا أنها بعد هذا التاريخ وحتى انتهاء الخلافة العباسية بسقوط بغداد (١٢٥٨) على يد المغول، شهدت قيام كيانات سياسية من الحمدانيين والعقيليين وحضعت لنفوذ السلاجقة وولايتهم الأتابكة من بني زنكي. ومن أشهر حكامها في تلك الفترة بدر الدين لؤلؤ (١٢١٨-١٢٥٩).

وأوردت المصادر التاريخية تسميات عدة اشتهرت بها الموصل يجمع أغلبها على القول إن التسمية، «الموصل»، مشتقة من المكان الذي يوصل بين موضعين أو أكثر، فهي تصل بين العراق والشام والجزيرة وأذربيجان.

أما أبرز معالم الموصل الاسلامية التي لا تزال شاخصة إلى يومنا فهي: الجامع الأموي الذي يعرف اليوم باسم جامع المصفي نسبة إلى الحاج مصفي الذهب الذي جدده في ١٨٣٩، ولم يبق من معالمه القديمة سوى المئذنة. وجامع النوري نسبة إلى مؤسس الملك الأتابكي نور الدين ابن زنكي (١١٧٣). والجامع الجهادي الذي يقع على شاطئ نهر دجلة، وينسب إلى مجاهد الدين قيمان (١١٨٠). وجامع النبي يونس الذي يقع في منطقة نينوى مقابل الموصل القديمة بجانب دير يرنان بن أمثاي المعروف لدى المسلمين بالنبي يونس، وشيد على طبقات معمارية آشورية. وجامع النبي جرجس، وفيه قبره المشيد من المرمر ويقع وسط المدينة، ذكره الرحالة ابن جبير في القرن الثاني عشر. وسعة وجدده تيمورلنك بعد استيلائه على الموصل، ورُسع مرة جديدة في ١٧٤١.

في التاريخ المعاصر ثمة مسألة متعلقة بالموصل ومصيرها بين العراق وتركيا بعد الحرب العالمية الأولى (راجع «مسألة الموصل» في باب معالم تاريخية)؛ كما ان

\* الموصل: الموصل، بلمحة سريعة، مدينة عراقية تقع على الضفة اليمنى من نهر دجلة على مقربة من مدينة نينوى الأثرية وعلى بعد نحو ٤٦٠ كلم من بغداد، وعلى ارتفاع ٢٠٥ عن سطح البحر، بين جبل سنجار وحصرة منطقة كردستان العراق. عاصمة محافظة نينوى، وتعد محور ١،٧٥٠ مليون نسمة. فيها جامعة، ومتحف لأثار المنطقة. المركز التجاري الأساسي لمنطقة شمالي العراق (زراعات الحنطة، والقنب، وأشجار الفاكهة). صناعات غذائية ونسجية (المركز الوطني لصناعة الأنسجة) وجلدية والإسمنت. وفيها مصفاة كبيرة ومهمة للنفط. تاريخياً: خلفت نينوى القديمة وأصبحت مدينة مسيحية. فتحها العرب المسلمون في ٦٤١ وجعلوا منها المركز الرئيسي لمنطقة العراق الشمالية. في القرن العاشر، أصبحت عاصمة إمارة شبه مستقلة، ثم في نهاية القرن الحادي عشر أصبحت عاصمة دولة سلجوقية. دمرها المغول في ١٢٦٢، ثم أخضعها الفرس، وبعدهم العثمانيون. حاصرها نادر شاه في ١٧٤٣. واحتلها البريطانيون في تشرين الثاني ١٩١٨ وضموها إلى العراق رغم اعتراضات تركيا (وقد ثبتت عصبة الأمم هذا الضم في ١٩٢٥). وأصاب الموصل أضرار كبيرة خلال حرب العراق-إيران ١٩٨٠-١٩٨٨، وخلال الأحداث التي أعقبت حرب الخليج الثانية.

المعروف أن الموصل هو الاسم الحديث لنينوى عاصمة الدولة الآشورية القديمة. منذ نحو عقد واحد (أي في اواخر الثمانينات) اكتشفت بعثة آثار تعمل في منطقة نينوى أقدم قرية زراعية أثرية في العالم، يعود تاريخها إلى ٩ آلاف سنة ق.م. وتقع القرية على بعد ٣٥ كلم من الموصل. كما عثرت البعثة على مجموعة من الدمى الحيوانية الحجرية. وفي كانون الاول ١٩٨٨، عثر فريق من علماء الآثار الايطاليين على نموذج لمركبة آشورية يرجع تاريخها إلى أكثر من ٢٨٠٠ عام في مدينة الموصل. والنموذج مصنوع من البرونز يبلغ طوله ١٣٠ سم وعرضه ٤٠ سم ويرجع إلى عهد الملك شلمنصر (٨٥٨-٨٢٤ ق.م.).

حظيت الموصل باهتمام المؤرخين الذين دونوا عنها العديد من المصنفات والكتب التي تتناول تاريخها والدول التي تعاقبت على حكمها، فالمدينة مورثة في القدم تهيئ بها مجموعة أطلال لأشهر المدن الأثرية في شمال العراق وهي آشور ونينوى ورمود وخرسباد والحضر، وتعد من أهم مدن «الجزيرة» المحصورة بين نهري دجلة والفرات، وهي الاراضي المشتركة بين العراق وسورية. ومن أبرز مدنها الأخرى سنجار وأمد وحران والرقه ورأس

منازل الكوفة ومعالمها الأثرية والعمرائية. ومما يؤيد ذلك هو انها تقع في مكان مرتفع بينما المناطق المحيطة بها منخفضة عنها.

ولا يكاد يُعرف عن تاريخ النجف القديم قبل الاسلام سوى انها كانت متنزهاً للملك الحيرة للخميين وان اديرة نصرانية (مسيحية) كانت قائمة في الموقع، وبقيت مزدهرة يقوم على شؤونها القسس والرهبان ويؤمها نصارى الكوفة وشعراؤها حتى بعد زوال الحيرة. وجاء في أشعارهم ذكر هذه الأديرة مثل دير ابن مزعوق ودير مار ماثيون ودير مارت مريم ودير حنا وديارات أخرى.

ومن الأسماء التي أطلقت على النجف إسم «المشهد»، لأن فيها مرقد الإمام علي بن ابي طالب. والمشهد هو اللفظ الصريح للجامع والمرقد. وكانت هذه الارض تعرف عند رجال الدين، يوم دفن الإمام علي فيها، بالذكوات البيض وهي ربوات ثلاث معروفة في النجف حتى اليوم، تسمى إحداها «جبل الديك» وهي الواقعة في شمالي القبر، والثانية «جبل النور» وهي الواقعة إلى جنبيه الشرقي، أما الثالثة فتقع في الجنوب الغربي، وتسمى «جبل شريشغان».

وفي العصر الاسلامي أصبحت النجف ذات شأن كبير. فذكرتها كتب التاريخ بإفاضة باللغة وأسهب في وصفها البلغاء، وكتب عنها الكثير من أصحاب الحكمة والبيان، إذ كانت جامعة للعلم والفقه والأدب. ولا غرو ان تحتل مثل هذه المكانة والمنزلة وثراها يحتضن رفات الإمام علي بن ابي طالب.

ويروي المؤرخون ان داود بن علي العباس كان أول من اكتشف قبر الإمام علي وذلك قبل العام ٧٥٠، وكان الخليفة هارون الرشيد أول من شخص وأكّد موقع المرقد في حدود ٧٨٦ عندما كان في زهرة صيد في أرض النجف. فتوقف عند الذكوات البيض، وأمر ببناء قبة من الطين الأحمر على قبر الإمام علي تقديراً لمكانته في نفوس المسلمين. وهكذا أصبح قبر الإمام هذا نواة لنشوء مدينة النجف.

ويستدل من التاريخ على اهتمام العباسيين، في مستهل عهدهم، بضريح الإمام علي. وعندما اختلفوا مع العلويين صارت النجف مأوى للضطهدين منذ اواخر القرن الثالث الهجري. وبلغ الأمر بالعباسيين في آخر الأمر انهم حاولوا هدم الضريح في اواخر القرن المذكور.

وعندما تسلم البويهيون حكم بغداد في القرن الرابع الهجري أبدوا إهتمامهم بمرقد الإمام علي وأعادوا

هناك نقاط تاريخية معاصرة بارزة عرفت بها المدينة:

- حركة قائد المنطقة الشمالية اللواء الركن أمين العمري في ١٩٣٧ المتادية بوحدة العراق وبكون الموصل جزءاً لا يتجزأ منه.

- وجود كثرة من أبناء الموصل في الجيش العراقي، خاصة منذ تسلم البعث السلطة في ١٩٦٨. لكن الأمر نفسه تقريباً كان ملاحظاً قبل عقود من هذا التاريخ، ذلك ان وجود العسكريين الموصلين بكثرة ترافق مع تأسيس الدولة العراقية الحديثة، ومنذ التحاق الضباط العاملين في الجيش العثماني، ومعظمهم من الموصل، إلى أسرة جعفر العسكري للعمل مع الجيش العربي ضد العثمانيين إبان الحرب العالمية الأولى. أما بعد ١٤ تموز ١٩٥٨ فكان أكثر من ٩٠٪ من الضباط اللذين احيلوا على التقاعد من الموصل.

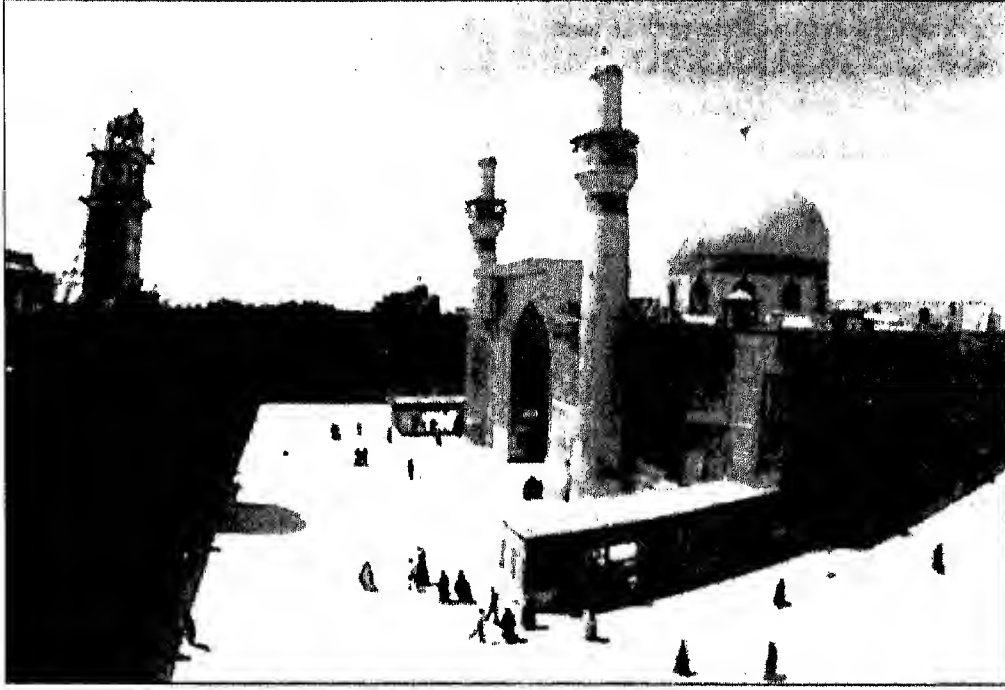
- حركة عبد الوهاب الشواف في ١٩٥٩ (راجع «عبد الوهاب الشواف» في باب زعماء، رجال دولة وسياسة).

- الدور البارز للضباط الموصلين في حركة ١٤ شباط ١٩٦٣ الذي خطط لها ونفذها حزب البعث، ودورهم كذلك في الردة على هذه الحركة التي قادها عبد السلام عارف في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣.

- اعتبار الموصل، من جانب أكثر الدارسين، بمثابة «قلعة القومية العربية» في العراق، مع إشارتهم دائماً إلى تلك الحساسية العربية-الكردية في المنطقة. وهذه الحساسية تثار دائماً مع كل حدث في المنطقة، كما إبان حوادث ربيع ١٩٩١ عندما أعلن قادة أكراد بأنهم ينوون الدخول إلى الموصل و«تحريرها». لكن الزعيم الكردي مسعود البرزاني صرّح في لندن، إبان هذه الحوادث، بأن الأكراد «استنوا الموصل».

- كانت الموصل، ومسائلها التاريخية وبتزولها، حاضرة دائماً، إما مباشرة أو تلميحاً، في عدة تصريحات أطلقها الرئيس التركي سليمان ديميريل في سنوات الحصار الدولي على العراق إثر حرب الخليج الثانية.

\* النجف (النجف الأشرف): مدينة عراقية تقع إلى الجنوب الغربي من بغداد بنحو ١٦١ كلم، وتعتبر إحدى أشهر المدن الحضارية الاسلامية. وذكر اللغويون في مادة «نجف» عن سبب تسمية هذه المدينة فوجدوا لها معاني كثيرة ويكاد يعقد الاجماع على انها سميت بهذا الاسم لأنها مرتفعة كالمسناة تمنع ماء السيل من أن يعلو



جامع ومرقد الامام علي بن ابي طالب في النجف.

أصبحت مدينة النجف مركزاً من مراكز العلم والأدب، وكانت لها مساهمتها في تأسيس الدولة العراقية العام ١٩٢١ وقيام الحركات الوطنية في ذلك العهد. إلا أنها مرّت خلال السنوات العشرين الأخيرة (أو ربع القرن الأخير) بدءاً من مراحل تاريخها، إذ عطلت جامعتها الدينية ومدارسها، وحورب العلم والعلماء فيها، ودمرت أجزاء كثيرة من مبانيها التراثية» (كل ما ورد حتى الآن عن النجف عن رؤوف محمد علي الانصاري، مهندس معماري عراقي، «الحياة»، العدد ١١٦٢٢، تاريخ ١٣ كانون الاول ١٩٩٤، ص ١٨).

إن أهم ما تميزت به النجف (مثلها مثل المدن الدينية الأخرى في العراق، كربلاء والكاظمية وسامراء) الدراسات الدينية ذات الطابع التقليدي في طريقة التدريس المسماة بنظام الحلقات، وهذه الطريقة كانت ولا تزال معتمدة في معظم الحوازات العلمية في المدن الإسلامية.

وكانت الدراسات تتخذ من بعض الجوامع والمساجد في النجف، كجامع الهندية ومسجد السرك وجامع الطوسي ومسجد الخضراء، وفي صحن وغرف وأروقة الروضة الخيدرية (جامع ومرقد الإمام علي)، أماكن لها. وكذلك في بيوت كبار العلماء التي غالباً ما كانت

بناؤه حتى صار مزاراً يؤمه الناس من دون خوف. وعلى أثر ما لحق بالكوفة من اضطهاد علي ابني العباسيين وخربها على ابني القرامطة، هاجر بعض القبائل إلى النجف، ثم كان ان هاجر إليها الشيخ الطوسي فنقل معه مركز الحركة العلمية التي كانت مزدهرة في بغداد.

وشهدت النجف في القرن السابع الهجري حركة هجرة واسعة أخرى بعد ان تعرضت الكوفة لغزوات قبيلة خفاجة الجاورة. فأصبحت في الربع الاول من القرن الثامن الهجري - كما يقول ابن بطوطة - «من أحسن مدن العراق وأكثرها ازدهاراً، وأتقنها بناء ولها أسواق حسنة نظيفة».

وعندما تسلم اسماعيل الصفوي مقاليد بغداد في اواخر القرن التاسع الهجري زار النجف وأصلح النهر الذي كان يرفلها فعرف بـ«نهر الشاه». وبعد الحصار نفوذ الصفويين وعودة العثمانيين إلى العراق حظيت النجف باهتمامهم وعنايتهم خصوصاً في عهد السلطان سليمان القانوني. وفي سنة ٩٨٤هـ (أواخر القرن السادس عشر الميلادي)، وبعد وفاة الشاه طهما سب الصفوي، آلت مدينة النجف إلى الخراب بسبب شحة المياه وإهمال نهر الشاه، إلى ان قام والي بغداد ابراهيم باشا (في اواخر القرن السابع عشر) بتطهيره.

العدد ١٢٧٨٤، ٤ ذى القعدة ١٩٩٨، ص ٢١).  
أما أبرز معالم النجف الأشرف على الإطلاق فهو  
جامع ومرقد الإمام علي.

يقع هذا المعلم في وسط النجف، ويمتاز بفخامته  
وطراز بنائه المعماري الاسلامي، ويضم رفاة الإمام علي بن  
ابي طالب الذي استشهد في ٦٦١. وكان أول من أمر  
بإقامة بناء على قبر علي هو الخليفة هارون الرشيد. وقد  
جُدد البناء في العهد المغولي (الایلخاني) وأصبح بالشكل  
الذي هو عليه الآن. وتم إكساء القبة والمذبتين بالنهش سنة  
١٧٤٣ وفي ١٧٨٨ صُنِعَ للقبر صندوق مشيك بشكل فني  
وهندسي. ويشغل مبنى الجامع والمرقد أرضاً مربعة الشكل  
طول ضلعها ١١٠ أمتار وتتألف أبنيتها من الحضرة وصحن  
واسع وسور ضخيم يضم عدداً من المساجد. وتحتل غرفة  
الضريح مركز الحضرة.

ومن المباني الدينية الأخرى البارزة في النجف:  
مسجد عمران، ومسجد الخضراء، ومسجد الراس، وإيوان  
العلماء، وتكية البكتاشية. وأما أبرز المعالم الأثرية: سور  
النجف القديم، وبحيرة النجف التي تستمد ماعها من نهر  
الفرات والواقعة عند حافة الهضبة الصحراوية في الجنوب  
الغربي للنجف، ومقبرة النجف المعروفة بـ«وادي السلام»  
والعترة من أوسع المقابر في العالم. وتنتشر في النجف  
الكثير من المقامات، أهمها: مقام زين العابدين علي بن  
الحسين بن علي بن ابي طالب، ومقام المهدي، ومرقد هود  
وصالح (المرجع المذكور، العدد ١١٦٢٢، ص ١٣ كانون  
الاول ١٩٩٤، ص ١٨).

\* لغو: راجع «تبيور» في هذا الباب.

\* نمرود (كالح): تقع اطلال مدينة نمرود الآشورية  
في الجانب الشرقي من نهر دجلة على بعد ٣٤ كلم إلى  
الجنوب الشرقي من الموصل. شيدها الملك الآشوري  
شلمنصر الاول (١٢٨٠-١٢٦٠ ق.م)، وازدهرت في  
عصر آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق.م) وابنه  
شلمنصر الثالث. وورد اسم هذه المدينة في الكتابات  
المسمارية والمدونات الآشورية باسم «كالح» أو «كالحو».  
أبرز معالمها التاريخية: سور يحيط بها طوله ٨ كلم  
ومدعم بأبراج دفاعية، وفي الزاوية الجنوبية منه يوجد «تل  
نمرود» الذي عثر فيه، بعد التنقيب، على عدد من القصور  
ولعابد الآشورية. والبرج المدرج، أي الزقورة التي يبلغ  
ارتفاعها ٣٤م. ومعبد عشتار، ومعبد نابو (إيزيد)، إله

تضم قاعات وغرفاً كبيرة أعدت لهذا الغرض. وتخرج عن  
طريق هذه الدراسات الكثير من العلماء والفقهاء والمراجع  
من تخصصوا في الفقه والنحو والأدب وعلوم القرآن.

وأدى تطور الحركة الفكرية والدينية منذ القرن  
الثامن عشر، إضافة إلى توافد الكثير من الطلاب على مدينة  
النجف، إلى انتشار المدارس العلمية فيها حتى قاربت  
الأربعين مدرسة ومعهداً. فاصبحت النجف بمثابة مدينة  
جامعية اسلامية كبيرة. وشيدت مدارس اسلامية أخرى من  
قبل بعض البلدان لجالياتها التي كانت توافدها إلى هذه  
المدينة لدراسة العلوم الدينية، كالمدرسة الهندية والمدرسة  
الأفغانية والمدارس البنائية ومدرسة السرك (البادكوية)  
الأذربيجانية.

وأهم المقررات التي كانت تدرس فيها: علوم  
القرآن، والبلاغة، والحديث، والفقه المقارن، وعلم الكلام،  
وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والأدب، والعروض،  
والتاريخ، والاقتصاد، واللغة الانكليزية، وبعض العلوم  
الطبيعية والرياضية كالفلك والهندسة والحساب، بالإضافة  
إلى أصول الفقه والعقائد واللغة العربية.

وقد قام الشيخ العالم المحدد محمد رضا المظفر  
بتأسيس «كلية متناهي النشر» في ١٩٥٧، وقد استمرت في  
عملها إلى أن قرّر الشيخ تأسيس «كلية الفقه» التي اعترفت  
بها وزارة المعارف العراقية بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

أشهر مدارس النجف أربع:

- مدرسة المقداد السيوري (السلمية) المعتبرة  
إحدى أقدم مدارس النجف. بناها الشيخ جمال الدين ابي  
عبد الله المقداد السيوري الأسدي الحلبي (من مدينة الحلة  
العراقية) المتوفي في ١٤٢٥. وقد أعاد بناؤها سليم خان  
الشمرازي في ١٨٣٤، ونسب إليه بعد ذلك وسميت  
بالمدرسة السلمية.

- مدرسة الشيخ عبد الله التي يعرود بناؤها إلى  
القرن السابع عشر، وتنسب إلى الشيخ عبد الله وهو ابن  
شهاب الدين البيهقي، وكان من كبار العلماء آنذاك.

- للمدرسة الغروية التي يعرود بناؤها إلى عهد الشاه  
عباس الصفوي الاول. تهدمت، وأعاد بناؤها هاشم زيني  
في ١٩٣١، وجعلها دار ضيافة ومنزلاً للزوار.

- مدرسة الصحن الكوري، وكانت جزءاً من  
صحن الروضة الحيدرية، شيدها الشاه صفي الدين حفيد  
الشاه عباس الصفوي في ١٦٣٣.

وتنتشر في أرجاء النجف الكثير من المدارس  
الأخرى العلمية الدينية القديمة والحديثة (المرجع المذكور،

بجالات شتى تكوّن بمجموعها أعظم خزانة للوثائق المدونة في العالم القديم لشمولها وتعدد إختائها، حيث كانت تحوي على ما يبرر ٣٠ ألف رقيم طيني نقلت جميعها إلى المتحف البريطاني عندما قام لقيف من الأجناب بأعمال الحفر والاكتشاف في موقع نينوى.

وكانت أعمال التنقيب الأولى في نينوى جرت في ١٨٢٠ في تل قوينجق من قبل الإنكليزي كلوديس جيمس الذي عثر على صف من المنحوتات الآشورية البارزة. ثم قام القنصل الفرنسي بوتا في ١٨٤٢ بالحفر في المنطقة الشمالية من التل. وفي ١٨٤٥، بدأ هنري لايارد الحفر، وعاد إليه ثانية (١٨٦٥) وثالثة (١٨٧٨)... وفي ١٩٠٣، استمر الحفر والتنقيب بتوجيه وإدارة المتحف البريطاني هذه المرة. وبدأت بعثة بريطانية، ترأسها كاميل طومسون، تنقيباتها العلمية في ١٩٢٧ واستمر عملها حتى ١٩٣٣. وفي ١٩٤١، قامت مديرية الآثار العامة في بغداد بأعمال الحفر فاستظهرت باب نرجال وأجرت أعمال صيانتها. واستأنفت أعمالها في ١٩٥٦. وفي ١٩٦٥-١٩٦٦، أجرت تنقيبات من جديد تركزت على بوابات سور المدينة وعلى صيانتها. وفي ١٩٦٨، قامت جامعة الموصل للمرة الأولى بأعمال التنقيب في جزء من سور نينوى، ثم أعمال الصيانة. وفي يوم ٢١ تشرين الأول ١٩٨٦، وعن طريق الصدفة، ظهرت بداية مقدمة صدر الثور المنحج بارتفاع حوالي ٢٠ سم عن أرضية التل. وواصلت دائرة الآثار العمل لإخراج هذا الجسم الحجري الضخم ومعرفة حقيقته. وبعد أربعة أيام ظهر أنه ثور منجج من حجر الحلان بطول ٤،٥ م وارتفاع ٢،٨ م وعرض ١،٢ م، ويتألف من قطع مستطيلة ومربعة، وبذلك يختلف عن الثيران المنحجة التي ظهرت في المدن الآشورية الأخرى في العراق والتي تمّ نحتها قطعة واحدة ومن حجر المرمر، وسجلت في بعض أقسامها كتابات مسمارية.

تعتبر أسوار المدينة وقصورها (أهمها قصر سنحاريب وقصر اسرحدون وقصر آشور بانينال) ومكتبتها، التي سبق ذكرها، أشهر وأبرز معالم نينوى التاريخية. ولا يزال الكثير من معالم هذه المدينة لم يكتشف بعد. والجدير ذكره ان التطور العمراني الذي تشهده الموصل المجاورة، وتشهده نينوى نفسها، في الوقت الحاضر، قد يؤدي إلى امتداد خطر العمران والسكنى والحركة على الأراضي الأثرية. وهذه الملاحظة تتسحب على أكثر المدن الأثرية.

وأخيراً، كان لبلاد آشور، إلى نينوى، ثلاث

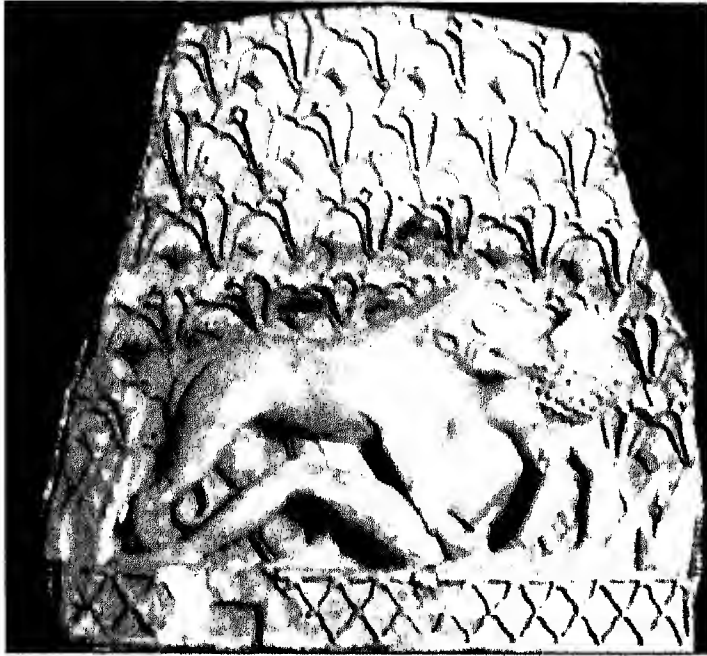
الحكمة والمعرفة والعلوم والفنون، وكبير الآلهة الآشورية. وقصر الملك آشور ناصر بال الثاني، وقصر الملك شلمنصر الثالث، وقصر الملكة سميرامات التي عُرفت عند الإغريق باسم سميراميس.

\* نيبور (نوفار أو لفر): مدينة قديمة في المنطقة الواقعة من بلاد ما بين النهرين (جنوبي العراق). كانت المدينة المقدسة الأساسية لسومر (أواخر الألف الرابع-الألف الثالث ق.م.): أطلال معابد أنليل، إينانا، عشتار. من قبور هذه المدينة أخرجت عشرات آلاف الألواح المحفورة عليها كتابات بالخط المسماري: المصدر الأساسي للأدب السومري والبابلي (راجع «سومر» في هذا الباب).

\* نينوى: تنتشر آثار هذه المدينة الآشورية القديمة في الضفة الشرقية من نهر دجلة قبالة الموصل. تتوسط مراكز الحضارات القديمة في بلاد الأناضول وأرمينيا والمراكز الحضارية في سواحل البحر الأبيض المتوسط. وكانت نينوى تحتل مكانة بارزة في مضمير الحضارة الإنسانية وتقدمها باعتبارها من أعظم العواصم التي تطورت فيها المعارف والفنون. انقلها الآشوريون مركزاً للحكم، وكانت منزلتها من حيث الأهمية بعد آشور، العاصمة الدينية لهم. وتؤكد التنقيبات في المدينة أنها كانت مستوطناً لكثير من الأقوام التي يرجع زمنها إلى ما قبل ٦ آلاف سنة ق.م.

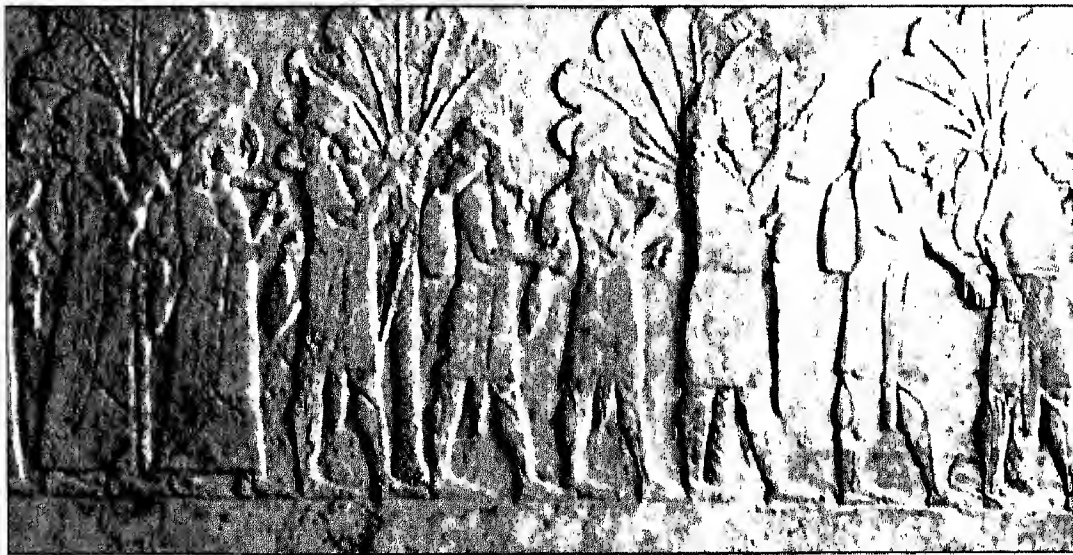
وقد اشتقت هذه المدينة اسمها من إسم مدينة كانت تابعة إلى مملكة كلش في بلاد سومر، فعرفت نينوى باسمها هذا لأن تلك المدينة كانت موضعاً لعبادة الآلهة «نيننا» التي أصبحت تعرف في ما بعد بالآلهة عشتار.

اتخذ الآشوريون نينوى عاصمة لهم بدلاً من مدينة آشور (التي اعتبروها عاصمة دينية لهم)، ولكن سرحدون الثاني تركها واتخذ بدلاً منها «دور شروكين» مركزاً لحكمه. غير أن أحفاده عادوا إليها، كما وعادت لها في عهد سنحاريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م.) عظمتها وعمارتهما المتمثلة بأسرارها وقصورها وقلاعها. وكان آشور بانينال (٦٦٩-٦٢٤ ق.م.) آخر ملوكها الأقوياء، وشهدت المدينة في ظلّه أوج قوتها وحضارتها حتى سقوطها في ٦١٢ ق.م. وأهم وأبرز معلم تركه هذا الملك هو «مكتبة آشور بانينال». فهي من أجمل النفايس التي اكتشفتها الحفريات في المدينة، وهي تمثل مجامع من ألواح الطين التي دونت عليها بالخط المسماري مختلف فنون المعرفة، وهي تبحث في



صليحة عاجية وجدت في ممرود (المتحف البريطاني، لندن).

سجناء حرب. إحدى اللقى في قصر آشور بايبال في نينوى (متحف اللوفر، باريس).



جيشًا لفتح هيت. أما المنارة (منارة فاروق، بارتفاع ٣٠م) فيقال إن تاريخها يعود إلى ما قبل الاسلام، إذ كانت فسارًا هاديًا لسفن الفرات. وتقع هذه المنارة في قلب القلعة من جهة النهر.

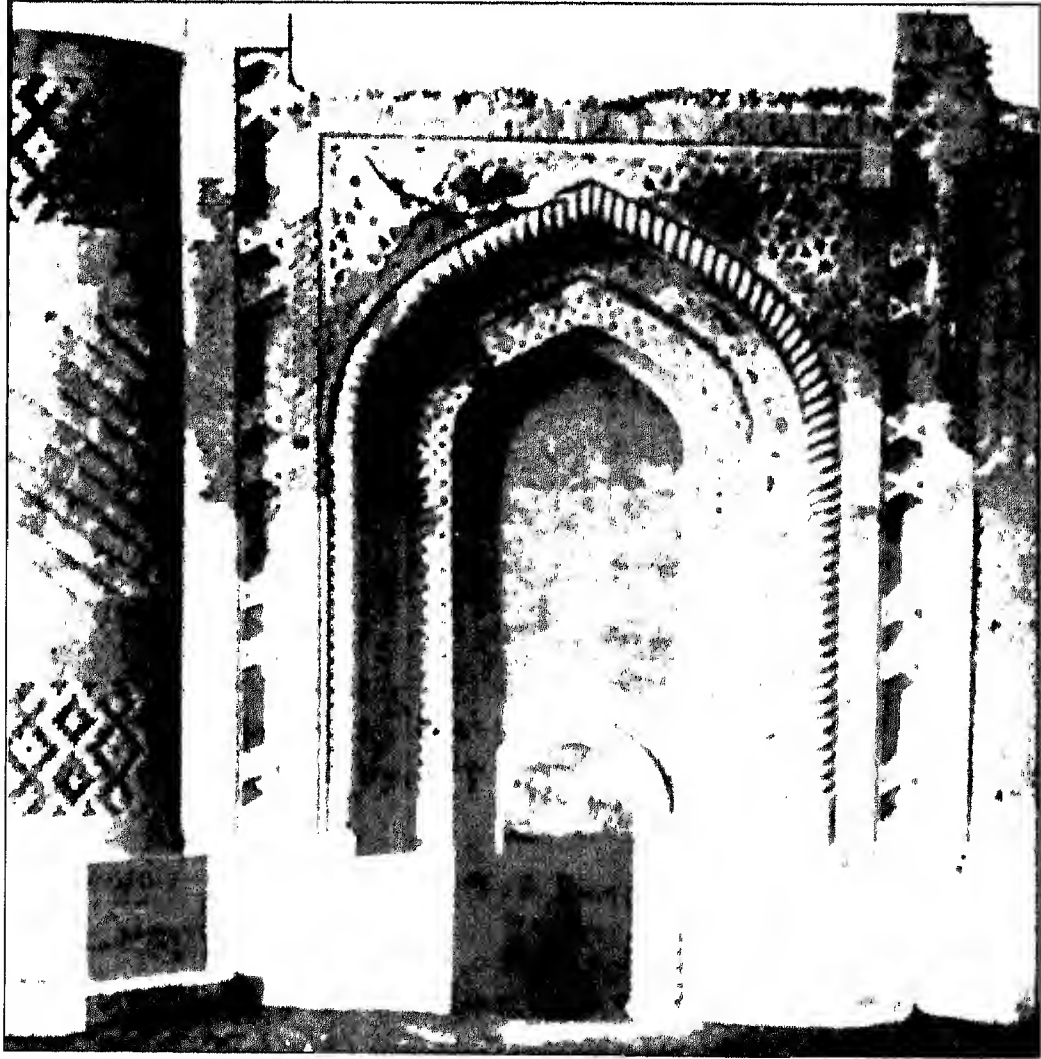
\* واسط (أطلال مدينة واسط): ثالث المدن الاسلامية الرئيسية، بعد البصرة والكوفة، التي نشأت على يد الحجاج بن يوسف الثقفي، والي العراق في عهد عبدا لله بن مروان الأموي (٧٠٣) والذي سماها «واسط» لتوسطها بين الكوفة والبصرة ولتكون مقرًا لجيشه وجيوش الخلافة الأموية التي انطلقت نحو الشرق حتى مشارف الصين. تقع على مسافة ٥٠ كلم إلى الجنوب الشرقي من مدينة الكوت

عواصم أخرى هي: آشور، حورسباد وغمرد (راجع عنها في مواقعها من هذا الباب «مدن ومعالم»).

\* هيت: مدينة في العراق. من مدن أعالي الفرات. تبعد عن بغداد ١٧٠ كلم. مركز محافظة الأنبار. بالقرب منها يتابع النفط الشهيرة، وعندها كانت القوافل تقطع الفرات في طريقها إلى حلب.

شهرة بقلعتها التي نشأت لتكون حلقة وصل ومركزًا لاستراحة القوافل التجارية بين وسط العراق وحدوده الغربية، ومن القلعة امتدت الحاضرة التي أصبح اسمها «قلعة هيت». وأبرز معالم المدينة معذنة «جامع الفاروق» نسبة إلى الخليفة عمر بن الخطاب الذي أرسل

واجهة باب قصر أري في واسط.





جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي بأنه كان هناك قرية قبل واسط خربها الحجاج. الرحالة ابن بطوطة أشاد بمبانيها، وقال إن فيها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ٣٠٠ نخوة (غرفة) ينزلها القادمون للتعلم. ونوه الرحالة حمداً لله المستوفى، الذي عاصر ابن بطوطة، إلى ما حولها من بساتين النخيل والفواكه.

دخلتها جيوش تيمورلنك وعسكرت فيها وحولتها إلى خراب. وكان تغيير دجلة مجراه آخر فصل من فصول حياة هذه المدينة.

\* ورقة: راجع «أوروك» و«سومر» في هذا الباب.

الحالية، وتبعد عن بغداد نحو ٢٢٠ كلم إلى الجنوب الشرقي منها. وآخر شواخصها المهمة أعلنت عن اكتشافها إحدى بعثات التنقيب العراقية، وهي دار الامارة وثلاثة جوامع إضافة إلى جامع المدينة الذي سمي بجامع الحجاج الذي ألقى من منبره خطبته المشهورة في أهل الكوفة يثنيهم ويتوعدهم.

تنتشر أنقاض مدينة واسط في أرض مساحتها ٣ كلم م.، وأهم بقاياها الشاخصة إلى الآن المساجد والقصر. وكان التنقيب في واسط بدأ في ١٩٣٦، واستمر في السنوات التالية. ومنذ ١٩٦٥ بدأت الصيانة الفعلية، وتواصل التنقيب والصيانة مع مطلع الثمانينات.

## زعماء، رجالة دولة وسياسة

\* أحمد حسن البكر (١٩١٤-١٩٨٠):

عسكري (مهيب) وسياسي ورئيس الجمهورية العراقية (من ١٧ تموز ١٩٦٨ إلى ١٧ تموز ١٩٧٩) ونائب الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي.

ولد في تكريت، وتخرج في دار المعلمين (١٩٣٢)، ودخل الكلية العسكرية العراقية (١٩٣٨). كان عضواً في تنظيم الضباط الأحرار، وشارك في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي أطاحت الملكية. قُدم سرّياً للمحاكمة أمام محكمة المهداوي بتهمة الاعداد لاسقاط الفريق عبد الكريم قاسم، فأحيل على التقاعد ووضِع تحت المراقبة. تفرغ للعمل السياسي السري، وأصبح قبل حركة ٨ شباط ١٩٦٣ عضواً في القيادة القطرية لحزب البعث، ليصبح على اثر هذه الحركة، رئيساً للوزراء. لكن انقلاب ١٨

أحمد حسن البكر.



والجزائر (حزيران ١٩٧٠)، وحضر اجتماعات رؤساء دول المواجهة في طرابلس وأجرى محادثات سياسية مع الرئيس الجزائري. وعندما اندلعت حرب تشرين ١٩٧٣، تصدر البكر جهود العراق لارسال قوات رئيسية من الجيش العراقي للمشاركة في القتال بأقصى سرعة وفي ظل ظروف عسكرية صعبة، وعلى الرغم من معارضة العراق للخطط السياسي للدول العربية المعنية ومعارضته للتسويات المطروحة بموجب قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر عام ١٩٦٧، أعلن في خطاب رئيسي ألقاه في ١٧ تموز ١٩٧٥ استعداد العراق لارسال كل الجيش إلى جبهة القتال مع اسرائيل ودعا إلى التوجه نحو المعركة كشرط لقيام الجبهة الشمالية الشرقية.

على اثر اتفاقيات كامب دافيد بادر حزب البعث في العراق إلى الدعوة لمؤتمر قمة عربي وإلى تقارب سوري عراقي وحدوي بهدف الحفاظ على تماسك الصف العربي ومعارضة التسويات الاستسلامية، وقد ترأس البكر مؤتمر قمة بغداد (تشرين الثاني ١٩٧٨) وساهم بشكل بارز في إجماعه كما عرف عنه حماسه للوحدة مع سورية، ووقع ميثاق العمل القومي الوجدوي (٢٦ تشرين الأول ١٩٧٨).

أما على الصعيد الخارجي، فقد ساند العراق في عهد الرئيس البكر، حركات التحرر في العالم الثالث، وانفتح على شعوب أفريقيا وآسيا، وعقد معاهدة صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفياتي (نيسان ١٩٧٢)، وصمد في وجه اعتداءات ايران مدة طويلة مما ساهم في اقتناع ايران بالعدول عن سياستها هذه والتوصل إلى اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥، كما زار بلغاريا وبولندا في حزيران ١٩٧٣ (عن «موسوعة السياسة» المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج ١، ط ١، ١٩٧٩، ص ٩٢-٩٣).

كتابات صحافية كثيرة ظهرت في السنوات الأخيرة، بعضها يقول إنه يستند إلى مصادر سياسية وحزبية عراقية، وبعضها الآخر يقول إنه يستند إلى وثائق، خاصة إلى الوثائق البريطانية، تتحدث عن إنشقاق حزب البعث في العراق إلى جناح اليسار وجناح اليمين، وعن أن أحمد حسن البكر كان يمثل اليمين.

\* باسل رؤوف الكبيسي (١٩٣٤-١٩٧٣):

سياسي وناشط قومي عربي من العراق. ولد في بغداد. درس في الجامعة الأميركية في بيروت وكان من أوائل المتسبين، وهو على مقاعدتها، لحركة القوميين العرب.

تشرين الثاني، الذي قاده المشير عبد السلام عارف، ابعده عن رئاسة الحكومة وأسند إليه منصب نائب رئيس الجمهورية، لكنه رفض هذا المنصب. وفي ليلة ٤-٥ ايلول ١٩٦٥، شنت السلطة حملة ضد البعثيين بتهمة الاعداد لقلب نظام الحكم، وأوقعت الآلاف منهم وكان البكر في مقدمتهم. بعد خروجه من السجن، رفض عرضاً للمشاركة في الحكم من قبل عبد الرحمن عارف الذي تخلف أمه في رئاسة الجمهورية. قاد التظاهرات التي شهدتها بغداد في أعقاب حرب ٥ حزيران ١٩٦٧. أشرف، بصفته أمين سر القيادة القطرية للبعث على التخطيط لـ«ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨»، وقادها بنفسه، وانتخبه مجلس قيادتها رئيساً للجمهورية. فسارع إلى إقصاء عبد الرزاق النايف من رئاسة الوزارة فتولى مهمة تشكيل الوزارة الجديدة والقيادة العامة للقوات المسلحة.

أولى البكر المسألة الكردية اهتماماً كبيراً، وأعلن في ١١ آذار ١٩٧٠ عن توصل مجلس قيادة الثورة إلى حل للمشكلة الكردية يتضمن إعطاء الحكم الذاتي للمنطقة الشمالية (المنطقة الكردية). لكن تنفيذ بيان آذار اصطدم ببعض العقبات الناجمة عن قيام مصطفى البرزاني (وقد نشرت في السنوات الأخيرة، خاصة في ١٩٩٦ و١٩٩٧، دراسات ووثائق تبين ان البرزاني كان على صلة بجهاز المخابرات الاسرائيلي) بتقديم مطالب تعجيزية واعلان التمرد المسلح عام ١٩٧٢. وقد طبق الرئيس البكر العمل العسكري والعمل السياسي ضد التمرد بشكل متناسق فصمد العراق عسكرياً في وجه التمرد والقوى الخارجية التي وقفت إلى جانبه، واستطاعت الدبلوماسية العراقية عقد مصالحة عراقية ايرانية في آذار ١٩٧٥ أدت إلى قطع الامدادات الايرانية الحربية عن العصاة الأكراد وأحدثت انهياراً مفاجئاً في صفوفهم انتهى إلى استسلامهم وفرار البرزاني إلى ايران.

وعلى صعيد رص الصف الداخلي، أعلن البكر ميثاق عمل وطني لتحقيق ائتلاف القوى والعناصر الوطنية والقومية والتقدمية في ١٥ تشرين الثاني ١٩٧١، وأدى ذلك إلى تشكيل جبهة وطنية في ٢٢ تموز ١٩٧٣ ضمت حزب البعث والحزب الشيوعي العراقي والفتحات الديمقراطية الكردية والقوميين المستقلين. وفي أول حزيران ١٩٧٢، أعلن البكر تأمين النفط بعد مفاوضات مع شركات النفط. وقد نتج عن ذلك، وعن بحمل السياسة الاقتصادية، قفزات كبيرة في مستوى الدخل الفردي.

على الصعيد العربي، زاو الرئيس البكر ليبيا

لم ينفذ المطلوب. وعندما حاول جعفر العسكري إقناع بكر صدقي بالعدول عن حركته قتله بعض الجنود، فاستقال ياسين الهاشمي وغادر البلاد وآلت المقاليد إلى بكر صدقي الذي بادر إلى حل مجلس النواب وتشكيل مجلس موافق له. ووقعت في عهده أكثر من حركة عصيان قمعها بكر بشدة مما حمل بعض الوزراء على الاستقالة. قبل دعوة من تركيا لزيارتها وكذلك دعوة من المانيا، ولكن أحد الجنود الأكراد من الموصل (عبدالله إبراهيم) اغتاله في ١١ آب ١٩٣٧.

يقول عبد الرزاق حسني في كتابه «تاريخ الوزارات العراقية» إن الفريق بكر صدقي كان «رجلاً طموحاً مؤمناً بقوته الشخصية وبقدرته العسكرية. نظر إلى الجارتين تركيا وإيران فرجده في الأولى ضابطاً لم يكن أرفع درجة منه خلق من تركيا المتفسخة دولة لها عزها وبأسها. ورأى في الثانية رجلاً لم يكن من أصحاب الماضي المعروف وقد خلق مملكة من العدم إلى الوجود (...). فحدثه طموحه ان يخلو حلو كمال أتاتورك ورضا بهلوي، فأقدم على حركة لم يفكر بعواقبها، ولم ينظر إلى اختلاف العراق عن جاراته، تركيا وإيران، اختلافاً كبيراً».

\* جعفر أبو التمن (١٨٨١-١٩٤٥): سياسي عراقي. ولد في بغداد. سعى مع نخبة من الشباب إلى تأسيس مدرسة لتعليم الأميين القراءة والكتابة والحساب، وتعليم المتعلمين اللغات الأجنبية. وكان إسم المدرسة «مكتب الزقي الجعفري العثماني»، وأطلق عليها إسم «المدرسة الجعفرية».

عند سقوط بغداد في أيدي الإنكليز (آذار ١٩١٧)، اشترك في عضوية المجلس التي أسستها السلطات الإنكليزية، ثم استقال منها عندما تبين له أن غرضها الأساسي صرف الشعب عن هدفه في الاستقلال. قام بدور مهم في «جمعية حرس الاستقلال»، وهي منظمة سرية أسسها الوطنيون في شباط ١٩١٧ للمطالبة باستقلال العراق، وكان حلقة الوصل بين الحركة الوطنية في بغداد والفرات الأوسط حيث نشبت الثورة في ١٩٢٠. فسارع إلى الانضمام إليها والمساهمة في قيادتها حتى انتهائها. حاولت السلطات البريطانية القبض عليه مع زعماء الثورة، فهرب إلى الحجاز وحلّ ضيفاً على الشريف حسين بن علي.

جهد أبو التمن في تأسيس أول حزب سياسي في العراق، وهو الحزب الوطني العراقي، وعارض المعاهدة

حصل على شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية وعين في وزارة الخارجية العراقية. بعدها التحق بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عند تأسيسها في العام ١٩٦٧، ثم كتب أطروحة الدكتوراه عن حركة القوميين العرب. نشط في أوروبا في مجال تأييد المقاومة الفلسطينية. اغتالته المخابرات الإسرائيلية في نيسان ١٩٧٣.

\* برزان إبراهيم التكريتي (١٩٥٢-): رجل أمن وسياسي ودبلوماسي عراقي. الأخ غير الشقيق للرئيس العراقي الحالي صدام حسين. بدأ حياته الحزبية والسياسية باكراً، إذ اشركه أخوه صدام معه في بعض العمليات الأمنية بعد أيام من حركة ١٧ تموز ١٩٦٨ البعثية، خاصة في اعتقال رئيس الوزراء عبد الرزاق النايف. وبعد سنوات قليلة، تسلم برزان مديرية المخابرات العامة حتى أواسط الثمانينات، حيث انتقل إلى القصر الجمهوري مستشاراً للرئيس، وبعدها أصبح مندوباً دائماً في جنيف وممثلاً للعراق في لجنة حقوق الإنسان. وفي جنيف، تكلمت الصحافة عن دور له في ترتيب مفاوضات بين الأكراد وبين أخيه الرئيس صدام (نيسان ١٩٩١)، وعن اتصالات أجراها الاميركيون معه خلال ١٩٩٣-١٩٩٤، وبعدهم الفرنسيون ثم الايرانيون.

عرفت عنه قسوته البالغة وهو يشغل منصب مدير المخابرات، ونهجه الداعم سياسة أخيه الرئيس إلى آخر حدود الدعم.

\* بكر صدقي (١٨٨٥-١٩٣٧): عسكري وسياسي عراقي. تعلّم في بغداد والتحق بمدرسة أركان الحرب في اسطنبول وشارك مع الجيش العثماني في الحرب العالمية الأولى، والتحق بالجيش العربي في سورية بعد الحرب، ثم بالجيش العراقي برتبة رئيس في ١٩٢١. تابع دراسته العسكرية في المعاهد العسكرية البريطانية في الهند وإنكلترا، وتوصل إلى رتبة فريق. تولى إخماد أكثر من عصيان مسلح في العراق فلمع إسمه ومصادقه الملك غازي الذي كان قد أخذ يتململ من «وصاية» ياسين الهاشمي عليه، وهذا ما شجع بكر صدقي على الاقدام على أول انقلاب عسكري عربي في التاريخ المعاصر، وكان ذلك في ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ عندما ألقت طائرات حربية عراقية بمشورات تطالب، باسم الجيش وتوقيع بكر صدقي قائد الثورة الوطنية الاصلاحية، بإقالة الحكومة وتعيين حكمت سليمان رئيساً لها مهددة بالزحف على بغداد إذا

سقوط وزارات جميل المدفعي الثالث، ووزارة علي جودت الأيوبي، ثم اشترك بشكل فعال في انقلاب ١٩٣٦ الذي أدى إلى إسقاط وزارة حكمت سليمان التي تقلد فيها أبو الثمن وزارة المالية. ولكن بروز الخلافات بين الجناح العسكري المتمثل في جماعة بكر صدقي والجناح المدني المتمثل في جماعة الأهالي، دفعت جعفر إلى الاستقالة من الوزارة واعتزال العمل السياسي والانصراف إلى النشاطات التجارية في بعض المشاريع الصناعية، فكان رئيساً لغرفة تجارة بغداد ثم عضواً فيها حتى وفاته («موسوعة السياسة»، ج٢، ص٦٧).

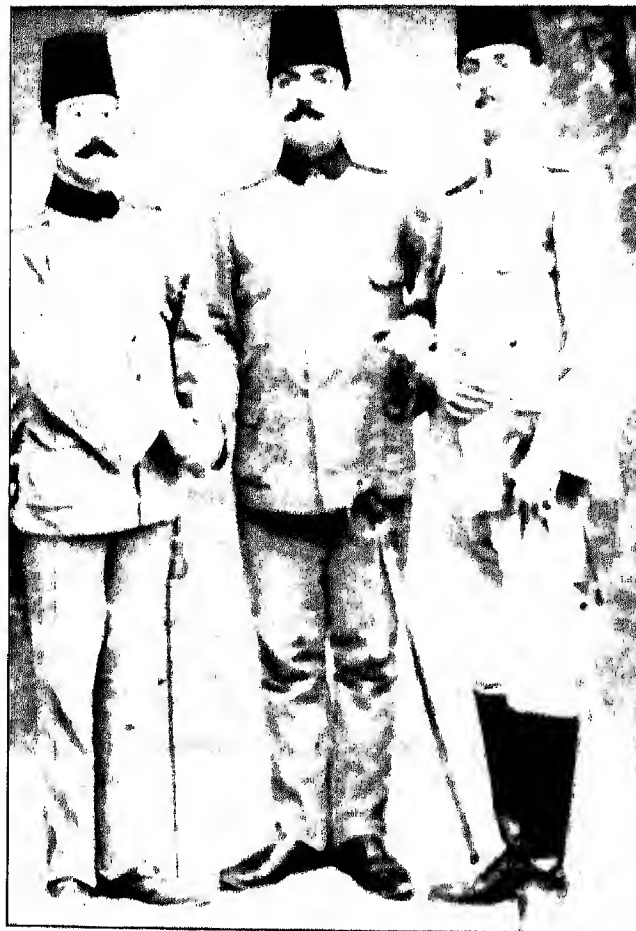
#### \* جعفر العسكري (١٨٨٥-١٩٣٦): عسكري

وسياسي عراقي. ولد في بغداد، وتلقى تعليمه في بغداد والموصل. تخرج في المدرسة الحربية في اسطنبول (١٩٠٤)، وعين في الجيش التركي، واختير عضواً في بعثة عسكرية إلى ألمانيا (١٩١٠-١٩١٢)، وعين بعد ذلك مدرساً في مدرسة الضباط في حلب. اشترك في حرب البلقان ثم أوفد

العراقية-البريطانية المعقودة في ١٩٢٢. أعطى وزارة التجارة في حكومة النقيب الثانية لكسب تأييده للمعاهدة ولسياسة الملك فيصل إزاء الانكليز من جهة والحركة الوطنية من جهة ثانية، لكنه استقال منها. ألقي القبض عليه وعلى مجموعة من رفاقه في الحزب الوطني العراقي، ونفوا جميعاً إلى جزيرة هنجام القاحلة في الخليج. ولما عاد، بعد عشرة أشهر، عارض انتخابات المجلس التأسيسي لعلمه بأنها لن تكون حرة. عارض وزارة نسوري السعيد الأولى والمعاهدة العراقية-البريطانية لعام ١٩٣٠ فجره هذا الموقف إلى التنسيق مع حزب الإخاء الوطني بزعامة ياسين الهاشمي. إلا ان هذا التحالف لم يلبث ان انفرط عقده في ١٩٣٣، عندما أُلّف أحد أقطاب حزب الإخاء، رشيد عالي الكيلاني، وزارته الأولى، متعهداً بالحفاظ على المعاهدة العراقية-البريطانية. وفي نيسان ١٩٣٤، اختفى حزب الاتحاد الوطني العراقي عن المسرح السياسي لخلافات قادته. فانضم جعفر أبو الثمن إلى جماعة الأهالي وأصبح قائداً لها، وساهم بشكل فعال في الاجتماعات العشوائية التي أدت إلى

جعفر العسكري بعوسط علي جودت الأيوبي

(يسار الصورة) ولوري السعيد.



## \* حكمت سليمان (١٨٨٩-١٩٦٤): سياسي

عراقي. ولد في بغداد. درس الحقوق في اسطنبول، لكنه ما لبث ان انصرف إلى الهندية، فدخل مدرسة المشاة وتخرج ضابطاً احتياطياً في ١٩١١. بعد ذلك، عين قائماً لمركز بغداد ثم مديراً لمدرسة الحقوق ومديراً لمعارف بغداد، قبل ان يُستدعى للخدمة كضابط احتياطي في الجيش التركي ويرسل إلى ألمانيا التي بقي فيها إلى ما بعد الهدنة. وهناك تكررت عنده ملامح إعجاب الفائق بالألمان. في ١٩٢٠، عاد إلى بغداد، وبدأ يشغل مناصب عدة في الدولة وصولاً إلى تعيينه وزيراً للمعارف ثم وزيراً للداخلية (١٩٢٥)، وتقلب، حتى ١٩٣٠، في مناصب منها رئاسة مجلس النواب ووزارة العدلية والنيابة. وفي ١٩٣٠، أسس مع ياسين الهاشمي حزب الإخاء الوطني، وشارك كوزير للداخلية في أول حكومتين شكلهما رشيد عالي الكيلاني الذي كان يشاطره ميوله الألمانية التي ستقوده عند بدايات سنوات الأربعين إلى محاولته الانقلابية الشهيرة (ثورة ١٩٤١) ضد الإنكليز.

في ١٩٣٣، ترك حكمت سليمان الحكم، ثم اصدر في ١٩٣٥ عدداً واحداً وبثماً من جريدة «البيان» وتحول إلى المعارضة الحادة ضد ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني، وهذا ما جعل الفريق بكر صدقي يكلفه، إثر انقلابه الشهير، بتشكيل حكومة تحلف حكومة الهاشمي، وشكل تلك الحكومة في اواخر ١٩٣٧. وتحلى حكمت سليمان عن الحكم بعد اغتيال بكر صدقي في الموصل، لكنه استمر يعطى السياسة التي كان دائماً لاعباً أساسياً فيها ويتقلب بين اتجاهاتها إلى درجة انه في الوقت الذي كان يتهم فيه بـ«الشيوعية» بسبب تعاونه مع جماعة «الأهالي» ومع جعفر أبو التمن، كان يخطط لأن يتعاون بعد التخلص من الجماعة، مع كل من نوري السعيد وجعفر العسكري المعزولين على ديمومة العلاقة مع بريطانيا. ويقول محمود شبيب في كتابه «صفحات مطوية من تاريخ العراق» إن حكمت سليمان قد تنكر بعد وصوله إلى الحكم حتى للبرامج الإصلاحية التي طرحها في جريدة «البيان»، مما يعني في نظر شبيب ان علاقة سليمان مع الأهالي وجعفر أبو التمن إنما كانت وسيلة للوصول إلى السلطة لا أكثر. وفي آذار ١٩٣٩، اتهم حكمت سليمان مع آخرين بالتآمر على الحكم وحكم عليه بالاعدام ثم تخفف الحكم إلى السجن خمس سنوات أمضى اثنتين منها في السليمانية ثم أفرج عنه في ربيع ١٩٤١ وسافر إلى إيران ليعود منها منصرفاً إلى شؤونته الخاصة وإلى الكتابة وترجمة مؤلفات والده التاريخية حتى رحيله.

إلى بتغازي (١٩١٥) لحمل السنوسيين على مهاجمة حدود مصر الغربية لمشاغلة الجيش البريطاني، ووقع اسيراً في يد الإنكليز في مرسى مطروح (١٩١٦). وبعد قيام الحركة العربية ضد الاتراك في الحجاز أفرج عنه، والتحق بالملك فيصل في العقبة، فعين قائداً للقوات النظامية في الجيش الشمالي. وبعد الحرب تولى منصب الحاكم العسكري على عمان ثم ولاية حلب (١٩١٩) ومنصب كبير أمناء الملك فيصل الأول عندما بويع ملكاً على سورية. خرج مع فيصل بعد دخول الفرنسيين دمشق، وعاد إلى بغداد وتولى وزارة الدفاع في وزارة التقيّم الأولى التي شكلت إثر مبايعة فيصل الأول في العراق عام ١٩٢١. تولى رئاسة الوزارة في ١٩٢٤، وفي أيامه وضع الدستور العراقي وعقدت المعاهدة البريطانية-العراقية الأولى. عين ممثلاً سياسياً للعراق في لندن (١٩٢٥)، فريساً للوزارة مرة ثانية في ١٩٢٦. وفي ١٩٣٠، عين وزيراً للخارجية والدفاع. وأصبح رئيساً لمجلس النواب، وفي ١٩٣٤، عين عضواً في مجلس الاعيان ووزيراً للدفاع (١٩٣٥). وعندما قام بكر صدقي بانقلابه، حاول العسكري إقناعه بالعدول عنه، فقتله بعض أنصار الانقلاب («موسوعة السياسة»، ج ٢، ص ٦٨).

## \* جميل المدفعي (١٨٩٠-١٩٥٨): عسكري

وسياسي عراقي. درس الهندسة في اسطنبول. التحق بالجيش العثماني، وانضم إلى جمعية العهد العربية العسكرية السرية، والتحق بالجيش الشريف (الثورة العربية الكبرى التي قادها الشريف حسين). عندما وصل الامير فيصل بن الحسين إلى دمشق (١٩١٨)، عمل المدفعي مستشاراً عسكرياً له. وعلى أثر معركة ميسلون، وسقوط الحكم العربي في سورية (١٩٢٠)، عاد إلى العراق، وشارك في الثورات الوطنية ضد الحكم البريطاني. لجأ إلى شرقي الاردن، وعاد ثانية إلى العراق في ١٩٢٣ بعد ان والى الإنكليز. فعين حاكماً ادارياً وأصبح في عداد الذين تولوا المناصب العليا إبان الحكم الهاشمي. أصبح وزيراً للداخلية ١٩٣٠-١٩٣٣، ثم رئيساً للوزراء ١٩٣٣-١٩٣٥ و١٩٣٧-١٩٣٨، ١٩٤١، ١٩٥٣. اضطر إلى الفرار للاردن مع الوصي على العرش عبد الإله ونوري السعيد بعد نشوب ثورة ١٩٤١، ثم عاد معها. عين رئيساً لمجلس الاعيان في ١٩٤٤-١٩٤٥، وفي ١٩٤٨ وزيراً للداخلية، ثم رئيساً لمجلس الاعيان مرة ثانية ١٩٥٥-١٩٥٨ إلى ان لاقى حتفه في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.



رشيد عالي الكيلاني.

بعد اعلان الحرب العالمية الثانية، رأى الوصي على العرش عبد الإله ان يساير الرأي العام العراقي الذي استنكر الغموض والديبلوماسية البريطانية المحيطة بمقتل الملك غازي، والذي كان يرى في نوري السعيد صنيعة للانكليز، فطلب إلى رشيد عالي الكيلاني، رئيس الديوان العالي، ان يرأس حكومة اقطاب تضم كبار السياسيين العراقيين. وتم تأليف الوزارة في آذار ١٩٤٠، إلا انها سرعان ما اصطدمت بالانكليز نتيجة محاولة هؤلاء فرض الارادة البريطانية على الشعب العراقي. فقد طلب الانكليز من رشيد عالي قطع العلاقات مع ايطاليا أسوة بسلفه نوري السعيد الذي قطع العلاقات مع ألمانيا، إلا ان رشيد عالي رفض طلبهم على اعتبار ان المعاهدة العراقية-البريطانية لا تحتم ذلك، وانه يتوجب تزويد العراق بالسلاح أو بالمال اللازم لشراء السلاح وإصدار بيان مشترك مع فرنسا يعلن التعاطف مع أماني العرب القومية في سورية وفلسطين. إلا ان بريطانيا رفضت طلبات العراق وعمدت فوراً بالتعاون مع الوصي عبد الإله على إسقاط وزارة الكيلاني عن طريق دعوة الوزراء إلى الانسحاب من الحكومة، فيضطر رئيس الوزراء إلى الاستقالة بدوره. وبالفعل، اقدم الوزراء، وفي طليعتهم نوري السعيد وزير الخارجية، على الاستقالة. وكاد رشيد عالي ان يضطر إلى تقديم استقالته لولا تدخل التنظيم القومي العربي في الجيش العراقي بقيادة العقلاء الاربعة (صلاح الدين صباغ، محمود سلمان، كامل شبيب وفهمي سعيد) وإبلاغهم إياه بأن الجيش يؤيده، وان عليه ان يختار وزراء جدد بدلاً من المستقيلين. وقد فعل الكيلاني ذلك

على الرغم من ان حكمت سليمان كان من أصل تركي، ويكاد ينقن التركية أكثر من اتقانه العربية، وعلى رغم إعجابيه الشديد بتجربة مصطفى كمال في تركيا وإعلانه انه لن يكون شأن للعراقيين إن هم لم يتبعوا مثال العلماني التركي الأكبر، فإن غرتود بل البريطانية التي كان لها شأن كبير في مرحلة من مراحل السياسة العراقية تقول في رسالة كتبها اوائل ١٩٢١ إن حكمت سليمان كان أكبر المعارضين حين طرحت فكرة استقدام أمير عثماني لرأس دولة العراق التي كانت تتكون في ذلك الحين تحت إشراف بريطانيا. عارض سليمان الفكرة وقال إن الاتراك لا يستطيعون حكم أنفسهم فكيف تريدون أحدهم أن يحكمنا؟!.

وينقل مير بصري عن كامل الجادرجي تحليته لشخصية حكمت سليمان على النحو التالي: «إنه نشأ في بيتين مختلفتين فأبوه كولندي تركي الثقافة ثائر بطبيعته ناظم على استبداد السلطان عبد الحميد وقد توفى وحكمت صغير السن. لكنه نشأ في أسرة تتكلم اللغة التركية وتتحدث بالاخلاق التركية، ثم كبر في ظل أخيه محمود شوكت باشا بطل الحرية. ومن ناحية ثانية كثر اختلاط حكمت منذ عهد طفولته بزراع أراضيه وبساتينه من الفلاحين العرب حتى صار يتكلم العربية بلهجة ريفية (...). وأشار الجادرجي -ودائماً حسب رواية مير بصري- إلى إعجاب حكمت سليمان بالجندي الألمانية والدبلوماسية الانكليزية فصار يفتس الألمان ويفتسي الانكليز» (عن ابراهيم العريس عن مير بصري «الحياة»، العدد ١٢٨٧٧، تاريخ ٦ حزيران ١٩٩٨، ص ١٨).

\* جهيد مجيد موسى: راجع «الحزب الشيوعي العراقي» في باب الاحزاب.

\* رشيد عالي الكيلاني (١٨٩٣-١٩٦٥): سياسي عراقي. ولد في عائلة بغدادية ذات مكانة مرموقة. درس الحقوق ودرّس القانون. عين عضواً في محكمة التمييز، فوزيراً للعمل (١٩٢٤)، ولكنه سرعان ما استقال احتجاجاً على اتفاقية البترول المبرمة مع بريطانيا على أساس انها تخدع بحق العراق. في ١٩٣٣، تولى رئاسة الوزارة، فعهد الانكليز إلى إثارة الفتنة الطائفية في شمالي البلاد كان الأشوريون ضحيتها، وقمعها الكيلاني بعنف. وزير الداخلية في حكومة ياسين الهاشمي (١٩٣٥)، ثم رئيس الديوان الملكي في عهد الملك غازي.

العراقي يملك سوى بضعة أسلحة عتيقة. استمرت الحرب حتى ٢٩ أيار (١٩٤١)، حيث انتهت بانتصار الانكليز، وبتوقيع هدنة في ٣٠ أيار (١٩٤١). وعادت الامور واستتبثت للانكليز وللوصي عبد الإله ولنوري السعيد، وتشكلت حكومة موالية لهم وأعلنت، في ٢ حزيران (١٩٤١) الاحكام العرفية وحاكمت القادة الوطنيين وأصدرت عليهم احكاماً غيائية بالاعدام. وقد تمكنت السلطات البريطانية من استلام الفارين من ايران، فابعدهم أول الأمر إلى روديسيا، ثم جاءت بعض منهم إلى بغداد، وفُذت حكم الاعدام شنقاً بحق فهمي سعيد ومحمود سليمان ويونس السبعاري في ٥ أيار ١٩٤٢، وكامل شيب في آب ١٩٤٤. وعلى اثر تسلم العقيد صلاح الدين الصباغ من تركيا قامت السلطات باعدامه يوم ١٦ تشرين الاول ١٩٤٥ (حول موقف الشيوعيين من هذه الثورة، راجع «الحزب الشيوعي العراقي» في باب الاحزاب).

أما رشيد عالي الكيلاني فغادر إلى ايران، ثم إلى ألمانيا فإلى السعودية فمصر. ولم يعد إلى العراق إلا بعد انقلاب ١٩٥٨ الذي أعاد له اعباره. ثم حاول الكيلاني الانقلاب عليه وفشل. بعده، قصد لبنان، وتوفي في بيروت في صيف ١٩٦٥.

\* زكي خسروي (١٩١١-١٩٩٥): سياسي وشيوعي عراقي. ولد لأب عربي سني وأم كردية شيعية. بدأ حياته السياسية، وكان لا يزال مراهقاً، عندما شارك في أول مظاهرة ضد الصهيونية في بغداد عام ١٩٢٨، واعتقل وتعرض للضرب بسببها. وفي معتقله تعرّف على فتیان في عمره ساهم معهم، بعد سنوات قليلة، في تأسيس الحزب الشيوعي العراقي، وأصبح هو في الرابعة والعشرين عضواً في أول لجنة مركزية للحزب، وأسس خلال ذلك أول التنظيمات الشيوعية السرية داخل الجيش العراقي. وعند اعتقال اعضاء اللجنة المركزية الأولى، وانفراطها، وقعت مسؤولية قيادة الحزب عليه وهو في السادسة والعشرين. أعقب ذلك نحو ٦٠ سنة من حياة اختفاء ونفي وسجن، ساهم خلالها في محاولات هرب مشهورة عبر أنفاق تحت الارض، وتعرض لخطر الموت في مذابح السجون السياسية في العهد الملكي، ونزعت عنه الجنسية العراقية مرتين، في العهدين الملكي والجمهوري (عن محمد عارف، كاتب عراقي، «الحياة»، العدد ١١٨١٣، تاريخ ٢٦ حزيران ١٩٩٥، ص ١١، نقلاً عن د. حنا بطاطو، استاذ التاريخ في

وأعدّ مرسوماً يجل مجلس النواب أيضاً. إلا ان الرصي عبد الإله لم يوقع على المراسيم، بل لجأ إلى الديوانية، فما كان من الكيلاني إلا ان قدم استقالته، فقام الوصي بتعيين طه الهاشمي رئيساً للوزراء ليعمل على إقضاء العقلاء الاربعة عن مناصبهم. وعندما حاول الهاشمي ان يفعل ذلك، تضامن الضباط مع زملائهم وحاصروا منزله وأجبروه على الاستقالة، وأحاطت قوات الجيش بالقصر، إلا أن الوصي استطاع الفرار بسيارة المفوض الاميركي إلى القاعدة البريطانية في الحباية، ثم إلى البصرة بطائرة تابعة لسلاح الجو البريطاني وحاول التحريض ضد الحكومة الوطنية في بغداد، ولم يتحارب معه سوى صالح حير، متصرف البصرة. فأصدر قادة الجيش أمراً لحماية البصرة بالقبض عليه، ففر الوصي إلى القنص. وقد سيطر الجيش على المرافق العامة في البلاد. ولدى اجتماع المجلس النيابي في ١٠ نيسان ١٩٤١، أعلن تصيب الشريف شرف وصياً على عرش العراق بدلاً من عبد الإله. وألقت بعد يومين حكومة «الدفاع الوطني» برئاسة رشيد عالي الكيلاني (وكانت حكومته الرابعة) وعضوية ناجي شوكت، ناجي السويدي، علي محمود الشيخ علي، محمد علي عمود، رؤوف البحراني، يونس السبعاري، د. محمد حسن سلمان ومرسى الشايندر.

كانت هذه التطورات موضع معارضة بريطانيا. فأخذت تباطئ في الاعتراف بالانقلاب وتعد العدة للقضاء عسكرياً على الحكم الوطني الجديد، وذلك بواسطة الفيلق العربي بقيادة غلوب في الاردن وقواعدها العسكرية في العراق وقوات انزال في البصرة. ثم بدأت تلك القوات بالتحرك شمالاً في الوقت الذي راحت فيه أجهزة دعائهم في طول اوروا وعرضها تقدم حركة رشيد عالي الكيلاني على انها حركة مرتبطة بألمانيا النازية، على رغم ان الكيلاني نفسه صرّح غير مرة بأنه سوف يحترم بنود المعاهدة الموقعة مع بريطانيا في ١٩٣٠.

وفي ٢ أيار ١٩٤١، أعلنت بريطانيا الحرب على العراق، وفتحت النار من قاعدة الحباية وأنزلت قوات كبيرة في البصرة وتحركت القوات في الاردن نحو الرطبة والرماذي فيبغداد. وأبدى الشعب العراقي حماساً كبيراً في الدفاع عن الحكم الوطني، وسانده فلسطينيون كانوا قد تجمعوا في بغداد بعد الثورة الفلسطينية الكبرى، كما تشكلت لجان شعبية في سورية للدفاع عن ثورة العراق. وكانت القاعدة العسكرية البريطانية في الحباية على مسافة أقل من ساعتين بالسيارة عن بغداد، في حين لم يكن الجيش

الحزب ويدعوه إلى وقف حرب الانصار ضد الجيش العراقي وتحويل البندقية بأخاه الغازي الايراني، مقتدياً بموقف مماثل اتخذه الزعيم الصيني ماو تسي تونغ في ١٩٣٧ حين انتقل إلى جانب الحكومة الصينية بعد حرب أهلية ضدها دامت عشر سنوات. و«تلك لم تكن المرة الاولى التي اقتدى فيها خيري بموقف «الرفاق الصينيين» الذين ألف عنهم واحداً من اوائل الكتب للنشورة بالعربية عن الثورة الصينية في الاربعينات، ويعتبر تعاطفه مع الصينيين في بداية الخلاف السوفياتي-الصيني في الستينات من المآزق الصعبة التي واجهها هو وحزبه مع القيادة السوفياتية» (المرجع المذكور).

وفي سنواته الأخيرة، استمر يعارض خطأ مهمماً في الحزب الشيوعي العراقي يرى «في الجيش أداة قمع بيد النظام للدفاع عن نفسه». فمما كتبه خيري ونشره عن دور الجيش العراقي في قمع الاضطرابات التي أعقبت حرب الخليج في ١٩٩١، ان موقف الجيش لم يكن «بمجرد الدفاع عن النظام الراهن ورأسه بل خرقاً من تمزق الوطن ايضاً وخشية ان تمزق الدولة العراقية إلى دويلات طائفية وان يتمزق الوطن ويضيع الاستقلال والسيادة الوطنية ويتمزق الجيش موئل حياتها». واستعان خيري بواقعة من تاريخ الحرب العالمية الثانية في تعليقه على ما يُقال من ان افراد الجيش العراقي قاتلوا ليس دفاعاً عن بلدهم بل خوفاً من فصائل الرمي التي ترصدتهم من ورالهم. ذكر في هذا الصدد حجاب ستالين على سؤال مراسل غربي عما إذا كان جنوده صمدوا خلال قتال الالمان في الحرب العالمية الثانية خوفاً من قوة الأمن السوفياتي التي كانت تدعى «أوغبور»: «كان رد ستالين المقتضب: ولكن الجيش الالمانى أقوى من الأوغبور» (المرجع المذكور).

وربما ذروة ما يرسم شخصية زكي خيري السياسية والوطنية والمقاتلية الفقرتان التاليتان اللتان أنهى بهما محمد كامل عارف مقاله (المرجع المذكور):

بدا زكي خيري، بعد الثمانين، أقرب إلى مارا، الزعيم الراديكالي في الثورة الفرنسية الذي قال حنا بطاطو أن خيري كان يعتبره مثله الأعلى أيام الشباب المبكر. يظهر طابع مارا اللاذع في انتقاد خيري لانضمام حزبه إلى «المؤتمر الوطني العراقي». فهو يتساءل كيف يدخل حزب شيوعي في تنظيم «صنعتة وتموله الولايات المتحدة»... ويقوده رأسمالي من عائلة كوميرادورية وإقطاعية. ويلاحظ ان هذه لا تعكس التضحية بالجانب الديمقراطي من أجل الجانب الوطني كما في التحالفات السابقة بل التضحية

الجامعة الاميركية في بيروت، في كتابه «الطبقات الاجتماعية القديمة والحركة الثورية في العراق» (The Old Social Classes and The Revolutionary Movement of Iraq)

يقول محمد عارف في المرجع المذكور أصلاً: «على رغم الطابع الأكاديمي لكتاب حنا بطاطو فإنه لا يفتقر تعاطفه مع خيري الذي التقاه في رحلته الاولى إلى العراق لجمع مواد كتابه: «جلس إلى جانبي وهو مقيد الرسغين والكاحلين بالاغلال في غرفة الحرس في سجن بعقوبة في يوم من ايام شهر حزيران ١٩٥٨». وحرص بطاطو الذي وضعت تحت تصرفه وثائق الأمن العام العراقي على عرض تقريعات خيري لامتناع الحزب الشيوعي عن استلام السلطة في العراق عام ١٩٥٩. ويعتبر عدم اقدام الشيوعيين على تسليم السلطة آنذاك رغم سيطرتهم على فرق بكاملها في الجيش من أهم الاسئلة في تاريخ العراق الحديث. كما تابع بطاطو تقديرات خيري للظروف التي أدت إلى مذابح الشيوعيين على أيدي البعثيين عام ١٩٦٣، وهي للأساسة التي لم يشف منها الشيوعيون العراقيون حتى الآن».

انتقد خيري حزبه، الحزب الشيوعي العراقي، حين دخل في تحالف غير مشروط مع البعثيين عام ١٩٧٣. فبدلاً من أن تستفيد قيادة الحزب في ١٩٧٣ من فرص المناورة التي قدمها التيار اليساري القومي المعارض للتحالف، فإنها عقدت ميثاقاً مع البعثيين قدمت فيه تنازلات كبيرة تخلت بموجبه عن حق الشيوعيين في العمل السياسي ليس في القوات المسلحة فحسب بل حتى في المنظمات الاجتماعية، مثل اتحاد الطلبة والنقابات المهنية والجمعيات الثقافية. ومع ان خيري كان عضواً آنذاك في أعلى سلطة في الحزب (المكتب السياسي) وساهم في إعداد ميثاق الجبهة مع البعثيين والمباحثات حولها فإنه رفض التوقيع على ميثاقها.

ومن المعروف أن أزمة الشيوعيين مع الدولة (والنظام) العراقية بلغت أوجها خلال الحرب العراقية-الايرانية التي عارضها الشيوعيون واعتبروها «اعتداءً ظالماً على ايران». لكن مع تطور الحرب ودخول القوات الايرانية الاراضي العراقية وتعرض كيان الدولة للخطر وجد كثير من الشيوعيين أنفسهم في مأزق. وقد عبّر عن الاحساس بذلك المآزق زكي خيري، وأقصي بسببه عن عضوية المكتب السياسي للحزب، وذلك بسبب دعوته إلى الوقوف إلى جانب الجيش العراقي. فذهب خيري (وهو في الخامسة والسبعين) إلى كردستان العراق لحضور مؤتمر





سعدون حمادي.

\* ساطع الحمصري: راجع «سورية»، ج ١٠،

ص ٢١٣.

\* سعدون حمادي (١٩٣٠ -): سياسي عراقي.

ولد في كربلاء. تلقى دراساته العليا في الجامعة الأميركية في بيروت، ثم في جامعة وسكنسن الأميركية حيث حاز على الدكتوراه في الاقتصاد (الاصلاح الزراعي). انتسب لحزب البعث أثناء دراسته في بيروت. درس الاقتصاد في جامعة بغداد (١٩٥٧) وبرز في صفوف حزب البعث في أواخر الخمسينات، ثم عمل في ليبيا حيث أودع السجن إبان العهد الملكي لقيامه بنشاط ثوري فيها. عين وزيراً للاصلاح الزراعي في أول وزارة شكلت على اثر سقوط حكم عبد الكريم قاسم في شباط ١٩٦٣، وأعفي من منصبه بعد أشهر قليلة. عمل في الامم المتحدة كخبير اقتصادي في دمشق، وعمل مستشاراً اقتصادياً للحكومة السورية في منتصف الستينات. في تشرين الثاني ١٩٦٨، عين رئيساً لمجلس إدارة شركة النفط الوطنية العراقية، وبقي في هذا المنصب حتى ايار ١٩٧٥. في نهاية ١٩٦٩، عين وزيراً للنفط والمعادن. وفي ١١ تشرين الثاني ١٩٧٤، أصبح وزيراً للخارجية فشارك في المؤتمرات العربية والدولية. وكانت ظهرت له كتابات عديدة حول الاصلاح الزراعي والوحدة العربية وقضايا الثورة العربية، خاصة وأنه كان من مؤسسي مركز دراسات الوحدة العربية. شغل لفترة وجيزة منصب رئيس الوزارة بعد حرب الخليج

بالاتنين معاً وفي آن واحد حتى لا يقال «إننا منعزلون بل نشترك في رسم مصائر العراق». ويورد خيربي شهادات من تقرير بعثة الامم المتحدة عن الدمار الذي أوقعته الحرب في العراق. ويتساءل كيف أمكن لحزبه ان يتحالف مع «المؤتمر الوطني» المتحالف مع الاميركيين الذين «دمروا معالم الحضارة في بلادنا واقتصادنا الوطني وهبطوا بمستوى معيشة شعبنا إلى الخضيض ويصرون على بقاءه هكذا منذ أربع سنوات».

واستعار خيربي في معرض انتقاده لرفاقه عبارة مشهورة في التراث الاسلامي عن أولئك الذين «يأكلون مع معاوية ويصلون وراء علي»، وأشار إلى أنهم «كانوا ينظاهرون براديكالية ابعد جذوراً من راديكالية الراديكاليين المتطرفين، أما الآن فقد غدوا «واقعيين» إلى ابعدهم... فهم يعترفون ان لبريطانيا مثلاً مصالح تاريخية في العراق لا يجب نسيانها، وينتظرون الديمقراطية من الدول الامبريالية ليس بالبحان بل لقاء ثروات البلاد الطبيعية، متعین ان الامبريالية مزمنة تمنح شعوبنا قسطاً «معقولاً» من الديمقراطية وبسطة العيش، وان ذلك من صالحها هي بالذات. ومنهم من هو أكثر «واقعية» فيقدم النصائح للامبرياليين ويطلبهم باعطاء المعارضة العراقية استقلالية القرار فهذا في صالحهم هم. واعتبر خيربي هذه الدعوات الصادرة عن قياديين شيوعيين «تذكر بالنصائح التي يقدمها الزعماء العرب لحكام أميركا بأن من الأفضل لمصالحهم ان يعتمدوا على العرب لا على الصهيونية».

توفي زكي خيربي في استوكهولم حيث كان يقيم لاحقاً منذ ١٩٩٣. وفي خير وفاته وصفته «الحياة» بأنه آخر الزعماء الشيوعيين العراقيين المخضرمين. ونقلت الصحيفة معلومات عن اختلاف الشيوعيين على دفنه بعد وفاته في استوكهولم. ففي حين أكدت أرملته انه أوصاها بأن يدفن في مسقط رأسه بغداد، رفض الحزب الشيوعي ذلك خشية ان يستخدم النظام العراقي عودة جثمانه إلى وطنه، ودعا إلى دفنه في السويد أو سورية، فيما اقترح فريق ثالث ان يدفن في كردستان العراق كحل وسط. وأضافت الصحيفة ان الحزب الشيوعي الاردني أبدى استعداداه لتسليم الجثمان في عمان ونقله في «مركب مهيب» إلى بغداد لإقامة عزاء جماهيري له. وإذا كان صحيحاً ما ذكر اخيراً انه دفن في دمشق التي غادرها قبل سنتين (من وفاته وقاصداً السويد) فإن الحدث شبيه بوصف زكي خيربي لسياسة الشيوعيين الحالية انها تبدو مثل «صورة أعداء رسام كاريكاتوري ماكر».



الرئيس صدام حسين.

\* صدام حسين (١٩٣٧-): رئيس الجمهورية العراقية الحالي (منذ ١٩٧٩). ولد بتميمًا بالقرب من تكريت. انتقل، في سن العاشرة، إلى تكريت للانحاق بالمدرسة هناك، حيث أقام برعاية خاله خير الله طلفاح، وانتقل معه إلى بغداد في ما بعد. في بغداد، انضم إلى حزب البعث في ١٩٥٦، وفي أجواء العدوان الثلاثي على مصر. في ١٩٥٨، ألقت به سلطات عبد الكريم قاسم في السجن، حيث عرف من رفاق له ان الحزب مزعم على تكييفه خطة تصفية قاسم، ولم يتردد في الموافقة. وعندما نفذ الخطة (بعد الافراج عنه)، اصيب برصاصة في ساقه، ولكنه تمكن من الحرب إلى سورية، ومكث في دمشق أربعة أشهر انتقل بعدها إلى القاهرة حيث أنهى الدراسة الثانوية ودخل كلية الحقوق ونشط بين الطلاب العرب ووصل إلى قيادة فرع مصر، كما استفاد من دراسة بحرية الرئيس جمال عبد الناصر.

بعد قيام «ثورة ومضان» (٨ شباط ١٩٦٣) وسقوط عبد الكريم قاسم، عاد صدام إلى العراق. حضر

الثانية، ثم أصبح رئيس المجلس الوطني العراقي وهو لا يزال يشغل هذا المنصب حتى اليوم (أواسط ١٩٩٨).

ردًا على سؤال صحافي («الوسط»، العدد ٣٣٦، ٦ تموز ١٩٩٨، ص ٣٠) حول استحداث مؤسسة رئاسة الحكومة-في أعقاب حرب الخليج الثانية-لفرض إناطة منصب رئاستها بشخصية شيعية-أي به هو شخصيًا- لامتناس التداهيات، وإذا ما كان يعتبر نفسه ممثلًا للشيعية في العراق، أجاب الدكتور سعدون حمادي: «كيف أكون بعياً أؤمن بأن الأمة العربية من المحيط إلى الخليج أمة واحدة يجب أن تتحد في دولة واحدة وفي الوقت نفسه أكون ممثلًا لشريحة من الشعب العراقي؟ هل عرف عني يوماً، قولاً أو عملاً، أنه بادر في ذهني تفكير قطري أو ملهي أو عشائري؟ أنا لا أؤمن بذلك إطلاقاً».

\* صالح جبر (١٨٩٦-١٩٥٧): سياسي عراقي. ولد في الناصرية ودرس الحقوق في جامعة بغداد. نائب في ١٩٣٠. وزير المعارف في ١٩٣٣-١٩٣٤. محافظ كربلاء ١٩٣٥-١٩٣٦. وزير العدل ١٩٣٧-١٩٣٨. وزير المعارف للمرة الثانية ١٩٣٨-١٩٤٠. ثم وزير الشؤون الاجتماعية، فمحافظ للبصرة. بعد فشل ثورة رشيد عالي الكيلاني، عين وزيراً للخارجية في حكومة نوري السعيد، ثم وزيراً للمالية. رئيس الوزراء بعد استقالة نوري السعيد في ٢٩ آذار ١٩٤٧، وذهب إلى لندن على رأس وفد عراقي لتعديل المعاهدة العراقية-البريطانية بصحبة وزير خارجيته فاضل الجمالي. ارتبط اسمه بالتوقيع على معاهدة بورتسموث في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٨ التي أثارت نغمة الشعب والاضطرابات في البلاد، فعمد إلى الاستقالة لتخلفه حكومة ترفض المعاهدة. عاد في ١٩٥٠ إلى الاشتراك في الوزارة فعين وزيراً للدخالية لفترة قصيرة. وفي ١٩٥١ أسس «حزب الأمة العراقي» اليميني الاتجاه والذي لم يعمر طويلاً، وكان يمثل مصالح كبار الاقطاعيين التقليديين الذين اختلفوا مع نوري السعيد.

تميزت فترة رئاسته للوزارة بالانحياز الكامل للسياسة البريطانية، وبإصداره قانوناً خاصاً سمح بموجبه لليهود العراقيين بمغادرة العراق إلى فلسطين المحتلة، وكانت نتيجة ذلك هجرة أكثر من مائة ألف يهودي (راجع العنوان الفرعي «ندوة بيروت الخاصة باليهود العزب: الجذور والتهجور» في «العالم العربي» في هذا الجزء).

للمعدات وتدريب العلماء والفنيين في هذا الخصوص. في المؤتمر القومي الحادي عشر لحزب البعث (١٩٧٧)، اختير صدام أميناً عاماً مساعداً للحزب في القيادة القومية الجديدة.

على اثر اتفاقيات كامب دافيد، عمل صدام جاهداً على تأمين مستلزمات إيقاف تداعيات هذه الاتفاقيات وتأمين الصمود العربي من خلال إقحام مؤتمر قمة بغداد (١٩٧٨) الذي خرج بموقف عربي موحد ملتزم بدعم شامل لمنظمة التحرير الفلسطينية وعرب الاراضي المحتلة والاردن وسورية وباعتبار النضال من أجل استعادة الحقوق العربية مسؤولية قومية عامة. وفي الاجتماع الاستثنائي لوزراء الخارجية والاقتصاد في بغداد في ٢٧ آذار ١٩٧٩، عمل صدام حسين على ترجمة قرارات قمة بغداد إلى أفعال، وأصدر العراق تعهداً يتحمل أعباء دعم دول المواجهة وصمود الارض المحتلة وحده إذا ما قُصرت حكومات الاقطار الأخرى بالإبقاء بتعهداتها المالية في هذا السبيل.

في ١٦ تموز ١٩٧٩، أعلن أحمد حسن البكر تنحيه عن رئاسة الجمهورية لصالح نائبه ورفيقه صدام حسين. وسرعان ما أعلن عن «مؤامرة رفاق سابقين»، تعاطى صدام حسين بسرعة وحسم وعنف فأعدم عدداً من «المتأمرين». ولم يمض بضعة أسابيع من توليه الرئاسة حتى قصد هافانا للمشاركة في مؤتمر قمة عدم الانحياز. وقد ثبت هذا المؤتمر بغداد كعاصمة لمنظمة عدم الانحياز في الدورة التالية والتي تبدأ من ايلول ١٩٨٢ وتستمر لثلاث سنوات. في مؤتمر القمة العربية العاشر (تونس، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٩)، حرص صدام حسين على اعداد صيغة تعامل قومي جاءت على شكل اعلان قومي لتنظيم العلاقات بين الدول العربية (تحریم استخدام القوة المسلحة من قبل أية دولة عربية ضد دولة عربية أخرى). وفي مؤتمر القمة العربية الحادي عشر (عمان، تشرين ١٩٨٠) بذل صدام جهداً لتطوير العمل الاقتصادي العربي المشترك لتعزيز التعاون العربي.

وكانت مسألة العلاقات مع ايران من المسائل الرئيسية التي واجهها صدام حسين منذ مطلع تسلمه الرئاسة. فقد بادرت ايران، من وجهة نظر العراق والعرب (الجارورين خاصة لايران)، بالسلبية وإثارة النزعات الطائفية واستخدام الدين كغطاء للاطماع التوسعية للسيطرة على الخليج العربي. وفي هذا الاطار أخذت الاستنزافات العسكرية والسياسية والحملات الاعلامية الايرانية المتراصة

المؤتمر القومي السادس لحزب البعث في دمشق (صيف ١٩٦٣). وفي بغداد توثقت علاقته بأحمد حسن البكر، وفي ١٩٦٤، سافر سرّاً إلى دمشق للمشاركة في المؤتمر القومي السابع، ليعود بعده إلى بغداد ويتولى الاشراف على التنظيم الحزبي العسكري إضافة إلى مسؤولية المكتب الفلاحي، ويضطر لعملية تغيير النظام. لكن مع انكشاف الخطة، اعتقل، مع عدد كبير من البعثيين. انتخبه المؤتمر القومي الثامن (١٩٦٥) عضواً في القيادة القومية. وفي تموز ١٩٦٦، تمكن من الهرب من السجن.

وفي فجر ١٧ تموز ١٩٦٨، كان صدام حسين يدخل القصر الجمهوري في دبابه وزعي عسكري وفق خطة مدنية-عسكرية لإنهاء حكم عبد الرحمن عارف، ولتسلم البعث السلطة من جديد. وأشرف صدام حسين بنفسه على إقصاء عبد الرزاق النايف والداود، اللذين فرضا نفسيهما على قيادة البعث كشريكين في ثورة تموز. وأذاع مجلس قيادة الثورة بياناً بتعيين أحمد حسن البكر أمين سر القيادة القطرية للحزب رئيساً للجمهورية ورئيساً للوزراء وقائداً عاماً للقوات المسلحة. وبعد الاجتماع الاول للقيادة الجديدة تقرر اختيار صدام حسين نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة بعد ٣٠ تموز انسجاماً مع موقعه الحزبي الرسمي باعتباره كان نائباً لأمين سر القيادة القطرية منذ العمل السري. ومنذ ذلك الحين وحتى ١٩٧٩ (أي خلال ١١ عاماً) «اعتمدت صيغة قائدين ضمن قيادة واحدة». فتولى صدام حسين المهام الحساسة والكبيرة: أمن الثورة، المفاوضات مع الحركة الكردية، زهارة موسكو الممهدة للمعاهدة العراقية-السوفياتية، قيادة المعركة ضد شركات النفط وتأميم النفط (حزيران ١٩٧٢)، مبادرة الاشتراك في حرب ١٩٧٣، الاشراف على مجلس التخطيط، إدارة الصمود العراقي إبان التشجيع الاميركي والاسرائيلي للتمرد الكردي في الشمال ومشاركة قوات ايرانية في معارك ضد الجيش العراقي، العمل على توثيق الصلات مع دول عدم الانحياز وفرنسا إلى جانب الحفاظ على العلاقات الودية مع الاتحاد السوفياتي... وكان نتيجة كل ذلك انهيار التمرد في الشمال وتوقيع اتفاقية الجزائر (آذار ١٩٧٥) وبروتوكول طهران بعد أسابيع قليلة.

تمكن العراق، بقيادة صدام ومسؤولياته في مهامه وقبل توليه مهام الرئاسة في ١٩٧٩، من مضاعفة الجهود التنموية، والتخطيط لإيجاد تكنولوجيا عربية متقدمة بما فيها التكنولوجيا النووية التي ألحقت طاقاتها بمكتبه شخصياً وتولى التفاوض مع الحكومة الفرنسية حول حيازة العراق

تصاعد، الأمر الذي دفع صدام إلى بذل المحاولات المتكررة عبر المذكرات الرسمية والاصدقاء المشتركين، مثل باسر عرفات، لتنتيجه إلى خطورة الاستمرار على هذا الدوال، ولكن دون طائل. وفي ٤ ايلول ١٩٨٠، أخذت المناطق العراقية المتاخمة لإيران والمدن تتعرض لتيران المدفعية الإيرانية في الوقت الذي أعلن فيه رئيس جمهورية إيران الإسلامية تراجع بلاده عن اتفاقية الجزائر التي وقعها الشاه ولم يطبقها، وكذلك قامت إيران بإغلاق شط العرب. وفي ١٧ ايلول ١٩٨٠، وقف صدام حسين أمام المجلس الوطني المنتعش حديثاً (بعد غياب طويل جداً للحياة البرلمانية) ليعلن قرار القيادة العراقية باعتبار اتفاقية الجزائر ملغاة واستعادة السيادة الكاملة على شط العرب. وعلى الرغم من الانتصارات العسكرية التي حققها الجيش العراقي على جبهة واسعة وفي عمق الأراضي الإيرانية فإن صدام حسين حرص على التأكيد باستمرار وثبات بعدم رغبة العراق في ضم الأراضي الإيرانية واستعادته لعقد صلح عادل ومشرف مع إيران شريطة تسليمها بمغزق العراق المشروعة في السيادة على أرضه ومياهه، وابداء رغبتها الحقيقية في حسن الجوار مع الاقطار العربية المجاورة لها. ولم تغضر الحرب مع إيران من تصميم صدام حسين على المضي في مشاريع التصنيع والتنمية الاقتصادية والنهضة العلمية في العراق.

كانت هذه أهم النقاط الواردة في سيرة الرئيس صدام حسين في «موسوعة السياسة» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج٣، ط١، ١٩٨٣، ص٦٢٧-٦٣١). أما ما يمكن إضافته باختصار، أن هذه السيرة ربما كانت أكثر سير زعماء الدول، في العقود الأخيرة، التي انشغلت بها الاقلام العالمية سواء بلهجة الكشوف عن جوانب الشخصية الخاصة لصدام حسين أو شخصيته العامة. ومن الملاحظ ان هذه الاقلام أبرزت، في مرحلة أولى وخلال العقد الاول من ولايته الرئاسية التي اتسمت أكثر ما اتسمت بحرب العراق مع إيران، مواصفات شخصية تركزت على قوته وطموحه اللا محدود لرفع شأن العراق والعرب، معتبرة إياه «دهنول العرب» حيناً، و«بسمارك العرب» أحياناً. أما في مرحلة ثانية، أي خلال العقد الثاني والحالي من ولايته الذي طُبع بحرب الخليج الثانية، فقد أخذت الاقلام الصحافية العالمية (وبعض الاقلام الصحافية العربية) تشكك بصدق ولائه، وتبرز نزعة دكتاتورية لديه تطبع شخصيته التي لا تتركز إلا إلى العشيورة والأقارب والأخوة والأبناء، محملة إياه مسؤولية كل ما

أصاب العراق نتيجة حرب الخليج الثانية. والحقيقة أن حوادث داخلية كثيرة شهدتها العراق كانت شواهد تستند إليها هذه الاقلام في إدانة نظامه. وربما كان ما رواه عزيز محمد سكرتير الحزب الشيوعي العراقي من ١٩٦٤ إلى ١٩٩٣ مجلة «الوسط» (أعداد ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩، تاريخ ٢٨ تموز ٤ آب و ١١ آب ١٩٩٧) عن صدام حسين وممارساته الحزبية والسلطوية، سواء إزاء رفاق له في حزب البعث أو اصديقاء في الجبهة الوطنية والتقدمية أو أخصام أو مواطنين عاديين، بشكل أعطر التهم التي يمكن ان توجه لزعيم سياسي أو مسؤول. لكن أحداً، في المقابل، لم يستطيع ان يقدم دليلاً على تراخ أبداه صدام حسين أو انهزام، في كل موضوع متعلق بكرامة وطنية أو قومية، رغم الشدائد والكوارث التي نزلت، ولا تزال، بالعراق والعراقيين، والضغوط الهائلة التي تعرضوا لها (فالمعروف عن صدام حسين حرصه الشديد على تزويد الوزراء والدبلوماسيين والمفاوضين العراقيين مع أي جهة كانت وفي أي مجال كان بضرورة «الحفاظ على سيادة العراق وعدم المساس بوحدة اراضيه ولا كرامة شعبه»). وقد يكون هذا الموقف بالذات في أساس قوته وصمود نظامه من جهة، وكاشف «هزال» و«سحق» معارضيه العراقيين من جهة أخرى. و«هزال» و«سحق»، إضافة إلى «عنانة»، هي من أكثر المفردات التي تراشق بها أكثر أطراف المعارضة أنفسهم في وصف بعضهم البعض طيلة السنوات التي أعقبت فشل انتفاضتهم في ١٩٩١.

#### \* صلاح الدين الصباغ (١٨٩٩-١٩٤٥):

عسكري ثوري عراقي. ولد في الموصل لأب لبناني (من صيدا) وأم من الموصل. درس في بيروت والموصل واسطنبول. دخل الخدمة العسكرية (في الجيش العثماني) ورفق إلى ملازم في ١٩١٧. التحق بالجيش العربي في سورية. اعتقله الفرنسيون بعد سقوط الحكم العربي في دمشق. بعد إطلاق سراحه ذهب إلى العراق والتحق بالجيش هناك، وأرسل للدراسة في عدد من المعاهد العسكرية البريطانية. درس في الكلية العسكرية في العراق وأصبح آمراً للقوة الجوية، فمعاوناً لرئيس أركان الجيش. انتصر لحركة الكيلاني، وكان في مقدمة الضباط وقادة الحركة الوطنية في تشكيل مجلس الدفاع ليدر شؤون البلاد إبان ثورة ١٩٤١. وتولى قيادة الفرقة الأولى والثالثة والفرقة المصنفة وأصبح قائداً للجبهة الغربية في فترة الجاهلية مع القوات الانكليزية والتعزيزات التي جاءت من شرقي

لرئيس الوزراء، وأشرف على نشاط المجلس الأعلى لمحور  
الأمية. أسهم في النشاطات والعلاقات الدولية للعراق، فزار  
فرنسا والعديد من الدول، وشارك في مؤتمر قمة عدم  
الانحياز، كما تابع مهام الاتصال والمفاوضات مع اللجان  
الدولية المكلفة بالتوسط في النزاع العراقي-الايرواني (عن  
«موسوعة السياسة»، ج٣، بيروت، ط١، ١٩٨٣،  
ص٧٥١-٧٥٢).

لمع إسمه، كوزير للخارجية إبان حرب الخليج  
الثانية، متصفاً بدبلوماسية مرنة وحازمة في آن، وكان قد  
شد أنظار العالم إليه قبيل اندلاع هذه الحرب في اللقاء الذي  
عقدته مع وزير الخارجية الأميركي جيمس بايكر في جنيف  
في ٩ كانون الثاني ١٩٩١. وقد وُصف هذا اللقاء بـ«لقاء  
الأمل الأخير» واستغرق ست ساعات ونصف الساعة.  
ويعتبر طارق عزيز من أبرز أركان نظام الرئيس صدام  
حسين، والمنصب الحالي الذي يشغله هو نائب رئيس  
الوزراء.



صلاح الدين الصباغ.

\* طالب النقيب (١٨٦٢-١٩٢٩): سياسي  
عراقي. ولد في البصرة. شغل منصب حاكم إقليم الإحساء  
في ١٩٠٢ إبان العهد الحميدي، وأصبح عضواً في مجلس  
«المبعوثان» في ١٩٠٩. اتهمه الأتراك في ١٩١٣، بتدبير  
مؤامرة لاغتيال القائد العسكري التركي في البصرة. نفي إلى  
الهند عقب الاحتلال البريطاني للعراق. عين وزيراً في أول  
حكومة عراقية، ونافس فيصل في عرش العراق، فنفساه  
البريطانيون مجدداً إلى الهند. توسط بين الهاشميين والسعوديين  
في ١٩٢٤. توفي في ميونيخ (ألمانيا) إثر عملية جراحية.

\* طه الهاشمي (١٨٨٨-١٩٦٦): عسكري  
وسياسي عراقي. ولد في بغداد ودرس فيها ثم في المدرسة  
الحربية في اسطنبول وحصل على شهادة الأركان في  
١٩٠٩. في ١٩١٠، أصبح من أركان الفيلق الثامن في  
سورية، وشارك في ١٩١٢ في الحرب البلقانية، وانتمى، في  
١٩١٣، إلى جمعية العهد القومية العربية السرية. تولى  
مناصب مهمة في القوة العسكرية العثمانية في اليمن،  
وأصبح بعد ذلك رئيس أركان حرب الفيلق العثماني  
السابع. في ١٩٢٠، توجه إلى سورية حيث عين مديراً  
للأمن العام في ظل الحكم الفيصلي. ثم توجه إلى العراق  
وأصبح رئيساً لهيئة أركان الجيش العراقي (١٩٢٣)، وأعيد  
تعيينه في هذا المنصب في ١٩٣٠. عين مرافقاً للأدميرال  
غازي، ولي العهد، في ١٩٢٤. أحاطته حركة بكر صدقي

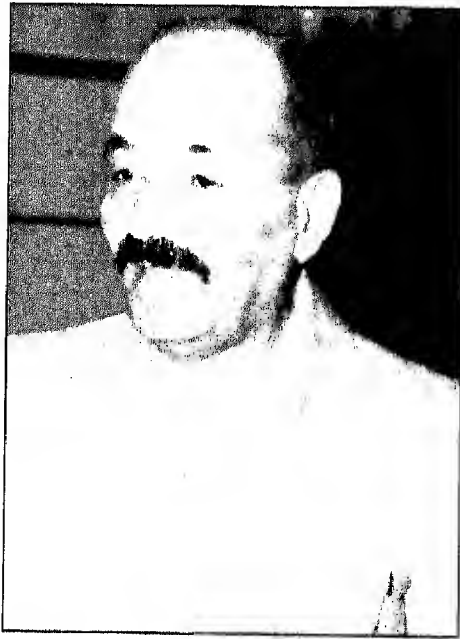
الأردن. مع هزيمة الحركة الوطنية وإعدام رفاق الصباغ  
(فهيم سعيد، محمود سليمان ويونس السبعاري)، تمكن  
من الفرار إلى إيران ثم إلى تركيا التي سلمته بعد تردد طويل  
إلى بريطانيا بالتعاون مع سلطات الانتداب الفرنسي في  
سورية. وتم إعدامه في بغداد في ١٦ تشرين الأول ١٩٤٥.

\* طارق عزيز (١٩٣٦-): سياسي عراقي.  
درس في بغداد، وتخرج في كلية الآداب (١٩٥٨)، وكان  
منتمياً لحزب البعث وهو طالباً في الجامعة. عمل محرراً في  
جريدة «الجمهورية» العراقية التي صدرت بعد ثورة ١٤  
تموز ١٩٥٨، وفي ١٩٦٣ عمل مديراً لتحرير جريدة  
«الجمهورية». وبعد حركة تشرين الثاني ١٩٦٣ انتقل إلى  
سورية وعمل في الصحافة السورية وسجن على أثر انقلاب  
٢٣ شباط ١٩٦٦. عاد إلى العراق بعد ١٧ تموز ١٩٦٨  
وتولى رئاسة تحرير جريدة «الثورة» الناطقة بلسان حزب  
البعث العربي الاشتراكي. وتولى مهمة نائب رئيس مكتب  
الثقافة والإعلام القومي، وانتخب عضواً مرشحاً للقيادة  
القطرية لهذا الحزب في مطلع ١٩٧٤. عين في تشرين الثاني  
١٩٧٤، وزيراً للإعلام، وأصبح في ١٩٧٧ عضواً في مجلس  
قيادة الثورة وانتخب عضواً في القيادة القومية للحزب.  
فاستقال من وزارة الإعلام للتفرغ للعمل الحزبي. وعلى أثر  
تولي صدام حسين مهام رئاسة الجمهورية خلفاً لأحمد  
حسن البكر في ١٦ تموز ١٩٧٩، عين طارق عزيز نائباً

وفي آذار ١٩٧٠ عين وزيراً للصناعة، وفي ١٩٦٧، وزيراً للاسكان، وفي ١٩٧٤ وزيراً للتخطيط بالوكالة حتى ايار ١٩٧٦، وأصبح قائداً للجيش الشعبي. وفي ١٩٧٧، انتخب عضواً في القيادة القومية للحزب. وعلى أثر تولي صدام حسين مهام الرئاسة، عين طه ياسين رمضان نائباً أول لرئيس الوزراء، وعمل بهذه الصفة على متابعة نشاط الوزارات ومؤسسات الدولة، كما قام بزيارات مهمة للاتحاد السوفياتي ودول غربي اوروبا بغية تطوير العلاقات بينها وبين العراق (عن «موسوعة السياسة»، ج٣، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ص٧٨٨). ثم أصبح، منذ ١٩٩٠، النائب الاول لرئيس الجمهورية.

معروف بصلابة مواقفه في كل مهماته ومهما كانت الظروف صعبة وحرجة. قال، وهو نائب رئيس الجمهورية، وبعد جولة مغاربية شملت المغرب والجزائر وتونس، إن «بلادنا لن تعتذر لأحد حتى ولو استمر الحصار خمسين سنة»، وحمل بعنف على المعارضة العراقية في الخارج ووصفها بـ«العميلة والتافهة»، كما حمل على الكويت بسبب تصريحاتها في شأن القمة العربية، قائلاً إن «الكويت لم تصبح دولة عملاقة حتى تعرض أو تقبل بحضور العراق القمة» (من مقابلة صحافية أجرتها معه «الوسط»، العدد ٣٣٣، تاريخ ١٥ حزيران ١٩٩٨، ص٢٤). ووصفته مجلة «المشاهد السياسي، بي.بي.سي»

طه ياسين رمضان.



طه الهاشمي.

على التقاعد. انتخب، في ١٩٣٧، نائباً عن بغداد وتولى وزارة الدفاع في ثلاث وزارات شكلها نوري السعيد، كما تولى هذا المنصب في وزارة رشيد عالي الكيلاني. وأصبح رئيساً للوزارة شباط-نيسان ١٩٤١. ترأس حزباً معارضاً أسسه في ١٩٥١ عرف بـ«الجبهة الشعبية المتحدة». نشرت مذكراته في بيروت ١٩٦٧. وكان أحد هذه المذكرات خلدون ساطع الحصري الذي قدم لها بقوله: «إن مذكرات الهاشمي هذه لا تتعلق بالعراق فقط، ولكنها تشمل ايضاً سورية والقضية الفلسطينية في فترة دقيقة جداً، فترة الحرب العربية-الصهيونية الاولى وقيام دولة اسرائيل والسنوات الاولى من استقلال سورية وانقلاب حسني الزعيم وما تلاه».

\* طه ياسين رمضان (١٩٣٨-): سياسي عراقي. ولد في الموصل ودرس الثانوية فيها، ثم التحق بالكلية العسكرية. أحيل على التقاعد في ١٩٥٩ و١٩٦٤. بعدها، انتخب عضواً في القيادة القطرية لحزب البعث، وأعيد للخدمة في الجيش بعد ١٧ تموز ١٩٦٨، وفي تشرين الثاني ١٩٦٩، عين عضواً في مجلس قيادة الثورة، وترأس محكمة خاصة في مطلع ١٩٧٠ محاكمة «أعداء الثورة».

مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء، القيام بانقلاب والانفراد بالسلطة، ولكنهم فشلوا.

\* **عبد الإله بن علي (١٩١٢-١٩٥٨):** أمير هاشمي وسياسي ووصي العرش العراقي بعد مقتل الملك غازي بن فيصل الاول (١٩٣٩) حتى بلوغ فيصل الثاني سن الرشد في ١٩٥٣. ولد في الحجاز، وكان الابن الوحيد للملك علي بن الحسين الذي تولى عرش الحجاز لفترة قصيرة جدًا. انتقل إلى العراق بعد اعتلاء عمه فيصل بن الحسين عرشها. تلقى العلم، دون نجاح، في كلية فكتوريا في الاسكندرية.

بدأ ظهوره السياسي في العراق كحليف لنوري السعيد في اواخر الثلاثينات، عندما كان نوري يسعى لفرض هيمنته على الملك غازي وعلى السلطة. وعبد الإله كان ناعمًا على ابن عمه الملك الذي كان قد طلق زوجته الاميرة عالية أخت عبد الإله.

في مطلع آذار ١٩٣٩، أعلن نوري السعيد عن وجود مؤامرة عسكرية هدفها إطاحة الملك غازي والشخصيات السياسية المهمة بما فيها هو نفسه (أي نوري السعيد) وتعيين عبد الإله مكان الملك. وقد أكد عبد الإله هذه الرواية مفسحًا بذلك المجال أمام نوري للتخلص من خصومه في الجيش. وعندما أعلن عن مقتل الملك غازي في حادث سيارة (١٩٣٩) حامت الشبهات حول عبد الإله ونوري ولازمتهما طيلة حياتهما.

وقف عبد الإله، كوصي على العرش، إلى جانب نوري السعيد ونفذ رغبة الانكليز إبان ثورة رشيد عالي الكيلاني. وبعد نحو عامين من فشل هذه الثورة، بدأ أن عبد الإله ابتعد عن نوري السعيد ودفع وزارته إلى الاستقالة (حزيران ١٩٤٤)، واعتمد شاكر الراجحي، من الضباط الشريفيين، والمعادي لنوري السعيد؛ وأخذ، لفترة، يشكل الوزارات ويفرض نفسه على المسرح السياسي. إلا أنه لم يفلح في السيطرة على مقاليد الامور، فأعاد الانكليز نوري السعيد لرئاسة الوزارة، وعاد الوصي عبد الإله إلى كنفه أيضًا، مع محاولات بلها أحيانًا مثل الدعم الذي قدمه لصالح جبر منافسة نوري. وحاول هذا الأخير إزاحة عبد الإله واقترح، في ١٩٥٤، تعيينه سفيرًا في الخارج. قتل، مع أركان النظام الملكي، صبيحة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.



عارف عبد الرزاق.

(العدد ١١٣، ١٠-١٦ ايار ١٩٩٨) في مقابلة معه انه «الشخص الثاني الذي يجوز على ثقة كاملة من رفيق النضال (صدام حسين) منذ الخمسينات».

\* **عارف عبد الرزاق (١٩٢٤-):** عسكري وسياسي عراقي. تخرج في الأكاديمية العسكرية في ١٩٤٣، وفي مدرسة الطيران الانكليزية في ١٩٤٥، وانتسب لكلية الأركان في ١٩٥١-١٩٥٢. عمل آمرًا لقاعدة الحبيانية بعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. وفي آذار ١٩٥٩، أحيل للتحقيق بعد حركة عبد الإله الشواف. إلا أنه أعيد إلى الخدمة في السنة نفسها، وإلى أمرية قاعدة الحبيانية في صيف ١٩٦٢. وبسبب قرابته من باسل الكبيسي، قائد حركة القوميون العرب في العراق، فقد تقرب من الضباط الناصريين الذين وقفوا ضد البعث بعد ٨ شباط ١٩٦٣. عينه عبد السلام عارف، الذي قاد انقلاب ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ ضد البعث، وزيرًا للزراعة وأمرًا للقوة الجوية، ثم عينه رئيسًا للوزراء ووزيرًا للدفاع (١٩٦٥). لكن عارف عبد الرزاق وكتلة الضباط الناصريين حاولوا بعد تسعة ايام فقط، وفي اثناء حضور عبد السلام عارف



عبد الامير الانباري.

آخر مهماته الدبلوماسية الصعبة، عمله كسفير للعراق في الأمم المتحدة في أخرج الأوقات وأصعبها، أي منذ لحظة فرض العقوبات على بغداد جراء حرب الخليج الثانية وحتى مغادرته نيويورك. يومها كان معزولاً، والعالم كله ضد بلده، ومع هذا كان عليه ان يواجه مجلس الأمن وان يتحدث أمام الصحافة والتلفزيون مدافعاً عن موقف حكومته، مثل مقاتل وحيد في ساحة مكشوفة. ثم عمله في «مفاوضات النفط مقابل الغذاء» التي بدأها في شباط ١٩٩٦، وتضمنت أربع جولات من ٥١ جلسة عمل، وتوصل إلى توقيع اتفاق بصددها رغم ما كانت تبذره وزيرة الخارجية الأميركية سادلين أولبرايت لإقناعها. لم يصطدم الأنباري بأولبرايت شخصياً. كما انه لم يلتق الرئيس صدام حسين أثناء جولات هذه المفاوضات. إذ كانت التوجيهات تأتيه عبر نائب رئيس الوزراء العراقي أو عن طريق وزير الخارجية، والوصية الأهم هي «الحفاظ على سيادة العراق وعدم المساس بوحدة أراضيه ولا كرامة شعبه» (عن إنعام كجه جي، «الحياة»، تيارات، تاريخ ٢ حزيران ١٩٩٦).

\* عبد الرحمن عارف (١٩١٦-): عسكري وسياسي عراقي. شقيق المشير عبد السلام عارف. ولد في بغداد من جنود عائلة بوجوازية صغيرة من منطقة

\* عبد الأمير الأنباري: سياسي ودبلوماسي عراقي. ولد في محافظة بابل جنوب شرقي بغداد، وفيها أنهى المدرسة الابتدائية والثانوية قبل ان ينتقل إلى العاصمة بغداد ليدخل كلية الحقوق عام ١٩٥٢ ويتخرج حاصلاً على أعلى درجة بين أقرانه في القانون الدولي بشقيه الخاص والعام، لكن ترتيبه كان الثاني في دفعة خريجي ١٩٥٦، إذ احتل المركز الأول زميله فوزي سامي الذي يعمل الآن استاذاً في الجامعة.

بعد انهاءه الخدمة العسكرية ودورة ضباط الاحتياط، عمل في الصحافة وفي وظائف مؤقتة إلى ان توافرت له بعثة دراسية، فسافر إلى الولايات المتحدة لدراسة القانون في جامعة هارفرد، وهناك حصل على الماجستير ثم الدكتوراه. وفي مطلع شبابه، إبان دراسته الجامعية، قرأ الأنباري كتب سلامة موسى، وأعجب بأفكاره، ووجد فيه الفكر العقلاني الذي أغنى المكتبة العربية لا بمؤلفاته فحسب، بل بترجماته أيضاً. وقد تأثر بأفكاره إلى حد القول إنه يدين لسلامة موسى بفضل كثير في تكوين طموحاته الأولى وتصرفاته كشاب.

بعد عودته من أميركا، بدأ الأنباري مسيرة صعوره المثأني، وبرز كمفاوض جيد للمرة الأولى في ١٩٦٨، أثناء مفاوضات العراق وبولندا حول عقد استثمار الكويت. ويومها، كانت شركات أميركية وسوفياتية وإوروبية تتنافس للفوز بامتياز تطوير حقل المشرق قرب الموصل، وهو الحقل الذي يربض على احتياطي هائل من الكبريت الخام. وقد ارتأت الحكومة العراقية منح الامتياز إلى شركة بولندية حكومية متطورة في أسلوب عملها. وسافر الأنباري مع وفد عراقي إلى وارسو وتفاوضوا طوال ٤٥ يوماً عادوا بعدها بعقد ما زال يعتبر من أجمع العقود التي أبرمتها بغداد.

وبعد مفاوضات الكويت، شارك الأنباري في مفاوضات تأميم النفط عام ١٩٧٢، وأسفرت عن امتلاك العراق لمفاتيح ثروته النفطية الضخمة.

وخلالها لما يتصوره كثيرون، فلان الأنباري ليس بعثياً. وهو لم يرتبط طوال حياته بأي حزب سياسي. وفضل ان يرتبط طوال حياته بكونه رجل قانون مستقلاً غير ملتزم بأي حزب أو فئة، ولو كان يطيب له الحديث عن «الجاناب المشرق» في المذهب الشيعي (وهو شيعي بالولادة)، أي الجاناب الفهمي. ويقول إن المشرع العراقي أخذ بعبداء الفقه الجعفري، نسبة إلى الإمام جعفر الصادق، في كثير من أمور الاحوال الشخصية. وهي موقع تقدير كل العراقيين.



الجيش العراقي في حرب فلسطين (١٩٤٨). انضم إلى تنظيم الضباط الاحرار (١٩٥٧)، وعرف بصداقته وموالته لعباءة الكريم قاسم. وكان أول من أطلق العبارة الشهيرة «ما نر زعيم إلا كريم».

لعب عبد السلام دوراً رئيسياً في تخطيط وتوقيت ونفيا: ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وقد أذاع البيان الأول للثورة بنفسه من اذاعة بغداد، وكان وقتها ضابط ركن وقائد اللتية الثالثة من اللواء العشرين التابع للفرقة الثالثة والتي كانت في طريقها إلى الأردن. عيّن بعد نجاح الثورة نائباً لرئيس الوزراء ورئيساً للداخلية. وعلى الرغم من صداقته لعباءة الكريم قاسم الذي أصبح القائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيساً للوزراء وزيراً للدفاع، فإن عدم رضوخ العلاقات والنهج السياسي أدبها إلى نشره خلاف محاربين الانحياز، والاشتباه الرئيسي في العهد الجديد - حول عدم التصايف، وفي المقابلة حول الموقف من الوحدة العربية مع الجمهورية العربية المتحدة والموقف من الرئيس جمال عبد الناصر. وقد ناصر عبد السلام عارف التيار الحزبي الذي كان يترتب في العراق حزب البعث في وجه المعارضة الديمقراطية للوحدة. من قبل الحزب الشيوعي العراقي وبعض العناصر والنشطاء السياسيين الآخرين التي بدأ - ملتصقاً بتوجهات حزب عبد الكريم قاسم ونصته الخلافات السياسية مع التيار الجمهوري من خلال شعار «ما نر زعيم إلا كريم، جمهورية لا إقليمية». ونتيجة لضعف شكيمة البعث في تلك الفترة، ونقص المقاربة القيادية عند عبد السلام عارف، فإن التيار الجمهوري واجه عنته ونحسه، فحس عبد السلام عارف عن مناسبه بعد حوالي شهرين من ثورة ١٤ تموز. وفي تشرين الثاني (١٩٥٨) اعتقل عبد السلام وحكم عليه بالموت. إلا ان عبد الكريم قاسم لم يصدّق على الحكم وأطلق سراحه في ١٩٦١.

وعندما خرج المعتقلون في حرّتهم العسكرية المادية عاد حجاج عبد الكريم قاسم في ٨ شباط ١٩٦٣ نفسياً عبد السلام عارف رئيساً للدولة، إلا انه ما لبث ان استغلّ الخلافات الداخلية في الحزب وتكسر لحم وقام بإنقلاب ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ ضاهم متحالفاً مع بعض العناصر البعثية التي اعتبرها «مثل طاهر حسي ورشيد مسلح وحزبها، التخريبي، والضباط الناصريين مثل عبد الكريم الفرسان وعارف عبد الرزاق وهادي حماد ورشيد محسن وسحسي عبد الحميد، إضافة إلى قتل الضباط «العالميين» وعلى رأسهم المقدم سعيد الصليبي وعبد الرحمن عارف الأثر لعباءة السلام عارف، الذي

الرمادي. انتسب إلى الكلية الحربية في ١٩٣٦. انضم إلى تنظيم الضباط الاحرار في ١٩٥٧. رفض تنفيذ خطة انقلابية أعدتها اللجنة العليا في اواخر ١٩٥٧ لمناسبة استعراض يوم الجيش في ٦ كانون الثاني ١٩٥٨ بحجة عدم وجود ذخيرة كافية وقلة عدد المنتسبين للضباط الاحرار في وحدته.

على اثر بداية الخلاف بين أخيه عبد السلام عارف وبين عبد الكريم قاسم بعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، نقل مع وحدته إلى الحدود الأردنية، ثم أحيل على التقاعد في ٢١ آب ١٩٦٢. وبعد حركة ٨ شباط ١٩٦٣ ضد عبد الكريم قاسم عين قائداً للفرقة الخامسة. ساهم في تنفيذ خطة انقلاب عبد السلام عارف على حزب البعث في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، وعين على الفور رئيساً للاركان رغم محدودية كفاءته العسكرية. وعلى اثر وفاة أخيه عبد السلام عارف في حادث طائرة (١٣ نيسان ١٩٦٦) اجتمع الوزراء وجلس الدفاع لانتخاب خلف له. ولم يتمكن عبد الرحمن عارف رغم تأييد الضباط والقاهرة له من إحراز النجاح ضد منافسه الرئيسي عبد الرحمن البراز في الدورة الأولى للاقتراع. وقد انسحب البراز في الدورة الثانية وسمي عبد الرحمن عارف رئيساً للجمهورية (١٦ نيسان ١٩٦٦). وإضافة إلى رئاسة الجمهورية تسلم رئاسة الوزارة لفترة قصيرة (أيار - تموز ١٩٦٧)، وبقي رئيساً للجمهورية إلى ان أطاحته حركة ١٧ تموز ١٩٦٨ التي قادها البعث ضده. وقد سمح له بمغادرة البلاد ليعيش في تركيا منذ ذلك الوقت. تميز حكمه بالضعف واستشراف الولايات العشائرية وتراجماً في النمو الاقتصادي.

\* عبد الرحمن النقيب (١٨٤٥ - ١٩٢٧):

سياسي عراقي. عميد الأسرة الكيلانية ونقيب اشرف بغداد. وقع اختيار الانكليز عليه ليكون أول رئيس وزارة للحكومة المحلية بعد ثورة العشرين الوطنية في العراق. وفي عهد هذه الوزارة، تم اعلان العفر العام وإعادة المنفيين السياسيين وتوزيع الملك فيصل الاول ملكاً على العراق وعقد المعاهدة العراقية-البريطانية الاولى (١٩٢٢). بين ٢٧ تشرين الاول ١٩٢٠ و ١٧ تشرين الثاني ١٩٢٢، ألّف النقيب ثلاث وزارات.

\* عبد السلام عساروف (١٩٢١ - ١٩٦٦):

عسكري وسياسي عراقي. ولد في بغداد. التحق بالأكاديمية العسكرية ١٩٣٨-١٩٤١ وبكلية الأركان. خدم في



عبد الكريم قاسم (الى يمين الصورة) وعبد السلام عارف.

في انكلترا ١٩٥٠. شارك في حرب فلسطين ١٩٤٨. انضم إلى تنظيم الضباط الاحرار، وانتخب بحكم رتبته وأقدميته رئيساً للجنة العليا للتنظيم.

أشرف، بالتعاون مع عبد السلام عارف، على تخطيط وتنفيذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي قضت على النظام الملكي، وأصبح قاسم قائداً عاماً للقوات المسلحة ورئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع. وعندما بدأ الصراع بين التيارات والشخصيات العقائدية والسياسية، مباشرة بعد نجاح الثورة، لتحديد اتجاه النظام الجمهوري الجديد وهويته، استغلت الفئات المعادية للوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة، وفي مقدمتها الحزب الشيوعي العراقي، غموض اتجاهات قاسم وأذكت الطموح الشخصي عنده رافعة شعار «ماكو زعيم إلا كريم، جمهورية لا إقليم». وقد أدى التشجيع الشيوعي والاقليمي له إلى الاصطدام بحزب البعث والعناصر القومية العربية في الجيش، فأبعد حليفهم في السلطة، ونائبه، عبد السلام عارف عن مراكز السلطة، ثم أحاله إلى المحاكمة، ونكل بكل خصومه في محكمة الثورة («محكمة المهداوي»)، وأطلق العنان للحزب الشيوعي، وجرت حوادث بالغة العنف ضد أخصامه وأخصام الحزب الشيوعي، خاصة ضد البعثيين.

وكتيجة لذلك، حصل تمرد في الموصل (آذار ١٩٥٩) بقيادة العقيد عبد الوهاب الشواف وبمؤازرة الجمهورية العربية المتحدة، ولكن قاسم تمكن من سحقه والتنكيل بالمتظاهرين المؤيدين لحركة الشواف. كذلك تعرض قاسم إلى حادث اغتيال على يد مجموعة من البعثيين

أصبح رئيساً للاركان في العهد الجديد. وأخذ عبد السلام عارف يعمل بهاء على التخلص من أركان التحالف العسكري المتنافر الذي أوصله للحكم. وفي غضون أربعة اشهر أخرج الضباط الأقوياء من البعثيين السابقين (حردان التكريتي وعبد الستار عبد اللطيف).

بعدها، أخذت الأمور تبدو كما لو ان السياسة الرسمية تتجه نحو خلق أوضاع مشابهة لتلك القائمة في مصر بهدف إقامة نوع من الوحدة بين مصر والعراق. وفي ٢٦ ايار ١٩٦٤، أعلن عن إقامة المجلس الرئاسي المشترك للتخطيط والتنسيق في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية، بغية التوصل إلى الوحدة الدستورية بين البلدين. كما نص الاتفاق على إقامة الاتحاد الاشتراكي العربي-القطر العراقي، أسوة بمصر. وفي هذا الجو أعلنت حكومة بغداد تأميم البنوك وشركات التأمين والمؤسسات الصناعية والتجارية الكبرى. غير ان رئيسي القطريين لم يجتمعا سوى مرة أو مرتين، وكان شبح فشل تجربة الوحدة بين مصر وسورية خيماً على قناعاتهما الوحديّة. كذلك فإن قرارات التأميم لم يكتب لها النجاح، وسجلت ركوداً اقتصادياً طبع العهد العارفي.

وحاول عبد السلام عارف الاحتفاظ بالتحالف مع بعض الضباط الناصريين رغم الخلاف مع حركة القوميين العرب. فعين عارف عبد الرزاق قائداً للقوة الجوية ثم رئيساً للوزارة ووزيراً للدفاع، وعبد الرحمن الجاز نائباً لرئيس الوزراء. وأثناء حضوره مؤتمر قمة الدار البيضاء (ايلول ١٩٦٥) حاول الضباط الناصريون وحركة القوميين العرب القيام بانقلاب. لكن المحاولة فشلت، إذ تنبه لها خصومهم، لا سيما سعيد الصليبي، قائد حامية بغداد والقريب عشائرياً لعبد السلام عارف. وبعد ذلك، اتخذ حكم عبد السلام عارف طابع النظام الشخصي المحافظ. وعندما قام البعثيون بمحاولتهم أيضاً لاستلام الحكم في ٤ ايلول ١٩٦٥، اعتقل الآلاف منهم. وفي ١٣ نيسان ١٩٦٦، قضى عبد السلام عارف بمحادث طائرة أثناء تجواله فوق منطقة القرنة في جنوبي العراق وسط عاصفة رملية (عن «موسوعة السياسة»، بيروت، ج٣، ط١، ١٩٨٣، ص٨٣٤-٨٣٦).

\* عبد الكريم قاسم (١٩١٤-١٩٦٣): عسكري وسياسي عراقي. ولد في بغداد من أب عربي وأم كردية. التحق بالأكاديمية العسكرية في ١٩٣٢-١٩٣٤، وبكلية الاركان ١٩٤٠-١٩٤١، وبمدرسة كبار الضباط

عودتهم القوية إلى المنطقة، إضافة إلى عدائه الشديد لقاسم. وجاء موقف عبد الناصر هذا ضد موقف موسكو التي كانت قد وضعت فيتر في مجلس الأمن ضد استقلال الكويت. لكن الجامعة العربية سارعت إلى الرد بقبول الكويت في عضويتها شرط ان يتم إهدال القوات الانكليزية بقوات عربية مشتركة تتولى حماية الكويت من عبد الكريم قاسم. وبعد سقوط قاسم، اعترفت الحكومة العراقية باستقلال الكويت.

من النقاط التي تُسجّل لعبد الكريم قاسم، رغم دكتاتوريته، انه لم يعتمد على أخوة أو أقارب في دعم نظامه. وهذا ما لفت إليه الكاتب العراقي نبيل ياسين-في معرض المقارنة مع الرئيس الحالي صدام حسين وما منحه لابنه عدي خاصة ولأفراد من أسرته وعائلته من سلطات ومكاسب-بقوله: «هل يعرف العراقيون أو العرب أن لعبد الكريم قاسم أخواً أكبر اسمه عبد اللطيف ظل نائب ضابط في الجيش حتى مقتل عبد الكريم ١٩٩٣» («الحياة»، ٤ آذار ١٩٩٣، ص ١٠).

#### \* عهد المحسن السعدون (١٨٧٩-١٩٢٩):

سياسي عراقي. ولد في الناصرية من أسرة عربية نافذة حكمت مقاطعة المنتفق (منطقة واسعة تقع في الشمال الغربي للبصرة). التحق بـ«مدرسة العشائر» في اسطنبول، ثم دخل المدرسة الحربية العالية مع أخيه عبد الكريم. بعد تخرجهما، اختارهما السلطان عبد الحميد الثاني مرافقين له ومنحهما رتباً إضافية، على أثر ثورة الاتحاد والترقي أنزل الاتحاديون رتبته، فقدم استقالته وعاد إلى بغداد. ثم ما لبث ان والى الاتحاديين وانتسب إلى جمعيتهم، فأصبح نائباً في مجلس «المبعوثان» حتى ١٩١٩، وتميزت سياسته فيه بالابتعاد عن أقرانه العرب وبمألته للاتراك. والأمر نفسه تكرر مع الانكليز، فنال دعمهم، وكان وزيراً في حكومات عبد الرحمن النقيب، حيث كان في مقدمة الساعين لتحرير المعاهدة الانكليزية-العراقية لاقتناعه بأن عناصر قيام حكم وطني استقلالي لم تكن متوافرة، وبأن الاخطار التركية على الموصل، والايرائية على العتبات الدينية المقدسة، والخلافات بين العائلة الهاشمية والعائلة السعودية تتطلب مساعدة بريطانيا والتفاهم معها.

في ١٨ تشرين الثاني ١٩٢٢، شكل وزارته الأولى، فعمل على تثبيت انتماء الموصل للعراق، وعودة الشخصيات المنفية، والتخفيف من نفوذ المفتشين الاداريين البريطانيين، وتوصل إلى بروتوكول يقضي بوجوب انهاء

(راجع «صدام حسين» في هذا الباب) بجا منه بأعجوبة. ويرجح انه نتيجة تفرد به بالحكم، وتركيز الشيوعيين وغيرهم من مناهضي التيار الوجودي العربي، على تمجيد شخصه («الزعيم الأوحيد») إضافة إلى ضحالة ثقافته أصيب بداء العظمة، وهذا ما يستفاد من أقوال المقرئين منه من أمثال محمد حديد، وزير المالية، وهاشم جواد وزير الخارجية في عهده.

أما علاقته بالشيوعيين الذين حاولوا ان يوطدوا مكانتهم تحت راية تأييده على انه «الزعيم الأوحيد» ومن خلال تصفية خصومهم بالعنف والتسلل إلى المراكز المهمة في الجيش والدولة، فقد انقلب قاسم عليهم عندما أخذ تطرفهم العنفي (خاصة بعد احداث كركوك، تموز ١٩٥٩) يستنفر الرأي العام ضدهم في الوقت الذي ازداد فيه طموحهم للمشاركة في السلطة بعد احداث الموصل (حركة عبد الوهاب الشواف)، فشقت صفوفهم وهاجمهم علناً وقام بحملة تطهير ضدهم.

من أشهر إجراءاته قانون الاصلاح الزراعي الذي أعلن في ايلول ١٩٥٨، وقانون رقم ٨٠ الخاص بتقليص مساحة الامتياز لشركة نفط العراق بنسبة ٩٠٪ الصادر في كانون الاول ١٩٦١. كما حاول التقرب من سكان الضرائف الفقراء في بغداد عن طريق بناء ضاحية بعشرة آلاف بيت أسماها «مدينة الثورة»، ومن الطبقات الوسطى والصناعية الغنية بواسطة وزير ماليته ومستشاره الاقتصادي محمد حديد. إلا انه ظل يفتقر إلى قاعدة سياسية وتنظيمية راسخة، وبقي في صف خصوم التيار الوجودي العربي، ولم يتمتع الشعب العراقي في ظله بحكم القانون أو بنمو المؤسسات الدستورية والشعبية. وقد مكّن ذلك كله حزب البعث من تنظيم حركة عسكرية-مدنية في ٨ شباط ١٩٦٣، لمجحت في إطاحة حكمه وتقلبه لحكمة عسكرية قضت باعدامه فوراً (عن «موسوعة السياسة»، بيروت، ج ٣، ط ١، ١٩٨٣، ص ٨٤٢-٨٤٣).

من النقاط البارزة في سياسة عبد الكريم قاسم اعلانه، في ١٩٦١، ان الكويت جزء من العراق، وذلك على اثر موافقة بريطانيا على اعلان استقلال المشيخة. فبعث بالقوات العراقية لتربط عند الحدود مع الكويت، مما وتر الاجراء في المنطقة العربية، خاصة وان السلطات الكويتية سارعت إلى طلب النجدة من الانكليز. وهنا تحرك الرئيس المصري جمال عبد الناصر لـ«بمضي الكويت من أطماع قاسم» على حد تعبير الصحافة المصرية يومذاك، ولخشيتته من ان يؤدي استفراد الانكليز بحماية الكويت إلى

اللواء من الضباط الأحرار)، أخذت الأوضاع تتأزم في المدينة التي شهدت مهرجاناً في ذكرى الجلاء عن بور سعيد. حاول الشيوعيون وأنصار قاسم إفساده بتوزيع المنشورات ضد الجمهورية العربية المتحدة بعد ان كان الرئيس عبد الناصر قد هاجمهم في هذه الذكرى (٢٣ تشرين الأول ١٩٥٨). ثم أخذت صحف الحزب الشيوعي تهاجم الشواف وضباط اللواء الخامس مطالبة قاسم بالتخلص منهم؛ وتلا ذلك إعلان الحزب الشيوعي انه سيعقد مؤمراً للسلام في الموصل. فرار الشواف عبد الكريم قاسم، أكثر من مرة، لانتعاه بالاقلاع عن هذا «التحدي» المرجح للمدينة وإلغاء المؤتمر. فكان جواب قاسم ان المؤتمر سوف يعقد في مواعده (٦ آذار ١٩٥٩) وأن الشواف يتحمل مسؤولية أي حادث يعرقل المؤتمر.

وفي الموعد المحدد، تجمع المسلحون حول ثكنات الجيش في الموصل وأطلقوا النار عليها. وخرج الجيش من ثكناته وردّ على النار. وفي اليوم التالي، صدر عن اللواء الخامس البيان الأول لثورة الموصل التي سميت أيضاً «ثورة الشواف»، والتي كانت انتفاضة محلية أكثر من كونها عملاً مخططاً. وابتدأت المواجهة بمقتل القيادي الشيوعي كامل قازنجي. وأفضى الشواف إلى ضباطه بأن المعركة ياتسة، إلا في حالة الصمود لمدة أربعة أو خمسة أيام ريثما يتاح للجيش العراقي بأن يتحرك دعماً له. ولكن، سرعان ما ظهر الطيران الحربي فوق الموصل وقصف تجمعات الوحدات فيها، ولم يكن لدى اللواء الخامس وسائل دفاع جوي فعال. وأصيب الشواف بجراح، فسارع إلى المستشفى حيث طلب من ممرض كان هناك ان يضمده له جراحه. فتعرّف الممرض إليه وعاجله من مسدسه طمعا في الحصول على جائزة مالية أعلنت عنها الاذاعة العراقية لمن يأتي بالشواف حياً أو ميتاً. وأعقب هذا الاغتيال مذابح كبرى في الموصل، وكانت خاتمة مفاجئة لثورة الشواف. ثم عقدت بعد ذلك محاكمات أسفرت عن حكم بالاعدام في ١٦ ايلول ١٩٥٩ صدر عن المحكمة العسكرية الخاصة (محكمة المهلوي) على عدد من الضباط.

\* عزت ابراهيم الدوري (١٩٤٢-): سياسي عراقي، من وسط فلاحي فقير. درس في قضاء سامراء وبغداد، وانتسب لحزب البعث. اعتقل في ١٩٥٩ و١٩٦٢، وسجن على أثر حركة تشرين الثاني ١٩٦٣ وحتى ١٩٦٧. بعد حركة ١٧ تموز ١٩٦٨، عين رئيساً للجنة العليا للعمل الشعبي وأصبح عضواً في القيادة القطرية

المعاهدة الانكليزية-العراقية عندما يصبح العراق عضواً في عصبة الامم، وتمكن من كسر شوكة نفوذ رجال الدين، وخصوصاً الايرانيين منهم (بدعم من الملك والانكليز)، وتوصل إلى اتفاق مع ابن سعود بخصوص تعيين الحدود بين العراق ومجده. لكن الازمة الاقتصادية والمعارضة التي كانت ترى فيه مطياعاً لالزادة الانكليزية في نهاية الأمر دفعته لتقديم استقالته في تشرين الثاني ١٩٢٣.

في ١٩٢٤، انتخب السعدون رئيساً للمجلس التأسيسي. فأيد التصديق على المعاهدة مع بريطانيا (رغم المعارضة الشعبية لها) مقابل تعهد بريطانيا بالمحافظة على حقوق العراق في ولاية الموصل. وأسندت إليه وزارة الداخلية في حكومة ياسين الهاشمي (آب ١٩٢٤)، وأشرف على انتخابات مجلس الأمة، فجاءت، وبدخل منه، بأكثرية لمصلحة حزبه «حزب التقدم» ضد «حزب الأمة» (برئاسة الهاشمي) فشكّل وزارته الثانية التي استمرت حتى تشرين الثاني ١٩٢٦ حين استقالت بسبب الخلاف الناشب بينه وبين رشيد عالي الكيلاني الذي انتخب رئيساً لمجلس الأمة، وبسبب الانشقاقات في حزب التقدم.

عاد وشكّل حكومته الثالثة في ١٤ كانون الثاني ١٩٢٨، وبأيدي من الملك فيصل، اصطدم بالانكليز حول العديد من القضايا التي تمس المصالح العراقية، خصوصاً لجهة تقوية الجيش العراقي. وعلى اثر ظهور الاتفاقية الانكليزية-المصرية في صيف ١٩٢٩، ارتفعت آمال العراقيين بنيل الاستقلال وألح الملك على السعدون بتشكيل الوزارة للمرة الرابعة. فشكّلها، بعد تردد، في ١٩ ايلول ١٩٢٩. وكانت الوزارة التي برز من خلالها كداعية حقيقي للاستقلال. أما انتحاره، باطلاق النار على نفسه في ١٣ كانون الأول ١٩٢٩، فلم يعط لها المؤرخون، حتى الآن، من اسباب سوى انه كان يعيش في حالة نفسية سيئة تصاعلت فيها المصاعب السياسية (في مقدمتها خيبته المريرة من الانكليز) والمصاعب العائلية والنفسية التي كان يعيشها على المستوى الشخصي.

\* عبد الوهاب الشواف (١٩٥٩-): عسكري

عراقي. أحد أعضاء الهيئة العليا للضباط الأحرار الذين أطاحوا بالحكم الهاشمي (١٤ تموز ١٩٥٨).

مع استنفحال الخلاف بين عبد الكريم قاسم وأنصار الفكرة الوحيدة العربية من ضباط ومدنيين، ومع وجود العقيد الركن عبد الوهاب الشواف أمر اللواء الخامس ومركزه مدينة الموصل (وكان معظم ضباط هذا



عزيز محمد.

\* عزيز محمد (١٩٢٤-): سياسي عراقي. سكرتير الحزب الشيوعي العراقي من ١٩٦٤ إلى ١٩٩٣. ولد لعائلة فلاحية في قرية قريبة من مدينة أربيل في كردستان العراق. أدخل الكتّاب، وفيه تعلّم القراءة والكتابة (القرآن وبعض قواعد اللغة العربية)، ثم دخل المدارس الحكومية في النصف الأول من الثلاثينات، ولم يتجاوز تعليمه الدراسة الابتدائية لظروف العائلة الاقتصادية الصعبة؛ فاشتغل مستخدماً في دوائر الدولة حتى استقال منها للانصراف للعمل الحزبي. أمضى في السجن عشر سنوات (١٩٤٨-١٩٥٨)، أنشئت أثناءها، وفي السجن «صوف لدراسة الاقتصاد السياسي وتاريخ الحركة الثورية العالمية واللغة العربية. وعهد التدريس فيها إلى رفاق مثقفين من امثال حسين الشيبسي ومحمد حسين ابو العيسى وغيرهما. بل أكثر من ذلك أنشأنا صفًا لتدريس اللغة الانكليزية. وكنا نحرص على ان تكون لدينا مكتبة لسنتي فروع المعرفة. وفي السجن استطعت ان أقرأ طه حسين وبجيب محفوظ، والكثير الكثير من الروايات المترجمة من الأدب العالمي، خصوصاً الأدب الروسي والسوفياتي؛ مكسيم غوركي، تولستوي، تورجينيف، شولوخوف، رسول جراتوف وناظم حكمت، ونشطت حركة الترجمة في السجن... وكنا نصدر نشرات ثقافية ومجلات داخل السجن يحررها السجناء الذين أصبحوا في ما بعد كتاباً وصحافيين مرموقين... ولا بد من ذكر نواح أخرى في حياة السجن كالرياضة التي كانت يومية يمارسها الجميع...».

الحزب البعث، وقبل نهاية ١٩٦٩ أصبح عضواً في مجلس قيادة الثورة، وفي نهاية السنة نفسها عين وزيراً للإصلاح الزراعي، ثم وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي بعد دمج الوزارتين في ١٩٧٢. ترأس محكمة خاصة لمحكمة ناظم كزار في مطلع تموز ١٩٧٣. وفي ١٩٧٤، أعيد انتخابه عضواً في القيادة القطرية للحزب. وفي تشرين الثاني ١٩٧٤، عين وزيراً للداخلية. ولدى تسلّم صدام حسين منصب رئاسة الجمهورية في ١٦ تموز ١٩٧٩، عين عزت ابراهيم نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة، وزار العديد من الدول العربية والاجنبية بهدف تطوير علاقات العراق معها.

\* عزيز الحاج علي حيدر: سياسي شيوعي، ومفكر وأديب عراقي. ولد في بغداد من أصل كردي وفي عائلة بوجوازية صغيرة. أكمل تحصيله العالي في دار المعلمين العالية في بغداد، وعمل مدرساً للانكليزية في المدارس الثانوية في مدينة الكوت (محافظة واسط). انضم إلى الحزب الشيوعي في ١٩٤٦. اعتقل في ١٩٤٨، وحكم عليه بالسجن المؤبد، وأفرج عنه بعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. كتب مئات المقالات والعديد من الدراسات في مجلة الحزب «اتحاد الشعب»، وانتخب في ١٩٥٩ مرشحاً للجنة المركزية. سافر إلى موسكو وواصل فيها تعليمه الماركسي-اللينيني. أبدى منذ ١٩٦٤ معارضته لسياسة قيادة الحزب في تأييدها للحكم العارفي. انتخب في ١٩٦٧ عضواً في المكتب السياسي، واشتدت خلافاته مع قيادة حزبه حول جملة من المواضيع الفكرية والتنظيمية والسياسية. قاد حركة انشقاق في الحزب الشيوعي العراقي (١٧ ايلول ١٩٦٧)، وعرفت حركته بـ«الحزب الشيوعي العراقي-القيادة المركزية»، وتميزت بدعوتها إلى الاستقلالية في الحركة الشيوعية وإلى الأخذ بالمنطلق القومي في القضية الفلسطينية. اعتقل في اواخر ١٩٦٨. وفي آذار ١٩٦٩، أدلى بتصريحات علنية ونشر مقالات في الصحف ينتقد فيها الخط السياسي المتشدد الذي انتهجه حزبه تجاه حزب البعث، وترك نهائياً كل عمل حزبي منظم.

عين في اوائل ١٩٧١ ممثلاً دائماً للعراق لدى منظمة الأونيسكو، وانتخب في ١٩٧٨ عضواً في مجلسها التنفيذي، وترأس في داخلها المجموعة العربية لعدة سنوات، ثم مجموعة الـ٧٧. وأكمل تعليمه العالي بالحصول على شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون، وواصل الكتابة وإعداد الدراسات ونشرها.

داخل القيادة القطرية آنذاك. اتهم بالتحقيق القاسي والثأري مع الشيوعيين، وبمواقف متطرفة ساهمت في تفاقم الانقسامات البعثية وضياع الحكم (١٩٦٣) والتحالف مع بعض الكتل اليسارية خارج العراق. حاول، مع بعض الحزبيين العراقيين القميين تعطيل انعقاد المؤتمر القومي السابع (١٩٦٤) الذي انعقد في دمشق، إلا أنه فشل في مساعاه. ونتيجة لعدم انضباطه فصل من الحزب، فحاول تشكيل تنظيمات سياسية منافسة ولكنه فشل أيضاً. عين بعد ثورة تموز ١٩٦٨، سفيراً في وزارة الخارجية كنوع من التقدير لدوره قبل حركة ٨ شباط ١٩٦٣ (عن «موسوعة السياسة»، بيروت، ج٤، ط٢، ١٩٩٠، ص١٨٦-١٨٧).

\* غازي بن فيصل، الملك (١٩١٢-١٩٣٩):

ملك العراق. ابن الملك فيصل الأول وأبو الملك فيصل الثاني. ولد ونشأ في مكة. قصد بغداد في ١٩٢٤ بعد تسميته ولياً للعهد في المملكة العراقية. أوفد إلى هارو في انكلترا للدراسة، فاقام فيها سنتين عاد بعدها إلى بغداد وشرج في المدرسة العسكرية. تولى تصريف شؤون البلاد في غياب أبيه في ١٩٣٣، فوقعت «فتنة الأثوريين». فأتخذ منها موقفاً حازماً. نودي به ملكاً في السنة نفسها (١٩٣٣) على أثر موت والده. تبرم من هيمنة ياسين الهاشمي على الحكم وصادق الفريق بكر صدقي، الأمر الذي شجع الأخير على القيام بانقلابه ١٩٣٦-١٩٣٧. وأخذ الملك الشاب يقرب نفسه من الناس الذين أخذوا يعتقدون انه على خلاف مع الانكليز. وعندما قُتل على أثر اصطدام لسيارته، مال الناس إلى الاعتقاد بأنه حادث مدير من قبل الانكليز (عن «موسوعة السياسة»، بيروت، ج٤، ط٢، ١٩٩٠، ص٢٨٢). وأكثر السير المنشورة عن حياة الملك غازي ومقتله تفيد انه كان من انصار ضم الكويت إلى العراق، وأنه كان يستقبل على الدوام شباناً كويتيين يطالبونه بتحقيق ذلك، علماً ان الانكليز كانوا يعتبرون هذا المطلب من التحديات الكبرى، المرفوعة في وجههم. وفي مقالة مطولة لرياض نجيب الرئيس («السفير»، ٤ ايلول ١٩٩٥، ص١٤) جاء: «أما الكويت فلم تكن ان أول من طالب بها واعتبرها جزءاً لا يتجزأ من العراق وأقام إذاعة لهذا الغرض، وأعدت لغزوها واحتلالها، لم يكن عبد الكريم قاسم في العام ١٩٥٨، بل الملك غازي ملك العراق في العام ١٩٣٧. ولم يردعه عن هذا العمل إلا الوجود العسكري لبريطانيا في بلاد الرافدين وتهديد المنسوب السامي البريطاني في بغداد».

في ١٩٥٨، وبعد خروج عزيز محمد من السجن، انتدب لعضوية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي. وفي ١٩٦٤، انتخب سكرتيراً للجنة المركزية للحزب، وبقي في هذا المنصب حتى المؤتمر الوطني الخامس للحزب في تشرين الاول ١٩٩٣، حين طلب اعفاه من مهامه القيادية، فانتخب المؤتمر حميد حميد موسى لهذا المنصب.

انتسب عزيز محمد إلى الحزب الشيوعي العراقي في شتاء ١٩٤٥-١٩٤٦ بعدما سرت بتشكيلات ماركسية أخرى مثل «جمعية الشعب» و«وحدة النضال» وحزب «شورش» (الثورة). وكان الحزب، في هذا الوقت، يشهد نهوضاً قوياً بعد الحرب العالمية الثانية (عن مقابلة شخصية مع عزيز محمد، «الوسط»، العدد ٢٨٨، تاريخ ٤ آب ١٩٩٧، ص٣٠-٣١) (راجع: «الحزب الشيوعي العراقي» في باب الاحزاب).

\* علي جلودت الأيوبي (١٨٨٦-١٩٦٩):

عسكري وسياسي عراقي. ولد في الموصل وخرج في الكلية العسكرية في اسطنبول. انضم إلى الثورة العربية الكبرى (١٩١٦)، عين حاكماً لحلب أيام الحكم الفيصلي، ورحل مع فيصل إلى العراق حيث تقلب في مناصب وزارية عدة حتى أصبح رئيساً للوزارة ١٩٣٤-١٩٣٥، ورئيساً لمجلس النواب ١٩٣٥. غادر العراق على أثر ثورة الكيلاني، ثم عاد بعد ان نجح الانكليز في سحقها وأصبح وزيراً للخارجية ١٩٤٨-١٩٤٩، ورئيساً للوزراء ١٩٥٧. استقر في لبنان بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

\* علي صمالح المسعودي (١٩٢٨-١٩٨٠):

سياسي عراقي. ولد في بغداد من عائلة فلاحية كردية فويلية مستعربة. انتسب إلى كلية التجارة في مطلع الخمسينات. انتسب إلى حزب البعث وأصبح من قياديه الرئيسيين بعد ثورة تموز ١٩٥٨ بفضل شجاعته وبقائه في العراق بعد ان اضطر العديد من قادة الحزب إلى الهرب خارج البلاد إثر المد الشيوعي وجمازر الموصل وكركوك في ١٩٥٩. شارك في المؤتمر القومي الخامس، فعارض فيه اتجاه بعض القياديين البعثيين شم الماركسية. أصبح أمين سر القيادة القطرية للحزب ١٩٦٠-١٩٦٣، وشارك في التخطيط لحركة ٨ شباط ١٩٦٣، ولكن السلطات قبضت عليه قبل شهر من تنفيذ الخطة. عين وزيراً للدخلة ونائباً لرئيس الوزراء في وزارة البعث ١٩٦٣، ولعب دوراً رئيسياً



فاضل الجمالي.

رأسه من الاعداء، وخفضت الاحكام إلى عشر سنوات، ثم أطلق سراحه في ١٩٦١. اختار تونس منفى له. ومنحه الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة درجة المواطنة ووسام الاستحقاق وسُمي شارعاً باسمه. توفي في ٢٤ ايار ١٩٩٧ في أحد مستشفيات تونس ودفن بعيداً عن وطنه الذي لم يزره ولو مرة واحدة منذ غادره في ١٩٦١.

كان الجمالي مدرّكاً ان العراق الحديث، الذي هو ثمرة وحدة ولايات البصرة وبغداد والموصل العثمانية سابقاً، بحاجة إلى دعم دولي للوقوف على قدميه من ناحية وحماية كيانه من جيران طالما كانت ارض العراق ميداناً لخروبهم وغزواتهم. ويقول إنه لولا التحالف مع بريطانيا لما تمتع العراق بحال من الاستقرار دامت حوالي اربعة عقود تم فيها رسم حدود البلاد مع معظم جيرانه، الأمر الذي كان له الفضل في تفرغ العراق للبناء حتى أصبح على رأس دول العالم الثالث المرشحة للانتماء للعالم الاول.

عند اشتداد الحرب الباردة، كان خيار الجمالي واضحاً بالانحياز إلى الغرب، وكان صريحاً في اجتماعات بانديونغ ومحادثاته مع جمال عبد الناصر. ورغم اختلافه مع عبد الناصر إلا أنه كان ضد التورط في صراع بين البلدين، ووقف علناً في الجمعية العامة للأمم المتحدة يدين العدوان الثلاثي على مصر في ١٩٥٦. ويبدو ان هذه الوقفة كانت وراء برقية جمال عبد الناصر لعبد الكريم قاسم، قائد ثورة تموز ١٩٥٨، يرجو فيها عدم تنفيذ حكم الاعداء بالجمالي. ورداً على ما كان يُتهم به من «عمالة» للولايات المتحدة، كتب الجمالي اخبراً في هذا الشأن يقول: «علاقتي بالولايات المتحدة هي علاقة ثقافية وصدّيقة عمرها ٧٣ سنة، وعلاقتي بالسياسة الخارجية الاميركية علاقة الصديق مع الصديق، اقترح وانتقد ولا أسكت إذا اعتدي على أممي خاصة والانسانية عامة، وعندما كنت العربي النادر الذي يخاطب الاميركان مخاطبة الند لند وليس مخاطبة الضعيف للقوي. لم أسكت على الظلم الذي ألحقه بالشعب الفلسطيني في إنحيازهم المفرط لاسرائيل. كما لم أسكت على المظالم التي أوقعوها على الشعب العراقي». وطالت انتقاداته الامم المتحدة كذلك: «أنا عضو مؤسس للامم المتحدة، وأنا أحد إثنين ما زال على قيد الحياة من الذين صاغوا ميثاق الامم المتحدة وقعوا عليه في سان فرانسيسكو العام ١٩٤٥... فنحن حينما وقعنا على الميثاق وأقررنا مبادئ الامم المتحدة لم نوقع على منحها صلاحية قتل الشعوب وفرض الحصار والعقوبات غير الشرعية على الدول وشن الهجوم عليها... ما يحصل الآن حرق فاضح

\* فاضل الجمالي (١٩٠٣-١٩٩٧): معروف أيضاً بـ محمد فاضل الجمالي. سياسي عراقي. ولد في مدينة الكاظمية (قرب بغداد) لأسرة دينية ملتزمة. والده هو الشيخ عباس الجمالي الذي كان رجل دين معروفاً. درس فاضل في مدرسة الإمام الخالصي وفي دار المعلمين في بغداد، وأجاز له الشيخ مهدي الخالصي السفر للدراسة في الجامعة الاميركية. فالتحق بالجامعة الاميركية في بيروت (١٩٢٢) وتخرج منها في ١٩٢٧، ثم غادر إلى الولايات المتحدة لاكمال دراسته. حاز على الاستاذية وشهادة الدكتوراه في ١٩٣٢ من جامعة كولومبيا. وكانت رسائله لنيل الماجستير والدكتوراه في التربية وعلم النفس. عاد إلى العراق ليعين مرشداً عاماً ثم مديراً للمعارف حتى ١٩٤٢. في ١٩٤٣، نُقل إلى وزارة الخارجية وتولى حقيقتها لمسائي مرات في حكومات عدة. ترأس مجلس النواب مرتين. وتولى رئاسة الوزارة مرتين خلال العهد الملكي، كانت الاولى في ١٧ ايلول ١٩٥٣ واستقالت حكومته في ٢٧ شباط ١٩٥٤. وشكل حكومته الثانية في ٨ آذار ١٩٥٤ واستقالت في ١٩ نيسان ١٩٥٤.

ألقي القبض عليه في ١٩٥٨ وأحيل إلى «محكمة المهداوي» فوجهت إليه تهمة شتى، منها انه كان يسعى لوحدة سورية والعراق، وحُكم عليه بالاعدام والسجن ٥٥ عاماً مع غرامة مالية قدرها ٢٠٠ ألف دينار. وكانت شفاعته ملك المغرب لدى عبد الكريم قاسم هي التي أنقذت

سعيد أحد أعضائها. في أوائل ايار ١٩٤٦، أي في الأيام الأولى من الحرب العراقية-البريطانية، نشر فهمي سعيد قواته على التلال المحيطة بقاعدة الحياينة، ولم يُعرف إلى اليوم سبب تأخره مدة يومين عن مهاجمة القاعدة، الأمر الذي مكّن القوات البريطانية المحاصرة في القاعدة من تنظيم هجوم جوي شديد كان له الدور الأساسي في هزيمة الجيش العراقي. في ٣٠ ايار ١٩٤٦ غادر فهمي سعيد ورفاقه العراق متوجهين إلى إيران. وفي اليوم التالي، تم توقيع اتفاقية وقف إطلاق النار بين العراق وبريطانيا. والقّت السلطات الايرانية على فهمي سعيد وعمود سلمان وآخرين في آب ١٩٤٦ وسلمتهم إلى السلطات البريطانية التي احتجزتهم في جنوب افريقيا نظراً إلى امتناع جميل المدفعي، رئيس الوزراء العراقي آنذاك تسلمهم حفاظاً على حياتهم. ثم سلمهم الانكليز إلى السلطات العراقية في ربيع ١٩٤٢ بعد أن تولى نوري السعيد رئاسة الحكومة. وأعدم فهمي سعيد مع العقيد عمود سلمان والحامي يونس السباعوي في ٥ ايار ١٩٤٢.

\* فيصل الاول، الملك (١٨٨٥-١٩٣٣): ابن الشريف حسين بن علي أمير مكة. تلقى تعليمه في اسطنبول. انتخب عضواً في مجلس «المبعوثان» العثماني. بعد سقوط حكمه في دمشق (راجع «سورية»، ج ١) ولآه الانكليز ملكاً على العراق (١٩٢١-١٩٣٣)، راجع «الملكية في العراق» في باب معالم تاريخية، فانصرف إلى الاصلاح الداخلي بوضع دستور للبلاد، وأنشأ مجلس الأمة، وأقام العلاقات بين العراق وبريطانيا على أساس معاهدات ١٩٢٢ و ١٩٢٦-١٩٢٧ و ١٩٣٠، وأصلح ما بين العراق وجيرانه خاصة لجهة ترسيم الحدود.

إن أكثر ما أثير اللغط حوله في سياسة فيصل لا يتعلق بفترة وجوده وحكمه في سورية ولا بعد ذلك في العراق، بل بفترة تحركه الدبلوماسي والسياسي في أوروبا (وكان لا يزال أميراً يعمل على إقناع بريطانيا بتنفيذ وعدها لأبيه الشريف حسين) خاصة في موضوع اجتماعه بالزعيم الصهيوني وايزمن مرة في العقبة (صيف ١٩١٨)، ومرتين في لندن (في فندق كارلتون ١١ كانون الاول ١٩١٨، ثم في ٣ كانون الثاني ١٩١٩)، وتوقيع اتفاقية معه.

حول هذه الاجتماعات يقول سليمان موسى في كتابه «الحركة العربية» أن فيصلاً حاول، في اجتماع العقبة، ان لا يتطرق إلى الامور السياسية مكتفياً بإبداء

لكل المبادئ والاعراف والقوانين الدولية. لهذا أطالب الامم المتحدة بالعودة إلى صيغة الميثاق وعدم الانجرار وراء سياسات الولايات المتحدة التي تفرض عليها ارادتها وتتسبب في انحرافها عن الاهداف التي من أجلها أنشئت». وإذا كان الجمالي قد عانى، في اواخر ايامه، من الخيبة في السياسة الامريكينة، فإن خيبته من الاطروحات والممارسات القومية العربية لم تكن اقل. فقد كتب يقول: «إنه مما يؤلم القومي العربي أشد الألم ان يرى انه مضطر إلى ان يتوقف ثماني مرات في سفرة بين عمان وبيروت في العهد الوطني بعد ان كان يمر بسهولة في ايام الاحتلال الاجني».

ترك مؤلفات شتى وعشرات المقالات في الصحف، ومن كتبه:

- العراق الجديد، مشكلة تربية العوائل البدوية فيه (أطروحة للدكتوراه باللغة الانكليزية).
- التربية والتعليم في تركيا الحديثة.
- اتجاهات التعليم في ألمانيا وانكلترا وفرنسا.
- الخطر الصهيوني.
- مراقف وعبر في القضية الفلسطينية.

- فلتشرق الشمس من جديد على الأمة العربية، وهو آخر كتبه وطبع في ١٩٩٦ (عن «الوسط»، العدد ٢٨٥، تاريخ ١٤ تموز ١٩٩٧، ص ٢٣-٢٧) و«الحياة»، تاريخ ٢٦ ايار ١٩٩٧).

\* فهمي سعيد (١٨٩٨-١٩٤٢): عسكري وسياسي عراقي. أحد ضباط ثورة ١٩٤١. ولد في السلمانية من قبيلة «العنكب» في الفرات الاوسط. عمل في الجيش العثماني، ثم الجيش السوري إبان حكم فيصل، ثم التحق بالجيش العراقي. عارض انقلاب بكر صدقي الذي أطاح وزارة ياسين الهاشمي في ١٩٣٦، وكان واحداً من تكتل من الضباط يضم صلاح الدين الصباغ وعمود سلمان وكامل شبيب وآخرين. ثم شارك في تخطيط وتنفيذ عملية اغتيال بكر صدقي في ١١ آب ١٩٣٧. كما شارك في إرسال المتطوعين والذخائر لدعم ثورة الشعب الفلسطيني (١٩٣٦-١٩٣٩). بدأ، ورفاقه الضباط الثلاثة، في ١٩٣٧، بتكوين تنظيم سري حمل اسم «حزب الاستقلال العربي»، أسندت زعامته، في ١٩٤١، إلى الحاج أمين الحسيني.

عند تشكيل «حكومة الدفاع الوطني» (برئاسة رشيد عالي الكيلاني) في ٣ نيسان ١٩٤١، كان فهمي





فيصل الاول.



هازي الاول.

فيصل الثاني.



سروره لزاء تصريحات لوايزمن قال فيها إن «اليهود لا يرمون إلى تأسيس حكومة يهودية في فلسطين ولكنهم يريدون ان يعمروا البلاد ويطوروها تحت الحماية البريطانية دون ان يتعدوا على أية مصالح مشروعة للأخريين». كما ارضاه ان يخبره وايزمن بأنه سوف يسافر قريباً إلى اميركا حيث سيستعمل «نفوذ اليهود مع الرئيس ولسون لمصلحة الحركة العربية».

أما اجتماع لندن (١١ كانون الاول ١٩١٨) الذي نظمه لورانس فاسفر عن توقيع اتفاقية «فيصل-وايزمن» في ٣ كانون الثاني ١٩١٩، وتنص على «القرابة والصلات القدية بين العرب واليهود»، وعلى ضرورة التعاون في سبيل تقدم الدولة العربية وفلسطين وإنشاء وكالات عربية ويهودية معتمدة في المنطقتين، وعلى ان يسود التفاهم بين الدولة العربية وفلسطين، وان تقدم الضمانات لتنفيذ وعد بلفور، وتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وحرية ممارسة العقيدة الدينية.

ويذكر سليمان موسى (في المرجع المذكور) ان فيصلاً أضاف إلى مواد الاتفاقية الثماني بخط يده هذه الفقرة (التي يتضح من تاريخها انها أضيفت لاحقاً):

«إذا نالت العرب استقلالها كما طلبناه بتقريرنا المؤرخ في ٤ كانون الثاني ١٩١٩ المقدم لنظارة خارجية حكومة بريطانيا العظمى، فإنني موافق على ما ذكر في باطن هذا من المواد، وإذا حصل أدنى تغيير أو تبديل فلا أكون ملزماً أو مربوطاً بأي كلمة كانت بل تعد هذه المناقولة كلا شيء ولا حكم لها ولا اعتبار ولا أطلب بأي صورة كانت». وجاء توقيع فيصل تحت هذا الكلام وجاء توقيع وايزمن تحت توقيع فيصل.

ويستند سليمان موسى بعد ذلك إلى المؤرخ البريطاني الشهير ارنولد توينبي ليقول بأن هذه الاتفاقية وصلت بعد ذلك بأيام إلى مؤتمر الصلح في فرساي مرفقة بنسخة من مذكرة فيصل إلى هذا المؤتمر، وبأن توينبي لاحظ ان وايزمن كان قد استعمل عبارتي «الدولة اليهودية» و«الحكومة اليهودية»، وهما العبارتان اللتان أبدلها فيصل بـ«فلسطين» و«حكومة فلسطين». ثم ان فيصلاً بعث برسالة إلى الحكومة البريطانية موضحاً: «وفي ما يتعلق بمسألة رضاي عن إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، فإنني اعتقد ان هناك شيئاً من سوء الفهم. إن كل ما وافقت عليه هو ان أحمي حقوق اليهود المقيمين في البلاد بمستوى المحافظة على حقوق السكان العرب الوطنيين، وان أمنحهم الحقوق والامتيازات ذاتها».



كامل الجادرجي.



معروف الرصافي.

محمد مهدي الجواهري.



وهذا ما عاد وأكدته فيصل، بعد شهور قليلة من توقيع الاتفاقية في حديثه لصحيفة «جويش كرونايكل» اللندنية، وقال فيه إن «فلسطين بلد عربي منذ أقدم العصور، وكل شيء فيها جزء لا يتجزأ من حياة العرب، وأكثر من هذا ففلسطين جزء لا يتجزأ من سورية ويجب ان تبقى كذلك. ونحن العرب لا نستطيع ان نتخلى عن ان تكون فلسطين جزءاً من مملكتنا، وسنحارب حتى الخندق الأخير ضد أي مشروع يرسي إلى فصل فلسطين عن المملكة، ومن أجل سيادة العرب على تلك الارض. صحيح ان بإمكان اليهود ان يتمتعوا في فلسطين بحقوق امتيازات متساوية مع العرب ولكن فلسطين أرض عربية ويجب ان تبقى في صلب الدولة العربية الجديدة». وأضاف فيصل في حديثه إياه انه اجتمع مؤخراً بوايزمن (وقد يكون هذا هو الاجتماع الرابع بينهما) الذي عرض عليه مقترحات وجدها فيصل معقولة لأنها «لا تعني سيادة اليهود في فلسطين».

\* فيصل الثاني، الملك (١٩٣٥-١٩٥٨): ملك العراق وحفيد الملك فيصل الاول الهاشمي. بويع بعد وفاة أبيه الملك غازي، وكان في الرابعة من عمره فأقيم بحاله عبد الإله بن علي وصياً على العرش. درس في كلية إيتون العريقة في بريطانيا. توج في ايار ١٩٥٣، وتولى سلطاته الرسمية من دون ان يتمكن من الخروج من هيمنة خاله عبد الإله على الحكم حينئذ، أو نوري السعيد حينئذ. لقي حتفه، مع اركان النظام الملكي، إبان ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وبه انتهى العهد الملكي الهاشمي على العراق.

\* كامل الجادرجي (١٨٩٧-١٩٦٨): سياسي عراقي. ولد في بغداد ودرس فيها وتخرج في كلية الحقوق وعين معاوناً لوزير المالية. انضم إلى حزب الإخاء الوطني في ١٩٣٠ وانتخب عضواً في لجنته المركزية، وما لبث ان تركه في ١٩٣٣ وانضم إلى جماعة «الأهالي» التي كانت تصدر بهذا الاسم. دخل وزارة بكر صليبي في ١٩٣٦، واستقال في السنة نفسها. أسس مع جماعة الأهالي تنظيمًا سياسيًا عرف بـ«جمعية الإصلاح الشعبي». وفي ١٩٤٢، اصدر جريدة «صوت الأهالي» مهيئاً لإنشاء الحزب الوطني الديمقراطي برئاسته والذي أحيى رسميًا في ١٩٤٦. وقد لعب هذا الحزب دوراً مرموقاً في وثبة كانون الثاني ١٩٤٨ التي أدت إلى إسقاط معاهدة بورتسموث. عارض الجادرجي الحكم الملكي واعتقل أكثر من مرة وحكم عليه

الكريم قاسم. اصدر مذكراته بعنوان «مذكراتي في صميم الاحداث».

\* محمد مهدي الجواهري (١٩٠٣-١٩٩٧):

شاعر عراقي ذو حضور مميز وأثر كبير في الحياة السياسية العراقية والعربية. بدأ كتابة الشعر ولم يبلغ العشرين من عمره، وعمل في القصر الملكي في بغداد في عهد فيصل الاول، كما عمل في التدريس، وفي الصحافة منشئاً جريدة «الرأي العام» (١٩٤٥). وكانت قصائده السياسية بالغة الجراءة، فاضطر بعد إلقاء أكثر من قصيدة إلى مغادرة وطنه. كما تعرض لمضايقات في بعض العواصم العربية. وما لبث في العقدين الاخيرين ان غادر العراق نهائياً مقيماً في غير مدينة اوروية وعربية إلى ان استقر في دمشق حيث أمّن له الرئيس السوري حافظ الأسد رعاية خاصة. دفن في منطقة السيدة زينب، جنوبي العاصمة السورية.

\* محمود سلمان: أحد ضباط ثورة رشيد عالي

الكيلائي والحرب العراقية-البريطانية (ايار ١٩٤١). راجع: صلاح الدين الصباغ، فهمي سعيد، كامل شبيب... في هذا الباب.

\* مصطفى البرزاني (١٩٠٢-١٩٧٩): سياسي

عراقي كردي، وزعيم الانفصاليين الأكراد في شمالي العراق. ينتمي إلى قبيلة كردية عراقية (النقشبندية) ذات المكانة الدينية وتسكن منطقة بارزان في شمالي العراق (كردستان العراق). ورث الزعامة عن أخيه أحمد. قاد الجيش الكردي في جمهورية مهاباد (راجع «ايران، ج٤») في ايران. وهرب بعد انهيار هذه الجمهورية إلى الاتحاد السوفياتي، ثم عاد إلى العراق على اثر ثورة ١٩٥٨. تمرد على الحكومة المركزية في اوائل الستينات (في عهد عبد الكريم قاسم) بالاتفاق مع قوى خارجية. وقّع اتفاقية سلمية مع الحكومة العراقية في ١١ آذار ١٩٧٠، إلا انه لم يتقيد بها، وعمل مع قوى عالمية وإقليمية على استنزاف العراق عسكرياً واقتصادياً وإضعافه سياسياً محاولاً منعه من التوجه بكل طاقاته نحو فلسطين حين جدّد التمرد والصدام المسلح في كردستان العراق. انهار تمردّه على اثر الاتفاق العراقي-الايراني في ١٩٧٥. لجأ بعد ذلك إلى ايران وفيها توفي، وورثه في زعامة حزبه الكردي أولاده، وبالأخص منهم مسعود البرزاني. في السنوات الأخيرة (١٩٩٦-١٩٩٨)، نشرت مقالات كثيرة تحدّثت عن علاقة مصطفى البرزاني،

بالسجن ٣ سنوات بسبب موقفه القومي من العدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦). حاول ان يلعب دوراً بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ من خلال إعادة تكوين حزبه في اوائل ١٩٦٠ وإشرافه على جريدة المرآة التي صدرت في حزيران ١٩٦٢ إلا انه لم يتمكن من ممارسة دور رئيسي في توجيه الاحداث (عن «موسوعة السياسة»، بيروت، ج٥، ط٢، ١٩٩٠، ص٥٨-٥٩).

\* كامل شبيب (١٨٩٥-١٩٤٤): عسكري

عراقي وأحد قادة ثورة ١٩٤١. ولد في بغداد. خدم في الجيش العثماني، ثم في الجيش السوري إبان الحكم العربي الفيصلي، ثم انضم إلى الجيش العراقي في ١٩٢١. انضم إلى كتلة الضباط القوميين الذي تشكل في ١٩٣٤ (راجع: صلاح الدين الصباغ، فهمي سعيد، عمود سلمان، في هذا الباب). نُفذ به حكم الاعدام، في آب ١٩٤٤، بسبب مشاركته في الحرب العراقية-البريطانية (حركة رشيد عالي الكيلاني) التي اندلعت في أول ايار ١٩٤١ واستمرت حتى ٣١ ايار ١٩٤١.

\* محمد مهدي كُبه: سياسي عراقي. بدأ حياته

السياسية عند قيام ثورة ١٩٢٠ في العراق. فانتمى إلى الحزب الوطني الذي كان يرأسه جعفر أبو التمن، وأصبح عضواً في لجنته العليا، وقد استمر فيه حتى إعلان حظره في ١٩٣٣ بسبب معارضته النفوذ البريطاني. شارك في تشكيل جمعية الدفاع عن فلسطين، وانتخب نائباً في البرلمان (١٩٣٧) وكان معارضاً. وفي ١٩٤٦، أُلّف مع المعارضة حزب الاستقلال وترأسه. اشترك في وزارة الصدر الأولى (١٩٤٨) التي جاءت على أثر نجاح المعارضة لمعاهدة بورتسموث، ولكنه استقال احتجاجاً على إعلان الهدنة في فلسطين. ثم استقال من مجلس النواب احتجاجاً على تزوير الانتخابات واتفاقية النفط. وعلى الرغم من التزوير المكشوف الذي لجأ إليه نوري السعيد في انتخابات ١٩٥٤ فقد بُح محمد مهدي كُبه؛ وعاد ويُحج مرة جديدة بعد أن حلّ نوري السعيد المجلس وأجرى انتخابات جديدة. لكنه استقال احتجاجاً على التزوير والبطش الذي اشاعه نوري السعيد في البلاد.

حاول تشكيل حزب سياسي جديد بعد تعطيل

نوري السعيد للحياة الحزبية، ولكنه لم ينجح في ذلك. وعندما وقعت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، عُيّن كُبه عضواً في مجلس السيادة، ثم استقال احتجاجاً على مواقف عبد

الداخلية إلى الثيابة... فانتخب نائباً عن المنتفك (في العراق) وأنا في الأستانة... لم أدخل في جمعية الاتحاد والترقي... كنت اتصل بالجماعات الذين كانوا يشتغلون بالقضية العربية وأجتمع بهم دائماً ولكن لم أدخل معهم بصورة رسمية في حزب أو جمعية... وكان في تلك الآونة قد تآلفت جمعية في بيروت (وهي الجمعية التي طاردها جمال باشا في أثناء الحرب) وقد حذت أفعالهم في بداية الأمر فنظمت قصيدة عنوانها «في معرض السيف» دعوت فيها إلى النهضة العربية ولكن بعد ذلك أطلعت على منهاج تلك الجمعية ولما علمت بأن لهم إتصالاً بالأجانب نظمت قصيدتي التي عنوانها «ما هكذا...».

وبعد أن بقي الرصافي حتى ١٩١٩ في الأستانة، ذهب إلى دمشق، ومنها انتقل إلى التدريس في دار المعلمين في مدينة القدس حيث بقي سنة ونصف السنة. في هذه الأثناء كان عبد الرحمن النقيب قد ألف حكومة وطنية في بغداد، وكان هذا يطمح لأن يصبح ملكاً للعراق. وعاد الرصافي إلى العراق عن طريق القاهرة التي التقى فيها «فهمي المدرس وجعفر العسكري»، وكانا قد أتيا إلى القاهرة لمراجعة بعض الشخصيات وكان السر برسي كوكس موجوداً في القاهرة وهؤلاء جميعاً حضروا مع المس بل لمراجعة المسر شرشل لتقرير الملوكية في العراق».

وبعد أن تآلفت الحكومة الوطنية بعد مجيء فيصل، عين الرصافي مفتشاً للغة العربية، «ولكن بعد أن أخذ الأستاذ ساطع الحصري الشغل في المعارف علمت انه لم يبق لي شأن في المعارف فقررت أن أهجرت العراق وأذهب إلى تركيا فذهبت فعلاً إلى اسطنبول كي ألتحق بالجنسية التركية». ولما لم يوفق الرصافي بهذا المسعى أيضاً قصد بيروت حيث «سعى بعض الاصدقاء لأن ألتحق بالجنسية اللبنانية، وقد ألقيت هناك قصيدتي المشهورة («هي النفس»). بمناسبة مجيء أمين الريحاني إلى بيروت وفي تلك الأثناء ابرق لي عبد المحسن السعدون بلزوم العودة إلى العراق فسافرت إلى بغداد وأراد عبد المحسن بك أن أتصل بالملك فيصل لأجل ان يزول بيننا البرود فواجهته ولم يتسن لي أن أواجهه بعد ذلك... وبقي عبد المحسن السعدون يرعاني ويعينني في المعيشة».

وبعد قصيدة ألقاها الرصافي وراقت للملك فيصل، أوعز إلى ساطع الحصري بإعادته إلى المعارف، فعاد وبقي فيها موظفاً من ١٩٢٣ إلى ١٩٢٨. في ١٩٣٠، انتخب نائباً في المجلس الذي صدق معاهدة ١٩٣٠، وكان هو من المعارضين لها. وانتخب مرة ثانية، ولم يرشح نفسه مرة

وارتباطه بأجهزة المخابرات الاسرائيلية، مستندة إلى مراجع ومصادر ووثائق (راجع باب «كردستان العراق»).

\* معروف الرصافي (١٨٧٧-١٩٤٥): شاعر وسياسي (نائب) عراقي. ولد في بغداد ونشأ في الرصافة واشتغل في التعليم ونظم قصائده في الاجتماع والوطنية والثورة على الظلم قبل الدستور العثماني. انتخب بعد ثورة الاتحاد والترقي نائباً في مجلس «البعوثان» العثماني، ولم يكن على وفاق في تلك الفترة مع الوطنيين العرب من دعاة الاصلاح واللامركزية. بعد الحرب العالمية الاولى، درّس في دار المعلمين في القدس، وعاد إلى بغداد وأصدر جريدة «الأمل» لمدة قصيرة، وانتخب عضواً في مجلس النواب عدة مرات وأيد ثورة الكيلاني (١٩٤١)، فنظم أناشيدها وكان من أبرز خطبائها، ثم انزوى بعد فشلها. له مؤلفات كثيرة وديوان شعر.

في مجلة «أفاق عربية» (بغداد، العدد ١٢، السنة ١٣، كانون الاول ١٩٨٨، ص ٤٤-٥٣) نص وثيقة هي عبارة عن حديث بين كامل الجادرجي ومعرف الرصافي، يقول الرصافي فيه: «ولدت في بغداد في بيت يقع في محلة القراغول يدعى بيت حاسم القراغولي الذي هو والد والدتي. أما ابي فكان حسب ما أذكر عريقاً في الدرك الذي كان يسمى الجندرمة. ولما كان ابي دائماً في الوظيفة كان اتصالي به قليلاً جداً فوالدتي هي التي تعهدت نشأتي... ولدت وعشت فقيراً، أشعر بضنك العيش، فيصادف ان طعامنا لم يكن غير الخبز والخيار».

وعن وجوده في الأستانة، قال: «ذهبت إلى الأستانة (١٩٠٨)... لغاية إصدار جريدة باللغة العربية... وقد نفذت دراهمي في تلك المدة فاتصلت ببيت المطران، نذرة مطران ومثله مطران، من أهل بعلبك، وقد قاما بمساعدتي لتسديد مصاريفي الشهرية، وكان لهما دور في القضية العربية». في هذه الأثناء قامت ثورة الاتحاديين، فكان «كل شخص صاحب عمامة يشنّه به. فنزعت العمامة وأبدلت الملابس الشعبية بالملابس الاقربجية». وفي الأستانة، أصدر الرصافي جريدة «العرب» التي سرعان ما توقفت عن الصدور، وعين مدرساً في مدرسة «المللكية الشاهانية». وكان قبل وصوله إلى الأستانة وصل إلى بيروت حيث «استبقاني أدباء بيروت الذين احتفوا بي احتفاء كبيراً (وفي بيروت طبع ديوانه بعد أن اعطته إحدى المطابع ٣٠ ليرة فرنسية ذهباً)... وبعد قضاء ١٥ يوماً تقريباً سافرت إلى الأستانة». وفي الأستانة «رشحني طلعت بك وزير

على اثر إعلانه الثورة العربية الكبرى ضد الأتراك (١٩١٦) وأصبح المستشار المقرب من الأمير (الملك في ما بعد) فيصل ورافقه في زيارته للندن وباريس. وفي ١٩٢٠، استدعاه عدله جعفر العسكري الذي عين وزيراً للدفاع ليصبح رئيساً لأركانها. وفي العشرينات وجه جهوده لتنظيم الشرطة ثم لإنشاء الجيش بصفته وزيراً للدفاع. وفي ايار ١٩٣٠ أصبح نوري رئيساً للوزارة وهو منصب احتله ١٣ مرة قبل ان يعين رئيساً لوزراء الاتحاد العربي (الهاشمي) قبل مصرعه في ١٩٥٨.

وإلى جانب توليه رئاسة الوزارة تولى عدة مناصب وزارية كالل دفاع والداخلية والخارجية في حقبات مختلفة. والواقع ان نوري السعيد كان بمثابة المهتمس السياسي العام للنظام الملكي في العراق. ذلك ان مسألة المناصب الرئيسية أو امتناعه عنها كانت تخضع لاعتبارات ظرفية أو تكتيكية دون ان تغير إلى حد بعيد من حقيقة اعتماد النظام عليه كمستشار وعظمت رئيسي طيلة هذه المدة باستثناءات قليلة وبارزة (بعد انقلاب بكر صليحي ١٩٣٦ وثورة رشيد عالي الكيلاني ١٩٤١).

عرف نوري السعيد بسياسته الموالية كلياً لبريطانيا، وفي الفترة الأخيرة لبريطانيا وأميركا، ومسارته للشركات الاحتكارية الغربية، وبعدها للحركة الجماهيرية التحررية، وللأجاء الوحدوي التقدمي العربي. وقد ربط العراق بسلسلة من المعاهدات مع بريطانيا ثم أدخل العراق في الاحلاف الاستعمارية (حلف بغداد) في الخمسينات بقصد محاربة حركة التحرر العربي تحت ستار محاربة الشيوعية، ووافق وزير خارجية الولايات المتحدة جون فوسر دالس على حمل مواقفه ومن ضمنها الفكرة القائلة بأن «اسرائيل وجدت لثبتي». لاقى حقه مع أركان النظام الملكي أثناء ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ (عن «موسوعة السياسة»، بيروت، ج٦، ط١، ١٩٩٠، ص٦٣٢-٦٣٣).

\* ياسين الهاشمي (١٨٨٢-١٩٣٧): ياسين حلمي «باشا» ابن السيد سلمان الهاشمي: زعيم العراق السياسي في عصره. ولد في بغداد، وتعلم فيها ثم في اسطنبول وبرلين. تخرج ضابط أركان حرب في ١٩٠٥، وخاض الحرب البلقانية (١٩١٢). دخل جمعية «العهد»، ونقل إلى الموصل ثم إلى دمشق حيث اتصل بالأمير (الملك في ما بعد) فيصل، ودخل هو وفيصل في جمعية «العربية الفتاة». ونقل إلى رومانيا، وظهرت مواهبه العسكرية في ميدان «غاليسيا» دفاعاً عن النمسا أمام الروس. وأعيد إلى سورية عندما



نوري السعيد.

أخرى، وترك بغداد لأن راتبه لم يكفيه لمعيشته، وذهب إلى الفلوجة (١٩٣٣)، وبقي هناك يشتغل بكتابه «الشخصية المحمدية» حتى ١٩٤١. ولما وقعت الحرب بين العراق والانكليز «اضطرت على العودة إلى بغداد».

من خلال هذه الحوارات التي أجراها الجادرجي، ودونها، بينه وبين الرصافي الذي كان يكابد المرض والمزال (١٩٤٤)، تبلو «شخصية الرصافي الفذة وآراؤه الطريفة ومواقفه الشجاعة. كما يبلو زهده وإياؤه وصلقه (ركز الجادرجي على صفة الصدق هذه التي عرف بها الرصافي وكرهه الشديد للكذب) وقدراته الشخصية الخاصة».

\* نوري السعيد (١٩٥٨-): سياسي عراقي. ولد في بغداد، وكان أبوه موظفاً مدنياً يعود نسبه إلى عائلة كردية. دخل المدرسة الابتدائية العسكرية، وفي ١٩٠٣ التحق بالكلية العسكرية في اسطنبول وتخرج بعد ثلاثة أعوام برتبة ضابط. عمل بعدها في جمع الضرائب على المواشي من البدو الرحل. بدأت خدمته العسكرية الفعالة في حرب البلقان (١٩١٢) والتحق، في العام التالي، بحركة الضباط العرب المسماة «جمعية العهد». اعتقله البريطانيون في مطلع الحرب العالمية الأولى، ثم التحق بالشريف حسين

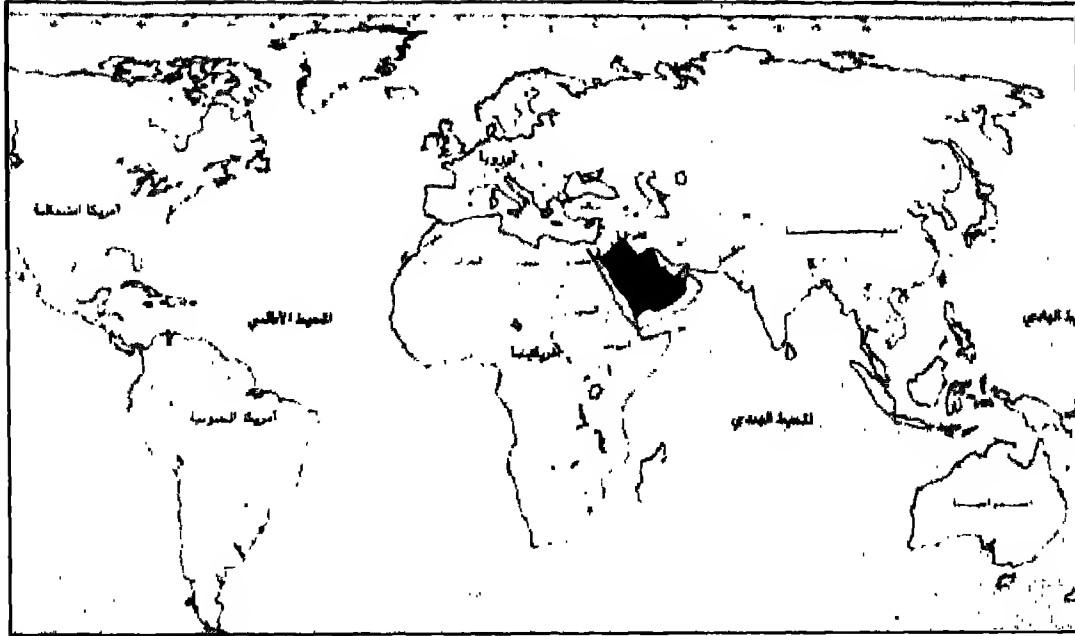
وزارته الثانية (١٩٣٦)، فرحل إلى بيروت، وتوفي فيها ودفن في دمشق (عن «موسوعة السياسة»، بيروت، ج٧، ط١، ١٩٩٤، ص٣٨٧-٣٨٨).

\* يوسف بن نعمان السويدي (١٨٥٤-١٩٢٩): زعيم عراقي. مولده ووفاته في بغداد. تلقى وتادب، وعمل مدة في القضاء الشرعي. كان من أوائل الثامنين في العراق بالفكرة العربية في عهد الترك العثمانيين. فلما أعلنت الحرب العالمية الأولى اعتقل وحُمل إلى الأستانة، ومنها إلى الأناضول منقياً. ثم أُعيد إلى الأستانة. ولما انتهت هذه الحرب عاد إلى العراق، وقد احتله الإنكليز، فقاومهم وكان من النادين بالثورة. واشتعلت المعارك وتعددت، وكان في بغداد فجدة الإنكليز في طليه، فخرج إلى عشيرة المشاهدة فطارده، فتوجه إلى سامرا، ثم إلى جهة الفرات حيث بقايا الثورة، ومنها إلى الشام، فأقام إلى أن أثمرت الثورة تأليف حكومة عربية في بغداد. فعاد، وعين عضواً في مجلس الاعيان، ثم انتخب رئيساً له. وكان كبيراً في نفسه، وفي قومه، مقداماً مخلصاً. له اشتغال بالأدب. جمع مذكراته في كتاب سماه «الخاطرات» أودعه ما شهد من جلائف الاحداث من طفولته إلى اواخر ايامه (عن «موسوعة السياسة»، بيروت، ج٧، ط٤، ١٩٩٤، ص٤٦٣).

\* يوسف سلمان (الملقب فهد): راجع «الحزب الشيوعي العراقي» في باب الاحزاب.

كانت ثورة الحجاز تمتد إلى أطراف الشام، وتولى ياسين قيادة فيلق للترك كان مقره في الشونة (شرقي الاردن)، ولم يلبث ان ارتدّ بغير قتال نزولاً عند أمر القيادة العامة. ولحق العرب والبريطانيون بالترك يطاردونهم، وجرح ياسين وهر مع الاتراك، فتخلف في دمشق مختبئاً. ووصل فيصل وعين ياسين رئيساً لديوان الشورى الحربي (١٩١٨). أسدّ ثورة العراق بالعون والسراي، فدعاه القائد البريطاني في دمشق (٢٢ تشرين الثاني ١٩١٩) إلى منزله في المرة (من ضواحي دمشق) فلما اراد الخروج من منزل القائد كانت على الباب سيارة مسلحة حملته مكرهاً إلى المعسكر البريطاني في اللد في فلسطين، واحتفى أثره. وهاجت دمشق تطالب باعادته فأطلق بعد أكثر من خمسة أشهر. فأقام في القاهرة اياماً وعاد إلى دمشق واستمر فيها إلى ان دخلها الفرنسيون وغادرها فيصل. وقامت الدولة العراقية (آب ١٩٢١)، فأذن له الانكليز بدخول العراق، فتولى بعض الوزارات فيها، وألف «حزب الشعب» (أول حزب سياسي في العراق)، وانتخب عضواً في المجلس التأسيسي عن بغداد، وتقلد رئاسة الوزارة مرتين، وضع في أولاهما قانون الانتخاب، وجمع أول مجلس للامة، وفي الثانية نفذ قانون التجنيد الاجباري وزود الجيش بثلاثة اسراب من الطائرات وأنشأ معملًا لصنع العتاد، وباشر بإنشاء معامل لصنع البنادق والرشاشات وذخيرة المدافع، ووضعت في ايامه «اتفاقية الحلف العربي» مع المملكة العربية السعودية واليمن، وأحكمت الصلات بين العراق ومصر. وعاش يحرك سياسة العراق إلى ان قامت ثورة بكر صليحي في عهد

## العربية السعودية، المملكة



### بطاقة تعريف

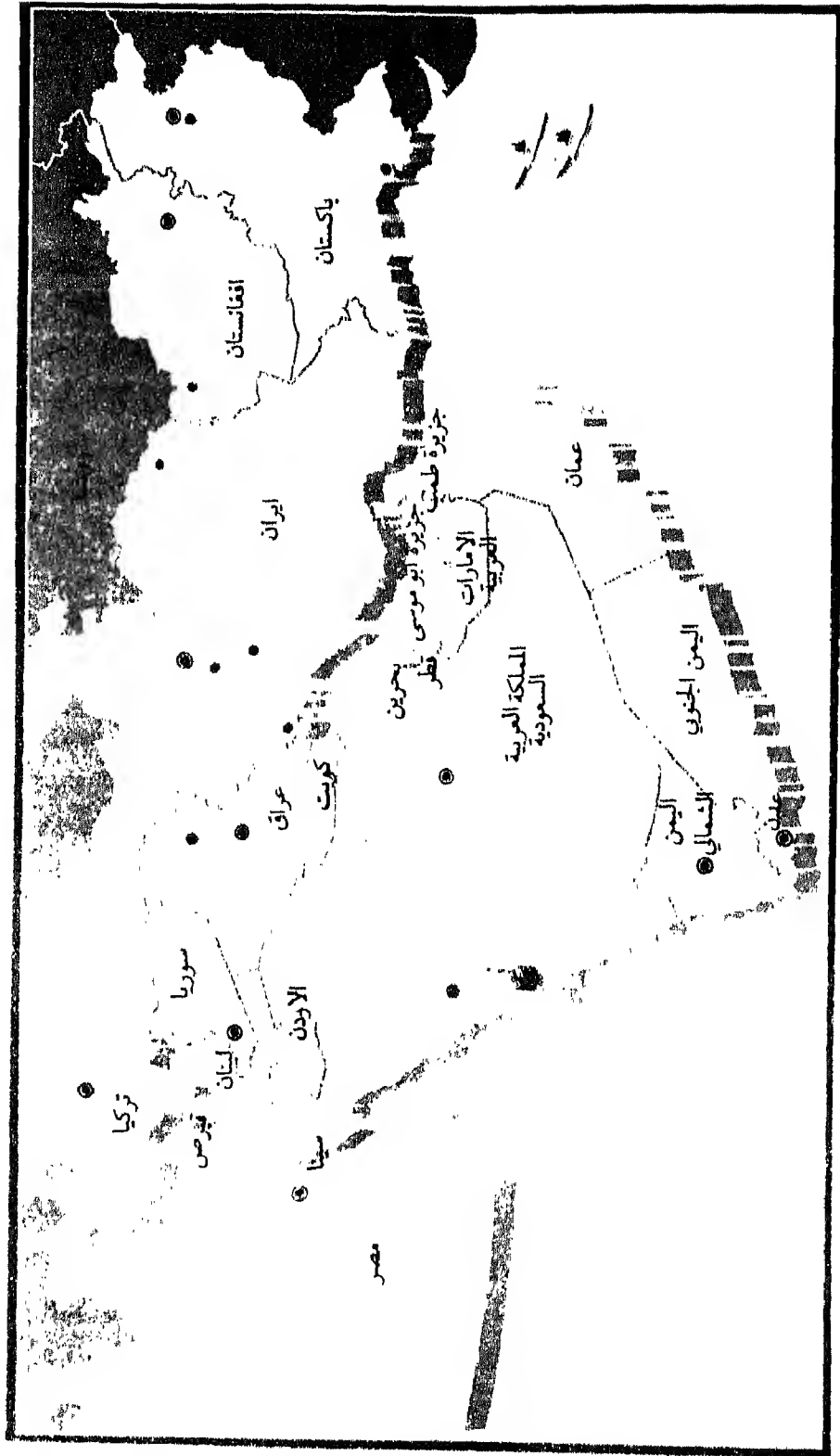
الشرق والبحر الأحمر من الغرب. يبلغ طول سواحلها على الخليج ٦١٠ كلم ويقع عليه عدة موانئ أهمها ميناء الملك عبد العزيز في الدمام وميناء الملك فهد الصناعي في الجبيل. وطول سواحلها على البحر الأحمر ١٨٠٠ كلم، وعليه عدة موانئ أهمها: ميناء جدة الاسلامي وميناء الملك فهد الصناعي في ينبع وميناء جازان. المساحة: ٢ مليون و ٢٤٠ ألفا و ٣٥٠ كلم م.، أي ما يعادل نحو ٨٠٪ من المساحة الاجمالية لشبه الجزيرة العربية التي تبدو وكأنها قارة صغيرة.

**اللغة:** العربية (رسمية). وتدرس اللغة الانكليزية في جميع مراحل التعليم.

**الاسم:** «المملكة العربية السعودية» منذ أن أعلن الملك عبد العزيز قيامها في اليوم الأول من الميزان، ٢١ من جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ الموافق ٢٣ ايلول ١٩٣٢. وأصبح هذا اليوم هو اليوم الوطني للدولة.

**الموقع:** تقع المملكة العربية السعودية في الجنوب الغربي من قارة آسيا في موقع متوسط بين قارات العالم القديم (آسيا، افريقيا وأوروبا) ويحدها من الشمال الاردن والعراق والكويت، ومن الجنوب سلطنة عُمان واليمن، ومن الشرق الخليج العربي والبحرين وقطر والامارات العربية المتحدة، ومن الغرب البحر الأحمر.

تطل المملكة على بحرين هما الخليج العربي من



الخريطة موضوعة قبل توحيد اليمن في ١٩٩٠.



العاصمة: الرياض. وأهم المدن: جدة والدمام. أما المدن والأماكن المقدسة فهي: مكة المكرمة والمدينة المنورة. وفي المملكة نحو ٦ آلاف بين مدينة وقرية وهجرة (راجع باب «مدن ومعالم».

المناطق: تتكون المملكة العربية السعودية من ثلاثة عشر منطقة حسب نظام المناطق الجديد الصادر في ١٩٩٣، وهي:

- منطقة الرياض، مقر إمارتها مدينة الرياض.
- منطقة مكة المكرمة، مدينة مكة المكرمة.
- منطقة المدينة المنورة، مدينة المدينة المنورة.
- منطقة القصيم، مدينة بريدة.
- المنطقة الشرقية، مدينة الدمام.
- منطقة عسير، مدينة أبها.
- منطقة تبوك، مدينة تبوك.
- منطقة حائل، مدينة حائل.
- منطقة الحدود الشمالية، مدينة عرعر.
- منطقة جازان، مدينة جازان.
- منطقة بجران، مدينة بجران.
- منطقة الباحة، مدينة الباحة.
- منطقة الجوف، مدينة سكاكا.

وتتكون كل منطقة إدارياً من عدد من المحافظات والنواحي والمراكز ويعين لكل منطقة أمير بمرتبة وزير ونائب له بالمرتبة الممتازة وعدد من الاعضاء. ويكون للمجلس أمانة مقرها إمارة المنطقة.

السكان: بلغ تعدادهم ١٦ مليوناً و٩٢٩ ألفاً و٢٩٤ نسمة بحسب إحصاء ١٩٩٢؛ منهم ١٢ مليوناً و٣٠٤ آلاف و٨٣٥ نسمة من المواطنين السعوديين، و٤ ملايين و٣٢٤ ألفاً و٤٥٩ نسمة من المقيمين من غير السعوديين موزعين على مختلف مناطق المملكة ومدنها. أما معدل الكثافة السكانية فلا يزيد عن ٧ أفراد في الكلم م. الواحد. وأما النمو السكاني فهو عال مقارنة مع

بقية دول العالم، ويتجاوز ٤٪ سنوياً ليجعل المملكة من بين أكثر خمس دول نمواً سكانياً في العالم إذ تقدر الزيادة حالياً بنحو نصف مليون نسمة سنوياً (هذه المعلومة عن النمو السكاني عن د. إحسان علي بو حليقة، سعودي متخصص في المعلوماتية والانتاج، «الحياة»، العدد ١٢٨١٢، ١ نيسان ١٩٩٨، ص ١٢).

يدين المواطنون السعوديون بالدين الاسلامي الحنيف. أما من هم على المذهب الشيعي، فتقول بعض المراجع (خاصة الأجنبية منها) أن عددهم لا يتجاوز ٢٠٠-٣٠٠ ألف. وأما المسيحيون (كاثوليك وبروتستانت) فهم جميعاً من المهاجرين إلى المملكة بقصد العمل ولا يتعدى إجمالي عددهم ١-٢ مليون نسمة.

أما السكان البدو الرحل فأماكن وجودهم هي البادية التي تقع في اطراف المدن والقرى، والبادية التي تقع بجوار موارد المياه، والبادية التي تقع في أماكن بعيدة عن القرى وموارد المياه. والمعروف ان البدو ينقسمون إلى فئتين رئيسيتين: البدو الرحل وأشباه الرحل، والفئة الأخيرة هي الأكثر عدداً. وأما النهضة العمرانية في إطار خطط التنمية الواسعة التي تشهدها المملكة فأخذت في تقليص عدد البدو بتشجيعهم على الحياة الحضرية.

الحكم: النظام الملكي هو نظام الحكم في السعودية، ويشكل مجلس الوزراء ومجلس الشورى مع الملك السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية في الدولة. ورئيس مجلس الوزراء هو خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، ونائب رئيس مجلس الوزراء هو صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، أما النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء فهو الامير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران والمفتش العام.



علم الدولة وشعارها.

إحدى الواجهات الخارجية لمبنى مجلس الشورى الجديد.



الاسلام هو دين الدولة وتحكم به وتستمد المملكة جميع أنظمتها وتشريعاتها من القرآن الكريم وسنة رسول الله.

في ١٩٩٢-١٩٩٣، صدرت في المملكة الأنظمة الأساسية للحكم وتوزعت على: ١- النظام الأساسي للحكم، ٢- نظام مجلس الوزراء، ٣- نظام مجلس الشورى، ٤- ونظام المناطق. وليست هذه الأنظمة- كما أكد الملك فهد في كلمته بمناسبة إصداره لهذه الأنظمة- سوى توثيق لشيء قائم وصبغة لأمر واقع معمول به.

١- النظام الأساسي للحكم: يتكون من تسعة أبواب تتضمن على ٨٣ مادة. وتنص المادة الأولى على: «المملكة العربية السعودية دولة عربية اسلامية ذات سيادة تامة؛ دينها الاسلام ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله (صلعم) ولغتها هي اللغة العربية، وعاصمتها مدينة الرياض». وتنص المادة الثالثة على: «يكون علم الدولة كما يلي: أ- لونه أخضر. ب- عرضه يساوي ثلثي طوله. ج- تتوسطه كلمة «لا إله إلا الله ومحمد رسول الله» تحتها سيف مسلول، ولا ينكس العلم أبداً». وتنص المادة الرابعة على: «شعار الدولة سيفان متقاطعان، ونخلة وسط فراغهما الأعلى». وتنص المادة الخامسة على: «أ- نظام الحكم في المملكة العربية السعودية ملكي. ب- يكون الحكم في أبناء الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وأبناء الأبناء، ويأبى الاصلاح منهم للحكم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. ج- يختار الملك ولي العهد ويعفيه بأمر ملكي...».

٢- نظام مجلس الوزراء: من ٣٢ مادة. تنص المادة الأولى على: «مجلس الوزراء هيئة نظامية يرأسها الملك». والمادة التاسعة: «مدة مجلس الوزراء لا تزيد عن أربع سنوات يتم خلالها

إعادة تشكيله بأمر ملكي...». والمادة التاسعة والعشرون: «الملك رئيس مجلس الوزراء هو الذي يوجه السياسة العامة للدولة...».

٣- نظام مجلس الشورى: النظام الأساسي لهذا المجلس من ٣٠ مادة، تنص المادة الأولى منه على: «... ينشأ مجلس الشورى ويمارس المهام المنوطة به وفقاً لهذا النظام والنظام الأساسي للحكم ملتزماً بكتاب الله وسنة رسوله محافظاً على روابط الأخوة والتعاون على البر والتقوى». والمادة الثالثة: «يتكون مجلس الشورى من رئيس وستين عضواً يختارهم الملك من أهل العلم والخبرة والاحتصاص وتحدد حقوق الأعضاء وواجباتهم وكافة شؤونهم بأمر ملكي». والمادة الثالثة عشرة: «مدة مجلس الشورى أربع سنوات هجرية...». والمادة التاسعة عشرة: «يكون مجلس الشورى من بين أعضائه اللجان المتخصصة...». وهناك لائحة داخلية لمجلس الشورى تناول اختصاصات رئيس المجلس ونائبه والأمين العام، والهيئات العامة للمجلس، والجلسات، واللجان، والتصويت وإصدار القرارات، وأحكام عامة، وجميعها مشمولاً بـ ٣٤ مادة. وهناك كذلك لائحة حقوق أعضاء مجلس الشورى وواجباتهم (٦ مواد)، وتنظيم الشؤون المالية والوظيفية للمجلس (١٠ مواد)، وقواعد التحقيق والمحاكمة لعضو مجلس الشورى وإجراءاتها (٥ مواد).

٤- نظام المناطق: من ٤١ مادة. تنص المادة الأولى على: «يهدف هذا النظام إلى رفع مستوى العمل الإداري والتنمية في المملكة، كما يهدف إلى المحافظة على الأمن والنظام وكفالة حقوق المواطنين وحرياتهم في إطار الشريعة الإسلامية». وتنص المادة الثانية على:

«تنظم مناطق المملكة ومقر إمارة كل منطقة بأمر ملكي بناء على توصية من وزير الداخلية» (راجع «المناطق» في هذا الباب «بطاقة تعريف»).

أما الأحزاب السياسية، بمفهومها الحديث وتركيبها التنظيمي العصري فغير معروفة في المجتمع السعودي الذي يطغى فيه الولاء القبلي على غيره من الولاءات. وهناك معارضون موجودون في الخارج.

الاقتصاد: تتمتع المملكة بثروات طبيعية هائلة وعديدة، وفي طليعتها البترول (الذهب الأسود). ففي باطن الأرض في المنطقة الشرقية من المملكة تقع أغنى منابع النفط في العالم، حيث ربع المخزون الاحتياطي العالمي من البترول ومن الغاز الطبيعي، كما تعد أكبر وأكثر دولة في الشرق الأوسط إنتاجاً وتصديراً للنفط.

وعلاوة على ذلك فالمملكة غنية بمختلف المعادن الكامنة تحت سطح الأرض في معظم مناطقها كالذهب والفضة والحديد والنحاس والبوكسيت والبيريت والزنك والنيكل والفوسفات والمنغنيز (المغنيسيوم) والجيبس والملح وغير ذلك. وأهم هذه المعادن الذهب الذي يقدر احتياطي المملكة منه أكثر من ٤,٥٩ مليون أوقية. أما ثروة المملكة السياحية فعمادها الآثار وأماكن السياحة والترفيه.

بالنسبة إلى الآثار فإن المملكة غنية بها ولكنها لم تكتشف بعد في جميع مناطقها نظراً إلى كثرة الممالك والحضارات القديمة التي نشأت وبادت على ترابها. ومع ذلك فهناك آثار قديمة جداً لا تزال ماثلة للعيان كآثار مدائن صالح، كما توجد آثار قديمة نسبياً كآثار خيبر والدرعية. ونتيجة لاهتمام المملكة مؤخراً بالآثار والتنقيب عنها

ومواطني دول مجلس التعاون الخليجية بشكل خاص. هذا إلى جانب عدد من المناطق السياحية في ربوع القصيم وحائل والباحة وبلجرشي وفيفا وظهران الجنوب وغيرها.

الزراعة: إلى عهد قريب، كانت المملكة العربية السعودية تعد بلدًا صحراويًا قاحلاً. لكنها استطاعت، خلال سنوات قليلة، ان تتحول من بلد مستورد للغذاء إلى بلد مصدّر له بعد ان حققت الاكتفاء الذاتي في كثير من المنتجات الزراعية الرئيسية وفي مقدمتها القمح الذي اصبحت السعودية تحتل (١٩٩١) المرتبة السادسة بين دول العالم المنتجة والمصدرة له، كما حققت المملكة الاكتفاء الذاتي من منتجات الألبان والدواجن وتصدر الفائض منها إلى الدول المجاورة.

وتحتل المملكة المرتبة الاولى في العالم في انتاج التمور حيث تنتج أكثر من ٥٠٠ ألف طن سنويًا. وهناك العديد من المنتجات الزراعية مثل الخضراوات والفواكه.

وتستخدم الزراعة في المملكة أحدث الطرق والتقنيات الزراعية وتقدم الدولة للمزارعين العديد من الحوافز والاعانات والمساعدات التي تشجعهم على مضاعفة الانتاج ومنها: توزيع الاراضي البور الصالحة للزراعة على المزارعين والشركات الزراعية مجانًا، وتحمل الدولة نسبة ٤٥٪ من تكاليف المعدات والآلات الزراعية الثقيلة و ٥٠٪ من قيمة الأسمدة المحلية والمستوردة، كما تقدم الدولة، ممثلة في البنك الزراعي السعودي، القروض طويلة الأجل بدون فوائد.

الصناعة: تسعى المملكة العربية السعودية إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي من المنتجات الصناعية. وتدعم الدولة الصناعة وتوليها كل الاهتمام

وانشاء المتاحف لحفظ ما يمكن حفظه منها، فقد تمّ بواسطة علماء الآثار السعوديين اكتشاف مدينة الفاو وآثار مملكة كنده وبعض الآثار والنقوش الثمودية. ومن ناحية أخرى، اكتشف — بعض علماء الآثار الاميركيين منذ فترة قريبة وبواسطة الأقمار الصناعية آثار قوم «عاد» المطمورة تحت رمال الربع الخالي والتي يعتقد انها آثار مدينة «إرم» ذات العماد التي ورد ذكرها في القرآن الكريم. وتضم المدينة المنورة ومكة المكرمة آثارًا إسلامية مهمة تتمثل في المساجد القديمة المشهورة وآثار السدود والعيون واعداد كثيرة من الكتابات الاسلامية التي لا يوجد لها مثل في العالم. وهناك المعالم البارزة ذات الصلة بتاريخ المسلمين منها جبل أحد وغار حراء وغار ثور ومواقع المعارك المشهورة في الاسلام مثل موقعة أحد و بدر. وتضم المملكة ايضًا آثار طرق الحج القديمة وما عليها من حصون وقلاع ومنشآت مائية. ومن أهمها طريق الحج القديم المسمى «درب زبيدة»، وكشفت الحفائر الأثرية في العصر الحاضر عن أبرز المعالم الحضارية لمدينة الريزة الاسلامية التي تقع على ذلك الطريق.

أما بالنسبة إلى الاماكن السياحية فهي كثيرة في المملكة وتجذب الكثيرين من السياح وهواة التنزه والآثار، سواء من الداخل أو من الخارج بفعل توفر وسائل النقل والفنادق والمرافق والخدمات السياحية. ومن أهم الاماكن السياحية في المملكة: منطقة عسير حيث توجد بالقرب من مدينة أبها منطقة السودا الساحرة بجبالها وخضرتها ووديانها وطقسها البارد والمعتدل: ومنطقة الكورنيش في شاطئ جدة، وتكثر فيها الحدائق وملاعب الاطفال وحمامات وبرك السباحة؛ وكورنيش الدمام وفيه شاطئ خليج نصف القمر الذي يحظى بشهرة كبيرة وإقبال متزايد من سكان المنطقة

المملكة نحو ٢٣٠٠ مصنع يزيد رأسمالها على ١١٠ مليار ريال.

النقل والمواصلات: وجهت المملكة اهتماماً خاصاً لبناء الطرق ومرافق النقل والمواصلات باعتبارها أحد أهم عناصر البنية الأساسية التي تعتمد عليها بقية القطاعات. ورغم اتساع مساحة المملكة وصعوبة التضاريس تمكنت خلال فترة وجيزة من الزمن من إنجاز شبكة واسعة من الطرق تربط المدن والقرى ببعضها كما تربط المملكة بالدول المجاورة. فبينما لم يكن في المملكة عام ١٩٥٣ (العام الذي أنشئت فيه وزارة المواصلات) سوى ٢٣٩ كلم من الطرق المسفلتة نجد ان هذا الرقم قد قفز إلى نحو ٤٢ ألف كلم في العام ١٩٩٢، منها ٤٤٠٠ كلم من الطرق السريعة والمزدوجة (الأوتوسترات)، كما بلغت أطوال الطرق الزراعية نحو ٨١ ألف كلم.

حيث أقامت مدناً صناعية متكاملة الخدمات على أرقى مستوى من التخطيط، وحيث شاهد على ذلك مدينتا الجبيل وينبع الصناعيتان اللتان تضمجان العديد من المصانع العملاقة. إلى جانب المناطق الصناعية في جميع مدن المملكة الرئيسية والتي أنشئت كدعم من الدولة للمواطنين الراغبين في الاستثمار في المشاريع الصناعية وتوافر في هذه المناطق الخدمات والمرافق كافة كالمياه والكهرباء التي تقدم للمصانع بأسعار رمزية.

كما تقدم الدولة، ممثلة في صندوق التنمية الصناعية، القروض طويلة الأجل بدون فوائد للمشاريع الصناعية وإعفاء المصانع من الرسوم الجمركية. وتصدر المملكة بعض صناعاتها وبخاصة البتروكيماويات للأسواق العالمية حيث تحظى بإقبال شديد من الدول المستهلكة لما تتمتع به من جودة عالية. ويبلغ عدد المصانع في

### جدول تقريبي بأعداد ونسب أبرز الجنسيات في السعودية حسب احصاءات ١٩٩٤ / ١٩٩٥

النسبة %	العدد	الجنسية
١٤,٦	١٢٢٨١٥٢	الهند
١٤,١	١١٩٥١٨٩	مصر
١٢,٤	١٠٧٨٦٦٨	باكستان
٧,٤	٦٥٠٩٦٧	الفلبينيين
٧,١	٦٤٦٢٨٤	بنغلاديش
٦,٨	٥٤٤٢٩٨	اليمن
٤,٠	٣٤٩٤٥٨	اندونيسيا
٣,٩	٣٤٣٥٠٨	السودان
٢,٧	٢٦٨٢٥٤	سورية
٢,٥	٢٥٥٤١٢	الاردن
٢,٢	١٩٥٢٤٦	سيريلانكا
١,٩	١٦٤٥١٩	الكويت
١,٨	١٦٠٦١١	فلسطين
١,٥	١٢٤٤٨٨	تركيا
١,٢	١٠٥٠٠٠	لبنان
١,٥	١٢٤٤٢	قبائل النازحة
٠,٨	٦٤٧٠٠	اميركا
٠,٥	٤٨٦٨٤	بريطانيا

اما بقية الجنسيات وعددها ١٧٢ فإن نسبتها اقل من ٠,٥ في المئة.

المصدر: «الوسط»، العدد ٣٠٦،

٣ تشرين الثاني ١٩٩٧، ص ١٠.

تنويع الاقتصاد الوطني، وبصورة متوازنة مع تنفيذ ما ورد في النظام الأساسي للحكم في ما يتعلق بإعادة تشكيل الوزارة ودعمها بعناصر شابة برئاسة محادم الحرمين الشريفين الملك فهد مع بداية ١٩٩٧، أي بعد نحو سنتين من بدء تطبيق الخطة الخمسية السادسة، انشغل الاقتصاديون السعوديون بثلاث قضايا رئيسية:

١- توسيع مساهمة المواطنين والمواطنات في قوة العمل.

٢- توسيع مساهمة القطاع الأهلي في الاقتصاد المحلي.

٣- «سعودة» قوة العمل المدنية وسط تناول تقارير غير رسمية عن وجود بطالة في أوساط المواطنين.

وهذه القضايا استتبعها قضية الوافدين من العمال الذين يشكلون الشريحة الأكبر في العديد من المهن. وتقدر قوة العمل (اليد العاملة) حالياً بنحو ٧ ملايين، منها قرابة ١٢٪ تشتغل في القطاع الحكومي، أما مساهمة العمالة الوافدة فتعادل ضعفي مساهمة نظيرتها السعودية.

وقضية «سعودة» قوة العمل دونها تحدٍ مهم لأسباب ديمغرافية واقتصادية، منها ان قرابة ٤١٪ من السكان هم تحت الـ ١٥ من العمر، يضاف إلى ذلك ان تحويلات العمالة الوافدة من العملات الاجنبية تشكل عبئاً متزايداً على الحساب الجاري.

أما أهداف الخطة الخمسية السادسة (الحالية) فقد نصت على «تكوين المواطن العامل المنتج ومساعدته للوصول إلى تلك المرحلة، وإيجاد مصدر الرزق له وتحديد مكافآته على أساس عمله». ويأتي هذا الهدف ثالثاً ضمن الاهداف العامة للخطة المذكورة مباشرة بعد هدف المحافظة على القيم الاسلامية، وهدف الدفاع عن الدين والوطن. وتطمح السعودية إلى توظيف ٦٥٠ ألف مواطن خلال الخطة الخمسية الحالية ستوجه معظمهم إلى القطاع الخاص بعد

وفي مجال السكك الحديدية يوجد خط حديدي يربط المنطقة الشرقية من المملكة بالرياض العاصمة، ويعمل على هذا الخط الذي يبلغ طوله ٥٧٨ كلم قطارات حديثة وسريعة لنقل المسافرين والبضائع والسلع. كذلك أولت الدولة، ممثلة في المؤسسة العامة للموانئ، اهتماماً بالغاً بالنقل البحري وإنشاء الموانئ على البحر الأحمر والخليج العربي، وتعتبر المملكة من أنشط الدول في أعمال النقل البحري بينها وبين مختلف دول العالم.

أما في مجال النقل الجوي فقد أنشأت الدولة مطارات حديثة بلغ عددها ٢٥ مطاراً منها ثلاثة مطارات دولية هي: مطار الملك خالد الدولي في الرياض (تم افتتاحه في ١٩٨٣) ومساحته ٢٢٥ كلم م. وطاقته التشغيلية ٧،٥ مليون راكب سنوياً. ومطار الملك عبد العزيز الدولي في جدة (أنشئ في ١٩٨١) ومساحته ١٠٥ كلم م. ودوره الأساسي في خدمة حجاج بيت الله الحرام. ومطار الظهران الدولي في المنطقة الشرقية، ومساحته ٧٨٠ كلم م. وقد شيد حالياً مطار الملك فهد الدولي في الظهران ليحل محل المطار السابق.

(ثلاثة كتب من إعداد وإصدار «إدارة الأبحاث والنشر بدار الأفق للنشر والتوزيع»، الرياض، ومثمانية كراريس وعدد من المنشورات الاعلامية، حصل عليها المؤلف من الملحقة الثقافية في سفارة المملكة العربية السعودية في بيروت شكلت مراجع كل ما ذكر أعلاه في هذا الباب «بطاقة تعريف»).

اعتمدت المملكة إطاراً تخطيطياً للتنمية التي نفذتها دون الاستعانة بأية قروض من الخارج، فبدأت بخطط التنمية الخمسية: الأولى ١٩٧٠-١٩٧٥...

السادسة (الحالية) ١٩٩٥-٢٠٠٠ التي هدفت إلى أن تضع السعودية على عتبات القرن الحادي والعشرين بتوفير التمويل الطويل الأجل وبشروط ميسرة لدعم نشاط القطاع الخاص ومساهماته في

انحسار التوظيف في القطاعات الحكومية، وقد جرى تأسيس صندوق لتأهيل القوى العاملة السعودية وتوظيفها، وأدرج هذا الصندوق في إطار «مجلس القوى العاملة السعودية». وأصل الاقتصاد السعودي، للسنة الثالثة على إطلاق الخطة الخمسية السادسة، أداءه الذي لعبت فيه استثمارات القطاع الخاص والصادرات غير النفطية دوراً مميّزاً بدعم من الحكومة. ونجحت المملكة في السيطرة على التضخم وتحقيق نمو خلال الأعوام ١٩٩٤-١٩٩٧ يصل إلى ٤,٥٪. ولعل أبرز أحداث الاقتصاد السعودي في ١٩٩٧ كان في التطورات النفطية، وتحديث الأنظمة والقوانين للاقتراب من ربح العولمة ومنظمة التجارة العالمية باقتصاد مطمئن، والإعلان عن تخصيص قطاع الاتصالات لتتولاه «شركة الاتصالات السعودية» التي ربما أصبحت كبرى الشركات المساهمة في السعودية.

أخيراً، تعتزم المملكة اتخاذ المزيد من الإجراءات لزيادة إيراداتها غير النفطية في إطار برنامج الإصلاحات الاقتصادية. ويتوقع أكثر الاقتصاديين السعوديين بأن الخطة التنموية المقبلة (الخطة الخمسية السابعة) التي تبدأ في العام ٢٠٠٠ امتداداً للخطة الحالية لجهة تنمية الإيرادات غير النفطية وإعطاء القطاع الخاص دوراً أكبر في عملية التنمية الاقتصادية، خاصة وأن الخطة المقبلة ستترافق مع تحديات تواجه الحكومة خصوصاً ضعف أسعار النفط وتزايد متطلبات التنمية وتأمين وظائف للمواطنين وتقليل الاعتماد على الوافدين وتحقيق نمو لا يتأثر بالتقلبات في أسواق النفط العالمية. ميزات رئيسية ثلاث: مستقر أكبر تجمع من القبائل في العالم، وأول وحدة حقيقية بعد صدر الإسلام، وافتحان الدولة بالإسلام: راجع باب «معالم تاريخية».

## نبذة تاريخية

التكوّن الجيولوجي: ثمة نظريتان تفسران التكوّن الجيولوجي لشبه الجزيرة العربية التي تشغل المملكة العربية السعودية الجانب الأكبر منها.

الأولى، ويقول بها بعض الجيولوجيين الذين يعتقدون انه في الوقت الذي كانت فيه اوروبا تعيش عصرها الجليدي، كانت شبه الجزيرة العربية ارضاً زراعية خصبة تنتشر فيها الغابات ويعيش فيها كثير من الحيوانات التي انقرضت في ما بعد. وحين انحصر الجليد عن اوروبا إلى الشمال تناول التغيير المناخي والجيولوجي شبه الجزيرة، فارتفعت فيه الحرارة، وتلاشت معظم الاراضي الزراعية، وكثرت الصحاري الشاسعة.

الثانية، يذهب اصحابها الجيولوجيون إلى الاعتقاد بأن شبه الجزيرة كانت متصلة بالقارة الافريقية من جهتها الغربية، وبالهضبة الإيرانية من جهتها الشرقية، وإن ذلك كان يشكل قارة قديمة تدعى «جندوانا». ويستدل اصحاب هذه النظرية بوجود الصخور البركانية الضخمة في المنطقة الغربية من المملكة والتي تقابلها صخور مماثلة في بعض أجزاء الشاطئ الإفريقي الشرقي والسهول الرسوبية الواسعة في المنطقة الشرقية من المملكة والتي تقابلها سهول مماثلة في الشاطئ الشرقي للخليج العربي. وليس هناك بعد ما يقطع بصحة النظريتين أو ينفيهما (رحول المناخ وتأثيره، راجع «شبه الجزيرة العربية»، ج ١١).

التاريخ القديم: التأثير الكبير على مجرى احداث تاريخ شبه الجزيرة هو دون شك تأثير جغرافي. فوسطها محاط بمساحات شاسعة من الصحارى كالربع الخالي في المنطقة الشرقية والجنوبية الشرقية، وصحراء الدهناء، وصحراء النفود الغربي، وهو الأمر الذي حال دون التوغل

أو المحجرات من أو إلى المنطقة الوسطى نظراً إلى صعوبة أو استحالة اجتياز الموانع الطبيعية المحيطة بالمنطقة (راجع «شبه الجزيرة العربية»، ج ١١). وهكذا اقتصر أكثر النشاط البشري والتفاعل الحضاري على أطراف شبه الجزيرة العربية شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، بينما ظلت المنطقة الوسطى غالباً معزلة.

التاريخ القديم للملكة وفقاً على ما ستيهه أعمال التنقيب الجارية. هذه الأعمال التي لم تعرف بعض الزخم إلا بعد اكتشاف النفط، وكانت قبلاً نادرة قياساً على ما كان يجري من اهتمام البعثات الغربية في المناطق الشمالية من شبه الجزيرة، أي في بلاد الرافدين ومنطقة الهلال الخصيب عمومًا. وكان العامل الديني (اعتقاد كان سائدًا يقول بـ«جاهلية» كل سابق على الاسلام) سبباً مهماً في تأخر أعمال تنقيب هذه البعثات. وفي العام ١٩٦٢، صدر مرسوم ملكي بتأليف مجلس أعلى للآثار استهدف القيام بالمسوح الأثرية الشاملة في المملكة. ومنذ ذلك الحين، بدأت الآثار تكشف عن حقائق تاريخية لم تكن معروفة من قبل، وتشير ان الانسان قد سكن شبه الجزيرة في العصرين الحجريين المتأخر والمتقدم. وسجل عام ١٩٧٠ انطلاق السعي الحثيث والجددي لدراسة الآثار في المملكة مع تعيين الدكتور عبدا لله مصري مديراً للآثار والمتاحف في المملكة. وللدكتور مصري دراسة مهمة عن مدينة «أبيد» Ubeid الأثرية الواقعة شرقي المنطقة.

وأما عن علاقة شبه الجزيرة بالمناطق الشمالية المتاخمة (بلدان الهلال الخصيب) سواء لجهة أصل شعوبها أو لجهة العلاقة الحضارية، فلقد جرت دراسات كثيرة بصدد هذا وحوارات ونقاشات أخذت مذاهب شتى (راجع «شبه الجزيرة العربية»، ج ١١)؛ و«سورية»، ج ٩)، فختار من بينها ما كتبه الدكتور فيليب حتي («العرب، تاريخ موجز»، ص ٩-١٥):



ان حاجتها إلى البحور المستورد من جنوبي شبه الجزيرة العربية قد دفع بسكان هذه الأخيرة، منذ أقدم الأزمان، إلى إقامة علاقات مع مصر. وشهد الألف الثاني ق.م. من مطلعته إلى أواخره، ثلاث ظاهرات حضارية كبرى:

- استنباط الإيجدية التي عرفها المؤرخون بـ«الاجمائية السامية» التي انبثقت منها كل إجمديات الشعوب السامية الأخرى: العرب، الأكاديون، البابليون، الآشوريون، الكنعانيون (الأموريون، الموابيون، الأدميون، العمونيون، الفينيقيون)، والقبائل الأرامية المختلفة وفيها العبرانيون، وجزء كبير من سكان إثيوبيا. وقد كان لهذا الاستنباط تأثير عظيم، في ما بعد، في التطور الحضاري لهذه المنطقة وفي نشوء اللغة العربية.

- حدوث هجرات واسعة (يؤكدها المؤرخون لكن لا يملكون معلومات واضحة عنها) مصحوبة بتحويلات جذرية في حياة الجزيرة بسبب دخول بلدان شمالي شبه الجزيرة (بلدان الهلال الخصيب) في العصر الفولاذي، وبسبب توطن القبائل الأرامية السامية في بعض مناطق الهلال الخصيب.

- تدجين الجمل الذي كان «أول مساهمة عربية في التقدم المادي للإنسانية نظراً إلى أهمية ذلك في مجال المواصلات داخل الصحراء وفي ربط المناطق النائية والصعبة بعضها ببعض، وتشجيع التجارة والمبادلات».

**الألف الأول ق.م.:** يقول المؤرخون، استناداً إلى ما كشفه العلماء من خلال تنقيباتهم وأبحاثهم، إن الاشارات الأولى إلى العرب وبمالكهم ودويلاتهم جاءت في الأدبيات الآشورية والبابلية وتصفهم بأنهم «ملكون الجمال (من هنا قول المؤرخين إن الاسهام الحضاري الانساني الاول للعرب كان في تدجينهم الجمل) ويسكنون شمالي الجزيرة العربية ويدفعون الجزية للملوك بلاد ما بين

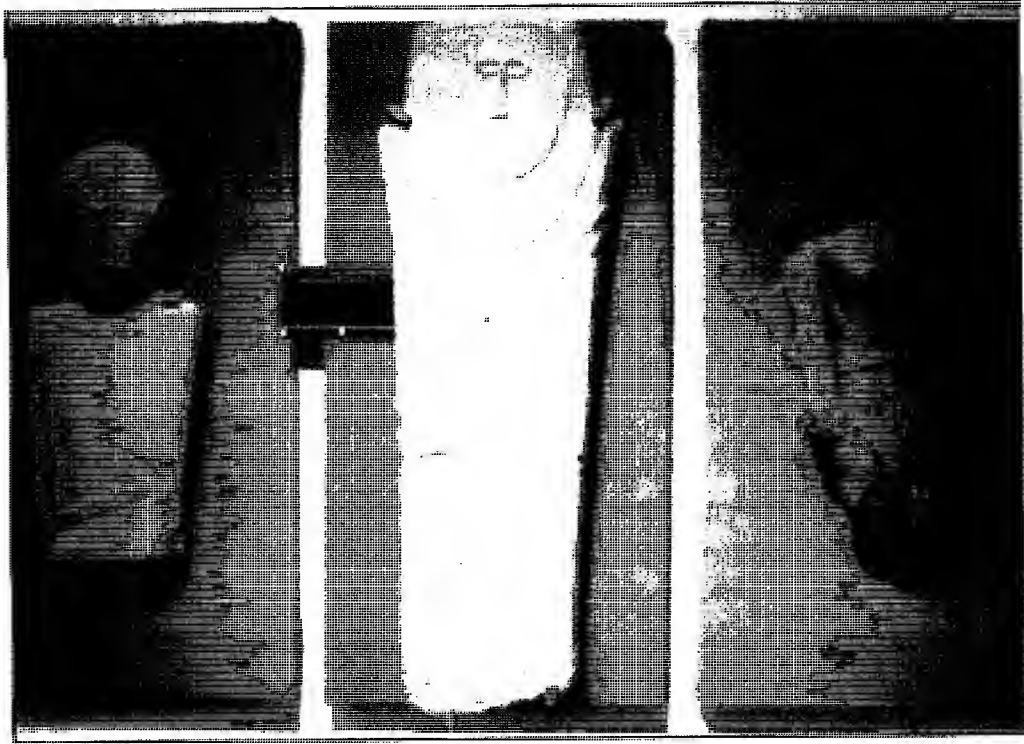
» وفي جزيرة العرب نشأ أولاً اجداد الشعوب السامية، من بابليين وآشوريين وكلدانيين وعموريين وآراميين وفينيقيين وعبرانيين وعرب وأحباش. وفيها قطنوا برهة من الزمن، قبل ان نزحوا وصاروا إلى ما صاروا إليه...

«وإذا كانت الجزيرة موطن الساميين الاصليين، فالهلال الخصيب، الممتد من الخليج العربي إلى سيناء، وفيه العراق وسورية ولبنان وفلسطين، كان مربع مدنيتهم الاولى. ففي وادي الفرات، الذي نزح إليه الساميون حوالي ٣٥٠٠ ق.م. ازدهرت الثقافة البابلية. وتحدث إلى شمالي سورية، حوالي ٢٥٠٠ ق.م. العموريون ومنهم الكنعانيون (الذين سماهم اليونان فينيقيين)، فاحتلوا شواطئ لبنان واصبحوا أسبق المستعمرين والتجار العالميين. وإن ما أثرتهم في نشر الحروف الهجائية وحدها تكفي لتجعلهم بين عظماء المحسنين إلى الإنسانية...

«إن العرب المسلمين قد اصبحوا بعد فتحهم للهلال الخصيب، ورثة هؤلاء الساميين الاوائل. وقد ورثوا كذلك ثقافة بلاد العرب الجنوبية، التي ازدهرت قبل الاسلام بألف سنة. «وقد كان أصل ملكة سبأ التي تذكرها التوراة من جنوبي الجزيرة العربية».

### الألف الثالث والثاني ق.م.:

تضمنت النقوش السامرية التي اكتشفت في بلاد الرافدين إشارات غامضة إلى بعض المدن والاماكن في شبه الجزيرة العربية، كما ان النقوش التي اكتشفت في مصر كانت هي الأخرى أشارت إلى بعض المناطق في شبه الجزيرة العربية. إلا ان جميع هذه النقوش جاءت مبهمة ولا تكفي لاستقصاء معلومات واضحة عن طبيعة العلاقات بين كل من مصر وبلاد ما بين النهرين بشبه الجزيرة. إلا ان الثابت لدى علماء الآثار والمؤرخين هو ان علاقات مصر بشبه جزيرة سيناء وبالبحر الأحمر قديمة جداً، كما



من الآثار القديمة المعروضة في متحف الرياض.

النهرين» (أي للملك الأشوريين والبابليين). هذا بالنسبة إلى المناطق الشمالية في الألف الاول ق.م. أما بالنسبة إلى المناطق الجنوبية فقد نشأت في النصف الثاني من الألف الأول ق.م. ممالك ودول منظمة من بينها أربع رئيسية، هي: مملكة سبأ، مملكة معين، مملكة قنبان وأخيراً مملكة حضرموت (راجع «اليمن» في جزء لاحق)، وكانت كلها تعيش من الزراعة والتجارة. وكان سد مأرب في مملكة سبأ أهم إنجاز هندسي وزراعي في ذلك الزمان ومساهمة عظيمة في تطوير نظام الري السائد آنذاك. وقد استطاع تجار الجنوب احتكار تجارة البخور والسيطرة على طرق التجارة والمرور ما بين الهند والغرب قروناً من الزمن، وأنشأوا جاليات لهم في شمالي شبه الجزيرة، كما انه تم اكتشاف آثار لنشاطاتهم في مصر وبحر إيجة والخليج العربي. كما ان الاكتشافات الأثرية الحديثة قد أكدت وجود تأثيرات اغريقية ورومانية

في ثقافتهم. وقد هاجر العديد من القبائل العربية الجنوبية إلى الضفة المقابلة من البحر الأحمر وأطلقوا اسم «الحبشة» عليها، كما امتد نفوذهم وتأثيرهم ليشمل الساحل الشرقي للقارة الافريقية. أما في شمالي الجزيرة، فقد كان التأثير الأرامي أكثر وضوحاً، وخاصة في واحة التيماء التي كانت لفترة من الزمن عاصمة الامبراطورية البابلية الحديثة في عهد الملك نبونيدس (٥٥٦-٥٣٩ ق.م.). وكانت ثمود تتخذ من «مدائن صالح» عاصمة لها، وقد وصفتها النقوش الأشورية بأنها من «قبائل العرب»، وبأنها كانت تعيش في القرن الثامن ق.م.، أما اللغة التي كانت تتداولها ثمود فقد كانت العربية المشتقة من العربية الجنوبية (راجع باب «مدن ومعالم»).

ومناطق ثمود هذه، أي المناطق الشمالية من المملكة العربية السعودية الحالية، سقطت بأيدي الفرس في ٥٣٩ ق.م.، أي في السنة التي سقطت

الضفة الغربية للخليج العربي.

في القرنين الأخيرين من الألف الأول ق.م. برز الأنباط، وهم من العرب الذين وفدوا من شبه الجزيرة العربية منذ القرن السادس ق.م. وأقاموا في المناطق التي كانت تحت سيطرة الكنعانيين والأمريين، في لعب دور متعاضد في سورية والمنطقة، وتبوأ العديد منهم مراكز القيادة في دول الهلال الخصيب، وأنشأوا عدة دويلات شبه مستقلة.

وفي ١٠٥ ق.م. ضُمَّت دولة الأنباط إلى الامبراطورية الرومانية ووسعت لتشمل اجزاء واسعة من شبه الجزيرة العربية وأصبح اسمها «المقاطعة العربية» وكانت تمتد من العقبة في الجنوب إلى النمارة في الشمال الشرقي، وكانت عاصمتها «البتراء» ثم «بُصرى».

من الميلاد إلى ظهور الاسلام: حاول الفرس، وكانوا آنذاك القوة العظمى الثانية في المنطقة (فضلاً عن الرومان)، مدّ نفوذهم على الطرف الشرقي لشبه الجزيرة من خلال بسط حمايتهم على بعض الممالك والامارات العربية المتناحرة. وقد أدى الصراع بين الرومان والفرس الساسانيين إلى تحول الاقتتال بين القبائل العربية من اقتتال بسبب عصبية ومغانم إلى اقتتال دفاعاً عن مصالح الدولتين العظميين آنذاك وحماية تخومهما من الغزوات الوافدة من الصحراء. وقد حاول ملوك تدمر الخروج من هذه الدوامة ورفض هذا الواقع والاستقلال عن الرومان والفرس في آن معاً، ونجحوا في ذلك فترة قصيرة جداً قبل ان يتمكن الامبراطور الروماني أوريليانوس من هزيمة زنوبيا ملكة تدمر والقضاء على امبراطوريتها العربية الوليدة في المهدي (عام ٢٧٢).

وفي القرنين الرابع والخامس، مرت شبه الجزيرة باحدى أكثر فترات تاريخها غموضاً، وكان الانحلال يذب في أوصال الامبراطورية الرومانية،

بابل في ايديهم. فحوّل الفرس شمالي شبه الجزيرة إلى ولاية تابعة لهم دعوها «عرباية»، إلا ان هذه الولاية لم تدم سوى فترة قصيرة جداً.

بدأ العلم والمعرفة التاريخية بأحوال شبه الجزيرة العربية (وتالياً بأحوال المناطق التي تشكل اليوم المملكة العربية السعودية) تثبت وتؤكد ويجري تدوينها بصورة واضحة مع البعثة البحرية التي أرسلها داريوس الاول الفارسي (حكّم من ٥٢١ إلى ٤٥٨ ق.م.) لاستكشاف طريق الهند بهدف تشجيع التجارة. فاستطاعت البعثة الإبحار إلى الهند والمروار بالطرف الجنوبي للبحر الأحمر واستقصاء بعض المعلومات عن شبه جزيرة العرب. وقد زادت المعارف بصدها بفضل البعثات الاستطلاعية التي قام بها نيارك الاغريقي والحملات العسكرية التي شنّها الاسكندر الكبير حول شبه الجزيرة. وقد توفي الاسكندر في ٣٢٣ ق.م. بُعيد نجاحه في تنظيم حركة الملاحة حول شبه الجزيرة وإخضاعه لسكانها. وهذا ما مكّن العالم الطبيعي اليوناني تيوفراست من تأليف كتاب عن جنوبي شبه الجزيرة العربية وعن منتجاتها.

وتابع خلفاء الاسكندر سياسة الاهتمام بشبه الجزيرة العربية، فعمد البطالسة (انطلاقاً من مصر) الذين حاولوا السيطرة على البحر الأحمر إلى تهديد الاحتكار التجاري الذي كان يمارسه العرب في تلك المنطقة بسبب تحكمهم بطرق المواصلات البرية والبحرية المحيطة بالبحر الأحمر والخليج العربي، في حين أخذ السلوقيون المستقرون في سورية يتوسعون في استعمال الطرق الشمالية المؤدية إلى الهند. وقد أصاب الضعف والانحلال الدولة السلوقية في منتصف القرن الثالث ق.م. بسبب قيام الدولة الفرثية (Parthe) في تلك الفترة على شاطئ الخليج العربي. إلا ان ذلك لم يمنع انطيوخوس الثالث السلوقي من تجهيز حملة عسكرية ضد الفرثيين (٢٠٥-٢٠٤ ق.م.) على

في الفترة السابقة لظهور الاسلام. أما بالنسبة إلى المناطق الجنوبية (اليمن الحالي)، فقد تعرضت، في القرن السادس، لهجمات ملوك الحبشة النصارى وهجمات الامبراطور الفارسي كسرى أنو شروان الاول (حكم من ٥٣١ إلى ٥٧٩). وقد قام أبرهة، ملك الحبشة، بصفته حاكم اليمن الجديد، بمحاولة أخيرة يائسة لاصلاح سد مأرب، كما قاد حملة عسكرية إلى قلب نجد ضد عرب معد الذين كانوا يحسبون على اللخمين، وحملة أخرى فاشلة على مكة حوالي العام ٥٧٠ وهو العام المعروف في التأريخ العربي بـ«عام الفيل». إلا ان كسرى قام بهجوم معاكس فطرد الأحباش من اليمن الذي أصبح بذلك تابعاً للفرس إلى أن جاء الاسلام.

في ظل هذا الوضع المتمثل في صراع قوتين عظيمين من أجل الهيمنة يقبع العرب بينهما في تبعية تامة لهما واحتقار منهما وفي تخلف وتناحر، كانت مدينة مكة العريقة في القدم والواقعة على الطريق الرئيسية الموازية لساحل البحر الأحمر تزداد أهمية وازدهاراً، مع أفول القرن السادس ومطلع القرن السابع، مستفيدة من واقعين مهمين: الأول، وقوع بلاد الجنوب (خاصة اليمن) تحت السيطرة الأجنبية (الحبشة)؛ والثاني، شيوع الفوضى التي كانت تسود الطرق الشمالية بسبب المناوشات الدائمة بين الفرس والبيزنطيين ودخول العرب، بحضرمهم وبدوهم، طرفاً تابعاً فيها. وقد أفاد تجار مكة القريشيون إفادة عظيمة من هذا الوضع فدخلوا التجارة العالمية آنذاك من أوسع أبوابها. وكانت مكة آنذاك مركزاً رئيسياً من مراكز عبادة الأوثان والاصنام في الحجاز وأغنى مدن شبه الجزيرة قاطبة.

من الواضح بعد هذا العرض الوجيز أنه، ورغم الوضع السياسي التبعية والضعيف وغير المستقر في القرون التي سبقت الاسلام، كان للعرب دور حضاري قبل الاسلام ونشاط واسع وتفوق في التجارة الدولية حتى وصف شيرنغر

هذا الانحلال الذي ترك أثراً كبيراً لصالح الحياة القبلية العشائرية في شبه الجزيرة وعلى حساب الحياة الحضرية فيها، كما أن المسيحية النسطورية واليهودية بدأتا تتغلغلان في معظم حواضر شبه الجزيرة (مكة ويثرب وسواهما)، كما احتل الأحباش اليمن (في القرن الرابع) فترة قصيرة، وفي الوقت نفسه تمكن الملك الساساني شاپور الثاني (ملك من ٣١٠ إلى ٣٧٩) الذي لقبه العرب بـ«ذي الأكتاف» من احتلال شرقي شبه الجزيرة، وبقيت هذه المنطقة خاضعة للحكم الساساني حتى قبيل ظهور الاسلام.

لقد وجد الساسانيون الفرس والروم البيزنطيون مناطقهم تتعرض باستمرار لغزوات القبائل العربية، ووجدوا أن أفضل طريقة لحماية حدودهما هي في قيام دويلات يحكمها أمراء عرب، وتكون بمثابة حاجز بين كل من الامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الفارسية وبين القبائل العربية.

هكذا قامت الدولة اللخمية على حدود بلاد ما بين النهرين لتحمي الحدود الفارسية، وقامت دولة الغساسنة لتحمي الحدود البيزنطية. وليس هذا وحسب، بل أن ملوك هاتين الدولتين العربيتين كانوا، بالاضافة إلى مهمتهم الأصلية المتلخصة في حماية أسيادهم، يتحاربون في ما بينهم ويتوسعون على حساب بعضهم البعض. وفي إطار هذا الصراع العربي-العربي استطاع الحارث بن جبلة، وهو أعظم ملوك الغساسنة، التغلب على المنذر بن ماء السماء زعيم اللخمين، وذلك في النصف الاول من القرن السادس. وكانت قبيلة كندة في نهاية القرن الخامس قد تمكنت، بزعامة حجر آكل المرار من إقامة مملكة في اواسط الجزيرة استمرت حوالي خمسين عاماً، وذلك قبل ان يتمكن المنذر من القضاء عليها.

هذا بالنسبة إلى المناطق الشمالية من شبه الجزيرة العربية (والمملكة العربية السعودية الحالية)

والتحول العظيم في تاريخ البشرية. فقدر للاسلام في فترة زمنية قصيرة جداً، بل قياسية، الانتشار في أنحاء شبه الجزيرة كافة والانطلاق نحو العالم الخارجي، وإنزال الهزيمة بالدولتين العظميين (فارس وبيزنطية) وإقامة نظام سياسي واجتماعي عماده الدين الاسلامي (راجع باب «مدن ومعالم»، وراجع «شبه الجزيرة العربية» ج ١١، و«العالم الاسلامي»، و«العالم العربي»، في هذا الجزء، وكذلك مختلف بلدان شبه الجزيرة العربية والهلال الخصيب والبلدان العربية والاسلامية).

بعض المؤرخين يعيد سرعة انتشار الاسلام ونجاح دولته منذ سنوات الدعوة الأولى وعلى يد الرسول الذي وضع بنفسه أسس الدولة الاسلامية فكان بانيتها ورئيسها الاول إلى العامل القومي العربي كأهم العوامل الذي يأتي مباشرة بعد الإيمان الجارف بالرسالة الجديدة الذي دفع بأوائل المؤمنين إلى حمل لوائها والجهاد في سبيل التبشير بها في كل مكان يطؤونه. وبعد العامل القومي تأتي العوامل الاقتصادية التي كان لها دور كبير في توفير عوامل النجاح للدعوة الاسلامية، فقد ضاقت شبه الجزيرة العربية، بمواردها المحدودة وثرواتها الطبيعية والزراعية وكثافتها السكانية، بمن فيها، فكان المنفذ الوحيد والجال الحيوي المتاح هو الانطلاق إلى خارج حدود الجزيرة حيث الطبيعة أرحم وأغنى .

**حروب الردة:** لقد توفي الرسول في العام ١١هـ (٦٣٢) ولما يرسخ الاسلام في قلوب جميع من أعلنوا إيمانهم به، وقبل ان تبدأ كبرى الفتوحات العربية. وقد اغتنمت بعض القبائل العربية تلك الفرصة لتعلن تمرداً على الدولة الاسلامية الاولى وارتدادها عن الوحدة السياسية التي اقامها الاسلام لعرب شبه الجزيرة. ومن معارك الردة ما حدث قبل وفاة الرسول، ومنها ما حدث في عهد الخليفة الاول أبو بكر، ومدتها جميعاً لم

Sprenger العرب بأنهم «مؤسسو التجارة العالمية في الأزمنة القديمة»، ويرى جان فرنسوا سال أن «العرب لا الرومان أبحروا للتجارة في المحيط الهندي قبل الميلاد بعده». ولعل هذه التجارة العالمية هي التي توضح الاسباب الأساسية للصراع الدولي حول الجزيرة قبل الاسلام، ذاك الصراع الذي نجح في توزيع ولغات القبائل العربية بين أطرافه.

وتجدر الإشارة إلى انه في العصور الأخيرة التي سبقت ظهور الاسلام، أخذت اللغة العربية الفصحى تكتسب شكلها النهائي الذي به أنزل القرآن الكريم. «على الرغم من ان اللغة العربية هي أحدث اللغات السامية، من حيث الأدب المدون، فقد حافظت أكثر من العبرانية وشقيقاتها من اللغات السامية جميعاً على خصائص اللغة السامية الأم. والاسلام هو غاية الكمال ديناً في مطابقة العقلية السامية» (د. فيليب حتي، «العرب، تاريخ موجز»، ص ٩-١٥).

**الاسلام:** في شهر رمضان من العام الثالث عشر قبل الهجرة (٦١١م) «أنزل الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أولى سور محكم التنزيل حيث كان صلى الله عليه وسلم يتعبد في غار حراء فهبط جبريل بوحي الله تعالى (وكانت كلمة الوحي والتبليغ الأولى «اقرأ»):

«اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم».

وفي هذا يقول ابن قسيم الجوزية: «أول ما أوصى إليه ربه ان يقرأ باسم ربه الذي خلق وذلك أول نبوته (صلعم) فأمره أن يقرأ في نفسه ولم يأمره بالتبليغ، ثم أنزل عليه: يا ايها المدثر قم فأنذر. ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين ثم أنذر قومه ثم أنذر من حولهم من العرب ثم أنذر العرب قاطبة ثم أنذر العالمين».

هكذا بدأت ملحمة الاسلام الكبرى

المدينة مخافة ان يقتحمها الاعراب المرتدون المحدثون منهم وبقايا الذين ارتدوا قبل وفاة الرسول، عادت للدولة العربية الاسلامية وحدثها السياسية. وتم لها هذا النصر الذي أحرزته جيوش الألوية الأحد عشر في أقل من عام واحد. وبعده، بدأت الفتوحات الاسلامية خارج شبه الجزيرة العربية.

**غنائم ورفاهية:** نتيجة لانتصار المسلمين في حروب الردة واستعادة شبه الجزيرة لوحدها، ونتيجة لانطلاق الفتوحات الكبرى خارج شبه الجزيرة واندحار بيزنطية وفارس وفتح دمشق والقدس ومصر، بدأت الغنائم تنهال على مركز الدولة، أي على مدن الجزيرة وبشكل خاص على مكة والمدينة المنورة (العاصمة). فقامت حالة من ازدهار اقتصادي لم تشهد له شبه الجزيرة العربية مثيلاً من قبل. وقد أدى تدفق الاموال والغنائم من البلدان المفتوحة إلى تراخ في تطبيق التعاليم الاسلامية الصارمة مما دفع بأبي ذر الغفاري إلى لفت أنظار الخليفة الثالث عثمان بن عفان إلى ذلك. وكانت حالة التراخي هذه المقرونة برفاهية نعمت بها فئات قليلة من الناس في حين قاست منها فئات أخرى شظف العيش، في أساس وضع سياسي غير مستقر أدى إلى اغتيال الخليفة عثمان (٥٦هـ). فبويح علي بن أبي طالب بالخلافة.

**علي ينتقل من المدينة إلى الكوفة:** عارض بعض وجهاء مكة وأعيانها وعلى رأسهم عائشة زوجة الرسول، والزبير وطلحة، بيعة علي. فخاض الطرفان ما عُرف بمعركة الجمل التي تمكن فيها الإمام علي من هزيمة خصومه. إلا انه فضل الانتقال إثر ذلك من المدينة إلى العراق، حيث بدأت مواجهته مع معاوية بن ابي سفيان والي سورية الذي رفض ايضاً مبايعته وأعلن نفسه خليفة. وقد اختار الإمام علي الكوفة عاصمة له مما أفقد شبه الجزيرة العربية (وخاصة المناطق التي

تبلغ العام. ولقد لعبت الدوافع السياسية دوراً رئيسياً في انتفاض هذه القبائل وارتدادها عن الوحدة السياسية التي اقامها الاسلام، إذ نعت قبائل على قريش استنثارها بالقيادة، وبلغ بعضها في العداة الذي حركته المطامح والمطامح حدّ إدعاء النبوة لقيادة منها، كي يكون لهم، هم ايضاً، «نبي» كما ان لقريش نبياً. وحسبوا ان النبوة هي الارض والملك، فطلبوا اقتسام ذلك مع قريش. فإذا كانت دولة قريش، بزعمهم، على رأسها نبي، فلتكن ردتهم عن وحدة هذه الدولة خلق «نبي» كذلك، ولكنه من قبيلتهم.

هذا بالنسبة إلى المرتدين في ايام الرسول. أما الذين ارتدوا في أعقاب وفاته فلم تكن بهم حاجة إلى إدعاء التنبو، ولذلك ظلوا على اسلامهم، لكنهم امتنعوا عن دفع الزكاة إلى دولة الخلافة في المدينة المنورة. فهم لم ينكروا الزكاة كفرض وركن من أركان الاسلام، وإنما حججوها عن سلطة الخلافة اعلاناً لرفضهم وحدة الدولة.

ولقد اشتهر أمر قتال المرتدين على قيادة الدولة في بادئ الأمر. فعمر بن الخطاب رأى أنه لا حق للدولة في قتال الذين ارتدوا عن الولاة لها ما دام ولاؤهم للدين قائماً. لكنه عاد واستجاب لقرار أبي بكر الذي رأى في الوحدة السياسية للدولة الاسلامية الناشئة سبيلاً وحيثاً لنموها.

ومخرج الخليفة أبو بكر إلى «ذي القصة» تجاه نجد على مسافة نحو ١٩ كلم من المدينة، حيث عسكر جنود الدولة، فعقد أحد عشر لواء (منها لواء محالد بن الوليد، ومحمد بن سعيد بن العاص، وعمرو بن العاص، وغيرهم...) انخرط خلفها المسلمون في أحد عشر جيشاً، ثم زحفوا لقتال كل المرتدين.

فبعد ان كانت الردة قد غطت أرض شبه الجزيرة، ولم يبق على الولاة للدولة الخلافة سوى قريش وثقيف والأوس والخزرج وقليل غيرها، وبعد ان كان المسلمون يتناوبون حراسة منافذ

تشكل حاليًا المملكة العربية السعودية) مركز الصدارة في اتخاذ القرار والقيادة.

**الأمويون يحكمون الحجاز وباقي أنحاء شبه الجزيرة:** لما انتهى الصراع بين علي ومعاوية بانتصار الأخير واغتيال الأول على يد أحد الخوارج (٦٦١)، وبعد وفاة معاوية بعد ذلك بنحو عشرين سنة، اندلعت المعارك مجددًا بين كل من الحسين بن علي -الذي سقط شهيدًا في معركة كربلاء عام ٦١هـ- وعبدالله بن الزبير في الحجاز من جهة، وبين يزيد بن معاوية من جهة ثانية. وهزم يزيد مناوئيه وفتح المدينة وضرب الحصار على مكة المكرمة، معقل ابن الزبير. إلا أن وفاة يزيد المفاجئة أوقفت المعارك وأدت إلى فك الحصار عن مكة، وعلى أثر ذلك تمت مباحة عبدالله بن الزبير خليفة علي المسلمين في معظم البلاد الإسلامية باستثناء سورية. ولم يبادر ابن الزبير إلى مواجهة الأمويين مفضلًا التريث في مكة مما أتاح للخليفة الأموي الجديد عبد الملك (٦٨٥-٧٠٥) وهو من الفرع المرواني، تثبيت حكمه تدريجيًا خارج شبه الجزيرة. ومن جهة ثانية فإن الخوارج الذين كانوا قد تحالفوا مع ابن الزبير ضد يزيد بن معاوية انقلبوا عليه وعمد زعيمهم آنذاك نجدة بن عامر الحنفي إلى مد سيطرته على أجزاء واسعة من شبه الجزيرة، وذلك قبل أن يطبحه زعيم خارجي آخر؛ وفي تلك الأثناء كان عبد الملك بن مروان قد أكمل استعداداته فأرسل الحجاج بن يوسف على رأس جيش كبير إلى شبه الجزيرة، ففتح مكة (٦٩٢) وسقط ابن الزبير في المعركة. وبذلك سيطر الأمويون سيطرة فعلية على الأماكن المقدسة في الحجاز. وفي الوقت نفسه أرسل الأمويون جيشًا آخر إلى شرقي شبه الجزيرة (المنطقة الشرقية) فهزموا الخوارج الذين كانوا يسيطرون على المنطقة هناك. ومنذ هذا التاريخ (أواخر القرن السابع) أخذ الخلفاء الأمويون يعينون

بانتظام حكام مكة والمدن، لكنهم يمارسون سيطرة غير كاملة على بقية أنحاء شبه الجزيرة (المنطقة الشرقية والوسط والجنوب). وقد شهد الحجاز خلال هذه الفترة ازدهارًا اقتصاديًا واجتماعيًا كبيرًا كما أصبح مركزًا رئيسيًا من مراكز الفكر الإسلامي والثقافة العربية.

ومع اقتراب نهاية الحكم الأموي بدأ عرب الجنوب بالتحالف مع الخوارج في التمرد على الدولة الأموية، فاحتلوا مكة والمدينة المنورة (٧٤٧)، إلا أن الخليفة الأموي مروان الثاني تمكن من القضاء على المتمردين بعد أن انهكوا جيشه، وكانوا من العوامل المهمة في هزيمته أمام العباسيين بعد نحو ثلاث سنوات، أي في ٧٥٠.

لكن من هم الخوارج الذين جاء انقلابهم على حليفهم عبدالله بن الزبير عاملاً مهمًا في اندحاره أمام الأمويين، والذين استنصروا في ازعاج الأمويين وبعدهم العباسيين؟

**الخوارج: أول فرقة إسلامية اكتملت فيها عناصر ان تكون «فرقة» أو «حزب»، وقامت في صدر الإسلام، وتحديدًا في العام ٣٨هـ. أثناء الصراع بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. فلقد رفضوا مبدأ «التحكيم» في الصراع لأن عليًا هو الخليفة الشرعي ومعاوية وأنصاره هم الفئة الباغية، والقرآن صريح في الدعوة لقتال البغاة حتى يقتلوا أو يفيموا إلى أمر الله، ومن ثم فعلي، في رأيهم خاطيء عندما قبل «التحكيم» في أمر قد ورد فيه حكم القرآن الصريح. ومن مؤسسي فرقة الخوارج نفر كانوا قد قبلوا «التحكيم»، ثم رجعوا عن موقفهم عندما ظهرت نتائج لصالح معاوية، وتابوا عن ذنبهم، وطلبوا جميعًا من علي الرجوع عن موقفه من «التحكيم»، والاعتراف بالخطأ ومواصلة القتال، فلما رفض انشقوا عليه، وبايعوا أول إمام في تاريخ الفرق الإسلامية لا ينتمي لقبيلة**

وسواهما) وكل بلاد اليمن وعلى المناطق الشرقية والوسطى. وقد شجّع الخلفاء العباسيون الاوائل الحج إلى المدن المقدسة من خلال تحسينهم لطرق المواصلات وتأمين السلامة عليها.

في أثناء ذلك نجح الخوارج الإباضيون في الافلات من السلطة العباسية وفي مضايقتها، فاقاموا في عُمان مركز دعوتهم مدة تقارب الاربعة قرون. إضافة إلى ذلك فقد كانت الارضاع السياسية في شبه الجزيرة العربية تزداد تدهوراً واضطراباً مع تفكك الخلافة العباسية وعجزها عن ممارسة سيادتها على سائر ارجاء الامبراطورية وميل الولاة المحليين إلى الاستقلال عن السلطة المركزية ومخاربتها.

**القرامطة:** إلا ان الخطر الرئيسي الذي تعرضت له الخلافة الاسلامية آنذاك جاءها من المناطق الشرقية من شبه الجزيرة حيث برزت الدعوة القرمطية على يد أبي سعد الحسن الجنابي وابنه ابي طاهر سليمان حوالي العام ٨٩١. وكان العباسيون أضعف من ان يواجهوا الدول القرمطية الناشئة ويحولوا دون غزو القرامطة لمدينتي البصرة والكوفة ونهبهما، ثم احتلهم مكة (٩٣٠) ونقل الحجر الأسود إلى عاصمتهم الجديدة الإحساء. وبعد ذلك تمكن القرامطة من احتلال عُمان فأصبحوا بذلك يسيطرون على القسم الأكبر من شبه الجزيرة العربية برمتها.

توفي أبو طاهر سليمان في ٩٤٤، فاغتنم الفاطميون الاسماعيليون المرابطون في المغرب العربي الفرصة للضغط على القرامطة وإرغامهم على إعادة الحجر الأسود إلى مكة (٩٥٠). وقد انضم القرامطة إلى الفاطميين في محاولة للانتفاف على سورية ومصر، فيضغط القرامطة من الشرق ويتقدم الفاطميون من الغرب. إلا ان التحالف القرمطي-الفاطمي لم يدم طويلاً خاصة بعد ان نجح الفاطميون في احتلال مصر (٩٦٩). وقد اصطدم

قريش وهو عبدا لله بن وهب الراسبي (من قبيلة الأزدي، كان صحابياً، حضر فتوحات العراق تحت قيادة سعد بن ابي وقاص، وكان مع علي ضد معاوية، وحضر مع علي مواقعه بما فيها موقعة صفين).

وقد توالى واستمرت ثوراتهم وحرورهم ضد علي، ومعاوية، والأمويين والعباسيين. ولقد انقسمت حركة الخوارج على نفسها، واشتهر من فرقها: الأزارقة، وهم أتباع إمامهم نافع بن الأزرق ابن قيس الحنفي (٦٨٥)؛ والنجدات، وهم أتباع إمامهم بخدة بن عامر الحنفي (٦٥٦-٦٨٨)؛ والإباضية، وهم أتباع إمامهم عبدا لله بن إباض (٧٠٥)؛ والصفورية، وهم أتباع إمامهم زياد بن الأصغر (معاصر لعبدا لله بن إباض).

قال الخوارج إن الإمامة والحكم بالاختيار والشورى والبيعة لا بالميراث أو النص من الله أو رسوله، وان نظام الحكم والولاية من الفروع وليس من أصول الدين... وقالوا بحرية الانسان واختياره ومسؤوليته عن أفعاله التي هي مخلوقة له على سبيل الحقيقة لا الجواز... كانت التقوى والنسك من أهم صفاتهم، وكانت شجاعتهم في القتال وطرقهم في الكر والفر مضرب الامثال. نجحوا، في تاريخهم السياسي والعسكري، في إقامة «دول» لم تدم طويلاً. لا زالت جماعات من المسلمين تدين بمذاهبهم حتى يومنا هذا. ففي عُمان وزنجبار وبعض مواطن المغرب العربي يوجد أتباع لفرقة الخوارج الإباضية بالذات (راجع «عُمان» في جزء لاحق).

جاء انتقال مركز الخلافة من دمشق إلى بغداد ليعزز من مكانة الخليج العربي كطريق بحرية للتجارة مع الصين وبلدان افريقيا الشرقية، وذلك على حساب طريق التجارة عبر البحر الأحمر. ولم تستمر السلطة المركزية العباسية في فرض هيمنتها على شبه الجزيرة بشكل كامل سوى مائة عام كانت أثناءها تعين الحكام على المدن (مكة والمدينة



هاشم الذين استمروا في هذا المنصب حتى طردهم منه آل سعود.

وأفادت مكة أكثر ما أفادت في تلك الفترة من حكم الملك السلجوقي ملك شاه ووزيره نظام الملك، فالتفتا إلى الأماكن المقدسة يولانها اهتمامهما وينفقان عليها بسخاء وينظمان مواسم الحج إليها.

في ١١٧١، تمكن صلاح الدين الأيوبي من هزيمة الفاطميين في مصر. وكان انتصار الأيوبيين هناك، ثم في سورية، انتصاراً للاسلام السني في معظم أنحاء شبه الجزيرة وخاصة في الحجاز ونجد. وقد بادر السلطان صلاح الدين الأيوبي، بعد ان اعترف به «حارس الحرمين»، إلى إيفاد أخيه طوران شاه لطرده آخر المهديين واحتلال اليمن (١١٧٣). وقد استمر حكم الأيوبيين في اليمن وبعض أنحاء شبه الجزيرة حتى ١٢٢٨ حين تمكن الرسوليون من السيطرة على اليمن (قامت الدولة الرسولية على أنقاض الدولة الأيوبية في اليمن) ومن ثم على الحجاز وما فيها من المدن المقدسة. وقد ازدهرت الحضارة العربية تحت حكم الرسولين ازدهاراً كبيراً، وتمكن أحد ملوكهم وهو عمر بن علي من بسط سيطرته من حضرموت إلى مكة المكرمة. وعندما اجتاحت هولاءكو بغداد وقتل الخليفة العباسي فيها (١٢٥٨)، أعلن يوسف بن عمر بن علي نفسه خليفة على المسلمين، إلا ان هذا المنصب كان يتجاوز مكانة الدولة الرسولية وإمكاناتها، ولذلك لم يجد من يعترف به خارج دولته.

ولما آل الحكم إلى الماليك في مصر وترقى بايار إلى سدة الحكم أصبحت الأماكن المقدسة، إسمياً، تحت حماية الماليك الذين تركوا شؤون تصريف الأمور في مكة إلى الشريف أبي نبي محمد الأول (حكم من ١٢٥٤ إلى ١٣٠١) الذي وضع أسس الدولة القتادية.

وكان العديد من القبائل العربية متحررة

القرامطة بالفاطميين لمنعهم من السيطرة على سورية. واحتل القرامطة دمشق في ٩٧١، ثم حاولوا احتلال مصر، فوصلوا إلى مشارف القاهرة، إلا ان الفاطميين تمكنوا أخيراً من دحرهم وردهم على أعقابهم. ثم انتقل الفاطميون إلى المحجوم فألقوا هزيمة عسكرية كبرى بالقرامطة وأرغموهم على الانكفاء إلى الإحساء. وفي ٩٨٥ حصر القرامطة عُمان ثم طردوا من العراق. وفي ١٠٧٧ (أي بعد نحو قرنين على نشأتهم) نزلت بقايا القرامطة في الإحساء الضربة القاضية على يد أحد فروع قبيلة عبد القسيس، وبذلك اندثرت آخر معالم القرامطية عند سكان شبه الجزيرة. أما بعض سكان القطيف والإحساء، الذين يذهب بعض المستشرقين إلى اعتبارهم من بقايا القرامطة فهم في الواقع من الشيعة الجعفرية الإثني عشرية.

والجدير ذكره ان القرامطة هم في الأصل شيعة اسماعيلية، تبلور تنظيمهم وانتشرت دعوتهم في اليمن ومنطقة الخليج كتيار ثائر ضد الدولة العباسية منذ بداية القرن العاشر. وكانت حركتهم من أوسع الحركات الاجتماعية في التاريخ العربي وأكثرها عمقاً، قامت باسم المبادئ الإسلامية وتحت راية الدعوة إلى العدالة الاجتماعية (أقاموا ملكية جماعية وضمان حق العمل للجميع بمن فيهم النساء والأولاد). اتهمهم الغزالي بانهم استغلوا جهل العامة وفسروا الدين تفسيراً مادياً، وربطوا بين العقائد والمصالح المادية.

**حكم الشريفين لمكة:** في منتصف القرن العاشر استحدث منصب «شريف» مكة الذي تحول مع الزمن إلى مؤسسة قدر لها أن تستمر حوالي ألف عام. وكان أبرز أشرف مكة آنذاك أبا الفتوح الحسن الموسوي الذي حاول أن ينصب نفسه أميراً للمؤمنين في ١٠١١، ولكن الفاطميين أفضلوا مشروعه.

وفي ١٦٠٣ آل حكم مكة إلى أشرف آل

(١٥١٧) في مصر بعد ان كانوا قد احتلوا بلاد الشام والعراق وفرضوا سيطرتهم، الفعلية احياناً والشكلية في أغلب الأحيان، على شبه الجزيرة العربية. بمعنى آخر فقد كانت الهيمنة العثمانية على شبه الجزيرة تتفاوت في درجتها وقوتها حسب الموقع الديني والاستراتيجي لأجزائها. فالحجاز كان بصورة عامة تحت الرقابة المباشرة للسلطنة العثمانية نظراً إلى احتوائه على المدن المقدسة ونظراً إلى اللقب «حادم الحرمين» الذي كان يحمله سلاطين بني عثمان. إضافة إلى ذلك فقد كانت المناطق الساحلية من شبه الجزيرة العربية، خاصة في مرحلة توسع السلطنة العثمانية وازدهارها، تحظى باهتمام عثماني ودولي كبير. أما المناطق الداخلية فلم يكن من اليسير على الدولة العثمانية ان تسيطر عليها عسكرياً وبشكل مستمر، كما انها لم تكن قادرة حتى على حماية القوافل التجارية من غزوات القبائل العربية المتمردة.

من جهة ثانية، فقد تحالف البرتغاليون مع ملك هرمز وهاجموا البحرين حيث قتل أميرها أثناء دفاعه عنها (١٥٢١). وقد ردّ الاتراك على تحركات البرتغاليين بأن دعموا وجودهم في الخليج العربي والبحر الأحمر. وفي ١٥٣٤، بايع أمراء القطيف والبحرين العرب السلطان سليمان الذي تقدمت جيوشه باتجاه اليمن فاحتلتها. أما عدن ومسقط فقد وقعت تحت السيطرة العثمانية لفترة قصيرة كما ان الإحساء وضعت تحت سلطة وال تركي.

وبعد موت سليمان القانوني بدأت السلطنة العثمانية في الانحسار البطيء والأكيد. فكانت شبه الجزيرة أكثر البلدان تحسناً لهذا الانحسار. ثم جاء تحول طرق التجارة الدولية من البر والبحر الأحمر والمتوسط إلى الطريق البحري الذي يلف أفريقيا ثم إلى الأطلسي ليؤدي إلى ركود كبير في النشاط الاقتصادي في القسم العربي من السلطنة العثمانية. وإضافة إلى ذلك فقد كان

من كل سلطة مركزية، وتعيش من الغزو وفرض الأتاترة على القوافل التجارية ومواكب الحجاج، كما كانت تصل احياناً في غزواتها إلى قلب الحجاز. وفي تلك الفترة كان المصلح الاسلامي ابن تيمية في دمشق (١٣٢٨) الحنبلي المذهب والسلفي النزعة والشديد العداة للخرافات والبدع، يضع الأسس الأولى لحركة فكرية تجديدية عميقة في الفكر الاسلامي (تلك الحركة قدّر لها في ما بعد ان تمارس تأثيراً واضحاً وحاسماً على الدعوة الوهابية التي انطلقت من نجد).

وقد حدثت اضطرابات سياسية في مكة أثناء تولي الشريف عجلان بن رميشة (١٣٤٥-١٣٧٥) إمارة المدينة، ما دفع المماليك إلى التدخل عسكرياً وأسر سلطان الأسرة الرسولية في اليمن بعد معركة عرفة (١٣٥١) ولكنهم لم يقضوا نهائياً على حكم الرسوليين.

وفي اواسط القرن الخامس عشر هاجر مانع بن ربيعة المريدي، الجد الأكبر لآل سعود، من حوار القطيف إلى بلاد نجد حيث استقر في وادي حنيفة. ولقد قدر لهذه الهجرة ان تلعب في ما بعد دوراً رئيسياً في تاريخ شبه الجزيرة العربية الحديث السياسي والعسكري والذي توج في اوائل القرن العشرين بإنشاء المملكة العربية السعودية (راجع «الشريفون والوهابيون وآل سعود» في ما يلي في هذا السياق التاريخي).

### البرتغاليون والبريطانيون والعثماليون: في

اوائل القرن السادس عشر دار البرتغاليون حول القارة الافريقية مروراً برأس الرجاء الصالح واستكشفتوا الخطوط البحرية في المحيط الهندي، واستولوا على المراكز التجارية الواقعة على هذه الخطوط وخاصة في خليج عُمان والخليج العربي.

وفي الوقت الذي كان فيه البرتغاليون يتسللون إلى سواحل شبه الجزيرة العربية الجنوبية الغربية كان العثمانيون يقضون على دولة المماليك

عبد الوهاب)، كان العرب في نجد، بل في الشطر الشرقي من شبه الجزيرة، منغمسين في عقائد وعبادات جاءتهم من بلاد فارس. فكان لا يزال للقرامطة أثر في الاحساء، وكانت للقبور شفاعة لا شفاعة فوقها فحلها الناس المحل الأعلى في العبادة والتوسل...». إزاء ذلك لم تكن الدعوة الوهابية مجرد حركة دينية اصلاحية هدفها دعوة المسلمين إلى يتابع الاسلام الاصلية بل كانت ايضاً حركة تحمل في طياتها معنى الثورة على واقع التمزيق والضياع التي كانت تعيشها شبه الجزيرة العربية آنذاك لا بل المنطقة العربية بأسرها، بدليل سرعة انتشار هذه الدعوة خارج حدود شبه الجزيرة وامتدادها إلى تخوم سورية والعراق، وبدرجة أقل إلى مصر. وحول هذه النقطة يقول الريحاني:

«... لم يكن للدولة العثمانية أثر يذكر أو يشكر في شبه جزيرة العرب... (كما ان) شبه الجزيرة نفسها لم تكن في حال تغطيتها عليه جاراتها سورية والعراق. فقد كان الأشرف (شريفيو مكة) يحكمون في الحجاز وعسير، والسادة العلويون يحكمون اليمن. وكان الأمراء وشيوخ القبائل كل في قطره، وفي قبيلته، يحكم مستقلاً عن الأمراء الآخرين ومعادياً لهم في أكثر الاحايين. وكانت بلاد نجد والاحساء من الشعر إلى قطر والكويت، ومن الأفلاج إلى جبل ثمر مقطعة الاوصال مشتتة الاحوال، لا صلة لقبيلة بأخرى تتمر خيراً أو تدم، ولا بين الحواجز المستقلة بعضها عن بعض صلات ولاء إلا نادراً...».

#### الأمراء السعوديون قبيل الوهابية وعند

ظهورها: في ظل هذه الاوضاع عاش مقرن بن مرخان أحد أجداد الأسرة السعودية وأمير الدرعية التي كان قد أسسها الجند الأكبر مانع بن ربيعة المريدي (القرن الخامس عشر). فبسط مقرن سيادته على الاحساء وقطر والقطيف.

على الاثر ان يحاربوا على جبهتين: الجبهة الاوروبية ضد النمسا (خاصة في البلقان) والجبهة الشرقية ضد الأسرة الصفوية الفارسية التي استطاع أحد أكبر ملوكها، شاه عباس الأول، ان يمارس سياسة توسعية في الخليج العربي فيحتل البحرين (١٦٠٢). أما في اليمن فقد استبسل أمتها في مقاومة الاثر إلى ان طردوهم من البلاد نهائيًا (١٦٣٥).

وكان تأسيس شركة الهند الشرقية (١٦٠٠) مقدمة لتوسع منهل في نشاط التجار (والسياسيين) الانكليز في البحر الأحمر والخليج العربي، وقد تحالف هؤلاء التجار مع الفرس فطردوا البرتغاليين (١٦٢٢) من هرمز ولم يبق امامهم سوى التجار الهولنديين الذين كانوا في تلك الفترة أسياد التجارة.

وفي تلك الفترة كان الضعف قد بدأ يدب بشكل متسارع في جسم السلطنة العثمانية، فأخذ الولاة يتمرّدون على سلطتها ويميلون إلى الاستقلال عنها. وكان حسين بن علي، ثالث وآخر وال تركي من أسرة «أفراسباب» قد حاول الاستقلال بولاية البصرة عن العثمانيين في مطلع القرن السابع عشر، فحرّض أسرة آل حميد، من عشيرة بني خالد، على إطاحة والي الاحساء العثماني (١٦٦٤). وقد ظل شيوخ هذه العشيرة يتنازعون شرقي شبه الجزيرة مع غيرهم من القبائل المتناحرة إلى ان جاء الوهابيون وأقاموا الدولة السعودية الأولى في القرن الثامن عشر.

#### السعوديون

##### حالة شبه الجزيرة قبل ظهور الحركة

الوهابية: يقول أمين الريحاني في كتابه «تاريخ نجد الحديث» في معرض وصفه للحالة التي كانت عليها شبه الجزيرة قبل ظهور الحركة الوهابية: «قبل ظهور هذا المصلح النجدي (محمد بن

ألحقتها بعض الممارسات به. كما شدّد محمد بن عبد الوهاب على ضرورة التمسك الحرفي بالتعاليم القرآنية وعلى طريقة ابن تيمية الذي كان له تأثير حاسم على فكر ابن عبد الوهاب. فالوهابية تأخذ بظواهر النصوص الاصلية وترفض البدع كلها وتنفر من الفلسفة والتأويل.

والوهابية، في السياسي، طليعة حركات اليقظة العربية المناوئة للعثمانيين، تناقضت معهم فكرياً لأصوليتها هي وإغراقهم هم في البدع والخرافات. وتعد الوهابية المصدر الاول الذي تأثر به كل دعاة الاصلاح الاسلامي- وإن كان هناك فرقات واختلافات- في الشرق الاسلامي دون استثناء. فمن هؤلاء الدعاة من مزجها بالتصوف، ومنهم من زواج بينها وبين العقلانية التي بهرت ثمراتها في اوروبا عقول مصلحي الشرق والاسلام.

الحلف ما بين الديني والسياسي (ابن عبد الوهاب وابن سعود): ما إن بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته حتى لاقى معارضة ضارية وعنيفة في حرملة حيث كان يسكن بعد انتقاله من العيينة، وقد بلغت هذه المعارضة حد التهديد بقتله. فعاد إلى العيينة مسقط رأسه. إلا انه لم يطل به

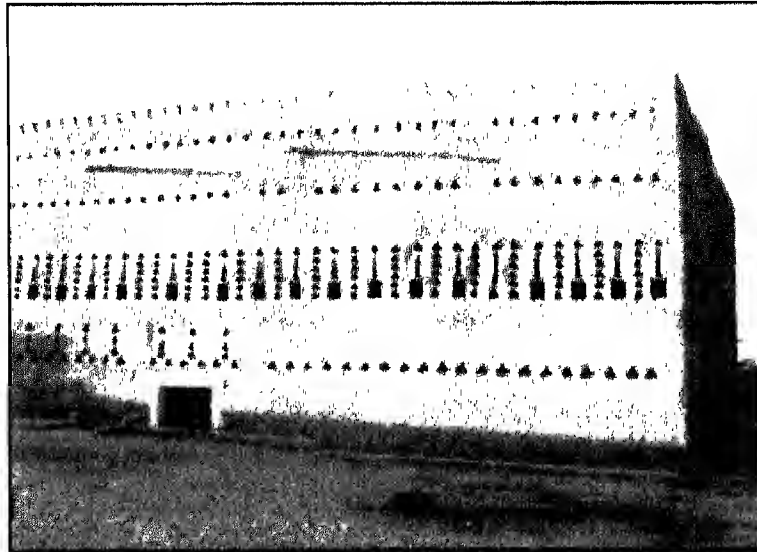
ولكن ملكه، الذي تجاوز حدود نجد في بعض الاحيان، لم يدم طويلاً، ولم يكن ملك أبناؤه ليختلف كثيراً عن ملك سواهم من أمراء ذلك الزمان، فما اشتمل على غير بلدين أو ثلاثة والقرى التابعة لها.

هكذا كان وضع عماد بن سعود بن محمد بن مقرن أمير الدرعية عندما ظهر محمد بن عبد الوهاب، محيي المذهب الحنبلي وصاحب الدعوة الوهابية التوحيدية.

محمد بن عبد الوهاب والوهابية: ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العيينة من أعمال نجد في ١٧٠٣ (وتوفي في ١٧٩٢) في أسرة شغل عدد كبير من افرادها وظيفة قاضي العيينة كما نبغ فيها العديد من الفقهاء الذين اشتهروا على صعيد نجد بأسرها. تلقى تعليمة الارلي على والده ثم رحل إلى الحجاز والعراق والإحساء سعياً وراء العلم. ولما توفي والده في ١٧٤٠ أعلن الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته المعروفة بـ«الدعوة الوهابية».

تقوم هذه الدعوة على ضرورة العودة إلى ينابيع الاسلام الحقيقية وتخليصه من الشوائب التي

طراز معماري قديم في الدرعية عاصمة آل سعود الاولى.



الشريفيون والدعوة الوهابية وآل سعود: أطلق جغرافيو العرب إسم الحجاز على الجبال المحاذية بين عالية نجد وبين ساحل البحر الأحمر المنخفض لأن تلك الجبال تحجز بين اليمن والشام وتمتد حتى سواحل عسير. ولكن الحجاز في العرف السياسي يشمل السواحل المنخفضة أيضاً. وأشهر مدنه مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف وينبع.

كان أشرف مكة يحكمون الحجاز حكماً مطلقاً، ولم تكن السلطة العثمانية عليه سوى سلطة إسمية. أما صلة حكام مكة الشريفين بنجد فكانت صلة قديمة، وروابطها قوية ومتينة. والحدود بين الحجاز ونجد لم تكن واضحة ولا مرسومة. وكان أشرف مكة يسيطرون على بوادي نجد المجاورة لهم ويحبون من قبائلها الزكاة ويتقبلون منهم الهدايا ويقومون بتأديب بعض المتمردين منهم، كما شملت سيطرتهم السراة وبعض أجزاء من تهامة.

ولما أعلن الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته وبدأ ينتشر صداها في نجد أخذ أشرف مكة يتابعون سير تلك الدعوة باهتمام ولكنهم كانوا كـبعض الناس في ذلك العهد لا يتوقعون لها نجاحاً فلزموا جانب الحيات منتظرين نتائج المعارضة للدعوة الدائرة في قلب نجد.

ولما حلّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرعية وآمن بدعوته الأمير محمد بن سعود صاحب الدرعية وأعلن نصرته لها، ارتفعت رايات الجهاد لنشر الدعوة في داخل نجد وفي أطرافها. وطهرت نجد من البدع والخرافات، وهدمت القباب المقامة على القبور التي افتتن الناس بها وقدسوها وتضرعوا بها دون الله، «عندئذ تبدل موقف أشرف مكة نحو الدعوة ورهبوها لأنهم وجدوها قد رفضت كل ما لا يعرفه السلف وعشوا على ما هو موجود في الحجاز من تلك المقامات والقباب القائمة على بعض القبور التي يقدسونها والتي كانت تدر عليهم موارد من الرزق لا تنضب تساق إليهم من حجاج المسلمين

المقام في هذه البلدة، فاضطر إلى اللجوء إلى الدرعية حيث كانت تقوم إمارة آل سعود التي بادرت إلى تبني دعوته.

هكذا، عقد العهد بين رجل الدين ورجل السياسة، «بين عقيدة المصلح وسيادة الأمير» على حد قول أمين الريحاني. فتعهد الأمير محمد بن سعود، وكان أميراً للدرعية، بـ«نشر دين التوحيد في البلاد العربية وتعهد ابن عبد الوهاب بأن يقيم في الدرعية مصلحاً وأن لا يحالف أميراً آخر من أمراء العرب» (أمين الريحاني، «تاريخ نجد الحديث»).

هذا هو الأساس الديني والسياسي للإمارة السعودية الأولى التي بقيت أكثر من سبعين عاماً، والتي بدأت مع الأمير محمد بن سعود في اتفائه وحلفه مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، واستمرت مع عبد العزيز بن محمد، ثم سعود بن عبد العزيز، ثم عبداً لله بن سعود.

وكان الأمير عبد العزيز بن محمد، الذي تسلم الإمارة بعد وفاة والده الأمير محمد بن سعود، قد عمد إلى نشر الأفكار التوحيدية في سائر نجد. ففتح الرياض واصطدم ثلاث مرات بحكام بخران العلويين وتمكن من الصمود أمامهم، وامتدت رقعة الدولة السعودية في عهده لتشمل الخرج والقصيم وسدير وشمر والإحساء وساحل عمان وقطر والبحرين والحجاز (بما فيها مكة المكرمة) والمدينة، وعسير.

أما في عهد سعود بن عبد العزيز فقد امتدت دولة آل سعود إلى قلب اليمن ووصلت إلى مشارف العراق وسورية مهددة السلطنة العثمانية في أهم ولاياتها. وقد تحققت للدولة السعودية الصاعدة ثلاثة أمور: انتشار الأفكار الوهابية في المناطق التي فرضت عليها سيادتها، توحيد نجد وجعلها قلب هذا التوسع في شبه الجزيرة العربية بعدما كانت الحجاز هي المركز الأول ونقطة الثقل فيها.

يكتفر الشريف مسعود بذلك بل أصدر أوامره باعتقال العلماء النجديين وزجهم في السجون حتى مات أكثرهم، ولم يسمح لأهالي نجد بدخول مكة لأداء مناسكهم وتأدية فروضهم، وقد استطاع من بقي من أولئك العلماء النجديين الفرار من سجن الشريف وعادوا إلى الدرعية. وكان لما اخبروا به أسوأ الأثر في نفس الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود. ولم تكن الدرعية يومئذ تملك من القوة والسلاح ما يمكنها ان تثار من الشريف مسعود فسكتت على مضض.

بعد وفاة الشريف مسعود تولى الأمر في مكة أخوه الشريف مساعد (١٧٦٠-١٧٧٠) الذي رفض هو الآخر طلب الدرعية السماح لأهالي نجد بإداء فريضة الحج. وبعده استقرت الشرافة بيد الشريف أحمد بن سعيد الذي كتب إلى محمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز آل سعود (١٧٧٠) عارضاً إصلاح الحال، فاستجابا له، وتحسنت العلاقات وأزيجت الدعاية التي كانت تنشرها مكة ضد الدعوة.

لكن في ١٧٧٣، أزيل الشريف أحمد وحلّ محله أخوه الشريف سرور بن مساعد الذي اشترط ان يأخذ من حجاج نجد «ما يأخذ من حجاج الأعاجم من الضرائب والمكوس» (وكانت القاعدة المتبعة قبل هذا ان يدخل أهل نجد الحجاز دون قيد ولا شرط)، فرفضت الدرعية هذا الطلب.

بعد سرور بن مساعد تولى زمام الحكم في مكة أخوه الشريف غالب (من ٣٠ كانون الثاني ١٧٨٨) الذي كان يمّني نفسه الاطاحة بالدرعية والقضاء على الدعوة. فأنصر على عدم السماح بدخول أهالي نجد إلى مكة (١٧٨٩). وجهاز حملة عسكرية من أتراك ومغاربة ومصريين ومن انضم إليه من القبائل. وخرج يقود الجيش بنفسه، وعسكر على أطراف نجد، ولم يتمكن من دخولها، وكانت القبائل تتفرق من حوله، ويشتبك بعضها في قتال مع السعوديين (بقيادة الامام عبد العزيز

القادمين إلى الحرمين من أنحاء العالم الاسلامي». فانضموا إلى مواكب العدوان ضد الدرعية ومشوا في ركابها وأعلنوا حربهم للدعوة القائمة وقرروا القضاء عليها لاتقائها قبل ان تتسرب مبادئها إلى الحجاز وتخرجهم منه.

وأقرتهم الدولة العثمانية على هذا وشايعتهم لتستميل جمهرة علماء الدين، ولتحول في الوقت نفسه دون تككل القبائل في البلاد العربية حول دعوة موحدة تجمع صفوفهم بحشية انتباههم للمطالبة باسترجاع الخلافة الاسلامية من يد تلك الدولة إلى العرب. وكانت الخلافة يومئذ هي الركن الأساسي لسيادة الدولة العثمانية على الاقطار الاسلامية الخاضعة لها. فأخذت الدولة العثمانية تعمل من وراء الستار لتغذية الحركات التي تدور بين أشرف مكة وأقطاب الدعوة في الدرعية دون ان تزج بنفسها في قتال ظاهر مكشوف.

كان الشريف مسعود بن سعيد هو أول من تصدى بالعداء الواضح لمحاربة الدعوة، واتهم المؤمنين بها بالمروق عن الدين الاسلامي. ثم رفع في ١٧٤٨ تقارير إلى الباب العالي في اسطنبول عن قيام هذه الدعوة يشرح له مدى الخطر الذي ينجم منها على مقام الخلافة الاسلامية ويطلب من دار الخلافة ان تشدّ أزره في مكافحتها وتطلق يده لمحاربة المؤمنين بها. فصدق الباب العالي مقالته وبارك بخطواته. وأول خطوة خطاها الشريف مسعود بعد هذا منعه أهالي نجد من دخول مكة لأداء فريضة الحج.

وعندما بلغ الدرعية أخبار هذه الخطوات العنيفة، أبت ان تستفز الشريف مسعود، وأرسلت وفدًا من ثلاثين عالمًا دينيًا من علمائها لمناظرة علماء مكة حول مبادئ الدعوة.

لكن علماء مكة أصدروا فتوى، بعد مناظرات مع وفد الدرعية، كفروا بها صاحب الدعوة، وصادق على تلك الفتوى قاضي الشرع في مكة. ونشرت بين الناس ليشهدوا بها. ولم

بالناس. وفي الطريق، آنس منه ضعفاً أعجزه عن مواصلة السير فعاد إلى الدرعية، وحج ابنه الأمير سعود بالجموع. وأخذت القبائل الحجازية تتكاثر من حول ابن سعود وتعلن ولائها له. فنقض الشريف غالب الصلح مجدداً، وقاتل القبائل «المرتدة»، ونشبت بينه وبينها أكثر من ثلاثين موقعة باء أكثرها بالفشل. وتمكن الأمير سعود من احتلال الطائف، وفتح مكة، فعرض عليه الشريف عبد المعين (أخ الشريف غالب) الطاعة، فأقره ابن سعود في شرافة مكة.

وفشل ابن سعود في دخول جدة بعد حصار عدة أيام (وكان الشريف غالب متحصناً بها) وعاد إلى مكة ومنها قفل راجعاً إلى الدرعية. ومن جدة عاد الشريف غالب، بعد أن علم بارتحال الأمير سعود عن الديار الحجازية، وخرج بجيشه إلى مكة فتمكن من استردادها، وبعدها استرد أيضاً الطائف. وفي تلك الأثناء وافت الأنبياء من الدرعية باغتيال الإمام عبد العزيز، ومبايعة ولده الأمير سعود. وبذلك استمر حكم الشريفين للحجاز إلى عهد الشريف حسين بن علي في الربع الأول من القرن العشرين حيث عاد السعوديون وتمكنوا من الحجاز نهائياً هذه المرة. أما اغتيال الإمام عبد العزيز فكان على يد رجل كردي من العراق (من مدينة العمادية الواقعة في لواء المرصل) ساءه هجوم الإمام على كربلاء، فتنكر وادعى اعتناقه الدعوة. وفيما كان يصلي بالقرب من الإمام في مسجد الطريف وثب عليه وطعنه بخنجر (المرجع الرئيسي لهذه المادة الفرعية «الشريفيون والدعوة الوهابية وآل سعود»، حسين خلف الشيخ خزعل، «تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، دار ومكتبة الهلال، مطابع دار الكتب، بيروت، بدون تاريخ، ص ٣١٧-٣٢٩).

#### السلطنة العثمانية وآل سعود (الحملة

ورلده الأمير سعود)، وبعضها الآخر مع جيش الشريف الذي كان يحاول إعادتها إلى الطاعة بعدما أخذت تتفرق عنه، حتى استطاعت من هزيمته فعادت فلوله إلى مكة مذعورة.

عندها، حجاج الشريف غالب للصلح وأرسل كتاباً إلى الدرعية بوجه فيه الدعوة إلى الإمام عبد العزيز وولده سعود وأهله وعشيرته ومن يشاء من أهل نجد لزيارة الأماكن المقدسة وأداء فريضة الحج؛ فأجيب طلبه وتوجه الإمام عبد العزيز وولده سعود وعدد كبير من أهله وحاشيته، ومن أهل نجد الذين اعتنقوا الدعوة، إلى مكة وهم يحملون معهم رسالة من الشيخ محمد بن عبد الوهاب معنونة إلى علماء مكة يوضح فيها حقيقة الدعوة التي يدعو إليها.

في أجواء هذا الصلح بين الشريف غالب والدرعية، أخذت القبائل تتهاوت للإمان بالدعوة الوهابية الجديدة، ما أغضب الشريف غالب، فأقدم على نقض الصلح وسيّر حملات على عدد من القبائل، لكنه مني بفشل، فعاد لطلب الصلح مرة جديدة من الدرعية على الشروط التي تملئها عليه. واقتصرت شروط الدرعية على:

١- الاتفاق على رسم حدود فاصلة بين نجد والحجاز.

٢- تعيين تابعة القبائل المرابطة على الحدود لكل من الطرفين.

٣- السماح لأهالي نجد بدخول مكة لأداء فرائضهم.

٤- معاملة أولئك الحجاج معاملة حسنة طيبة. وبعد مفاوضات أقرت تلك الشروط وتم عقد الصلح بين الدرعية ومكة في ١٧٩٨. وفي ١٧٩٩، بدأ حجاج نجد يفلدون (كان منهم كبار علماء نجد منهم الشيخ علي والشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب). وتكرر الحج، بأعداد أوفر، في ١٨٠٠.

وفي ١٨٠١، عزم الأمير عبد العزيز أن يحج

سعود. وبذلك انتقلت الامارة من بيت عبد العزيز بن محمد إلى بيت عبد الله أخي عبد العزيز. وما لبث الأمير تركي ان قُتل بدوره على يد ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن الذي استولى على الامارة ولكنه لم يتمتع بها أكثر من اربعين يوماً، إذ سقط بدوره قتيلاً على يد فيصل بن تركي الذي سارع للثأر لوالده واستعادة الامارة. ومع فيصل بن تركي استقرت نوعاً ما الدولة (الامارة) السعودية الثانية.

يقسم المؤرخون عهد فيصل بن تركي إلى دورين: الاول يمتد من ١٨٣٠ إلى ١٨٣٨ وفيه تميزت الحياة السياسية في نجد بعدم الاستقرار وانتشار الفتن والقلاقل، وانتهى هذا الدور بتدخل القائد العسكري العثماني العامل في خدمة محمد علي خورشيد باشا الذي أجبر الأمير فيصل على الاستسلام وعين مكانه الامير خالد بن سعود، وهو من الامراء السعوديين الذين كان ابراهيم باشا قد نفاهم إلى مصر باعتباره من المحسوبين على السياسة المصرية في نجد. إلا ان النجديين نفروا من سياسة الامير خالد العصرية (أي انه كان متأثراً بأفكار محمد علي المتأثر بدوره بالافكار الأوروبية العصرية). فتولى الامارة بعده عبد الله بن ثنيان بن ابراهيم بن سعود ولكنه لم يستمر فيها أكثر من عام ونصف، إذ تمكن الامير بن تركي (الذي كان محمد علي قد أطلق سراحه) من خلعته واستعادة إمارته. وبذلك بدأ الدور الثاني من عهده الذي استمر ٢٤ عاماً تميزت بالاستقرار والازدهار النسبي، ودان له فيه القسم الأكبر من شبه الجزيرة العربية كالأحساء والقطيف ووادي الدواسر وعسير والجبيل والقصيم.

وبوفاة الامير فيصل (١٨٦٥) انتهى العصر الذهبي في الدولة السعودية الثانية، فتنزاع أبحاله الحكم وبدأ عهد يمكن تسميته بالحرب الأهلية استمر حتى ١٨٩٠ بانتصار ابن الرشيد، أمير حائل، ولجوء آخر أمراء الدولة السعودية الثانية

المصرية على عيسى): نظرت السلطنة العثمانية بقلق عميق إلى توسع الدولة الوهابية إذ إنها، وهي المفترض فيها حماية الاماكن المقدسة، قد وجدت نفسها أعجز من أن تبسط سيادتها عليها، كما ان جيوش آل سعود قد بدأت تهدد فعلياً مواقعها في سورية والعراق. وفوق هذا كله فإنها المرة الأولى، منذ قيام السلطنة العثمانية، التي يرفض فيها حاكم سني الاعتراف بخلافة السلطان العثماني مع كل ما يترتب عن هذا الموقف من نتائج سياسية تهدد شرعية حكمها في البلاد العربية.

وإزاء عجز الجيش العثماني عن القضاء على هذه الدولة السعودية، استنجد السلطان العثماني بواليه في مصر محمد علي للوقوف في وجه هذا الزحف المتواصل. وقد لبى محمد علي، بعد تردد قصير، طلب الباب العالي فأرسل حملة (١٨١١) بقيادة ابنه طوسون، ثم بقيادة ابنه الثاني ابراهيم باشا (الذي ساعده في هذه الحملة أمير جبل لبنان بشير الشهابي الثاني)، تمكنت بعد سنة من القضاء على الدولة السعودية الاولى وتدمير عاصمتها الدرعية بعد خسائر جسيمة ومقاومة مستميتة (راجع «الحملة المصرية على عسير» في باب معالم تاريخية).

كان آخر أمراء هذه الدولة السعودية الاولى الأمير عبد الله بن سعود الذي وقع في أسر ابراهيم باشا فأرسله إلى الآستانة حيث أعدم (١٨١٨). أما بقية أمراء الأسرة الحاكمة السعودية فقد نفوا إلى مصر باستثناء الأمير مشاري بن سعود الكبير الذي تمكن من الإفلات من أسره، والامير تركي بن عبد الله بن محمد الذي كان نجح في الإفلات من قبضة الجيش المصري لدى إبطائه على الدرعية. إلا ان الاتراك استطاعوا الايقاع بالأمير مشاري فقتلوه بتواطؤ من أمير محلي هو محمد بن مشاري بن معمر الذي كان يطمح إلى الحلول على رأس الامارة. إلا أن الأمير تركي عاد فقتله انتقاماً لمشاري وفرض نفسه الوريث الشرعي لآل



عينت شيخها قائمقاماً للقضاء. وعندما توجهت بعثة المانية في ١٩٠٠ إلى الكويت باعتبارها آخر محطة للخط الحديدي المزمع إقامته من طرف المانيا أعلنت بريطانيا عن الاتفاقية وحذرت الدولة التركية من مغبة السماح للامان بمواصله اعمالهم. ولما أصبح واضحاً ان ميزان القوى تحول إلى جانب البريطانيين وقعت تركيا معهم اتفاقية في ١٩٠١ حول الكويت تعترف فيها بريطانيا بالسيادة الاسمية لتركيا على الكويت، كما اعترفت تركيا بالاتفاقية البريطانية الكويتية لعام ١٨٩٩ وبالسيادة البريطانية الفعلية على الكويت.

إلا ان الاتراك الذين كانوا بحرين على التوقيع على تلك الاتفاقية حركوا من ناحية أخرى قبائل شمر الموالية لهم والخصم التقليدي لقبيلة عنيزة وآل سعود، وكانت إمارة آل الرشيد الشمرية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أقوى إمارة في وسط وشرقي شبه الجزيرة العربية منذ سقوط الرياض في أيديهم بمساعدة الاتراك.

وتوجه فعلاً أمير شمر الشيخ عبد العزيز بن رشيد على رأس جيشه إلى الكويت (١٩٠٠) لطرد الامير مبارك الصباح وإعادة الكويت إلى الحضيرة العثمانية. ورد الأمير الكويتي على ذلك المهجوم معتمداً على تحالف من البدو ضم قبائل مطير وبنو مرة الوهابية وقبيلة المنتفق التي كان يرأسها آنذاك ناصر السعدون في جنوبي العراق. كما ان الامام عبد الرحمن وابنه الامير عبد العزيز آل سعود اغتتما أيضاً تلك الاحداث ليدخلا معمعة القتال ردًا لجميل صديقيهما أمير الكويت وليحاولا استعادة الرياض من يد عدوهما ابن الرشيد. وقد وقفت بريطانيا إلى جانب قوات القبائل الكويتية المحافظة. إلا ان الشمريين هزموا تلك القوات بعد ان استدرجوها إلى منطقة الطريف، في قلب القصيم، وانتصروا عليهم في معركة قاسية. ولم ينج الامير مبارك الصباح إلا بتدخل السفن الحربية البريطانية.

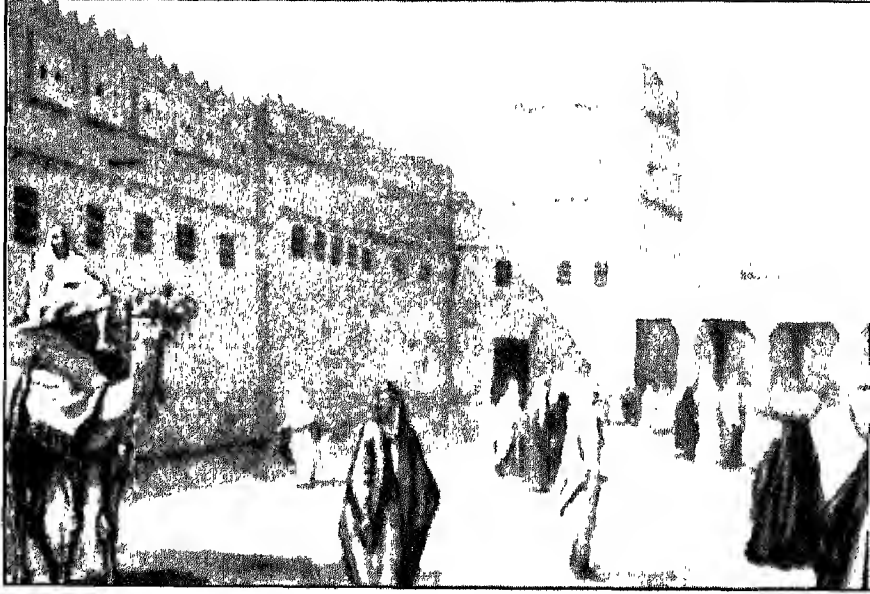
الامام عبد الرحمن بن فيصل، ومعه ابنه عبد العزيز، إلى الكويت بانتظار الاتبعات المقبل للدولة السعودية الثالثة.

### عبد الرحمن وعبد العزيز في الكويت: فقد

آل سعود، أمام آل الرشيد، في ١٨٩٠، معظم اراضيهم بما في ذلك عاصمتهم الرياض الذي استولى عليها محمد بن رشيد (توفي في ١٨٩٧) وهرب الامير السعودي الامام عبد الرحمن مع ابنه عبد العزيز وبقيه افراد عائلته إلى الربع الخالي، ثم حلّصهم أمير الكويت الشيخ محمد الصباح في ١٨٩٥ من قسوة ذلك المنفى الاجباري وأتى بهم إلى الكويت وأكرمهم.

كانت بريطانيا في تلك الفترة ترنو بأبصارها إلى الكويت خاصة عندما أخذت كل من روسيا والمانيا تخطط للوصول إلى الخليج العربي تحت ستار مد خط حديدي بموافقة الباب العالي الذي كانت الكويت تعود إليه إسمياً. ولقطع الطريق على تينك الدولتين اتصلت بريطانيا بأمير الكويت الشيخ محمد الصباح (١٨٩٥) وادارت ان تقيم معه «علاقات صداقة» على غرار اتفاقية ١٧٩٨ مع سلطنة مسقط واتفاقية ١٨٢٠ التي فرضت على شيوخ الامارات السبع (الشاطيء المتصالح)، ومعاهدة ١٨٩١ التي فرضت الحماية على عُمان. وعندما رفض الأمير محمد الصباح ذلك العرض تعرّض للاغتيال وقتل في ١٨٩٦ وحلّ محله أخوه الشيخ مبارك الصباح الذي تمكنت بريطانيا من فرض «اتفاقية سرية» معه في ١٨٩٩ هي في الواقع معاهدة حماية تجعل من بريطانيا الدولة الوحيدة التي تتمتع بامتيازات في الكويت.

في تلك السنة (١٨٩٩)، رفض الشيخ مبارك الخضوع إلى الوالي التركي في البصرة حيث كانت الدولة العثمانية قد جعلت من الكويت «سنجقية» أي قضاء تابعاً لولاية البصرة، كما



الرياض في أوائل عهد  
عبد العزيز.

(١٩١٤) بقيت الدولة السعودية الثالثة على الحياض (في حين ان الشريف حسين في مكة حاض هذه الحرب إلى جانب الحلفاء بدءاً من ١٩١٦). وبالمقابل فقد اعترفت بريطانيا باستقلال نجد وسلامة اراضيها. وكان عبد العزيز قد أنشأ منذ ١٩١٠ قوات مسلحة شديدة المراس أطلق عليها إسم «الإخوان» (راجع باب «معالم تاريخية») كانت تقيم في مستوطنات في نجد وتشكل القوة الضاربة الطبيعية في غزوات الملك عبد العزيز وحرابه. وكانت بالإضافة إلى ذلك تلعب دوراً كبيراً في نشر الافكار الدينية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وفي فرض العدالة الاسلامية وتطبيقها.

#### مشكلات حدود ومؤتمرات: بعد أن

قضى عبد العزيز على ابن الرشيد وضمن ولاءه للدولة السعودية (١٩٢١)، أصبحت الحدود الحجازية-النجدية مفتوحة بعضها على بعض، لا بل ان عبد العزيز (أصبح يقال له «السلطان»)، بضمه الجوف إلى سلطته في مطلع ١٩٢٢ أصبح على حدود الاراضي الخاضعة للسلطة الهاشمية،

#### العودة المظفرة والدولة السعودية الثالثة

(١٩٠١-١٩٣٢): لم يستسلم الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن لتلك الهزيمة، بل أعاد الكرة، وتمكن، في ١٩٠٢، وهو على رأس كوكبة من ٤٢ فارساً، من استعادة الرياض التي ساعده سكانها من الداخل، إذ كانوا يتوقون للتحرر من فساوة تسلط آل الرشيد عليهم. وفي مطلع ١٩٠٤، كان عبد العزيز بن سعود قد استعاد معظم اراضي دولة اجداده التي أصبحت في ١٩٠٦ من القوة إلى درجة ان أمير شمر الشيخ معتب، الذي خلف والده عبد العزيز بن الرشيد على الحكم في السنة نفسها، اعترف رسمياً بسلطة آل سعود على نجد والقسم كما ثبتت تركيا ذلك الاعتراف في ما بعد. لكن عبد العزيز آل سعود ظل يقاتل بعد ذلك طيلة سنوات قبل ان يتمكن في النهاية من اخضاع ابن الرشيد وتقويض سلطته (١٩٢١). وكان الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود قد تمكن منذ ١٩١٣ من طرد الاتراك من الاحساء ويسط حكمه على كل اواسط شبه الجزيرة.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الاولى

المشكلات العالقة بين نجد والحجاز، على ان يوافق السلطان عبد العزيز على مناقشة هذه المسألة. وقد وافق السلطان على ذلك، إلا ان الشريف حسين أخذ يماطل في حضور المؤتمر مما أدى إلى فشله، لا بل أن بعض القبائل المحسوبة على السلطان عبد العزيز عمدت، بعد ان أدركت فشل المؤتمر، إلى القيام بغزو على أطراف العراق. وقد أغضب هذا الحادث الحكومة البريطانية، إلا ان السلطان عبد العزيز أبدى عدم اكتراث بردود فعلها، خاصة وانها لم تعد في موقع القادر على التأثير على قراراته. وكل ما استطاعت ان تفعله هو قطع المعونة المالية التي كانت تقدمها له.

عبد العزيز يُسقط الحجاز ويضمه: ما إن ألغى مصطفى كمال أتاتورك منصب الخلافة الذي كان في آل عثمان (٣ آذار ١٩٢٤) حتى أعلن الشريف حسين بن علي نفسه خليفة للمسلمين. فزاد هذا الاعلان من حدة الخلافات بين السعوديين والهاشميين. وفي ٤ حزيران ١٩٢٤، عُقد في الرياض مؤتمر عام برئاسة الامام عبد

تلك الحدود غير المرسومة وغير الواضحة السيادة، خاصة على الحدود النجدية-العراقية. ونتيجة لذلك تصاعدت المناوشات على الحدود وكثرت الغزوات بين العشائر القاطنة على جانبيها. وعلى أثر استمرار التوتر الحدودي وتصعيده، عقد مؤتمر المحمرة لتسوية الخلاف بين البلدين (نجد والعراق). ولكن السلطان عبد العزيز لم يوافق على نتائجها، فعقد مؤتمر ثان بعد بضعة اشهر في العقير، اعتبر تكملة للمؤتمر الاول، توصل فيه السلطان عبد العزيز والسر جيلبرت كلايتون المندوب المفوض من الحكومة البريطانية والمخول بأن ينوب عن الحكومة العراقية، إلى الاتفاق على ضبط العشائر في المناطق الحدودية وعدم السماح باستعمالها في تهديد الأمن الداخلي لأي من الطرفين. وقد عرف هذا الاتفاق بـ«اتفاقية بحرة»، وتم التوقيع عليه في اواخر ١٩٢٢، إلا انه لم ينفذ بشكل جدي. فعقد مؤتمر ثالث في الكويت (اواسط ١٩٢٣) يكون الغرض منه البحث في تنفيذ بنود اتفاقية بحرة والبحث في مسألة حدود نجد وشرقي الاردن، وكذلك البحث في حل

الحجاز أواخر القرن ١٩ واولال القرن ٢٠: من اليمين، واجهة مبنى تقليدي في جدة (١٩٣٨)،

ملابس حجازية (١٨٧٣)، ومقر الحكومة في جدة (١٨٩٠).



الهاشمي عن الحجاز ما عدا جيئاً صغيراً ساحلياً ضم جدة وبعض الاراضي المحيطة بها بالاضافة إلى المدينة المنورة.

وقد حرت مفاوضات بين الطرفين لحقن الدماء ومحاولة تسوية الامور سلمياً، إلا انها باءت جميعها بالفشل. فاضطر السلطان عبد العزيز إلى الدخول في معركة حاسمة مع الجيش الهاشمي فسقطت المدينة في اواخر ١٩٢٥، واستسلمت جدة بعد ذلك بقليل، وتنازل الأمير علي عن ملك الحجاز وسافر إلى الخارج. وبذلك تم توحيد نجد والحجاز تحت سلطة الأسرة السعودية، وأصبح لقب عبد العزيز «سلطان نجد وملك الحجاز»، واختصاراً «الملك عبد العزيز».

#### سياسة عبد العزيز داخلياً وخارجياً

(١٩٢٦-١٩٣١): ما إن استتبت الامور للملك عبد العزيز حتى دعا في ١٩٢٦ إلى مؤتمر عربي اسلامي لبحث شؤون الحج في مكة المكرمة. وفي المؤتمر رفض بشدة إثارة قضية الخلافة التي كان العديد من المسلمين-وبشكل خاص مسلمي الهند- يريدون إثارتها. وبالرغم من ان هذا المؤتمر لم يخرج بنتائج حاسمة، إلا انه كان له الفضل الأكبر في طمأنة الدول الاسلامية على سلامة الحرمين الشريفين، وتشجيع المسلمين على الحج بأعداد وفيرة. وهذا ما حدث فعلاً منذ ١٩٢٧. وإضافة إلى ذلك فإن بعض البلدان العربية والاسلامية، وعلى رأسها مصر والهند وايران، حاولت وضع العراقيل في وجه النظام السعودي الجديد بحجة غياب الأمن في المملكة والمضايقات التي قد يتعرض لها الحجاج من قبل السلطات الجديدة (خاصة من قبل الاخوان).

أزال المؤتمر المذكور جزئياً هذه المخاوف، لكن مشكلات داخلية (نتيجة ضم الحجاز إلى نجد) استمرت تمكّر صفو الأمن. ولقد بدأت أولى هذه المشكلات مع بعض الاخوان الذين اخذوا

الرحمن آل سعود والد السلطان عبد العزيز حضره العلماء ورؤساء القبائل والسلطان عبد العزيز نفسه، وطرح في مسألة الحج وعدم تمكن أهل نجد من تأدية فريضته. وخرج المؤتمر بضرورة غزو الحجاز «لتخليص البيت الحرام» وتأدية فريضة الحج بالقوة بعد «أن استنفدت الوسائل السلمية».

وهكذا بدأ زحف «الإخوان» على مدن الحجاز التي أخذت تتساقط الواحدة بعد الأخرى. فسقطت الطائف في ٧ ايلول ١٩٢٤، وكان لسقوطها تأثير كبير على معنويات القوات الهاشمية. وقد طلب الشريف حسين دعم القوات البريطانية، لكنها لم تتحرك ساكناً. وفي ٣ تشرين الاول ١٩٢٤، اجتمع أعيان مكة وجدة ومن فر من أعيان الطائف في مدينة جدة وطالبوا الحسين بـ«التنازل وتنصيب ابنه الامير علي ملكاً على الحجاز فقط، مقيداً بدستور ومجلسين وطنيين». فساطل الحسين في بادئ الامر، ثم رضخ وتخلّى عن الملك لولده علي وانتقل بجرأ إلى العقبة. ولكن الانكليز أنذروه بضرورة الرحيل عنها بحجة احتمال مهاجمة ابن سعود لها فنقلته بارجة بريطانية وهو ساخط إلى قبرص فاقام فيها ست سنوات أذن الانكليز له بعدها بالسفر إلى عمان حيث وافته المنية بعد ٦ أشهر، أي في ١٩٣١ فحمل جثمانه إلى القدس ودفن في المسجد الأقصى. والمعروف ان الشريف حسين هو مؤسس الأسرة الهاشمية في العراق والاردن، وهو الذي أعلن «الثورة العربية الكبرى» (١٩١٦)، وتمكن في ١٩١٨ من الاستيلاء على الحجاز كله، ولكنه سرعان ما انهزمت جيوشه أمام أتباع عبد العزيز بن سعود.

وجد الأمير علي بن الحسين ان الحالة العسكرية في مكة ميؤوس منها، فراجع إلى جدة حيث أخذ ينظم دفاعاته. وفي تلك الأثناء كانت قوات «الاخوان» تقرب من مكة لتدخلها في ١٦ تشرين الاول ١٩٢٤. وبذلك انحسر النفوذ

فلإزاء ضم الحجاز إلى نجد وقيام نظام الملكية وجدت الدول الكبرى نفسها أمام أمر واقع جديد بالغ الأهمية في منطقة شبه الجزيرة العربية. وكان الاتحاد السوفياتي الدولة الكبرى الأولى التي اعترفت بالنظام الجديد، ثم لحقتها بريطانيا وفرنسا. مع شرقي الأردن والعراق وقع الملك عبد العزيز اتفاقية رسم الحدود (٢٧ ايار ١٩٢٧). وأما مع اليمن فقد اتسمت علاقاته معها في مطلع العشرينات (واستمرت إلى الثلاثينات) بالتوتر الشديد. ففي ١٩٢٠، واثراً اندلاع اضطرابات في منطقة عسير ضد حكامها من الأسرة الأدرسية أعلن السلطان عبد العزيز (كان لا يزال سلطان نجد) حمايته عليها.

### المملكة العربية السعودية

إعلان المملكة العربية السعودية وأولى المشكلات مع اليمن: في ٢٣ ايلول ١٩٣٢، توج الملك عبد العزيز بإنجازته بإعلانه توحيد البلاد تحت إسم «المملكة العربية السعودية»، وأصدر أمراً ملكياً قضى بتوحيد مناطق البلاد تحت هذا الاسم. وأصبح الملك عبد العزيز، بفضل كفاحه الطويل وإنجازاته الكبرى، زعيماً عالمياً، وراح الكثير من القوى الأجنبية يتطلعون بأنظارهم نحو مملكته. وما كاد يخطر في بال عبد العزيز أن فتوحاته قد انتهت حتى ثارت مشكلة في المنطقة الجنوبية. لقد استولى الإمام يحيى حاكم اليمن على بحران، وأخذ يحرّض ويساعد القبائل على الثورة والقيام بأعمال الشغب. وتطورت الأحداث بين البلدين إلى حرب مفتوحة في آذار ١٩٣٤، خاصة وأن السعوديين كانوا قد أفسلوا تمرّداً قام به حسن الأدرسي، بمساعدة حكام اليمن في ١٩٣٣، وضموا عسير رسمياً إلى مملكتهم، ولجأ الأدرسي نتيجة ذلك إلى اليمن. قاد ولدا عبد العزيز سعود (الذي اقترح

على الملك عبد العزيز تساهله مع الاجانب، وإدخال بعض مظاهر الحياة العصرية إلى المملكة. وكان هؤلاء الاخوان يظهرون استياؤهم وغضبهم في مواسم الحج. فقد تعرضوا مرة لبعثة الحج المصرية التي كان من عادتها ان تدخل الحجاز على اصوات الموسيقى والإنشاد يحيط بها بعض المسلمين. وقد ذهب ضحية هذا الاشتباك عدد من افراد البعثة. ونتيجة لذلك منع الملك عبد العزيز البعثة من إحاطة نفسها بالمظاهر المسلحة، باعتبار ان هذا يعتبر ماساً بسيادة المملكة وعدم ثقة بقدرتها على حماية الحجاج. وقد ردت مصر على ذلك بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع المملكة. ولم يكتف الاخوان بما جرى مع البعثة المصرية بل أخذوا يمتحنون علانية على السياسة العصرية والتحديثية التي ينتهجها الملك عبد العزيز الذي بادر إلى عقد مؤتمر عام في الرياض حضره زعماء القبائل والعلماء الذي أكدوا فيه ولاهم للسياسة السعودية.

ثم جاء توقيع اتفاقية رسم الحدود بين المملكة السعودية وكل من العراق وإمارة شرقي الأردن اللذين كانا تحت الانتداب البريطاني (٢٧ ايار ١٩٢٧) ليزيد من نقمة المعارضين الذين حرموا بذلك من «حق» التنقل والغزو خاصة بعد ان كان الملك عبد العزيز قد منعهم من ذلك، وأمن لهم مورداً مالياً تدفعه إليهم الدولة بانتظام. وهكذا أعلنت بعض العشائر بزعامة سلطان بن بجاد التمرد السافر على سلطة الدولة، واستمرت مناوشاتهم ضد الدولة مدة عام ونصف إلى أن جهز الملك عبد العزيز حملة قوية قضت عليهم نهائياً (١٩٢٩). وأودع زعماء المتمردين سجن الرياض. وبذلك نجحت السلطة الجديدة في تثبيت أقدامها داخلياً وأصبح بإمكانها التفرغ لاصلاح الحياة البدوية وتنظيمها من جهة، وإيلاء السياسة الخارجية المزيد من الاهتمام من جهة أخرى (راجع «الاخوان» في باب معالم تاريخية).



الملك عبد العزيز في البصرة (١٩١٦).

على الحد من كل رغبة عربية في الاستقلال. وفي المقابل، كانت الولايات المتحدة الاميركية لا تنفك تعلن عن مساندتها للتحرير وحق الشعوب في تقرير مصيرها. فعمل عبد العزيز يحرص على بناء علاقات أفضل مع الولايات المتحدة، وظلّ في الوقت نفسه ينمّي علاقته مع بريطانيا، القوة الأعظم في ذلك الوقت، لتفادي أي استئثار أو عداء من جانبها.

وكان تواقاً جداً لتقديم إسهامات أساسية في سبيل إتاحة الخدمات التعليمية والصحية لجميع أفراد شعبه. وقد اعتزم تحديث وسائل النقل وشبكات المواصلات البدائية. فأراد زيادة عدد

الملك عبد العزيز تعيينه ولياً للعهد في ١٩٣٣، وكان له ذلك) وفيصل حملة عبر الجبال استولت على ميناء الحديد في اليمن خلال اسابيع قليلة. وإزاء ذلك قبل الإمام يحيى الدحول في مفاوضات سلمية مع الملك عبد العزيز الذي أظهر مرونة وتساهلاً فقبل بالانسحاب إلى المواقع التي كان يسيطر عليها قبل اندلاع المعارك (ويعني ذلك عملياً اعتراف اليمن بضم عسير إلى المملكة العربية السعودية)، ووقعت معاهدة سلام في الطائف في ٢٢ ايار ١٩٣٤، وفرض على اليمن دفع ١٠٠ ألف جنيه استرليني ذهباً لتعويض الدولة عن نفقات الحملة. وفي ١٩٣٧، وقع البلدان معاهدة صداقة وعدم اعتداء.

وبعد نحو ثلاث قرن من الحروب التي خاضها عبد العزيز وكانت شبه متواصلة، بدت جروح الحرب وقد اندملت. فركز عبد العزيز اهتمامه على الموارد والتطوير. وتكرّر في هذه المجالات ايضاً، مجالات السلم، لقاءه مع الحظ والألمية. فلم يُصب فقط آبار الماء التي كان ينشدها بل بطن صحراء حافلاً بالذهب الأسود.

#### أسس عامة في سياسة عبد العزيز: لقد

اقتضت مشاريع تحسين احوال الشعب وإجراءات الاصلاح والتطوير تنويع موارد المملكة وزيادة إنتاجيتها، وحتى ذلك الوقت كان معظم الدخل اللازم لتسيير شؤون البلاد يأتي من تربية الحيوان وبعض زراعة الكفاف في المناطق الخصبة ومن إيرادات الحج الطقيفة. وقد أضرب الكساد العالمي، في الثلاثينات باقتصاديات البلاد إذ انخفض عدد الحجاج في تلك الفترة بشكل ملموس. وقد استطاع الملك عبد العزيز تطوير علاقات مناسبة مع الدول الغربية بهدف إقامة الاقتصاد والتطوير السياسي في العربية السعودية على أسس راسخة وثابتة.

كان الفرنسيون والبريطانيون مصممين

السيارات والطائرات وأجهزة البرق.

لاحقاً كارل تويتشل. وبعد شهر انضم إلى الفريق سوكر هوفر الذي اصطحب معه المعدات الضرورية من الولايات المتحدة، واستخدمت معها المعدات التي قدمتها الحكومة وأحضرت من جدة. وتوزع الخبراء فرقاً كان لكل فريق منها حارس ومرشد. ولم يلاق المنقبون أي مصاعب مع البئر إذ كان الملك قد وطّد السلام والأمن في طول البلاد وعرضها.

في أوائل صيف ١٩٣٤، اتُخذ قرار باختبار قمة الدمام بالحفر. فالتكوين الجيولوجي لهذه القمة شبيه بمثيله في البحرين على بعد نحو ٤٠ كلم فقط. وبتزايد العاملين في عمليات التنقيب تزايدت احتياجاتهم الشخصية ومتطلباتهم الحياتية اليومية، وهكذا افتتح خط التموين بين المملكة والولايات المتحدة. ونصبت معدات الحفر على بئر الدمام رقم «١» في السفح الغربي لجبل الظهران. وفي الوقت نفسه كان يجري بناء معسكر الدمام على قدم وساق. وكانت نتيجة الاختبارات من قمة الدمام غير مشجعة، لكن التنقيب استمر، وتواصل الحفر إلى عمق كيلومتر واحد، كما جرى حفر آبار أخرى بلغ مجموعها الثمانية، لكن النتائج لم تكن مشجعة أيضاً.

وفي ربيع ١٩٣٧، وباكتمال معسكر الدمام السكني، انضمت زوجات الأميركيين العاملين وأولادهم إليهم في منطقة العمل. وقد بلغ عدد هؤلاء العاملين (تموز ١٩٣٧) ٥٣ أميركياً مهمتهم التنقيب عن النفط في المملكة.

كانت عمليات الحفر في الدمام «٧» قد توقفت في ١٩٣٦، ولكنها استؤنفت في حريف ١٩٣٧، وعندما بلغ الحفر في هذه البئر إلى عمق ١٤٤٠ متراً تدفقت منها كميات ضخمة من النفط، وكان ذلك فاتحة عهد جديد في تاريخ المملكة العربية السعودية والعالم. وقد تمّ إنجاز هذه البئر «٧» في آذار ١٩٣٨.

وهكذا بعد خمس سنوات من الجهد الشاق

اكتشاف البترول: حدثت الحاجة الماسة

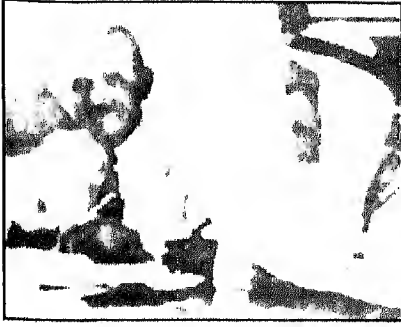
إلى موارد مالية الملك عبد العزيز على منح أول حقوق التنقيب عن البترول إلى شركة بريطانية في ١٩٢٣، هي شركة «إيسسترن أنسد جنرال سنديكت»، ولم تستخدم الشركة هذا الامتياز، ولم يبرّر تجديد العقد حتى انتهى مفعوله في ١٩٣٣.

وكان الأميركيون الذين سبق لهم زيارة شبه الجزيرة العربية في العشرينات وأوائل الثلاثينات قد تركوا انطباعاً إيجابياً في نفس الملك، مما دعاه لاحقاً إلى اختيار شركة أميركية للتنقيب عن البترول واستغلاله. وكان مهندس مناجم أميركي اسمه كارل تويتشل قد ناقش موارد المملكة الكامنة في باطن الأرض مع الملك عبد العزيز في جدة (١٩٣١)، وجرى التركيز بخاصة على موارد المياه غير المستغلة في الحجاز. وقد تأسست لاحقاً (١٩٣٤) المؤسسة العربية الأميركية المحدودة للتعدين لاستغلال مهد الذهب، وهو منجم ذهب يبعد حوالي ٨٠ كلم جنوبي المدينة المنورة.

ثم جاء قرار الملك عبد العزيز ببدء مباحثات جديدة حول استكشاف البترول في المملكة. وكان هذا القرار، كما تجلّى لاحقاً، أحد أهم القرارات التي اتخذها الملك. ففي ١٩٣٣ مُنحت امتيازات التنقيب إلى شركة «ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا» (شركة كاليفورنيا الموحدة للبترول)، ووقع الاتفاق وزير المال السعودي عبداً لله السلیمان ولويد هاملتون العامل لحساب الشركة المذكورة. وفي ٧ تموز ١٩٣٣ وقع الملك المرسوم رقم ١١٣٥ مانحاً الامتياز للشركة، وبعد ثلاثة أيام تمّ نشر المرسوم في الجريدة الرسمية «أم القرى». وفي ٢٣ أيلول من السنة نفسها بدأ عالمان جيولوجيان أميركيان هما برت ميلر وكروغ هنري بالعمل في المملكة، وانضمّ إليهما







توقيع اتفاقية التنقيب عن البترول في ٢٩ ايار ١٩٣٣ ، بين وزير المالية السعودي الشيخ عبد الله سليمان ولويد هاملتون من شركة كاليفورنيا الموحدة للبترول بالولايات المتحدة الاميركية.

الملك عبد العزيز يذشر اكتشاف البترول في الدمام رقم «٧» في اذار ١٩٣٨ . اكتشاف غير مجرى التاريخ في المملكة العربية السعودية.



الملك عبد العزيز في زيارة مصنع الدمام النفطي في ١٩٣٩.



أثمرت عمليات التنقيب وتم اكتشاف البترول بكميات كبيرة وتأسست شركة الزيت العربية الاميركية (أرامكو) في ١٩٣٨ والمعروفة اليوم بـ«شركة أرامكو السعودية».

وكان تطوير حقول النفط بطيئاً بسبب الحرب العالمية الثانية، فلم تتجاوز إيرادات البترول حينئذ ٤ ملايين دولار سنوياً. وبتزايد الطلب على البترول لمجابهة متطلبات الحرب الحديثة بدأت أرامكو الانتاج على نطاق واسع في ١٩٤٤. وبحلول العام ١٩٤٨، بلغت إيرادات البترول نحو ٨٥ مليون دولار. وظلت هذه الإيرادات تتنامى باستمرار وتحقق للملك عبد العزيز حلمه في التنمية الاقتصادية ورفاه الشعب.

وأطرد تزايد إيرادات النفط فتجاوزت كافة الإيرادات الأخرى. واستخدم الملك عبد العزيز هذه الثروة والإمكانات في بناء الأسس والإنشاءات الأساسية.

أما أسس الموقف البترولي لعبد العزيز فيمكن لحظه عبر التطورات التالية:

رافقت عملية منح الامتيازات النفطية بعض المظاهر السياسية التي يمكن تلخيصها بثلاث نقاط: ١- فضل الملك عبد العزيز، في ١٩٣٣، في ان يمنح حقوق التنقيب للاميركيين وليس للبريطانيين معبراً بذلك عن حرصه على استقلاليتهم إزاء القوة المستعمرة المهيمنة آنذاك. ٢- إن تردده الطويل (بين ١٩٢٣ و ١٩٣٣) بسبب انه لم يرضخ لبيع الامتياز إلا في حالة الحاجة القصوى، مرتبط بفكرة «السيادة الوطنية» التي طالما كان يشدد عليها. ٣- إصراره على انتزاع مكاسب مالية مباشرة كان بأسس الحاجة لها.

أسس الموقف السعودي البترولي: إن الموقف السعودي الرسمي معاد، تقليدياً، لسياسة التأميم. وكان هذا الموقف يُبرر انطلاقاً من النقص في الملاك السعودي المختص، ومن أن شركات النفط، التي تحقق القسم الأكبر من أرباحها من

بالانكليزية عن المعهد الدولي للتكنولوجيا في الولايات المتحدة، نقله إلى العربية أحمد شفيق الخطيب، ص ١٥٨٠٠٥٣ وكذلك عن «موسوعة السياسة»، ج ٣، ط ١، ١٩٨٣، ص ١٩٨.

**المملكة إبان الحرب العالمية الثانية:** التزم الملك عبد العزيز سياسة حياد حذر من فريقي هذه الحرب (الحلفاء ودول المحور). فرفض تأييد دول المحور حتى عندما كانت في ذروة توسعها، كما أنه رفض تأييد حركة رشيد عالي الكيلاني (راجع «العراق» في هذا الجزء) حتى لا يستعدي الانكليز عليه، وذلك بالرغم من عدائه التقليدي للأسرة الهاشمية التي كانت حاكمة في بغداد.

ورفض عبد العزيز منح اليابان والمانيا امتيازات نفطية. وفي الأول من آذار ١٩٤٥، انضمت السعودية شكلياً إلى الحلفاء بدون أن تعلن الحرب على المانيا تحافطاً بذلك على حيادها وحياد الاماكن المقدسة الاسلامية من هذا النزاع العالمي. وقد مكّنها هذا الموقف من المشاركة في وضع ميثاق الامم المتحدة ومن الحصول على معونات مالية ومادية من الحلفاء وعلى رأسهم الولايات المتحدة الاميركية. وقد تمثلت المملكة بالامير فيصل بن عبد العزيز (الملك في ما بعد) الذي حضر حفل توقيع الميثاق في سان فرانسيسكو ٦ حزيران ١٩٤٥. وكان الملك عبد العزيز، أثناء ذلك، من أشد العاملين في سبيل تأسيس جامعة الدول العربية في ٢٢ آذار ١٩٤٥.

أما العلاقات السعودية الاميركية فقد بدأت تتطور وتزداد رسوخاً ابتداءً من ١٩٤٠ حيث أنشئت أول بعثة دبلوماسية اميركية في المملكة. وفي ١٩٤٣، منح الملك الاميركيين حق بناء قاعدة جوية كبيرة في الظهران واستعمالها لمدة ثلاث سنوات تعود ملكيتها بعد ذلك إلى السعوديين. وفي الوقت نفسه بدأت بعثة عسكرية اميركية تدرب الجيش السعودي وتزوده بالاسلحة.

مرحلة الإنتاج الاولى، كانت تتخذ موقفاً معادياً من أية زيادة في أسعار النفط إذا ما حرمت من حق التصرف في المرحلتين الاخيرتين: التكرير والنقل والتوزيع من ناحية، والتسويق والبيع من ناحية ثانية. إلا ان هذه الأسباب كانت قد بدأت تفقد صِدْقَتِهَا منذ ان زادت اعداد التقنيين السعوديين ومنذ أن بدأت السعودية تسعى إلى تشفيض الاسعار وليس إلى زيادتها. والجدير ذكره ان تدابير التأميم هي مبادرة سياسية قبل أي أمر آخر.

وبدل التأميم الذي كان رائجاً لدى دول الأوبك، طرح وزير النفط السعودي أحمد زكي اليماني (والحكومة السعودية) حلاً آخر يقوم على المشاركة. وحتى سنة ١٩٧٠ كانت وجهة النظر السعودية سائدة بين الدول المنتجة للنفط. لكن اليماني كان يجد صعوبة كبرى في إقناع الشركات الأخذ بمبدأ المشاركة. واستمرت المفاوضات عشر سنوات (١٩٦٣-١٩٧٢) قبل ان توافق الأرامكو على المبدأ. وهذه الصعوبات التي واجهتها المملكة مع الشركات أضعفت حجتها لدى دول الأوبك باستبدال التأميم بالمشاركة. ووصل الأمر بالملك فيصل نفسه إلى حد التهديد باللجوء إلى التملك الجزئي في حال فشل مفاوضات المشاركة (٢٥ كانون الثاني ١٩٧٢). وأخيراً قبلت أرامكو بالمشاركة في ١١ آذار ١٩٧٢، وبدأت المفاوضات بعد ذلك بعشرة ايام لتعود وتضطرم برفض جديد من قبل الشركات. ولم يتوصل الفريقان إلى اتفاق إلا بعد تسعة أشهر؛ فاقراً، أخيراً، اتفاق المشاركة بنسبة ٢٥٪ في ٢٣ شباط ١٩٧٣. وفي ٢٣ شباط ١٩٧٩، أعلنت المملكة رسمياً ملكيتها الكاملة لشركة أرامكو على ان تنشأ شركة جديدة هي «شركة البترول الوطنية السعودية» (بترومين) مكانها (عن د. ناصر ابراهيم الرشيد و د. إسير ابراهيم شاهين، «الملك فهد ومسيرة الإنجازات الحجازية في المملكة العربية السعودية» الصادر

خلاصته ان أي تغيير يتعلق بالانتداب البريطاني على فلسطين ينبغي ان يحظى بموافقة الولايات المتحدة، كما أوضح التصريح حينئذ ان مشروع تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين يجتذب كميات ضخمة من الذهب ورأس المال الاميركي مما يلعب دوراً رئيسياً في الموضوع.

وفي ٣٠ نيسان ١٩٤٣، أرسل الملك عبد العزيز رسالة إلى الرئيس روزفلت يحثه فيها مجدداً على اتخاذ الموقف العادل من القضية الفلسطينية. كما عبّر له في الرسالة نفسها عن اهتمامه البالغ واهتمام العرب والمسلمين في كافة أرجاء العالم بهذه القضية، حيث ان المؤامرات الصهيونية تخطط لجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود وطرد الشعب الفلسطيني من وطنه. وأنهى الملك رسالته قائلاً: «نحن لا نبغي القضاء على الشعب اليهودي ولا نطلب ذلك، كل ما نطلبه ان لا يُلغى الوجود العربي في فلسطين ليحل اليهود محل سكانها العرب. فلو ان كل شعب من شعوب الدول الحليفة اسهم بالمسؤولية عُشر ما عاناه الشعب الفلسطيني حتى تاريخه لكانت المشكلة اليهودية قد حُلّت. إن كل ما نطلبه في الوقت الحاضر هو مساعدة فخامتكم في وقف تدفق المهاجرين ووقف الهجرة بالكامل».

وفي ردّه الجوابي (١٥ تموز ١٩٤٣) اعاد روزفلت تأكيداتّه بأن الولايات المتحدة لن تتخذ أي قرار من شأنه ان يغيّر الوضع الأساسي في فلسطين دون التشاور الكامل مع العرب واليهود (ما جاء حول هذه المراسلات عن د. ناصر ابراهيم الرشيد ود. إسير ابراهيم شاهين، مرجع مذكور آنفاً، ص ٦٢-٦٤).

وفي السنة نفسها (١٩٤٣)، ومع تزايد اكتشاف الثروات الاسطورية في المملكة وتزايد المصالح الاميركية النفطية، أعلن الرئيس روزفلت أن الدفاع عن العربية السعودية هو من المصالح الحيوية للولايات المتحدة الاميركية.

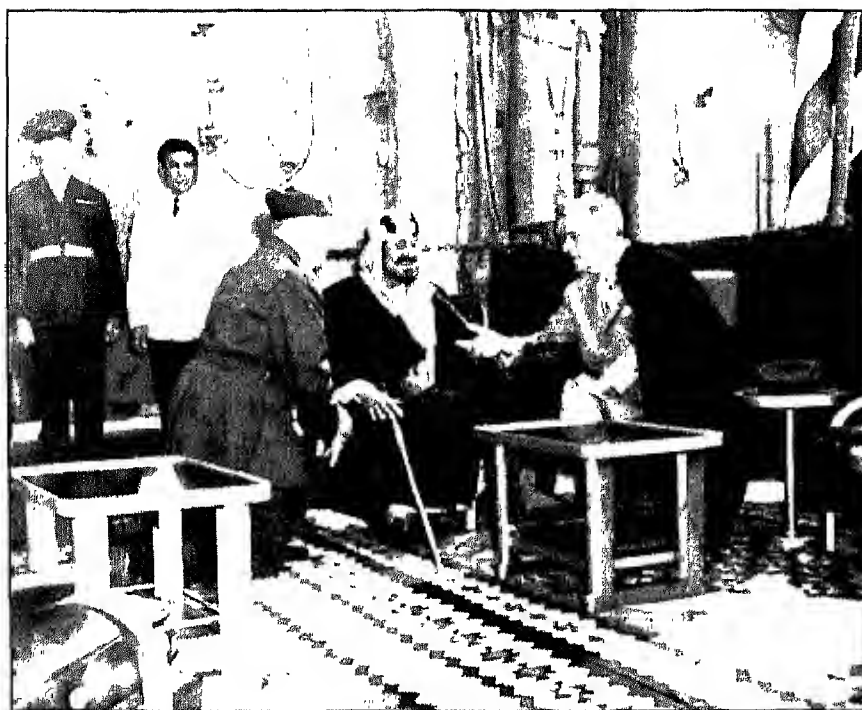
وكان الهدف من تقوية العلاقات مع الولايات المتحدة، دون غيرها من الدول الكبرى، هو اعتقاد الملك عبد العزيز بأن مثل هذه الخطوة قد تؤدي إلى تعييد النفوذ البريطاني المهيمن والاستعماري في المنطقة.

### مراسلات عبد العزيز-روزفلت

واجتماعهما: عقد هذا الاجتماع على ظهر بارجة حربية اميركية («مورفي») كانت راسية في البحيرة المالحة الكبرى في قناة السويس في ١٥ شباط ١٩٤٥، فيما كان الرئيس الاميركي فرانكلين روزفلت يتجه إلى بلاده عائداً من مؤتمر بالطا. وكل كلام كتبه المؤرخون حول هذا الاجتماع أظهر ان الموضوع الأساسي الذي دار بين الرجلين كان متعلقاً بالقضية الفلسطينية. والجدير بالذكر ان أول التحركات السياسية للولايات المتحدة في الشرق الاوسط كان في مؤتمر فرساي للسلام (١٩١٩) إثر إعلان الرئيس الاميركي ولسن مبادئه الاربعة عشر في البرنامج الذي قدّمه إلى الكونغرس ٨ كانون الثاني ١٩١٨، وان روزفلت كان قد انتخب رئيساً للولايات المتحدة في ١٩٣٣ أي بعد نحو سنة واحدة من إعلان الملكة العربية السعودية، وان مراسلات سياسية حول القضية الفلسطينية كانت قد بدأت بينهما قبل نحو ٧ سنوات من الاجتماع.

ففي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٨، بعث الملك برسالة إلى الرئيس روزفلت يّين له فيها حقيقة استحالة استتباب السلام في فلسطين دون الحفاظ على حقوق العرب فيها ودون ضمان علم تسليم فلسطين إلى فئة من الناس تختلف مبادئهم واخلاقياتهم اختلافاً شديداً عن المبادئ والاهداف والاخلاقيات العربية.

وفي رسالته الجوابية (٩ كانون الثاني ١٩٣٩) أوضح روزفلت ان موقف الولايات المتحدة من القضية الفلسطينية قد تمحّد في تصريح



لقاء عبد العزيز وروزفلت (شباط ١٩٤٥).

لقاء عبد العزيز وتشوشل (شباط ١٩٤٥).



في ١٢ نيسان) توفي روزفلت، وتسلم هاري ترومان زمام السلطة الاميركية. وكان من أول ما بادر إليه ترومان انه استدعى سفراءه من العالم العربي إلى واشنطن وأعلن لهم: «لاني آسف ايها السادة إذ عليّ ان أستجيب لأصوات مئات الألوف من الناس المتلهفين لانجاح الصهيونية. وكما تعلمون فإنه ليس هناك مئات الألوف من العرب في دوائر الانتخابية».

**السنوات الأخيرة من عهد الملك المؤسس عبد العزيز:** لم يحل الخلاف حول القضية الفلسطينية دون الاتفاق على مسائل عديدة أخرى. فقد استمرت العلاقات السعودية-الاميركية في التطور والنمو خاصة في المجالات النفطية والعسكرية. وفي ١٩٤٩، رفع التمثيل الدبلوماسي الاميركي في جدة إلى مستوى السفارة، ومددت في ١٩٥١ اتفاقية استعمال قاعدة الظهران خمس سنوات أخرى، واستمرت الولايات المتحدة في تسليح السعودية وتدريب قواتها المسلحة.

شاركت المملكة العربية السعودية في الحرب العربية-الاسرائيلية الأولى على الجبهة المصرية. وبذل عبد العزيز جهوداً لانتهاج سياسة حللرة ومحايدة مع الدول العربية، مواجهاً في الوقت نفسه مشاريع الاحلاف والمحاور التي كانت ناشطة في تلك الفترة (الهلل الخصب، سورية الكبرى...). وفي ١٩٥٢، أمر الملك عبد العزيز بإلغاء رسم الحج الذي كان بلغ آنذاك ٢٨ جنيهاً استرلينياً مما أكسبه شعبية كبيرة وسمعة طيبة في العالم الاسلامي.

توفي الملك عبد العزيز في ٩ تشرين الثاني ١٩٥٣ بعد حكم حافل بالاحداث المصرية استمر ٥١ عاماً أرسى خلالها دعائم المملكة ورسم الخطوط العريضة لسياساتها الداخلية والخارجية. وقد حكم طوال هذه الفترة حكماً مطلقاً لم يكن

جرى التحضير لاجتماع ١٥ شباط ١٩٤٥ بالسرية القصوى بسبب الاحطار السائدة في ظروف الحرب. واستغرق الاجتماع ساعات طويلة، وظهرت فيه مخلافات كبيرة في وجهات النظر حول مسألة الهجرة اليهودية إلى فلسطين. فقد بادر روزفلت، فور بدء الاجتماع، بالطلب من عبد العزيز قبوله بهجرة مائة ألف يهودي إلى فلسطين، فرفض الملك ذلك بشدة: «أعطوهم وأبناءهم أحسن أراضي وأحسن بيوت الألمان الذين نكلوا بهم». وردّ الرئيس ان لدى اليهود رغبة شديدة بالاستيطان في فلسطين، وانه يعتمد على الكرم العربي ومعارنة الملك في حل المشكلة الصهيونية. فأجاب الملك: «بل دع العدو الطاغبي نفسه يدفع لمن طفئانه. هكذا كانت سنة العرب في حروبهم، انحرم يدفع الثمن لا المراقب البري» (المرجع المذكور، ص ٦٦).

وما إن علم تشرشل، رئيس الوزراء البريطاني، نبأ اللقاء بين الملك عبد العزيز والرئيس روزفلت، حتى تملكه الغيظ فأرسل الرقيات إلى دبلوماسييه معبراً عن رغبته في مقابلة الملك السعودي، وتم له ذلك بعد يومين فقط، والتقى عبد العزيز في ١٧ شباط ١٩٤٥.

وفور عودته إلى بلاده، التقى الملك عبد العزيز في جدة (واوآخر شباط ١٩٤٥) عددًا من الممثلين الأجانب، منهم العقيد وليسم إدي رئيس البعثة الاميركية الذي نقل عن لسان الملك انه قال للمثلين الأجانب: «على اميركا وبريطانيا ان تختار بين أرض عربية يسودها السلام والهدوء أو أرض يهودية غارقة في الدماء» (كشف الستار عن مذكرة العقيد إدي في ١٨ ايار ١٩٦٩ حين نشرها مكتب وزير الخارجية الاميركي).

استمرت مراسلات عبد العزيز-روزفلت بعد لقاؤهما في ١٥ شباط ١٩٤٥. وفي رسالة جوابية (في ٥ نيسان ١٩٤٥)، أعاد روزفلت تأكيد مواقفه السابقة. لكن بعد اسبوع واحد (أي

والولايات المتحدة واسبانيا والمغرب وتونس وليبيا ولأثيوبيا (١٩٥٧)، كما عرض مراراً وساطة لحل الخلافات بين الدول الإسلامية (بين باكستان وأفغانستان في ١٩٥٧ وبين تركيا وسورية في العام نفسه). وقد لاقت سياسته العامة مشكلات أضعفته واضطرتته على التنازل عن العرش لأخيه الأمير فيصل.

تميزت سنوات حكمه الأولى بالتحالف مع مصر ضد الأردن والعراق الهاشميين. وتكرس هذا التحالف بمعاهدة صداقة ودفاع متبادلين بين السعودية ومصر في ١٩٥٥. وعندما وقع العدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦) اكتفى الملك سعود بقطع علاقاته الدبلوماسية مع فرنسا وبريطانيا، مما أدى إلى فتور في العلاقات السعودية-المصرية. وعندما أعلنت الوحدة بين مصر وسورية (١٩٥٨)، تحول هذا الفتور إلى عداء بلغ ذروته مع اتهام مصر الملك سعود بـ«تمويل مؤامرة لاغتيال الرئيس عبد الناصر»، ثم ازدادت هذه العلاقات تدهوراً في حرب اليمن (١٩٦٢).

ومع الأردن، أخذت العلاقات، بدءاً من ١٩٥٦، تتحسن بعد أن كان الحذر والعداء المبطن هو طابعها المميز نظراً إلى العداء التاريخية التي كانت قائمة بين الهاشميين والسعوديين.

ومع الكويت، توثقت العلاقات بعد أن أيدها الملك سعود في نزاعها مع العراق (١٩٦١)، وكذلك مع البحرين. لكنها تدهورت مع عُمان وأبو ظبي (الامارات العربية المتحدة) بسبب النزاع حول واحة البريمي (راجع «الامارات العربية المتحدة»، ج ٣، ص ١٧٢).

وفي عهد الملك سعود بدأت حرب اليمن التي اتخذت فيها المملكة جانب الملكيين وأمدتهم بالسلاح والعتاد والرجال منذ ١٩٦٢، ضد الجمهوريين الذين دعمهم الرئيس المصري عبد الناصر وأرسل جنوده ليقاتلوا إلى جانبهم. وكان ذلك من أسباب الصراع العنيف على المنطقة

يحد من صلاحياته الواسعة سوى التزامه بالشرعية الإسلامية واحترامه للاعراف والتحالفات القبلية والعشائرية. وفي عهده لم يكن قد بدأ التمييز فعلياً بين أموال الملك وبين أموال الدولة، ولم يتغير ذلك جزئياً إلا في أواخر حياته حين أصدر في ١٩٥١-١٩٥٢ أول ميزانية عامة في تاريخ المملكة وتبع ذلك إنشاء أول مصرف في البلاد. وفي تشرين الأول ١٩٥٣ (أي قبيل وفاته بأيام) أمر الملك عبد العزيز بإنشاء مجلس للوزراء يكون مسؤولاً مباشرة أمامه وله أن يمارس حق النقض على قراراته. وإضافة إلى ذلك فقد عمد الملك عبد العزيز إلى إدخال تحديثات مهمة على أساليب الحياة البدوية رغم المعارضة الشديدة التي كان يلقاها أحياناً من بعض غلاة رجال الدين، فأنشأ خطاً حديدياً بين الدمام والخليج العربي وشجع إنشاء الطرق الداخلية والمرافئ والمطارات، كما سمح بإنشاء إذاعة رسمية، بعد أن كانت الأرامكو هي التي تتولى البث عبر إذاعتها الخاصة. أما أبرز أعماله العمرانية والانمائية فكانت ولا شك مساهمته الكبيرة في توطين البدو في مدن وحواضر وقرى، وإقناعهم بالاستقرار والكف عن الغزو والتحارب، وكان بذلك يرسي قواعد بناء المجتمع السعودي وتوحيده وزرع فكرة الانتماء الوطني في أبنائه، بعد أن كان الانتماء القبلي هو العامل الحاسم.

**حكم الملك سعود بن عبد العزيز (١٩٥٣-١٩٦٤):** خلف عبد العزيز أبه الملك سعود على عرش المملكة، وكان ولياً للعهد منذ ١٩٣٣. وكان سعود قد قاد حملات كثيرة في معارك توحيد أرجاء المملكة.

ولتوّه، أخذ الملك سعود يُدخل على السياسة السعودية اسلوباً جديداً. فقام بعدة زيارات رسمية وخاصة إلى الخارج، وبدأ يشارك بنشاط في السياسة العربية والدولية، فزار باكستان (١٩٥٤) وإيران والهند (١٩٥٥)

لأية دولة تتعرض لعدوان مسلح من دولة تابعة لنفوذ الشيوعية الدولية. -مساعدة دول المنطقة (التي تحالف الولايات المتحدة) في تعضيد قوتها الاقتصادية. -منح مساعدات عسكرية اميركية للدول التي تطلب ذلك.

**الأمير فيصل في الواجهة والمسؤولية:** كان الملك سعود، كلما وجد نفسه أمام صعوبات داخلية كبيرة (الاصطدام بمصر الناصرية من خلال الحرب الاهلية اليمنية، تدهور الاوضاع الداخلية، وفقدان الريال قيمته...)، يستدعي أحياه وولي عهده ورئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية الأمير فيصل ليتولى مواجهة الأزمة. وقد ازدادت سلطة الأمير فيصل رسوخاً في ١٩٥٨ عندما منحه الملك سعود كامل الصلاحيات لاصلاح الاوضاع المالية والادارية في المملكة. وقد عمد الأمير فيصل إلى فرض سياسة تقشف أضرت بمصالح بعض الفئات المستفيدة من سياسة الانفلاش الاقتصادي في محاولة منه لوقف نزيف رؤوس الاموال.

وعندما اندلعت ثورة اليمن في ١٩٦٢ شعر الملك سعود بخطورة الأوضاع الناشئة عن هذه الثورة وعن انعكاساتها المحتملة على الوضع الداخلي (في ظل مدّ شعبي متصاعد في العالم العربي وموید للرئيس عبد الناصر) فطلب من الأمير فيصل العودة إلى مسؤولياته بعد ان كان ابتعد عنها لمدة نحو سنة ونصف السنة. فبادر فيصل إلى اتباع سياسة متصلة تجاه عبد الناصر، فقطع العلاقات الدبلوماسية مع مصر في ٦ تشرين الثاني ١٩٦٢ وطرد الرعايا المصريين من اراضي المملكة. وغادر الملك سعود البلاد إلى اوروبا للاستشفاء. وبعد عودته بقليل شارك في أعمال أول مؤتمر قمة عربي في مصر (١٩٦٤) مظهرًا فيه استعدادًا كبيرًا لفتح صفحة جديدة من العلاقات مع مصر واليمن. وكان هذا المؤتمر آخر نشاط عربي ودولي يشارك فيه، إذ ما إن عاد إلى الرياض

العربية بين مصر الناصرية والمملكة السعودية. وتوثقت علاقات المملكة، السياسية والاقتصادية والعسكرية، مع الولايات المتحدة الاميركية على حساب حليفاتها الغربيات كبريطانيا وفرنسا، مما سمح للملكة بالاستفادة من مساعدة برنامج «النقطة الرابعة»، إلا ان ذلك لم يصل إلى حد قبول المملكة بمشروع أيزنهاور. وبالمقابل فإن العلاقات مع الاتحاد السوفياتي كانت مقطوعة بسبب عدااء السعودية المعلن للمبادئ الشيوعية.

أما «النقطة الرابعة» فكانت تعني برنامج المساعدات الفنية الاميركي في الخمسينات لبعض الدول المتخلفة التي تدور سياسيًا في فلك الولايات المتحدة. وتعود التسمية إلى خطاب الرئيس الاميركي هاري ترومان في مطلع ١٩٤٩ حيث جاء في النقطة الرابعة منه ان على الدول الغنية ان تتحمل مسؤولياتها في مساعدة الدول الفقيرة. وقد تطور البرنامج بحيث شمل القروض والهبات العينية والمساعدات المالية تحت «برنامج الأمن المتبادل» وبهدف تعزيز النفوذ الاميركي في الدول التي يشملها البرنامج.

وأما «مشروع أيزنهاور»، الذي رفضت المملكة قبوله، فيتضمن على الخطوط العامة للسياسة الاميركية في منطقة الشرق الاوسط (من ليبيا غربًا إلى باكستان شرقًا وتركيا شمالًا وأثيوبيا وشبه الجزيرة العربية جنوبًا) التي أعلنها الرئيس الاميركي دوايت أيزنهاور بعد موافقة الكونغرس في ٥ كانون الثاني ١٩٥٧ على أثر فشل العدوان الثلاثي على مصر في حريف ١٩٥٦، وهي السياسة التي استهدفت ملء الفراغ الاستعماري المتأني من هزيمة بريطانيا وفرنسا المعنوية في حرب السويس (١٩٥٦) وأفول نجميهما كدول استعمارية رئيسية، وبالتالي فرض هيمنة الولايات المتحدة على المنطقة بذريعة الخطر الشيوعي. وتضمنت هذه السياسة: -حماية القوات الاميركية

في حرب حزيران ١٩٦٧ وانسحابها الكامل من اليمن في اواخر ذلك العام. وقد رفع الملك فيصل شعار «الجامعة الاسلامية» في وجه شعار «الوحدة العربية» التي كان ينادي بها عبد الناصر. كما دعم في اليمن الجنوبي المحتل نشاط القوى المناوئة للجهة القومية المحسوبة على مصر الناصرية. وبالمقابل، فقد قوى علاقات المملكة بالأنظمة الملكية في المنطقة وعلى رأسها الاردن وايران ودول الخليج العربي. وقد بلغ من حدة الصراع بين البلدين ان اتهمت السعودية مصر بتمويل أعمال «تخريبية» في المملكة ودعم نشاط «اتحاد الشعب في الجزيرة العربية»، وهو تنظيم سري أمكن القضاء عليه في ١٩٦٧ واعداد العديد من أعضائه.

نفوذ متعاضم للملك فيصل (الخقبة السعودية): بدأ نفوذ الملك فيصل يتعاضم على الساحة العربية بعد حرب حزيران ١٩٦٧، وبعد انعقاد مؤتمر الخرطوم الذي كرس المصالحة والذي بادر فيه الملك فيصل إلى اقتراح استعمال سلاح النفط من خلال العائدات المالية واستخدامها في المعركة بدلاً من قطعه عن البلدان المؤيدة لاسرائيل وقد وافق المؤتمرون على ذلك، وبعد أن بدأت مرحلة جديدة في سياسة المملكة قائمة على تقديم المساعدات المالية إلى العديد من البلدان العربية في إطار ما سمي بسياسة «التضامن العربي» ثم توسعت هذه المساعدات لتشمل كذلك الدول الاسلامية ودول العالم الثالث.

أما مع ايران فقد كانت العلاقات إجمالاً جيدة ومتينة رغم التنافس الواضح بين الملكيتين على زعامة الخليج العربي. وقد شهدت هذه العلاقات توتراً واضحاً مع تجدد مطالبه النظام الشاهنشاهي عام ١٩٦٨ بضم البحرين. إلا ان هذا التوتر لم يدم طويلاً، إذ توصل البلدان في تشرين الاول من العام نفسه إلى اتفاق حول رسم

حتى أعلن تنازله عن العرش (في الاول من تشرين الثاني ١٩٦٤) بطلب من العائلة المالكة ورجال الدين لصالح أخيه فيصل، وانتقل إلى القاهرة ومنها إلى اليونان حيث توفي (١٩٦٩).

### حكم الملك فيصل (١٩٦٤-١٩٧٥):

بادر الملك فيصل، فور مبايعته، بتعيين الامير خالد بن عبد العزيز ولياً للعهد. وكان الملك فيصل بدأ الإمساك بالسلطة فعلياً منذ نهاية ١٩٦٢ حيث أول إجراء اتخذ هو إلغاء الرق من البلاد. وكان هذا مبدءاً أساسياً من مبادئه العشرة (راجع «معالم تاريخية»).

عمل فيصل على الاستمرار في تنمية البلاد في مختلف القطاعات والصعد. وامتاز بتوسيعه عملية توطين البدو وتأمين كل وسائل الحياة العصرية لهم، وتطوير الزراعة وخلق قطاع صناعي متطور. أما على الصعيد النفطي فقد حاول، بمحدود ضيق، تقليص تبعية السعودية لشركة أرامكو فأمر بإنشاء شركة النفط السعودية «بترومين». واتبع الملك فيصل سياسة دفاعية وتسليحية نشطة فقوى الحرس الوطني وعمق التعاون التدريبي والتسليحي مع الولايات المتحدة.

إلا أن أبرز اثر تركه الملك فيصل كان في مجال السياسة العربية والاسلامية. فبعد ان عاصر الثورة المصرية وتعاطف معها، أخذ ابتداءً من ١٩٥٨ يتعد عن تأييدها. ثم تحول الابتعاد إلى عداء واضح مع اقضاه مصر للتحالف مع الاتحاد السوفياتي واتخاذ قرارات ١٩٦١ الاشتراكية. ومع ثورة اليمن (١٩٦٢) ووقوف عبد الناصر عسكرياً وسياسياً واقتصادياً إلى جانبها، تحول العداء إلى صراع مكشوف وأصبح الشغل الشاغل للملك فيصل الحيلولة دون توسع النفوذ الناصري داخل شبه الجزيرة العربية، فأمد الملك فيصل «الملكيين» اليسيرين بالسلاح والمال. ولم يتوقف الصراع العنيف بين فيصل وعبد الناصر إلا مع هزيمة مصر



والمصري، وإعادة بناء المؤسسات والمنشآت التي تهدمت أثناء الحرب.

**سلاح النفط والقدس في سياسة فيصل:**  
شاركت المملكة في استعمال سلاح النفط في سبيل فرض حل للمشكلة الفلسطينية وتحرير القدس. وهذه الغاية حففت المملكة إنتاجها من النفط تدريجياً وقطعت نهائياً عن هولندا والولايات المتحدة فترة قصيرة لتأييدهما غير المشروط لاسرائيل. غير ان هذا الموقف لم يؤد إلى قطع العلاقات مع الولايات المتحدة، أو إلى أي تغيير في موقف المملكة من الاتحاد السوفياتي، فكان تعبيراً عن تصلب في مواقف الملك فيصل الملتزم القضية الفلسطينية رافقها ازدياد في قيمة المساعدات لدول الواجهة (مصر، سورية، الاردن، ومنظمة التحرير الفلسطينية)، ومزيد من الانفتاح على الدول الأوروبية التي كانت الضحية الرئيسية لهذه «الصدمة» النفطية الأولى، بالإضافة إلى انفتاح واسع للسوق السعودية على السوق العالمية (صفقات التصنيع والتسليح) والدخول في ما سمي آنذاك «إعادة تدوير فوائض النفط». وفي ١٩٧٤، توصلت المملكة والولايات المتحدة إلى عقد اتفاق كبير للتعاون الاقتصادي والعسكري بالرغم من الخلافات الواسعة التي كانت لا تزال تفصل بين البلدين بالنسبة إلى حل مشكلة الصراع العربي-الاسرائيلي.

وكان الملك، رغم تساهل أبعاده في مسألة أسعار النفط وحتى في ما يتعلق بالحل الشامل للقضية الفلسطينية، متشددًا في مفاوضاته مع وزير الخارجية الأميركي آنذاك هنري كيسنجر حول مسألة القدس، تلك المدينة التي طالما ردّد الملك انه يتمنى ان «يصلي فيها قبل وفاته». لذلك فإن دبلوماسية كيسنجر المكوكية كانت تصطدم دائماً بموقف الملك فيصل الصارم من هذه النقطة، إضافة إلى عدم ثقة الملك بكيسنجر شخصياً.

حدودهما البحرية. وبعد ذلك بشهر واحد قام الشاه بزيارة رسمية للسعودية.

من جهة أخرى فقد رعت المملكة العربية السعودية في عهد الملك فيصل قيام اتحاد الامارات العربية بعد الانسحاب البريطاني حرصاً منها على تأمين الاستقرار في هذا الجزء الحساس من الخليج، وخوفاً من ان يؤدي أي تصادم محتمل بين المشيخات والامارات المستقلة حديثاً إلى تدخل القوى العظمى والمحلية على حدود المملكة، وما قد يجره ذلك من مشكلات هي في غنى عنها، خاصة وان ثورة ظفار والاتجاهات اليسارية التي كان النظام الجديد في جنوب اليمن قد أخذ يتبناها، كانت تثير قلق القادة السعوديين.

واستمرت السياسة الخارجية السعودية (بعد ١٩٦٧) تفرض نفسها على المنطقة والعالم، ولكن بصمت وهدوء، حتى لقد عرفت تلك السياسة بـ«السياسة الصامتة» كما ان العديد من المراقبين لم يتردد في إطلاق تعبير «الحقبة السعودية» على السياسة العربية في تلك الفترة.

وبرز وزن المملكة وتأثيرها بعد وفاة الرئيس المصري جمال عبد الناصر (١٩٧٠) وعلى اثر حرب تشرين ١٩٧٣، وما رافق هذين الحدثين من تغيير جذري أو تدريجي في التحالفات السياسية العربية والدولية. وقد أتاحت المساعدات المالية السعودية لنظام الرئيس المصري أنور السادات العمل على إخراج السوفيات من مصر وتقوية علاقاتها بالولايات المتحدة واتباع سياسة الانفتاح داخلياً. وكذلك الحال مع السودان، فبعد فشل الانقلاب اليساري على الرئيس النميري (١٩٧١)، أخذت السودان تغير تحالفاتها العربية والدولية وتعتمد أكثر فأكثر على المساعدات المالية السعودية، وعندما اندلعت حرب تشرين الأول ١٩٧٣، وتضاعفت أسعار النفط، أصبحت المملكة تملك قوة مالية هائلة، وأصبحت الممول الرئيسي لعملية إعادة تسليح الجيش السوري

باعتباره ضماناً ضد عودة السياسة الناصرية وعودة الاتحاد السوفياتي إلى مصر والمنطقة. وعندما قام السادات بمبادرته الشهيرة (زيارة القدس في تشرين الثاني ١٩٧٧)، بدأت المملكة تراجع عن تأييده، ثم تخلت عنه بعد أن تأكد اتجاهه نحو التوقيع على اتفاق سلم منفصل مع إسرائيل. وقد برز موقف المملكة واضحاً في مؤتمر بغداد ١٩٧٩.

لكن في هذه السنة، تعرضت المملكة لحادث خطير، هو حادث مكة الشهر (راجع باب «معالم تاريخية») الذي انتهى بقتل أو بإعدام معظم القائمين به وعلى رأسهم جهيمة بن نسيب العتيبي. وعلى أثر هذا الحادث ومضاعفاته، قررت المملكة تشكيل «نظام السوري» وكلفت لجنة مؤلفة من ثمانية أشخاص برئاسة الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية بإعداد النظام الأساسي للبلاد.

كما أفلقت المملكة التطورات الخطيرة التي جرت في البلدان المجاورة وعلى رأسها: أحداث إيران والثورة الإسلامية فيها، التدخل السوفياتي في أفغانستان، والحرب العراقية-الإيرانية. فعمدت إلى تخصيص المزيد من ثروتها للتسليح، وتعاقبت على صفقات كبيرة من الأسلحة مع كل من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا. وحرصاً منها على عدم تعرض المنطقة لأحداث عنيفة بذلت جهودها في لبنان وسورية ولدى الولايات المتحدة أثناء «أزمة الصواريخ السورية»، ثم تقدمت، ولأول مرة في تاريخها، بمبادرة علنية لحل مشكلة الصراع العربي-الإسرائيلي عرفت باسم «مشروع فهد»، أي الأمير فهد (الملك بعد ذلك) الذي قدم في مؤتمر فاس في صيف ١٩٨١ (راجع باب «معالم تاريخية»)، لكنه فشل آنذاك في الحصول على إجماع عربي. وفي هذا الإطار أيضاً يمكن فهم إنشاء «مجلس التعاون الخليجي» (راجع «الخليج العربي»، ج ٨) في ١٩٨١ الذي كرّس نقل المملكة في الخليج وفي المنطقة العربية.

في ظل هذه الأجواء، وفيما كانت المساعي الدولية لحل الصراع في الشرق الأوسط على أشدها اغتيل الملك فيصل في ٢٥ آذار ١٩٧٥ على يد ابن أخيه فيصل بن مساعد بن عبد العزيز تاركاً وراءه فراغاً سياسياً كبيراً.

**حكم الملك خالد بن عبد العزيز (١٩٧٥-١٩٨٢):** خلف الملك خالد أخاه فيصل مرتقياً العرش ومبادراً لتوّه على أمرين: الأول، اختيار الأمير فهد ولياً للعهد ونائباً أول لرئيس مجلس الوزراء وتعيين الأمير عبد الله نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء ورئيساً للحرس الوطني؛ والثاني، تأكيد استمرارية سياسة الملك فيصل القائمة على تدعيم و«وحدة الصف الإسلامي والتضامن العربي» و«استعادة الأراضي المحتلة» و«تحرير القدس من براثن الصهيونية».

في آذار ١٩٧٦، أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين المملكة وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية رغم الاختلاف الكبير في طبيعة النظامين. وقد أزعج البلدين التدخل الإيراني في عُمان وألقهما، فبادرا إلى إيجاد الظروف المناسبة لقطع الطريق أمام النفوذ الإيراني في شبه الجزيرة العربية فقطعت عدن دعمها العلني لثورة ظفار وأخذت المملكة تقدم المساعدات لليمن الجنوبي (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية).

واستمرت المملكة في محاولة ردم بؤر التوتر في المنطقة العربية، وبرز ذلك بوضوح في مؤتمر الرياض (تشرين الأول ١٩٧٦) الذي وضع حلاً - دون نجاح - للحرب اللبنانية بإنشاء قوات الردع العربية باعتبارها قوات الشرعية اللبنانية، والذي كرّس المصالحة - مصالحة هشة وغير ناجحة أيضاً - بين الرئيسين المصري والسوري اللذين كان قد اختلفا بعد اتفاقيات فك الارتباط الثانية في سيناء (١٩٧٥). وتجدر الإشارة إلى ان المملكة أيدت، منذ ١٩٧١، نظام الرئيس المصري أنور السادات

رأس تنوره والقصر الملكي. وكذلك، وقع الأمير سلطان مع البرازيل (خلال زيارته لها في تشرين الاول ١٩٨٤) اتفاقاً للتعاون العسكري بين البلدين.

وفي العام نفسه ايضاً (١٩٨٤) وقعت فرنسا عقداً مع المملكة لتزويدها بصواريخ مضادة للطائرات لحماية حقول النفط السعودية وأهداف حيوية أخرى. وكانت فرنسا والمملكة قد اتفقتا في ١٩٨٠ على عقد لتزويد المملكة بالطائرات العمودية والبوارج والمنشآت البحرية.

وكادت ان تقع معركة جوية كبيرة (حزيران ١٩٨٤) بين السعودية وايران على اثر إسقاط طائرة إيرانية تمكنت منها طائرتان سعوديتان. وكانت السعودية حازمة في الرد مخذرة «الآخرين ألا يخطئوا في تفسير اعتدالنا». وبعد نحو اسبوع، اجتمع في الطائف، وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي ودرسوا خطوات عسكرية للدفاع عن الناقلات (والحرب العراقية-الايرائية في أشدها)، واتسمت لمجتهم بالاعتدال، واختاروا الغطاء الجوي كأبجح وسيلة دفاعية. وفي أواخر حزيران (١٩٨٤)، عقدت في مكة قمة ثلاثية ضمت الملك فهد والملك حسين (الاردن) والرئيس ضياء الحق (باكستان). وكان لهذه القمة أهمية خاصة لسببين على الأقل: العلاقة العسكرية الخاصة التي تربط بين السعودية وباكستان، والروابط القديمة بين الحسين وضياء الحق، وهو ضابط سابق في الجيش كان في عمان في العام ١٩٧٠. وجرى الحديث أثناء هذه القمة ان السعودية والندول الخليفة في الساحل الغربي للخليج قررت ان الغطاء الجوي هو أفضل وسيلة لحماية الملاحة خارج منطقة الحرب العراقية-الايرائية شمالي الخليج. وفي ايلول ١٩٨٤، عقد اجتماع لوزراء الخارجية والدفاع للدول الست في مجلس التعاون بحث في ميثاق دفاعي مشترك وفي إنشاء قوة ردع ذاتية. وبعد نحو اسبوعين، أجرى

وفي عهد الملك خالد، انتهت خطة التنمية السعودية الثانية (ايار ١٩٨٠) التي ركزت على تنويع القاعدة الاقتصادية حتى لا يبقى اعتماد الدولة مقتصرًا على إيراداتها النفطية محققة إنجازات كبيرة، وبدأت الخطة الثالثة في إطار حركتي التطور الصناعي والتربوي اللتين كانتا سائرتين قديماً حين توفي الملك خالد في حزيران ١٩٨٢.

### حكم الملك فهد بن عبد العزيز

(١٩٨٢-): في ١٢ حزيران ١٩٨٢، أصبح ولي العهد فهد بن عبد العزيز العاهل الجديد للمملكة العربية السعودية. وقد تميز عهده، خاصة في سنواته الأولى، باهتمام بارز أبداه الملك لشؤون الأمن والدفاع والتعليم.

كان محور شأني الأمن والدفاع عدم رغبة المملكة في ان تصبح شبه الجزيرة العربية ساحة نزاع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، فضلاً عن أجواء التوتر التي كانت تعيشها المنطقة في تلك الفترة إضافة إلى حرب الخليج الأولى أو الحرب العراقية-الايرائية.

وبسبب ضغط المعارضة الهائل في واشنطن ضد تصدير الأسلحة الأميركية إلى العالم العربي بما فيه المملكة العربية السعودية، جاء ملفتا تصريح الأمير بندر بن سلطان السفير السعودي في الولايات المتحدة، في نيسان ١٩٨٤، من انه «نتحول إلى السوفيات إذا لم نحصل على أسلحة اميركية»، مذكراً ان حجم التجارة الاميركية مع الدول العربية يبلغ نحو ١٣ مليار دولار سنوياً مما يوفر نحو ٦٠٠ ألف فرصة عمل للاميركيين. وبعد ايام، دعا السفير إلى حفل عشاء حضره السفير السوفياتي في واشنطن (علمًا انه لم تكن هناك علاقات دبلوماسية بين المملكة والاتحاد السوفياتي). وقد بدا واضحاً ان هذا التهديد أتى ثماره، إذ بعد نحو شهر أعلنت واشنطن رسمياً إرسالها ٤٠٠ صاروخ ستينغر إلى السعودية لحماية

الجلس انتخبا غير مباشر، وفي مرحلة أخيرة، ينتخب معظم أعضاء المجلس مباشرة.

في ١٩٨٥، حين اعترفت المملكة العربية السعودية شراء معدات عسكرية أميركية بمبلغ يقارب الخمسة بلايين دولار وقامت قائمة اللوبي المعارض ذي النفوذ العارم في الكونغرس، متوعدين بوقف الصفقة، توجه الأمير سلطان والقيادة السعودية نحو بريطانيا التي رحبت بهذه الصفقة الضخمة. وبعد وقت قصير، لاقت صفقة بيع صواريخ أميركية إلى المملكة حرباً شعواء أخرى من اللوبي الصهيوني في الكونغرس الأميركي، مما كاد يلغي الصفقة لولا تدخل الرئيس الأميركي ريغان بنقض قرار الاعتراض وأبرمت الصفقة في حزيران ١٩٨٦ (عن «الجيش» في المملكة، راجع باب «معالم تاريخية»).

مجلس التعاون مناورات عسكرية في المنطقة الشرقية للسعودية.

في غمرة هذه الحركية الأمنية والعسكرية التي اتسمت بها السياسة السعودية في العام ١٩٨٤، قال الملك فهد، وللمرة الأولى في تاريخ المملكة، في حديث مع طلاب كلية الملك فيصل العسكرية في الظهران (آذار ١٩٨٤) إن «مشروع التجنيد الاجباري يدرس حالياً بهدف تحديد أفضل السبل التي تضمن مشاركة كل القطاعات في الدفاع عن البلاد». وكان الملك فهد، وللمرة الأولى ايضاً، أثار (في كانون الأول ١٩٨٤) مسألة قيام برلمان على مراحل ووضع دستور دائم للمملكة، موضحاً انه في مرحلة أولى سيعين أعضاء المجلس، وفي مرحلة لاحقة ينتخب نصف أعضاء

الثالث في سفارة المملكة في بانكوك. وفي ٢٩ آذار، اغتيل ايضاً إمام مسجد بروكسيل (سعودي) وأحد معاونيه. وفي ١٠ تموز، جرى انفجاران في مدينة مكة المكرمة، وانفجار ثالث بعد اسبوع، وأنهم ١٦ شيعياً كويتياً بها.

١٩٩٠: في كانون الثاني، تناول تقرير منظمة العفو الدولية، في جملة ما تناوله حول العالم، وجود ٧٠٠ موقوف سياسي، في السجون السعودية، جلهم أعضاء في حزب الله وفي حزب العمل الاشتراكي العربي. في أول شباط، اغتيل ٣ دبلوماسيين سعوديين في بانكوك. في ٢ تموز، وقع عدد كبير من القتلى (مئات) ضحايا هلع وقع في نفق في مدينة مكة المكرمة. في ٢١ تموز، أقامت المملكة علاقات دبلوماسية مع الصين. في ٢٩ آب، اشترت للملكة أسلحة أميركية بقيمة ٢،٢ مليار دولار. في تشرين الثاني، جرت تظاهرة نسائية ضمت ٤٧ امرأة طالبن بحق المرأة في قيادة السيارة (منع القانون السعودي المرأة من قيادة السيارة).

## كرونولوجيا ١٩٨٧-١٩٩٨

١٩٨٧: في ٣١ تموز، وقعت حوادث دموية بين عدد من الحجاج وقوات الأمن في مدينة مكة المكرمة، وسقط عدد من القتلى، بينهم حجاج إيرانيون.

١٩٨٨: المملكة تواصل جهودها لتأمين السلاح اللازم لقواتها المسلحة، وتعد، في ٣ تموز، صفقة مع بريطانيا لشراء سلاح بقيمة نحو ٢٠ مليار دولار (٥٠ طائرة تورنادو، ٦٠ هوك، ٨٠ هليكوبتر...)، وتشري بريطانيا بالمقابل ٢٠ مليون طن من النفط سنوياً. وفي ١٦ تشرين الثاني، أعلنت المملكة اعترافها بإقامة «دولة فلسطين».

١٩٨٩: في ٤ كانون الثاني، أعلنت منظمة الجهاد الاسلامي مسؤوليتها عن اغتيال السكرتير السعودي

في ١٢ تموز، زار حيدر علييف رئيس جمهورية أذربيجان المملكة، ووقعت الدولتان اتفاقاً ينظم التعاون بينهما في المجالات الاقتصادية والتجارية والثقافية والعلمية والشبابية.

في ٢٦ ايلول، أصدرت وزارة الداخلية السعودية بياناً حول توقيف «١١٠ أشخاص من الذين حاولوا إثارة الشغب والفتنة في السعودية... ولم يلتزموا تعهدات سابقة بعدم إثارة المشاكل وعلى رأس هؤلاء الشيخان سلمان بن فهد العوده وسفر بن عبد الرحمن الحوالي المعروفان بتشددهما ومعارضتهما السياسية والدينية استناداً إلى أفكار أصولية متطرفة وليست اصلاحية». لم يبق، قيد التحقيق، في اواسط تشرين الثاني سوى ٢٧ شخصاً.

في ٢٧ ايلول، أعلن رئيس كازاخستان نور سلطان نزاربايف أثناء زيارته السعودية انه اتفق وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد على تبادل السفراء بين البلدين.

في تشرين الاول، وبعد إنشاء وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (في ١٩٩٣)، قررت المملكة إنشاء «المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية»، وأصدر الملك فهد موافقته على أن يرأس المجلس الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران، ويضم المجلس وزير الداخلية والخارجية والمال والاقتصاد والتعليم العالي والعدل والشؤون الاسلامية، إضافة إلى الأمين العام لرابطة العالم الاسلامي.

في ٢٨ تشرين الاول، صدر بيان مشترك بعد محادثات الملك فهد والرئيس الاميركي كلينتون (الذي زار السعودية في إطار جولة له في الشرق الاوسط) شرح الموضوعات التي بحث فيها الزعيمان ودارت حول ثلاثة محاور رئيسية هي العلاقات الثنائية والوضع في منطقة الخليج وتطورات عملية السلام.

١٩٩٥: أظهرت الموازنة التي صدرت في اوائل هذا العام ان السعودية نجحت في تحرير اقتصادها عبر العديد من البرامج كان أبرزها خفض الانفاق وتدعيم دور القطاع الخاص والتخلص من الدين الخارجي وتراجع العجز في الناتج المحلي الاجمالي.

وواكب هذه الانجازات الاقتصادية إجراءات إعادة ترتيب الداخل عبر أكبر موجة من التغييرات، إذ شهد العام (٢٠٠٢) أكبر تعديل وزارتي دخل بموجبه ١٥ وزيراً

١٩٩١: حرب الخليج الثانية (راجع «ايران»، ج ٤، و«العراق» في هذا الجزء). في ٢٠ شباط، استأنفت المملكة علاقاتها الدبلوماسية مع ايران (كانت مقطوعة منذ نيسان ١٩٨٨).

١٩٩٢: في آذار، اصدر الملك فهد ثلاثة أنظمة جديدة لادارة الحكم في المملكة هي النظام الأساسي للحكم ونظام مجلس الشورى ونظام المناطق (راجع «بطاقة تعريف»).

١٩٩٣: في صيف هذا العام، تعرضت المملكة العربية السعودية إلى حملة إعلامية قاسية في الولايات المتحدة (والدول الغربية الخليفة لها) «ظاهرها اقتصادي وباطنها سياسي». وأتموزج هذه الحملة مقالا «نيويورك تايمز» في ٢٢ و ٢٣ آب، ومقال «واشنطن بوست» في ٢٩ آب، وما اقترح في هذه المقالات من إجراءات اقتصادية ضد المملكة.

في ٢٠ آب، اصدر خادم الحرمين الشريفين للملك فهد بن عبد العزيز أربعة أوامر ملكية في شأن نظام مجلس الوزراء، ومدة من يعين بمرتبة وزير أو في المرتبة الممتازة، وتشكيل مجلس الشورى من ٦٠ عضواً ونظام مجلس الشورى (راجع «بطاقة تعريف»). وتدخل هذه الأوامر في إطار مرحلة جديدة من مراحل التطوير السياسي في المملكة.

في ٢٩ كانون الاول، افتتح الملك فهد أول مجلس للشورى في العهد السعودي الجديد بكلمة أشاد فيها بقيام المجلس، فيما أكد «مسؤول سعودي كبير» ان المملكة ماضية في طريق العمل الجاد من اجل تحديث جميع الأنظمة الادارية وتطويرها بما يتفق مع طبيعة العصر.

١٩٩٤: في كانون الثاني، زار رئيس الوزراء الفرنسي ادوار بالادور السعودية وعقد محادثات مع الملك فهد، كما عقد الأمير سلطان النائب الثاني لرئيس الوزراء وزير الدفاع والطيران اجتماعاً مع وزير الدفاع والخارجية الفرنسيين في حضور الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي، أعلن بعدها بالادور ان المحادثات التي أجراها في السعودية أسفرت عن اتفاق على تشكيل لجنة من الخبراء من البلدين لتابعة استكمال عقود مشاريع التعاون العسكري والاقتصادي التي سبق ان أعدت دراستها.



من الاعلى، ثم من اليسار الى اليمين حتى الصورة الادنى، الملوك السعوديون مع الرؤساء الاميركيين: عبد العزيز وروزفلت، فيصل (وكان وزيراً للخارجية) وترومان، سعود وايزنهاور، سعود وكينيدي، فيصل وجونسون، فيصل وليكسون، فهد (وكان ولياً للعهد) وفورد، خالد وكارتر، فهد وريغان، فهد وبوش، وفهد وكلينتون.



الامير سلطان بن عبد العزيز مع الرئيس كلينتون وزوجته هيلاري (تشرين الاول ١٩٩٥).

البعثة العسكرية الاميركية في الرياض (١٣ تشرين الاول).

١٩٩٦: في اليوم الاول من كانون الثاني، عهد الملك فهد لولي العهد الأمير عبد الله القيام بأعمال الدولة أثناء قضائه فترة راحة بسبب وعكة صحية ألمت به. وفي اليوم التالي، أكدت واشنطن ثقتها باستقرار السعودية. وفي ١٩ كانون الثاني، أكد مصدر سعودي مسؤول ان الحملات الاعلامية لن تجعل المملكة تهزول نحو السلام مع اسرائيل. وفي ٣١ كانون الثاني، استقبل الملك فهد أمراء البلاد.

في ١٢ شباط، رأس الملك فهد جلسة مجلس الوزراء السعودي لأول مرة بعد قضائه فترة راحة، وأعلن ان إنفاق السعودية في ١٠ سنين على مكة المكرمة والمدينة المنورة تجاوز ٧٠ مليون ريال.

في ٤ آذار، أعلنت السعودية وقوفها إلى جانب سورية في مفاوضات السلام (وكانت هذه المفاوضات بين سورية واسرائيل توقفت قبل أقل من شهر واحد، أي في شباط ١٩٩٦). وفي ٢٧ آذار، أعلن الأمير سلطان (النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران) استعداد السعودية للوقوف مع البحرين بعد أحداث الشغب التي شهدتها.

في ١٧ نيسان، أعلنت الرياض إحباط محاولة لتفريب ٣٨ كيلوغراماً من المواد المتفجرة نفلها شخص سعودي عن طريق منفذ الحدودية شمالي السعودية. وفي ٢٢ نيسان، أعلن الأمير نايف بن عبد العزيز اعتقال أربعة

جديداً في عملية لضخ دماء شابة في المجلس أدت إلى حركة تطور واسعة في العمل الاداري في كل الوزارات، ورافق ذلك تفعيل لدور مجلس الشورى.

إسلامياً، شهد العام أعمالاً عديدة، أبرزها افتتاح المركز الاسلامي في روما، وأكاديمية الملك فهد في بون، وإنشاء كرسي الملك فهد للدراسات الاسلامية في جامعة لندن، وكرسي الأمير نايف للدراسات الاسلامية في موسكو، ودعم بعض المراكز الاسلامية في لندن واسطنبول وغيرها.

سياسياً، شهد العام تشديداً سعودياً على الثوابت السياسية وربط السلام في المنطقة بالانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة، بما فيها القدس والتقدم على المسارين السوري واللبناني، ورفض السعودية سياسة التطبيع الاقتصادي مع اسرائيل وإقامة البنك الاقليمي للتنمية.

وعملت السعودية على إعادة صوغ العلاقات السعودية مع دول عربية عدة كان أبرزها توقيع مذكرة التفاهم السعودية اليمنية وعقد القمة السعودية اليمنية وانطلاقة عمل اللجان المشتركة بين البلدين (راجع باب «معالم تاريخية»). وقد صاحب ذلك انفتاح مماثل في اتجاه الاردن توج بلقاء الملك حسين والأمير سلطان في نيويورك بعد زيارة وزير الخارجية الاردني عبد الكريم الكباريتي إلى السعودية ولقائه مع الأمير سعود الفيصل وتأكيد البلدين رغبتهما في العودة بالعلاقات إلى ما كانت عليه من قوة. أما الحوادث الأمسي الأبرز فتمثل في تفجير مقر

بين بريطانيا والسعودية حول مفهوم الارهاب». وفي ١٧ تموز، أعلن الأمير سلطان بن عبد العزيز حرص السعودية على سلامة كل أجنبي على أرضها مثل حرصها على المواطن السعودي.

في ٥ آب، شدّد الملك فهد على حرص السعودية على مواصلة السعي إلى السلام في المنطقة.

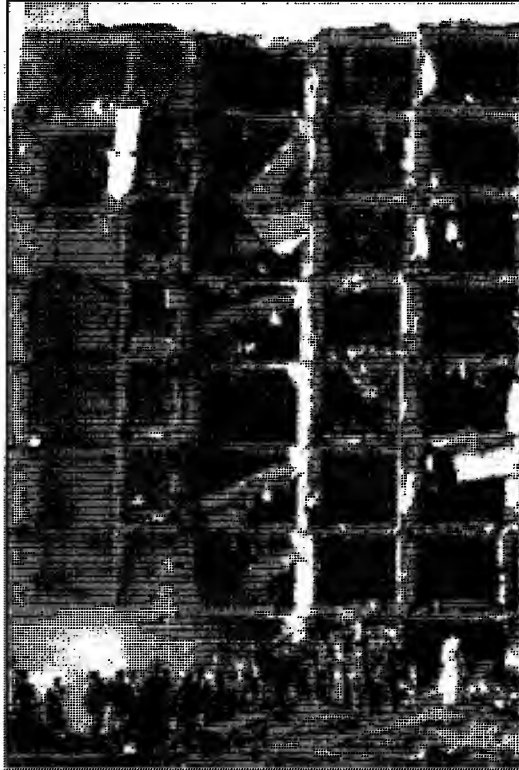
في ١٣ ايلول، صادقت السعودية على معاهدة حظر الاسلحة الكيماوية.

في ٧ كانون الاول، رأس الأمير عبد الله بن عبد العزيز نيابة عن الملك فهد وفد السعودية إلى القمة الخليجية في الدوحة. وفي ١٥ كانون الاول، أكد الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي جميل الحجيلان ان السعودية ماضية في وساطتها لحل الخلاف الحدودي بين البحرين وقطر. وفي ١٧ كانون الاول، تشرف الامير عبد الله بن عبد العزيز بغسل الكعبة المشرفة إيداناً بانتهاء أعمال الترميم التي نفذت للمرة الاولى منذ ٣٧٠ سنة. وفي ٢١ كانون الاول، أعلن الأمير نايف بن عبد العزيز ترحيل السعودية نحو ٤٠٠ ألف مقيم بصورة غير نظامية سنوياً.

سعوديين ارتكبوا حادث التفجير الذي وقع في حي العليا في مدينة الرياض في ١٣ تشرين الاول ١٩٩٥ (وفي ٣٠ ايار، تم إعدام منفذي هذا التفجير).

في ٧ حزيران، شاركت السعودية في القمة العربية الثلاثية المصغرة في دمشق (الرئيس حافظ الأسد والرئيس حسني مبارك والأمير عبد الله بن عبد العزيز). وفي ٢٥ حزيران، انفجرت سيارة مفخخة في مدينة الخبر في المنطقة الشرقية، وأدى الانفجار إلى مقتل ١٩ عسكرياً أميركياً وإصابة ٤٨٦ شخصاً من جنسيات مختلفة (أوضحت السلطات السعودية في ما بعد ان منفذي التفجير هم من السعوديين الذين دعمتهم جهات أجنبية، وان «خلفيات الحادث متوافرة لدى السلطات السعودية». واستمرت التحقيقات. وفي ٢٨ نيسان ١٩٩٨، سئل وزير الداخلية الأمير نايف عن التحقيقات في انفجار الخبر، وهل اثبتت الاتهام الموجه إلى ايران بالضلوع فيه، فأجاب: «نحن لم نرى، ولم نتهم». وكرّر ان «الحقائق تحت أيدينا ولا بد من استكمال كل ما له علاقة بهذا الأمر».

في ٢ تموز، أعلن وزير خارجية بريطانيا مالكوم ريفكند في جدة بعد لقاء الملك فهد «تطابق وجهات النظر



انفجار الخبر (٢٥ حزيران ١٩٩٦).

والخبر مدينة في المنطقة الشرقية، قرب الدمام، تحولت بسرعة مذهلة إلى مدينة حديثة بعد اكتشاف النفط، وخاصة بعد المشاريع الصناعية الضخمة في المنطقة. تمتلئ أحيائها وشوارعها بالقادمين للعمل من جنسيات متعددة، من بلدان عربية وآسيوية وأوروبية، ومن الاميركيين العاملين في الشركات ومن رجال القوات الاميركية الجوية القادمين من القاعدة الجوية.





الرئيس الفرنسي جاك شيراك مع الامير عبد الله ولي العهد.

ومع الامير سلطان وزير الدفاع والطيران.



الحدود. وكان لقاء مماثل في العاصمة اليمنية (٢١ تموز)، وبعد اسبوع، زار الملكة وزير الداخلية اليمني لاستكمال المحادثات. وفي ١٣ تشرين الاول، نقل الأمير نايف للرئيس اليمني رسالة من الملك فهد، ثم وقع حادث حدودي (٢٥ تشرين الثاني) أدى إلى مقتل سعوديين، وأكدت الملكة انه لم يؤثر في التفاوض وان لا تغيير في موقفها لجهة العمل من اجل التوصل إلى اتفاق نهائي مع اليمن يطوي ملف الحدود (حول هذا الملف راجع باب «معالم تاريخية»).

في ١٦ حزيران، أكد الأمير سلطان معارضة

١٩٩٧: تميز هذا العام بتكثيف السعودية

اتصالاتها باليمن لاستكمال المحادثات في شأن مسألة الحدود وإغلاق هذا الملف (راجع باب «معالم تاريخية»)، ويتحرك سعودي نشط في الخارج مع تشديد الملك فهد على أولوية انقاذ القدس من محاولات تهويلها.

كما تميز هذا العام ببدء صفحة جديدة من العلاقات بين المملكة وإيران (في عهد الرئيس الإيراني المنتخب خاتمي) التي أقرت بوضوح بالدور البارز للسعودية إقليمياً وفي العالم الإسلامي. وكان أول لقاء في نوعه بين ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ومرشد الجمهورية الإسلامية آية الله علي خامنئي على هامش القمة الإسلامية في طهران، وعرض ولي العهد استعداد المملكة للتوسط بين إيران وأميركا.

قادت السعودية أيضاً تحركاً باتجاه إيجاد أسس واقعية للتضامن العربي، وبجحت في احتواء «هزة» في العلاقات القطرية-المصرية كادت تهدد بفرط «إعلان دمشق» (راجع «سورية»، ج ١٠).

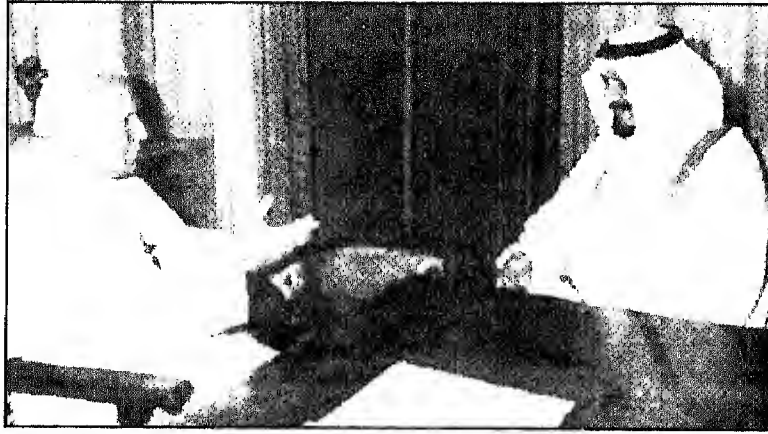
وعلى رغم الوجود العسكري الأميركي في مياه الخليج الذي تكثف خصوصاً بسبب مسلسل الازمات بين بغداد من جهة وواشنطن وبجلس الأمن من جهة ثانية، أعلنت السعودية على لسان النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران الأمير سلطان بن عبد العزيز ان أمن الخليج تحميه دوله.

أكد الملك فهد، مطلع السنة، نية تطوير أنظمة الحكم في المملكة. وفي ٢٥ كانون الثاني، نجح تحرك سعودي في إقناع قطر باقتراحات لتثقيف الاجواء مع البحرين.

في ٢٦ شباط، أعلن الأمير سلطان من واشنطن، حيث التقى الرئيس الأميركي بيل كلينتون، ان أمن الخليج تحميه دوله.

في ٨ آذار، زار الأمير سلطان باريس (في إطار جولة له إلى الخارج) واقترح من هناك صندوقاً لدعم الفلسطينيين. وفي ١٣ آذار، قابل في لندن رئيس الوزراء البريطاني جون ميجور وعرضاً عملية السلام في الشرق الاوسط.

في ملف الحدود اليمنية السعودية، كانت من بين أبرز المخططات موافقة مجلس الوزراء السعودي، في ١٢ ايار، على اتفاق التعاون الأمني مع اليمن. وفي مطلع تموز، التقى وزير الداخلية السعودي الأمير نايف بن عبد العزيز في صنعاء الرئيس علي عبد الله صالح لتسريع التفاهم على



البها يوحنا بولس الثاني  
مستقبلًا الامير سلطان  
(١٢ ايلول ١٩٩٧).



ملك اسبانيا خوان كارلوس  
والامير سلطان  
(ايلول ١٩٩٧).



رئيس جنوب الفريقيا للسون  
مانديلا والامير سلطان  
(ايلول ١٩٩٧).



الامير عبد الله مستقبلاً  
رئيس الوزراء البريطاني بلير  
(١٨ نيسان ١٩٩٨).

الاهتمام السعودي والايрани بها بداية حقبة جديدة ومهمة في العلاقات الثنائية أكد وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل انها «بدأت بالفعل». ورفسنجاني هو أول مسؤول ايروني رفيع المستوى يزور المملكة منذ قيام الجمهورية الاسلامية الايرانية في ١٩٧٩. ومما قاله رفسنجاني: «جئت هنا ومعني وفد كبير يضم مختلف الفعاليات في ايران من أجل تحريك العلاقات بين البلدين في جميع المجالات». وقد امتد برنامج الزيارة لعشرة ايام. واستمرت العلاقات بين البلدين تتطور، وبلغت درجة عالية من الإيجابية مع تصريح السفير الايراني لدى السعودية محمد رضا نوري في أعقاب اختبار ايران الصاروخ «شهاب ٣» (٢٨ تموز ١٩٩٨) الذي يبلغ مداه ١٣٠٠ كلم، إذ قال: «إن الصاروخ هو للدفاع عن النفس، ونحن نرى ان قوة ايران هي قوة للملكة، وإن قوة المملكة هي قوة لايران. علاقاتنا مع السعودية وصلت إلى مرحلة تاريخية، يكمل فيها بعضنا بعضاً، وإذا كانت لدينا قوة صاروخية أو غير صاروخية فهي بتصرف المملكة».

في ١٨ نيسان، استقبل الملك فهد في جدة رئيس الوزراء البريطاني توني بلير الذي قال قبيل لقائه الملك إن هناك سببين لزيارته: الاول يتعلق بمشكلة عملية السلام، والثاني توثيق العلاقات السعودية-البريطانية. ووصف دور الاتحاد الاوروبي في عملية السلام بأنه «مكمل للدور الاميركي ولا يتعارض معه».

وفي نيسان أيضاً، زار الامير سلمان عبد العزيز، أمير منطقة الرياض، اليابان في «سياق تطور العلاقات

المملكة قرار الكونغرس الاميركي اعتبار القدس عاصمة موحدة لاسرائيل. وفي ٢٥ حزيران، وفي إطار التحرك السعودي النشط لانقاذ عملية السلام، ودعم الاطراف العربية المعنية، زار الامير سلطان سورية، ثم لبنان بعد يومين. ثم كانت للامير سلمان بن عبد العزيز، أمير منطقة الرياض، في ١٧ ايلول، جولة بدأها بسورية، ثم لبنان، بعد جولة على باريس وساراييفو (مطلع ايار).

في ٧ تموز، أصدر الملك فهد أوامر ملكية شملت اعلان تشكيل مجلس الشورى والتمديد لـ ٧٧ من كبار موظفي الدولة وأمرء المناطق والعلماء والمستشارين. في ٥ آب، وافق الملك فهد على تعيين اعضاء مجالس المناطق في المملكة.

في ايلول، كانت للامير سلطان جولة ثانية مهمة في ١٩٩٧، شملت ايطاليا التي التقى رئيسها في روما (١١ ايلول)، ثم اجتمع في اليوم التالي مع البابا يوحنا بولس الثاني في لقاء هو الاول في نوعه بين البابا ومسؤول سعودي كبير ركز على قضية القدس. وانتقل الأمير سلطان إلى اسبانيا، فالتقى الملك خوان كارلوس (١٥ ايلول)، وكانت عملية السلام المتعثرة في مقدم القضايا التي طرحها الرجلان؛ وفي ٢٦ ايلول، استقبل رئيس جنوب افريقيا نيلسون مانديلا الأمير سلطان في كيب تاون.

١٩٩٨: في اواخر شباط، زار الرئيس الايراني السابق رئيس هيئة بجمع تشخيص النظام علي أكبر هاشمي رفسنجاني السعودية توثيقاً لجهود من التقارب بين البلدين قاربت الستين. وقد عنت هذه الزيارة من خلال حجم

في اليوم الاول من حزيران، طالبت المملكة، في اجتماع مجلس الوزراء رأسه الملك فهد بـ«الحظر الشامل والكامل لانتشار الأسلحة النووية وجعل الشرق الأوسط منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل»، وأعلنت انها إذ تقلر «وجهة نظر الحكومة الباكستانية للحفاظ على أمنها» (وكانت باكستان قد أجرت تجربة نووية قبل أيام رداً على تجربة أجرتها الهند) فإنها تدعو إسلام آباد ونوردهي إلى «التحلي بضبط النفس واستئناف المفاوضات بما يخدم الأمن والاستقرار في المنطقة ويحقق بالتالي التنمية والرفاهية لبلديهما وشعبيهما» ،

وبهدف فتح قنوات استراتيجية للتعاون الشامل» (وكان رئيس الوزراء الياباني ريتارو هاشيموتو زار الرياض في تشرين الثاني ١٩٩٧). وكانت العلاقات بين البلدين عيرت، منذ قيامها في ١٩٥٤، عن تقاربهما، إذا اتسمت بالودية والتقدير المشترك. وتبادل الطرفان زيارات ودية كثيرة أبرزها زيارة الملك فيصل لليابان في ١٩٧١، وزيارة ولي العهد الياباني وقرينته للسعودية في ١٩٨١ (الامبراطور حالياً)، وولي العهد الحالي وقرينته في ١٩٩٤، إضافة إلى الزيارات الرسمية المتبادلة. وكان البلدان قد وقعا إتفاقية التعاون الاقتصادي والفني في ١٩٧٥ .

أخذت تعني «مستوطنة زراعية واحة» حلت فيها بيوت اللين مكان الخيام، وجرى تعليم أهلها أصول الزراعة وتزويدهم بالبذور، كما جرى انتداب نفر من رجال الدين لقيادة هذه الميجر ونشر تعاليم الاسلام الأساسية، وكان سكان الحجر يُدعون الإخوان.

وكانت أولى هجر الاخوان مستوطنة «الأرطاوية» التي أنشئت في كانون الاول ١٩١٢، وهي منطقة ذات اراضي ومراعي خصبة ومنايع مياه وفيرة. وكانت ضمن نفوذ «الديره» التابعة لقبيلة المطيري المشهورة بغزواتها المتكررة ضد حيرانها. ثم تلتها مستوطنات عديدة أخرى في جميع أنحاء شبه الجزيرة بلغ مجموعها ١٢٢ هجرة خلال حياة الملك عبد العزيز. وكانت الدعوة الاصلاحية وتعاليمها موضع الممارسة، فتهيأ لها قوة من الاخوان قادرة على حمل رسالتها لتوحيد البلاد. وفي عام التأسيس نفسه (أي في ١٩١٢) بلغت قرة

## معالم تاريخية

□ الإخوان: من أبرز الجوانب في عبقرية عبد العزيز وحنكته وخبرته الواسعة، على ما يؤكد المؤرخون، هو ذلك الجانب الذي برز في الدور الذي لعبه في نشأة الإخوان، ثم في طرق التعامل معهم فالتضاء عليهم. أدرك عبد العزيز، وهو ابن البيضة نفسها، ان المرواة وعمود الولاء عرضة للتبدل من حين لآخر بسبب ارتحال البدوي وتقلبه، في حين ان التروطين والمستوطنات ستساعد في الاستقرار وثبات الولاء وتمسك المستوى الاجتماعي والاقتصادي، وهكذا استنبط عبد العزيز خطة تروطين البدو، وظل ذلك في صميم تخطيطه الطويل المدى لربط الناس بالارض. فاقام مستوطنات زراعية واحة دفع بالبدو إلى استيطانها. من هنا جاءت كلمة «هجرة» التي

الإخوان ١١ ألف رجل.

كتب حافظ وهبة «الروهاية في الجزيرة: الماضي والحاضر»، مجلة الملكية بمجموعات أواسط آسيا، ١٦ تشرين الأول ١٩٢٤، ص ٣٦٥ يصف الإخوان:

«كان التبشير والدعوة للتحاليم الروهاية يجري بين سكان المدن فقط. ولهذا أصبح البدو هم وقود معظم حركات التمرد والانتفاضات التي وقعت في فترات مختلفة. ودائماً كانوا ينحازون إلى جانب الفريق الذي يهبون قوته وبأسه، أو الذي يرجون من ورائه مكاسب أكثر. وهذا هو السبب في اعتماد المصريين أو الأتراك أحياناً، أو الروهايين أو آل الرشيد عليهم. وجاء تفكير ابن سعود ملائماً لعلاج مشكلة البدو بإقامة مستوطنات لتوطينهم، ولإمبارسوا الزراعة (...). وبعد أن كانوا خطراً ماحقاً على الفريق الذي يؤيدونه بسبب انقلابيتهم أصبحوا الآن أوفياءً ويمكن الوثوق بهم والاعتماد عليهم في مواجهة الموت ذاته (...). وركز ابن سعود أساساً على الروح الوهاية النضالية ليغرسها في نفوسهم. وقام الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ بوضع منظومة المعتقدات التي استخدمت لتبرير وحقلنة وتقديف وإلهاب حماس الإخوان. وقام الشيخ بالمواظبة بين المبادئ الوهاية وأهداف ابن سعود السياسية (...). وفوق ذلك ركزت أقواله على الواجب الديني بطاعة الله وطاعة الحاكم (...). واستدعى ابن سعود مشايخ القبائل إلى الرياض وخطب فيهم قائلاً: «قبائلكم لا دين لها وجاهلة بالاسلام»، ثم أمرهم بالانتظام في مدرسة العلماء الملحقة بالمسجد الكبير في الرياض واجتياز برنامج في علوم الدين (...). وعندما تهيأ مشايخ القبائل لتلقي تعاليم دينية أكثر تفصيلاً، دعاهم ابن سعود لبناء منازل لهم في الرياض، وهذا أيضاً جزء من خطة السيطرة عليهم».

ذكر أمين الريحاني («ابن سعود والجزيرة العربية»، بوسطن هجنتون ميغلين، ١٩٢٨، ص ١٩٤) أن سكان «الهجر» المستوطنين ينقسمون إلى ثلاث مجموعات: ١- البدو الذين أصبحوا فلاحين؛ ٢- المطرعون؛ ٣- التجار والحرفيون. «وكان التمييز بين المجموعات الثلاث يقوم على أساس الأصل القبلي والعشائري (...). ورغم تأكيد الإخوان على طابع المساواة فلم يسمح لأبناء القبائل ذات الأصل الوضع أن يشاركوا في القتال والغزو، بل يُتركون في المستوطنات للقيام بالأعمال الضرورية مثل عمل حدوة الحصان وصنع السيوف والرماح وإصلاح الأسلحة والأواني».

في ١٩١٦، تقرر بأن تصبح جميع قبائل البدو

جزءاً من الإخوان وأن يدفعوا الزكاة كما يفعل جميع المسلمين. وقد طلب من شيوخ القبائل الالتحاق بمدرسة الشريعة الإسلامية في مسجد الرياض، وشجع الكثيرون منهم على الانضمام إلى حاشية عبد العزيز لزيادة توثيق ولائهم. وقد أضحى الإخوان المنظمون، بحماسةهم البالغة واندفاعهم الشديد، قوة بالغة الأهمية تحت راية عبد العزيز. لقد كان اعتقادهم راسخاً بالتشفي وبساطة العيش وصفاء المفاهيم الإسلامية الصريحة وتأسيس مجتمع إسلامي يطبق الحشمة والعدالة وبلغ حماسهم أحياناً حدود التطرف المترم المتصادم مع كل مظهر عصري.

استطاع عبد العزيز استخدام ذلك الاندفاع والحماسة الدينية بنجاح في مخططة التوحيد. فأصبحت حروب التوحيد حروباً مقدسة حقاً بالندفاع الإخوان وبقيادة عبد العزيز. وتواجد هذه القوة الهائلة شعر عبد العزيز، في ١٩١٣ وعشية الحرب العالمية الأولى، أن الوقت موات لضرب الأتراك في إقليم الأحساء على الخليج العربي، وهو منطقة كانت تتبع نجد، لكن العثمانيين احتلوها منذ نحو خمسين عاماً. وكان عبد العزيز بحاجة ماسة لاستعادة هذه المنطقة وموائها كيلا يقلل منقطعاً عن بقية العالم. فكانت معركة استيلائه (والإخوان أهم قواته) على الهفوف في ٤ أيار ١٩١٣ وسيطرته على الأحساء نقطة التحول الأساسية في معارك سيطرته وتوحيده للبلاد ككل، حيث لم تعد المعركة منذ ذلك الحين صراعاً بين السعوديين والأتراك، بل تشعبت أطرافها ليدخل الحجاز، بعد سنوات قليلة، طرفاً فيها.

جاء في كتاب «الملك فهد ومسيرة الإنجازات الحضارية في المملكة العربية السعودية» (لؤلؤ د. ناصر إبراهيم الرشيد و د. إسبر إبراهيم شاهين، مرجع مذكور آنفاً، ص ٤٢-٥٢):

«وبانتزاع إقليم الأحساء من العثمانيين والتوسع الذي رافقه أضحى عبد العزيز على اتصال وثيق بالبريطانيين. ومع أن عبد العزيز لم يشترك اشتراكاً فعالاً في الحرب العالمية الأولى فإنه وجد نفسه عند نهاية الحرب في نزاع مكشوف مع الشريف حسين. وكان عبد العزيز قد أحجم عن مهاجمته خلال الحرب لأنه كانت تجمعها رغبة مشتركة بإخراج الأتراك من شبه الجزيرة العربية. وقام البريطانيون بتسليح الشريف حسين ومساعدته، وعقد هو بدوره اتفاقاً سريراً معهم (...). وبعد مفاوضات متعددة وقعت معاهدة بينه وبينهم عام ١٩١٦ اعترف فيها البريطانيون بعبد العزيز اميراً على نجد والأحساء (...).

عبد العزيز مواجهة هذا التحدي يهزم. ومن ناحية ثانية فإن البريطانيين، وقد نصبوا أحد أولاد الشريف حسين ملكاً على العراق وآخر ملكاً على شرقي الاردن، كانوا حذرين ومثخوفين من تنامي قوة ابن سعود. فكانوا، بحرص وتكتم، يثيرون المتاعب على طول الحدود العراقية، وكانت دسائسهم تهدف إلى إضعاف سيطرته. وقد أهرق ابن سعود عام ١٩٢٧ من مكة إلى بغداد (نقلًا عن وايس «مشاعب في جزيرة العرب»، ليفتج أج ١٩٢٨) يقول: «بلغني ان قبائلي على الحدود في حالة هياج بسبب التخصيمات اللاشريعة التي يجري بناؤها. إن الوضع خطير إذ تهدد القبائل بالمهجوم دون انتظار إيعاز من أحد (...) في أواخر تشرين الاول كان الشيخ فيصل الدويش (أحد أبرز قادة الاخوان) قد تقدم نحو أعالي موقع قبيلته مُطير فدمر تخصيمات البُعيزية وقتل الجنود والعمال دون التعرض للقبائل العراقية القاطنة في الجوار. وقد ظهرت أسراب من الطائرات البريطانية وعينت الموقع ثم، على خلاف عاداتها، عادت دون إلقاء قبلة واحدة. عند ذلك تقدم الدويش داخل الاراضي العراقية وبعث بضع فرق من المغيرين واستمر ذلك عشرة ايام. ورغمًا من انه كان من اليسير على الطائرات الانكليزية قصف المغيرين بالقتال فإن أي إجراء لم يتخذ ضدهم. وفي مناسبات أخرى، كما حصل في كانون الثاني ١٩٢٨، حُلّق سرب من الطائرات البريطانية فوق حدود نجد وأسقط عددًا من القنابل؛ وكان الهدف من ذلك إعطاء قبائل البدو مبررًا لحملات انتقامية ضد العراق (...)» وحين اتضحت الحقيقة كان ابن سعود قد قطع شوطًا بعيدًا، فقد أصبح حاكم الجزء الأكبر من الجزيرة العربية الذي يولف كتلة جبارة بين قناة السويس والهند. وبريطانيا العظمى تحاول حاليًا (يتابع وايس) عرقلة تطور هذه الكتلة. انها واعية تمامًا لحقيقة ان المواطنين الخليلين في العراق يكرهون الشريف فيصل (المقصود الملك فيصل ابن الشريف حسين) ويحبون ابن سعود الذي يعتبرونه الحاكم الوحيد الحر حقًا في العالم العربي. بالإضافة إلى ان بعض قبائل البدو العراقيين يؤيدونه، ولكن البريطانيين يحاولون إخماد هذه المشاعر وإثارة المنافسات والمنازعات بين القبائل المختلفة لإقامة سدٍّ بين نجد والعراق. هذا هو في الواقع مصدر المشاعب في الجزيرة العربية» (إلى هنا ينتهي نقل المرجع المذكور عن وايس). انجاز فيصل الدويش شيخ قبيلة مُطير، الذي كانت قيادته حاسمة وفاعلة في معركة حائل إلى شيوخ آخرين من الاخوان. وكان من بين هؤلاء سلطان بن بُجاد شيخ قبيلة عُبيبة القوية. وتناسى

وامتد سلطان السعوديين بمساندة قوات الاخوان إلى ضواحي حائل ١٩١٧ (...) وبالرغم من استمرار توطد سلطان عبد العزيز فإنه أحجم خلال تلك المدة عن مهاجمة الحجاز. وفي العام ١٩١٩ تعرّض الطرف الغربي من مناطقه لمهجوم من قبل الشريف حسين أنهى الهدنة المتقلقلة بالحرب. فتم القضاء على جيش الشريف حسين وفتح الطريق إلى مكة (...) وأثار شريف مكة في آذار ١٩٢٤ قضية أغاغت عبد العزيز، وذلك حين أعلن الشريف حسين نفسه خليفة على المسلمين (...) وكان عبد العزيز والاخوان تواقين بشدة للاستيلاء على الحجاز، بخاصة مدّ مُعرا من أداء فريضة الحج والأماكن المقدسة تحت سيطرة الشريف حسين (...) وفي كانون الاول ١٩٢٥ دخل عبد العزيز جدة (...) وفي ٢٠ ايار ١٩٢٧، وقعت معاهدة بريطانية في جدة تعترف بالاراضي التابعة لسيطرة عبد العزيز والممتدة من الخليج العربي حتى البحر الأحمر. بعد هذا الفتح العظيم للحجاز تنامي حماس قادة الاخوان الذين كان لمساعدتهم وحماستهم فضل لا ينكر في هذا الانجاز فقاموا رغم تعليمات عبد العزيز الصريحة بمهاجمة حصن على الحدود العراقية. وكان هذا التحدي انتهاكًا خطيرًا لسلطته قابله عبد العزيز بالحكمة والتعقل بمختلف السبل الممكنة لتفادي المواجهة مع الاخوان. لكن الاخوان زادوا من تعنتهم ورفضوا الكف عن غاراتهم عبر الحدود العراقية والاردنية، وكانت هذه الغارات مناقضة صريحة لاتفاق كان عقد مع البريطانيين في العُبر عام ١٩٢٢ (...) فعند انتهاء حصار جدة عام ١٩٢٥، اعترض بعض الاخوان على استخدام الهاتف لأن الأخذ بمثل هذه المبتكرات العصرية يشكل في زعمهم انتهاكًا لاسلوب العيش المنزمت في أمور الدين الذي يمارسونه ويدعون إليه. فما كان من عبد العزيز، لتبيل موافقتهم إلا ان أسمعهم آيات من القرآن الكريم تتلى عبر الهاتف وأقنعهم بذلك ان الشيطان قد هرب من الآلة التي كانت موضع ريهم واعتراضهم. لكن الاخوان، مع الزمن، زادوا من مملهم ومردهم، وراح تطرفهم يتعارض مع أمن الدولة ويلوِّح بتعطيل خطط التقدم والتطوير المستقبلية. فقد اعتبروا السيارات والهواتف وأجهزة الاذاعة «من مخزعات الشيطان». وقد عقد في الرياض مع قادة الاخوان وعلمائهم مؤتمر في كانون الثاني ١٩٢٧ جرت فيه مناقشة جميع الأمور التي كانت تثير الخلافات والنزاع. لكن الفتوى التي أصدرها العلماء أحجمت عن إعطاء رأي قاطع بشأن أدوات الحضارة الحديثة هذه. وأمام استمرار الغارات على العراق كان على

المادية ولا اليسار الزمني.

إلا ان الاخوان رفضوا مفهوم الاسلام الوسط. ودعوا إلى الجهاد ضد شرقي الاردن والعراق والكويت. وأول مؤشر على خطورة الوضع برز إلى الواجهة سنة ١٩٢٥ في مكة. وكان قد مضى ما يزيد عن خمسة أشهر على احتياح الاخوان لمكة، وكان ابن سعود (وأسان قنا. أغضبهم اتصاله بالبريطانيين وتعامله معهم) قد رفض طلبهم بالزحف على جدة والمدينة، مع ان هذه المهمة كانت سهلة عليهم، ذلك انه توقع الحصول من زعماء المدينة وجدة على تسليم بالمفاوضة، لكن الاخوان أكدوا ان التسليم بحد السيف كان الطريقة الوحيدة. وفي ٢٤ نيسان ١٩٢٥، أرسل فيصل آل سعود، زعيم الاخوان، تحذيراً لابن سعود مفاده ان سيرف مقاتليه على أتم الاستعداد لمواجهة أولئك الذين وصلوا شرور الملك المغلوع الشريف حسين.

وتوطئاً للاعتقاد بأن الجهاد واجب على كل مسلم راشد، اجتمع الاخوان في كانون الاول ١٩٢٦ في الأوطاية، وحملوا على ابن سعود لأنه لم يواصل الحروب على المناطق المجاورة، ووجهوا اللوم كذلك إلى إمامهم (ابن سعود) على ما يلي:

- ١- إرسال ابنه سعود إلى مصر، وهو بلد واقع تحت السلطة البريطانية،
- ٢- إرسال ابنه فيصل إلى لندن سنة ١٩٢٦ ليكسب ود البريطانيين،
- ٣- إدخال التلفزيون والتلفون والسيارات إلى بلاد الاسلام، وهي جميعها في نظرهم أدوات شيطانية،
- ٤- جباية رسوم جمركية من مسلمي نجد،
- ٥- السماح لقبائل شرقي الاردن والعراق بإرسال مواشيهم لرعى في ديار الاسلام،
- ٦- منع التجارة مع الكويت (فقد ذكر الاخوان لابن سعود ان رعايا الكويت إذا كانوا كافرين وجب عليه اعلان حرب مقدسة عليهم، أما إذا كانوا مؤمنين فليس للحاكم ان يمنع الاتجار معهم)،
- ٧- واخيراً التسامح مع شيعة الحساء، فقد كان اعتقاد الاخوان انه كان ينبغي إما ان يعتنقوا الوهابية وإما ان يُقتلوا.

ونظراً إلى خطورة ما أخذ الاخوان، وجاء علماء الرياض انه من الضرورة بمكان شرح موقفهم. وعلى ذلك أصدروا فتوى اتخذوا فيها موقفاً محايداً من استخدام التلفزيون والراديو والسيارة، لكنهم أشاروا على الملك باتباع المبادئ الوهابية، وهدم مسجد حمزة لأنه مزار

هؤلاء بسرعة انجازات ابن سعود العظيمة رغم انهم يدينون له بالكثير من وجودهم وتنظيمهم. وفي تشرين الاول ١٩٢٨، دعا عبد العزيز إلى مؤتمر من شيوخ القبائل والعلماء عُقد في الرياض لحل هذه الخلافات وحضره زعماء القبائل جميعهم باستثناء سلطان بن بحداد وفيصل آل سعود اللذين كانا يتصرفان كخارجين على النظام. لقد كانا عنيفين في مقاومتهم لعبد العزيز يتمردان عليه وينتقصان من قدره. وقد اتهماه بالزندقة لأنه عقد معاهدات مع الكفار، كما انه، بزعمهم، أدخل إلى البلاد أدوات شيطانية كالهاتف والبرق والطيارة والسيارة. وقد أعلن العلماء خلال هذا المؤتمر ان هذه الأدوات مسموح بها شرعاً بل إنها في الواقع مرغوب فيها من وجهة النظر الدينية لأنها تزيد من قوة المسلمين ومعارفهم. كذلك فإن المعاهدات مع دول غير اسلامية هي، استناداً إلى سوابق أحرها النبي (صلى الله عليه وسلم) من الأمور المرغوب فيها بخاصة إذا كانت تعود بالسلام والحرية على دنيا الاسلام. وأخيراً، بدأ صير الملك ينفذ، فبعد عدة مناقشات بين المتمردين والقبائل الموالية وقعت المعركة الحاسمة في أرض تسمى السبلة بالقرب من بلدة الزلفي في مطلع آذار ١٩٢٩، واستطاع عبد العزيز سحق التمرد بعد ثمانية عشر شهراً من المناوشات المتقطعة آلت إلى التمرد العلني في ١٩٢٧. واستسلم ابن بحداد ونُقل إلى الرياض، أما آل سعود فقد أصيب بجراح بليغة (توفي في السجن) وتم لعبد العزيز القضاء على جميع القادة المتمردين، وفي نهاية الأمر جرّد المستوطنات المتمردة من قدراتها فاستتب الأمن والاستقرار في الجزء الشمالي الشرقي من البلاد وأصبح عبد العزيز الزعيم غير النازع للجزيرة العربية» (إلى هنا ينتهي ما جاء في كتاب «الملك فهد...»، المرجع المذكور).

ولزيد من البحث واستجلاء الحقائق حول تلك السنوات المهمة جداً في تاريخ المملكة العربية السعودية وحوادثها علاقة عبد العزيز-الاخوان، نقل أيضاً أهم ما جاء في كتاب لهن الياسيني، «الدين والدولة في المملكة العربية السعودية»، بالانكليزية (دار الساقي، نقله إلى العربية الدكتور كمال اليازجي، ١٩٨٧، ط ٢، ١٩٩٠، ص ٦٣-٦٥):

بعد ان حقق عبد العزيز هدفه السياسي باحتياح الحجاز، أصبح بحاجة إلى ان يخفف من تصلب الاخوان وتطرفهم. وعلى ذلك، استدعى «علماء» الرياض جماعة المطاوعين من مستوطنات الاخوان وأبلغوهم ان يذهبوا في الناس «أن الاسلام دين وسط»، وأنه لا يخالف الرفاهية

بن حميد بن يُجاد من العتيبة، وديدان بن هثلين من العجمان، إلى القيام بعدد من الغارات لم تقتصر على العراق والكويت، بل تناولت قبائل نجدية من المواليين لابن سعود. ووقعت المواجهة بين ابن سعود والاخوان في ٣١ آذار ١٩٢٩ في معركة السبلة. وتم لجيش ابن سعود، المؤلف من الجندين المدنيين والريفيين والمواليين من البدو، قهر الاخوان وتثبيت حكم ابن سعود. وتلا ذلك تفكيك المستوطنات وتحويل الاخوان إلى الحرس القومي (إلى هنا ينتهي ما جاء في كتاب أمن الياسيني).

في كتاب «ملوك العرب»، يتقل مؤلفه، أمين الريحاني، قولاً للملك عبد العزيز قاله لجماعة من الاخوان كان اعتقالهم وسجنهم ثم أطلق سراحهم: «لا تظنوا يا اخوان ان لكم قيمة كبيرة عندنا. لا تظنوا انكم ساعدتمونا واننا نحتاج إليكم. قيمتكم يا اخوان في طاعة الله ثم طاعتنا. فإذا تجاوزتم ذلك كنتم من المغضوب عليهم. أي، يا لله، ولا تنسوا ان ما من رجل منكم إلا وذبحنا له أباه أو أخاه أو ابن عمه. وما ملكناكم إلا بالسيف. ترى الصحيح، والسيف لا يزال بيدنا إذا كنتم يا اخوان لا ترعون حقوق الناس، لا، والله، لا قيمة لكم عندنا في تجاوزكم. انتم عندنا مثل الزاب (...). أما إذا أهدلتم وعقلتم فحقكم بشرع الله خلقه من هذا الخشم- وضرب بالسبابة أنه-رحمي أخذه منكم داتماً بإذن الله... أنتم ما دخلتم في طاعتنا رغبة بل قهراً. وإني يا لله أعمل بكم السيف إذا تجاوزتم حدود الله».

الجدير ذكره، أخيراً، أن كثيراً من المعارضين، مع إقرارهم بانتصار عبد العزيز على الاخوان وقضائه عليهم، ويزولهم عن مسرح الاحداث بصورة تامة مع التقدم والرفاهية التي نعمت بها المملكة طيلة العقود اللاحقة على هزيمتهم، إلا أنهم يقولون إن جملة من المؤشرات والاحداث، بدءاً من الستينات، تدل على أن ثمة تأثيراً لهم، أو لفكرهم، لا يزال قائماً وبخاصة في بعض أوساط رجال الدين. وأهم تلك المؤشرات التي يستدلون بها حادث الحرم المكي الشريف الذي وقع في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٩، والذي تناولته، في حينه، الصحافة العالمية على نطاق واسع واستدل من خلالها ان المسؤول الأول عن ذلك الحادث هو جهيمان العتيبي (لاقي مصرعه إبان الحادث) الذي سبق له و«أثار الاشكالات حول الحكم السعودي من منطلق الدعوة السلفية» (راجع «الاخوان الجند» تألياً).

□ «الإخوان الجند»: في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٩ اقتحمت جماعة من الاصوليين المسجد الحرام،

شيعي، ومنع دخول المحمل المصري إلى المدينتين المقدستين: مكة والمدينة، وإكراه الشيعة على الخضوع للإسلام أو الطرد من المملكة، ومنع شيعة العراق من إرسال مواشيهم لتزعى في ديار الإسلام، وإرجاع الضرائب التي جبتها الحكومة من سكان نجد. ومع ان العلماء أيدوا في فتواهم موقف الاخوان، إلا أنهم اعتبروا إعلان الجهاد من مسؤوليات الامام وحده.

وإذ رفض الاخوان فتوى العلماء بأن الإمام وحده هو المسؤول عن إعلان الجهاد، اقدموا في ٦ تشرين الثاني ١٩٢٧ على غزو مركز أمن عراقي بالقرب من الحدود السعودية، وقضوا على جميع افراد حاميته. وكذلك غزوا الكويت وشرقي الاردن. ومن اجل منع المزيد من غزوات الاخوان، أمرت الحكومة البريطانية قواتها الجوية بمطاردة الغزاة من الاخوان عبر بلاد نجد (من الملاحظ هنا أن الموقف البريطاني، بحسب رواية أمين الياسيني، داعم لابن سعود، على عكس ما رواه أو حاول إثباته د. الرشيد ود. شاهين في كتابهما المذكور أعلاه من ان البريطانيين بقوا مترشحين على غزوات الاخوان لرغبتهم في إضعاف ابن سعود). فتحوّل الوضع مماثلاً إلى ما كان زعيم الاخوان، فيصل الدويش، يشتبه. لأن اتهام ابن سعود بالاختلال الديني كان أمراً ممكناً فقط إذا امتنع عن مواجهة الكفار البريطانيين في ميدان القتال.

أما ابن سعود فإنه بعد أن أُنجز بناء العربية السعودية لم يشأ بمجاهة البريطانيين، أو المضي في توسيع رقعة مملكته. فحرصاً منه على لجم تطرف الاخوان، دعا إلى اجتماع عام في ٦ تشرين الثاني ١٩٢٨ في مدينة الرياض، حضره أكثر من ٨٠٠ من الاخوان، فضلاً عن «العلماء» ووجهاء المدن والقبائل. وجه فيه إلى الحضور حديثاً عدّد فيه إنجازاته الدينية والسياسية، بما في ذلك توحيد شبه الجزيرة. وفي محاولة منه لكسب المزيد من الدعم، قدّم استقالته، مشروطاً على المجتمعين اختيار خلفه من آل سعود. وكما أشار حافظ وهبة، فإن أحدًا لم يصدق ان ابن سعود كان حقاً راغباً في الاستقالة. فبادر «العلماء» والوجهاء إلى رفض طلب الاستقالة وأيدوا حكم ابن سعود.

إن مؤتمر الرياض هذا، أقتع الاخوان ان القصة الجردة هي الوسيلة الوحيدة لخلع ابن سعود. فراح زعماءهم يروجون في المستوطنات أنهم وحدهم، الاخوان، اصبحوا الحماة الحقيقيين للمذهب الوهابي. فعمد على الأثر زعماء الاخوان: فيصل الدويش من قبيلة المطير، وسلطان



فيها ان جهيمان «كتب سبعة كراريس تعالج مسائل فلسفية دينية، فقد اقتصت إثنين من مؤلفات ابن نجية، وشجعت حكم آل سعود، ودانت علماء الدولة على تعاونهم مع آل سعود، والظاهرة البارزة في خطة الثمرديين هي إعادة بناء المجتمع الاسلامي كما عرف في القرن السابع في الجزيرة العربية. وبعبارة اخرى، ان يتم إحياء المجتمع على يد المهدي (٠٠٠) أما اختيار المهدي، فالتمردون يدعون ان سمياً بن عبد الله القحطاني (أو القريشي) تم فيه شرط الاسم وتخلت فيه المواصفات الجسدية التي عينها محمد النبي في وصفه للمهدي» (أيمن الياسيني، مرجع منذ ثور أنفاً، في مادة «الاخوان» أعلاه).

أثناء حادث التمرد في المسجد الحرام دعا الملك خالد المجلس الأعلى للإفتاء إلى الانعقاد برئاسة الشيخ عبد العزيز الباز، وطلب إصدار فتوى تدعم آل سعود، وخير التدخل العسكري في الحرم المقاس. فاستجاب العلماء، وأوضحوا انه سيحلون للمهدي ظهور، ولكن بعلمانية واضحة، وفي وجه حاكم فاسد. وزادوا بأن الحدو... السعودية تطبق احكام الشريعة، وان الثورة على ربه... خيانة (النص الكامل للفتوى نشرته مجلة «الشرق الأوسط»، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٩، وقد وقّع هذه الفتوى ثلاثون من العلماء البارزين. ذكر ذلك أيمن الياسيني في كتابه المذكور، ص ١٦٢).

وبالحسول على تأييد العلماء تمكنت السلطة السعودية من اقتلاع الثمرديين في ٣ كانون الاول ١٩٧٩ (أي بعد اسبوعين من بدء الحادث) والقضاء في أثناء ذلك على المسمّى بالمهدي.

وأخذ العلماء (في خطب الجمعة) والصحافيون في البلاد يشددون على موضوعات تدور كلها حول «تقوى آل سعود» و«طابع الاعتدال في الاسلام». ودعت الحكومة الاغراب إلى الالتزام بتقاليد البلاد وبالقيم الاسلامية. ثم أقرت مشاخر «الفيديو» التي اتهمت بتأجير أو بيع الأشرطة المخالفة للقيم والاعتدال الاسلامية. وصدت المزيد من الاعتمادات لانشاء المساجد ونشر الاسلام في البلاد وخارجها. وفي آذار ١٩٨٠، أمر الملك خالد بتشكيل لجنة برئاسة الامير نايف، وزير الداخلية، «لإحاز مسودة النظام الأساسي ووضع مخطط لجلس شوري»؛ وسمح للصحافة السعودية بمناقشة الموضوع.

وشجروا نظام الحكم السعودي، وأعلنوا ظهور المهدي. وكان الأمير فهد، ولي العهد، والأمير عبد الله قائد الحرس الوطني، كلاهما خارج البلاد في ذلك الحين. ولم تكن الحكومة السعودية آنذاك مستعدة لمواجهة هذا النمط من العنيدان المسلح.

جهيمان العتيبي عرّف به الصحافة في حينه (بما فيها جريدة «الجزيرة» السعودية) على انه منظم «الاخوان الجدد»، وادّبع تصوره المباحثي، وعضو سابق في الحرس الوطني وطالب في الفلسفة الدينية في جامعة مكة الاسلامية.

أما المهدي المنادى به، محمد بن عبد الله القحطاني، فكان تلميذاً في الفلسفة الاسلامية للشيخ عبد العزيز الباز، رئيس المجلس الأعلى للإفتاء والبحث. وكان القحطاني، قد عمل، قبل انضمامه إلى حلقة الشيخ الباز، في الدراسات الدينية، في اوائل السبعينات، في مستشفى شميسي المركزي في الرياض، واتهم فيه بالسرقة، وسُجن لبعض الوقت. وبعد إطلاق سبيله تحول إلى رجل تقني متميز، والتحق بالجامعة الاسلامية حيث التقى بجهيمان. وفي ١٩٧٩ اقرون بتشيقة جهيمان.

وأول إشارة لعائد الثمرديين (عن جريمة «الجزيرة» -وختلف وسائل الاعلام في حينه، العربية وخاصة «النهار» و«السفير» البيروتيتان، والعالمية خاصة الاميركية- في أعدادها ٢٢، ٢٤، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٩) قدمها وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل الذي ذكر ان «من المعلومات التي حصلنا عليها ان عدد الرجال داخل المسجد لا يتجاوز ٢٠٠ وهم من جنسيات مختلفة ومزودين بأسلحة خفيفة»؛ والشيخ محمد بن سبيل إمام المسجد حدّد العدد تقريباً ما بين ٣٠٠ و٤٤٠٠ والضابط محمد النقيع المتحدث باسم وزارة الدفاع حدّد العدد ما بين ٣٠٠ و٥٠٠. وظلّ العدد الحقيقي للتمرديين مجهولاً.

وأعلن عن إعدام ٣٦ شخصاً من الذين أُلقي القبض عليهم فور فشل التمرد، معظمهم من السعوديين من منطقة نجد، وهناك ١٠ مصريين و٦ من اليمن الجنوبي، وواحد من اليمن الشمالي و٣ من الكويت وواحد من السودان وآخر من العراق.

وأعاد عدد من المؤلفات التاريخية والسياسية ما ذكرته الصحافة في حينه عن الحادث، وعن خلفية الثمرديين الدينية، وعمّا تلا الحادث من معالجات حكومية. وبما جاء

١٣٢٩	١٣٢٩	□ اكتشاف الرسول: راجع باب «النبذة التاريخية».
١٣٣٠	١٣٣٠	
١٣٣١	١٣٣١	
١٣٣٢	١٣٣٢	□ التقويم الهجري: تعتمد بداية هذا التقويم على يوم هجرة الرسول من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.
١٣٣٣	١٣٣٣	يوافق هذا التاريخ ١٦ تموز عام ٦٢٢ م (التقويم الغريغوري الغربي الميلادي). والتقويم الهجري قمري، حيث الشهر فترة بين هلالين تستغرق دورياً ٢٩ يوماً و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و٨،٨ ثانية. وطول السنة القمرية ٣٥٤ أو ٣٥٥ يوماً.
١٣٣٤	١٣٣٤	السنة القمرية تستغرق فلكياً ٣٥٤ يوماً و١١ يوماً كل ٣٠ سنة. فتعتبر بعض السنين القمرية كبيسة (٣٥٥ يوم) لاستغراق فرق الأحد عشر يوماً كل ثلاثين سنة.
١٣٣٥	١٣٣٥	والشهور القمرية الإثنا عشر في التقويم الهجري هي: مُحَرَّم، صَفَر، ربيع الأول، ربيع الآخر، جُمادى الأولى، جُمادى الآخرة، رَجَب، شَعْبَان، رمضان، شوَّال، ذو الحجة، ذو الحجة.
١٣٣٦	١٣٣٦	ولأن المملكة العربية السعودية تعتمد التقويم الهجري في معاملاتها ومصادرها ومراجعتها، ولا يكون هناك ذكر، في أحيان كثيرة، للتواريخ الميلادية المقابلة للتواريخ الهجرية، فيشكل الأمر على الكثيرين، ارتباكاً ان ثبت لائحة ببعض السنين المتقابلة في التقويم الهجري والميلادي، وتبين التواريخ بجانب السنين الميلادية تواريخ بدء السنين الهجرية:
١٣٣٧	١٣٣٧	هـ (السنة الهجرية)
١٣٣٨	١٣٣٨	م (السنة الميلادية)
١٣٣٩	١٣٣٩	١
١٣٤٠	١٣٤٠	١٥٠
١٣٤١	١٣٤١	٥٠٠
١٣٤٢	١٣٤٢	٦٠٠
١٣٤٣	١٣٤٣	١٠٠٠
١٣٤٤	١٣٤٤	١٣٠٥
١٣٤٥	١٣٤٥	١٣١٩
١٣٤٦	١٣٤٦	١٣٢٠
١٣٤٧	١٣٤٧	١٣٢١
١٣٤٨	١٣٤٨	١٣٢٢
١٣٤٩	١٣٤٩	١٣٢٣
١٣٥٠	١٣٥٠	١٣٢٤
١٣٥١	١٣٥١	١٣٢٥
١٣٥٦	١٣٥٦	١٣٢٦
١٣٥٧	١٣٥٧	١٣٢٧
١٣٦٢	١٣٦٢	١٣٢٨
١٣٧٣	١٣٧٣	
١٣٨٤	١٣٨٤	
١٣٩٥	١٣٩٥	
١٣٩٦	١٣٩٦	
١٣٩٩	١٣٩٩	
١٤٠٠	١٤٠٠	
١٤٠١	١٤٠١	
١٤٠٢	١٤٠٢	
١٤٠٣	١٤٠٣	
١٤٠٤	١٤٠٤	
١٤٠٥	١٤٠٥	
١٤٠٦	١٤٠٦	
١٤٠٧	١٤٠٧	
١٤٠٨	١٤٠٨	
١٩١١، ٢ ك	١٩١١، ٢ ك	
١٩١١، ٢٢ ك	١٩١١، ٢٢ ك	
١٩١٢، ١١ ك	١٩١٢، ١١ ك	
١٩١٣، ٣٠ ت	١٩١٣، ٣٠ ت	
١٩١٤، ١٩ ت	١٩١٤، ١٩ ت	
١٩١٥، ٢٩ ت	١٩١٥، ٢٩ ت	
١٩١٦، ٢٨ ت	١٩١٦، ٢٨ ت	
١٩١٧، ١٧ ت	١٩١٧، ١٧ ت	
١٩١٨، ١٧ ت	١٩١٨، ١٧ ت	
١٩١٩، ٢٦ ايلول	١٩١٩، ٢٦ ايلول	
١٩٢٠، ١٥ ايلول	١٩٢٠، ١٥ ايلول	
١٩٢١، ٤ ايلول	١٩٢١، ٤ ايلول	
١٩٢٢، ٢٤ آب	١٩٢٢، ٢٤ آب	
١٩٢٣، ١٤ آب	١٩٢٣، ١٤ آب	
١٩٢٤، ٢ آب	١٩٢٤، ٢ آب	
١٩٢٥، ٢٣ تموز	١٩٢٥، ٢٣ تموز	
١٩٢٦، ١٢ تموز	١٩٢٦، ١٢ تموز	
١٩٢٧، ١ تموز	١٩٢٧، ١ تموز	
١٩٢٨، ٢٠ حزيران	١٩٢٨، ٢٠ حزيران	
١٩٢٩، ٩ حزيران	١٩٢٩، ٩ حزيران	
١٩٣٠، ٢٩ ايار	١٩٣٠، ٢٩ ايار	
١٩٣١، ١٩ ايار	١٩٣١، ١٩ ايار	
١٩٣٢، ٧ ايار	١٩٣٢، ٧ ايار	
١٩٣٧، ١٤ آذار	١٩٣٧، ١٤ آذار	
١٩٣٨، ٣ آذار	١٩٣٨، ٣ آذار	
١٩٤٣، ٨ ك	١٩٤٣، ٨ ك	
١٩٥٣، ١٠ ايلول	١٩٥٣، ١٠ ايلول	
١٩٦٤، ١٣ ايار	١٩٦٤، ١٣ ايار	
١٩٧٥، ١٤ ك	١٩٧٥، ١٤ ك	
١٩٧٦، ٣ ك	١٩٧٦، ٣ ك	
١٩٧٨، ٢ ك	١٩٧٨، ٢ ك	
١٩٧٩، ٢٢ ت	١٩٧٩، ٢٢ ت	
١٩٨٠، ٩ ت	١٩٨٠، ٩ ت	
١٩٨١، ٣٠ ت	١٩٨١، ٣٠ ت	
١٩٨٢، ١٩ ت	١٩٨٢، ١٩ ت	
١٩٨٣، ٨ ت	١٩٨٣، ٨ ت	
١٩٨٤، ٢٧ ايلول	١٩٨٤، ٢٧ ايلول	
١٩٨٥، ١٦ ايلول	١٩٨٥، ١٦ ايلول	
١٩٨٦، ٦ ايلول	١٩٨٦، ٦ ايلول	
١٩٨٧، ٢٦ آب	١٩٨٧، ٢٦ آب	

إنشاء قاعدتين بحريتين رئيسيتين في كلتا المدينتين. وتوجد قواعد بحرية أصغر كذلك في رأس تنورة ورأس المشعب ويتبع والدّمام.	١٤٠٩	١٩٨٨، ١٤ آب
أما سلاح الجو الملكي السعودي فقد تأسس في ١٩٥٠ بأمر من الملك عبد العزيز. وكانت العمليات الجوية قبل ذلك منوطلة بالبحر. وكان البريطانيون في البداية هم مصدر العون من حيث توفير الطائرات والتدريب. لكن بعد تناهي النفوذ البريطاني في المنطقة وتزايد المصالح الأمريكية، تحول سلاح الجو الملكي السعودي إلى استخدام الطائرات وأطلق التدريب الأمريكي. وقد قامت كلية الملك فيصل الجوية في الرياض بمهمة تدريب أفراد سلاح الجو العربي السعودي. ويتم نقل هذه الكلية إلى موقع جديد في القاعدة الجوية الضخمة التي يجري بناؤها في الحرج.	١٤١٠	١٩٨٩، ٤ آب
وفي قاعدة الطائف يتم تدريب طياري الطائرات العمودية. وتقع القواعد الجوية الرئيسية في الظهران والرياض وحفر الباطن (على مقربة من الحدود الكويتية والعراقية). وهناك قواعد أخرى في تبوك قريبا من الحدود الاردنية والاسرائيلية، وفي خميس مشيط. ومن مرافق سلاح الجو مدينة الملك خالد العسكرية وهي تتسع لحوالي ٧٠ ألفا من الأفراد العسكريين وعائلاتهم، وتقوم طائرات الاستطلاع (أو أكس) باعطاء الانذار المبكر وتوفر مظلة أمان وحماية موثوقة.	١٤١١	١٩٩٠، ٢٤ تموز
وقد وضعت الأسس لتطوير صناعة الأسلحة السعودية حاليًا. وقد بدأت بالفعل صناعة أسلحة دفاعية صغيرة في موقع الحرج تنتج بنادق ورشاشات أميركية والمانيّة غربية بترخيص من الشركات صاحبة براءة الاختراع. وسيتم المزيد من هذا الانتاج بالترخيص المنوحة من الصانعين إلى جانب مصانع لتجميع المركبات الحربية والطائرات. وقد شكلت هيئة عامة للصناعة الحربية وهي تعتبر بذرة أولية لصناعة الأسلحة في المملكة حاليًا أو بالتشاور مع مجلس التعاون الخليجي (عن د. ناصر ابراهيم الرشيد ود. إسير ابراهيم شاهين، «الملك فهد ومسيرة الانجازات الحضارية في المملكة العربية السعودية»، المعهد الدولي للتكنولوجيا، الولايات المتحدة الأمريكية، النسخة العربية، ص ٣٣٥-٣٤٠، بدون تاريخ). والجددير ذكره ان الجيش السعودي اشترك بفعالية في حرب الخليج الثانية وكان الامير خالد بن سلطان بن عبد العزيز القائد العام فيها، ووضع كتابه «مقاتل من الصحراء» الذي أظهر فيه دور الجيش السعودي في الحرب والتجربة الغنية التي خرج بها منها على طريق المستقبل.	١٤١٢	١٩٩١، ١٣ تموز
	١٤١٣	١٩٩٢، ٢ تموز
	١٤١٤	١٩٩٣، ٢١ حزيران
	١٤١٥	١٩٩٤، ١٠ حزيران
	١٤١٦	١٩٩٥، ٣١ ايار
	١٤١٧	١٩٩٦، ١٩ ايار
	١٤١٨	١٩٩٧، ٩ ايار
	١٤١٩	١٩٩٨، ٢٨ نيسان
	١٤٢٠	١٩٩٩، ١٧ نيسان
	١٤٢١	٢٠٠٠، ٦ نيسان

□ الجيش: أصبح الجيش السعودي قوة يهاب جانباها متضمنا مختلف الأسلحة البرية والجوية والبحرية المزودة بالاعتد المتطورة. وفوج الحرس الوطني هو جزء من وحدات القتال السعودية في الحالات التي تتطلب ذلك. تقع كلية الملك عبد العزيز العسكرية على بعد حوالي ٤٠ كلم من الرياض، وهي المصدر الرئيسي لضباط الجيش من رتبة ملازم. وقد حلت هذه الكلية محل الكلية الحربية الملكية، ومصممة لاستيعاب ١٥٠٠ طالب عسكري، وتولف مدينة صغيرة قائمة بذاتها وتضم وحدات سكنية للقادة وأفراد الهيئة التعليمية. وتدرس فيها موضوعات أكاديمية وعسكرية وتستغرق فترة الدراسة فيها ثلاث سنوات. وفي الرياض، كلية القيادة والاركان التي تمنح درجة الماجستير في العلوم العسكرية. وهي منسقة على مثال نظائرها في الولايات المتحدة الاميركية. ويُبعث الضباط المتفوقون للتخصص في العلوم العسكرية العليا في الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا والمانيا وغيرها من الدول الصديقة.

وقد أدخل برنامج التوسع البحري السعودي تغييرات جذرية مثيرة في قدرات الاسطول الملكي السعودي وعدد سفنه الحربية وتعداد رجاله. وتلقى آلاف من الافراد السعوديين البحريين تدريبهم في الخارج بخاصة في الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا. ويتضمن برنامج التوسع البحري السعودي إنشاء ميناء عميق في جدة على البحر الأحمر وآخر في الجليل على الخليج العربي إلى جانب

سياسية مهمة في حكمة الملك عبد العزيز وكتب عن فترة عمله في خدمة الملك والتي امتدت لحوالي خمسين عامًا. وتعد كتبه من المصادر المهمة لتاريخ فترة حكم الملك عبد العزيز. ثم يأتي بعده فؤاد حمزة (من لبنان) الذي عمل في خدمة الملك عبد العزيز لسنوات طويلة وكتب عن تلك الفترة وعن القبائل وعن تطور الإدارة في عهد عبد العزيز ما جعل كتبه من المصادر المهمة (وكذلك أمين الريحاني في كتبه الشهيرة). ثم يأتي من فاقهم في كتابة تاريخ الملك عبد العزيز وهو السياسي والمؤرخ والشاعر نجيب الدين زركلي (من سورية) الذي عاش معظم حياته إلى حين وفاته في هذه البلاد وفي خدمة الملك عبد العزيز فأرّخ لفترة حكمه سفرًا من أجزاء عدة ما زال من أهم مصادر تاريخ المملكة. أما أبرز من كتب عن تاريخ المملكة في عهد الملك عبد العزيز من الأجانب الأوربيين فهو «الشيخ عبدا لله فيلبي Philby السياسي والمستشرق الانكليزي الذي عشق هذه البلاد وأهلها وأخلص في حبه للمكها ما جعله يناصر بلاده العدا، فكتب ما لم يكتبه غيره عمقًا وغزارة وشمولية، وخلّف بعد وفاته مكتبة كاملة من المؤلفات كلها عن المملكة وتاريخها وجغرافيتها وناسها ومكها» (عن مقابلة مع محمد آل زلفة أجرتها هياء قطب من الرياض، «الحياة»، العدد ١٢٦٦٠، تاريخ ٢٨ تشرين الاول ١٩٩٧، ص ٢١). والاسم الأصلي للحاج عبدا لله هو سان جون فيلبي.

جاء بقلم الكاتب والمؤرخ السعودي محمد جاسر عن «الحاج عبدا لله فيلبي، سيرة الانكليزي الذي عرف السعودية وأقام فيها وكتب عنها» («الحياة»، العدد ١٢٣٥٦، ٢٤ كانون الاول ١٩٩٦، ص ١٦) ما مرجزه: ولد فيلبي في جزيرة سيلان (سري لانكا) عام ١٨٨٥، وانضم إلى كلية اللغات الشرقية في جامعة أوكسفورد وهو في الثالثة والعشرين من عمره، ثم عمل موظفًا في حكومة الهند في السنة التي تليها، ومكث نحو سبع سنين، وعمل في العراق بعد ذلك سنة فرأس البعثة البريطانية في الجزيرة العربية فترة، عاد بعدها مستشارًا في وزارة الداخلية في العراق، فرتبًا للبعثة البريطانية في الاردن حيث مكث أربع سنوات، وتقلب في وظائف عدة، ولم يكن أثناء قيامه بأعماله السابقة منقطع الصلة عن أحوال هذه البلاد (المملكة العربية السعودية) الذي اتخنها في ما بعد مستقرًا له. فبصرف النظر عما لتلك الاقطار التي عمل فيها من الصلات التجارية وغيرها، فالرجل كان طلبة عرف الكثير عن احوال البلاد مما قرأ من كتابات



عبدا لله فيلبي مع ابنته، البكر كيم، وخالد ولريد.

□ الحاج عبدا لله فيلبي، أشهر مؤرخي المملكة العربية السعودية: من الملاحظ، والمعروف، ان أكثر ما كتب عن الملك عبد العزيز، مؤسس وباني المملكة العربية السعودية، إلى الآن، كان باقلام غير سعودية، ومن كتب من السعوديين فيما بعد اعتمد على ما نقلوه من زملائهم غير السعوديين.

السبب في ذلك، برأي المؤرخ السعودي محمد آل زلفة (وعضو مجلس الشورى السعودي واستاذ جامعي متخصص في أدب وتاريخ الجزيرة العربية)، إلى ان من وظّفهم الملك عبد العزيز في خدمته من غير السعوديين كانوا في معظمهم على درجة كبيرة من العلم والمعرفة قيامًا، بطبيعة الحال، بنظرائهم من السعوديين حينذاك. ولقد مكّنتهم مكائهم الوظيفية اللصيقة بالملك عبد العزيز من معرفة كثير من تطورات الاحداث ووقوفهم عليها أو بالقرب منها بحكم أعمالهم، فبرز منهم الذي تولى، إلى جانب عمله السياسي، رئاسة تحرير جريدة «أم القرى» الذي أسسها الملك عبد العزيز منذ الشهور الاولى لدخوله الحجاز. فكانت الجريدة الرسمية التي سجلت معظم الوقائع والاحداث، وتعد من أهم مصادر تاريخ المملكة طوال فترة حياة الملك عبد العزيز.

ويعد محمد آل زلفة ثلاثة مؤرخين عرب غير سعوديين، هم: حافظ وهبه (من مصر)، وقد تولى مناصب

انه زار الرياض سنة ١٣٧٥هـ (اراسطو الخمسينات)، فاتصل بي احد موظفي الشعبية السياسية، وكنت إذ ذاك أصدر صحيفة اليمامة، وأخبرني بأن ابن فيليبي سيزور الصحيفة ومعه أحد موظفي الديوان الملكي، فأتى ومعه الاستاذ عبد العزيز بن ابراهيم بن معمر أحد مستشاري الملك سعود، ووجه إليّ اسئلة تتعلق بالعمل الصحافي أجبت عليها، ومنها ما يتعلق بحرية الصحافة. فأخبرته بالحقيقة وبالواقع الذي كانت تتمتع به الصحيفة، فنشر مقالاً في مجلة الإيكونوميست The Economist يشني على الصحافة في بلادنا، وانها على خير حال تحظى بها في العالم العربي، وذكر بعض عناوين المقالات نشرتها اليمامة ومنها «إحذروا وعي الجماهير» و«أغلقتها وأرحنا». وعلمت في ما بعد انه امتهن أسوأ مهنة، وذهب إلى الاتحاد السوفياتي ومات هناك قبل بضع سنوات» (كيم فيليبي هو البريطاني الجاسوس السوفياتي الذي تنازلته الصحافة العالمية، ولا تزال، على نطاق واسع فور انكشاف أمره، فندّرت المخابرات السوفياتية عملية فراره إلى الاتحاد السوفياتي من بيروت في ٢٣ كانون الثاني ١٩٦٣).

وعن السنوات الأخيرة في حياة الحاج عبد الله فيليبي يذكر المؤرخ محمد الجاسر (في المرجع المذكور أعلاه) ان كتاباً لفيلبي صدر في بيروت عن دار العلم للملايين وفيه ذكر للملك سعود بن عبد العزيز ووصف له «وصفاً كان محلاً لمواخظة فيليبي وعدم السماح له بالعودة إلى البلاد، فاقام في بيروت فترة من الزمن، وكان ذلك إثر مقال نشر في مجلة «الشؤون الخارجية» الامريكسية Foreign Affairs التي تصدر في واشنطن في ربيع ١٩٥٤، يحوي غمراً ما ورد في مقدمة الكتاب، فأبرق بتخلصه السفير أسعد الفقيه للملك سعود، فحدثت لفيلبي ما حدثت حتى عفي عنه».

ويتحدث الجاسر عن مقابله فيليبي في بيت هذا الأخير في الرياض (وكانت المقابلة الأخيرة) فيقول: «... فنزل إلى الدور الأرضي، وفتح لنا غرفة مستطيلة مملوءة بالاضرابات المرتبة بآرقام متسلسلة، لا أبالغ إذا قلت إن الغرفة بجميع جوانبها مملوءة بها وقال: منذ بدأت حياتي السياسية إلى يومك هذا وأنا أسجل جميع ما يمر بي في هذه الاضطرابات التي تحوي أشياء كثيرة، تقارير ومكاتبات سياسية، ودراسات أثرية وجغرافية، ورحلات، إلى غير ذلك مما عرض لي في جميع الأيام التي مرت بي» (هنا، يقول الجاسر في الحاشية: «قد يتطلع أحد القراء لمعرفة مآل هذه الاضطرابات: عند وفاة فيليبي كان بينه وبين بعض

المستشرقين الذين زاروها، ومن خلال الصلات القوية بينها وبين العراق والاردن إبان عمله فيها. وهناك من أبناء جلدته من الانكليز من كان ذا صلة قديمة بهذه البلاد مثل الكابتن وليم هنري أرفن شكسبير وغيره.

كان قدوم فيليبي إلى البلاد يوم ١٧ تشرين الاول ١٩١٥ عن طريق البصرة إلى البحرين، ومنها إلى ميناء العقير (كان من أشهر موانئ المنطقة قديماً)، حيث سار إلى الأحساء، ومنها إبقه إلى الرياض حيث اجتمع بالملك عبد العزيز، وقد فصل ذلك في كتابه «أيام بلاد العرب» Arabian Days الذي قام بتلخيصه خيرى حماد في كتاب دعاه «عبدالله فيليبي قطعة من تاريخ العرب الحديث»، نشر في بيروت سنة ١٩٦١، وخيرى حماد أديب فلسطيني عمل في سفارة المملكة العربية السعودية فترة من الزمن ويشرف على نشرة كانت تصدرها في بيروت.

هياً الملك عبد العزيز لفيلبي مختلف الوسائل لكي يتحول في مناطق المملكة ويرتاد مجاهلها. فقام برحلات متعددة إلى جهات من غير السهل الوصول إليها لمن لا تهيأ له الوسائل التامة. وكانت حصيلة تلك الرحلات مؤلفاته التي شحنتها بالمعلومات المتعلقة بوصف جميع ما شاهده من احوال السكان المختلفة، ومن وصف البلاد جغرافياً وبيولوجياً، ومن تسجيل ما رآه من آثار ومن مظاهر طبيعة تلك البلاد بصفة عامة، وما عرفه من احوال السكان في مختلف جوانب حياتهم (كان يصف ما يكابده من مخاطر وتعب: «الزحف والتسلق الشاق المنهك بين الصخور...»).

كان من أثر ما عرفه الملك عبد العزيز من إخلاص فيليبي ونصح له في شؤونه المتعلقة بصلاته بالحكومة الانكليزية، ما حمله إلى ان يهيء له جميع وسائل الاستقرار في البلاد. فأدرك فيليبي من تلك الرعاية ما زاده تعلقاً ورغبة في البقاء. وأعلن بعد ذلك إسلامه الذي قوبل بارتياح ورضى (وأصبح يُعرف باسم الحاج عبد الله فيليبي)، مع وجود من يُبدي شكاً حيال هذا الأمر لعدم ظهور فيليبي بأداء الواجبات الدينية والحفاظة عليها في ما يبدو لبعض من لهم صلة به. وتزوج سيده مسلمة من اهل البلاد واستقر في مدينة الرياض في بيت منحه إياه الملك عبد العزيز في الحي الذي كان يُعرف قديماً باسم «حلة الأجناب». وله من هذه السيدة المسلمة أبناء لا يزالون أحياء. وله من زوجته الأولى ابن كبير يدعى كيم فيليبي Kim Philby؛ ويقول محمد الجاسر بشأن كيم: «أذكر

الذي كتبه د. الياس قطار، استاذ التاريخ في الجامعة اللبنانية، «الحياة»، ١٢ و١٣ آذار ١٩٩٣).

أما الرحلة الأجانب الذين تكلموا على الحج فكان السير ريتشارد فرنسيس بيرتون (ولد في جنوبي انكلترا ١٨٢١ وتوفي في مدينة تريستا الايطالية -١٨٩٠) الذي استطاع ان يضمن كتابه «الحج إلى المدينة ومكة» تفاصيل دقيقة وشاملة عن الحياة في الحجاز في منتصف القرن التاسع عشر. وكان بيرتون من أول الرحالة الاوروبيين الذين استطاعوا تقديم وصف عميق لشعائر الحج ذاتها.

ويطلق على طريق الحج القديم اسم «درب زبيدة». وزبيدة أم جعفر بنت جعفر زوجة الرشيد. وفيه محطات للقوافل من الكوفة إلى مكة تظهر فيها بقايا مبان مثل خانات ومنازل وآبار وبرك. وأهم هذه المحطات: الكوفة، خان الرحبة، بركة زبيدة، محطة الحمام، أم القرون، بير النص، بركة العمية، موقع الظفير، وغيرها... ولعل أهمها تلك الواقعة بين الكوفة والحدود العراقية-السعودية وذلك لغناها بالمباني الأثرية التي تتميز بفنونها المعمارية وزخارفها الهندسية.

أما عن معاني الحج فيمكن استقاؤها من الكتاب الدعائي الضخم الذي أصدرته وزارة الاعلام السعودي (دار الجنوب للنشر، ١٩٧٨) بعنوان «الحج إلى بيت الله الحرام»، وجاء فيه:

«وفي أداء هذا الركن شكر الله على نعمة المال وسلامة الجسم. وهما من أعظم نعم الدنيا. وفي الحج إجهاد للجسم وإنفاق للمال في طاعة الله، وفي تربية للنفس على الصبر والنظام واحترام المواقيت، وعلى العمل الجماعي رغم مشاق الزحام في أداء المناسك (...). ولعل في مقدمة هذه المنافع اجتماع المسلمين من كل أقطار الدنيا في وقت واحد في مكان واحد وفيهم أهل الحل والعقد من البلاد الاسلامية ليتعارفوا ويفتنموا هذه المناسبة المباركة للتحاور في شؤون المسلمين، والداعي إلى هذا المؤتمر العظيم إنما هو الله...».

«فإن الحج رحلة يقوم بها الجسم والروح معاً في جو من الروحانية الخالصة، والتجرد التام من الزينة والرياء، ومن كل أعراض الدنيا، وتطهير للجسد والروح».

وتشهد مواسم الحج في كل سنة ازدياداً هائلاً من الحجاج، وتداب المملكة على توفير مختلف أساليب وقائيتهم وراحتهم باعتماد أحدث الأنظمة والرسائل العلمية، خاصة في المجال الصحي. فتوضع في كل عام خطة

مستشاري الملك سعود نفرة. فأظهر هؤلاء للملك انه قد يكون في هذه الاضبارات مما يتعلق بالملك ما لا يحسن، فنقلت من بيت فيلبي حيث ركمت في دهليز واسع يوصل إلى مقر الشعبة السياسية. وهذا آخر العهد بها، مع انه بلغني بأنه قد أوصى بها وبجميع أوراقه لجامعة لوفانو البلجيكية».

وينهي الجاسر كلامه بأن فيلبي أخبره بأنه مدعو لحضور مؤتمر المستشرقين في اسطنبول؛ و«ذهب لحضور المؤتمر وبعد عودته توفي في بيروت في تشرين الأول ١٩٦٠».

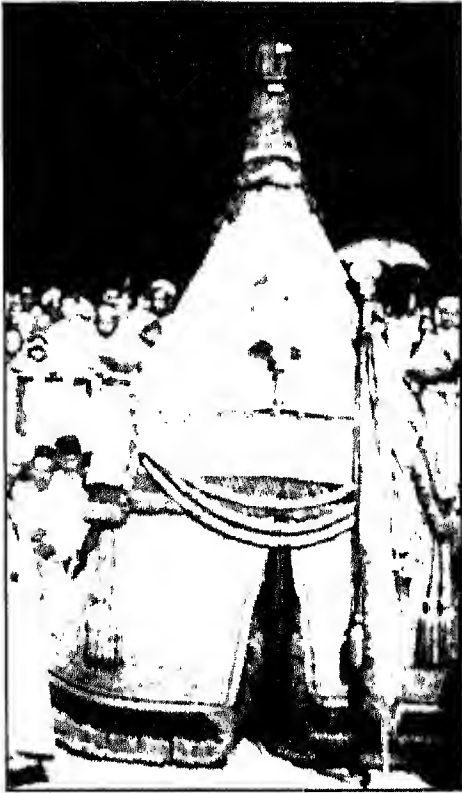
□ الحج: الحج في اصطلاح الفقهاء مقصور استعماله في الشرع على قصد الكعبة للحج أو العمرة، ومنه يقال: ما حجّ ولكنه دجّ. فالحج القصد للنسك، والدج القصد للتجارة.

بنو ابراهيم واسماعيل البيت الحرام (راجع «مكة المكرمة» في باب مدن ومعالم)، وتوافد العرب إلى منطقة البيت الحرام وبئر زمزم، ونشأت مكة المكرمة في ذلك المكان القاحل الذي نشأ فيه اسماعيل، وتزوج من قبيلة جرهم اليمنية، وتكاثر أبناؤه، واشتهرت في مكة قبيلة قريش العدنانية، وارتفع شأنها بعد ظهور قصي بن كلاب في منتصف القرن الخامس الميلادي فجمع شتات قريش، ووحّد كلمتهم.

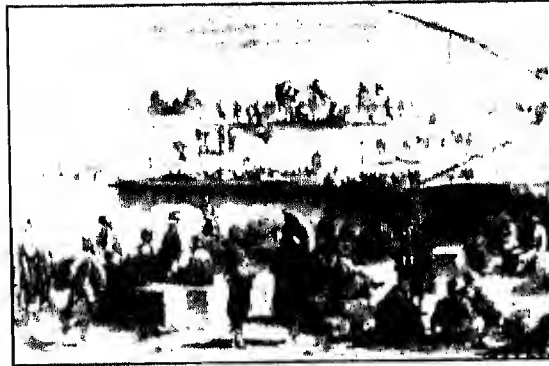
ولما ولد النبي كانت السقاية والرفادة من نصيب جده عبد المطلب. وكانت الكعبة مقراً لأصنام القبائل المتعددة. واستمر ذلك الوضع الوثني حتى جاء العام الثامن للهجرة، ففتحت مكة وسار النبي إلى الكعبة فكسرها حولها من الأصنام، وأسلم أهل مكة جميعهم.

«ورد ذكر الحج في القرآن الكريم تسع مرات... وورد كذلك في الحديث النبوي الشريف، وبينت السنة النبوية كيفية أداء فريضة الحج ومناسكه التي بدأها النبي ابراهيم الخليل -عليه السلام- وهذا أمر واضح في الحديث النبوي، فقد روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، والحاكم في مستدرکه، واصحاب السنن في سننهم...» (عن محمود السيد الدخيم، باحث سوري، «الحياة»، العدد ١١٠٦٥، ٣٠ ايار ١٩٩٣).

حفلت الكتب التاريخية الاسلامية بوصف مستفيض للحج، لعل أشهر ما ذكر في هذا الصدد جاء على لسان الرحالة ابن حبير عند وصفه لشهر رمضان في مكة المكرمة تحت عنوان «رمضان المعظم» (راجع التحقيق



صورة للمحمل المصري في بداية القرن العشرين.



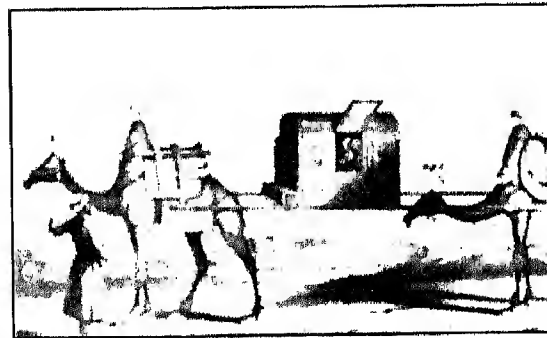
رسم من القرن التاسع عشر يمثل جمعا من الحجيج يعبرون لسان السويس في طريقهم الى البقاع المقدسة.



رسم يمثل الحمل في طريقه الى مكة.

قافلة الحجيج في طريقها الى مكة المكرمة. لوحة زيتية بريشة الفنان الفرنسي ليون بيلي، منتصف القرن ١٩. متحف اللوفر، باريس.

رسم من القرن التاسع عشر يمثل هودجا في طريقه الى مكة وهو مأخوذ من كتاب «الحج» لـ.ف. بورتون. لندن.



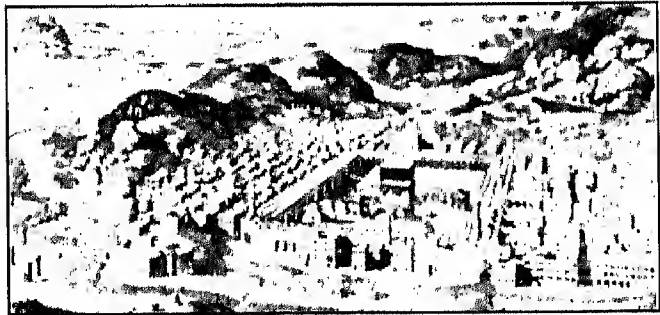


فريق من الطرازين يقضي طيلة العام في طرز آي القرآن الكريم التي ستحلى بها كسوة البيت.



جمع ضخم من المتطوعين يحملون كسوة الكعبة التي سوف تكسوها لمدة عام.

رسم يرجع الى القرن الثامن عشر وهو يمثل منظرا عاما لكعبة المكرمة. ١٧٩٠.





تطويرية لفك الاختناقات والزحام وتحقيق أنسيابية حركة الحجاج وتقليلهم من لحظة وصولهم حتى تفرقهم.

#### □ الحملة المصرية على عسير: في الثلث الاول

من القرن التاسع عشر، جهّز محمد علي باشا والي مصر، سلسلة من الحملات العسكرية على أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية لصالح الدولة العثمانية التي كانت تسعى إلى إحكام سيطرتها على المناطق الاسلامية المقدسة في الحجاز وكذلك القضاء على الدولة السعودية الصاعدة في نجد. ووصلت جيوشه إلى مناطق لم يكن وصلها من قبل أي جيش أجنبي.

ولم يكن محمد علي يهدف إلى إرضاء الباب العالي في اسطنبول فقط، بل أراد ان يبني قواته الذاتية استعداداً لمشاريحه الاستقلالية اعتماداً على التقنيات الأوروبية الحديثة التي عرفتها مصر في أعقاب حملة نابوليون عليها في بداية القرن التاسع عشر. وكثيراً ما كانت حملات محمد علي، خصوصاً على شبه الجزيرة العربية، تضم في صفوفها مجموعة من الخبراء الاجانب (من الفرنسيين إجمالاً) الذين كانوا يعملون بصفة مستشارين عسكريين أو طبيين أو حتى سياسيين. وكان هؤلاء يرفعون تقارير عن أوضاع مصر وجيشها وعن أوضاع المناطق التي يحتلونها أو يهاجمونها إلى حكومات بلادهم. لكن قلة منهم هي التي وضعت الكتب الخاصة عن تلك الحملات. وموريس تاميزيه الفرنسي واحد من هذه القلة، إذ إنه وضع كتاباً تفصيلياً عن الحملة المصرية على عسير في ١٨٣٤ التي رافقها بوصفه كاتباً للبعثة الطبية. وطبع الكتاب للمرة الأولى في باريس ١٨٤٠، وأعيدت طبعته في فيينا ١٩٧٦، وترجمه إلى العربية د. محمد بن عبد الله آل زلفة وأصدره في الرياض ١٩٩٣.

أهمية الكتاب، على حد تعبير الدكتور آل زلفة «أنه اشتمل على سجل متكامل لوقائع واحدة من أكبر حملات محمد علي باشا على منطقة عسير (١٨٣٤) منذ بدايتها إلى نهايتها والتي تمت بتوقيع إعلان هزيمة قاندي الحملة أحمد باشا والشريف محمد بن عون وتوقيع وثيقة اعترافهما باستقلال عسير وذلك في ٢٦ ايلول ١٨٣٤ في مدينة أبها (...). ويتضمن الكتاب معلومات واسعة عن طبيعة البلاد والسكان والقرى والقبائل. إضافة إلى تفاصيل حساسة عن الظروف السياسية والاقتصادية والعسكرية التي احاطت بالحملة منذ بداية انطلاقتها من الطائف...» (عن مراجعة سليم سعد للكتاب المذكور، «الحياة»، ٢٥ كانون

الثاني ١٩٩٤) (راجع «النبة التاريخية»).

□ «خادم الحرمين الشريفين»: راجع «فهد بن عبد العزيز، الملك في باب «زعماء، رجال دولة وسياسة».

#### □ الصحافة في المملكة العربية السعودية:

كانت الصحافة السعودية في العهد العثماني في معظمها ذات صبغة حكومية أو شبه حكومية، وكان الحجاز (في مكة والمدينة وجدة) مهدها في السنوات الأخيرة من العهد العثماني (١٩٠٨-١٩١٧) وفي العهد الهاشمي (١٩١٦-١٩٢٤)، ولم تأخذ طريقها إلى خارج الحجاز إلا مع بداية العهد السعودي أي منذ ١٩٢٤. وفي ما يلي لائحة بأهم الصحف السعودية التي صدرت منذ نشأة الصحافة في البلاد حتى السنوات الأخيرة:

١- في العهد العثماني (١٩٠٨-١٩١٦):

- جريدة «الحجاز»: أول جريدة في البلاد، صدرت في مكة المكرمة في ٣ تشرين الثاني ١٩٠٨ باللغتين العربية والتركية. أشرف على تحريرها رئيس ديوان ولاية الحجاز لخدمة أغراض جمعية الاتحاد والترقي، واستمرت في الصدور أكثر من سبع سنوات.

- «شمس الحقيقة»: صدرت في مكة المكرمة في شباط ١٩٠٩، وهي جريدة «وطنية يومية سياسية علمية انتقادية فكاهية»، وكانت تنطق بلسان الحزب الحاكم التركي، جمعية الاتحاد والترقي، لصاحبها محمد توفيق مكّي.

- «الإصلاح الحجازي»: صدرت في مدينة جدة في ايار ١٩٠٩، لصاحبها راغب مصطفى توكل، وحررها أديب داود هراري (لبناني)، هاجمت جمعية الاتحاد والترقي.

- «صفاء الحجاز»: صدرت في آب ١٩٠٩، ويقال إن صاحبها أحمد رأفت اسكندراني، كما يقال إنه صدر منها عدداً فقط باللغة العربية.

- «المدينة المنورة»: صدرت في تشرين الثاني ١٩٠٩، لصاحبها الشيخ مأمون الارزنجاني، وباللغتين العربية والتركية.

- «الرقب»: صدرت في كانون الثاني ١٩٠٩ في المدينة المنورة، لصاحبها ابراهيم خطّاب وأبو بكر داغستاني.

- «جريدة الحجاز»: صدرت في آخر العهد العثماني (١٩١٦) في المدينة المنورة، وكان مديرها المسؤول حمزة غوث، وتنطق باسم الحكومة العثمانية التي كانت تنفق عليها بسخاء.

حيث كانت الحكومة السعودية تمنح امتياز إصدار الجريدة أو المجلة إلى الأفراد. وأهم صحف هذه المرحلة:

- «صوت الحجاز»: هي امتداد لجريدة «بريد الحجاز» بعد توقفها بسبع سنوات. صدرت في نيسان ١٩٣٢، وتوقفت خلال الحرب العالمية الثانية، واستأنفت صدورها في آذار ١٩٤٦ باسم «البلاد السعودية»، وتحت شعار «صحيفة الشعب العربي السعودي»، وتولى رئاسة تحريرها في فترتها الثانية عبد الله عريف. ومع بدء المرحلة الثالثة، مرحلة الاندماج في ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٩، أطلق على الجريدة إسم «البلاد» وتولى رئاسة تحريرها فؤاد شاكر وحسن عبد الحلي قزاز.

- «المدنية المنورة»: صدرت في نيسان ١٩٣٧، وكانت أدبية إخبارية سياسية اجتماعية شعبية، وكانت أول جريدة تدخل الصورة على صفحاتها (صورة الملك عبد العزيز). صاحبها علي وعثمان حافظ، ورئيس تحريرها أمين مدني، وبعده هشام علي حافظ، وتوقفت عن الصدور ثلاث مرات.

- «البلاد السعودية»: راجع أعلاه «صوت الحجاز».

- «البلاد»: راجع أعلاه «صوت الحجاز». - «اليمامة»: أصدرها حمد الجاسر (المؤرخ السعودي المعروف) في الرياض في آب ١٩٥٣، فكانت أول جريدة تصدر في نجد، وأول صحيفة تهتم بشؤون البادية.

- «أخبار الظهران»: صدرت في كانون الثاني ١٩٥٤ في مدينة الدمام في المنطقة الشرقية، وكانت أول جريدة تصدر هناك.

- «الفجر الجديد»: صاحبها الشيخ أحمد يعقوب.

- «حراء»: صدرت في مكة المكرمة، صاحبها محمد صالح جمال. ظهر عددها الأول في كانون الأول ١٩٥٦. وبعد ثمانية شهور من صدورها اندمجت مع جريدة «الندوة».

- «الأضواء»: أول جريدة صدرت في جدة في العهد السعودي. وهي ثقافية أدبية اجتماعية يومية. استمرت في الصدور سنة وستة شهور، وكان آخر عدد لها في ٦ كانون الثاني ١٩٥٩.

- «عرفات»: اسبوعية شعبية تصدر في جدة. أصدرها حسن عبد الحلي قزاز، ومن محرريها أحمد تركي يماني (الذي التزم بكتابة المواضيع القانونية والقضايا الاجتماعية)، وصدور عددها الأول في تشرين الثاني

قلما كان لهذه الصحف قيمة أدبية تذكر أو تأثير سياسي واجتماعي واضح. وفي ما عدا الجريدتين الأولين اللتين كانتا تطبعان على مطبعة الولاية التركية (ولاية الحجاز)، فإن الجرائد الباقية كانت تطبع على الجلاتين.

٢- في العهد الهاشمي في الحجاز (١٩١٦-١٩٢٤): صدرت أربع صحف هي:

- «القبلة»: أصدرتها الحكومة الهاشمية في ١٥ آب ١٩١٦، وأشهر فيها إلى أنها جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر لخدمة الاسلام والعرب. من محرريها فؤاد الخطيب، أحمد شاكر الكرمي وخير الدين زركلي. صدرت ثمانين سنوًا دون انقطاع. وكان الشريف حسين يهتم مباشرة بما يكتب فيها، وتعتبر سجلًا تاريخيًا للحياة السياسية والأدبية، وللأحداث التي مرت بها البلاد في تلك الحقبة من الزمن.

- «مجلة مدرسة جرجول الزراعية بمكة المكرمة»: صدرت في ١٩٢٠، وكانت أول مجلة علمية صدرت في الحجاز، وكان مديرها المسؤول هاشم المعري، ومحررها طلاب للمدرسة الزراعية، وتصدر في ٣٢ صفحة.

- «الفلاح»: جريدة اسبوعية صدرت بمكة المكرمة تحت شعار «جريدة عربية جامعة تخدم العرب والعروبة» في ايلول ١٩٢٠. صاحب امتيازها ورئيس تحريرها عمر شاكر الذي كان قد أصدرها بدمشق في تشرين الأول ١٩١٩. إلا ان سلطات الانتداب الفرنسية طارده وحكمت عليه بالاعدام مع من حكمت عليهم من العرب في ١٩٢٠، فجاء إلى مكة المكرمة حيث أصدر جريدته.

- «بريد الحجاز»: صدرت في تشرين الثاني ١٩٢٤، لصاحبها ورئيس تحريرها محمد صالح نصيف. اهتمت بالأخبار الخارجية من عربية وعالمية، واستمرت في الصدور طيلة عام تقريبًا.

٣- في العهد السعودي (١٩٢٤-): عرف هذا العهد، حتى الآن، أربع مراحل صحافية:

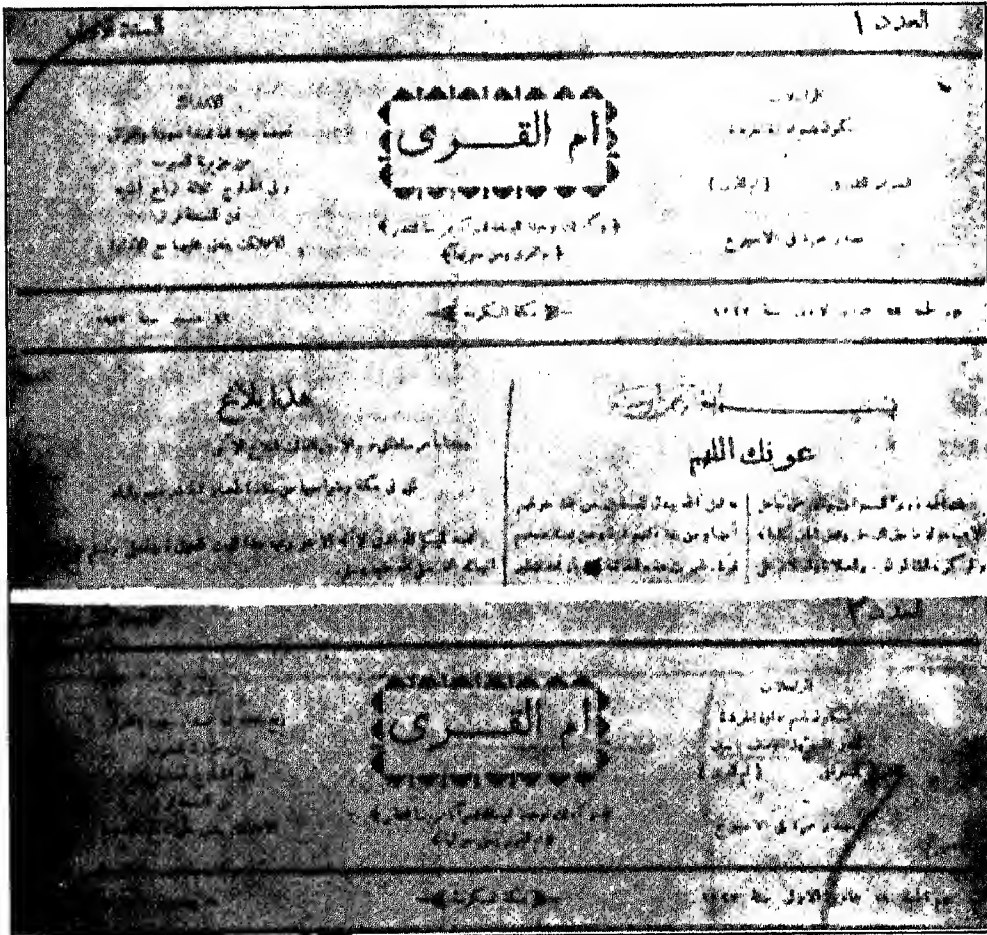
أ- مرحلة الجريدة الوحيدة (١٩٢٤-١٩٣٢): وهذه الجريدة هي «أم القرى» التي صدرت في كانون الأول ١٩٢٤. وقد عنت بالأدب والسياسة، وتطورت بحيث أصبحت جريدة رسمية. ومن أولى المراسيم الملكية التي نشرها فيها الملك عبد العزيز كان مرسوم امتياز التتقيب عن النفط الذي أعطي في بادئ الأمر لشركة بريطانية (راجع «اكتشاف البترول...» في النبذة التاريخية).

ب- مرحلة صحافة الأفراد (١٩٣٢-١٩٥٩):

ج- مرحلة إدماج الصحف (١٩٥٩-١٩٦٤):  
 حيث رأت الحكومة السعودية ان المملكة مقبلة على تضخم صحفي كبير، إذ بلغ عدد الصحف التي كانت تصدر في ذلك الحين نحو أربعين صحيفة قوية تتضافر في إصدارها جهود القائمين بالاعمال الصحفية. وفي هذه المرحلة صدر، إضافة إلى الجرائد والمجلات المدججة، عدد من المجلات المتخصصة، أشهرها: «قريش»، أديبة اسبوعية جامعة، ١٩٥٩ و«الجزيرة»، أديبة علمية فنية، ١٩٦٠ و«الرائد»، أديبة اسبوعية، ١٩٥٩ و«المعرفة»، تربوية ثقافية أصدرتها وزارة المعارف، ١٩٦١ و«راية الاسلام»، دينية اجتماعية، ١٩٥٩ و«حماة الاسلام»، تعنى بأخبار الشرطة وواجبها في المحافظة على الأمن، ١٩٦٠ و«مجلة كلية الملك عبد العزيز»، عسكرية تاريخية، ١٩٦٠ و«أخبار البترول والمعادن»، شهرية أصدرتها وزارة البترول والثروة، ١٩٦١ و«الندوة»، شهرية أديبة اجتماعية، ١٩٦١ و«مجلة الجيش العربي السعودي»، ١٩٦٢

١٩٥٧.  
 - «الندوة»: جريدة شعبية صدرت في مكة المكرمة في شباط ١٩٥٨. صاحبها أحمد سباعي.  
 - «الخليج العربي»: أصدرها عبد الله أحمد في شباط ١٩٥٧ في مدينة الخبر (المنطقة الشرقية).  
 - «القصيم»: أول جريدة صدرت في منطقة القصيم. أصدرها عبد الله العلي في مدينة بريدة أول كانون الاول ١٩٥٩.  
 - «عكاظ»: أصدرها أحمد عبد الغفور عطار في مدينة الطائف ١٩٥٩.  
 - وأهم المجلات المتخصصة والنشرات التي صدرت في هذه المرحلة عن المصالح والاندية والاشخاص والجامعات... «الاصلاح»، «الحرم»، «المنهل»، «النداء الاسلامي»، «مجلة الحج»، «مجلة الغرفة التجارية والصناعية»، «قافلة الزيت» عن شركة أرامكو (١٩٥٣)، وغيرها...

العددان الاول والثالث من «أم القرى».



و«رابطة العالم الاسلامي»، شهرية دينية، ١٩٦٢.

د- مرحلة المؤسسات الصحفية الأهلية (١٩٦٤-): حيث تمتع هذه المؤسسات امتياز إصدار الصحف على ألا يقل رأسمال المؤسسة عن مائة ألف ريال ولا يقل عدد أعضاء المؤسسة عن ١٥ عضوًا. وبدأت هذه المرحلة بناء على مرسوم ملكي رقم ٦٢ عام ١٩٦٤ الذي وضع نظامًا يقضي بتكون المؤسسة الصحفية بقرار من رئيس مجلس الوزراء فضلًا عن احكام أخرى تضع الصحافة كلية في خدمة الدولة. والمؤسسات الصحفية القائمة هي: مؤسسة البلاد للصحافة والنشر، وتصدر عنها جريدة «البلاد» (صدر عددها الأول في ٤ آذار ١٩٦٤). مؤسسة المدينة، وتصدر عنها جريدة «المدينة» (آذار ١٩٦٤). مؤسسة اليمامة الصحفية، وتصدر عنها جريدة «الرياض». مؤسسة مكة للطباعة والاعلام، وتصدر عنها جريدة «الندوة». مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، وتصدر عنها جريدة «عكاظ». مؤسسة الجزيرة للطباعة، وتصدر عنها جريدة «الجزيرة». مؤسسة الدعوة الاسلامية، وتصدر عنها جريدة «الدعوة». مؤسسة دار اليوم، وتصدر عنها جريدة «اليوم». وهناك ثلاث جرائد تصدر باللغة الانكليزية (موجب النظام الموضوع منذ ١٩٦٤): أراب نيوز، غازيت، وسعودي برس.

أما الصحف التي كانت تصدر بالانكليزية، قبل نظام ١٩٦٤، فكانت: «الشمس والمآرج»، اسبوعية أصدرتها شركة أرامكو في الظهران (١٩٤٥)؛ «النشرة السعودية»، أصدرتها وزارة الاعلام (١٩٦٠)؛ وبعد نظام ١٩٦٤، صدرت «صورة طبق الاصل»، يومية (١٩٦٦)؛ «نشرة البحر الأحمر»، اسبوعية صدرت في جدة (١٩٦٧)؛ «النشرة الاقتصادية السعودية»، اسبوعية، صدرت في جدة (١٩٦٧)؛ «الرياض اليوم»، يومية (١٩٦٧)؛ «مجلة عالم أرامكو»، أصدرها قسم العلاقات العامة في شركة أرامكو، صُممت وطُبعت في بيروت، وصدرت مرة كل شهرين.

وإضافة إلى الصحافة المطبوعة، حققت للمملكة، في العقدين الأخيرين خطوات كبيرة في مختلف وسائل الاتصال الجماهيري، خاصة منها في مجال الاتصال المرئي والسموع (تلفزيون وإذاعة). فالاستديوهات التلفزيونية (أدخل التلفزيون إلى المملكة منذ نحو ربع قرن) في الرياض هي من أحدث طراز في العالم. وتدير الحكومة محطتي تلفزيون رئيسيتين إحداهما تبث بالعربية وأخرى تبث بالانكليزية. وتنازع نشرات الاخبار باللغات الثلاث العربية والانكليزية

والفرنسية. وتملك المملكة ٣٧ محطة إذاعية لاسلكية إلى جانب عشر محطات ترحيل وتقوية للبث التلفزيوني وتسع محطات بث تلفزيوني نقالة بالإضافة إلى خمس محطات تلفزيونية مؤقتة (ومؤخرًا دخل البث التلفزيوني الفضائي). وكانت المملكة العربية السعودية في مقدمة المعارضين في المعرض الدولي للمواصلات والنقل (أكسبر ٨٦) الذي أقيم في فانكوفر في كندا، وكانت البلد العربي الوحيد في ذلك المعرض إلى جانب ٥٤ دولة أخرى، وجاءت معروضات السعودية في مجال المواصلات والاتصالات انعكاسًا لإنجازات متقدمة جدًا. وفي اواخر تموز ١٩٨٩، جاب معرض «المملكة بين الأمس واليوم» أهم المدن في الولايات المتحدة الاميركية، ونال تقدير واعجاب الاميركيين، وقالت السيدة باربرا بوش (زوجة الرئيس الاميركي جورج بوش) التي افتتحت المعرض: «المملكة هي أرض الاعجاز الحقيقي، حضارتها عريقة، وهي الآن موطن لأحدث ما في التكنولوجيا» (المراجع: عثمان حافظ، «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية»، ج١، ط٢، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة ١٩٧٨، ٥٩٠ صفحة، وكان هذا المرجع هو نفسه الذي اعتمده مؤلف هذه الموسوعة، في كتابه مادة «الصحافة العربية» لموسوعة السياسة، ج٣، ط١، ١٩٨٣، ص٥٩٦-٦٢٦، وكان يعمل فيها محررًا رئيسيًا؛ ود. ناصر ابراهيم الرشيد ود. اسير ابراهيم شاهين «الملك فهد ومسيرة الاجازات الحضارية في المملكة العربية السعودية»، المعهد الدولي للتكنولوجيا، ص٢٦٥-٢٦٦).

- مبادئ الملك فيصل العشرة: كان فيصل، قبل تسلمه العرش في تشرين الثاني ١٩٦٤، وليًا للعهد وأعلن، في ١٩٦٢، مبادئه العشرة التي ارتبطت تاريخيًا ببرنامجه في الحكم. وهذه المبادئ هي باختصار:
- ١- سنّ القوانين بما يتوافق ونصوص القرآن الكريم وسنة النبي.
  - ٢- تنظيم الادارة المحلية في مختلف مناطق المملكة كي تساهم في التقدم الاداري والسياسي والاجتماعي للوطن.
  - ٣- تأسيس وزارة للعدل ومجلس أعلى للقضاء وسلطة قضائية مستقلة.
  - ٤- إعلان مجلس للفتوى من العلماء للنظر في شؤون المسلمين وإصدار الفتاوى المناسبة عند الحاجة.
  - ٥- العمل على نشر رسالة الاسلام وتعزيز أسسه

والدفاع عنه بالقول والعمل.

٦- ممارسة الاخلاق الفاضلة تمثيلاً مع الاهداف الاسلامية العليا.

٧- تحسين مستويات المعيشة بتقديم الخدمات الطبية المجانية والتعليم وبدعم الموارد الغذائية الأساسية كي يتيسر للمواطنين الحصول عليها بأسعار معقولة. كذلك تأسيس ضمان اجتماعي يكفل للمتقدمين في السن وللعمال العناية اللائقة.

٨- تنظيم التقدم الاقتصادي والاجتماعي.

٩- تنفيذ البرامج لبناء الطرق والسدود والتثقيب عن المياه وبناء الوحدات الصناعية لقيام صناعات ثقيلة وتحفيضة وتأسيس مؤسسة عامة للبتروول والمعادن (بيترولين).

١٠- إلغاء الرق إلغاءً كاملاً وإعطاء الحرية للجميع.

وقد بذل فيصل قصاره في تطبيق هذه المبادئ، وفوق كل ذلك وللمرة الاولى في تاريخ المملكة فتح ابوابها جديدة أمام المرأة السعودية بحيث شرع لها ابواب المعرفة لتلقي التعليم على قدم المساواة مع الرجل.

□ مشروع فهد للسلام: مشروع سياسي

سلمي لحل الصراع العربي-الاسرائيلي وضعه الملك فهد بن عبد العزيز (وكان ولياً للعهد) في ١٩٨١ في أعقاب تمركات قام بها على الصعيدين العربي والدولي صبت جميعها في إطار مبادرة عُرفت بهذا الاسم (مشروع فهد للسلام) والذي أعلن في ٧ آب ١٩٨١. ولما لم تنجح القمة العربية في خريف ١٩٨١ في الانعقاد لاقرار هذا المشروع، فإنه عاد وعُرض على قمة فاس في ٦-١٠ ايلول ١٩٨٢ التي أقرت المشروع مع بعض التعديلات في بنوده الرابع والسابع والثامن، وأصبح منذ ذلك الحين يُعرف بـ«مشروع قمة فاس». وهو مؤلف من ثماني نقاط، وتشكلت على أثره لجنة سباعية من الجزائر والمغرب وتونس والسعودية وسورية والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، كلفت نقل المشروع إلى الدول الكبرى، علمًا ان المشروع قوبل بالرفض مباشرة من اسرائيل إذ وصفه وزير خارجيتها (اسحق شامير) بأنه «اعلان حرب جديد على اسرائيل»، وبأنه «خطبة أخرى لتصفية اسرائيل على مرحلة أو مرحلتين». كما ان وزير خارجية اميركا (جورج شولتز) اعتبره يتعارض مع مشروع الرئيس الاميركي رونالد ريغان. وقد لاقى المشروع تأييدًا سوفياتيًا وأوروبيًا.

ونقاط المشروع هي الآتية:

١- انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي العربية التي احتلت في ١٩٦٧ بما فيها القدس العربية.

٢- إزالة المستوطنات التي أقامتها اسرائيل بعد ١٩٦٧ في الاراضي العربية.

٣- ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية لجميع الاديان في الاماكن المقدسة.

٤- تأكيد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وممارسة حقوقه الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بمثله الشرعي الوحيد وتعويض من لا يرغب في العودة (نص هذه النقطة في الصيغة الاولى: «تأكيد حق الشعب الفلسطيني في العودة وتعويض من لا يرغب في العودة»).

٥- توضع الضفة الغربية وقطاع غزة لفرة انتقالية تحت إشراف الأمم المتحدة ولمدة لا تزيد عن بضعة شهور.

٦- قيام الدولة الفلسطينية المستقلة بعاصمتها القدس.

٧- يضع مجلس الأمن الدولي ضمانات سلام بين جميع دول المنطقة بما فيها الدولة الفلسطينية المستقلة (كانت في الأصل على الشكل الآتي: «تأكيد حق دول المنطقة بالعيش بسلام»).

٨- يقوم مجلس الأمن الدولي بضمان تنفيذ هذه المبادئ (في مشروع ولي العهد كانت كالاتي: «تقوم الأمم المتحدة أو بعض الدول الاعضاء فيها بضمان تنفيذ تلك المبادئ») (عن «موسوعة السياسة»، ج ٤، بيروت، ط ٢، ١٩٩٠، ص ٦١٢-٦١٣).

□ مؤتمر الرياض (١٩٢٨): راجع «الاخوان» في هذا الباب، معالم تاريخية.

□ ميزات رئيسية ثلاث: مستقر أكبر تجمع من القبائل في العالم، وأول وحدة حقيقية بعد صدر الاسلام، واقتران الدولة بالاسلام: في المملكة العربية السعودية ما يزيد على مائة قبيلة يتشكل منها الشعب السعودي، وبذلك تعد المملكة مستقر أكبر تجمع من القبائل في العالم، والثابت تاريخيًا أن هذه القبائل عربية الأصول، هاجرت من اليمن واستوطنت في ارجاء شبه الجزيرة العربية إثر انفجار سد مأرب أو «سيل العرم» كما ورد ذكره في القرآن الكريم.

ولا تزال معظم هذه القبائل العربية التي تستوطن

الياسيني في مستهل كتابه «الدين والدولة في المملكة العربية السعودية»، بالانكليزية، نقله إلى العربية د. كمال اليازجي، دار الساقى، ١٩٨٧، ط٢، ١٩٩٠).

وضمن هذه الميزة الثالثة (الدين والدولة) يمكن إضافة عامل وسيط ذي تأثير جدي بالغ في الدولة السعودية الحديثة عبر التغييرات الجذرية التي تواصل فيها، ألا وهو النفط. فإذا «كان تحالف الأسرة السعودية مع المذهب الرهاوي أنتج دولة أصولية متشددة في تطبيق الشرع الاسلامي، فإن اكتشاف النفط دفع المجتمع، منذ الثلاثينات، إلى خصم عملية تحديث معقدة، تشده إلى أقصى الطرف الآخر للمقابل للتشدد» (من كلمة الناشر على الغلاف الأخير لكتاب أيمن الياسيني، مرجع مذكور آنفاً).

#### □ النزاع الحدودي السعودي-اليمني: نزاع

طويل تعود بداياته في التاريخ الحديث إلى أيام دولة آل سعود في الدرعية (الدولة السعودية الأولى) والمعارك التي خاضتها والفتوحات التي حققتها. والمخطة الأساسية التي حققتها الدولتان على طريق الحل النهائي لهذا النزاع تمثلت في معاهدة الطائف التي وقعتها في ١٩٣٤، أي بعد نحو سنتين من إعلان المملكة العربية السعودية. فقد نجحت هذه المعاهدة في طي مسلسل طويل في الصراع السعودي-اليمني، واعتبرت من الجانبين إطاراً قانونياً لوضع حدودهما المشتركة. وجاء في مقدمتها أنها تؤسس علاقات عهد ثابتة بين الحكومتين السعودية واليمنية، وتنص على إنهاء حالة الحرب والاعتراف المتبادل بين الدولتين والوضع النهائي للحدود بينهما. وحددت المادة الرابعة منها خط الحدود الذي يفصل بينهما.

وبعد ٤٣ عاماً من التوقيع على معاهدة الطائف، وبالتحديد في ١٠ آذار ١٩٩٧، أكدت حكومة القاضي عبداً لله بن أحمد الحجري رئيس وزراء اليمن وحكومة الرياض (التي كان يمثلها عمر السقاف وزير الدولة للشؤون الخارجية) اعترافهما بمعاهدة الطائف، وقررتا بشرعيتها في بيان مشترك صدر في نهاية زيارة رسمية قام بها الحجري للملكة، ونص على اعتبار الحدود بين البلدين فاصلة بصفة نهائية ودائمة كما ورد في المادتين الثانية والرابعة من معاهدة الطائف وملحقاتها.

الجدير ذكره ان اليمن كان مقسماً إلى دولتين: شمالية (وكان رئيس وزرائها الحجري الذي وقع هذا البيان) وجنوبية. والدولتان كانتا وقعتا اتفاق وحدة بينهما منذ ١٩٧٢، لكنها لم تتحقق إلا في ١٩٩٠. لذلك كان

المملكة تحتفظ بأسمائها القديمة حتى الآن. ولبعض هذه القبائل فروع في دول الخليج العربية المجاورة، وفي بلاد الشام والعراق ومصر والسودان والمغرب. ومن أشهر القبائل التي هاجرت من هذه البلاد في الزمن القديم إلى شمالي افريقيا قبيلة بني هلال التي يدور حولها الكثير من القصص الشعبي.

أما الميزة الثانية: أول وحدة حقيقية بعد صدر الاسلام، فبؤكدها كثير من المؤرخين العرب والاجانب في القرن العشرين بقولهم إنه بتأسيس المملكة العربية السعودية (١٩٣٢) قامت أول وحدة حقيقية بعد صدر الاسلام.

فبعد انتقال مقر الخلافة الاسلامية من المدينة المنورة إلى دمشق ثم إلى بغداد تعرضت شبه الجزيرة العربية للعزلة والاهمال حوالي ألف عام، حيث سادت فيها الفوضى والحروب والصراعات، وعمها الجهل والفقير والمرض، وانتشرت فيها البدع والخرافات، ومزقت إلى أجزاء ودويلات وإمارات كثيرة بما زاد في ضعفها وشتاتها وعزلتها بعد ان كانت المدينة المنورة مركز العلم والاشعاع. وقد نجح حكام الدرعية من آل سعود الذين حملوا لواء الدعوة الرهاوية التحديدية منذ اواسط القرن الثامن عشر في إصلاح الاوضاع في شبه جزيرة العرب، ولكن عوامل خارجية أدت إلى عودة إلى وضعها السابق من التمزق والشتات، وظلت كذلك حتى قام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود (منذ اوائل القرن العشرين) الذي استطاع، بعد كفاح طويل، من تأسيس المملكة العربية السعودية. فحقق بذلك أول وحدة شهدتها هذه البلاد منذ نهاية عهد الخلفاء الراشدين حتى الآن (عن «مخات عن ثوابت السياسة السعودية»، إعداد إدارة الابحاث والنشر بدار الأفق للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٥، ص١٤٦-١٤٨).

وأما الميزة الثالثة فتمثلها تلك الصلة بين الدين والدولة في المملكة العربية السعودية. «ذلك أن هذه الدولة تقترن بالاسلام أكثر من أي دولة أخرى في العالم الاسلامي. وبذلك فهي موطن مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقبلة للمسلمين والحجاج المسلمين. هذه هي الميزة الدينية التي عُرفت بها المملكة، والتي عادت فتأكدت سنة ١٧٤٥، عندما دخل الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حلف مع آل سعود، حكام الدرعية، في اواسط نجد، وهذا الحلف باق إلى اليوم. الاسلام، بمقتضاه، دين الدولة، ومصدر الشرعية السياسية، فهو يوجه سياسات الدولة ونشاطاتها، ويصوغ مبادئ المجتمع الاخلاقية» (عن التصدير الذي كتبه أيمن

الجانب السعودي، ولا يزال، يشدد على أهمية هذا البيان الصادر في ١٠ آذار ١٩٧٧ واعتباره مندرجاً ككتابة من ثوابت القانون الدولي التي تقضي بأن لا أثر لتغيير نظام الحكم في المعاهدات التي سبق ان أبرمتها الدولة، وبالمذاق المعاهدات الاقليمية الخاصة بالحدود.

الجدير ذكره ان معظم حدود المملكة مع جارتها من الدول العربية اعتمدت على اتفاقات ومعاهدات مرسومة، ومنها معاهدة الطائف ١٩٣٤ التي رسمت الحدود بين السعودية واليمن، فضلاً عن أنها أعلنت في وقت واحد في كل من مكة المكرمة وصنعاء والقاهرة وبهروت ودمشق، مما أعطى للمعاهدة طابعاً دولياً وإطاراً قانونياً ملزماً إذ شهدت وفود عربية على صحة ما اتفق عليه. وكان محمد علي علويه ممثلاً لمصر، وهانم الأتاسي ممثلاً لسورية وشكيب ارسلان للبنان، وأمين الحسيني لفلسطين، وغيرهم.

لكن مشاكل الحدود بين الجانبين، السعودي واليمني، لم تنته عند معاهدة الطائف. إذ استمرت هناك أجزاء لا تشملها المعاهدة خصوصاً هذا الجزء من الحدود مع ما كان يسمى سابقاً، قبل وحدة اليمن، اليمن الجنوبي. وطول الحدود السعودية مع اليمن يبلغ ١٢٤٠ كلم.

وكان البلدان اتفقا، في مسار مفاوضاتهما الحدودية، على تشكيل مجلس التنسيق السعودي-اليمني الذي كان ينظم العلاقة بين البلدين قبل أزمة الخليج (١٩٩٠). ومن أهم اجتماعات هذا المجلس اجتماعات دورته العاشرة، في شتاء ١٩٨٩ التي رأس فيها الجانب السعودي الأمير سلطان بن عبد العزيز.

وبعد تعثر بسبب الظروف المعقدة لليمن التي عاشها منذ تحقيق وحدة شطريه الشمالي والجنوبي في ايار ١٩٩٠، والتي جعلت اليمن يمر في مرحلة انتقالية (راجع «اليمن» في جزء لاحق)، عاد ملف الحدود بين البلدين ليفتح من جديد وليؤدي بالمفاوضات إلى محطة مهمة على طريق الحل النهائي تمثلت في مذكرة التفاهم التي وقعها الجانبان في ٢٦ شباط ١٩٩٥ في قصر الأمير سلطان في مكة المكرمة.

وجاءت مذكرة التفاهم من ١١ مادة، نصت المادة الأولى فيها على تأكيد الطرفين «تمسكهما بشرعية وإلزامية معاهدة الطائف» (١٩٣٤)، والمواد الأخرى على لجان حدودية مشتركة، هي لجنة ترسيم الحدود واللجنة العسكرية ولجنة تحديد العلامات الحدودية القديمة ولجنة الحدود البحرية واللجنة الزارية المشتركة. وعقدت اللجنة

العليا المشتركة برئاسة الامير سلطان والشيخ الأحمر (اليمن) أول اجتماعاتها في الرياض في كانون الاول ١٩٩٥. وعقد اجتماعها الثاني في صنعاء (اواخر آب ١٩٩٦). أما اللجان الخمس الأخرى فعقدت اجتماعات عدة في كل من الرياض وصنعاء على التوالي (الجدير ذكره ان الايام التي سبقت الاتفاق على مذكرة التفاهم هذه عرفت توتراً عسكرياً حدودياً بين البلدين).

من جملة التعليقات والتحليلات التي ظهرت بعد التوقيع على مذكرة التفاهم والتي تناولت هذه المذكرة نستطيع أن نثبن عدداً من النقاط في موضوع العلاقة بين البلدين عموماً، ومسألة الحدود خصوصاً:

١- جاءت المذكرة في إطار «عصر تغليب التفاهم والعلاقات الاقتصادية والتجارية على التشبث بالعالم الحدودية وبما تمثله الحدود من انطواء وعزلة».

٢- تخلص اليمن، بفضل الوحدة التي حققها بين شطريه، من مزاييدات الشطر الشمالي على الجنوبي ومزاييدات الشطر الجنوبي على الشمالي بشأن معاهدة ١٩٣٤. فالجنوب كان يزاييد على أي حاكم شمالي يقبل بالمعاهدة ويؤنونه، كما كانت مزاييدات الشمال تمنع أي حاكم في الجنوب من التوصل إلى تسوية مع السعودية في شأن الحدود.

٣- جاءت مذكرة التفاهم (١٩٩٥) لتزيل ثخارف صنعاء من أن ثمة حساسية سعودية تجاه الوحدة اليمنية. فعندما اعترض اليمنيون، في أثناء المفاوضات على تسمية بعض اللجان التي يمكن ان تذكر بمرحلة انقسام اليمن، وافق السعوديون على كل ما طلبوه بما يؤكد الوحدة وقالوا ان لا اعتراضات لهم عليها، وانهم إنما يتعاونون مع كيان سياسي واحد.

٤- من بين الأمور التي أثارها ارتياح اليمنيين ورود كلمة «التحكيم» في مذكرة التفاهم. فقد نصت المادة الثالثة من المذكرة: «تستمر اللجنة الحالية المشكلة من البلدين في عملها لتحديد الاجراءات اللازمة والمخطوات التي تؤدي إلى ترسيم ما تبقى من الحدود بدءاً من جبل الشار وحتى منتهى حدود البلدين بما في ذلك الاتفاق على كيفية التحكيم في حال الاختلاف بين البلدين». إذ ثمة قناعة في صنعاء بأن لا بد في النهاية من التحكيم حتى ولو طال الزمن. ولهذا أعد اليمنيون أنفسهم لهذه المرحلة منذ ١٩٩٢، وكلفوا شركة محاماة اميركية هي «بايكر-برش» إعداد الملفات الخاصة بالقضية.

٥- في مسار المفاوضات الحدودية في مرحلته التي



الملك فهد يستقبل الرئيس صالح (حزيران ١٩٩٥).

الحدودية «باعتبارها الركيزة التي يتم من خلالها تطوير العلاقات بين البلدين الشقيقين».

- في تموز ١٩٩٥، تواصلت في صنعاء اجتماعات اللجنة الفنية السعودية-اليمنية في شأن تجديد العلامات الحدودية بين البلدين طبقاً لاتفاق الطائف (١٩٣٤) واستناداً إلى مذكرة التفاهم (٢٦ شباط ١٩٩٥).

في ٢٠ آذار ١٩٩٦، بدأت في الرياض اجتماعات الجولة الثالثة للجنة ترسيم ما تبقى من حدود البلدين. وعاودت اجتماعاتها في ٢١ ايار ١٩٩٦، وظهرت مواقف متباعدة.

في ٢٧ تموز ١٩٩٦، وفي جدة، وقع الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية السعودي ونظيره اليمني العقيد حسين محمد عرب اتفاقية أمنية مشتركة لتنظيم «الاطار العام لمختلف جوانب العلاقات الأمنية بين المملكة واليمن».

- في آخر آب ١٩٩٦، زار صنعاء الأمير سلطان بن عبد العزيز وأجرى محادثات مع كبار المسؤولين اليمنيين. وفي البيان المشترك «أن الطرفين أكدا التزامهما معاهدة الطائف (١٩٣٤) ومذكرة التفاهم (١٩٩٥) في شمل العلاقات بين البلدين وأهمية تطويرها في مختلف المجالات الاقتصادية والثقافية وتوسيع فرص الاستثمار لمواطني البلدين».

بدأت في أعقاب توقيع مذكرة التفاهم (١٩٩٥) عبر لجان فنية، وكان المسار نشطاً أحياناً ومتعثراً أحياناً أخرى، بدأ واضحاً ان اليمن يريد من السعودية ان تساهم في حل اشكالاته الاقتصادية وان يكون انتهاء خلافات الحدود جزءاً من الاتفاقية الحدودية الشاملة، وبخاصة ان اليمن يمر بصعوبات اقتصادية من أبرزها عودة مئات الألاف من اليمنيين الذين كانوا يعملون في السعودية من دون تأشيرات أو كفلاء، وهي حال استثنائية في النظام السعودي. وبقيت السعودية من جانبها تعرب، في كل مناسبة، عن حرصها على إنهاء ملف الحدود الذي كثيراً ما كان يأخذ طابعاً اقتصادياً-سياسياً، في محاولة لأن يصبح ورقة ضغط، فيتحول من مسألة فنية إلى حال توتر تكثر فيها الاتهامات بالاعتداءات والاختراق. وهذا ما أثبتته المسار التفاوضي في أعقاب توقيع مذكرة التفاهم (٢٦ شباط ١٩٩٥) حتى آب ١٩٩٨.

- في ٢٠ آذار ١٩٩٥، جرى اتصال هاتفي بين الملك فهد والرئيس اليمني علي عبدالله صالح، وفي اليوم التالي، بدأت في قصر المؤتمرات في الرياض أول جلسات اللجنة العسكرية السعودية-اليمنية.

- في ٥ حزيران ١٩٩٥، زار الرئيس اليمني علي عبدالله صالح جدة، وأجرى محادثات مع الملك فهد. وفي البيان المشترك تأكيد على توفير سبل النجاح للجان



تود ان تؤكد انها لا تعترف بأية حقوق أو آثار ترتب نتيجة لهذا الاتفاق في المناطق المشار إليها، يكون فيها تجاوز أو مس بحقوقها».

- في ١٦ تموز ١٩٩٨، عبر «مصدر يمني مأذون» عن استغراب بلاده تجاه «ما قامت به حكومة المملكة العربية السعودية من احتجاجات لدى الأمم المتحدة والجامعة العربية بشأن الاتفاق الحدودي العُماني-اليمني»، واعتبر ذلك «انتكاسة خطيرة وعودة بالمفاوضات الحدودية الجارية بين البلدين إلى وراء»، واتهم السعودية بالاعتداء على لاراضي اليمنية، فيما أكدت السعودية، في اليوم التالي (١٧ تموز ١٩٩٨) انه «لم يحدث أي اعتداء من المملكة على اراضي الجمهورية اليمنية بأي شكل من الأشكال».

- في ٢٢ تموز ١٩٩٨، نفت صنعاء أبناء عن انزال عسكري يمني في جزيرة الدومة في البحر الأحمر، وأعلنت ان تفاهماً تم التوصل إليه بين صنعاء والرياض «لاحتواء حادث الجزيرة بين قوات سعودية وحرس الحدود اليمني». وفي اليوم التالي، نفى أيضاً وزير الداخلية السعودي الامير نايف بن عبد العزيز أبناء انزال بحري يمني في جزيرة الدومة. واعتبر الجانبان ان «هذه حادثاً مؤسفاً وقع»، واتفقا على تشكيل لجان «لمنع أي استحداثات أو مشكلات تقع على الحدود».

- في ٢٧ تموز ١٩٩٨، جدد ولي العهد السعودي نائب رئيس مجلس الوزراء الامير عبد الله بن عبد العزيز حرص السعودية على «حل ما تبقى من مشكلة الحدود» مع اليمن، وذلك عن طريق «اللجان المشتركة وبموجب ما نصت عليه معاهدة الطائف (١٩٣٤) ومذكرة التفاهم (١٩٩٥). وفي اليوم التالي، زار وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل صنعاء حيث جرى التوقيع على «مخضرات اتفاق» من ٦ نقاط لاحتواء «التداعيات العسكرية والامنية» بين البلدين بعد الحادث الحدودي في جزيرة الدومة، ولتفعيل نشاط لجان الحدود. وحدد المحضر يوم ٤ آب ١٩٩٨ موعداً لاجتماع اللجنة العسكرية اليمنية-السعودية المشتركة، يليه بعد شهر اجتماع للجنة تعيين الحدود البحرية، على ان تجتمع لجنة تجديد العلامات الحدودية لتجديد العلامات ابتداء من جبل النار إلى رأس المعوج، كما وصفا في معاهدة الطائف، خلال شهرين من توقيع المحضر (أي من ٢٨ تموز ١٩٩٨).

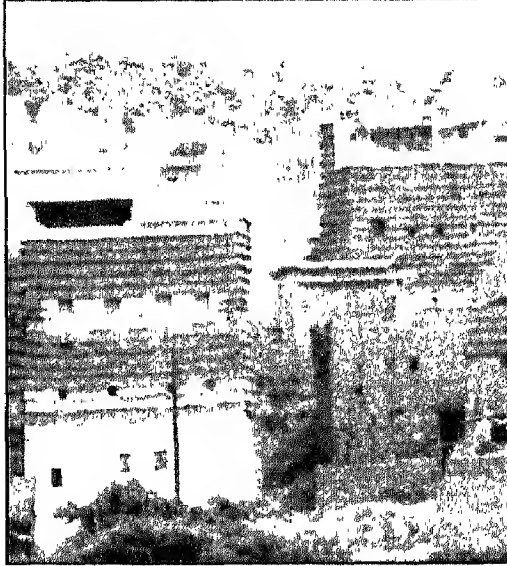
- في ٧ تشرين الاول ١٩٩٦، قام وزير الداخلية السعودي الأمير نايف بن عبد العزيز بزيارة إلى اليمن ووصفت بأنها «مهمة جداً» على صعيد حل النزاعات الحدودية؛ ونقل الأمير نايف رسالة من الملك فهد إلى الرئيس علي عبدالله صالح، وحمل مقترحات سعودية لتسوية هذه النزاعات في أسرع وقت ممكن دون انتظار اجتماعات اللجان المختلفة التي شكلت بموجب مذكرة التفاهم (١٩٩٥). إذ كانت هذه اللجان قد توصلت في مطلع الصيف «إلى طريق مسدود وتجمدت أعمالها بسبب اقتراحات متشددة متبادلة بين الجانبين».

- في ٦ تشرين الاول ١٩٩٧ (بعد نحو سنة من الاعلان عن «الطريق المسدود»)، أعلن الرئيس اليمني علي عبدالله صالح ان المفاوضات بين بلاده والمملكة العربية السعودية بلغت مرحلة وضع «اللمسات الأخيرة» لاتفاق بين البلدين وذلك «في شكل أخوري ومرضي وعادل». وأكد ان «اللقاء الأخير الذي عقده مع الأمير سلطان بن عبد العزيز في ايطاليا (الاول ١٩٩٧) كان «إيجابياً».

- في آخر تشرين الثاني ١٩٩٧، نقل نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية اليمني الدكتور عبد الكريم الأرياني إلى الملك فهد رسالة شفوية من الرئيس علي عبدالله صالح تشمل رداً رسمياً على اقتراحات سعودية لحل إشكالية الحدود.

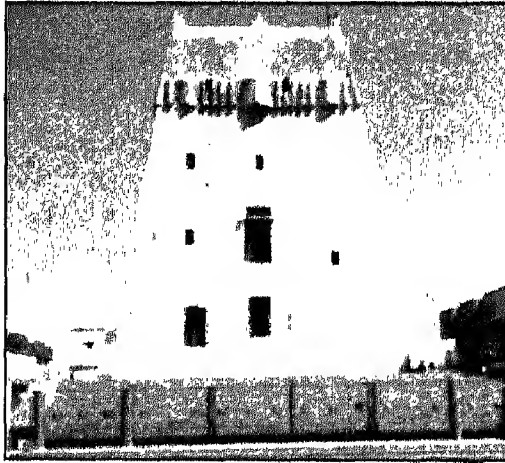
- في ١٧ تشرين الثاني ١٩٩٧، وقع اشتباك على الحدود السعودية اليمنية، وحرص الجانب السعودي (على لسان الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية) على التأكيد بأن المفاوضات لتسوية الحدود بين البلدين «لم تتأثر بالحادث المؤسف». وكانت وقعت عدة تفجيرات في عدن، ونفت السعودية صلتها بأحد المتهمين بها.

- في نيسان ١٩٩٨، قدمت السعودية وثيقتين رسميتين إلى الأمم المتحدة والأمانة العامة للجامعة العربية، ونقل وفدا المملكة لدى المنظمتين «سرور بلهما لتوصل الشقيقتين، سلطنة عمان والجمهورية اليمنية إلى اتفاق حدود بينهما»، لكنهما أكدتا ان «السعودية تلتقي في حدودها مع كلا البلدين»، وشددتا على ان الاتفاق الحدودي العُماني-اليمني «تضمن تجديداً تبعية بعض المناطق التي تعتبرها المملكة جزءاً من اراضيها، لذلك فإن السعودية



بيوت قديمة في منطقة لربة من مشروع الحيلة السياحي في أبها.

قصر الشدا في أبها، مقر الامارة القديم وحاليا متحف تاريخي.



يقول المؤرخ والمحقق السعودي حمد الجاسر: «لا نجد في معجم البلدان لياقوت ولا في معجم ما استعجم ذكراً لهذه المدينة وهذا ما دفع كثيراً من الباحثين إلى الحكم بأن مدينة أبها حديثة». لكن، برأي الجاسر، أن «أبها» مدينة قديمة جداً لا يعرف اسمها الحقيقي الذي نشأت عليه. تطورت في العمارة وربما تغير مسماتها من فترة إلى أخرى» («العربي»، المرجع المذكور، ص ٤٥).

«يقولون إنه ورد في التوراة أن بلقيس ملكة سبأ عندما استدعت لمقابلة الملك سليمان طلبت من سكان «هيفاء» أن يؤمنوا لها جمال الرحلة. وذكر ان العمالقة قد

## مدن ومعالم

\* أبها: تقع هذه المدينة في منطقة عسير (وهي عاصمة عسير) جنوب غربي المملكة في مرتفعات «السروات»، وتشرف على السهول الساحلية من تهامة، وعلى جبال «السودة» ذات الغابات الكثيفة من جهة الغرب. وترتفع أبها عن سطح البحر ٢٢٠٠ م (يزيد ارتفاع أعلى قمة في منطقة السودة على ٣ آلاف م)، والصخور السائدة في المنطقة هي غرانيتية وشيستية. مناخها معتدل بوجه عام، ومعدل هطول الامطار فيها ٥٠٠ مم، وهو أكبر المعدلات في المملكة.

في حسابات التطور العمراني القياسي زمنياً الذي شهدته المملكة بوجه عام تأتي أبها في القائمة الأولى بين مدن ومناطق السعودية: «من يصدّق أن أبها التي هي اليوم معلم من المعالم السياحية المتميزة بأبنية متطورة وأسواق تجارية عامرة وأنفاق وجسور وطرق، هي نفسها تلك القرية المعزولة عن العالم قبل خمس عشرة سنة بسبب وعورة طرقها ومسالكها الجبلية أفني احصائية رسمية بلغ عدد المصطفيين الخليجين في أبها سنة ١٩٨١ ما يقارب ٧٠ ألفاً وفي عام ١٩٨٦ تجاوز الستة ملايين» («المدينة العربية»، عدد شباط-آذار ١٩٩٧، ص ٩٣). فقد تحولت عسير، وتحديداً أبها، نموذجاً حضارياً متميزاً واصبحت المحطة السياحية الصيفية الأولى في منطقة الخليج العربي.

إضافة إلى صناعة السياحة التي باتت تشتهر بها أبها (٤٠٠ ألف كلم من الخضرة الدائمة على مدار السنة)، ثمة صناعة ثقافية آخذة في النمو في أبها، وأهم أركانها «قرية مفتوحة التشكيلية» التي هي «مركز ثقافي يحتوي على ١٢ مرشماً وهذه المراسم تضم بين جوانبها عدداً من الفنانين التشكيليين وهي عبارة عن أجنحة كل جناح عبارة عن دورين، الدور الارضي وهو المرسم... والدور الثاني غرفة نوم متكاملة ومطبخ ومرفقاته، ثم هناك صالة عرض لاقامة المعارض التشكيلية (...) إن من أهداف هذا المركز تنمية الحركة الفنية والحرفية واستقطاب تحبي الفن في جميع اعضاء المملكة والعالمين العربي والاسلامي (...) القرية كذلك تضم مسرحاً مفتوحاً يتسع لأكثر من ألف شخص (...) كما ان اعمال البناء والتشييد لاقامة مسرح يتسع لأكثر من خمسة آلاف مشاهد تسيّر قداماً» («العربي»، العدد ٤٧٢، آذار ١٩٩٨، ص ٥٢).



من اطلال رقعات في مدينة الأخدود (نجران).

عمروها، وأنه قد عاش بها «بنو ثابر» حتى جاءتهم «الأزد». وكان أهلها في الجاهلية أصحاب قوة بين القبائل. وفي عهد أبي بكر أمدته بالمقاتلين الأشداء ليرد أصحاب الردة. وكانت أحد توابع الدولتين الأموية والعباسية. وانها خضعت لحكم الأحشيديين والطلولونيين والأيوبيين والمماليك. وعندما فتح العثمانيون بلاد الشام ومصر أرسل الشريف ولده أباغي إلى السلطان العثماني، وتم تسليم مفاتيح الكعبة له ومن تلك النزة تبعت منطقة عسير الدولة العثمانية. وإبان الحملة المصرية، تمكن محمد علي وابنه ابراهيم باشا من دخول أباها واحتلالها وتم القبض على طامي بن شعيب القائد العشيري حيث بُعث به إلى اسطنبول ليعدم، حتى تحررت أخيراً على يد آل سعود («العربي»، المرجع المذكور، ص ٤٦).

من أشهر معالم أباها «قصر شادا»، الذي انتهى بناؤه في ١٩٢٧ على أنقاض نكبة قديمة. بعد ترميمه، افتتح في ١٩٨٧ ليكون متحفاً يعرض ما يتبرع به أهالي أباها من مآثورات ومقتنيات تراثية.

\* أبو السعود: راجع «الأخدود» في هذا الباب.

\* الإحساء: راجع «المنطقة الشرقية» في هذا

الباب.

\* الأخدود: مدينة أثرية في واحة نجران الواقعة في

جنوبي السعودية على اطراف صحراء ممتدة إلى كل الجهات، ففي الشرق منها صحراء الربع الخسالي، وإلى الجنوب بلاد اليمن، أما من الغرب فتبدأ حدود منطقة عسير الشهيرة بجبالها الشاهقة، وتجاور قرية أبو السعود (نجران القديمة) ذات المنازل العالية والشهيرة بصناعاتها المحلية مثل الجنبية والزرابي والقفقف والسجاجيد من سعف النخيل وصوف الاغنام وغير ذلك من حرف هي اليوم حرف فولكلورية.

تحت مادة «نجران»، جاء في قسم الاعلام من المنجد (دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦، ص ٧٠٦-٧٠٧):

١- نجران: مدينة (سعودية) شمالي اليمن على حدود عسير. ذكرها بطليموس. حُرِّبها الامبراطور غالس ٢٥١-٢٥٣. قد تكون خرائب مدينة الأخدود انقاض نجران القديمة. دخلتها المسيحية عن طريق تجارها ثم ازدهرت في عهد يوستينانوس. لجأ إليها المونوفيزيون هرباً من الاضطهاد البيزنطي. كانت مسرحاً لاضطهادات

عيفة. أُنجبت اساقفة عديدين في القرنين التاسع والعاشر.

٢- نجران (شهداء-): هم المسيحيون بنو حارث بن كعب، أصحاب كعبة نجران. أكرههم ذو نواس ملك حِمير على اعتناق اليهودية فأبوا، فحرقهم مع ملكهم الحارث في أخدود النار ٥٢٣.

٣- نجران (كعبة-): إسم البيعة التي بناها عرب الجاهلية النصارى، بنو حارث بن كعب ومنهم بنو عبد المدان، في نجران. وسميت «قيس» مضاهاة لكعبة مكة، وكان لها أساقفة وأحبار مقيمون.

٤- نجران (وادي-): مسيل ماء على حدود السعودية واليمن. تنقاسمه الدولتان. جرت فيه معركة الأخدود التي ذكرها القرآن الكريم.

مرجع آخر لا يتعارض، بصورة عامة، مع ما جاء في المنجد، لكنه يزيد عليه معلومات تاريخية مهمة، فيقول (عن أحمد مرتضى عبده، «الحياة»، العدد ١١٦١١، تاريخ ٢ كانون الأول ١٩٩٤، ص ٢١):

ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان ان تسمية «نجران» ترجع إلى نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان لأنه أول من نزلها وعمرها».

أما تدمير المدينة وخرابها وتحول إسمها من رقمت إلى الأخدود فتعود إلى العام ٥٢٥ حين أمر ذو نواس آخر ملك جيمر النجرانيين بالتحول من النصرانية (التي وصلتهم عن طريق التجار في القرنين الخامس والسادس) إلى اليهودية. لكن الأهالي رفضوا، فحاصروهم وأسر الكثيرين منهم ثم جمع شيوخهم وأهل الرأي والرافضين لدعوته في أخاديد وأحرقهم، وهو الحدث الذي أشارت إليه الآية القرآنية الكريمة. وتحولت المدينة الزاهرة بعد ذلك إلى أطلال طمرت الرمال والأتربة على مدى العصور حتى قامت الإدارة العامة للآثار والمتاحف في السعودية قبل سنوات بإشراف الدكتور عبدا لله المصري بعمليات بحث وتنقيب في موقع الأخدود. واستمر العمل مدة عامين متصلين إلى ان عثر على بقايا المدينة المنكوبة (رقمات).

\* أعمدة الرجاءجيل: راجع «الجوف» في هذا

الباب.

\* الباحثة: مدينة ومنطقة في جنوب غربي السعودية. من أهم مدنها، إلى الباحة، بلجرش، المنطق، الخوارة، العقيق، بني كبير، بني حسن... وأهم قرىها قرية ذي العين الأثرية. ومعظم سكان المنطقة من قبيلتي زهران في الشمال وغامد في الجنوب. بنيت على سفوح جبال المنطقة مدرجات (يقال لها مصاطب، شبيهة بما هو معروف بـ«الجلول» في لبنان) لزراعة أشجار الفاكهة كالرمان واللوز والعب، إضافة إلى الخنضار والحبوب.

تبدو الباحة مدينة حديثة نشأت في أعقاب الطفرة الاقتصادية التي حدثت في السعودية خلال العقود الثلاثة الماضية. لكن أروقها القديمة تبقت أنها كانت موطن الصحابي أبو هريرة، ومن أبرز قادتها التاريخيين سفيان بن عوف الغامدي الذي قاد جيش معاوية، ومن شعرائها الشنفرى، أحد الشعراء الصعاليك وصاحب «لامية العرب» الشهيرة.

من قرى منطقة الباحة الأثرية قرية ذي العين التي تبعد ٢٥ كلم من وسط مدينة الباحة، وهي تقع على قمة جبل صغير، وقد تهدمت معظم منازلها. وهناك قرية عشم التي كانت تشتهر منذ القدم بمناجم الذهب كما تتميز بموقعها على طريق الحجاج اليميني. وهناك منطقة ثروق الأثرية التي يرجع تاريخها إلى عهد ما قبل الإسلام، إضافة إلى مناطق برحرح وحرب الفييل الذي يقع على بعد ١٠ كلم شرقي الباحة، وهو الدرب الذي سلكه جيش

وأخدود كان إسمها «رقمات» قبل حوادث «أخدود النار» (الحرق التي نزلت بسكانها النصاري). وإذا عدنا لتاريخ رقمات نجد ان ما تخلف من آثارها قليل قياساً بقيمتها التاريخية التي تجلت في ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: «والسماء ذات البروج. واليوم الموعود. وشاهد ومشهود. قتل أصحاب الأخدود. النار ذات الوقود. إذ هم عليها موقود. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود» (البروج: ٧/١)، وهي الإشارة التي فتحت باب البحث قديمًا وحديثًا لاكتشاف ما حدث لهذه المدينة الزاهرة (كما كانت- أي رقمات- في عصورها الزاهية)، ودفعت بعض الباحثين الا جانب مثل النمسي غليسر للبحث عما تخفيه رمال الازمنة المتراكمة في هذا المكان. فتمت زيارة غليسر لنجران أواخر القرن التاسع عشر، فأمضى زمنًا في التنقيب والبحث الشاق قبل ان يعثر على كتابات على الصخور ونقوش ورسوم في مواقع مختلفة من الوادي. ومن اكتشافاته كتابات بالخط المسند ثبت استخدامه في دولة حمير التي كانت (كما رأى المؤرخ اليوناني سترابون) سيطرت على نجران بين ١١٥ ق.م. و ٣٤ م. ويرى بعض الباحثين ان خط المسند الجيميري قريب من الكتابة العربية. وعثر غليسر ايضاً على رسوم هيروغليفية مصرية قديمة في المنطقة الواقعة بين قرية القابل في الشمال وقرى السودا والحمر والعرق في الجنوب. ولكنه لم يحاول الربط بين هذه الآثار الهيروغليفية وبين الحضارة القديمة في نجران، وهو الاستنتاج الذي توصل إليه الدكتور عبد العزيز صالح عميد كلية آثار القاهرة سابقاً في كتابه «تاريخ الشرق الادنى القديم»، وتحدث عن إشارات متعددة تفيد بوجود علاقات اقتصادية وثقافية وحضارية بين الدولة المصرية القديمة- على امتداد أسر فرعونية عدة- وبين دول جنوبية الجزيرة العربية في ذلك الحين، وذلك عن طريق الحبشة ومنابع النيل مروراً بمضيق باب المندب.

وعثر غليسر في جبل الحمراء (وهو جاور للأخدود) على آثار من العصور الإسلامية المبكرة، منها كتابات كوفية ورسوم متعددة للحيوانات والنعائين. وأكد المؤرخ الرحالة عبدا لله فيليبي ان رقمات هي مدينة الأخدود التاريخية وانها كانت عاصمة نجران القديمة، وان ما اكتشف من آثار يعود إليها، وأهمها البئر الارتوازية المبنية بطريقة هندسية دقيقة يشي بها الدرج الحجري الجاور لبعض الاسوار التي بُنيت من الدمار، والتي توحي ايضاً بأنها كانت مدينة حصينة ذات قلاع أو حصون أصبحت بفعل الحريق الضخم الذي لف المكان آثاراً بعد عين.

أبرهة الأشرم عندما أراد هدم الكعبة في مكة المكرمة.

\* تاروت، قلعة: راجع «الدمام» في هذا الباب.

\* تبوك: مدينة ومنطقة، غربي السعودية شمالي البحر الأحمر. ومدينة تبوك، بموقعها هذا، هي أقرب المدن السعودية من بلاد الشام. والمشاريع والاستثمارات القائمة في تبوك تجعلها من جيل المدن المتولدة حديثاً. وأهم هذه المشاريع ميناء ضياء الذي يوفر عبور المسافرين والبضائع بين السعودية ومصر خلال ساعة أو ٣ ساعات عند أبعد تقدير (افتتح بدء العمل به في تشرين الثاني ١٩٩٤)، ومشروع مصنع الاسمنت في ضياء كذلك، ومشروع طريق تبوك-شما الذي يقلص المسافة الزمنية بين مدينة تبوك والساحل إلى حوالي الثلث، والذي سينتج عنه صناعات سياحية واستثمارية كبيرة (المصنع والطريق دُشن العمل بهما في ايار ١٩٩٨).

تاريخياً، يذكر ياقوت الحموي في «معجم البلدان» ان تبوك موضع بين وادي القرى والشام. وذكر الرحالة المستشرق عبد الله فيليبى انه من المؤكد استغلال الأنباط لمركز تبوك في توسيع رقعة امراطوريتهم حتى مداكن صالح، بل وإلى أبعد من ذلك إلى الجنوب. معلمان تاريخيان مهمان في تبوك: القلعة ومخطة سكة الحديد.

الخطاب الشعبي يقول إن القلعة بنيت على أنقاض قلعة إسلامية معتمداً بذلك على منطق ضرورات الدفاع، إذ كانت تبوك ممراً للروم، وكان غزو الرسول لها ان هرقل قيصر الروم جمع جيوشه فيها. وليس هناك اشارات إلى «القلعة الإسلامية المبكرة» سوى كلمة «جديد» المنقوشة على باب القلعة الضخم في سنة ١٠٦٤هـ (١٥٤٣) حيث جاء: «أمر بتعمير وتجديد هذه القلعة المباركة مولانا السلطان محمد خان عز نصره، على يد العبد الضعيف محمد بن الناشف التذكري سنة أربع وستين وألف». وهذا يدل على انها «عُمرت وُجددت» في عهد النفوذ العثماني على الجزيرة العربية، حتى ان بعض العامة يسميها القلعة التركية. أما مخطة سكة حديد تبوك فقد بدأ العثمانيون بإنشائها في ١٨٩٦، وهي ذات طراز اوروبي، أشرف على بنائها المهندس الألماني ميسنر باشا، وكان الهدف منها دعم النفوذ العثماني في الصحراء. واستخدم الخط الحديد الذي كان يمر في سورية والاردن وصولاً إلى المدينة المنورة لارسال القوات العثمانية إلى الحجاز وعسير واليمن،

وكانت له أهمية كبيرة أيام الحرب العالمية الاولى. وكانت مخطة تبوك إحدى المخططات المهمة في هذا الخط (أقصى شمالي الجزيرة العربية وأول جنوبي الشام). وبدأ تسيير خط السكة في ١٩٠٨. وفي ١٩٩٤، انتهت الادارة العامة للأثار والمتاحف في وزارة المعارف السعودية أعمال التسيير والتزيم لمباني سكة حديد تبوك حفاظاً عليها من جهة ودفعاً لحركة السياحة الداخلية من جهة أخرى.

\* تيماء: في الجزء الشمالي الغربي من المملكة وعلى بعد ٢٦٤ كلم من تبوك. وهي مدينة أثرية تولى إمارتها في عهد النبوة الصحابي يزيد بن أبي سفيان. يعود تاريخ منطقة تيماء إلى العصر الحجري الحديث تدل عليه المخلفات الأثرية. ولم يبدأ الاهتمام البحثي بتيماء إلا مع جون فيليبي (الحاج عبد الله فيليبى) الذي عثر هناك على لقى فخارية، ثم توالى المسوحات الأثرية هناك. ومن أهم ما عثر عليه حتى الآن: سور تيماء وبر هداج وقصر الحمراء وقصر الرضم وقصر الأبلق الذي يمتاز بسوره النسخم، ويروى ان الزباء (زنوبيا) حاولت إخضاع سكان الأبلق المحصنين داخل سورهم العملاق، ففشلت، فأطلقت العبارة «ثمرد مارذ وعزّ الأبلق» فصارت مثلاً. وكانت ملكيته للشاعر الجاهلي السمؤال.

كانت تيماء مركزاً تجارياً مهماً في مرحلة موغلة بالقدم حيث كانت تسود في شبه الجزيرة العربية تجارة القوافل. وعثر على كتابات بالخط الآرامي عن تيماء القديمة منقوشة على «مسلة تيماء» الشهيرة التي وجدت ضمن اللقى الأثرية في بر هداج. ووجدت على واجهة المسلة كتابة أخرى بالخط العربي القديم. وهذه المسلة محفوظة في متحف اللوفر في باريس. ومن النقوش التي عثر عليها أيضاً في تيماء مجموعة من النقوش الثمودية والإسلامية محفورة على واجهات الصخور بالخط الكوفي.

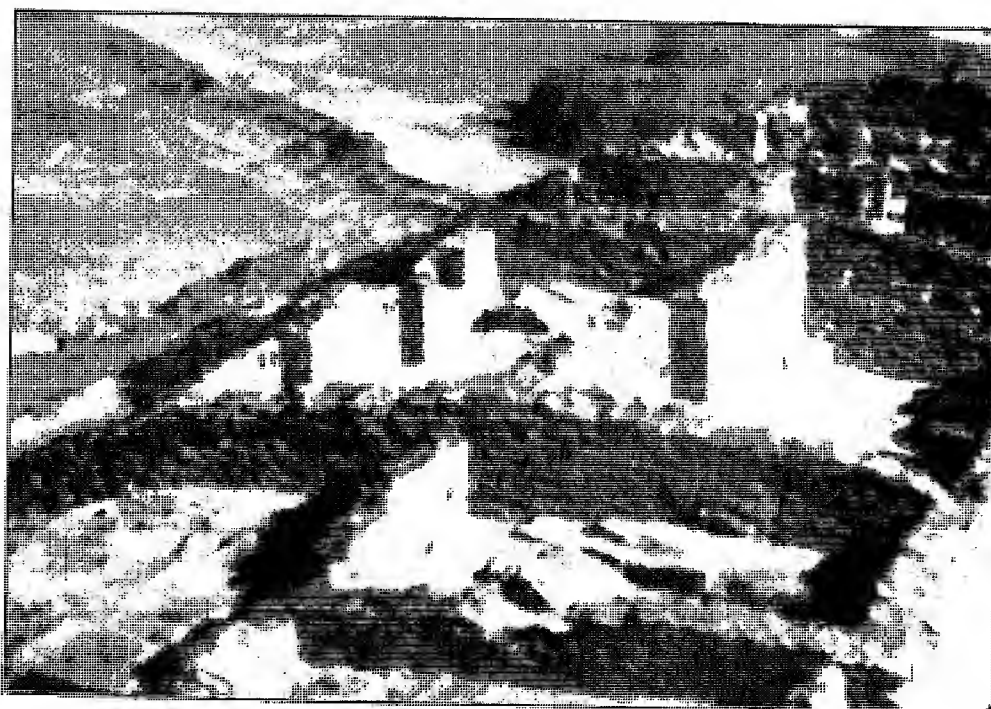
ذكر مؤرخو العرب أن تيماء كانت عاصمة لمملكة العمالقة، لأن أول من نزلها هم العمالقة من بني سام، لكن المؤرخين كانوا يطلقون إسم العمالقة والعماليق على الأمم القديمة التي يشاهدون لها آثاراً قديمة.

ورد ذكر تيماء في نصوص العهد القديم (التوراة)، وعنها قال أشعيا: «كان سكان الارض تيماء يجلبون الماء إلى كل من به ظمأ». وربما كان ذلك إشارة إلى ما تواتر تاريخياً عن أرض تيماء من انها كانت ملأى بالآبار العظيمة التي لا مثل لها في أيام الجزيرة العربية كلها، وهذا ما جعلها في أيام الجاهلية مركزاً عظيماً لتجارة



جانب من قلعة تبوك.

أطلال قصر الحمراء (الابلق) في تيماء.



المتوسط، حيث عاش الفينيقيون قبل ٣٠٠٠ سنة منجولين على معظم سواحل البحر المتوسط نازحين إلى هذه المنطقة من منطقة الخليج العربي، ويستدل من الآثار التي عثرت عليها ادارة المتاحف والآثار في المملكة، في عدة مواقع، ما يثبت انتماء جيل والمنطقة الشرقية إلى حضارة بلاد ما بين النهرين.

مرت الجبيل بعدة مراحل قبل ان تصل إلى مرحلة الازدهار التي هي عليها الآن:

- مرحلة الغوص للبحث عن اللؤلؤ والاتجار به، وهي المهنة التي اجتذبت الكثير من أبناء شبه الجزيرة العربية. وكان تجار اللؤلؤ من أهل الجبيل يصلون إلى الهند ودول جنوب شرقي آسيا.

- مرحلة شركة أرامكو وإقامتها في الجبيل، حيث توافرت فرص العمل ابتداء من كانون الاول ١٩٣٢ عندما وصلت أول بعثة جيولوجية مكونة من ر.ب. ميلر، وس.ب. هنري، وكارل تويتشل، ونزلت بقصر برزان ومكثت هناك ما يقرب من ثلاث سنوات قبل ان تفكر في نقل مقر البعثة إلى مدينة الظهران.

- مرحلة الازدهار الاقتصادي لمدينة جبيل كأحد الموانئ الرئيسية على الساحل الشرقي. ويدخل ضمن إطار هذه المرحلة الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية عندما اجتاحت الازمة الاقتصادية (والجماعة أحياناً) معظم بلدان العالم، بينما كانت ترد عن طريق الجبيل الأغذية من الحبوب وغيرها، حيث قامت بدور الإمداد بالمواد الغذائية لمنطقة نجد ومعظم أنحاء شبه الجزيرة.

-مرحلة التصنيع الحالية، حيث تمّ بدء بناء المدينة الصناعية وملحقاتها في عهد الملك خالد بن عبد العزيز الذي قام بوضع حجر الأساس للمدينة، وافتتحها في ١٩٧٦. فأصبحت أهمية الجبيل ترتبط بانتاج البترول والغاز وتصنيعهما. وكان الملك خالد أصداً، في ١٩٧٥، مرسوماً ملكياً يقضي بتأسيس «الهيئة الملكية للجبيل وينبع». ولم يقتصر هذا المرسوم على منح الهيئة الملكية (ورئيسها، تبعاً هيكلها التنظيمي، هو الملك نفسه) سلطات كاملة فقط لتطوير وإنشاء وإدارة وتشغيل التجهيزات الأساسية في كل من الجبيل وينبع، بل منحها أيضاً صلاحيات خاصة تمثل أهمها في تخصيص ميزانية مستقلة لها، ومنحها استقلالاً إدارياً، مما جعلها مؤسسة فريدة في نوعها في المملكة، وذلك لمواكبة التطوير وتوفير الخدمات في أقصر وقت ممكن.

في الثلاثينات، وما تلاها، لم تتأثر بلدة الجبيل

القوافل ومقرّاً للثقافة العربية القديمة. كما ذكر في التوراة ان واحة تيماء كانت تابعة لقبائل من بني اسماعيل.

يقول جون (عبداً لله) فيلبي ان تيماء كانت يوماً ما العاصمة الصيفية للملك نبو نيد ملك بابل» (٥٥٦-٥٣٩ ق.م). ويقول عبد الرحمن السديري في كتابه «وادي النفاخ» ان الملك نبو نيد قام في السنة الثالثة من حكمه بحملة على دومة الجندل ومنها سار إلى تيماء التي اقتناها مقرّاً له وأمضى بها أربع سنوات وابتنى «الأبلىق» - وهو قصر ضخم كالقصر الذي في بابل - وبقى فيها حتى اضطر إلى تركها بعد اقتراب الفرس الذين أخذوا يهددون املاكه في العراق.

\* ثمود: راجع «مدائن صالح وثمود» في هذا الباب.

\* الجبيل: نشأت بلدة الجبيل (١٩١٠) على زاوية ساحلية في الشمال الشرقي من شاطئ الخليج العربي في منطقة الشرقية، وتوسعت تدريجياً من مساحة لا تتجاوز الكيلومتر المربع الواحد إلى مساحة تصل إلى ألفي كلم م. تقريباً بعد قيام مشروع الجبيل الصناعية، واكتشاف حقل الري المغور وإنشاء القاعدة البحرية، وتبعد عن مدينة الدمام ٨٠ كلم، وتشكل مع مجموعة القرى والمواقع التابعة لها سهلاً ساحلياً يمتد بضعة كيلومترات على شاطئ الخليج العربي.

أشار أول إحصاء سكاني للجبيل (قبل الحرب العالمية الثانية) إلى ان عدد سكانها كان نحو ألفي نسمة. وذكر إحصاء ١٩٧٤ إلى ان العدد وصل إلى ٨٧٢٤ نسمة، وشمل البلدة (الجبيل) والقرى الخمس عشرة ومرارد المياه الستة التابعة لامارتها حسب ما جاء في إحصائية المنطقة الشرقية.

لكن سكانها اليوم تضاعفوا عدة مرات وأغلبهم من العمال والمستخدمين الذين جاءوا من جنوب شرقي آسيا ممن يعملون في مشروعات الجبيل. ويقوم في الجبيل الصناعية وحدها نحو ٥٠ ألف نسمة يمثلون ما يقارب من ستين جنسية. وتشير تقديرات الهيئة الملكية بالجبيل إلى انهم سيصبحون بحدود ٣٥٠ ألف نسمة بعد استكمال مشروعاتها أي في ١٩٩٩.

ذهب بعض المؤرخين إلى ان الاسم، «جبيل»، فينيقي، له أبعاده التاريخية، خصوصاً مع وجود مدن أخرى تحمل الاسم نفسه في الساحل الشرقي الجنوبي للبحر

الملك فهد الصناعي في الشمال الذي صمم ليكون منسجماً مع حركة التطور الصناعي التي تشهدها مدينة الجبيل الصناعية. كما يوجد في هذه المدينة مطار لاستقبال الرحلات الخاصة ورحلات الشحن، وتقع منطقة المطار إلى الغرب من المنطقة السكنية.

أما المنطقة السكنية فتتسع إلى الشمال من المنطقة الصناعية بمساحة إجمالية قدرها ١٦٨ كلم م، ويفصلها عن المنطقة الصناعية مساحة واسعة ومفتوحة، وتحيطها الأشجار من كل جانب ومطلة على الخليج بشاطئ طوله ٤٦ كلم. وقد بنيت مساكن المنطقة على طراز يجمع بين الأساليب الحديثة والتقاليد العربية. ومن المتوقع أن تستوعب المنطقة عند نهاية هذا القرن نحو ٣٥٠ ألف نسمة (عن كتاب «الجبيل وينبع شواهد التصنيع والنبوغ»، وزارة الاعلام السعودي، ١٩٩٣، من ص ٢٣ إلى ص ٢٨).

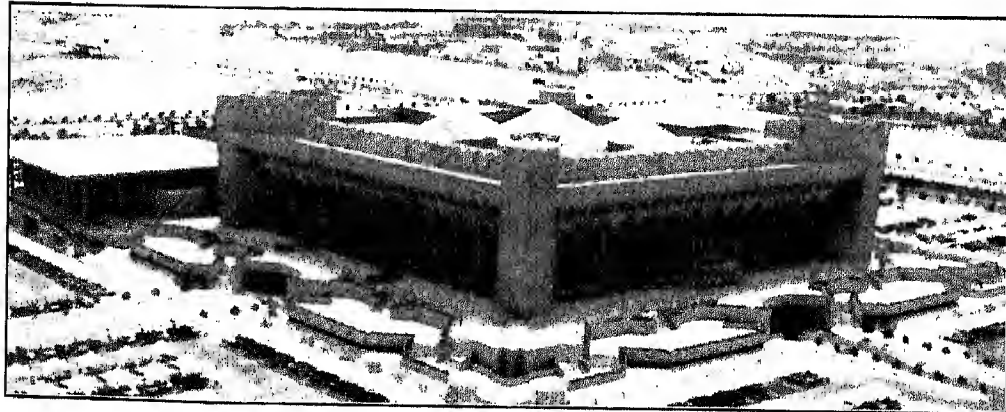
بسبب اكتشاف النفط في المنطقة الشرقية تأثراً ملحوظاً، وبقيت إلى السنوات الأخيرة (أي إلى انطلاق المدينة الصناعية فيها) قرية صغيرة لا سيما بعد تطور مدينة الدمام وارتحال معظم رجال المال والاعمال إليها. لكن نظراً إلى وجود مساحات شاسعة من الاراضي وتوسعها الجغرافي في المنطقة وعمق الشواطئ المحيطة بها (الضرورية للميناء) وبسبب قربها من حقل الري المعروف بتوافر النفط والغاز اختيرت لتكون موقعاً للمدينة الصناعية بعد ان أكدت الدراسات التي أجريت مع عدة شركات عالمية على أفضلية هذا الموقع؛ واستكملت هذه الدراسات لا سيما بعد إنشاء «بترومين» باعتبارها مؤسسة وطنية معنية بتنفيذ مثل هذه المشروعات، وكان باكورة عملها إنشاء شركة «سابك»، ثم تتابعت المشاريع الصناعية الأخرى.

ويضم ساحل مدينة الجبيل الصناعية ميناءين عصريين هما ميناء الجبيل التجاري في الجنوب، وميناء

نماذج من الوحدات السكنية في مدينة الجبيل الصناعية.



مبنى الهيئة الملكية بالجبيل.







المقر الرئيسي للبنك الاسلامي في جدة.

تنوسط كورنيش جدة اعلى واجمل نافورة ماء في العالم.



\*جدة: تقع مدينة جدة على ساحل البحر الأحمر في السهل الساحلي (سهل تهامة)، وتغطي مساحة ٣٨١٠ كلم م. شهدت تطورها العصري منذ ١٩٤٧ حين أمر الملك عبد العزيز بهدم سور المدينة لتبدأ نموها الكبير في اتجاه الشمال والجنوب والشرق.

تتميز مدينة جدة بانفتاحها على العالم، وتحتبر بوابة الحجيج، إذ يقدم منها الحجاج والمعتمرون إلى مكة المكرمة، مما يجعلها المدينة الثانية (بعد الرياض) في المملكة من الناحية الثقافية والتجارية. ويعتبر مطار جدة الجوي (مطار الملك عبد العزيز الدولي) من أكبر مطارات العالم، كما يعتبر ميناؤها الاسلامي ميناءً بحرياً مهماً في البلاد حيث يعود إنشاؤه إلى أكثر من ١٣٠٠ عام.

أهم معالم جدة العصرية والحضرية الكورنيش الذي استغرق تنفيذه واستكمال أهم مرافق خدماته حوالي خمس سنوات، ويمتد شمالاً وجنوباً إلى أكثر من ١٠٠ كلم، ويحتوي مجموعة من البحيرات الصناعية وأماكن الترفيه والمتنزهات والملاعب، وتنوسطه نافورة تندفع مياهها إلى علو ٢٦١ م، وبلغت كلفة إنشائها نحو ١٥ مليون ريال. وهي أكبر وأشهر وأجمل نافورة مياه في العالم.

ومثل أي مدينة عريقة، تنقسم جدة إلى ناحيتين: القديمة والحديثة. ومن أشهر أحياء جدة القديمة حارات الشام واليمن ومظلوم. ولا يزال الكثير من أبناء جدة يصرون على السكن في مبانيها القديمة.

ترجع نشأة جدة إلى طائفة من الصيادين اثنوا العرائش (مباني من القش) مساكن لهم يأوون إليها بعد رحلات الصيد التي كانوا يقومون بها في عرض البحر الأحمر. وبعد اتخاذاها ميناءً لمكة المكرمة، بدأت السفن تبحر منها إلى الحبشة وإلى الشمال والجنوب ثم إلى الشرق نحو بلاد فارس. وذكر ابن جبير (توفي ١٢١٧م) في رحلته إلى الأراضي الحجازية في عصر صلاح الدين الأيوبي ان في جدة آثاراً تدل على انها مدينة قديمة. ومن هذه الآثار ما وجد في وادي قوس، ويقع على بعد ١٥ كلم شمال شرقي جدة، والأثر يشتمل على تضرع لأحد أبناء عمود ان يمنحه الإله الكمال والود والسلام، ولذلك قيل أن عمود سكنت جدة. وبعدها جاء قضاة بن معد بن عدنان وأبناءؤه، فأقاموا فيها. ومعد بن عدنان هو الجد التاسع عشر لرسول الله.

وتشتهر جدة قديمًا بسورها الذي يذكر ان سلطان مصر المملوكي قانصوه الغوري هو الذي أمر ببنائه (١٥٠٥)، وقد وجد اسمه منقوشاً على حجر في باب

ظهرت على مسرح التاريخ المدون في العهد الآشوري في نصوص مكتوبة ومفصلة من خلال الحديث عن الغزوات الآشورية لشمالي الجزيرة العربية. فيتميز موقع الجوف بأهمية بالغة كونه ملتقى ومنفذاً لطرق رئيسية، فكان معبراً (ومقراً) للحضارات الشمالية وحضارات وادي الرافدين. تتكون منطقة الجوف من عدة مدن وقرى كبيرة، لعل أهمها تاريخياً دومة الجندل وسكاكا (عاصمة الجوف) والطورير وقارا.

وتختشد في المنطقة مواقع أثرية عدة بعضها يعود إلى ما قبل الميلاد مثل قلعة مارد، وبعضها إلى ما بعده مثل بلدة دومة الجندل العتيقة وقلعة الطوير التي تملأ جدرانها الخارجية بنقوش لمودية وآشورية وعبرانية تعود لعصور مختلفة. لكن أقدم المواقع الأثرية في تلك المنطقة ذلك المسمى بـ«أعمدة الرجاحيل».

وهذا الموقع، أعمدة الرجاحيل، يحتل دائرة كبيرة غير منتظمة يبلغ طول شعاعها ٤٠٠ م تقريباً، ويشع على مسافة ١٠ كلم إلى الجنوب من سكاكا، ويتخوي على ٥٠ مجموعة من الأعمدة الحجرية المنتصبة ارتفاع كل منها ثلاثة امتار تقريباً، وتبجحه الأوجه المسطحة لتلك الأعمدة إما إلى الشرق أو إلى الغرب، مما يرجح وجود علاقة بطقوس دينية معينة، أو للاستدلال على الجهات الأربع أو لأي سبب

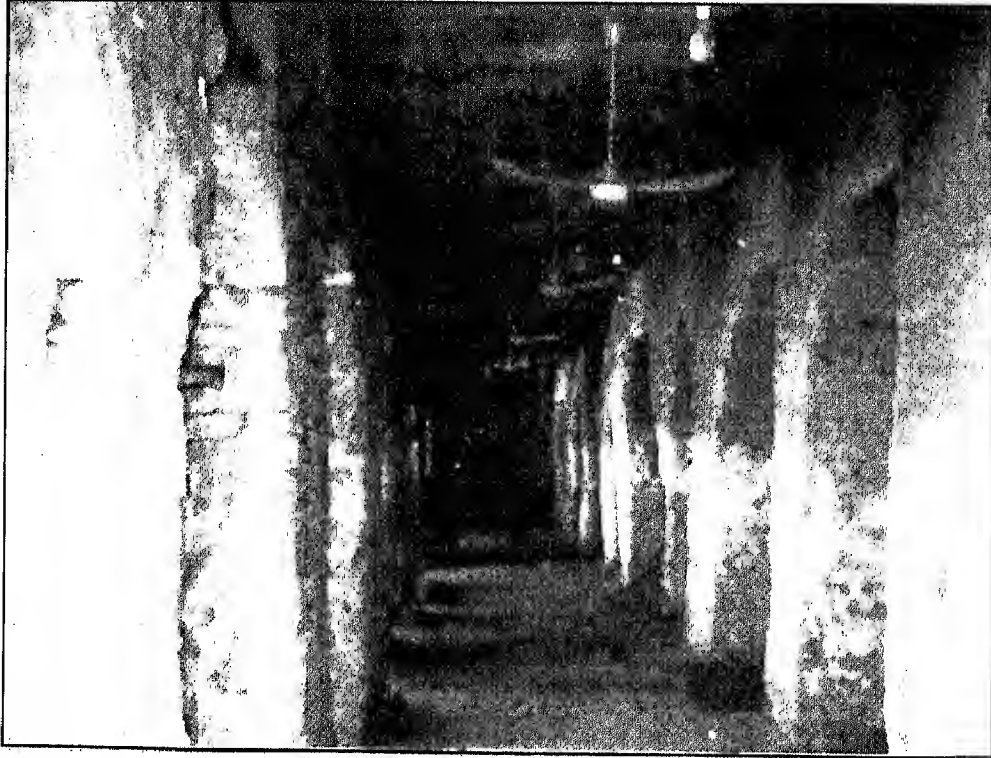
مكة، وهو أحد أبواب السور. والأرجح أن بناء السور جاء لحماية المدينة من الخطر البرتغالي.

مع انتصار العثمانيين على الماليك (١٥١٧)، انتقلت تبعية الحجاز إلى الدولة العثمانية. وفي ١٥٤١، جرّد البرتغاليون حملة بهدف تحطيم الاسطول العثماني في السويس ولكنهم فشلوا في ذلك، إلا ان ميناء جدة تعرّض للتخريب من قبل الحملة وهي في طريقها إلى السويس. وفي فترة الحكم العثماني المباشر لجدة التي بدأت في أعقاب خروج محمد علي باشا من الحجاز سنة ١٨٤٠، شهد الميناء تظلمات ادارية وأمنية متعددة تراكمت مع تطورات الاحداث السياسية حتى رحيل الاتراك عن الحجاز في اواخر الحرب العالمية الأولى. وكانت عائلات الميناء الجمركية تقسم بين شريف مكة ووالي جدة العثماني.

تقوم إدارة حماية جدة ومنطقتها التاريخية (أنشئت في ١٩٩١) بأعمال التزاميم للبيوتات القديمة ذات الطراز الاسلامي، وإحياء الاسواق القديمة. ومن أهم إنجازات هذه الادارة اكتشاف عين «فراج يسر» الواقعة في قلب جدة القديمة التي كان يتم فيها تخزين المواد الغذائية، وإعادة أجزاء من سور جدة القديمة، إضافة إلى إحياء الحرف القديمة.

\* الجوف: الجوف منطقة في شمالي السعودية،

مسجد عمر من الداخل في دومة الجندل.



آخر. وثمة اعتقاد يقول إن هذه الاحجار المتكومة في دائرة تتوسط الموقع تماماً قد تكون بمثابة المركز الأهم له، وهو ما قد يكون مذبذباً أو مكاناً لتقديم القرابين، أو أن تكون له علاقة بمحاولات سكان المكان القديم تفسير الفلك أو مراقبة حركة النجوم، وما إلى ذلك من التحليلات الأركيولوجية أو الجيولوجية (من المهم جداً، هنا، إحالة القارئ إلى العنصران الفرعي التالي: «ستونهنج» Stonehenge، الوارد في باب «مدن ومعالم»، في مادة «بريطانيا»، ج ٥، ص ١٩٧-١٩٩، حيث يقع على تشابه ملهش).

وهناك قلعة مارد في دومة الجندل الواقعة على ارتفاع نحو ٧٠٠ م عن سطح البحر، ويرجع تاريخها إلى أكثر من ألفي عام، وورد ذكرها في المدونات الآشورية التي تحدثت عن دومة الجندل بوصفها عاصمة لعدد من الملكات العربيات. وقد حاولت زنبيا اقتحام القلعة ولم تفلح. وكشفت الحفريات (١٩٧٦) عن بعض الخزفيات النبطية والرومانية، إضافة إلى نصوص ممودية.

وتظهر دومة الجندل مرة أخرى في التاريخ في القرن الخامس عندما سيطر عليها امرؤ القيس الذي كان يستوطن العراق مع قبيلته في الحيرة ولكنها ارتحلت في النهاية إلى دومة الجندل، وقد ازدادت قوته في الجزء الشمالي من الجزيرة العربية حتى أنه سيطر على المناطق المعروفة الآن باسم الأردن، كما استطاع الاستيلاء على جزيرة تيران من البيزنطيين والتي تقع عند مدخل خليج العقبة. وفي العصر الإسلامي، تعرضت قلعة دومة الجندل لثلاث حملات، وسقطت في الرابعة الأولى (٦٢٦) التي يُقال إن الرسول قادها بنفسه، والثانية (٦٢٨) بقيادة عبد الرحمن بن عوف، والثالثة (٦٣٠) بقيادة خالد بن الوليد، والرابعة (٦٣٣) في عهد الخليفة أبي بكر وكانت بقيادة خالد بن الوليد وعباد بن غنم.

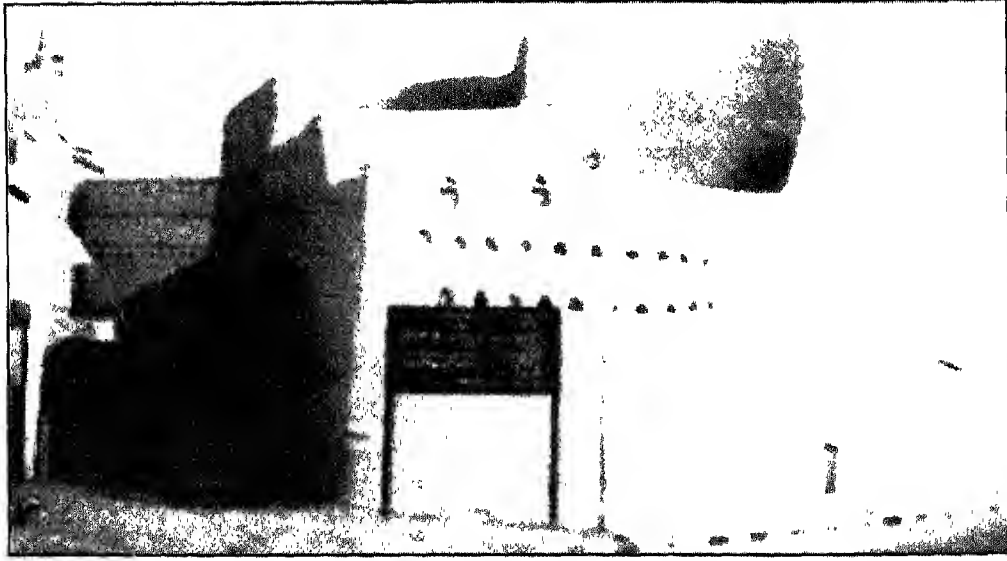
في دومة الجندل أحد الآثار الإسلامية المبكرة التي لم تصلها عوامل التغيير الحديثة إلا قليلاً، وهو مسجد عمر. «يقع المسجد في جوار باب البرج، أحد بابي مدينة دومة الجندل القديمة (الأخر هو باب النقيب). ويميل الاعتقاد إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب أمر ببنائه في السنة السابعة عشرة للهجرة (٦٣٨م) عندما كان في طريقه إلى بيت المقدس. شيد المسجد بالحجارة القوية التي ربما كانت نقلت من قصر (أو قلعة) مارد الذي يشرف على المسجد بشكل مباشر، وقد طالته الإصلاحات والتجديدات على مر العصور وكان آخرها في عهد الامام عبد العزيز بن سعود

في بداية فترة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إبان الدولة السعودية الأولى (...). واهتم عدد كبير من علماء الآثار الاجانب والعرب بهذا المعلم الأثري وتكررت زياراتهم له، كما تعددت بحوثهم العلمية الموثقة عنه، ومن هؤلاء الدكتور جيفري كينغ الذي أوفدته جامعة الملك سعود العام ١٩٧٥ فوضع وصفاً مفصلاً عن المسجد وساهم إلى حد بعيد في تأكيد الروايات التي ذهبت إلى تاريخ إنشائه. كما تعددت زيارات الرحالة الاوروبيين للمنطقة وللمسجد في القرن التاسع عشر، ومنهم الرحالة جورج والس الذي زار الجوف العام ١٨٤٥ وأورد وصفاً مختصراً عن المسجد في كتابه الذي وضعه عن رحلاته في تلك الفترة. وقال والس إن متذنة المسجد كانت الوحيدة في دومة الجندل في حين كان كثير من مساجد الجزيرة العربية وقتذاك بلا مأذن، ولكنه ذهب إلى ان المسجد ربما كان كنيسة قبل الاسلام لأن الديانة النصرانية وجدت في المنطقة آنذاك، اعتماداً على قول ابن خلدون إن الديانة الرئيسية في دومة الجندل قبل الاسلام كانت النصرانية، في حين ذهب ياقوت الحموي إلى القول إن الديانة اليهودية كانت موجودة هناك ايضاً، أي ان الديانتين انتشرتا في دومة الجندل قبل ظهور الاسلام، ولكن الغلبة كانت للنصرانية وخصوصاً في القرن السابع الميلادي، وربما قبل ذلك» (عن أحمد مرتضى عبده، «الحياة»، ١٢ حزيران ١٩٩٤).

وفي ١٩٧٦ استنطعت بعثة أثرية «اكتشاف بلدة الطوير القديمة في منطقة مستوية من الارض مساحتها ٢٠٠٠×٢٠٠٠ م... عثر فيها على بقايا سور قديم من الطين وعلى خزفيات نبطية زرقاء وخضراء، من المحتمل انها ترجع إلى القرن الاول ق.م. ويرجح هذا الاحتمال ما أشار إليه الجغرافي اليوناني بطليموس من ان هذه المنطقة كانت مأهولة بالسكان في تلك الفترة. وفوق مجموعة كبيرة من الصخور قلعة الطوير... وتوجد على الصخور المقامة عليها القلعة نقوش ممودية وأخرى نبطية... والقلعة ملكية خاصة بالشيخ عبد الرحمن المويشير» (أحمد مرتضى عبده، «الوسط» العدد ١٢٥، ٢٠ حزيران ١٩٩٤، ص ٦١).

\* حريملاء (حريملة): تقع مدينة حريملاء على ضفتي وادي الشعيب إلى الشمال الغربي من العاصمة الرياض وتبعد عنها نحو ٨٦ كلم.

يعتقد ان الاسم «حريملاء» تصغير لـ«حرملاء» الوارد في قصيدة للشاعر الجاهلي أوس بن حجر. وظل اسمها يتردد في العصور الإسلامية المتعاقبة، حتى جاء القرن



منزل الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حرملاء.

(غزوة خيبر) في شهر حرم من السنة السابعة للهجرة (١٢٨). وكانت من أخصب الواحات في شبه الجزيرة، ولها سوق تسمى «نظاة خيبر» تقام مرة كل عام وتجتمع فيها قبائل العرب من تيماء وتبوك ومدائن صالح.

زار جون (الحاج عبد الله) فيليبي خيبر، أوائل هذا القرن، ووجد كثيراً من الآثار العربية التي تعود إلى عهد حمود، ولم يعثر على أية آثار عبرانية، أو أي نقش عبري يحمل إسم أي يهودي أو يتحدث عن نشاط اليهود في خيبر.

في خيبر حصون كثيرة، أشهرها حصن القموص المنيع الذي يسمى حالياً حصن علي بن ابي طالب. جميع دور خيبر المبنية من الجص، وأضححت بسلا سقوف، مهجورة الآن، فقد انتقل أهل خيبر إلى مدينة «خيبر» الحديثة على بعد كيلومترات قليلة إلى الغرب.

\* الدرعية: تقع في الجهة الشمالية من وادي —

حنيقة غربي الرياض وتبعد عنها نحو ٣٢ كلم. تعدّ العاصمة الدينية والسياسية الأولى لآل سعود. أسسها الأمير مانع (١٤٤٦). وفي القرن الثامن عشر تزامنت ولاية الامام محمد بن سعود، حاكم الدرعية، مع ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وقد كانت الدرعية مسرحاً لحروب الجيش المصري للقضاء على الحركة الوهابية.

الخامس عشر إذ تذكر الروايات أن شخصاً يدعى يوسف أبو ريشة هاجر من الشام إلى نجد حيث اختار حرملاء واستصلحها وعمّرها وحفر فيها الآبار وأحاطها بسور كبير ما زال يعرف باسم «حامي أبو ريشة». غير أنه اضطر لاحقاً للعودة إلى الشام، فصارت حرملاء جزءاً من إمارة العتيان، ثم حكمها آل معمر وبعدهم آل أبو رباح... وآل ملحم أمراء العيينة، إلى ان استقر فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانطلق بدعوته الوهابية. ومع تعيين الامير محمد بن عبد الله مبارك أميراً على حرملاء (في أربعينات القرن الثامن عشر، أي مع انطلاق الدعوة الوهابية) أخذت البلدة تتطور وتنمو بالتدريج.

من أهم معالمها الباقية دار الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتتولى صيانتها والمحافظة عليها الادارة العامة للآثار والمتاحف في السعودية.

\* الخبر: راجع «المنطقة الشرقية» في هذا الباب.

\* خيبر: إحدى أقدم الواحات التي استوطنها الانسان في شبه الجزيرة العربية. تقع على بعد ١٧٠ كلم إلى الشرق من المدينة المنورة. دان أهلها العرب باليهودية-التي كانت منتشرة بين بعض القبائل العربية ومناطقها مثل تيماء ونجران بالإضافة إلى خيبر-قبل ان يفتح المسلمون حصونها



آثار الدرعية - عاصمة آل سعود الأولى - كما هي اليوم وقد أنشأت الحكومة السعودية مدينة حديثة إلى جانبها بالاسم نفسه لتصل عمرالها بممران الرياض العاصمة.

وكانت حروب قبائلية على عادة ذلك الوقت (خاصة مع آل يزيد)، و«خلافتان وفتن».

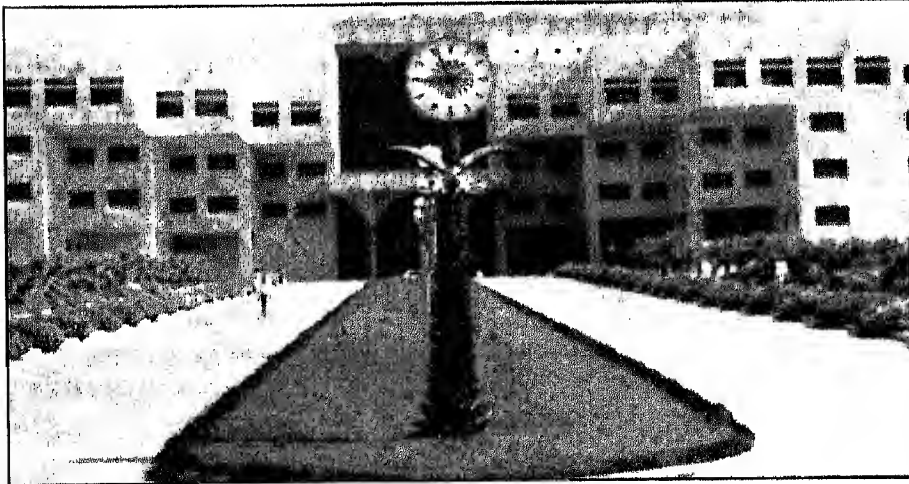
وبعد مانع جاء ابنه ربيعة، ثم موسى بن ربيعة، ثم ابراهيم بن موسى، ثم مرخان بن ابراهيم... وبعد استيلاء بني خالد على الدرعية لمدة نحو ١٥ سنة (١٦٩٥-١٧٠٩)، عادت إمارة الدرعية لكبير فرع آل وطبان من أحفاد مانع المريدي المدعو موسى بن ربيعة بن وطبان، ولكن موسى لم يحسن السيرة، فثار عليه أهل الدرعية، وكان على رأس الثائرين سعود بن محمد بن مقرن، فخلعوه عن الامارة (١٧١٩)، وتولّى سعود إمارة الدرعية.

بعد وفاة سعود (١٧٢٤) آلت الامارة إلى زيد بن مرخان الذي اراد غزو العيينة لما رأى فيها الاموال الكثيرة والخيرات الوفيرة. لكن أميرها تمكن من زيد بالحيلة وصرعه مع بعض رجاله، وكان بينهم محمد بن سعود الذي تمكن من النجاة. فعاد إلى الدرعية والتف حول أهله وبايعوه بالرئاسة (١٧٢٥).

كانت مدة حكم محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان أربعين عامًا (١٧٢٥-١٧٦٥) قضى نصفها قبل مقدم الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية ونصفها الآخر مع الشيخ، وتزوج إحدى بنات الشيخ.

جاء في فصل «الدرعية وموجز تاريخ أمرائها آل سعود» (من كتاب «تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب» لمؤلفه حسين خلف الشيخ خزعل، دار ومكتبة الهلال، بيروت، بلون تاريخ، ص ١٤٩-١٥٨) ان مانع المريدي ينسب إلى فخذ آل علي من بطون مسلم من قبيلة عنزة أكبر القبائل العربية التي انتسبت إلى أبيها عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. وديار عنزة في اواسط نجد بينها وبين شمال الحجاز وقد انتشرت منها فروع في بعض البلاد العربية.

وكان مانع يسكن بلدة الساروع من أعمال القطيف في منطقة الاحساء فضايق به العيش في تلك المنطقة ودارت بينه وبين ابن عم له يدعى درع رئيس حجر والجزاعة الواقعتين قرب الرياض مكاتبات حتى دعاه ابن عمه درع للقدوم إليه والنزول بجواره. فقبل مانع هذه الدعوة وهاجر بأولاده وأسرتهم مع رجال من قبيلته من القطيف، وأتى ابن عمه في حجر فوهبه أرضًا مهجورة قرب الملقى من وادي حنيفة تدعى الملبيد وعصيبة، فنزلها ومن معه واتسع بالعمارة والغرس في نواحيها، وأشاد فيها قرية واتخذها سكنًا له ولبن معه وسمّاها «الدرعية» على اسم قرية كانت لهم في نواحي قطيف، وذلك عام ١٤٤٦. وتوارث أبناء مانع وأحفاده رئاسة العشيرة،



حرم جامعة الملك سعود في الدرعية.

كانت الربة أهم عطات طريق الحج بين الكوفة ومكة المعروف بـ«درب زينة» نسبة إلى زينة أم جعفر زوجة الخليفة الرشيد. وبلغ عددها ٢٧ محطة عدا الاستراحات الصغيرة المعروفة باسم «المتعشي» وهي المحطة بين عطين رئيسيتين. وأطلال بعض هذه المحطات لا تزال ظاهرة.

كشفت الحفريات الأثرية عن وجود مسجدين في موقع الربة. كما عثر على حصن أو نموذج لقصر عربي محصن في ساحته الداخلية خزانات أرضية لحفظ المياه، وعلى موضع لصهر الزجاج. وعثر على وحدات سكنية متصلة تجمع بين المساكن والأسواق، وخزان لحفظ الحبوب. وهناك أيضاً سلسلة من التلال الأثرية كشفت عن ان المنطقة شهدت فترتين سكنيتين.

وعثر على كثير من شواهد القبور والكتابات الجدارية وكتابات أخرى على عظام الجمال، تعود إلى نهاية القرن الهجري الأول، وعلى أدوات خشبية، مثل الامشاط وأدوات للغزل وأنوال وبعض الأثاثات الخشبية والعاجية، وعلى أدوات حجرية استخدمت للطبخ، ومباخر تعود زخارف بعضها لفترات سابقة للإسلام.

وفي ما يتعلق بالمسكوكات عثر على درهم ساساني (٧٠٥-٧١٥)، ودرهم فضية تعود إلى العصر العباسي.

\* رُجال: قرية على بعد ٧٠ كلم إلى الغرب من مدينة أبها، ولارتباطها التاريخي بتبيلة ألمع أصبحت تعرف بـ«رُجال ألمع». ملتحق طرق التجارة القديمة وأحد مراكزها المهمة حتى العهد السعودي. أنبتتها الحجرية القديمة التي يزيد عمر بعضها على ٦٠٠ عام وما زالت مأهولة هي أهم معالمها التاريخية.

حوّل الأهالي قصر مسمار الذي شيد في ١٥٢٢ من خمسة أدوار ويعود لأسرة «آل علوان» إلى متحف جمعوا له ما يحتفظون به من تراث الأجداد، وافتتحه الأمير الشاعر خالد الفيصل أمير منطقة عسير في ١٩٨٦، وأطلق عليه اسم «معرض ألمع الدائم للتراث».

\* رقمات: راجع «الأخلود» في هذا الباب.

\* الرياض: عاصمة المملكة العربية السعودية. تقع في وادي حنيفة الذي يتدلى في غربي طويق ثم يتجه نحو الخليج العربي. فهي مدينة صحراوية، ورغم قسوة الجو

واستطاع الأمير محمد بن سعود بما أظهره من اللهاء والحكمة ان يقرّ الأمن في الدرعية، ويقضي على النسائس. وكانت ادارته على اسلوب عشائري بدائي لبلدة صغيرة لم يتجاوز عدد بيوتها يومئذ السبعين بيتاً. أما ازدهار الدرعية فبدأ في السنة التي هاجر إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٧٤٤)، ومبايعة الأمير محمد بن سعود له على حماية دعوته. فبدأت الدرعية تلقي رسالتها وتبني نهضتها وتشيد أسس دولة جديدة في نجد وغيرها من بلاد جزيرة العرب.

ولما ضاقت دار الشيخ بالطلاب والمصلين، أمر محمد بن سعود ببناء مسجد يتسع لجميع المصلين، واشترك بيناه أهل الدرعية وتلامذة الشيخ وأتباعه. وجرى التآخي بين المهاجرين وأهل الدرعية، وحفز الشيخ الجميع على العمل. وكان لحلف الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود من شأن ديني وسياسي وعسكري تعاضم يوماً بعد يوم.

من أهم معالم الدرعية: قصر سلوى الذي وضعت دعائمها الأولى في عهد الأمير محمد بن مقرن، واستكمل في عهد الامام محمد بن سعود بن مقرن (١٧٢٥-١٧٦٥) مؤسس الدولة السعودية الأولى، وكان مقراً لأمراء وأئمة آل سعود طوال حكم هذه الدولة. ومسجد الإمام محمد بن سعود (مسجد الطريف)، وقصر الإمام عبد الله بن سعود، ويعد أكبر قصور منطقة الدرعية، ونجد عموماً، وأقيم على مساحة تقارب عشرة آلاف متر مربع. ومسجد وسبالة موزني المرجح ان بناهما اكتمل خلال الفترة السعودية الأولى، وبدأ استخدامهما في القرن الثامن عشر عندما كانت الدرعية في أوج ازدهارها وتوسعها العمراني. في العصر الحديث، أعيد استيطان مدينة الدرعية، ومنح الامراء كثيراً من مساكنها القديمة للمواطنين في شكل هبات أو عطايا.

\* اللداهم: راجع «المنطقة الشرقية» في هذا الباب.

\* دومة الجندل: راجع «الجوف» في هذا الباب.

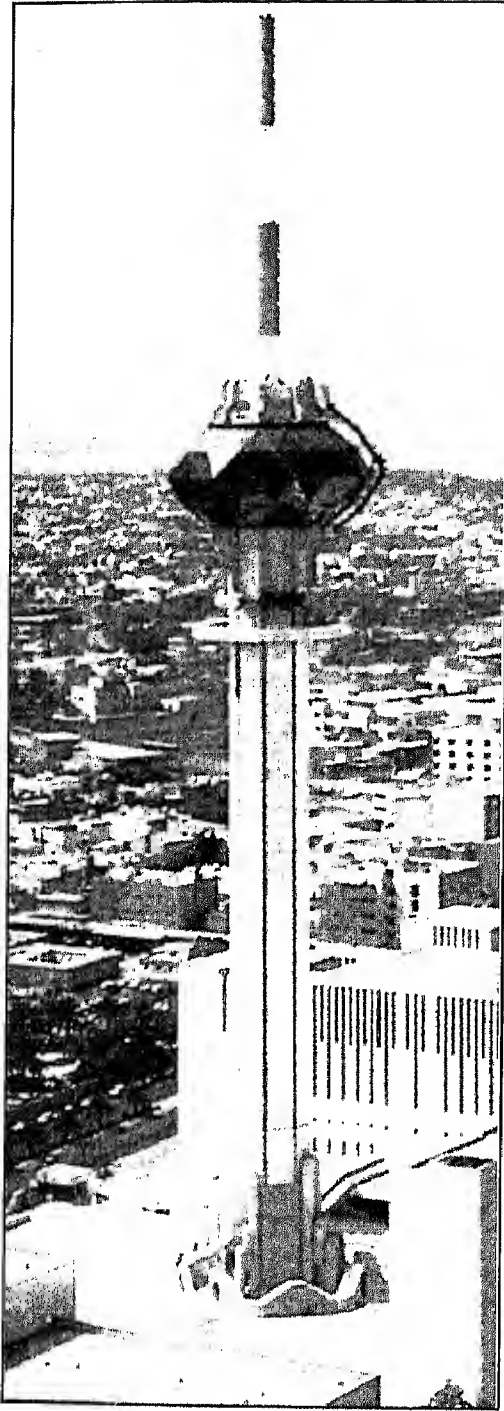
\* الريلة: تبعد مدينة الريلة ٢٠٠ كلم جنوب شرقي للمدينة المنورة على حافة جبال الحجاز الغربية. ارتبط اسمها بالصحابي الجليل أبي ذر الغفاري الذي سكنها في سنة ٣٠هـ (٦٥١-٦٥٢) زمن الخليفة عثمان بن عفان واختط بها مسجداً.



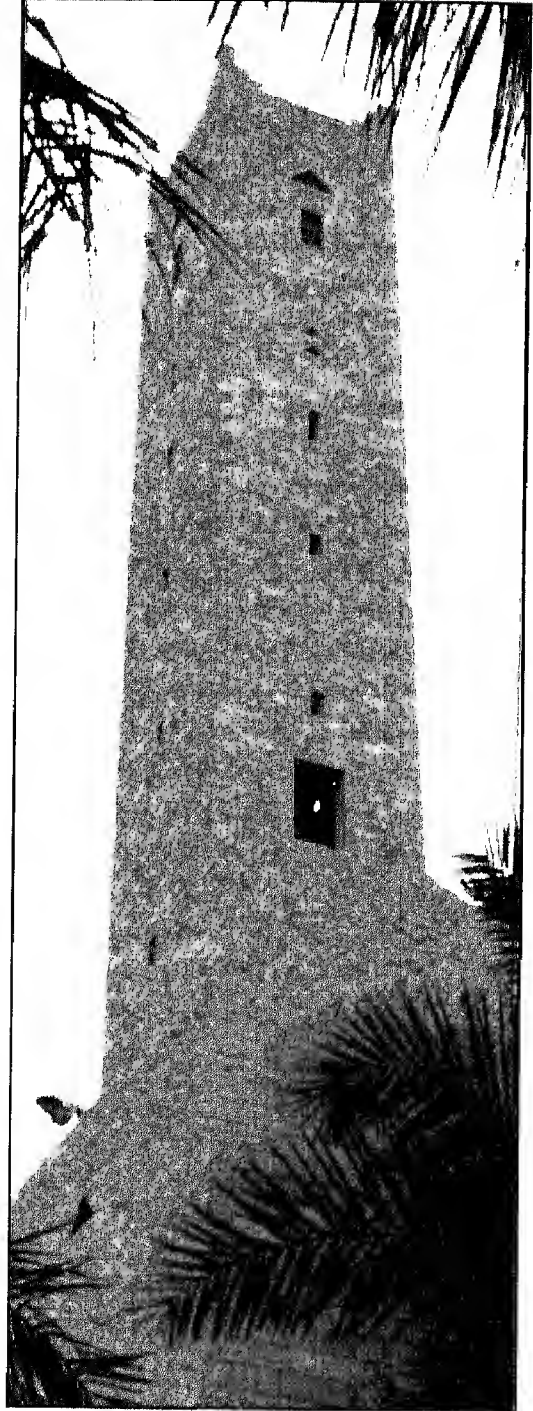
بعض أبنية قصر الحكم (أعلى) ومكتبة الملك فهد في الرياض.







منظر عام لبرج التلفزيون في الرياض.



مئذنة جامع الامام تركي بن عبد الله.



أمكن وفق خطة مدروسة توفير مصادر المياه لنشر الرقعة الخضراء وتوفير مختلف جوانب الحياة الحضرية العصرية المزدهرة. فتمت المدينة بمعدلات تفوق القياس، وانتشر فيها العمران على مساحة بلغت ١٦٠٠ كلم م.

قدر عدد سكانها في ١٩٩٣ بنحو ٢,٣ مليون نسمة، وكان نحو ١,٣٨٩ مليون في ١٩٨٧، وذلك بنسبة نمو سنوي تصل إلى ٨,٨٪ والتي يرجع ارتفاعها إلى عوامل أهمها استمرار الهجرة الداخلية إلى مدينة الرياض بمعدلات كبيرة تصل إلى ٦٥ ألف نسمة سنوياً، وارتفاع معدلات المواليد إلى جانب التدفق الكبير للسكان غير السعوديين.

تشير التقديرات إلى ان عدد سكان مدينة الرياض سيصل إلى ما يفوق ٣ ملايين نسمة في العام ٢٠٠٠، ويمثل السعوديون ما يقارب نسبة ٦٦٪ من مجموع سكانها. وزاد التوظيف في المدينة بين ١٩٨٧ و ١٩٩٣ بنسبة ٣١٪، أكثر من نصفهم من القوى العاملة غير السعودية. لكن السعوديين يشغلون غالبية الوظائف الادارية حيث باتوا يشكلون في ١٩٩٣ نحو ٧٢٪ من مجموع المديرين والاداريين بعد ان كانت نسبتهم ٦٢٪ في ١٩٨٧، في ما حدث انقراض في نصيب السعوديين في الفترة نفسها في وظائف المبيعات والخدمات حيث وصلت نسبتهم إلى ٣٥٪ بعد ان كانت تبلغ ٥٣٪. وتشتمل الرياض على مدينتين جامعتين متكاملتين تضمان جامعتين عريقتين هما: جامعة الملك سعود وجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية. كما تضم الرياض العديد من الكليات العسكرية والامنية والتخصصة إضافة إلى المعاهد والمراكز الاعلامية والثقافية والمكتبات العامة. ولها أمانة و ١٧ بلدية فرعية لخدمة أحيائها العديدة.

من أهم المباني الأثرية في الرياض «قصر المصمك» الواقع في الحي القديم وسط المدينة والذي يحتل مكانة متميزة في تاريخ المملكة، فعلى أبراهه بدأت قصة ترحيد أرجاء المملكة في العام ١٩٠٢ عندما نجح الملك عبد العزيز في الاستيلاء عليه. وقصر المصمك (أو المسمك) اكتسب تسميته باعتباره المبنى القوي والقصر السميك المرتفع الجدران. كان داراً للسكن ومقرّاً للحكم وبيتاً للمال. انتهى بناؤه في العام ١٨٦٥ على يد الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي، والسادة الأساسية في البناء اللين والطين المزوج بالطين وهي الطريقة التقليدية السائدة آنذاك.

اتخذ عبد العزيز، بعد استرداد الرياض، قصر الديرة الجاور لقصر المصمك، مسكناً له ولأسرته. وفي ١٩٣٨، انتقل من قصر الديرة واختار المنطقة الواقعة خارج السور

الشمالي للرياض التي كان يطلق عليها إسم «أبر رفيع»، وعرفت في ما بعد باسم «المربع» بعد بناء المدينة السكنية الملكية، وبنى فيها أول قصر للملك. وكان البناء بدأ في ١٩٣٧ واستمر حوالي عشر سنوات استكمل فيها الشكل العام للمدينة الملكية الذي اتخذ شكلاً مربعاً، وعرف القصر باسم الديوان وأصبح قصرًا للحكم، وبلغ عدد العمال والفنيين الذين بنوا القصر حوالي أربعة آلاف شخص.

وفي حي المربع يقع متحف الآثار والتراث الشعبي في الرياض المعتر واحداً من أبرز المتاحف السعودية. بناؤه حديث، وترجع فكرته إلى عهد الملك فيصل بن عبد العزيز، وتحقق في عهد الملك خالد بن عبد العزيز. يضم أحدث المتقطعات الأثرية التي جمعت من مختلف مناطق السعودية خصوصاً ما تم العثور عليه في ميناء «عشر» الاسلامي، أحد أقدم الموانئ في شبه الجزيرة، وفي مناطق التمامة وتيماء... ولوحات لمواقع أثرية ترجع إلى أواسط العصر الحجري... وعمادج ورسومات الطراز المعماري القديم التي كانت منتشرة في شرقي السعودية خلال عصر «القييد»... وخرائط للطرق التجارية المعروفة في الألف الثالث وأوائل الألف الثاني ق.م.... وفي المتحف قسم يستعرض مراحل تطور الكتابة العربية من خلال مجموعة من اللوحات، مبيّن ان الفضل في اختراع الكتابة يرجع إلى الشعب السومري في جنوبي العراق. وفي إحدى القاعات علقت نماذج من المعلقات الشعرية السبع الشهيرة في الأدب العربي. وهناك قسم آخر في المتحف مخصص للفتوحات الاسلامية الكبرى خلال عهد النبوة وما بعده.

في المتحف أدلة معروضة تؤكد ان هذه المنطقة كانت مأهولة بالسكان منذ حوالي ثلاثين ألف سنة، إذ تشير إلى مدينة تدعى «حجر» كانت عاصمة لاقليم اليمامة الذي يعمل الآن إسم نجد، وكانت موطناً لقبيلتي طسم وحديس البائدتين. وقد عاصرت حجر عهد الخلفاء الراشدين والعهد الأموي واستمرت حتى عهد العباسيين.

كانت الرياض تابعة للدولة السعودية الاولى، ثم أصبحت قاعدة للدولة السعودية الثانية (١٨٢٤)، وهو العام الذي دخلها الامام تركي بن عبد الله واتخذها قاعدة للملكة. وتعرضت الرياض بعد ذلك لسلسلة من الحروب هدمت خلالها أسوارها وقصورها، ولم تعرف الاستقرار إلا بعدما استرجعها الملك عبد العزيز في كانون الثاني ١٩٠٢.

غير ان المدينة لم تشهد أي تغيير من الناحية العمرانية حتى بداية الخمسينات من هذا القرن باستثناء بناء الأسوار من جديد وترسيخ وإعادة بناء القصر القديم ليصبح مقرّاً

في الطائف عقدت في ١٩٣٤ الاتفاقية المعروفة بـ«اتفاقية الطائف» بين السعودية واليمن. وعقد فيها بعض أهم المؤتمرات وأبرمت فيها اتفاقات مشهورة، مثل أول مؤتمر للقمعة الإسلامية، ومؤتمر الطائف (لبنان) واتفاقية الطائف (اليمن وأفغانستان)، وأنشئ حديثاً قصر المؤتمرات وهو قاهر على استضافة أكبر المؤتمرات والاجتماعات الدولية. وفي الطائف حلت الحكومة الكويتية ضيفاً على المملكة العربية السعودية إبان حرب الخليج الثانية.

يقال إن المدينة كانت تُسمى قديماً بـ«رج» نسبة إلى رج بن عبد الحي أحد أبناء العماليق، وان القبائل العربية كانت تَحج إليها من قبل الإسلام لتطوف حول صنم «اللات» الذي هدمه المغيرة بن شعبة عند الفتح الإسلامي في عهد النبوة. وكانت الطائف أول مدينة قصبها الرسول عندما قرّر الخروج من مكة.

وترتبط ذاكرة الطائف التاريخية أكثر ما ترتبط بـ«سوق عكاظ»، أشهر أسواق العرب التجارية والأدبية عبر التاريخ، وكانت ملتقى القبائل العربية، تعقد سنوياً في مطلع شهر ذي الععدة ويستمر حتى العشرين منه.

«نار جدد كبير بين أدياء الطائف ومؤرخيها حول تحديد موقع عكاظ استمر أكثر من عامين إلى ان عقد محافظ المدينة بالنيابة فهد بن عبد العزيز بن معمر في شهر تموز (١٩٩٦) اجتماعات لعدد من كبار المؤرخين وعلماء الآثار والأدياء والباحثين وخرجوا منها باتفاق على تحديد موقع السوق (سوق عكاظ) ووضع حد للادعاءات والزاعم. وقد اعتمدوا في تحديد الموقع على تطبيق المعلومات والشواهد المنصوص عليها في أرجوزة «الحج» لعيسى بن أحمد الرادعي التي تحدد موقع السوق على أرض الواقع، وبالاعتماد أيضاً على أقوال الأصمعي وتاريخ الهمداني والبكري وغيرهم من العلماء والمؤرخين القدامى، والمحدثين من أمثال حمد بن بليهد، وحمد الجاسر، وعاتق بن غيث البلادي، واتفق الجميع على ان السوق (سوق عكاظ) كانت في الموقع الذي يحده من الشمال جبل الخالص والبعوث والعرفاء شمال شرقي الحوية، ومن الشرق الحريرة ومن الغرب وادي الأخيضر ووادي شرب وجبال الصالح ومدسوس، والعيلاء والسرايا من الجنوب، وان مساحته تقدر بنحو ٢٠٤ كلم في مكان يبعد نحو ٤٠ كلم شمالي الطائف» («الوسط»، العدد ٢٤٢، تاريخ ١٦ ايلول ١٩٩٦، ص ٥١-٥٢).

\* التطوير: راجع «الجوف» في هذا الباب.

للحكم. ولهذا تكتسب منطقة وسط الرياض (منطقة «قصر الحكم» كما تسمى الآن) أهمية خاصة من الناحية التاريخية، فهي مقر الحكم منذ نشأة الدولة السعودية الثانية، ومنطلق جهاد الملك عبد العزيز لتوحيد المملكة العربية السعودية.

وقد بدأ الإعداد لتطوير منطقة وسط الرياض في ١٩٧٦، واشتمل العمل على: مباني إمارة وشرطة منطقة الرياض (وانتهى في ١٩٨٥)؛ وقصر الحكم وجامع الإمام تركي بن عبد الله، وميدان العدل، وساحة الامام محمد بن سعود، وساحة المصمك (بدأ العمل بها في ١٩٨٨ وانتهى في ١٩٩٢).

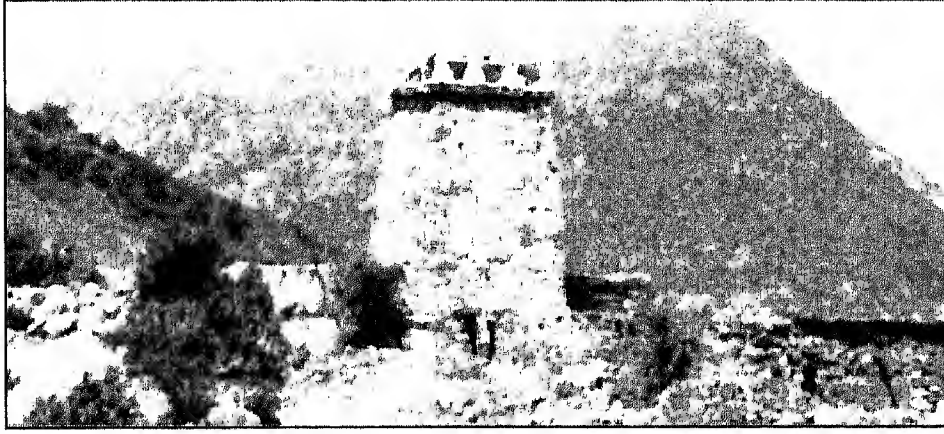
واستعداداً للاحتفاء بمرور مائة عام على دخول عبد العزيز الرياض (شوال ١٣١٩هـ-١٤١٩هـ؛ كانون الثاني ١٩٠٢-١٩٩٩م)، وضمن الخطة الشاملة لتطوير وسط المدينة الرياض، أعطى الأمير سلمان بن عبد العزيز، أمير منطقة الرياض، في ايار ١٩٩٧، إشارة البدء لإنشاء مركز الملك عبد العزيز التاريخي الذي تبلغ مساحته ٣٧٤ ألف متر مربع ويقع في منطقة المربع الذي يحتوي على مجموعة من المباني التاريخية.

\* سوق عكاظ: راجع «الطائف» في هذا الباب.

\* صالح وثمود: راجع «مدائن صالح وثمود» في هذا الباب.

\* الطائف: من أهم مدن المملكة. تقع على قمة جبل غزوان على ارتفاع ١٧٠٠م فوق سطح البحر، ويصل ارتفاع الجبال المحيطة بها إلى ٢٥٠٠م ما أكسبها مناخاً جميلاً ومناظر طبيعية خلابة جعل منها أهم مصيف في المملكة. فقد كانت مصيفاً لأهل مكة على مر العصور، وتحولت بعد أن افتتحها عبد العزيز آل سعود في ١٩٢٢ إلى مدينة عصرية حديثة، وتعد حالياً المقر الصيفي للحكومة السعودية وفيها مقر للديوان الملكي وديوان ولي العهد ويجلس الوزراء وقصر المؤتمرات ويجمع لمسرح الوزارات الحكومية إضافة إلى عدد من أرقى الفنادق في العالم.

اشتهرت الطائف على مر العصور بزراعة الورد ولا سيما الفل والورد والقرنفل والنعناع، حيث تمتد المساحات المزروعة به إلى عشرات الكيلومترات في مناطق الهدا والشفا وبلاد الطلحات والطويق وبعض الأودية.



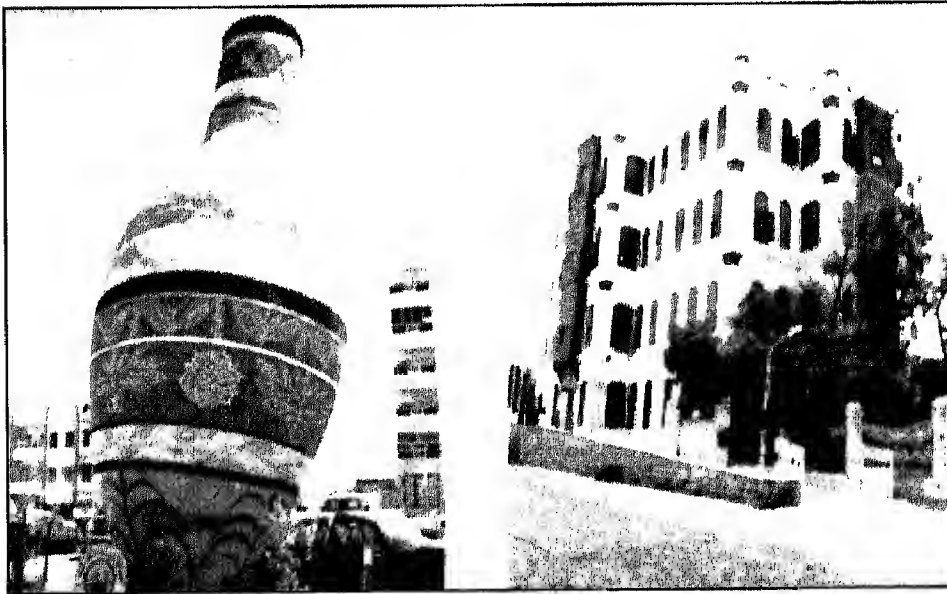
قلعة تاريخية في الشفا (الطائف).

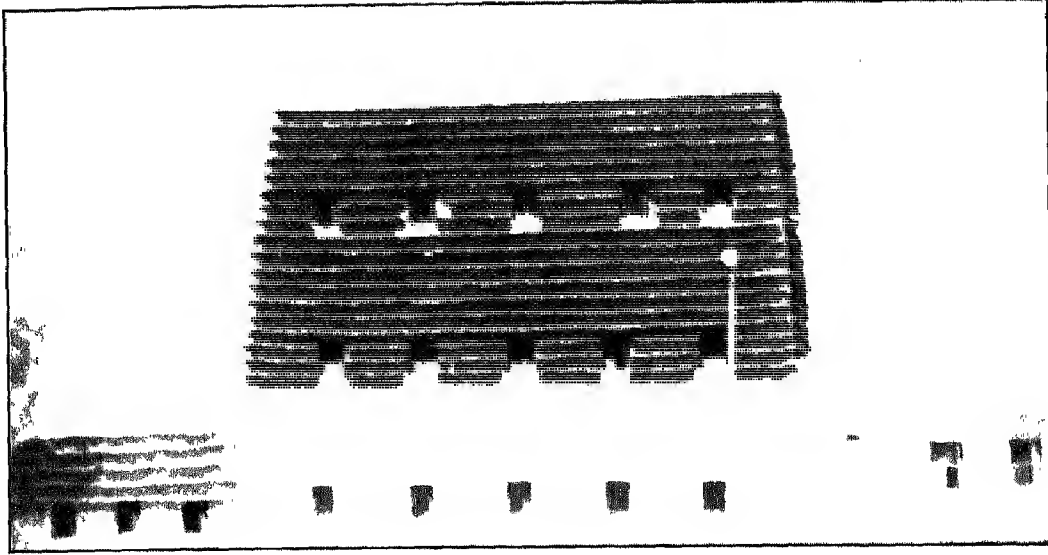
حيث اتفق العلماء  
والمؤرخون انه موضع  
سوق عكاظ.



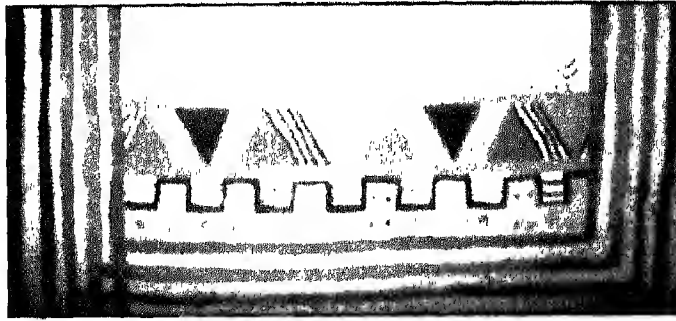
أحد ميادين الطائف.

قصر شبرا.



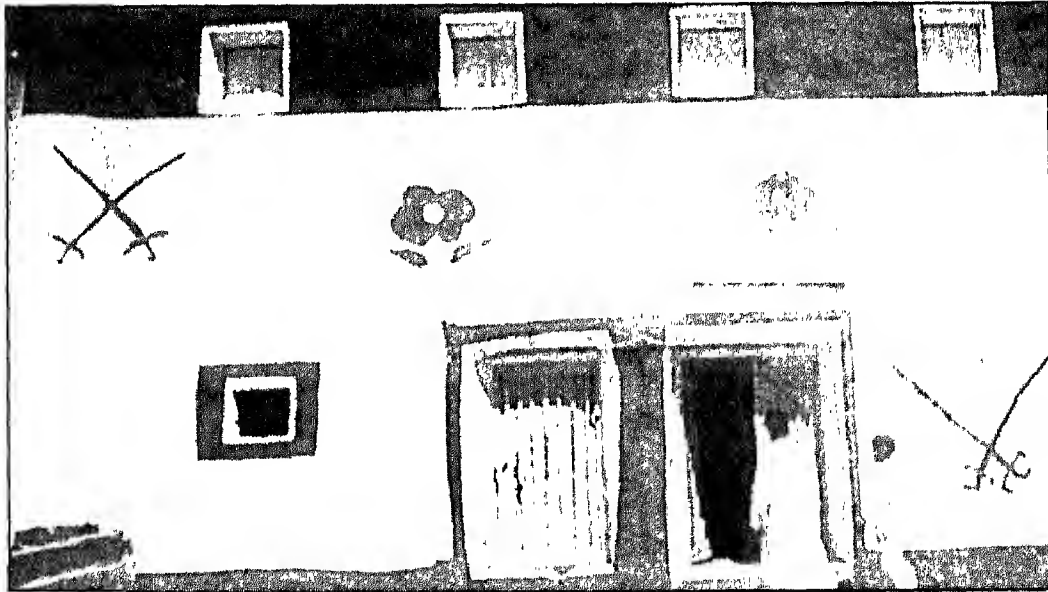


نموذج من العمران التقليدي في عسير.



رسوم داخل منزل عسيري...

... وعلى الجدران الخارجية لمنزل آخر.





أطلال سوق اللوا القديمة.

مستغرباً نظراً إلى الوجود الأفريقي المزمّن، إذ يذكر البعض ان الحبشيين ظهروا في المنطقة في القرن الثاني ق.م. وميزة عسير عن سواها من أرجاء المملكة لا تتوقف عند الفن المعماري سواء للبيوت التي كثيراً ما تطرز بالألوان سواء من الخارج أو الداخل وتبدو فريدة وجميلة، أو الابراج والحصون، بل تتعداها إلى عادات أهلها وتقاليدهم.

\* الفاو: قرية سعودية تبعد نحو ٧٠٠ كلم جنوب غربي الرياض في المنطقة التي يتداخل فيها وادي الدواسر ويتقاطع مع جبال طويق على حافة الربع الخالي، عند فوهة مجرى قناة تسمى الفاو نسبت المدينة إليها. وهي في ملتقى طرق القوافل حيث الطريق التجاري الذي يربط بين جنوبي الجزيرة وشمالها الشرقي.

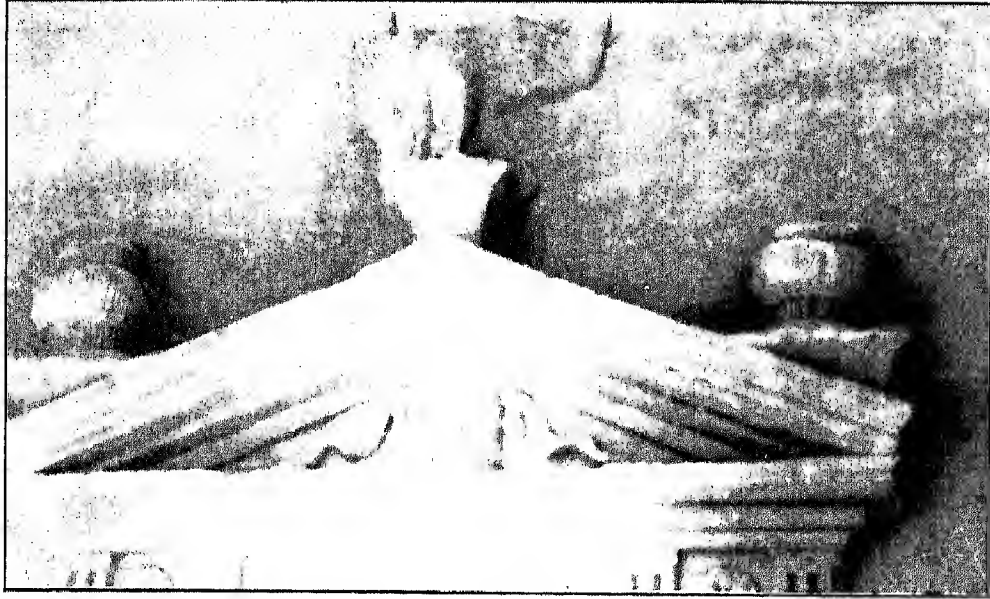
كشفت الحاج عبد الله فيلبي (راجع «معالم تاريخية») عنها، في ما كشف عن مواقع أثرية في الجزيرة العربية أثناء عبوره الربع الخالي وكتب عنه في المجلة الجغرافية الملكية البريطانية. و«عند عودتي من بريطانيا (يقول الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري، عالم الآثار السعودي وعميد كلية الآداب في جامعة الملك سعود في الرياض) في العام ١٩٦٦ فكرت في اختيار موقع للتنقيب يكون بداية انطلاقاً للآثار في المملكة، وبعد قراءات عدة اخترت الفاو».

\* الظهران: راجع «المنطقة الشرقية» في هذا

الباب.

\* عسير: تعتبر عسير، المنطقة الواقعة جنوب غربي السعودية والتي تعد أكثر من أربعة آلاف بلدة وقرية، (قاعدتها مدينة أبها)، من أكثر المناطق السكانية كثافة في شبه الجزيرة العربية. وهي تتميز بجبالها الشائخة التي تصل إلى ارتفاع ٣ آلاف م، وسهولها المنبسطة وسواحلها، علاوة على كونها تسجل أعلى معدلات سقوط الأمطار في أنحاء المملكة.

ويرجع بعض المؤرخين إسم «عسير» إلى مسالكها العسيرة، والبعض الآخر يرجعه إلى قبيلة عسيري التي حكمت المنطقة طويلاً. والقبيلة من أصول حبشية، إذ كانت عسير في ما مضى محطة تجارية للقوافل. وهي عرفت سابقاً بأنها بلاد السراة. وتتميز عسير بسمات خاصة سواء في العمارة والسري والموروثات الشعبية، واعتمدت في عمارتها على مواد أولية من الطين والحجر والخشب. وثمة اعتقاد ان هذه المنطقة كانت جزءاً من القارة الأفريقية قديماً قبل تكوّن البحر الأحمر، ويظهر ذلك في منطقة تهامة عسير حيث تنتشر الأكواخ شبه الأفريقية مصممة من اللبن والأغصان اليابسة ومسقوفة بالأعشاب الجففة ومصقولة على شكل البيضة. لذا فإن تواجد هذه الأكواخ لم يكن



نقوش إحدى مقابر مدائن صالح.

وعثر كذلك على تمثال نصفي من البرونز لامرأة يمكن ان تكون المعبودة «مينرفا» رمز الحكمة عند الرومان، وعلى أواني وأدوات خشبية وعظمية وعاجية، وعلى مسكوكات ضربت في بلاد مختلفة، إضافة إلى ما ضرب منها في الفاو ويحمل رسم معبودها الرئيسي «كهل» (عن تحقيقين لعماد الغزالي، «للحياة»، العددان ١٠٩٢٦ و ١٠٩٣١، تاريخ ١٠ و ١٥ شباط ١٩٩٣).

\* القطيف: راجع «المنطقة الشرقية» في هذا

الباب.

\* الكعبة الشريفة: راجع «مكة المكرمة» في هذا

الباب.

\* المخض: إسم لقرية تبعد ٨ كلم غربي مدينة أبها

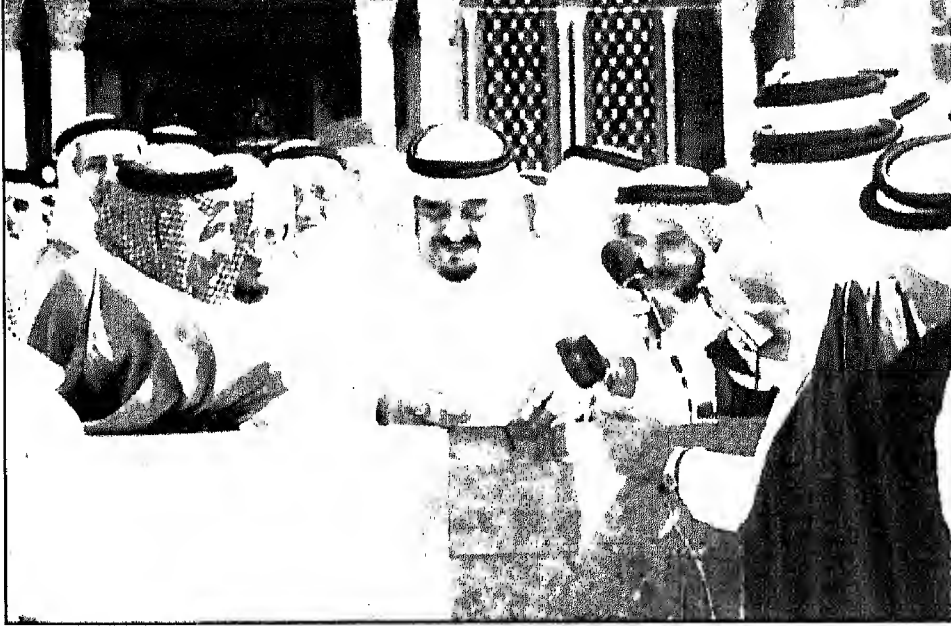
(في عسير)، وتمثل نموذجاً للقرى الحصينة في هذه المنطقة والتي كانت مستقراً لأبنائها، فكان تحصينها ضرورياً لحمايتهم. فشيدت الأبنية والدور من الحجر القوي، ويتفاوت سمك الجدار الواحد بين ١١٠ و ٢٧٠ سم مما يؤكد نية توفير الحصانة.

في القرية عدد من الحصون والقلاع، وتاريخ إنشاء القرية ما زال مجهولاً، ولكن يمكن الاستدلال عليه من خلال التاريخ المثلث على مسجلها التميز، فهناك لوحة جدارية محفور عليها تاريخ إنشاء المسجد في العام ٢٥٣هـ أي قبل نحو ١١٦٢ سنة.

وقد أظهرت «عمليات البحث والتنقيب التي تمت بطاقات عربية مئة في المئة» حتى اوائل ١٩٩٣ عن ان الفاو كانت عاصمة لدولة قوية لعبت دوراً في تاريخ الجزيرة العربية حوالي ستة قرون هي دولة كندة (بين القرن الثاني ق.م. والخامس بعده). وبيت سوق الفاو بالقرب من الحافة الغربية للوادي وشرقي المنطقة السكنية ويحيط بها سور. واكتشف معبد الفاو، أول معبد يكشف عنه داخل المملكة. أما المقابر فمتنوعة، وهي ثلاثة أنماط: الأمراء النبلاء وعامة الناس. وعثر في مقابر الملوك على مقبرة معاوية بن ربيعة ملك قحطان. ومن مقابر النبلاء مقبرة عجل بن هفعم الجاورة لمقبرة الملك. أما مقابر عامة الناس فتقع شمال شرقي المدينة على حافة الوادي الغربي، ويشبه بعضها المقابر الاسلامية.

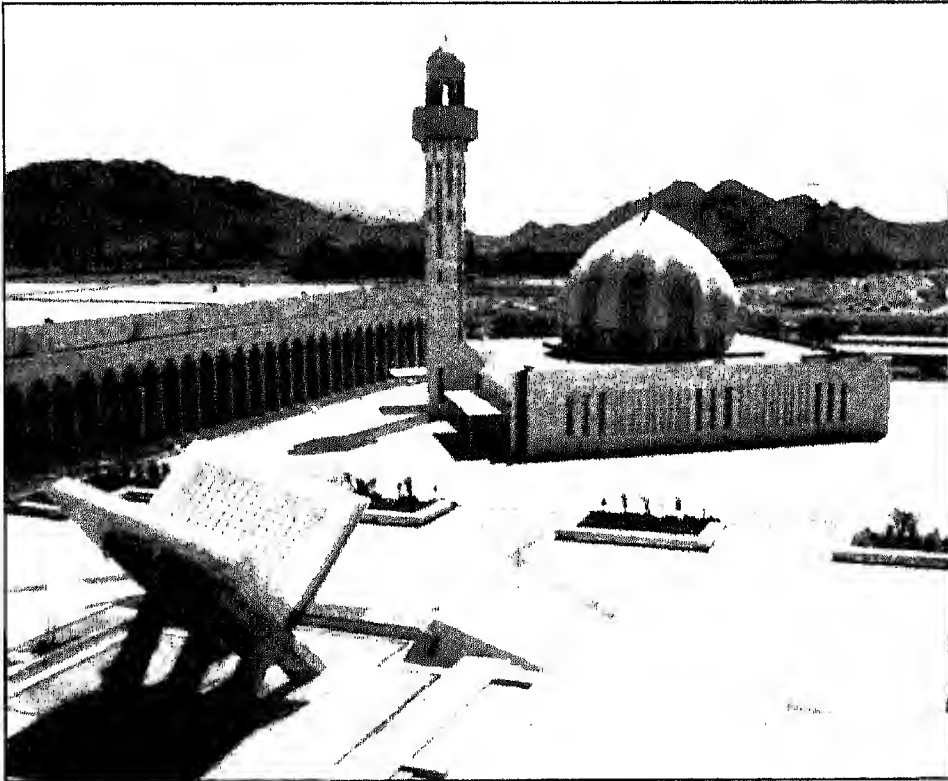
وتميزت المنطقة بوجود أزقة وشوارع بين المنازل. ولوحظ اهتمام كبير بالخانات ووجود عدد كبير منها، وشيوع استعمال الادراج.

وأتاح ما عثر على نقوش معرفة عدد من القبائل ومعبوداتها: كهل معبودهم الأعظم، وإل والسلات والعزي ومناة وود وشمس، ما يعني ان المدينة كانت مجتمعاً سمح بتعدد المعبودات. وعثر على تماثيل معدنية وحجرية وطينية وخزفية، ويعد أهمها تمثال من البرونز لطفل جنح على رأسه تاج مزدوج ويمسك بيده اليسرى قرن الخبز به عنقود عنب... وهي صفات رجحت ان يكون التمثال للطفل هار بوكراتيس ابن إيزيس في أسلوب هلييني-روماني،

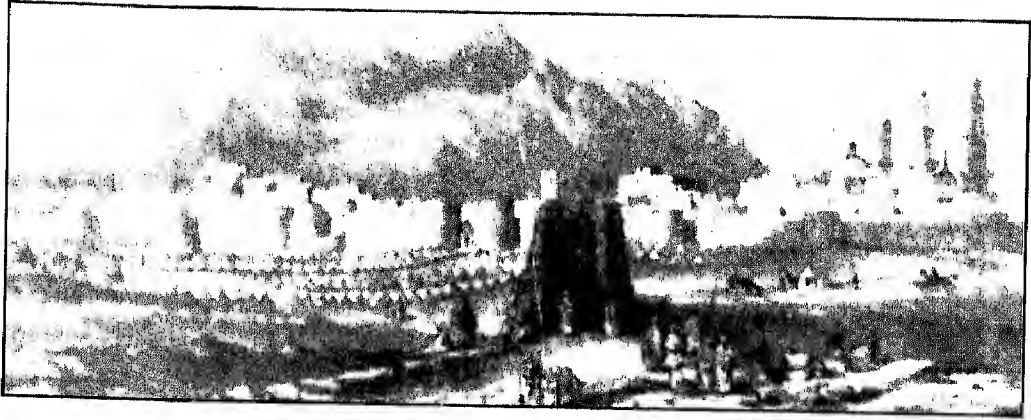


خادم الحرمين الشريفين الملك فهد يضع حجر الاساس للمسجد النبوي الشريف.

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

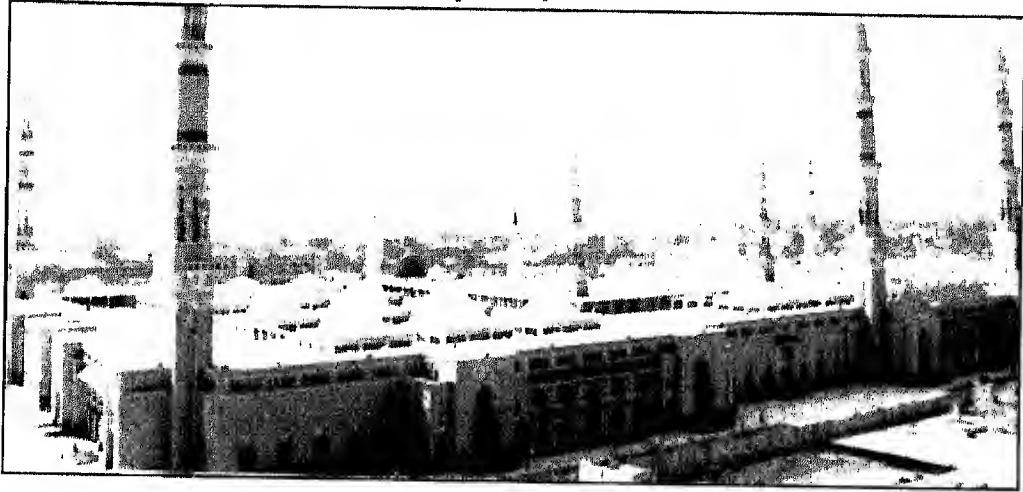




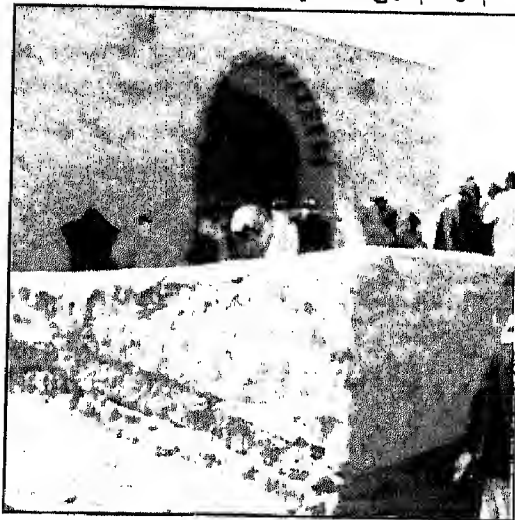


منظر عام للمدينة في القرن التاسع عشر.

المسجد النبوي الشريف في المدينة.



معلم من معالم تاريخ الدعوة في المدينة.



من آثار مسجد في ضواحي المدينة منسوب الى عم الرسول.





ذكره في القرآن».

وإضافة إلى القرآن الكريم، فقد أوردت المصادر العربية، عن الثموديين، الكثير من التفاصيل، وكلها تدور حول ان الله أرسل النبي صالح، وكان ثمودياً، ليلفهم دين الله غير ان دعوته جوبهت بالرفض. ولم يكن الثموديون على استعداد لترك دين أجدادهم وطلبوا برهاناً على صحة أقواله فأخرج لهم الناقة من قلب الصخر، غير ان هذه المعجزة لم تنفع القبيلة في شيء، وقام أحد أبنائها بعقرها، فأهلك الله الثموديين ثلاثة أيام. وكانت بعدها العاصفة والزلازل التي أبادتهم وهدمت بيوتهم. وهذه الرواية كررت في معظم كتب المؤرخين العرب أمثال ابن بطوطة والطبري وياقوت الحموي.

وتقدم المصادر العربية، إجمالاً، «ثمود» على أنهم قوم مستقرون يسكنون منطقة تمتد من الحدود السورية حتى المدينة المنورة. ويذكر الملك الأشوري سرجون الثاني، في حواريته، عددًا من القبائل العربية التي هزمها، ومن بينها ثمود.

\* المدينة المنورة: كانت يثرب، وهذا إسم المدينة قبل الاسلام وهو إسم لموضع فيها سميت كلها به، تقع في واحة خصبة، وتتألف من مجموعة من المنازل البسيطة تحيط بها الحدائق والحقول. ونظراً إلى وفرة المياه فقد صارت محطة لإمداد القوافل بالخضار والفاكهة والماء مما ساعد في زيادة عدد النازحين إليها وكانت الأشجار والنخيل بمثابة سور لها.

كان سكان يثرب الأوائل من العمالقة، ثم سكنتها فئات من اليهود، وجاءها الأوس والخزرج من اليمن. وكانت قبيلة قينقاع من أشهر القبائل اليهودية وأغناها، وقد سكنت في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة، فيما سكنت بنو نضير عند وادي بطحان، أما بنو قريظة فسكنت وادي مهزور. وكانت يثرب، قبل الاسلام، فيها حياة مدنية لها شيء من الاستقرار، فيها زراعة ولها تجارة ولو كانت أقل من تجارة مكة.

سمى الرسول يثرب بـ«طابة»، والطاب والطيب مشتقتان من الشيء الطيب، وشهرت بـ«مدينة الرسول» بعد الهجرة النبوية (١هـ-٦٢٢م) تمييزاً لها عن المدن الأخرى. ثم اكتفى بعدها باسم «المدينة» منفرداً، وألحقت بها الصفة فصارت «المدينة المنورة». كما تعرف بأسماء كثيرة أخرى، أشهرها: طيبة، مدينة الرسول، دار الهجرة (لنصرتها الرسول حينما هاجر إليها من مكة المكرمة).

\* مدائن صالح وثمود: آثار مدن في منطقة الحجر الواقعة على بعد ٣٧٠ كلم إلى الشرق من المدينة المنورة. هذه المنطقة التي يعتبرها كثير من الدارسين أهم منطقة أثرية متكاملة في السعودية لأنها تحتوي مدائن صالح الشهيرة التي لم يبق منها الجدل حولها بعد. فهناك من يعتقد بأنها من أقدم المدن التي سكنها الانسان، وانها ارتبطت بعلاقات قوية مع حضارات الجوار سواء البابليين والأشوريين أو الفراعنة. كما اختلفت الآراء حول تسمية الآثار الموجودة فيها في ما إذا كانت بيوتاً أم مدافن.

«لكن الذي لا خلاف عليه هو أن مدائن صالح تعود إلى آثار قبيلة ثمود التي يقال إنها هلكت منذ أكثر من ٣ آلاف عام، وهي من العرب العاربة. وجاء في الاعلام للزركلي «إن ثمود بن عامر بن أرم من بني سام بن نوح، رأس قبيلة من العرب العاربة في الجاهلية الأولى، كانت إقامته في بابل ورحل عنها بعشيرته إلى الحجر (بين المدينة والشام) ثم انتشروا بين الشام والحجاز وبقيت آثارهم في الحجر المعروفة بمدائن صالح». لكن بعض المؤرخين يرى انهم عاشوا وبادوا قبل زمن موسى، وإن الكتابات الأرامية الموجودة على بعض القبور كتبت بعدهم. والقرآن الكريم يؤكد ذلك في قوله تعالى: «ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين، وأتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين. وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمين» (سورة الحجر: آية ٨٠-٨٢). واختلف في أصل ثمود فقيل: هم من بقايا عاد لأن القرآن الكريم ذكرهم مرادفين لعاد، وقيل إنهم من العمالقة الذين شيدوا لهم مملكة في مدين والبراء في وادي موسى، الخ... وتشابه مدافن مدائن صالح مع مقابر البراء الواقعة جنوبي الاردن، كما تشابه مع مدافن الاهرامات في مصر على رغم الاختلاف الواضح بين سرية الدفن عند الفراعنة وعلنيته في مدائن صالح. والتواريخ المثبتة على واجهات القصور والمقابر تتراوح بين سنة ١٠٠٠ ق.م. و٧٥٠م. ويلاحظ ان أكبر عدد منها تم بناؤه وتزيينه في عهد الملك النبطي حريش الرابع المعروف باسم «حريش الحب لشعبه» مع أن أساس هذه المدائن كان لثمود النبي صالح، وهم الذين محتوا البيوت والقبور كما هو ثابت في القرآن الكريم» (أحمد مرتضى عبده، «الحياة»، العدد ١١٤٤٣، ١٧ حزيران ١٩٩٤، ص ٢١).

أما «صالح» فقد جاء بصدده في «المنجد» (دار المشرق، بيروت، ١٩٨٤، باب الاعلام، ص ٤٢٠): «نبي عربي بعثه الله إلى قومه ثمود لهدايتهم، فقال لهم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره، فكذبوا. فزلزلت بهم الأرض. ورد

وفسيفساء وسلاسل معدنية للقناديل. ومن أهم ما أضيف إلى المسجد في أيام الوليد أربع مآذن، كما أضيف عراب في جدار القبلة (كان قد تم تغيير القبلة، على ما يقوله المؤرخون من بيت المقدس إلى مكة بعد سنتين من الهجرة تقريباً). وفي أيام الخليفة العباسي المهدي (٧٧٨) أضيفت منازل بعض كبار الصحابة إلى المسجد الذي جعل له عشرون باباً.

في ١٢٥٧، شب حريق في المسجد أتى على أكثره. فاهتم الخليفة المعتمد بالأمر وبدأ حالاً القيام بالبناء. لكن احتلال المغول لبغداد في السنة التالية حال دون إتمام العمل. وعاد العمل وتمّ كاملاً على أيدي السلطانين الملوكيين بيبرس وقلاوون. ثم عمل ابن قلاوون في الزخرفة. لكن صاعقة ضربت إحدى المنارات (١٤٨١). وأعيد البناء أيام السلطان قاتيباي، وأدخل الرخام في بعض أجزائه وزين جدار القبلة بالألوان الجميلة. وفي أيام العثمانيين، قام السلطان سليمان القانوني بتوسعة وتحسين كبيرين للمسجد النبوي (١٥٤٠)، كما أنه بنى أقصرى تحصين لأسوار المدينة، وفيه ثلاثة أبواب (كان أول سور بني في ٨٧٦). وظل العثمانيون يهتمون بالمسجد النبوي إصلاحاً وتوسيعاً وزخرفة، وأصبح للمسجد في أيامهم ثلاثة محاريب.

في أيام السعوديين، وبعد نجاح الملك عبد العزيز في توفير الأمن والاستقرار لحجاج بيت الله الحرام، رأى أنه من الضرورة البدء في توسعة الحرمين الشريفين وإعادة إعمارهما لكي يستوعبا الزيادة الكبيرة في إعداد الحجاج، وأمر بأن يبدأ العمل في المسجد النبوي خاصة بعد ظهور بعض التصدمات في الأعمدة والجدران. وبدأ العمل في ١٩٥١ وشمل عملية الهدم للأبنية الخيطة بالمسجد والتي تدخل في إطار تخطيط التوسعة. واستغرقت المرحلة الأولى ثلاث سنوات، وشارك فيها أكثر من ألفي مهندس وفني وعامل، وبلغت فيها مساحة المسجد ١٦٢٣٧ م.م، وأصبح للمسجد ٢٣٢ عموداً مدوراً و٤٧٤ قاعدة و٦٨٩ قوساً، وأصبح طوله ١٢٢٨ م وعرضه ٩١ م. وأضيفت إليه مئذنتان ارتفاع الواحدة ٧٠ م.

وفي عهد الملك فيصل بن عبد العزيز تمت المرحلة الثانية من مشروع توسعة المسجد النبوي حيث تم هدم وإزالة الأماكن الواقعة غربي المسجد وتم تغطيتها وتجهيزها لاستيعاب الأعداد المتزايدة من المصلين. وقد بلغت المساحة التي شملتها التوسعة جزأين: الأول مساحته ٣٥ ألف م.م، والثاني ٥٥٥٠ م.م.

أهم معالم المدينة على الإطلاق هو المسجد النبوي الشريف الذي مرّ بأطوار عديدة لعمارتها عبر العصور الإسلامية بدءاً من أول مراحل بنائه عندما هاجر الرسول إلى المدينة (٦٢٢) وحتى يومنا هذا حيث شهد أكبر توسعة في التاريخ وهي توسعة خدام الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز التي بدأت في ١٩٨٤، والتي أصبحت بفضلها مساحة المسجد هي مساحة المدينة المنورة بحدودها القديمة في عهد الرسول.

عندما وصل الرسول إلى يثرب (كان يسميها «طيبة») مهاجراً من مكة، رحّب به الاقصاد وتسايقوا على استضافته، كل منهم يسعى للأخذ بنظام ناقته، فكان يدعوهم لإخلاء سبيلها قائلًا «إنها مأمورة». وواصلت الناقة سيرها حتى استقرت في أرض تعود ملكيتها لغلامين يثيمين في حجر أسعد بن زرة الأنصاري هما سهيل وسهيل من أبناء نافع بن عمر بن ثعلبة بن النجار، وكانت هذه الأرض مربداً لتجفيف التمير. فما إن هركت الناقة في هذا المكان حتى أعلن الرسول أنه سيبنى مسجده في هذه الأرض. فابتاعها وأمر بقطع النخيل وإزالة ما كان بها من قبور ومخاريب، وبدأ بناء المسجد النبوي على مرحلتين: الأولى في السنة الأولى للهجرة وكانت مساحته نحو ٧٠ ذراعاً طولاً و ٦٠ ذراعاً عرضاً. وقد شارك الرسول في البناء حيث كان ينقل الحجارة واللبن مع الصحابة، والمرحلة الثانية بعد فتح خيبر في السنة السابعة من الهجرة حيث أعاد الرسول عمارة المسجد واستخدام الحجارة للأساس، واللبن للمسجد وجنوع النخيل للأعمدة، وأصبحت مساحة المسجد ١٠٠×١٠٠ ذراعاً وارتفع سقفه ٧ أذرع. ولم يكن في عهد الرسول ولا في عهد الخلفاء الراشدين مآذن. وأول من أقام المآذن في المسجد هو عمر بن عبد العزيز في عهد ولاية الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي، فقد أقام أربع مآذن في كل ركن واحدة (أواسط القرن الثامن). وقد أقام الرسول بيته (قبره الآن) على مقربة من المسجد، وتفصل بينهما «الروضة الشريفة» التي يبلغ طولها ٢٢ م وعرضها ١٥ م. وقد أولى خلفاء المسلمين وحكامهم الروضة جل عنايتهم وذلك خلال التوسعات العديدة التي مرّت على المسجد: الأولى في أيام عمر، الثانية في أيام عثمان، ثم توسعات أخرى في أيام الأمويين في خلافة الوليد بن عبد الملك (٧١٥) الذي طلب من ملك الروم أن يعث إليه بينائين للمساعدة في العمل، فعمل في البناء سوريون، كما كان ثمة صنّاع أقباط، وقد أرسل امبراطور بيزنطية أربعين ألف مثقال من الذهب

وفي عهد الملك خالد، تمت المرحلة الثالثة والتي شملت ضم مساحة ٤٣ ألف م.م. إلى المسجد عن طريق إيجاد ميدان فسيح يتصل بشارع المناخة.

وفي ٢٩ تشرين الأول ١٩٨٤، قام عماد الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بوضع حجر الأساس لمشروع توسعة المسجد النبوي التي تعد أكبر توسعة في التاريخ مقارنة بكافة التوسعات التي شهدتها المسجد على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، وقدرت تكلفة المشروع بجوال ٦ آلاف مليون ريال. وبعد أشهر قليلة بدأ العمل في تنفيذ المشروع (وأصبح الآن قيد الأجاز) الذي تضمن إضافة مبنى حديد وميدان جديد بحيث تصبح المساحة الاجمالية ١٦٦٥٥٠٠ م.م. وتتسع لأكثر من ٢٥٧ ألف مصلى. وتشمل التوسعة إنشاء سبعة مداخل رئيسية، فيصبح إجمالي البوابات ٥٩ بوابة، ويصبح للمسجد ١٠ مآذن (٦ مآذن جديدة ارتفاع كل منها، مع الهلال، ١٠٥ م، ويزن هلال كل معذنة ١٥ طناً من النحاس المطلي بالذهب). كل ذلك في إطار مشروع تطوير المناطق المحيطة بالمسجد بل والمدينة برمتها. وتم في مشروع توسعة المسجد النبوي إقامة ١٢ مظلة ضخمة يتم فتحها وغلقها أوتوماتيكياً لوقاية المصلين من وهج الشمس والأمطار، إضافة إلى نظام كهربائي متكامل لتوفير التهوية (أكبر نظام في نوعه في العالم).

وعند أطراف المدينة المنورة يقوم معلم ديني وثقافي فريد في نوعه في العالم، وهو «مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف». وهو ليس مؤسسة طباعة فقط، وإنما هو مؤسسة متكاملة تقوي الكثير من الهيئات والمؤسسات العلمية الأخرى، مثل مركز الدراسات القرآنية، ومركز الترميم، ومركز خدمة السنة والسيرة بالتعاون مع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومركز البحوث والدراسات الإسلامية.

أما صالة الطباعة في المجمع فتعمل من دون توقف، وطاقاتها الإنتاجية تبلغ ٣٠ مليون كتاب في السنة. وإصدارات المجمع منذ افتتاحه (٣٠ تشرين الأول ١٩٨٤) حتى اليوم (نموز ١٩٩٨) تبلغ ١٢٠ مليون نسخة تقريباً. وتم، على مدار السنوات الماضية، توزيع أكثر من ١٠٥ ملايين نسخة، نالت قارة آسيا منها الحصة الرئيسية (٧٦ مليون نسخة) تليها قارة أفريقيا (٧ ملايين نسخة)، كما تهدي نسخة لكل حاج وحاجة، وما وزع على الحاج حتى الآن (١٩٩٨) فاق ١١ مليون نسخة. ويبلغ عدد العاملين في المجمع ١٨٠٠ موظف، منهم ٧٠٪ من

السعوديين.

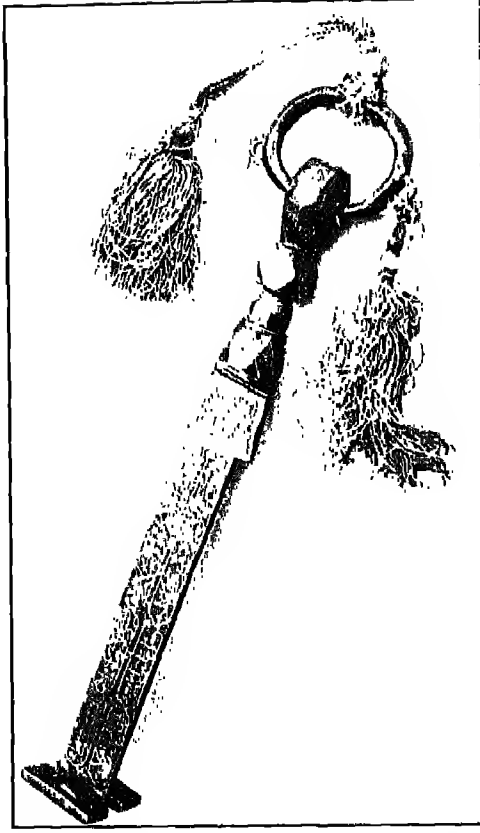
الجدير ذكره، أخيراً، أن معالم إسلامية كثيرة في المدينة جرى الحرص على إبقائها على تاريخيتها بالاكتفاء بترميمات ضرورية عليها، مثل آثار مسجد حمزة بإحدى ضواحي المدينة، وغيرها.

\* مكة المكرمة: «بيت الله الحرام، وسميت مكة لأنها تمك الجبارين أي تُلْهَب نخوتهم، ويقال إنما سُميت مكة لاذحام الناس بها. ومكة إسم المدينة، أما بكة فهو إسم البيت. وقال بعضهم: سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين عليها، وهي في هبطة بمنزلة المكوك. وقال بعضهم: بكعة الكعبة والمسجد، ومكة ذو طوى». وهو بطن الوادي الذي ذكره الله تعالى في سورة الفتح، ولها أسماء شتى: مكة وبكة والنساسة وأم رُحَم وأم القرى ومعاد والحاطمة لأنها تحطم من استخفَّ بها، وهي البيت العتيق لأنها عتق من الجابرة...

«يلغ عدد سكانها حوالي ٢٠٠ ألف نسمة (حالياً حوالي نصف مليون نسمة) وهي عاصمة الحجاز. تقع على بعد حوالي ٨٠ كلم من جدة، يرجع تاريخها إلى أيام سيدنا إبراهيم. ولد بها النبي محمد، وكانت مركزاً هاماً لتجارة القوافل منذ ما قبل الإسلام، كما كانت في زمن الجاهلية مهناً لعبادة الأوثان. هاجر منها النبي محمد إلى المدينة ٦٢٢ م، فاعتير هذا العام بدء السنة الهجرية عند المسلمين. ثم استولى عليها الرسول بعد عودته. لكنها فقدت أهميتها التجارية بعد استيلاء الأمويين عليها ٦٩٢ م. خربها القرامطة ٩٣٠ م، واستولى عليها العثمانيون ١٥١٧ م. يقصدها الحجاج المسلمون كل عام (راجع «الحج» في باب معالم تاريخية)، وتشتهر بأسواقها في أيام الحج، حيث تعرض الحرائر والعطور والأحجار الكريمة» (عن «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج٦، ط١، ١٩٩٠، ص ٢٩٠-٢٩١).

في مكة مركز هو الأكثر قداسة والأكثر شهرة في الإسلام، وهو «الكعبة الشريفة» الواقعة في وسط المسجد الحرام. إليها يتوجه المسلمون في العالم خمس مرات في اليوم أثناء تأديتهم الصلاة، كما تقصدها ملايين المسلمين من جميع أنحاء العالم لتأدية فريضة الحج (راجع «الحج» في باب معالم تاريخية) أو في مختلف أيام السنة لأداء العمرة. وعلى هذا الأساس فهي رمز لوحدة العالم الإسلامي (راجع «العالم الإسلامي» في هذا الجزء).

والواقع ان الكعبة كانت تحتل مثل هذا الموقع



مفتاح الحرم الشريف وهو من صنع الياس بن أحد المكي يحمل تاريخ ١١٦٠هـ (١٧٤٥م) يوجد بمتحف توبكابي باسطنبول، تركيا.

اسلامي (١٩٥٤) والذي انبثقت منه منظمة المؤتمر الاسلامي الحالية (راجع «العالم الاسلامي» في هذا الجزء). أما من الناحية الفنية، فقد أخذت الكعبة اسمها من شكلها، وهو مكعب منتظم تقريباً، ومن المعروف ان في زاويتها الشرقية يستقر الحجر الأسود، وهو حجر مقلس عند المسلمين، وقد ظل من الصعوبة بمكان تحديد طبيعته ومصدره، وقطره نحو ٣٠سم لونه أسود مع ميل إلى الاحمرار وفيه خطوط صفراء. وتغطي الكعبة ستارة مخملية سوداء موشاة بآيات من القرآن الكريم. أما حرمها فقد شهد عدة توسيعات منذ بنائه إلى اليوم.

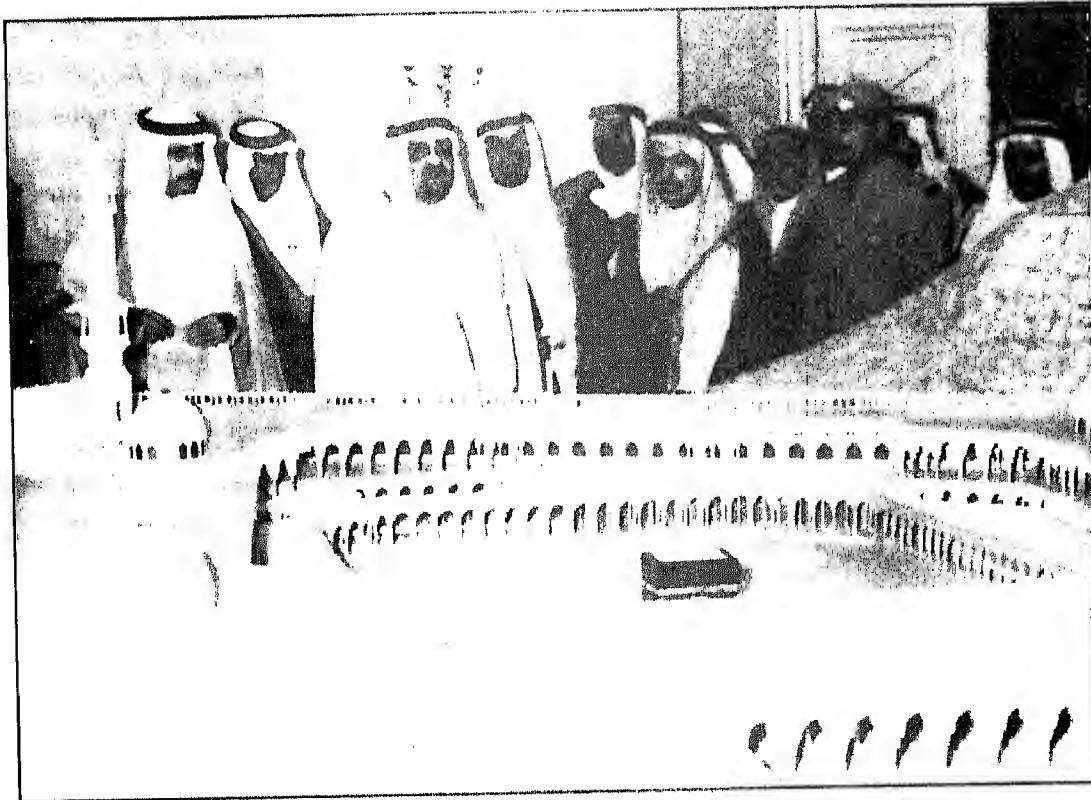
وهيئة الحرم الحالية، والأساسية، تعود إلى أيام السلطان سليمان القانوني، وكان تصميمه الأصلي من وضع المهندس العثماني المعروف سنان باشا، كما قام بنقش الرسوم مصور مشهور هو عبد الله لطفى. وإذا كانت الكتابات والزخارف بخط الثلث المذهب فإن الأرضية زرقاء وهو اللون المعروف عند الفنانين المسلمين بـ«الاستيرق».

المركزي بالنسبة إلى القبائل العربية منذ العصر الجاهلي. فعليها كانت تعلق أشهر القصائد التي سميت «معلقات»، وعلى أستانها كانت تعلق الصحف التي تتضمن اتفاقات القبائل وقرارات شيوخها، منها صحيفة قريش التي تضمنت قراراً بمقاطعة آل هاشم (قبيلة الرسول) مقاطعة تامة على كل المستويات على أمل أن تؤدي هذه المقاطعة إلى ضرب الدعوة الاسلامية الوليدة. وقرب الكعبة كانت تعقد منتديات قريش، لكل قبيلة أو فخذ مكان يلتقي فيه الشيوخ ويتنافسون في قضاياهم الحياتية والسياسية والعسكرية، وقد بنيت بقربها دار الندوة.

وفي الأيام الأولى للإسلام كان حرف القبلة التي يتوجه إليه المسلمون من بيت المقدس إلى الكعبة تكريماً لقدسيتها هذا المكان. وقد تم حرف القبلة إلى الكعبة بعد انقضاء عام ونصف العام على هجرة الرسول إلى المدينة وكان الرسول يصبر على أداء صلاته علانية في الكعبة، وبذلك كانت الكعبة بمثابة المنبر لدعوته، أما بقية المسلمين فلم يجرؤوا على القيام بذلك إلا بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب (عم النبي) وعمر بن الخطاب (الخليفة الثاني في ما بعد)، فإنهما تحديداً قريشاً ولم يترددا في ان يعلنوا اسلامهما أمام الكعبة وعلى مسمع ومرأى من قادة قريش ورجالاتها.

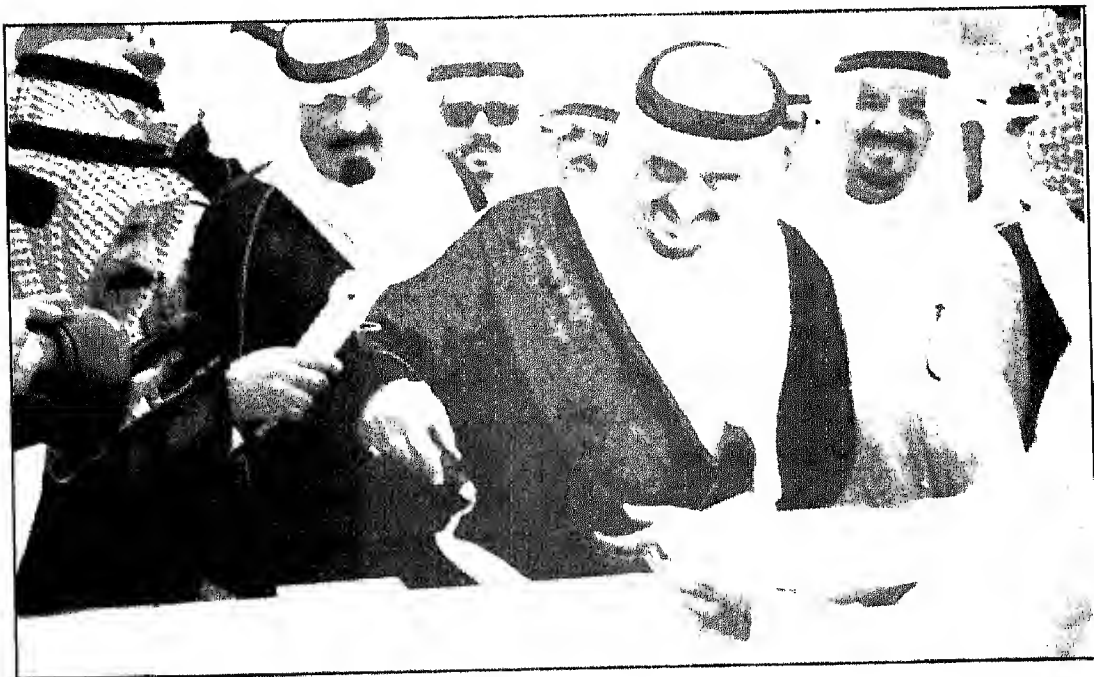
وظل الدور السياسي للكعبة يتجدد في العهود الاسلامية المتعاقبة رغم ان عاصمة الحكم الاسلامي لم تكن في أي وقت في مكة بل تنقلت بين المدينة والكوفة ودمشق وبغداد والقاهرة... ورغم ذلك فمكة والمدينة ظلتا مركز الفقهاء والمرشدين والعلماء الذين لا تستقيم ولاية سلطان دون موافقتهم. ومن هنا كانت الكعبة في أحيان كثيرة ومكة خصوصاً وبلاد الحجاز عمومًا مركزاً للمعارضات الاسلامية للخلفاء سواء في دمشق أم في بغداد. وبسبب ذلك كان الخلفاء يضطرون مراراً لحوض معارك حربية للحصول على بيعة من يعتصم من القادة للمعارضين بالحرم الشريف، ولم تنجح الكعبة من الآثار السلبية، فقد شهدت أكثر من حرب، أشهرها حرب عبد الملك بن مروان ضد عبد الله بن الزبير في العهد الأموي.

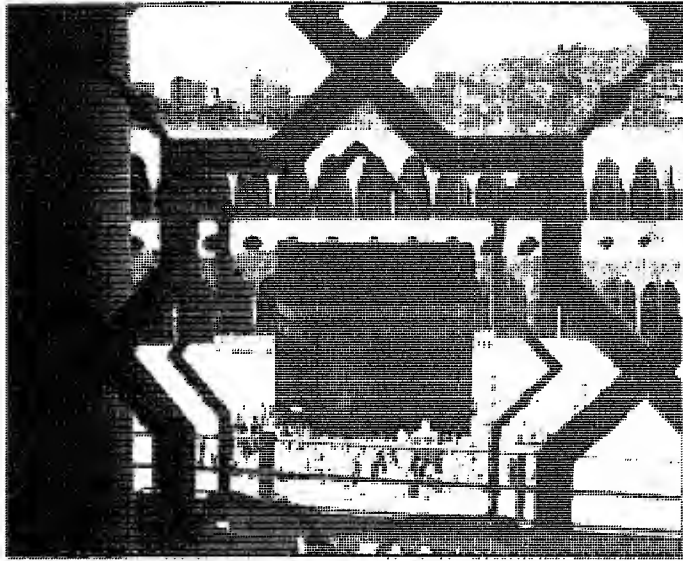
وفي أيام السلطنة العثمانية ظلت الكعبة ومعها مكة رمزاً للثقل العربي في السلطنة حيث بقيت بيد الأشراف منهم مسؤولية خدمة الحرم وولايته، وليس صلفة ان يعلن الشريف حسين ثورته ضد السلطنة ومن أجل قيام مملكة عربية من الحجاز ومن مكة بالذات، وكذلك ليس صدفة ان تشهد مكة، في أيام السعوديين، ميلاد أول مؤتمر



خادم الحرمين الشريفين الملك فهد يستمع الى شرح عن توسعة الحرم المكي...

... ويضع حجر اساس توسعة المسجد.

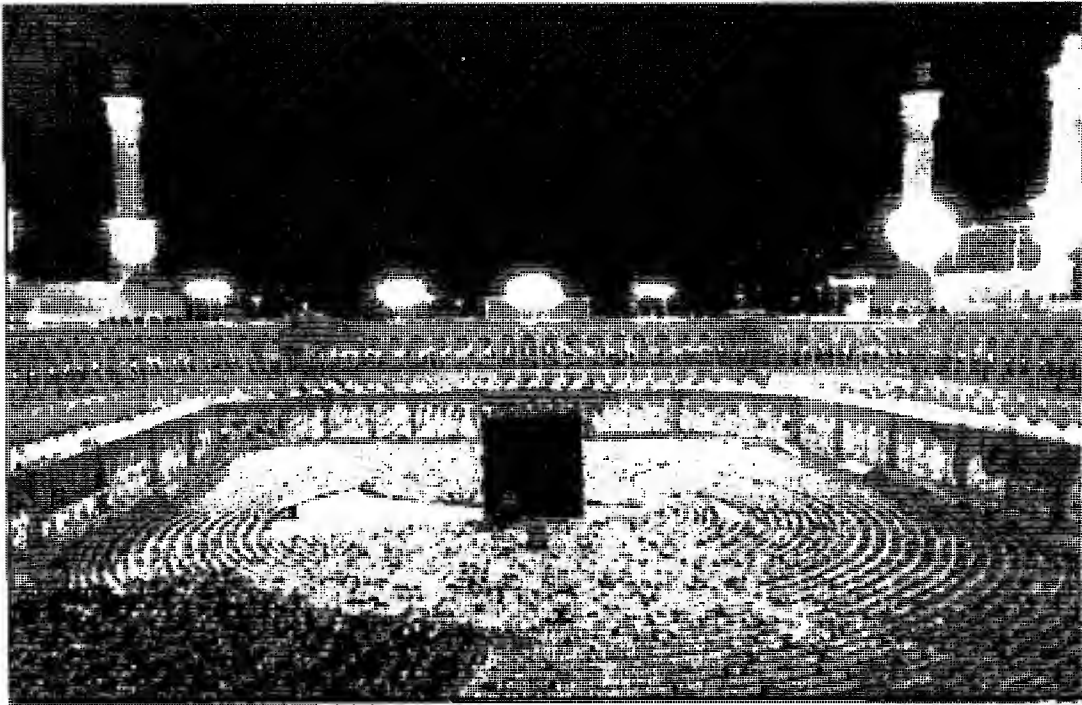




الكمة المشرفة.

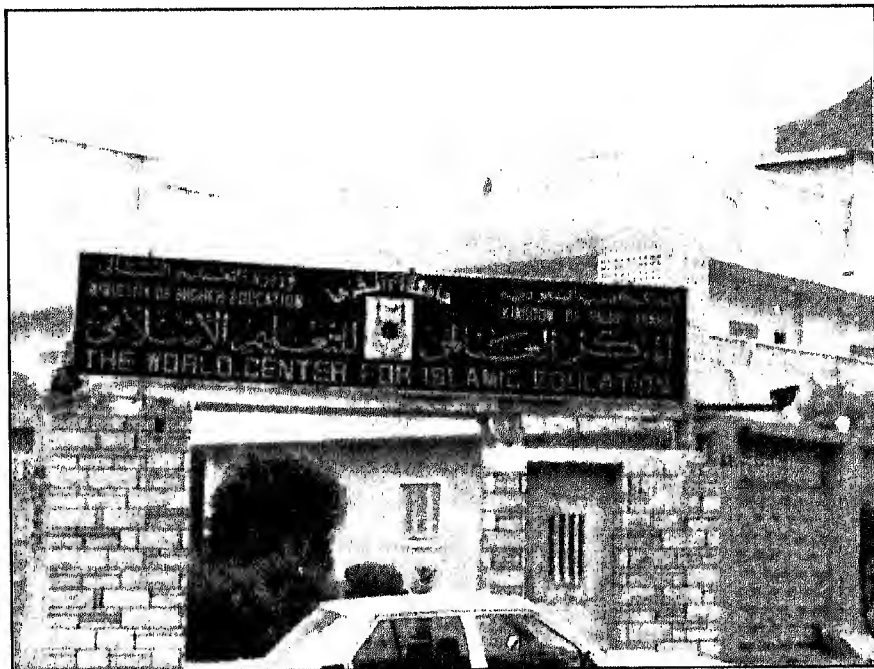


مقام ابراهيم.



المسجد الحرام

المركز العالمي للتعليم الاسلامي في جامعة أم القرى



والعثمانيين لم يشهد المسجد الحرام أية توسعة تذكر. ولكنه شهد جملة من الاصلاحات وأعمال الترميم في عهود متوالية كان أهمها عهد السلطان سليم العثماني حيث تم تجديد عمارة المسجد تجديداً كاملاً وجعلت سفوف الأروقة قبأباً، وهي الشكل القائم حتى الآن. وفي ١٨٩٧، قام السلطان عبد الحميد بأعمال ترميم في المسجد. وظل الحرم المكي حتى قيام المملكة العربية السعودية يحتفظ بنظام البناء العثماني التقليدي.

- التوسعات السعودية التي بدأها الملك عبد العزيز، في ١٩٠٥، بأعمال الترميم داخل الحرم وخارجه وبوضع الخطط اللازمة. وفي عهد الملك سعود بن عبد العزيز بدأت المرحلة الأولى (١٩٥٥) التي شملت عمارة المسجد، ثم المرحلة الثانية (١٩٥٩) وشملت بناء أساس الرواق الجنوبي، ثم الثالثة (١٩٦١) حيث ألحق بمساحة المسجد ٨ آلاف م.م. في الطابق العلوي، و٨ آلاف م.م. في الطابق السفلي.

وفي عهد الملك فيصل بن عبد العزيز، تواصلت عمليات البناء والتطوير حتى بلغت المساحة الكلية للحرم المكي حوالي ١٩٣ ألف م.م.، فيما لم تكن تتجاوز قبلها ٢٩ ألف م.م.، وبلغ عدد المآذن سبع مآذن وعدد الأبواب ٦٤ باباً. وكان اهتمام الملك فيصل كبيراً بمقام ابراهيم. وفي عهد الملك خالد، تم تجديد تصميم باب الكعبة وباب التوبة، واستخدام في صناعتها وتزينها أكثر من ١٨ كيلو من الذهب الخالص.

وفي ١٣ ايلول ١٩٨٨، قام نضام الحرمين الشريفين للملك فهد بن عبد العزيز بوضع حجر الأساس لمشروع توسعة الحرم المكي. وانتهى العمل في هذه التوسعة (والتطوير الذي استخدمت فيه أرقى وأحدث وأدق التكنولوجيا) في نهاية ١٩٩٣. وما انتهى إليه المشروع هو ان مساحة الصلاة في الحرم المكي أصبحت ٣٦٥٨٠٠ م.م. يمكن ان تؤمن الصلاة لـ ٨٢٠ ألف مصلي في الأحوال العادية، وللمليون منهم في أيام الحج؛ هذا مع وجود مخططات لتوسعة جديدة تمكن مليونين من إقامة الصلاة في أوقات الحج.

وشمل مشروع التوسعة هذا مرسوماً ملكياً اتخذ في ١٩٨٨ ويقضي بالموافقة على تأسيس شركة مكة للإنشاء والتعمير (شركة مساهمة سعودية) بهدف تعمير الأماكن المقدسة المحاورة والمحيطة بالمسجد الحرام. ورضع الملك فهد حجر أساس هذا المشروع في ١٩٨٩.

وأسست في مكة، «جامعة أم القرى» في

ومن المعروف انه كل مرة كان يحافظ على الحجارة الأصلية للكعبة للاعتقاد بأن بعضها يعود إلى أيام الرسول كما ان هناك اعتقاداً بأن هذه الحجارة هي نفسها التي بنى بها ابراهيم الكعبة أول مرة.

وإذا كانت الكعبة من الداخل مبطنة بالحجر الأحمر فإنها من الخارج مكسوة بالحجر الأسود. وقد كانت العادة طوال حقب من التاريخ ان تأتي الكسوة كل عام من مصر في مركب مهيب. وكان لهذا التقليد دلالات سياسية تتصل بولاء الحاكم في مصر إلى الخليفة الاسلامي، وبمركزية الكعبة وقدسيتها في السياسة الاسلامية عموماً والمصرية-الشمال افريقية خصوصاً حيث غالباً ما كان حجاج شمال افريقيا يكتفون بالحمل الذي ينقل الكسوة من مصر إلى مكة (عن «الكعبة الشريفة»، موسوعة السياسة، ج ٥، ص ١٢٣-١٢٥).

عن بناء الكعبة الشريفة، أعاد فتحى فوزي عبد المعطي (في كتابه «الكعبة والمسجد الحرام، من عهد ابراهيم عليه السلام إلى الآن»، دار الراصد، القاهرة، ١٩٩٧) الرواية الدينية القائلة بأن بناء الكعبة تم على يد ابراهيم واسماعيل. ففي إحدى زيارات ابراهيم لمكة أخبر ولده ان الله قد أمره أن يبني له بيتاً فوق الربوة الحمراء القائمة قرب بئر زمزم. وارتفع البناء، وتولى ابراهيم خدمة الكعبة والحجاج، وأكمل المهمة من بعده ابنه اسماعيل. وتستمر مسيرة التاريخ وتوالي الأحداث على مكة والكعبة حتى تصل ريادة الكعبة وسقاية الحجيج إلى عبد المطلب، جد النبي، الذي شرع في حفر بئر زمزم بعد ان ردمت.

وشهد الحرم المكي عدداً من عمليات التوسعة نتيجة التزايد المتوالي في أعداد الحجاج. وكان أهم هذه التوسعات (كما وردت في كتيب أصدرته وزارة الاعلام السعودية-الشؤون الاعلامية، إعداد مؤسسة نهران، بدون تاريخ):

- توسعة الخليفة عمر بن الخطاب في ٦٣٨ بعد ان اقتحم سيل جارف المسجد الحرام واقتلع مقام ابراهيم، فقام عمر بإعادته إلى مكانه بعد أن أمر بتوسعة المطاف.

- توسعة الخليفة عثمان بن عفان (٦٤٦).

- توسعة عبد الله بن الزبير (٦٨٤).

- توسعة الوليد بن عبد الملك بن مروان.

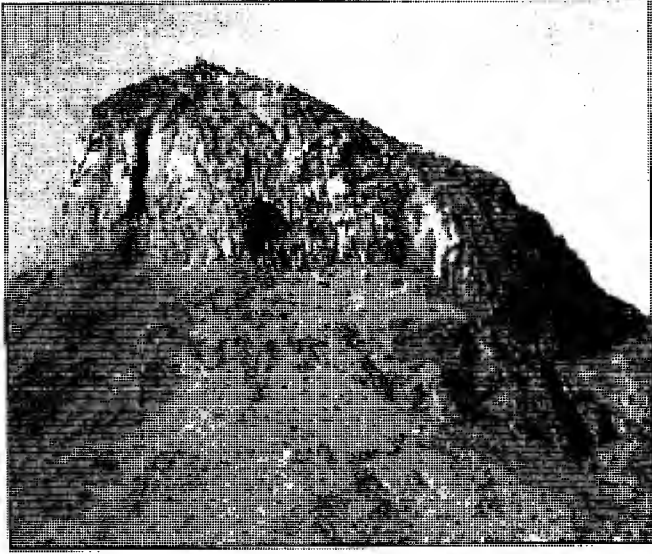
- توسعة أبو جعفر المنصور.

- توسعة الخليفة محمد المهدي.

- توسعة المقتدر بالله العباسي.

وطيلة حكم الفاطميين والأيوبيين والمماليك





غار حراء «حيث أنزل الله على محمد بن عبد الله العربي الأمي أول ما أنزل «اقرأ». وحرارة جبل يقع شمال شرقي مكة يعرف كذلك بجبل النور. فيه غار كان النبي يتحنث فيه قبل بعثته، وبات فيه قبل هجرته إلى المدينة يصحبه أبو بكر («المنجد»، ص ٢٣١).

البترول. فالبتزل المستخرج منها يشكل ٩٪ من إنتاج العالم و٢٨٪ من إنتاج دول الشرق الأوسط. والاحتياطي البترولي في باطنها يشكل ٢٠٪ من الاحتياطي العالمي و٦٣٪ من احتياطي المنطقة العربية ويبلغ ١٦٩ بليون برميل وعوائد تصديره تشكل ٧٠٪ من إيرادات المملكة.

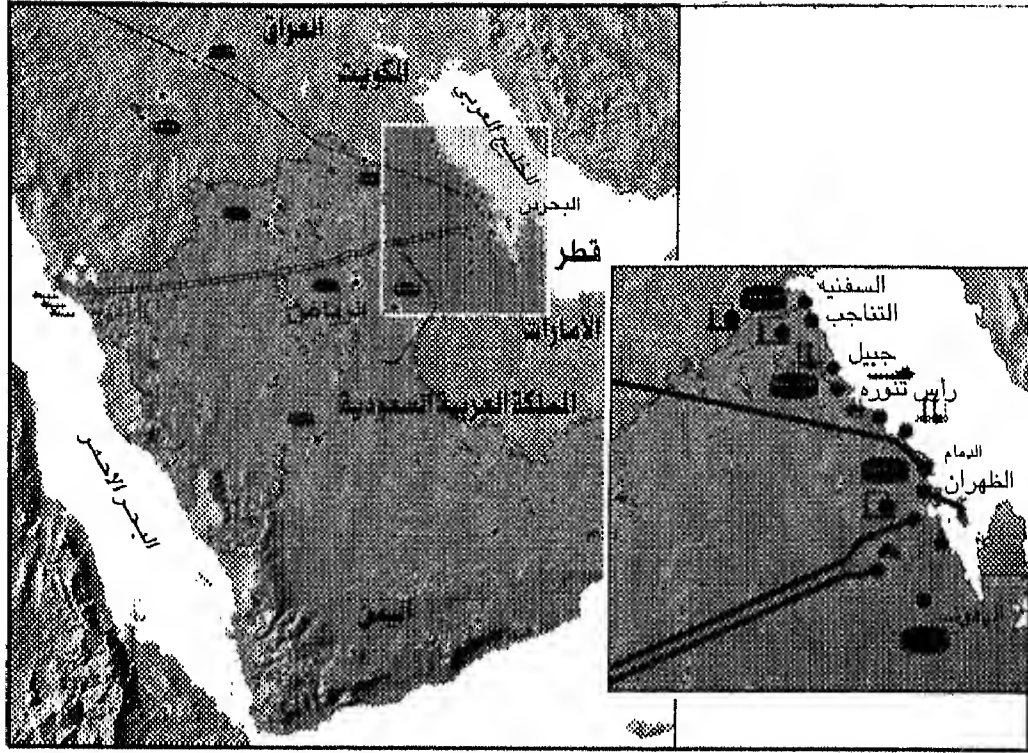
عن النفط والعلم والتاريخ يقدم «معرض أرامكو، دار الاستكشاف العلمي» القائم على سفح جبل الظهران والمطل على طريق الخبر-الظهران السريع، معلومات بالغة الأهمية، نستقي أهمها من استطلاع مجلة «العربي»، (العدد ٤٠٢، أيار ١٩٩٢، ص ٣٨-٤٢):

«في جناح التراث العربي الاسلامي نماذج حية من إنجازات المفكرين العرب المسلمين التي أسهمت في إرساء قواعد العلم الحديث والنور الذي تلعب التقنية في عالمنا اليوم. هنا نكتشف ان البيروني استنتج قبل تسعة قرون أن أجزاء من شبه الجزيرة العربية كانت في ما مضى بحرًا، وندرك من خلال الفرضية المعروضة في ركن أصل البترول (في المعرض) لماذا تركز النفط في المنطقة الشرقية. كما نتابع كيف أن البيروني تمكن من حساب محيط الأرض بدقة بلغت ٩٨٪.

«ووتعرف على واحد من أقدم الكتب الهندسية، كتاب «في معرفة الحيل الهندسية للجزري»، ونشهد بعض منجزاته من الأدوات والآلات الميكانيكية، وتلمس العبقرية الاسلامية وراء جهاز الأسطرلاب، وكيف طبق المسلمون علم حساب المثلثات... ونستطلع كيف ان الكيميائيين المسلمين طوروا أساليب التقطير التي نستخدمها اليوم في مصافي النفط الحديثة...»

١٩٨١، وهي تضم كلية الشريعة والعلوم الشرعية (التي كانت تعمل منذ ١٩٦٩) وكلية التربية في مكة (التي تأسست في ١٩٥٢). وقد عملت الكليتان لفترة، حتى ١٩٧٢، تحت الاشراف المباشر لوزارة المعارف، ثم أصبحنا جزءاً من جامعة الملك عبد العزيز قبل أن تغدوا جزءاً من جامعة أم القرى. ومنذ تأسيسها توسعت الجامعة في مجالات عدة شملت كليات التربية والعلوم التطبيقية والهندسية واللغة العربية وكلية العلوم الاجتماعية وكلية العلوم الزراعية.

\* المنطقة الشرقية: أكبر مناطق السعودية وأكثرها غنى بالبترول. تمتد من الحدود مع العراق والكويت إلى الحدود مع قطر والامارات العربية المتحدة وعمان واليمن، وترتبط بجسر عبر الخليج بالبحرين. وتحتل صحراء الربع الخالي القسم الأكبر من المنطقة الشرقية من حيث المساحة. يطل ساحلها على الخليج العربي بطول ٦١٠ كلم من رأس الخفجي شمالاً إلى سلوى جنوباً مع متوسط عرض يبلغ ٦٠ كلم للسهل الساحلي. وتبلغ مساحة المنطقة الشرقية ٧٧٨ ألف كلم مربع (نحو ٣٦٪ من المساحة الاجمالية للمملكة)، ويبلغ عدد سكانها نحو ٢،٢ مليون نسمة. وإمارة المنطقة الشرقية تتكون من ١٠ إمارات رئيسية تتبع جميعها لأمير المنطقة، وهي الأحساء والخبر والخفجي ورأس تنورة وقرية والقطيف وحفر الباطن والجبيل والعتق والتعيرية. وعاصمة المنطقة مدينة الدمام. وإذا ما ذكرت المنطقة الشرقية يذكر معها



المنطقة الشرقية وساحلها.

٣٢٠٠ ق.م. إلى ١٨٠٠ ق.م. هي دولة فينيقية المنشأ أسسها الفينيقيون أحفاد الكنعانيين قبل نزوحهم إلى شواطئ البحر المتوسط. وقد تواصلت هجرات القبائل العربية بعد ذلك وكان أغلبهم من أغنى العرب يتمتعون بكل أسباب الرخاء والترف وكانوا مسالمين إلى أبعد الحدود، فكان منهم الجرهايميون ثم قبائل قضاة والأزد وإياد، ثم تربع بنو عبد القيس في المنطقة وسكن معهم أبناء عمرتهم قبيلة بكر بن وائل، وبنو عبد القيس هم أشهر القبائل العربية التي سكنت المنطقة قبل الإسلام، وازدهرت في عهدهم الحياة الفكرية والأدبية، إذ كانت تقوم فيها الأسواق التي تعبر مؤتمرات أدبية رسمية. ولما ظهر الإسلام سارع أهل المنطقة فيعتنوا وفدهم إلى الرسول. وقد أسلم كثير من أهل المنطقة، كما أسلم واليهم المنذر بن ساوي، ثم ولي الرسول عليهم العلاء بن الحضرمي، فأنقذ له جميع السكان (عن «العربي»، المرجع المذكور أعلاه، ص ٤٣).

الدمام: في التاريخ المعاصر، وحتى بداية الثمانينات، كانت الدمام حاضرة المنطقة الشرقية، مدينة قائمة بذاتها، تقع على مسافة غير بعيدة منها كل من

«الفيلم (في المعرض، معرض أرامكو) يعرض لحظات تاريخية متتابعة تبدأ في رأس تنورة في أول أيار ١٩٣٩ حين أدار الملك عبد العزيز آل سعود الصمام إيداناً بتدفق أول شحنة تجارية من النفط الخام السعودي إلى العالم... (وفي جناح أصل البرول) نماذج حية تبين كيف انه منذ ملايين السنين أصبحت النباتات والأحياء الصغيرة في عيطات الأرض هي اللبنة التي قامت عليها ظاهرة التحول الكيميائي الذي أدى في النهاية إلى نشوء المسود الهيدروكربونية، وهي ذرات من الهيدروجين والكربون تتحد لتكوّن البنزول والغاز الطبيعي... (وفي المعرض) جناح لمروضات الحفر والانتاج وإدارة مكامن النفط لتتعرف على العمل التثميني المعقد لاستخراج الزيت والغاز من باطن الأرض...».

تاريخياً تعود دلائل الاستيطان البشري بالمنطقة، إلى نحو ٥ آلاف سنة ق.م. والكنعانيون أول قوم يذكرهم التاريخ كسكان لها منذ نحو ٣ آلاف سنة ق.م. وقد نزحوا من أواسط شبه الجزيرة حيث اجتذبهم ينابيع المياه العذبة المتفجرة بسواحل المنطقة، ومن سلالتهم كان العمالقة والفينيقيون. ويرجح المؤرخون ان مملكة «دلمون» (راجع «البحرين»، ج ٥) التي قامت في المنطقة واستمرت من

قلعة بناها البرتغاليون (١٥٢٠). وقد شيدت القلعة على أنقاض مستوطنات سابقة تعود إلى خمسة آلاف سنة مضت (وهو ما أثبتته البعثة الدانماركية). وتراجعت أهمية تاروت في القرن السادس عشر بعد ظهور الموانئ المنافسة لها، فأصبحت مجرد بلدة تكثر فيها الكروم وتنتج أفضل الأعناب. وتقع القلعة حاليًا في ما يشبه قلب المدينة بعد النمو العمراني المضطرد (بالنسبة إلى تاروت وقلعتها، عن أحمد مرتضى عبده، «الحياة»، العدد ١١٧٦٦، ٩ ايار ١٩٩٥، ص ٢١).

الخبر: الخبر الحديثة توأم للدمام. فقد نشأتا في ما بين الحريين العالميتين عندما جاءهما الدواسر الذين عملوا في تجارة اللؤلؤ. لكنها سبقت الدمام في الاستفادة من الثروة النفطية لكونها أقرب المراكز السكانية إلى الآبار المنتجة للنفط في الظهران. سكانها والعاملون في مؤسساتها خليط من جنسيات عديدة (آسيويون، أوروبيون وأميركيون، إضافة إلى العرب).

الظهران: فيها المقر الرئيسي لشركة أرامكو، تبعد عن الخبر نحو ١٠ كلم. ارتبط وجودها باكتشاف النفط، فكان إنشاؤها على يد شركة أرامكو وعلى الطراز الحديث. وأسس فيها الجامع الكبير. وسرعان ما أصبحت مركزًا للتكنولوجيا والصناعات الحديثة. وأنشئت فيها «جامعة الملك فهد للبترول والمعادن». مطارها من أهم المطارات في العالم، وهو البوابة الشرقية الجوية للمملكة، ويربطها بمختلف أقطار العالم (نحو ألفي مسافر في الساعة).

القطيف: تبعد عن مطار الظهران نحو ٣٠ كلم. تضم مدنًا تاريخية قديمة، أهمها مدينة القطيف نفسها التي يعود تاريخها إلى آخر عهد من عهود النحاسي (٣٥٠٠ سنة ق.م).

في الأصل بلدة صغيرة (قبل الازدهار النفطي). والقلعة أبرز معالمها التاريخية وبجانها مسجد يعود إلى بداية القرن الخامس عشر. وفي القطيف بشر أراد القرامطة ان يجعلوها بديلاً لماء زمزم وموقعا للكعبة التي حاولوا اصطناعها بدلاً من مكة المكرمة. ومن المعروف تاريخياً انهم تمكنوا من اقتلاع باب الكعبة وخلع الحجر الأسود فحملوه معهم إلى الإحساء، وبقي الحجر الأسود في كعبتهم المزعومة نحو ٢٢ سنة.

وشهرة القطيف الزراعية لا تقل قدمًا عن تاريخها

«الخبر» و«الظهران» بحيث لا يحتاج التنقل بينها إلى أكثر من دقائق معدودة. ولكن الوثبة الحضارية التي تحققت (الثورة الصناعية البترولية) جعلت المدن الثلاث تتصل بعضها ببعض، وأطلق عليها اسم «منطقة الدمام».

في ١٩٣٢، حل قسم من قبيلة الدواسر على ساحل الدمام بعد انشقاقهم من البحرين، وأقاموا لأنفسهم مساكن من سعف النخيل والطين، واستمروا في الإقامة ١٥ سنة انصرف الناس خلالها إلى الغوص بحثًا عن اللؤلؤ، فتحسنت أحوالهم بحيث بنوا بيوتهم من اللبن. وحين انهارت أسعار اللؤلؤ عالميًا بعد ظهور اللؤلؤ الياباني المزروع، هجر كثير من السكان مهنة الغوص، واتجهوا إلى مهنة أهم وأجدى هي صناعة النفط التي كانت قد بدأت تعكس آثارها على مختلف جوانب الحياة في المملكة، وفي المنطقة الشرقية بوجه خاص.

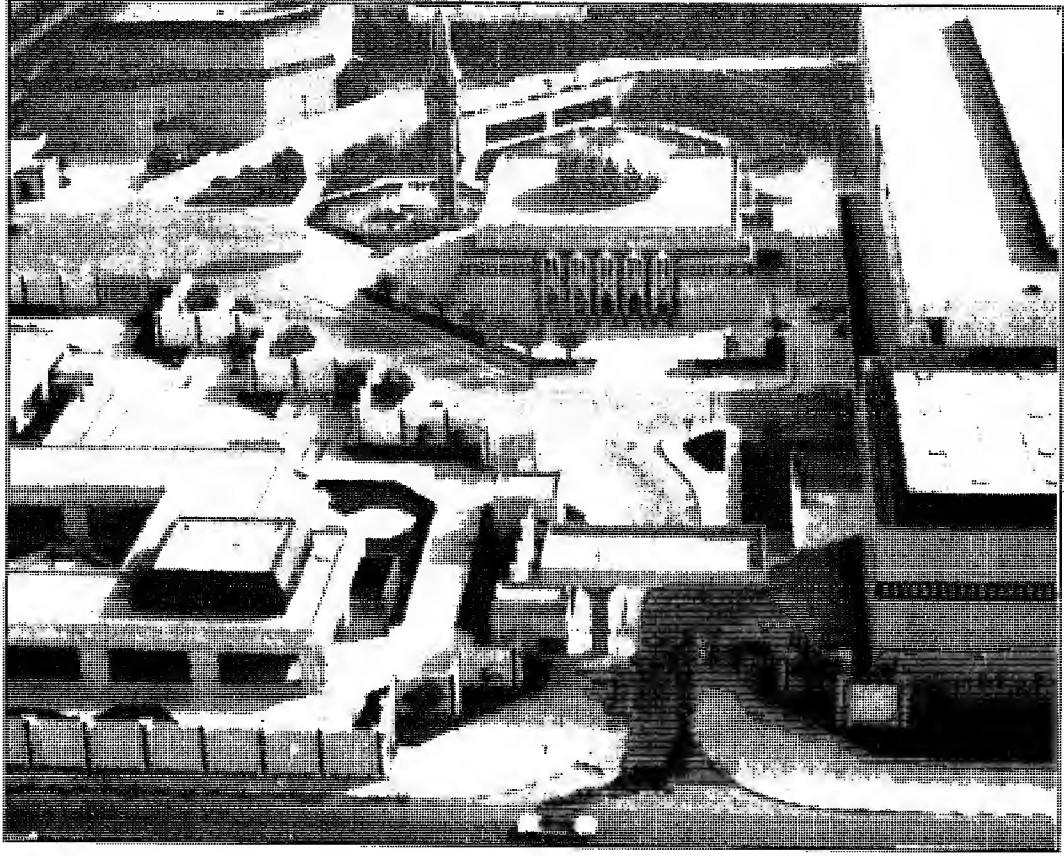
وسرعان ما تحولت الدمام إلى مدينة عصرية صناعية. وفيها ميناء عبد العزيز، أهم الموانئ على الخليج، ويربط الميناء بالرياض بشبكة من السكك الحديدية لنقل البضائع والركاب. أما منطقتها الصناعية فتحتل مساحة من الأرض تبلغ ٣٥ كلم م.

وأبرز ما تحقق في مجال المواصلات في الدمام هو الجسر (جسر الملك فهد) الذي يمتد من الساحل إلى البحرين بطول ٢٥ كلم، ويخترق في كل اتجاه على ثلاثة مسارات، وتم افتتاحه في تشرين الثاني ١٩٨٦.

أما أبرز آثار الدمام (والمناطق) التاريخية فتقع في جزيرة تاروت الواقعة على بعد ٨ كلم إلى الشمال الشرقي من مدينة الدمام. والرأي الغالب في مدلول اسمها أنه في الأصل «عشتاروت»، وانها كانت معبدًا فينيقيًا. وقد عثر في أحد بساتين الجزيرة على تمثال من الذهب الخالص للأله عشتاروت، كما يوجد في الجزيرة مرتفع صخري رأى بعض الباحثين انه هيكل للبعل ولعشتاروت.

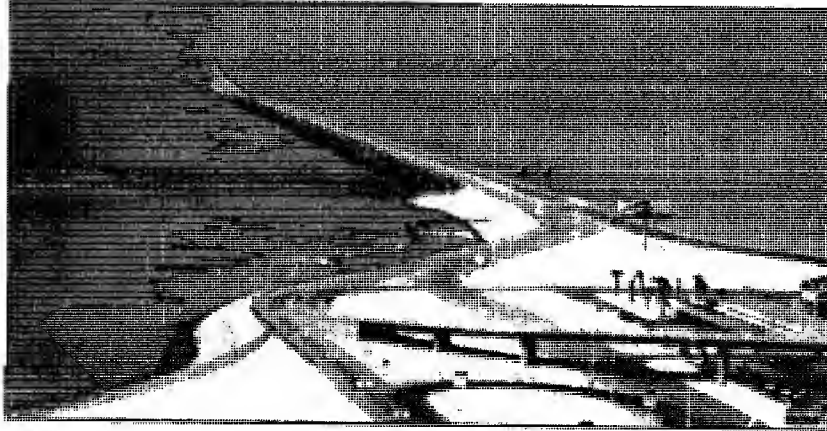
ذهب حمد الجاسر في «المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية» (وهو جزء من عدة أجزاء تتناول أمكنة ومواقع المملكة) إلى ان آثارًا مهمة اكتشفت في الجزيرة يرجع بعضها إلى فترة عصر السلالات الأولى للبلاد ما بين النهرين، وبعضها يعود إلى فترات مختلفة معاصرة للحضارة العلامية الفارسية وحضارة الماهنغودارو على نهر السند وحضارة أم النار في المنطقة الجنوبية من الخليج التي تم اكتشاف بقاياها في أبو ظبي بواسطة البعثة الدانماركية سنة ١٩٦٦.

تبدو مدينة تاروت التاريخية في صورة تل تعلوه



الدمام حاضرة المنطقة الشرقية.

جسر الملك فهد، من شاطئ المنطقة الشرقية الى البحرين.



و١٩٩٣ سجل وجود نحو ٣ آلاف وسم صخري يعود بعضها إلى العصر الحجري الحديث (٦٥٠٠ ق.م.).

\* يثرب: راجع «المدينة المنورة» في هذا الباب.

\* ينبع: سمي كذلك لكثرة ينباعه الجارية. ويطلق على منطقة متسعة من الحجاز غربي المدينة المنورة. ورد الاسم في مؤلفات المقريزي والناقلي وغيرهم. وكان يقصد بها ينبع النخل لأن ينبع الميناء أو ينبع البحر لم يكن قد عرف بعد. والمدينتان متجاورتان، وينبع النخل هي الجزء الأعلى من المنطقة، وينبع البحر (البحر الأحمر) هي الجزء الأسفل. ولينبع النخل شهرة واسعة في تاريخ صدر الإسلام لوقوعها على طريق القوافل التجارية بين الحجاز والشام، كما كانت ميداناً لأحداث عديدة بين قريش والرسول وبعض القبائل التي تقطن المنطقة.

في العام ١٢٢١، وبعد اضمحلال ميناء الجبار (ابتنياً على ساحل الحجاز، وكان مزدهراً حتى عرف البحر الأحمر ببحر الجبار)، أقامت الدولة الأيوبية أول منشآتها في ميناء ينبع حيث كانت تبعث السفن المحملة بالملون لتوزيعها على أهل المدينة المنورة.

في أوائل القرن السادس عشر، حُرِّب ميناء ينبع

غاذج وسوم صخرية في منطقة لجران.



العريق. وقد أقيمت في منطقة القطيف واحدة من أكبر محطات التجارب الزراعية في المملكة. وكما كانت القطيف تشتهر في الماضي بزراعة العنب، وقد أخذ إسمها من قطف العنب، فقد عادت زراعته تزدهر، ومعها ازدهرت زراعة الخضراوات والزهور.

الإحساء: في «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»، لحامد الجاسر (القسم الأول - أحض، منشورات دار اليمامة، ١٩٧٧، ص ٦٥): «الإحساء أشهر مدينة في شرق الجزيرة، قبل عهد النفط، ونقلت القاعدة منها إلى الدمام في عشر السبعين من هذا القرن، وشهرتها تنبع عن وصفها».

تبعد منطقة الإحساء نحو ٧٥ كلم عن شواطئ الخليج العربي، وهي من أكبر الواحات في المملكة. وفي التاريخ أنها كانت موطناً لحضارة زراعية. وشهيرة بعيونها الطبيعية، وأشهر معالمها جبل قارة، وهو جبل صخري أحدثت فيه عوامل التعرية شقوقاً ومغارات داخلية.

ظلت الإحساء، على مر العصور، منطقة جذب للطامحين إلى استيطانها لوفرة ما تنعم به. وكانت المدينة نفسها قد قامت على أنقاض مدينة «هجر». ومن أبرز القبائل التي استوطنت الإحساء قبيلة بني عبد القيس، وهم من أوائل من دخل الإسلام في السنة السابعة للهجرة. وكانت الإحساء وقتها تضم قرية «جوانا» التي أنشئ فيها ثاني مسجد تقام فيه صلاة الجمعة بعد مسجد الرسول. وعلى مر الزمان زحفت الرمال على هذا المسجد ثم أعيد الكشف عن أجزائه المتبقية في السنوات الأخيرة (المرجع الرئيسي لهذه المادة «المنطقة الشرقية»، مجلة «العربي»، العدد ٤٠٢، أيار ١٩٩٢، ص ٣٦-٥٦).

الجيل: راجع «الجيل» في هذا الباب، مدن ومعالم.

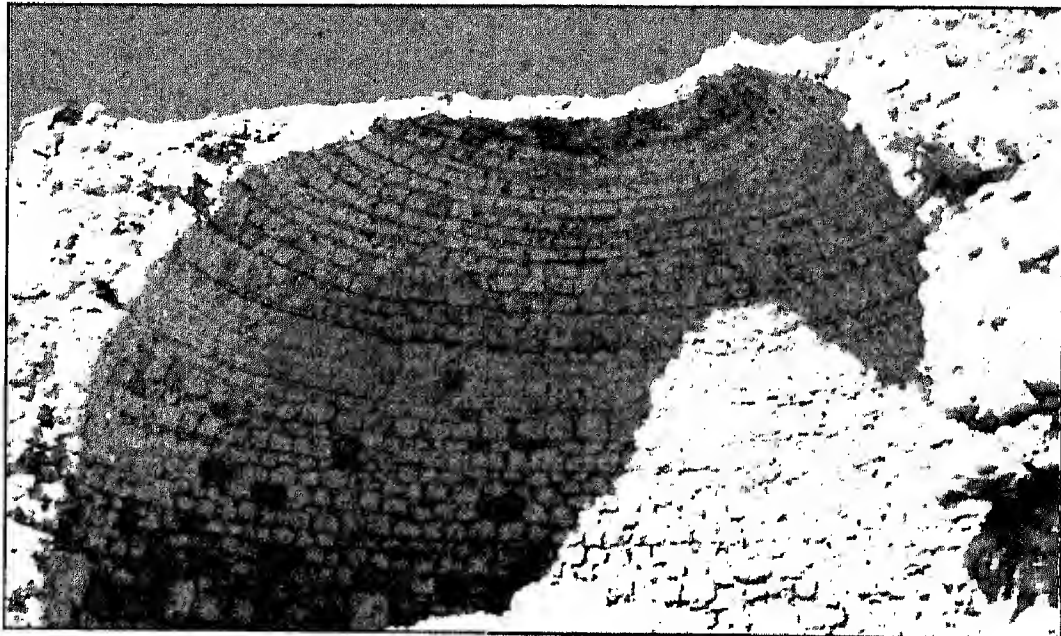
\* لجران: راجع «الأحدود» في هذا الباب.

\* الوسوم: ليس هذا إسم مدينة أو موقع أثري. بل هي رسوم صخرية (إن صح التعبير) منتشرة في أماكن متعددة من المملكة، أطلق عليها مصطلح «وسوم» للشبه بينها وبين ما يوضع بالكي على أجسام الحيوانات، ويكون عادة على أشكال مختلفة لكل قبيلة أو عشيرة كعلامات رمزية. ويمكن إرجاع استخدام الرسم القبلي إلى آلاف السنين في شبه الجزيرة العربية. توجد الرسوم الصخرية على نطاق واسع في أنحاء المملكة، وهي أكثر وجوداً في الغيران الصخرية ومواقع مضارب البادية وأماكن الآبار والينابيع ومصادر المياه. ومن خلال مسح أولي برعاية وزارة المعارف بين ١٩٨٥

«ينبع الصناعية» التي ارتبطت بالصناعات الأساسية والثقيلة. ولم يكن الموقع الحالي لهذه المدينة الصناعية سوى شريط صحراوي، فأصبح يأوي الصناعات الثقيلة في المملكة، ويقسم فيه نحو ٥٧ ألف شخص ويتوقع ان يرتفع عددهم إلى نحو ٩٠ ألفاً في العام ٢٠٠٠. وكانت المملكة قررت في منتصف السبعينات بناء مدن صناعية جديدة، واختارت لأسباب استراتيجية وتجارية منطقتي الجليل على الخليج العربي وينبع على البحر الأحمر. وتأسست لهذا الغرض «الشركة السعودية للصناعات الأساسية» (سابك). وقد أقيم ميناء خاص بمدينة ينبع الصناعية هو «ميناء الملك فهد» المعتبر من أضخم الموانئ في العالم، كما يعد أكبر مجمع لشحن النفط على ساحل البحر الأحمر ويمتد لمسافة ١٥ كلم على طول الساحل، وهو محمي بسلسلة من الصخور المرجانية في عرض البحر.

وإذا كانت عبارة «مدينة صناعية» ترتبط في الغالب بالمدن الشديدة التلوث، فإن الهيئة الملكية للجليل وينبع، وهي السلطة المكلفة بتطوير المدينتين، تعلن في كل مناسبة حرصها على تخطيطهما بدقة وعناية شديدتين، بحيث تكون بينهما مثالية بما يساعد على تحسين مستوى حياة سكانهما. وقد حظيت البرامج البيئية التي نفذتها هذه الهيئة الملكية باهتمام دول العالم ومنظماته المتخصصة في مجال المحافظة على البيئة، وتكفل هذا الاهتمام بفوز الهيئة بجائزة «ساساكاوا» الدولية لحماية البيئة عام ١٩٨٨ مناصفة مع اللجنة الدولية للبيئة والتنمية المنبثقة عن الأمم المتحدة.

#### صومعة الغلال في ينبع القديمة.



بسبب اختلال الأمن في الحجاز. وعاد إلى عهده الزاهر في عهد السلاطين الجراكسة عندما أقاموا إصلاحات واسعة في الحرمين الشريفين (مكة والمدينة) كما اهتموا بطريق الحج وتأمين قوافل الحجاج، وكذلك توفير ما تحتاجه قافلة الحامل (راجع «الحج» في باب معالم تاريخية) من الحاجيات اللازمة ترسل بحراً من السويس إلى ينبع.

في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني قررت الجرايات لأهالي الحرمين فكانت ترسل بواسطة ميناء ينبع. وجرى توسيع الميناء ورصفه رصفاً محكماً في عهد السلطان مراد (١٥٧١). في القرن التاسع عشر، عرف الميناء نشاطاً كبيراً عندما احتلته قوات محمد علي باشا، فأنزل به المعدات الحربية والأمتعة والعتاد. وفي ١٩٠٣، استقبل الميناء أول قافلة لبواخر الحجاج، واستمر ذلك حتى بداية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) وإغلاق البحر الأحمر. وكان الميناء قد شهد عدة إصلاحات وبيت فيه عدة أرصفة مع بداية العهد السعودي.

ومع بناء تنفيذ توسعة الحرم النبوي الشريف (١٩٥٠-١٩٥١) استعاد البناء حيويته حيث كان يستقبل البواخر المحملة بالحديد والألمنت والأخشاب ومواد البناء اللازمة. وجاء اهتمام الدولة ليكون ميناء ينبع الحديث من أهم الموانئ، وقد افتتحه الملك خالد بن عبد العزيز - يوم كان ولياً للعهد- في ١٩٦٤، فأصبح جاهزاً لاستقبال أنواع السفن على اختلاف حمولاتها، كما حرصت الدولة على تقديم تسهيلات كبيرة للسفن فأعفتها من كثير من الرسوم.

على بعد ١٩ كلم من ينبع الميناء أقيمت مدينة

## زعماء، رجال دولة وسياسة

(المراجع الأساسية لهذا الباب الموزع على ثلاثة عناوين، «الأسرة المالكة» و«الملوك» و«وزراء وشخصيات سياسية»: «الدين والدولة في المملكة العربية السعودية»، مؤلفه د. أيمن الياسيني ونقله إلى العربية د. كمال اليازجي، دار الساقى، ط ٢، ص ٩١-٩٧، بالنسبة إلى العنوان الأول «الأسرة المالكة»، والعنوان الثالث «وزراء وشخصيات سياسية»- باستثناء جميل مراد بارودي وكمال أدهم اللذين استقيت سيرتهما من «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج ٢، ط ١، ١٩٨١، ص ٢٦؛ وج ٥، ط ٢، ١٩٩٠، ص ١٣٨؛ وعدد من الكتب التي أشير إليها في مواضعها بالنسبة إلى العنوان الثاني، «الملوك».)

### الأسرة المالكة

إن تعداد الأسرة المالكة السعودية غير معروف بالضبط (بعض التقديرات يشير إلى أنها مئات من الذكور، وبعض الآخر يجعلهم ٣-٥ آلاف). لكن المعروف، بشيء من التحقق، أن اتساع نطاق الأسرة بالامكان رده إلى كثرة عقود زواج عبد العزيز بن سعود، وهي الوسيلة التي اعتمدها في ترسيخ حكمه. مثال ذلك أن ابن سعود، على أثر هزيمة ابن الرشيد، «استضاف جميع من بقي من أعضاء الأسرة الرشيدية في الرياض، حيث عاشوا حياتهم على حسابه... وعقد لنفسه على ارملة منافسه الأولى، وأنزل أيتامه بمقام أولاده»، وأخذ يتزوج من كبريات القبائل، أخصها قبائل السدير، ومطور، وعنزة ودواسر.

ولسروابط العائلية أهمية قصوى في العربية السعودية. فمساند أفراد الأسرة واحدهم الآخر في السعي وراء السلطة. مثال ذلك أن مكانة الأمير عبد الله في بنية السلطة السعودية يعزوها انتسابه إلى قبيلة شمر، وهي من أقوى قبائل البلاد. ومكانة الملك فهد وإخوته الستة من أبويه- وهم المعروفون بـ«السبعة السديريين»- تعبر الأقوى بين أفراد الأسرة المالكة وليس ذلك فقط لانتساب هؤلاء إلى قبيلة السدير عن طريق والدتهم (حيث ابنة أحمد السديري)، بل لأنهم كذلك إخوة لأبوين.

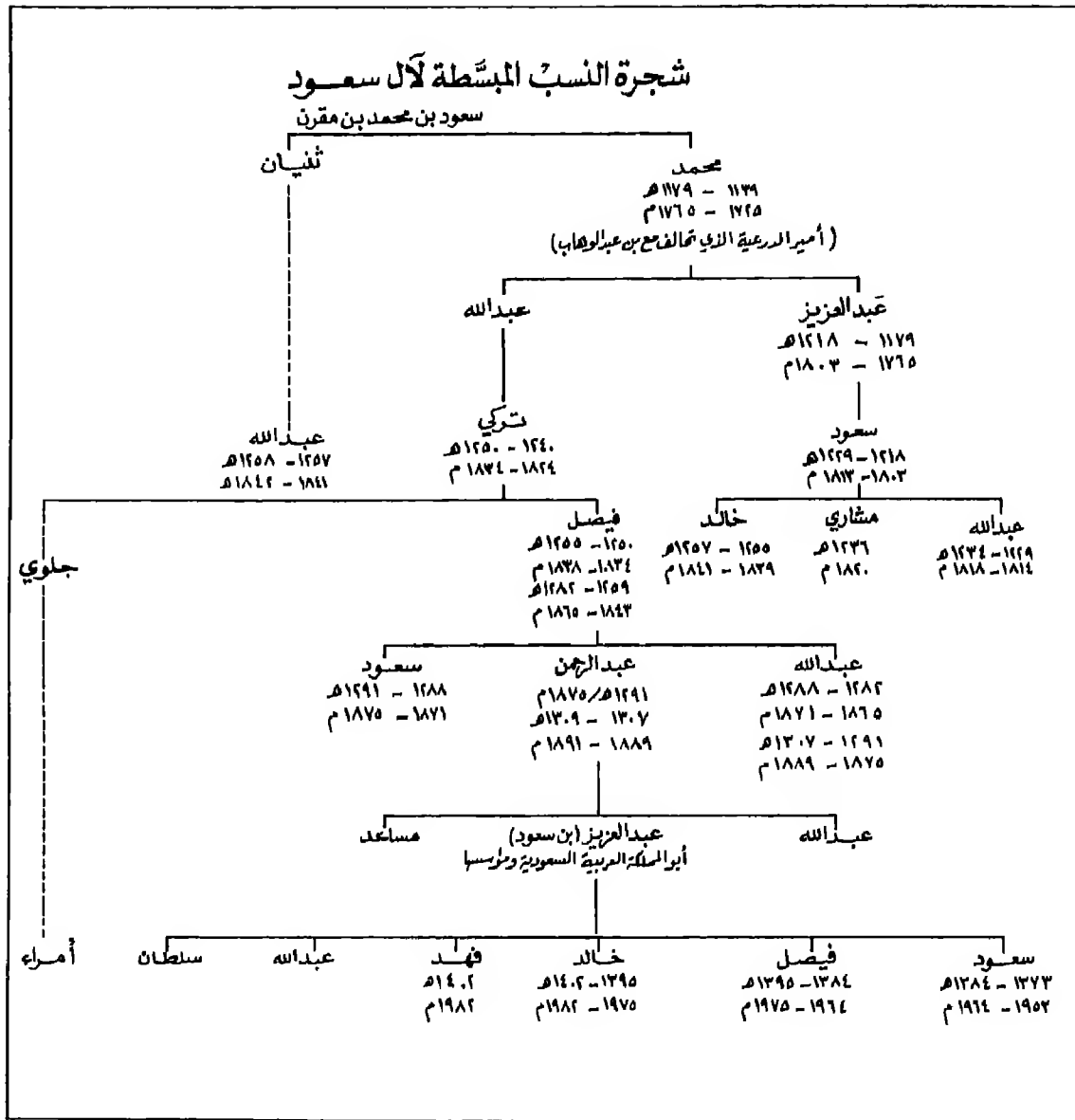
إن مكانة الفرد في الأسرة المالكة، ودوره في الحكومة، رهن باعتبارين: الأول، قرب صلته بأسرة الملك

الخاصة والثاني، الجيل الذي هو منه. فمعد وفاة ابن سعود (١٩٥٣)، انتقل الملك منه إلى ابنه سعود، وابتداء من ١٩٦٤، أصبح من الأخ إلى أخيه. فقد كان سعود الأخ الأكبر، فتلاه فيصل. وكان ينبغي على الأمير محمد أن يخلف فيصلاً، لكنه تنازل عن حقه لأخيه الأصغر خالد. وتنازل محمد عن حقه لأخيه فرضه كبير أعضاء الأسرة وقرار من «العلماء».

إن حجم الأسرة المالكة الكبير مكّنها من توحيد القبائل الكبرى في البلاد عن طريق شبكة شحمة من عقود الزواج. فتمكن آل سعود، عبر المناصب السياسية والإدارية من ضم مناطق البلاد المتباعدة في إدارة مركزية واحدة، وأمنوا للأسرة السلطة على المجتمع.

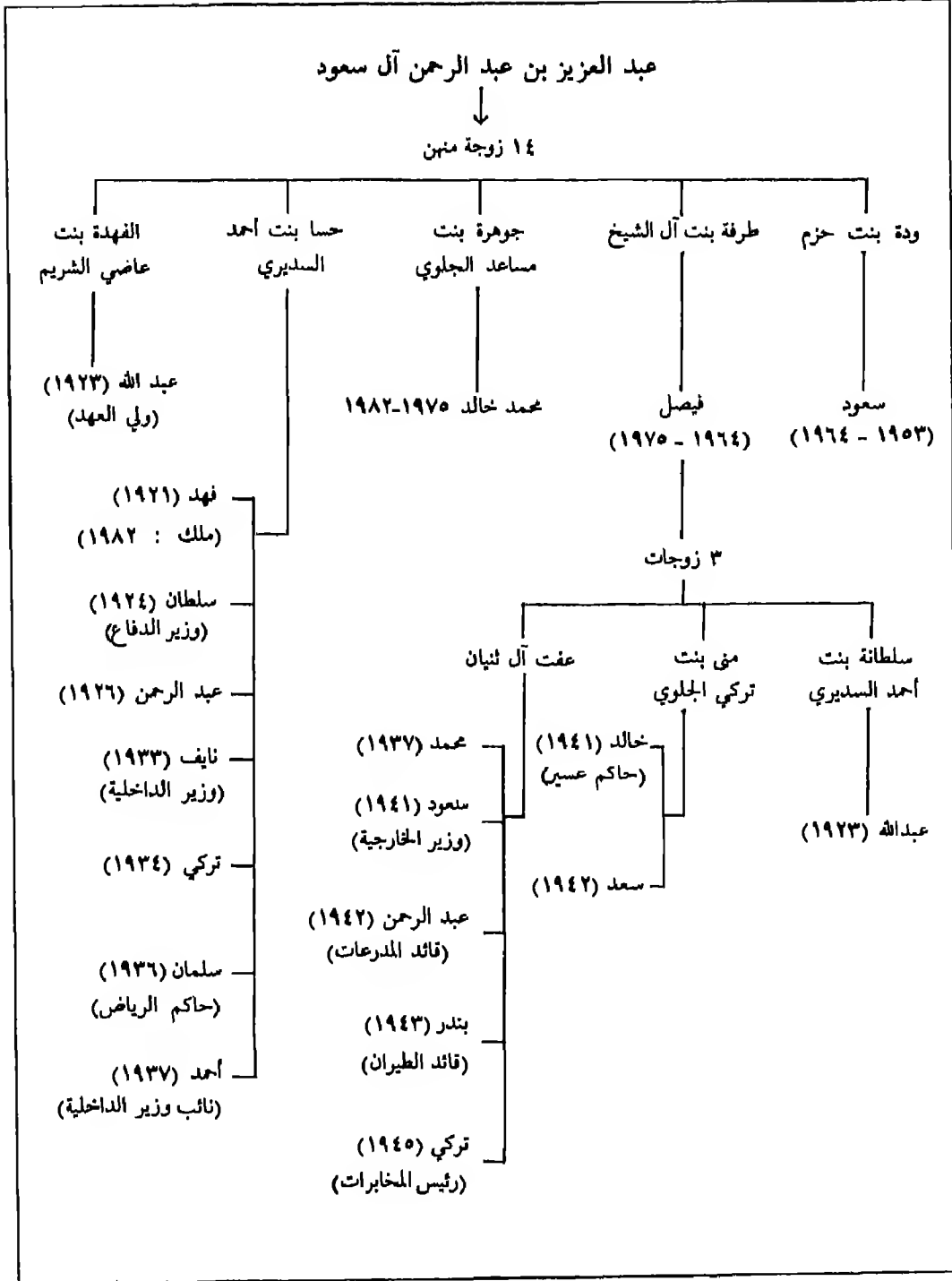
ثم إن قدرة الأسرة السعودية على الحكم وضبط المجتمع بصورة لا نظير لها بين المجتمعات العالم عائدة كذلك إلى التطور والتكيف مع الأحوال المستجدة، والاستعداد لسدّ الحاجات الطارئة، وعدم معارضتها للتغيير مع قدرتها على ضبطه وتوجيهه. وقد تجلّى هذا الأمر، في العقود الثلاثة الأخيرة، بإقبال أبنائها على النهل من العلوم المدنية وحيارة أعلى الشهادات الجامعية (بعد أن كانت الثقافة، أو التربية والتعليم، موقوفة على ما درج تسميته بـ«ثقافة القصر»). فأخذت تعتمد على أفرادها، الحائزين على الشهادات الجامعية في تولي المناصب القيادية والإدارية في المؤسسات المستحدثة التي يتطلبها التطور والتقدم العلمي. ففضلاً عن الاستئثار بالمناصب الرئيسية إلى جانب النيابة الأولى والثانية لرئاسة الوزراء، ووزارة الدفاع، والحرس الوطني، والشؤون الخارجية، فإن أفراداً آخرين من الأسرة المالكة يُقبلون إقبالاً متزايداً على ملء دون ذلك من المناصب، وصولاً إلى بعض المراكز الثانوية في إدارة الدولة. فمحمد بن عبد الله، مثلاً، نائب مدير في وزارة الزراعة؛ وعبد الرحمن بن سعود، وبندر بن فهد، وفهد بن سلطان... هم إما مديرون أو نواب مديرين في بعض دوائر الدولة.

وكذلك عكف الحكم على إنشاء مؤسسات إدارية عصرية اقتضت إعداد موظفين إداريين ذوي خلفيات ثقافية ومهارات مهنية لا توجد عند أحد من «العلماء» (أي في المدارس التقليدية). ولحسن كانت الثقافة الدينية في الثلاثينات مطلباً ضرورياً في الإعداد للإدارة الحكومية، فقد استبدلت بالثقافة المدنية منذ الخمسينات. فمن أصل ٤٤ موظفاً من المستوى الرفيع جرى إحصاؤهم في ١٩٧٢، فإن ٦٥٪ منهم تلقوا ثقافة مدنية، وكان ٤ من



المصدر: د. ناصر ابراهيم الرشيد، د. اسر ابراهيم شاهين، «الملك فهد، مسيرة الانجازات الحضارية في المملكة العربية السعودية»، نقله عن الانكليزية أحمد شفيق الخطيب، بدون تاريخ ص ٢٢.







الملك عبد العزيز آل سعود.

ومضت قرابة عشر سنوات وهو يعيش في الكويت متأماً حزيناً. وعندما بلغ العشرين من عمره برزت فيه ملامح زعامة سديدة الرأي ومتعددة المواهب، وكان فارح الطول بارعاً في الفروسية وركوب الخيل. واتخذ عبد العزيز قراره الحاسم باسترداد الرياض، وكان قد استفاد من تجربته السابقة في الاستيلاء على الرياض إبان وقعة «الصريف» التي انهزمت فيها قوات الشيخ مبارك أمير الكويت (وكان عبد العزيز يقاتل في صفوفها) أمام قوات ابن رشيد، حيث اضطر عبد العزيز لمغادرة الرياض بطلب من والده الإمام عبد الرحمن.

وفي ظروف قاسية، عاد عبد العزيز وانطلق من الكويت إلى الرياض عبر الصحراء بجيش صغير قوامه ٦٠ رجلاً. وفي صبيحة ١٥ كانون الثاني ١٩٠٢، تمكن، بعد مغامرة بطولية، من فتح مدينة الرياض التي عمده، لتوه، إلى تخصيص المدينة ووضع الخطط لتوحيد أجزاء البلاد. فضم القصيم، ثم الأحساء، ثم عسير، ثم حائل معقل ابن رشيد.

الوزراء ثقافتهم تقليدية، في حين ان ٦ منهم كانت ثقافتهم مدنية. أما نواب الوزراء (أيضاً في وزارة ١٩٧٢) وعددهم ١٤ نائب وزير، فإن ثلاثة منهم لا غير (أثنان من العائلة المالكة) كانت ثقافتهم تقليدية، أما الـ ١١ الباقون فثقافتهم مدنية، و ٨ منهم حصلوا على علومهم من جامعات اميركية. ومن أصل ٢٣ وزيراً في الوزارة اللاحقة، أي وزارة الملك خالد- باستثناء أعضاء الأسرة المالكة- ٣ لا غير زاولوا تحصيلهم العلمي في المعاهد الدينية، بينما باقي أعضاء الوزارة حصلوا تعليمهم العالي في جامعات الولايات المتحدة وبريطانيا ومصر ولبنان. واستمر اتجاه «الشهادة» و«الكفاءة» العلمية المدنية متصاعداً، واستمرت دائرتهم تتسع في حقل المسؤوليات والمهام السياسية والادارية، وقد لحظتهما أنظمة الحكم الأساسية الصادرة في السنوات الأخيرة (راجع «الحكم» في باب بطاقة تعريف).

الملوك

الأمير ولي العهد النائب الاول لرئيس الوزراء  
الأمير النائب الثاني لرئيس الوزراء وزير الدفاع والطيران  
الأمير وزير الخارجية

\* عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود،  
الملوك (١٨٨٠-١٩٥٣): مؤسس المملكة العربية  
السعودية.

ولد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود في مدينة الرياض في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٢٩٧هـ الموافق ٢ كانون الاول عام ١٨٨٠م (أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص ١٠٧). نشأ في ظل والده الإمام عبد الرحمن، حيث تعلم القراءة والكتابة، ثم عهد به والده إلى بعض العلماء والفقهاء الذين تلقى عنهم مبادئ الدين الاسلامي الحنيف وحفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين. وكان منذ صغره حاد الذكاء، دقيق الملاحظة، فوعى ما كان يحيط به والده وأسرتهم من اجراء مشحونة بالعداء والمطامع والمؤامرات التي اضطر معها الإمام عبد الرحمن إلى مغادرة عاصمة حكمه الرياض (١٨٩١) إلى حروف الصحراء حيث استقر به وبأسرته المقام، بعدها في الكويت. وكان عبد العزيز في الثانية من عمره، فتركت هذه الاحداث في نفسه ذكريات موجعة، وترسخت في ذهنه وقلبه فكرة العزم على استرداد ملك آباءه وأجداده مهما كانت الظروف ومهما بلغت التضحيات.

رواصل عبد العزيز انتصاراته في معارك عديدة حيث تم له فتح الطائف ودخول مكة المكرمة (١٩٢٤)، وبعد نحو سنة استسلمت مدينة جدة (١٩٢٥)، وبذلك أصبحت جميع منطقة الحجاز ومدنها تحت حكمه دون منازع.

وبعد أن أصبح عبد العزيز الحاكم الوحيد لتجد الحجاز نودي به ملكاً على البلاد. وفي ٢٣ أيلول ١٩٣٢، أعلن تأسيس المملكة العربية السعودية، وأصبح هذا اليوم هو اليوم الوطني للمملكة.

لم يضع الملك عبد العزيز الوقت بعد مرحلة الجهاد، بل بدأ مرحلة أخرى من البناء والتنظيم وتوطيد الأمن وتأمين طرق الحج وتعمير البلاد وتشجيع الزراعة وتوطين البدو، وتثبيت كيان المملكة. ثم عمد إلى تسوية مشاكل الحدود وتحسين العلاقات مع الدول العربية والاسلامية.

واتجه الملك عبد العزيز إلى الإصلاح الداخلي، فعمل القرآن الكريم والسنة دستور المملكة، وأسس مجلس الشورى، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ثم شرع في فتح المدارس واستقدام المدرسين، كما أرسل البعثات من أبناء المملكة إلى عدد من الكليات والمعاهد في الخارج لتستفيد المملكة من علمهم في النهوض بها لدى عودتهم إليها. كما قام بطباعة الكتب الدينية والعلمية وتوزيعها مجاناً، وعمل على الانتفاع بالمخترعات الحديثة.

وعندما تم اكتشاف البترول في المنطقة الشرقية من المملكة وبدأ الانتاج والتصدير (١٩٣٨)، أخذت المملكة تتقدم بسرعة في النواحي التعليمية والصحية وإنشاء الطرق والسكك الحديدية.

وواصل الملك عبد العزيز تنظيم أجهزة الدولة. فقام بتأسيس مجلس الوزراء، وأمر بسك النقود السعودية، ووضع موازنة للدولة الفتية، وبدأ في تنفيذ مشروعات توسعة الحرمين الشريفين.

وفي المجال السياسي، عقد الملك عبد العزيز المعاهدات مع الدول مما يحقق مصلحة المملكة، وساهم في تأسيس جامعة الدول العربية، كما أصبحت المملكة عضواً في الأمم المتحدة وفي كثير من المنظمات والهيئات الدولية المنبثقة عنها (عن «ثوابت السياسة السعودية، إعداد إدارة الأبحاث والنشر بدار الأفق للنشر والتوزيع، ١٩٩٥، ص ١٤-١٧).

لا تزال سيرة الملك عبد العزيز وسياسته-خاصة المتصلة منها بالقضية الفلسطينية-موضوع دراسات تركز غالبيتها على اجتماع الملك بالأميركي روزفلت



أول صورة لعبد العزيز في الكويت (١٩١٠).

وكانت نشاطات الصهاينة أقلقت العاهل السعودي طلال الثلاثينات، ولا بد أنها كانت المشجع الرئيسي على الاتصالات التي قام بها مع ألمانيا (١٩١٠) وبقيت الاتصالات بالضرورة مكتومة وغير رسمية نظراً إلى رغبته المخلصة في الحفاظ على تحالفه مع بريطانيا التي كانت على وشك دخول الحرب ضد ألمانيا. ويرجح ان تشرشل كان على علم بتلك الاتصالات، ولعل ذلك يفسر سلبته أثناء اللقاء... (ومما قاله عبد العزيز لتشرشل): «ساعدتك وسرف أساعدك وأدعم موقف الخلفاء دوماً لكن لا يمكنني تدمير روحي وشرفي كمسلم بالتوصل إلى تسوية مع الصهيونية...».

وفي كتاب «لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبد العزيز: دراسة وثائقية» (دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت ١٩٩٧) خصص المؤلف، الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري، الفصل السابع للحديث عن قدرة الملك عبد العزيز الفائقة في التعامل الحذر مع السياسة البريطانية، وكيف تلاقى الجازفات، ما دعا سير بيرسي كوكس، الخبير في سياسات الخليج لأكثر من ثلاثين سنة ان يقول إنه «لم ير ابن سعود ينزلق إلى خطورة خاطئة»؛ كما قال عنه غلوب باشا «إنه شخصية مذهلة كما ولو كان رئيس أعظم دولة في العالم»، إضافة إلى رسائل تبادلها الملك عبد العزيز مع عبد الله فيلبي والكاهن شكسبير تضمنت جميعاً مواقف الساعة خصوصاً العلاقة مع الشريف حسين وأولاده إضافة إلى تقارير بريطانية عن الملك عبد العزيز. أما الفصل الثامن فتتضمن موقف الملك عبد العزيز من قضية فلسطين التي اعتبرها قضيتها الأولى حيث يقول في إحدى رسائله إلى البريطانيين: «لو قلت لكم إن هناك ذرة واحدة في جسدي لا تدعوني إلى قتال اليهود لكنك أكذب، لو ذهبت كل أملاكي وتوقف نسلي لكان أسهل عليّ من أن أرى موطنهم قدم لليهود في فلسطين».

\* سعود بن عبد العزيز آل سعود، الملك (١٩٠٢-١٩٦٩): الأبن البكر لعبد العزيز، تولى العرش عقب وفاة والده في ١٩٥٣، واستمر عليه حتى ١٩٦٤. داخلياً، بدأ نهضة تعليمية بفتح مدرسة أنجال ولي العهد الأهلية التي تعد من أوائل مدارس البنين في نجد. بعد مدرسة الأمراء والمدارس التذكارية التي أنشأها الملك عبد العزيز. وحول مديرية المعارف العامة (أنشأها عبد العزيز في ١٩٢٦) إلى وزارة المعارف، وكان الأمير (الملك حالياً) فهد بن عبد العزيز أول وزير لها، وتركزت أهدافها على

وعلى مراسلاتهما، وعلى اجتماعه برئيس الوزراء البريطاني تشرشل، ومن خلال ذلك إظهار تمسك الملك بالحقوق العربية، في فلسطين والبلدان العربية، وقوة شكيمته في الموقف، وذكائه الحاد في تقديم الحجج.

عن اجتماع الملك عبد العزيز بروزفلت- وإضافة إلى ما جاء في النبذة التاريخية- كتب آلان راشر، وهو باحث وكاتب بريطاني في تاريخ العالم العربي وشؤون «الحياة»، العدد ١١٦٨٩، ٢٠ شباط ١٩٩٥، ص ٧، في جملة ما صدر من دراسات، في الموضوع، في السنوات الأخيرة:

«... حاول روزفلت تقديم حجة جديدة، بالحديث عن القدرة الزراعية التي برهن عليها المستوطنون الصهاينة، وما في ذلك من الخير لليهود والعرب على حد سواء، لكن الملك عاد إلى الرفض. وكان جوابه، حسب شاهد عيان آخر هو الأميركي هاري هوبكنز، «لم ينجح اليهود في تحويل الصحراء في فلسطين إلى مزارع يانعة إلا بفضل تدفق رؤوس الأموال الأميركية والبريطانية عليهم بالملايين. ولو أعطيت تلك الملايين إلى العرب لنجحوا بالقدر نفسه». وهنا يستمر هوبكنز ليقول: «لا شك ان الرئيس (روزفلت)، عندما وجه الدعوة، لم يكن يدرك أي نوع من الرجال هو ضيفه، إنه رجل ذو وقار وتقشف وقوة عظيمة وجندي بالفطرة، وفوق كل ذلك فهو عربي». وأكد ذلك أميركي آخر، هو أليوت روزفلت نجل الرئيس، الذي قال في كتابه الذي كان بعنوان «كما رأيت»، إن والده اعتبر ان ذلك «العاهل الحديدي الارادة كان الرجل الذي حصل منه على أقل ما يمكن من بين كل الرجال الذين قابلهم في حياته. وبرهن العاهل على قوة شكيمته في قضايا أقل أهمية، عندما حصل من الأميركيين، مقابل السماح للبحرية الأميركية بالإرساء في موانئ العربية السعودية والتزود منها، على تعهدات بعدم احتلال أي من أراضي المملكة لأي سبب كان، وان تتسلم السعودية بعد خمس سنوات كل المنشآت العسكرية والمعدات الحربية الأميركية، والأهم من كل ذلك ان تساند الولايات المتحدة، حسب شرعة الاطلسي كل المبادرات التي تتخذها الدولة السعودية لصالح تحرير الشعوب العربية الراضة حالياً تحت السيطرة الأجنبية...».

وعن لقاء الملك عبد العزيز تشرشل وسياسته إزاء بريطانيا والخلفاء، يتابع راشر:

«... تصرف تشرشل ببراءة (في لقاء عبد العزيز به) ولم يد أي تهمة لوضع الفلسطينيين أو استعداد لمواجهة المشكلة التي كان لها ان تتفاقم عبر العقود اللاحقة.



الملك فيصل بن عبد العزيز.



الملك سعود بن عبد العزيز.

\* فيصل بن عبد العزيز آل سعود، الملك (١٩٠٦-١٩٧٥): الأبن الثالث لعبد العزيز. ولد في مدينة الرياض. شارك في سن مبكرة في المعارك والأحداث التي واكبت نشؤ المملكة، فكان له في كل ذلك حخير إعداد لما تفرس بعد من مهمات.

قام بأول زيارة له إلى بريطانيا، كممثل لوالده، في تشرين الاول ١٩١٩، ملياً الدعوة (كما لبأها معه الشيخ أحمد الجابر الصباح الذي أصبح في ما بعد حاكماً للكويت) التي وجهت إليه كبادرة تقدير للموقف السعودي أثناء الحرب العالمية الأولى. وكانت رحلته الثانية (إلى الخارج) عام ١٩٢٦ عندما جاب انكلترا وفرنسا وهولندا وبلدانا أخرى، والثالثة عام ١٩٣٢ (وكان عبد العزيز قد عينه أول وزير خارجية للمملكة منذ ١٩٣٠) عندما رأس بعثة سعودية إلى معظم عواصم أوروبا، والرابعة عام ١٩٣٧ عندما شهد تنويع الملك جورج السادس، والخامسة عام ١٩٣٩ عندما مثل المملكة في المحادثات الخاصة بفلسطين التي عقدت في لندن. وفي تشرين الثاني ١٩٤٣، كانت زيارته السادسة لبريطانيا بصحبة أخيه الأمير (الملك في ما بعد) خالد. وأجرى الأميران محادثات في وزارة الخارجية البريطانية.

الاهتمام بالتعليم العالي ومعاهد المعلمين وبنائية التعليم ومكافحة الأمية والتعليم الفني المتوسط، وجرى تخصيص رواتب شهرية تراوح بين ١٠٠ و٣٠٠ ريال سعودي للتلميذ الواحد. كما قام الملك سعود بإهداء عشرة قصور ملكية في مكة لرويس لوزارة المعارف وسميت «مدينة الملك سعود العلمية»، ثم أنشئت جامعة الملك سعود في الرياض وهي أول جامعة على مستوى المملكة (١٩٥٧)، والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة (١٩٦١). وفتحت أول مدرسة لتعليم البنات في ١٩٦١. وفي مجال الصحة العامة، أسس الملك سعود المستشفيات في أنحاء المملكة، وأنشأ المحجر الصحي (١٩٥٦)، والمستشفى المتنقل في البادية.

خارجياً، عقد الملك سعود معاهدة عسكرية مع مصر (١٩٥٥)، ثم ابتعد عن السياسة المصرية، واتهمته القاهرة بتمويل مؤامرة لاغتيال الرئيس جمال عبد الناصر. زار القاهرة رسمياً في ٣١ آب ١٩٥٩، واشترك في مؤتمر القمة العربي الاول (١٩٦٤).

تنحى عن العرش في مطلع تشرين الثاني ١٩٦٤، وسافر إلى الخارج؛ ثم أقام في القاهرة من أواخر ١٩٦٦ وحتى وفاته في ١٩٦٩ (راجع «النبتة التاريخية»).



الامير فيصل يوقع ميثاق الامم المتحدة ومعه الوفد السعودي المؤلف من الامير لهد بن عبد العزيز، والامير عبد الله الفيصل، والامير نواف بن عبد العزيز والسيد علي رضا.

وزير الخارجية السعودية الامير فيصل يلقي كلمته في الامم المتحدة.



الطريق للحظة التاريخية التي شهدت الاعتراف بالملك عبد العزيز، في شباط ١٩٤٥، كرجل دولة عالمي عندما سافر إلى مصر لعقد شادثات مع روزفلت وتشروشل. وفي السنة نفسها، رأس وزير الخارجية، الأمير فيصل، البعثة التي مثلت المملكة في مؤتمر تأسيس منظمة الأمم المتحدة في سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الامركية.

وعندما تأسس مجلس الوزراء السعودي (١٩٥٣)، اختير فيصل نائباً لرئيس مجلس الوزراء. وعند وفاة عبد العزيز بعد ذلك بأسابيع أصبح فيصل ولياً للعهد. وكان تسلمه العرش، في تشرين الثاني ١٩٦٤، فائحة السبيل نحو الخطوات الأساسية لتحديث المملكة وإلحاقها بركب الحضارة. وكان فيصل قبل ذلك بعامين قد أعلن سيادته العشرة التي ارتبطت تاريخياً ببرنامجه في الحكم (راجع «النبة التاريخية» و«معالم تاريخية»).

في ٢٥ آذار ١٩٧٥، اغتال أحد افراد العائلة المالكة الملك فيصلاً لدوافع لم يكشف النقاب عنها بعد. والتحليل السياسي الأبرز لحادثة الاغتيال هذه، الذي انتشر على نطاق واسع جداً، عربياً ودولياً، صحافياً وأحاديث الخاصة والعامه، هو الذي ربط بين حادثة الاغتيال والموقف الصلب الذي كان يتخذه الملك فيصل من القضية الفلسطينية على وجه العموم وقضية القدس التي كان يصبر على عربيتها على وجه الخصوص. فكان لا ينفك يردد انه لن يرتاح له بال إلا حين يصلي في القدس.

لعب الملك فيصل واحداً من الادوار الكبرى في التاريخ السياسي للملكة والمنطقة الشرق الاوسط في تلك السنوات الحافلة، بعد ان لعب طوال نحو ثلث قرن دوراً كبيراً في المجال الدبلوماسي، ليس فقط بوصفه وزيراً للخارجية السعودية، بل ايضاً بوصفه واحداً من مهندسي وصانعي السياسة الخارجية العربية بشكل عام.

\* خالد بن عبد العزيز آل سعود، الملك (١٩١٣-١٩٨٢): ولد في الرياض. تلقى تعليمه في المدارس القرآنية في المملكة، ولم يتلق أي تعليم في الخارج بخلاف العديد من إخوته. وعندما أصبح في الرابعة عشرة من عمره، أرسله والده عبد العزيز إلى الصحراء ليمثل الدولة لدى قبائلها ويستمع إلى شكاواهم ومظالمهم. وكان يرتاح إلى حياة الصحراء وتوليته مختلف قبائل المملكة ثقة فائقة. وقد ساعد والده في عدة مهمات خلال الكفاح من أجل توحيد البلاد، وأصبح حاكم الحجاز (١٩٣٢)، ثم وزيراً للداخلية (١٩٤٣)، وكانت له اهتمامات بالزراعة.

وعلى رغم اعتبار هذه الزيارة إلى لندن (تشرين الثاني ١٩٤٣) ناجحة، فهي تعد قليلة إذا قورنت بالزيارة التي قاما بها إلى الولايات المتحدة قبل شهر واحد (تشرين الاول ١٩٤٣). فعشية وصولهما إلى واشنطن عاملهما الرئيس روزفلت معاملة رؤساء الدول، وأقام لهما حفلة استقبال رسمية في البيت الأبيض. وركز الأميران، في مباحثتهما وأحاديثهما، على النقاط الرئيسية في برنامجهما السياسي، مثال ذلك أهمية تأمين الاستقلال التام لسورية ولبنان واقتراح إقامة «الولايات المتحدة العربية» التي كان يفترض ان يكون والدهما زعيماً لها. وعلى الرغم الجهود المبذولة لتقليل من أهمية المشكلة الفلسطينية التي كانت بالغة الحساسية في ذلك الحين، فقد أوضح الأمير فيصل الموقف السعودي من المسألة مركزاً على ان «اليهود، أو بالأحرى الصهيونيين هم الذين يتسببون بخلق جميع المصاعب، وطالما نجحوا في تحقيق أهدافهم فستبقى المشاكل قائمة دائماً».

وما كان له أهمية خاصة، إبان هذه الزيارة للولايات المتحدة، الاهتمام الذي أبداه الأمير فيصل في شأن الاتحاد السوفياتي خلال عاداته. فبينما أظهر فيصل تفهماً للحاجة إلى الدعم السوفياتي في الحرب الدائرة ضد المانيا، حذر في الوقت نفسه من التبعات المحتملة البعيدة المدى للمثل هذه المساعدة. وإذ توقع فيصل التوسع السوفياتي في الارض وانتشار الشيوعية في أعقاب هزيمة الالمان، فإنه كان ايضاً بين الأوائل الذين استشفروا الملامح البارزة لفترة الحرب الباردة التي تلت.

إلا ان مسألة تعزيز التحالف بين العربية السعودية والولايات المتحدة طغت على المسائل الأخرى خلال زيارة الأميرين. ويعود تاريخ هذا التحالف إلى عام ١٩٣٣ عندما فازت شركة «سنائت أويل كومباني أوف كاليفورنيا» بأول امتيازاتها النفطية السعودية، ثم عندما عشر على مخزونات نفطية ضخمة في المنطقة الشرقية من السعودية (١٩٣٨)، وبدأت هذه العلاقات التحالفية تزدهر مع حاجة الولايات المتحدة إلى مزيد من النفط إبان الحرب من جهة، ومع ما شهدته السعودية من تراجع اقتصادي نتيجة هذه الحرب (العالمية الثانية) فتراجعت الإيرادات من الحج التي كانت لا تزال مصدر الدخل الرئيسي للملكة إضافة إلى ما عانتها البلاد من حالة جفاف وتعطل الواردات من الطعام والحاجات الضرورية الأخرى بسبب القيود على التجارة التي فرضتها البلدان المجاورة من جهة ثانية. وبعد سنتين على هذه الزيارة، اتضح انها مهدت



الملك خالد بن عبد العزيز.

الملك»، مؤسسة أخبار اليرم، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٧٣-٧٤.

«وكانت أمه تتمتع بشخصية قوية مما كان لها الأثر الكبير في تربية أبنائها. ويذكر ان هذه السيدة القادرة الجلييلة ظلت حتى وفاتها سنة ١٩٦٩ تدارم على جمع أبنائها يوميًا حولها وتسدي إليهم النصح والتوجيه. كما انها حرصت على دفعهم نحو العلوم الحديثة العصرية الأمر الذي أهّل الملك فهد وأخوته الستة إلى تبني مراكز أساسية في الدولة» («موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج ٤، ط ١، ١٩٩٠، ص ٦١١).

وكان فهد قد تلقى علومه الأولية في المدرسة التي أنشأها والده الملك عبد العزيز لتعليم أولاده (مدرسة الأمراء في الرياض)، ثم التحق بالمعهد العلمي السعودي (في مكة المكرمة) الذي يولي التعليم الديني وعلوم اللغة العربية اهتمامًا كبيرًا، ثم تلقى دراسات مختلفة في الخارج إلى جانب قيامه برحلات زار خلالها معظم دول أوروبا وآسيا وأفريقيا والولايات المتحدة.

أوفده والده الملك عبد العزيز، إلى الخارج في مهمات رسمية عديدة وعهد إليه في كثير من الأحيان أن

ترك خالد البلاد لأول مرة في ١٩٣٩ ليشترك مع أخيه فيصل، في مؤتمر لندن حول فلسطين، ثم اصطحبه فيصل إلى الولايات المتحدة وإلى عدد من البلدان الأوروبية (راجع «فيصل...»، أعلاه). ولكنه عاد إلى المملكة، وفضل الاهتمام بأوضاع البدو، وتحديداً بمشاريع استصلاح الصحراء من خلال استخدام المياه الجوفية. وفي الرياض كرّس وقته لأعمال الخير والاحسان. وساعده في ذلك شخصيته المتواضعة ومنطقه الهادئة وسمعته الحسنة التي جعلت منه وسيطاً دائماً في الخلافات التي تبرز أحياناً داخل العائلة المالكة. عين نائباً لرئيس مجلس الوزراء ولياً للعهد (١٩٦٢).

حين نُودي بفيصل ملكاً أصبح خالد ولياً للعهد. ثم ارتقى العرش بعد مقتل فيصل (١٩٧٥)، فاختر الملك خالد الأمير فهد ولياً للعهد ونائباً أول لرئيس مجلس الوزراء كما عين الأمير عبد الله نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء ورئيساً للحرس الوطني.

انتهت خطة التنمية الخمسية الثانية في عهده وكانت ركزت على تنويع القاعدة الاقتصادية. كما عقد في عهده مؤتمر القمة الاسلامي التاريخي في الطائف ومكة (١٩٨١)، وفي السنة نفسها وقع بالأحرف الأولى على تأسيس مجلس التعاون الخليجي.

ألف الملك خالد وولي العهد فهد فريق عمل، وأنيطت بولي العهد الأعمال الادارية. وكانت حركتها التطور الصناعي والزبوي سائرتين قدماً حين توفي الملك خالد (حزيران ١٩٨٢)، وكان أصيب أكثر من مرة بنوبة قلبية.

\* فهد بن عبد العزيز آل سعود، خادم الحرمين الشريفين الملك (١٩٢٤-): ملك المملكة العربية السعودية الحالي. ولد في مدينة الرياض في كنف والده مؤسس المملكة.

«كان الفهد معروفًا منذ طفولته بالهدوء والاعتزان والبعد عن هو الاطفال والميل إلى الصمت والتفكير وإجادة الاصغاء والاستماع والاهتمام بما يدور من حوله رغم صغر سنه، وقد لاحظ الملك عبد العزيز في ولده فهد تلك المناقب فقربه منه وأجاز له حضور مجلسه الخاص حيث كان يجتمع إلى ابنائه الكبار في السن ورجال دولته مما أكسبه خبرة في مختلف الأمور السياسية والادارية التي كانت تبحث في مجلس الوالد وطريقة معالجتها واتخاذ ما يلزم بشأنها...» (عادل رضا، «فهد بن عبد العزيز الانسان





خادم الحرمين الشريفين  
الملك فهد بن عبد العزيز.

في آذار ١٩٧٥، عين ولياً للعهد (في عهد أخيه الملك خالد بن عبد العزيز) ونائباً لرئيس مجلس الوزراء ورأس عددًا من المجالس والهيئات المشرفة على أمن القطاعات بالملكة وهي: المجلس الأعلى للبترول والمعادن، المجلس الأعلى للجامعات، الهيئة الملكية للجبيل وينبع، المجلس الأعلى لسياسة التعليم، الهيئة العليا لشؤون الحج، الهيئة الملكية لتطوير المدينة المنورة، وترأس وفد المملكة بالانابة عن الملك خالد إلى مؤتمر القمة العربية الذي عقد في بغداد (١٩٧٨)، كما ترأس وفد المملكة بالانابة عن الملك خالد أيضاً إلى مؤتمر القمة العربية الذي عقد في مدينة فاس (المغرب) في ١٩٨٠ حيث طرح المشروع العربي للسلام الذي عرف في ما بعد بمشروع فاس للسلام. وترأس وفد المملكة في ١٩٨١ إلى المؤتمر الاقتصادي الذي عقد في كانكون (المكسيك) وحضره معظم رؤساء دول العالم لبحث مشكلات العالم الاقتصادية ووضع الحلول للعلاقات الاقتصادية بين الدول الغنية والدول الفقيرة.

وفي ٢١ شعبان ١٤٠٢ هـ (١٣ حزيران ١٩٨٢) برقع فهد ملكاً للمملكة العربية السعودية إثر وفاة الملك خالد، كما برقع الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ولياً للعهد. وفي أول خطاب ملكي وجهه إلى المواطنين

ينوب عنه في حضور بعض المناسبات الداخلية وبخاصة الاجتماع إلى رؤساء القبائل وأعيان البلاد، وقد أكسبه ذلك خبرة واسعة في شؤون القبائل وأهل البادية بدت نتائجها الايجابية في ما بعد عندما تولى وزارة الداخلية (١٩٦٢). وكان، قبل وزارة الداخلية، عين وزيراً للمعارف عند إنشائها في ١٩٥٣. وعين نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء في ١٩٦٧ علاوة على قيامه بمسؤوليات وزارة الداخلية، وقد أصبح يحكم هذا المركز يرأس جلسات مجلس الوزراء. ومن المهام المبكرة التي شارك فيها في عهد والده اختياره عضواً في وفد المملكة برئاسة الملك فيصل (وقد كان أميراً ووزيراً للخارجية) وذلك بمناسبة افتتاح هيئة الأمم المتحدة في نيويورك، كما رأس وفد بلاده إلى اجتماع جامعة الدول العربية في الدورة الـ٣٣ الاستثنائية في شتورا (لبنان، ١٩٦٠).

في ١٩٧٠، رأس فهد وفد المملكة إلى بريطانيا للمشاركة في المحادثات المتعلقة بمستقبل منطقة الخليج العربي بعد قرار بريطانيا الانسحاب من المنطقة، كما ترأس وفد المملكة إلى مؤتمر قمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) الذي عقد في الجزائر في ١٩٧٥، وقام بسلسلة من الزيارات لعدد من الدول العربية والاسلامية والصديقة.

أخذ الملك فهد لنفسه فقد جاء بصده في كتاب «أضواء على منجزات التنمية في المملكة العربية السعودية» (دار الأفاق للنشر والتوزيع، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٥، ص ٥٧):

ألقى خادم الحرمين الشريفين خطاباً في حفل افتتاح مركز تلفزيون المدينة المنورة مساء الاثنين ٢٤ صفر ١٤٠٧هـ الموافق ٢٧ تشرين الثاني ١٩٨٦ قال فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، يطيب لي أن أعلن لكم اليوم من مدينة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام عن رغبة ملحة تخامرني منذ شاء الله أن أتسلم زمام الحكم في وطني العزيز باستبدال مسمى صاحب الجلالة بلقب أجه ويشرفني أن أحمله وهو خادم الحرمين الشريفين وسوف يعتمد هذا رسمياً منذ الآن في الخطاب وفي الكتاب وسوف تصدر من الديوان الايضاحات اللازمة لاستخدام الصيغة الجديدة».

وبعد خمسة ايام (أي في ٢ كانون الاول ١٩٨٦)، صدر توجيه ملكي من الملك فهد إلى ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني يطلب إحلال عبارة «خادم الحرمين الشريفين» محل عبارة صاحب الجلالة في كل المخاطبات والمكاتبات وان يمنع استعمال كلمة «مولاي» أو كلمة «المعظم» أو أي عبارة أخرى تدل على التبجيل والتعظيم.

\* عبداً لله بن عبد العزيز آل سعود، الأمير ولي العهد (١٩٢٤-): عاش الأمير عبداً لله، ككل أخوته، في ظل ورعاية والده الملك عبد العزيز. في ١٩٦٢، عين رئيساً للحرس الوطني فعمل على إعادة تنظيم وتطوير هذا الجهاز وتجهيزه بالعلم والسلاح المتقدم والتدريب والتأهيل وتزويده بالثقافة الدينية والعسكرية حتى أصبح، خلال عقدين، قوة لا يُستهان بها، فأثبت وجوده وكفاءته في كل مهمة كلف بها وخصوصاً في حرب الخليج الثانية.

وعُني الأمير عبداً لله بإنشاء المستشفيات والمستوصفات في الحرس الوطني والمدن السكنية الخاصة لمنسوبيه وتوفير الرعاية الصحية لأفراد الحرس الوطني وعائلاتهم.

وفي ١٩٧٥، عُين الأمير عبداً لله نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء إلى جانب مسؤولياته كرئيس للحرس الوطني. وأصبح يحكم هذا المنصب برأس بعض جلسات مجلس الوزراء.

وفي ١٩٨٢، اختاره الملك فهد ولياً للعهد،

السعوديين بعد تسلمه مقاليد الحكم، قال: «إنني أشعر بعظم المسؤولية وثقل الأمانة التي شاء الله سبحانه وتعالى أن أحملها راجياً منه جلّ وعلا أن يعينني على حملها وأنني أعاهد الله ثم أعاهدكم بأن أكرس كل جهودي من أجل العمل على راحتكم وتوفير الرخاء والأمن والاستقرار لهذا البلد العزيز، وأن أكون أباً لصغيركم وأخاً لكبيركم فما أنا إلا واحد منكم يؤلني ما يؤلكم ويسرني ما يسركم» (عادل رضا، المرجع المذكور أعلاه، ص ٦١).

وفي طليعة ما يسجل للملك فهد من إنجازات في الفترتين، فترة ولايته للعهد وفترة عهده، أنه قاد، سياسة فضّ المنازعات الاقليمية العربية وتشجيع سياسة التضامن العربي والاسلامي، فسعى منذ العام ١٩٧٥ إلى تحسين العلاقة مع العراق واليمن الجنوبية بعد ان كانت علاقة السعودية بهذين البلدين محكومة بتأزمات قديمة، دون ان يهمل تطوير العلاقة مع كل من سورية واليمن الجنوبية. كما حافظت السعودية على علاقة منطوية بالنسبة إلى القضية الفلسطينية وذلك بمواصلة دعمها لمنظمة التحرير الفلسطينية على مختلف الصعد. وقد استطاع فهد أن يتجاوز الازمات التي نشأت في ١٩٧٩ سواء تلك المتمثلة في منطقة المسجد الحرام أم في المناطق الشرقية من المملكة.

وإذا كان الملك فيصل قد افتتح عهده ببناء المملكة السعودية الحديثة فإن الملك فهد، ومنذ اعتلائه العرش، وضع المنهج الرئيسية لانمام هذا البناء وفرض حضوره الداخلي والعربي والعالمي وإليه تعود تحديداً بلورة الاتجاهين الرئيسيين لتطور المملكة: الاول ويتصل ببناء القواعد الصناعية وفق نظرة تسعى لتوسيع مشاركة كل أهالي البلاد في هذه العملية وجعلهم يستفيدون إلى أبعد مدى من الثروة النفطية، والثاني يقوم على بناء تجمع خليجي قوي في إطار مواجهة التطورات المحتملة، خصوصاً بعد أحداث أفغانستان والحرب الايرانية-العراقية.

وقد رسّخ الملك فهد سياسة الملك فيصل بالنسبة إلى قضية فلسطين وأهمية استعادة القدس مرتكزاً على الدور المتزايد للعامل البزولي بوصفه من عوامل تقرير السياسات الدولية في المنطقة. وفي هذا السبيل اقترن أكثر من مبادرة ومشروع باسم الملك فهد حتى في الفترة التي كان فيها ولي عهد أهمها المشروع الذي اشتهر باسم «مشروع فهد» ثم صار يعرف رسمياً باسم «مشروع قمة فاس» بعد أن اقترت خطوطه الأساسية في مؤتمر القمة العربية في فاس ١٩٨٢ (راجع «النبذة التاريخية»).

أما عن لقب «خادم الحرمين الشريفين» الذي



الامير ولي العهد عبدالله بن عبد العزيز.

السعودية»، إعداد إدارة الأبحاث والنشر بدار الأفق للنشر والتوزيع، ١٩٩٥، ص ٥٩-٦٠، راجع كذلك «كروولوجيا» في باب «النبذة التاريخية».

\* سلطان بن عبد العزيز آل سعود، الأمير (١٩٢٨-): النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام. نشأ الأمير سلطان في رعاية والده الملك عبد العزيز. في ١٩٤٧، عينه عبد العزيز أميراً لمدينة الرياض. وعند تشكيل أول مجلس وزراء في المملكة عُين سلطان وزيراً للزراعة (١٩٥٣)، وكان أهم المشروعات التي عُني بها إذ ذلك هو مشروع توطين البادية الذي يعد أحد التوجهات الأساسية للدولة في خططها التطويرية؛ وفي ١٩٥٥ عُين وزيراً للمواصلات، وفي ١٩٦٢ وزيراً للدفاع والطيران ومفتشاً عاماً. ومنذ ذلك التاريخ شهدت القوات المسلحة البرية والجوية والبحرية تطورات واسعة تهدف إلى إعادة تنظيمها وتحديث سلاحها وإنشاء الكليات والمعاهد والمدارس العسكرية في مختلف التخصصات (عن «أضواء على منجزات التنمية...»، المرجع المذكور أعلاه، ص ٦١-٦٢؛ راجع كذلك «كروولوجيا» في باب «النبذة التاريخية».

وصدر أمر ملكي بتعيينه نائباً أول لرئيس مجلس الوزراء إلى جانب رئاسته للحرس الوطني.

كان الأمير عبدالله دائماً العضد القوي والساعد الأيمن لأخيه الملك في تصريف شؤون الدولة وفي السهر والمتابعة لمشروعات التنمية الشاملة. وعلاوة على ذلك فله دور كبير وملحوظ في إنهاء الخلافات التي كانت تنجم بين الدول العربية وتقريب وجهات النظر بينها وخدمة القضية الفلسطينية وإيجاد الحلول للمشكلة اللبنانية بتوجيهات من أخيه الملك. وله أيضاً عناية خاصة بالجوانب الثقافية والاجتماعية، فقد تبنى إقامة مهرجان سنوي ثقافي واجتماعي في الجنادرية تحت إسم «المهرجان الوطني للتراث والثقافة» الذي تشارك فيه كل الفعاليات الثقافية والاجتماعية والتراثية من داخل المملكة، ويحضره جمع كبير من الأدباء والمثقفين والمفكرين من معظم البلاد العربية والاسلامية. وحرصاً منه على إحياء التراث والتقاليد العربية الأصيلة فقد أنشأ «نادي الفروسية» الذي يرعى رياضة الفروسية العربية، حيث تقام السباقات اسبوعياً وشهرياً وسنوياً وذلك من أجل وصل ماضي المملكة بحاضرها (عن كتاب «أضواء على منجزات التنمية في المملكة العربية



الامير سعود الفيصل.

#### وزراء وشخصيات سياسية

\* أحمد زكي اليماني (١٩٣٨-): ولد في الدمام. أتمّ تحصيله الابتدائي والثانوي في العربية السعودية. نال رتبة (ب.ق.) بكالوريوس في القانون من جامعة القاهرة وLLM ماجستير في القانون من جامعة هارفرد. أشار في كتابه: «القانون الاسلامي والقضايا المعاصرة»، كراتشي ١٩٥٨، إلى ان ليس من معارضة بين الشريعة والأوضاع الحديثة. وأكد ان التقدم والنمو إنما يمان عن طريق تطبيق الشريعة لا غير. وأوصى، انسجاماً مع آراء ابن قيم الجوزية القاضي الحنبلي البارز، أن الشريعة نظام قائم على أسس راحة الفرد في المجتمع في حياته اليومية وفي توقعاته في الحياة الأخرى. فالشريعة كما يرى «كلها عدل، وكلها رحمة، وكلها منافع».

وزير الثروة النفطية والمعدنية في حكومة الملك خالد، وأبرز وزراء النفط في الأوابك والأوبك.

\* جميل مراد بسارودي (١٩٠٥-١٩٢٩): دبلوماسي سعودي، لبناني المولد. ولد في سوق الغرب (لبنان) وتوفي في نيويورك. كان سفيراً للمملكة السعودية في الأمم المتحدة وعميد السلك الدبلوماسي في المنظمة الدولية. كان عضواً في الوفد السعودي إلى الأمم المتحدة (الذي كان برئاسة الأمير فيصل-الملك في ما بعد) في



الامير سلطان بن عبد العزيز.

\* سعود الفيصل، الأمير: ابن الملك فيصل بن عبد العزيز. وزير الشؤون الخارجية. ولد في الرياض. درس في «هون»، وواصل تحصيله، وتخرج عام ١٩٦٥ بشهادة ب.ع. في الاقتصاد من جامعة برنستون الاميركية، وعمل مدة عشر سنوات نائباً عن الشيخ أحمد زكي اليماني في منظمة النفط والمعادن، ثم في وزارة الثروة النفطية والمعدنية، ثم وزير دولة للشؤون الخارجية (١٩٧٥) قبل ان يصبح وزيراً للخارجية في العام نفسه. ترأس وفد بلاده إلى عدد كبير من المؤتمرات العالمية والعربية. كلفه الملك خالد ببذل الجهود الدبلوماسية لحل النزاع الجزائري-المغربي حول الصحراء الغربية، والحرب الأهلية في لبنان. شارك في وفد بلاده إلى مختلف مؤتمرات القمة العربية منذ ان تولى وزارة الخارجية وأصبح شخصية سعودية وعربية معروفة وبارزة. لكن، لوحظ في السنوات الأخيرة تراجعاً في دوره ومهامه الخارجية، وبرز في أكثر هذه المهمات ولي العهد الأمير عبد الله، والنائب الثاني لرئيس الوزراء الأمير سلطان. ومن بين أبرز الأدوار العربية التي لعبها سعود الفيصل في آخر الثمانينات دوره التوفيق في «وثيقة الوفاق الوطني» اللبنانية المعروفة أيضاً بـ«اتفاق الطائف».

جهة أخرى. وهؤلاء الآخرون يبدو أنهم غافلون عن فضل العلماء في الاستقرار والاستمرار في مجتمع تقليدي، ولا هم يتحسسون دائماً غنى القضاء الاسلامي، أما العلماء من جانبهم، فلم يعثروا بعد على الصيغة الصالحة لنقل هذه المناقب إلى المفكرين».

\* **عبد العزيز عبد الله الخويطر (١٩٢٧-):** ولد في نجد. حصل الدروس الابتدائية والثانوية في العربية السعودية، والدكتوراه (د.ف.) في التاريخ في بريطانيا. رئيس مديرية الأشراف والمتابعة (١٩٦٥)، وبعد سنة عين نائب رئيس جامعة الرياض بقرار من وزير الثقافة. عين في ١٩٦٧، وزيراً للصحة في وزارة فيصل، وفي ١٩٧٥، أصبح وزيراً للثقافة.

\* **عبد الله محمد العمران (١٩٣٥-):** أتم تحصيله الابتدائي والثانوي في العربية السعودية، ونال شهادة (د.ق.) دكتور في القانون من الولايات المتحدة. شغل منصب مستشار قانوني لمجلس الوزراء بين ١٩٧٠ و ١٩٧٥. عين وزير دولة في ١٩٧٥.

\* **علوي درويش كيسال (١٩٣٢-):** ولد في جدة. أتم التحصيل الابتدائي والثانوي في العربية السعودية. ونال شهادة الدكتوراه (د.ف.) من الولايات المتحدة في العلم السياسي. شغل بين ١٩٥٩ و ١٩٧٠ منصب مدير عام البريد ثم وزير البريد والبرق والهاتف في وزارة فيصل وبقي كذلك في وزارة خالد (١٩٧٥).

\* **غازي القصيبي (١٩٤٠-):** ولد في إقليم الحساء. أتم تحصيله الابتدائي والثانوي في العربية السعودية. نال (L.L.B) بكالوريوس في القانون من جامعة القاهرة، و(م.ق.) في العلاقات الدولية من جامعة جنوبي كاليفورنيا، و(د.ف.) في العلاقات الدولية في جامعة لندن. في عام ١٩٦٥ انضم إلى جامعة الرياض محاضراً في العلم السياسي. ثم أصبح عميداً لكلية العلوم الادارية في الجامعة نفسها (١٩٧١). وفي ١٩٧٣، عين مديراً عاماً لمنظمة القطارات الوطنية السعودية برتبة نائب وزير. وبعد سنة عين رئيساً لحاكمية مرفأ الدمام. وعين في ١٩٧٥، وزيراً للصناعة والكهرباء.

\* **كمال أدهم (١٩٢٩-):** ولد في مكة

الاجتماع الاول عام ١٩٤٥ في سان فرانسيسكو، واشتهر بمواقفه الوطنية الحادة ضد الصهيونية ودفاعه عن سياسة المملكة العربية السعودية وعن القضايا العربية.

ومن المعروف ان البارودي لم يكن يزداد في الاصطدام مع الكثير من الوفود الغربية وفي أكثر من مناسبة وقد مُنح صلاحية واسعة من وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل لطرح أو اتخاذ الموقف الذي يريد دون الموافقة المسبقة من وزارة الخارجية. والجدير بالذكر انه كثيراً ما كان يستشهد في خطبه بأقوال للسيد المسيح وبكثير من كبار السياسيين وعظماء الغرب بهدف ترك أكبر الأثر في الغرب. ويمتاز أسلوبه بجرأة لا تتوافر عادة لدى الدبلوماسيين.

\* **حسن عبد الله آل شيخ (١٩٣٣-):** ولد في مكة. تعلم على والده الشيخ عبد الله وأتم التحصيل الثانوي في مكة. نال شهادة (ب.ع.) في اللغة العربية والدراسات الاسلامية من كلية الشريعة في مكة. عينه والده عضواً في اللجنة التنفيذية القضائية في منطقة الحجاز (١٩٥٦-١٩٥٨)، وبعد وفاة والده (١٩٥٨) أصبح رئيساً لهذه اللجنة. في ١٩٦٢، عينه ولي العهد الأمير فيصل وزيراً للثقافة. وفي ١٩٧٥، عينه الملك خالد وزيراً للتعليم العالي. وإلى جانب منصبه الوزاري عينه الملك فيصل رئيساً للمجلس الأعلى لمركز أبحاث الملك عبد العزيز.

\* **سليمان عبد العزيز المسلميم (١٩٣٨-):** أتم تحصيله الابتدائي والثانوي في البصرة بالعراق. تخرج برتبة (ب.ع.) في العلم السياسي في جامعة القاهرة ١٩٦٢ و(م.ع.) في العلاقات الدولية ١٩٦٦ في جامعة جنوبي كاليفورنيا، و(د.ف.) في القانون في جامعة هوكينز ١٩٧٠.

عين بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية بمنصب مدير العلاقات الخارجية ١٩٦٢، وأصبح (١٩٦٣) عضواً في البعثة السعودية إلى مؤتمر الأمم المتحدة حول «تطبيق العلم والتقنية لمنفعة الدول الأقل نمواً». عين (١٩٦٨) موفداً إلى مؤتمر وزراء الشؤون الاجتماعية في الأمم المتحدة. عينه الملك خالد وزيراً للتجارة (١٩٧٥).

يذكر المسلميم في أطروحة الدكتوراه «التنظيم الدستوري والقضائي في المملكة العربية السعودية»: «إن الشريعة وافية بحاجة العالم المعاصر. وإنما للمشكل في وجود في الاتصالات بين العلماء من جهة، والتقنيين والمفكرين من

فيصل بإنشاء معهد للإدارة العامة في الرياض وكان رئيساً له (١٩٦٢-١٩٦٥). وفي ١٩٧٠ أصبح نائب وزير دولة للمالية والاقتصاد الوطني، ثم في ١٩٧٥ عين بوزارة الملك خالد وزيراً للمالية والاقتصاد الوطني.

\* محمد عبده اليهماني (١٩٣٩-): ولد في مكة. أتمّ تحصيله الابتدائي والثانوي في العربية السعودية. نال (ب.ع.) في العلم الطبيعي في الجيولوجيا من جامعة الرياض (د.ف.) في الحقل نفسه من جامعة كورنيل. حاضر، في ١٩٧٢ و ١٩٧٣ في جامعة الرياض، وفي ١٩٧٣ أصبح نائب وزير الثقافة، وفي ١٩٧٤-١٩٧٥ تولى رئاسة جامعة الملك عبد العزيز. في ١٩٧٥، عين وزيراً للاعلام.

\* هشام الناظر (١٩٣٢-): ولد في جدة. أتمّ تحصيله الابتدائي والثانوي في العربية السعودية، ثم في كلية فكتوريا في الاسكتلندية. في ١٩٥٧، نال (ب.ع.) في العلاقات الدولية من جامعة كاليفورنيا، ونال (د.ع.) في العلم السياسي من جامعة كاليفورنيا في ١٩٥٨. في ١٩٥٩، عين مستشاراً في المديرية العامة لشؤون النفط والمعادن. وفي ١٩٦٠، عين مديراً عاماً للوزارة. وأصبح، في ١٩٦٨، رئيساً للمنظمة المركزية للتخطيط، وفي ١٩٧١، وزيراً بقرار من الملك فيصل، ووزيراً للتخطيط في ١٩٧٥.

عرفت عنه رغبته في الاستفادة من مستشارين أجانب، وأشهر فريق استشاري له هو معهد ستانفورد للبحث في كاليفورنيا الذي اعان في إعداد مسودة المخطط السعودي لخطة السنوات الخمس للتنمية، الأولى والثانية. كما عُرفت عنه آراؤه حول عدم وجود تعارض بين الاسلام والعصرنة، بل بالعكس، لأن التنمية الاقتصادية ينبغي ان تحقق وتستمر لخدمة المجتمع الاسلامي.

المكرمة. تلقى دراسته الثانوية في مصر، والعليا في جامعة كامبردج في المملكة المتحدة. عمل مستشاراً سياسياً خاصاً للملك فيصل بن عبد العزيز منذ ان كان فيصل ولياً للعهد، واستمر في هذا المنصب حتى بعد اغتيال الملك فيصل وارتقاء الملك خالد للعرش. كلف بمهام دبلوماسية دقيقة على الصعيدين العربي والدولي وكان من أبرز ممثلي السياسة الخارجية «الصامتة» والمادئة التي كانت تتبعها المملكة خاصة في عهد الملك فيصل. وعرف عنه، إلى جانب دوره السياسي والدبلوماسي، اهتمامه بالاعمال وتطويره لمصالح اقتصادية كبيرة خاصة في مجال النفط. ارتبط اسمه بالاتفاق النفطي السعودي-الياباني في المنطقة المحيطة على الحدود بين السعودية والكويت عام ١٩٥٨.

\* محمد ابراهيم مسعود (١٩١٩-): ولد في جدة. أتمّ تحصيله الابتدائي والثانوي في العربية السعودية. نال بكالوريوس في التجارة من الجامعة الوطنية اللبنانية. في ١٩٣٦-١٩٣٧، علّم في مدرسة الفلاح في جدة. في ١٩٤١، عين رئيس قسم في دائرة المعادن والأشغال العامة. في ١٩٤٣-١٩٤٨، عين رئيس دائرة التموين في وزارة المالية. أصبح، في ١٩٥٨-١٩٥٩، وزيراً مطلق الصلاحية، ومفتشاً للسلك السياسي والقنصلي في وزارة الشؤون الخارجية. في ١٩٥٩-١٩٦١، أصبح وزيراً مطلق الصلاحية في السفارة السعودية في بغداد. شغل منصب سفير بين ١٩٦١ و ١٩٦٨، ومنصب نائب وزير الخارجية بين ١٩٦٨ و ١٩٧٥، وأصبح وزير بلا وزارة في حكومة الملك خالد.

\* محمد أبو الخليل: ولد في نجد. نال درجة (ب.ع.) في التجارة عام ١٩٥٦ من جامعة القاهرة. عين، بين ١٩٥٦ و ١٩٦٢ مساعد مدير في مكتب وزير المواصلات ثم أصبح مديراً لهذا المكتب. في ١٩٦٢، كلف

Encyclopédie Historique et Géographique  
Continents, Régions, Pays, Nations,  
Villes, Sujets, Signes et Monuments

Tome XII

PAR  
Massoud Khawand

تم طبع الجزء الثاني عشر  
في تشرين الاول ١٩٩٨  
وتليه الأجزاء الأخرى تباعاً  
Ed. Octobre 1998

